نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة بقية الله الأعظم



الإمام المهدي (عج)

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

الشيخ جعفر حسن عتريسي

الجزء الثالث

دار الهادي

موسوعة

بقية الله الأعظم



نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة

بقية الله الأعظم

الإمام المهدي (عج)

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

الجزء الثالث

الشيخ جعفر حسن عتريسي

شبكة الفكر
alfeker.net

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
978 - 9953 - 540 - 01 - 6



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٨٩٦٣٢٩/ ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

نصيحة لأهل الدنيا :

كثيرة هي مطاوي الحقيقة ،
والإعجازُ ينطوي على الإعجاز ،
مُذ بُعثَ محمَّد ، توهَّج الكون ،
وارتسم مِن المعالم ما خشعت منه العقول ،
هي توراة موسى ، وإنجيل عيسى ،
هي الصحف المحمولة اليوم بيد القوم ،
كلُّها مُثقَلةٌ من الإقرار بما كان ويكون عليه الزمن ،
مِن بعثة محمَّد الخاتم ،
إلى مخلِّص البشريَّة المهدي في آخر الزمن ،
لا يحتاجُ البشر أكثر مِن أن يلتفتوا إلى صحف الوجود ،
إلى أبجديَّة المتون ،
إلى كتاب الكون وأسفار الحياة ،
إلى تاريخ البشر وإقراراتِهم ،
إلى الشهادات الحيَّة ذات التنوُّع المذهل ،
وها نحن في زمن الزحف نحو المقصد المحتوم ،
نبوءةُ محمَّدٍ شمسٌ كاملةٌ وإعجازٌ مذهل ،
أخبار الزمان أدهشت العقول ..
وتزحفُ الحقائقُ نحو محرابِهِ ،

تقرُّ معترفةً أنّها هي الوصف المذكور ،

فتكون هذه وتلك مِن باب شاهد الفعل على نبوءة ما بقي مِن مستقبل أكيد ،

فإذا تبدَّد التاريخُ الأخلاقي ،

وتحوّلت الأمم إلى نزاةٍ على غريزة ، وذئاب على مال ،

ونزا الرجالُ على الرجال ، والنساءُ على النساء ،

وتعاوت المرأةُ تدلُّ على فرجها ، عاريةً مختلعةً بين قومِها ، بلا منكرٍ أو مانع ،

وتغاير الرجالُ على الولدان كما يتغاير الذكر على الأنثى ،

وحُرِّم الحلال ، وحُلِّل الحرام ،

وشاع الزنا ، وكثرت المعازف ،

وعُصِي اللهُ جهرة ، وعمّ الفسادُ البلاد ،

وحكم الظُلاَّم ، وشاعت المنكرات ،

وظهرت أمورٌ عظام ،

وتغرَّب الدِّين ، وتسلطن الفاجر ، وأُبعِد الأمين ،

وعمَّ الظُّلم : جوعاً ووجعاً ، حكماً وحكرةً ، قتلاً وغزواً ،

وتقاتلت الأمم ، ونُهِشَ الضعفاء ،

وعمَّت الفتن ، فتنة المال والسوق والجوع الأغبر والموت الأحمر ،

واستطال الفزع والوجع ، وكثرت الدماء ،

وخرج السفياني ،

وقُتِل الحسني ،

واختلف بنو العباس على المُلك ،

وسالت الدماءُ بمنى ، في ملحمةٍ عظيمة ، وانقسم أهلُ الحجاز ،

وكُسِفَت الشمسُ في النصف من شهر رمضان ، وخُسفَ القمر من آخرهِ على خلاف علم الفلك وقواعده ،

وظهر خسفٌ في البيداء ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بالمشرق ، وكثرت الزلازل ، والهدّات ،

وركدت الشمسُ مِن عند الزوال إلى أواسط العصر ، وطلعت من المغرب ،

وقُتِلت نفسٌ زكيَّةٌ بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ،

وعمَّ قتلٌ في العراق ،

وتجهّزت الجيوش ، وانتشر الحرب بالأرض ،

وانقلب الناسُ على دينهم ، فلا تجد أكثر غربة من دين الإسلام ،

وكان للروم الصولات ،

وللترك خرجة ، وفتق ،

وللخراساني مسيرٌ عظيم ، حتى يبلغوا إيلياء ،

وهُدِم حائطُ مسجد الكوفة ،

وأقبلت الرايات السود من قبل خراسان ،

وظهر المغربي بمصر وتملّكه الشامات ،

ونزل الترك الجزيرة ، ونزل الروم الرملة ،

وخرج اليماني ،

وزحفت الراية المغربيَّة ، وظهر السفياني ، وكثر القتل ، وتذابحت الأمم ، وطلع نجمٌ بالشرق يضيئ كما يضيئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ،

وظهرت حمرةٌ في السماء ، تنتشر في آفاقها ،
وشبت نارٌ بالمشرق ، ظهرت طويلاً ، تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيّام ،
وخلع العرب أعنّتها ، وهشّ سلطانها واضطرب ،
وبدا المسلمون أذلّة إلا قلّة منهم ، وخلعوا ما هم فيه مِن دينٍ وإيمان ،
وركبتهم الأمم مِن غربٍ وشرق ، وتنابحتهم الروم وأحكمت الرقاب ،
وظهر النجباء في مصر ، والأبدال في لبنان ، والعصائب في العراق ،
وقتل أهل مصر أميرهم أو خلعوه ، وجاءت الروم إلى الأسكندريّة ،
وثارت فتنة الأحزاب ،
وخربت الشام ، واختلفت ثلاث رايات ، وكثر القتل ،
ودخلت رايات قيس والعرب إلى مصر ، ورايات كندة إلى خراسان ،
وورد الجمع من قبل الغرب حتى يربطوا بفناء الحيرة ، وأقبلت راياتٌ سود من المشرق نحوها ،
وفاض الفرات حتى يدخل الماء أزقّة الكوفة ،
وخرج ستّون كذاباً كلّهم يدّعي النبوّة ، وخرج إثني عشر كلّهم يدّعي الإمامة كذباً ،
واحرق رجل عظيم القدر مِن بني العباس بين جلولاء وخانقين ،
وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد ،
وارتفعت ريحٌ سوداء في بغداد أوّل النهار ، وزلزلة حتى ينخسف كثيرٌ منها ،
وخوفٌ يشمل أهل العراق وبغداد ، وموت ذريعٌ فيه ، ونقصٌ من الأموال ، والأنفس والثمرات ،

وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلات ،
وأجدبت الأرض ، وارتفعت الأسعار ، وقلّة الرزق ، وانتشر الجوع ،
وظهرت الأمراض ،
ومسخ قوم من أهل البدع حتى يصبحوا قردةً وخنازير ،
وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم ، وقتلهم مواليهم ، وغلبة العبيد على بلاد السادات ،
وخوف واسع ، وجوعٌ قاطع ، وبلاءٌ عظيم ،
وقتل لم تشهده قرقيسيا مِن قبل ، راياتٌ تقتل بعضها بعض ، من أهل الشرق والغرب ،
وموت ذريع ، وقتلٌ فظيع ،
وبكاء هائل ، وويل صائل ،
ونداء مِن السماء يسمعه أهل الأرض كلّهم ، كلٌّ بلغتِهِ ، يبشِّر الأمم بظهور المهدي المنتظر ، ووجهٌ وصدر يظهران للناس في عين الشمس ،
وأموات ينتشرون من القبور حتى يرجعوا على الدنيا فيتعارفون ويتزاورون ، ومطر في غير أوان ، وجفاف في زمن الإمطار ،
وذُبحَ الهاشميٌّ بين الركن والمقام ،
و٣١٣ رجلاً صفتهم خاصّة ، يلتقون بمكّة ، يبايعون المهديَّ الذي يظهر قرب الكعبة ، بين الركن والمقام ،
فإذا ظهر أشعَّ الوجود ، وكبُر الكون ، وبدأت رحلة الحياة العظيمة ، وبها يكون الكمال .
فإذا بدأ المهديُّ أمره ، قاتله أهل الشرق وأهل الغرب ، كلٌّ بحسبه ، يجمع ما أمكن لقتاله ،

وتقع الملاحم ، وترى الناسُ من بأسهِ الأمر العظيم ، ومن عدلهِ الأعظم ، وكلٌّ يرى في السماء دليلاً ،

فإذا أتمَّ أمرهُ وغلب الروم وحطم اليهود وأذلَّ أهل الفساد أقام دولة العدل الأكبر في خير عباد ..

فيا أهل الدنيا ،

هي هي مطيَّة الوجود ،

لا تتركوها ،

هو الكون يمدُّ أذيالَ المجد إليه ،

لا تقتلوا الأمل في بطن السماء ،

لا تنتحروا ،

اعقلوا الغريزة برباط العقل والبيّنات المُعجِزَات ، طيروا نحو الأفق الأعلى ،

إنَّ هناك مَا لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

أفلا تعقلون ..!

سفراء الإمام المهدي عليه السلام
والوقائع المتّصلة بذلك الزمان :

أوّل هؤلاء السفراء الكرام : عثمان بن سعيد العمري (كنيتُهُ أبو عمرو) هو عالم فقيهٌ ، بارع ، ذائع الصيت ، مشهود له عند الشيعةِ والعامّة . كان يتاجر بالسمنِ والزيت ، ولقد كان له شرف خدمة الإمام الهادي عليه السلام يوم كان عمرهُ ١١ سنة . وقد بلغَ رتبةً من الثقةِ عالية[١] .

حتى أنَّ أحمد بن إسحاق قال : سألتُ الإمام الهادي عليه السلام وقلت : من أُعامل .؟ وعمَّن آخذُ .؟ وقولُ مَن أقبل .؟ فقال الإمام عليه السلام : [العمريُّ ثقتي ، فما أدَّى إليك عنِّي فعنِّي يُؤدِّي ، وما قال لك عنِّي فعنِّي يقول . فاسمع له وأطع ، فإنَّهُ الثقةُ المأمون ..][٢] .

وبعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام أصبح وكيلاً للإمامِ العسكريِّ عليه السلام . وقد قال الإمام العسكريُّ في حقِّهِ وحقِّ إبنِهِ لأحمد بن إسحاق : [العمريُّ وإبنهُ ثقتان ، فما أدَّيا إليك عنِّي فعنِّي يؤدِّيان ، وما قالا لك فعنِّي يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما ، فإنَّهما الثقتانِ المأمونانِ][٣] .

---

[١] سفراء المهدي عليه السلام زمن الغيبة الصغرى هم : عثمان بن سعيد العمري . محمّد بن عثمان العمري . الحسين بن روح النوبختي . علي بن محمّد السمري . وكان لهؤلاء عشرات الوكلاء في الآفاق من العالم الإسلامي .

[٢] الأصول من الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٣٠ وأيضاً كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٩

[٣] الأصول من الكافي ج ١ ٣٣٠ وكتاب الغيبة للطوسي ص ٢١٩

وكتبَ الإمامُ الحسنُ العسكريُّ كتاباً مفصَّلاً إلى اسحاق بن إسماعيل النيسابوري جاء في بعضِه [.. فلا تخرجنَّ من البلدة حتى تلقى العمريَّ وتسلِّم عليه ، وتعرفهُ ويعرفك ، فإنَّه الطاهرُ ، الأمين ، العفيف ، القريب منَّا وإلينا ..][1] .

وكان العمريُّ يسكن في « بغداد » ، ويُكثِرُ السفرَ إلى سامرّاء ، ليلتقي بالإمامين الهادي والحسن العسكري ، بل يستفاد من عدَّة روايات أنَّ العمري حضر تغسيل الإمام العسكري وتحنيطة وتكفينَه ودفنَه . وبعد وفاة الإمام العسكري أبقى الإمامُ المهديُّ عليه السلام العمريَّ على وكالتِه . وعليه : أصبح النائب الأوَّل للإمام المهديِّ عليه السلام .

وقد عمل العمريُّ كصلة وصل بين الشيعة والإمام المهديِّ عبر مجموع مراسلات وشبه ذلك ، في ظلِّ تكتُّمٍ شديدٍ وإنتشارٍ أمنيٍّ عالٍ وواسعٍ من قبلِ العبّاسيين الذين أصرّوا على معرفة مكان الإمام المهدي للقبض عليه وقتله ..

ويسجِّل التاريخُ في هذه الفترة أنَّ العبَّاسيين فرضوا وضعاً إستثنائيَّاً خطيراً لإسقاط دور الإمامة وقتل المهديِّ ، خاصَّةً بعد الفشلِ الذريع الذي أُصيبوا به بعد السقوط المريع لما سوَّقوا لهُ من إمامة جعفر الكذّاب الذي هُشِّمَ أمام مجموع علامات وبيِّنَاتٍ كان الإمام العسكري قد زوَّدَ بها أصحابَهُ في الأقطارِ والأمصار لاختبار مَن يدَّعي الإمامة ، ما أدَّى إلى تداعٍ خطير في خطَّة العبّاسيين الذين انتقموا بشكلٍ لئيمٍ من شيعةِ الإمام المهديِّ وعملوا على إسقاط حقوقِهم وسجنهم وتعذيبهم وشبه ذلك ..

---

[1] كتاب إختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي ج ٦ ص ٥٨٠

وكان العمريُّ يلتقي بالإمام المهديِّ (عليه السلام) سرّاً ، ويحمل إليهِ الرسائل من الشيعة في ظلٍّ تكتُّمٍ وحيطةٍ واسعة ، فيُجيبُ الإمام (عليه السلام) على رسائلهم وأسئلتِهم .. ولمَّا حانت وفاةُ العمريِّ أمرهُ الإمامُ المهديُّ أن ينصِّب ولدهُ محمَّد بن عثمان من بعدِهِ ليكون صلةَ الوصلِ بينَهُ وبين شيعتِهِ . وهذا ما حصل . وكان إبنهُ من علماءِ ذلك العصر ، ومن مشهوريهم ، وقد ذاع صيتُهُ بالفقهِ والعلمِ والتُّقَى بشكلٍ كبير ..

وبعث الإمامُ المهديُّ رسائل عدَّة إلى زعماء الشيعةِ وأعيانِهم يخبرهُم فيها أنَّه قد عيَّن محمَّد بن عثمان نائباً له مكانَ أبيهِ . من تلك الرسائل الرسالة التي بعثَها إلى محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي وقد جاء فيها :

[... والإبن وقاهُ اللهُ لم يزل ثقتَنا في حياةِ الأبِ رضي اللهُ عنه وأرضاهُ ونضَّرَ وجهَهُ ، يجري عندنا مجراهُ ، ويسدُّ مسدّهُ ، وعن أمرنا يأمُرُ الإبنُ وبهِ يعمل ، تولاّهُ الله ، فانتهِ إلى قولِهِ ..][1] .

وفي رسالة تعزية من الإمامِ المهدي إلى محمَّد بن عثمان قال فيها : [إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعون ، تسليماً لأمرِهِ ، ورضاءاً بقضائه ، عاشَ أبوكَ سعيداً ، ومات حميداً ، فرحمهُ اللهُ ، وألحقهُ بأوليائِهِ ومواليهِ (عليهم السلام) ، فلم يزل مجتهداً في أمرِهِم ، ساعياً فيما يقرِّبهُ إلى الله عزَّ وجلَّ وإليهم ، نضَّر اللهُ وجههُ وأقالهُ عثرتَهُ .. أجزل الله لك الثواب ، وأحسن لك العزاء ، رُزِئتَ ورُزِئنا ، وأوحشَك فراقهُ وأوحشنا ، فسرَّهُ اللهُ في مُنقَلَبِهِ ، كان من كمالِ سعادتِه أن رزقهُ اللهُ تعالى ولداً مثلك ، يخلفهُ من بعدِهِ ، ويقوم مقامَهُ

---

[1] الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٠

بأمرِهِ ، ويترحَّم عليه .. كان وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً ..][1] . وقد وصل إلى الشيعة من الإمام المهديِّ (عليه السلام) مجموعة من الرسائل التي تخبرهم أنَّ النائب الثاني هو محمَّد بن عثمان . في هذهِ الأثناء كان الإمام المهدي مستتراً عن الأنظار إلا عن قلّة قليلة ، في ظلِّ عسكرةٍ خطيرةٍ من قبلِ العبّاسيين الذين لم يتركوا مكاناً إلا رصدوهُ للقبضِ على الإمامِ المهدي وإفشال أيِّ عمليّة تواصل بينَهُ وبين شيعتهِ ..

ثم المُحصَّل من طريقة أهل البيت (عليهم السلام) انّهم كانوا يُعيِّنون وكلاء لهم في المناطق المختلفة من ارجاء العالم الإسلامي . وهذه طريقة تدلُّ على مدى تعاظم أمر أهل البيت (عليهم السلام) وشياع إمامتِهم في العالم الإسلامي ، بل كما في تعبير الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لهارون الرشيد حين بعث له جواباً من السجن يقول فيه (عليه السلام) : أنت أميرُ الأجساد وأنا إمام القلوب . إشارة إلى النفوذ الهائل لأهل البيت (عليهم السلام) وتأييد الشعب لهم وإقباله عليهم بطيَّات القلوب والأرواح . إنَّها العظمةُ التي امتازَ بها أهلُ البيت (عليهم السلام) .

اللافت جدّاً ممَّا ورد أعلاه أنَّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان يجتمع بأصحابِهِ والأتباع فيخبرهم بوكلاء ولدهِ الإمام المهدي (عليه السلام) ، وهذا إشارة ذات دلالة بالغة لما يعنيه تعيينُ الإمام العسكري لوكلاء الإمام المهدي (عليه السلام) .! هذا خلاف العادة الجارية سابقاً . والسبب ببساطة لأنَّ الإمام المهدي سيغيب كما أكّد لهم الإمام العسكري (عليه السلام) ، ويحتاج إلى مَن ينوب عنه من الفقهاء الكبار من الشيعة ، ويكون وسيطاً بينه وبين الأمة في زمنٍ محدَّد ، ضمن عناوين شديدة التألُّق للإمامة ..

---

[1] إكمال الدين للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥١٠ وأيضاً في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي .

ففي رواية محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا : دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بـ « سر من رأى » وبين يديه جماعةٌ من أوليائه وشيعته ، حتى دخل عليه بدر خادمه ، فقال : يا مولاي ، بالباب قومٌ شعثٌ غُبرٌ . فقال لهم : [هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن (في حديث طويل) إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر : فامض فائتنا بـ « عثمان بن سعيد العمري » ، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان ،

فقال له سيِّدُنَا أبو محمد عليه السلام : إمض يا عثمان ، فإنَّك الوكيلُ والثقة المأمون على مالِ الله . واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال (ثم ساقا الحديث) إلى أن قالا : ثم قلنا بأجمعنا : يا سيِّدنا ، والله إنَّ عثمان لَمن خيار شيعتك ، ولقد زدَّتنا علماً بموضعه من خدمتك ، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى . قال عليه السلام : نعم ، واشهدوا عليَّ أنَّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي ، وأنَّ ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم][1] ..

في هذا النص تأكيد مطلق من الإمام العسكري على انّ عثمان بن سعيد العمري هو وكيلهُ المباشر ، وانّ إبنه محمَّد بن عثمان هو وكيل المهدي عليه السلام ..! والأهم الشهادة التاريخيَّة العميقة فيه من قبل هؤلاء العشرات على فقه وعلم وعمق شخصيّة عثمان بن سعيد . مضامينها تشير إلى تجذُّر وشهرة هذه الشخصيّة وعلو مكانتها في عين الإمام والأصحاب ..

وقد تكرَّر هذا العنوان التوكيلي لولده المهدي عليه السلام في أكثر من مقام ، ما يؤكِّد الطابع الإستثنائي والوظيفي في فعل الإمام العسكري عليه السلام .

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢١٥ –

وهـذا لـيس غريبـاً عـن وظيفـة الإمـام العسـكري ﷺ الـذي أكَّـد للأصحاب والأتباع في أكثر من مقامٍ وقبل ولادة المهدي ﷺ وبعد ولادتـهِ أنَّ له غيبةً يطول أمدها . من هنا وظَّـف الإمـام العسـكري ﷺ واحـداً مـن معاني التوكيل كصلة وصل بين الشيعة والإمام ﷺ ، لمـا يعلـم مـن غيبـة ولده المهدي ﷺ وما يعنيه من إحاطة وضغوط وتعقيدات مختلفة في ذلك الزمن وما بعده .

لقد كان الإمام العسكري ﷺ شديد الوضوح والتأكيد علـى تعيـين وكيل يقوم مقام الوساطة مع الأتباع والشـيعة مـا يعنـي طريقـةً اسـتثنائيّة وظيفيَّة هامّة ركَّزها الإمـام العسـكري فـي أذهـان أتباعِـهِ حـول موضـوع المهدي ﷺ وغيبتِهِ . ففي رواية معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري رضي الله عنـه قـالوا : عـرض علينـا أبـو محمـد الحسن بن علي ﷺ (ولدَهُ المهدي ﷺ) ، ونحن في منزله ، وكنَّا أربعـين رجلاً ، فقال : [هذا إمامكم مِن بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرَّقُوا مِن بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنَّكم لا ترونه بعـد يـومكم هـذا ، قـالوا : فخرجنا مِن عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد ﷺ][1] .

هذا النص يُبرِزُ لنا شهادةً تاريخية شديدة الأهميَّة والعمـق ، تكمـن في جمع الإمام العسكري ﷺ لحشدٍ من أتباعِهِ وأصحابِهِ ، يعـرض علـيهم ولَدَهُ المهدي ﷺ ثم يخبرهم بأنّهم لن يروه بعد اليوم ، وأنَّ له غيبـة ، وأنَّ الظروف ستكون شديدة الإختلاف ، ما يعني ضغوطاً ومتاعب وأنمـاط مـن الحكم العباسي وغير ذلك سيكون لها الأثر الصعب علـى الشـيعة والأتبـاع

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٣٥ بـ ٤٣ حـ ٢ –

والأصحاب وشبه ذلك .. واللافت في هذا النص انّه يعرض علينا مقطوعة تاريخيَّة لمحضرٍ مع الإمام العسكري والإمام المهدي قبيل أيَّام من وفاة الإمام العسكري عليه السلام .

وفي غيبة الطوسي قال : .. وقال جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزاز ، عن جماعةٍ من الشيعة منهم علي بن بلال ، وأحمد بن هلال ، ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً : اجتمعنا إلى أبي محمد ، الحسن بن علي عليه السلام ، نسأله عن الحجة من بعده - وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً - فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له : يا بن رسول الله ، أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم به منِّي ؟ فقال عليه السلام له : اجلس يا عثمان .. إلى أن كان بعد ساعة ، فصاح عليه السلام بعثمان ، فقام عثمان على قدميه فقال عليه السلام : أخبركم بما جئتم ؟ قالوا : نعم يا بن رسول الله ، (قال عليه السلام) : جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي . قالوا : نعم . فإذا غلامٌ كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام ، فقال عليه السلام : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرَّقُوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم . ألَا وإنَّكُم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتهوا إلى أمره ، واقبلوا قوله ، فهو خليفةُ إمامكم والامر إليه][1] .

في هذا النص عرضٌ حيوي لواقعةٍ حدثت بين الإمام العسكري عليه السلام والعشرات من أصحابه بحضور عثمان بن سعيد ، الذي يعيِّنُهُ المعصوم وكيلاً مع شهرته وعلمه ووثاقة الأصحاب به ، فيؤكِّد لهم انّ المهدي عليه السلام

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢١٧ -

لن يروه بعد هذا اليوم ، خاصّةً إذا علمنا انَّ هذا الجمع لم يكن من أهل العراق أو أهل بغداد ، وإنّما كان من الأطراف ، وعليه : لن يدركوا المهديَّ عليه السلام في المشهد الذي يخرجُ فيهِ إلى الصلاة على أبيه عليه السلام ، في مشهدٍ مهيب وظرفٍ ضاغط وطمعٍ عباسي هائل في السيطرة على الإمامة ونسف قوّتِها عبر جعفر الكذّاب ، الذي فشل فشلاً ذريعاً في تطبيق المخطّط العبَّاسي ..

بل في بعض النصوص إشارة إلى لغطٍ مدعومٍ من العباسيين مفاده انّ العسكريَّ بلا ولد ، وأين الإمامة التي تنادون بها .! وأين الإمام الثاني عشر الذي لا بدَّ منه .! كل ذلك في نفس الوقت الذي كان العباسيُّون يجهدون أنفسهم لمنع ولادة أي وَلَدٍ للإمام العسكري عليه السلام بهدف إبطال الإمامة . لكنَّ أمر نرجس كان كأمر أمِّ موسى حملاً وولادةً وحفظاً بإذن الله تعالى كما أكّدت النصوص الكثيرة . فحين خرج المهديُّ عليه السلام للصلاة على أبيه عليه السلام بُهت العبَّاسيُّون بهتاناً عظيماً ..!

لذا في بعض النصوص يسأل الإمام العسكري عليه السلام بعض أصحابِهِ عن الوهم والشك الذي بثّه العباسيُّون ، وهل أثَّر عليكم وشبه ذلك ، ففي رواية أحمد بن إسحاق قال : دخلت على أبي محمد عليه السلام فقال لي : [يا أحمد ، ما كان حالكم فيما كان الناس فيه مِن الشك والارتياب ؟ قلت : يا سيدي لمَّا ورد الكتابُ بخبر سيِّدِنَا ومولدِه لم يبق منَّا رجلٌ ولا امرأةٌ ولا غلامٌ بلغ الفهم إلا قال بالحق . فقال عليه السلام : أما علمتم أنَّ الأرض لا تخلو مِن حجة الله . ثم أمَرَ أبو محمد عليه السلام والدَتَهُ بالحجِّ في سنة تسع وخمسين ومأتين ، وعرَّفها ما يناله في سنة الستين ، وأحضر الصاحبَ عليه السلام (أي المهدي) ، فأوصى إليه ، وسلم الاسم الاعظم والمواريث والسلاح إليه .

وخرجت أم أبي محمد مع الأصحاب جميعاً إلى مكة ..][1] .. الإمام العسكري عليه السلام يؤكّد على ذلك الصحابي أنَّ أمر الله أعظم وأجل من ان يُحيط به أي عدوٍّ أو مانعٍ ، وانّ أمر الله لا بدّ أن يتحقَّق ، وانَّ الله يأبى أن تبقى الأرض بلا حجّة ، وهذا كان مفروضاً فيه أن يثبِّت القلوبَ التي قد يطرأ عليها شكّ . ثم ذيل النص يشير إلى موقفٍ بين الإمام العسكري عليه السلام وأمِّه ، حيث يطلب منها أن تحجَّ لبيت الله تعالى ، ويخبرها بما يصيبه في العام ٢٦٠ للهجرة ، وانّه يموت مسموماً ، ويأمرها بالصبر والإحتساب عند الله تعالى ، فتمتثل أمُّه مع ما في قلبها من أحزانٍ وآلام ..

وفي لفظ آخر عن أحمد بن مصقلة قال : دخلت على أبي محمد عليه السلام فقال لي .. : - وفيه [. . وسلَّم الإسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب عليه السلام . وقُبِضَ أبو محمد عليه السلام في شهر ربيع الاخر سنة ستين ومأتين : ودُفِنَ بـ « سر من رأى » إلى جانب أبيه أبي الحسن عليه السلام ، وكان من مولده إلى وقت مصيبته عليه السلام تسع وعشرون سنة][2] .

وبعض الطوائف من النصوص تعرض علينا مشهداً حيَّاً من لحظات الوداع بين الإمام المهدي عليه السلام وأبيه الإمام العسكري عليه السلام في ظل وصيَّة رفيعة وميثاق عظيم وبشارة ذات مغزى لأهل الأرض لما يعنيه المهديُّ عليه السلام من إمام أهل الأرض والمفصل الأهم في العالم الجديد .، ففي رواية أبي سليمان داود بن عنان البحراني قال : قرأت على أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي . . - إلى أن قال - دخلت على أبي محمد عليه السلام في المرضة

---

[1] إثبات الوصية : صـ ٢١٧ -

[2] ن . م .

التي مات فيها وأنا عنده ، إذ قال لخادمه عقيد - وكان الخادم أسود ، نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد ، وهو ربَّى الحسن عليه السلام ، فقال :

[يا عقيد ، أغلِ لي ماءً بمصطكى . فأغلى له . ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف عليه السلام (أيضاً يُقال لها نرجس) ، فلما صار القدح في يديه وهمَّ بشُربه ، فجعلت يدُهُ ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن عليه السلام ، فتركه مِن يده ، وقال لعقيد : ادخل البيت ، فإنَّكَ ترى صبيَّاً ساجداً ، فأتني به . قال أبو سهل : قال عقيد : فدخلت أتحرَّى ، فإذا أنا بصبيٍّ ساجد ، رافع سبابته نحو السماء ، فسلَّمتُ عليه ، فأوجز في صلاته ، فقلت : إنَّ سيِّدي يأمرك بالخروج إليه ، إذ جاءت أمه صقيل (أيضاً يُقال لها نرجس) ، فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام .

قال أبو سهل : فلمَّا مثل الصبيُّ بين يديه سلَّم ، وإذا هو دري اللون ، وفي شعر رأسه قطط ، مفلج الاسنان . فلما رآه الحسنُ عليه السلام بكى وقال : يا سيِّدَ أهلِ بيته ، اسقني الماء ، فإني ذاهبٌ إلى ربِّي . وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكى بيده ثم حرَّك شفتيه ثم سقاه ، فلما شربه قال : هيِّئوني للصلاة ، فطرح في حجره منديل فوضَّأهُ الصبيُّ واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه ،

فقال له أبو محمد عليه السلام : أبشر يا بُنَي ، فأنت صاحبُ الزمان ، وأنت المهديُّ ، وأنت حجَّةُ اللهِ على أرضه ، وأنت ولدي ووصيِّي ، وأنا ولدتُكَ ، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنت خاتم الائمة الطاهرين ،

وبشَّرَ بك رسولُ الله ﷺ وسمَّاك وكنَّاك . بذلك عهد إليَّ أبي عن آبائك الطاهرين ، صلى الله على أهل البيت ربِّنا إنه حميد مجيد . ومات الحسن بن علي مِن وقته صلوات الله عليهم أجمعين][1] .

.. هذه المقطوعة المقدَّسة تعرض بين يدينا مشهداً عظيماً من مشاهد الإمامة والوصيَّة وما يعنيه الدور الوظيفي الضخم الذي أوكله اللهُ بالمهدي عليه السلام . مقطوعة تحكي لنا آخر الساعات بين العسكري وولده المهدي عليهما السلام ، على مسمعٍ ومرأىً من بعض الأتباع والأصحاب ، وما أوصى بهِ الإمام وما عرَّف به الآخرين من انّ ولده هذا هو المهدي ، الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً .

وهناك طوائف متنوِّعة لسانُها يحكي آخر الأيَّام مع عناوين وصفات شديدة العمق في دلالتِها على عظمة الإمامة ومعانيها العملاقة وخلدها المبين . بل في بعضها تأكيد إعجازي برهاني على شخص الإمام نفسه ، وكان الإمام عليه السلام يعرض أيضاً مثل هذهِ العناوين على أشخاصٍ غاب عنهم شخص المهديِّ فلم يعرفوا بهِ إلا عبر الشياع أو السماع ، فاستودع عندهم أدلَّةً وبراهين يعرفون عبرها المهدي عليه السلام وبذلك يُسقِطُون مخطَّطَ العباسيين الذين حاولوا بكلِّ ما أُوتُوا من قوَّة السيطرة على مقام الإمامة عبر جعفر الكذّاب ، لكنّهم فشلوا . ففي رواية أبي الحسن علي بن محمد بن حباب قال : حدَّثَ « أبو الاديان » فقال : كنتُ أخدم الحسنَ بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٦٥ -

علي بن أبي طالب ﷺ وأحمل كُتُبَهُ إلى الامصار . فدخلت عليه في علَّتِهِ التي تُوفِّي فيها صلوات الله عليه . فكتب معي كتباً وقال :

[إمض بها إلى المدائن ، فإنَّك ستغيبُ خمسة عشر يوماً ، وتدخل إلى « سر مَن رأى » يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري ، وتجدني على المغتسل . قال أبو الأديان : فقلت : يا سيِّدي ، فإذا كان ذلك فمَن ؟ (أي مَن يكون بعدك في مقام الإمامة) ؟ قال ﷺ : مَن طَالَبَكَ بجواباتِ كُتُبِي فهو القائمُ مِن بعدي . فقلت : زدني . فقال ﷺ : مَن يُصلِّي عليَّ فهو القائم بعدي . فقلت : زدني . فقال ﷺ : مَن أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي .

يقول أبو الأديان : ثم منعتني هيبتُهُ أن أسأله عمَّا في الهميان . وخرجتُ بالكُتُب إلى المدائن ، وأخذتُ جواباتها ، ودخلت « سر مَن رأى » يوم الخامس عشر كما ذكر لي ﷺ ، فإذا أنا بالواعية في داره . وإذا به على المغتسل . وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار ، والشيعة (بعض الشيعة) مِن حوله يُعزُّونَهُ ويهنُّونَهُ . فقلت في نفسي : إنْ يكن هذا الامام فقد بطلت الامامة . (ملاحظة جديرة بالإنتباه .!) ، لأني كنت أعرفه يشربُ النبيذ ، ويقامر في الجوسق ، ويلعب بالطنبور ، فتقدَّمت فعزَّيت وهنَّيت ، فلم يسألني عن شيئ .

ثم خرج عقيد فقال : يا سيِّدِي ، قد كُفِّنَ أخوك ، فقُم وصلِّ عليه . فدخل جعفر بن علي والشيعةُ مِن حوله يقدِمُهُم السمان والحسن بن علي قتيل المعتصم المعروف بسلمة . فلما صرنا في الدار ، إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مُكَفَّناً ، فتقدَّم جعفر بن علي لِيُصلِّي على

أخيه ، فلما همَّ بالتكبير خرج صبيٌّ بوجهِه سمرةٌ ، بشعره قطط ، بأسنانه تفليج ، فجبذَ برداء جعفر بن علي وقال : تأخَّر يا عمّ ، فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي . فتأخَّر جعفر ، وقد اربدَّ وجهُهُ واصفرَّ . فتقدم الصبيُّ وصلَّى عليه ، ودُفِنَ إلى جانب قبر أبيه عليه السلام .

ثم قال (الصبيُّ عليه السلام) : يا بصريُّ ، هات جوابات الكُتُب التي معك . فدفعتها إليه . فقلت في نفسي : هذه بيِّنَتَان . بقي الهميان .

ثم خرجتُ إلى جعفر بن علي وهو يزفر ، فقال له حاجز الوشاء : يا سيِّدِي ، مَن الصبيُّ لِنُقيم الحجَّة عليه ؟ فقال : واللهِ ، ما رأيتُهُ قط ، ولا أعرفه . يقول : فنحن جلوس ، إذ قدِمَ نفرٌ مِن « قم » ، فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام ، فعرفوا موته . فقالوا : فمَن نُعَزِّي ؟

فأشار الناسُ إلى جعفر بن علي . فسلَّمُوا عليه ، وعزَّوهُ وهنَّؤوهُ ، وقالوا : إنَّ معنا كُتُبَاً ومالاً ، فتقول ممَّن الكُتُب ؟ وكم المال ؟ فقام (جعفر) ينفض أثوابه ويقول : تريدونَ مِنَّا أن نعلم الغيب .!

قال : فخرج الخادم فقال : معكم كُتُب فلان وفلان [وفلان] ، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية . فدفعوا إليه الكُتُب والمال وقالوا : الذي وجَّهَ بِكَ لِأخذ ذلك هو الامام .

فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك ، فوجَّهَ المعتمدُ بخدَمِه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبيِّ ، فأنكرته وادَّعت حبلاً بها لتغطِّي حال الصبي ، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي ، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأةً ، وخروج صاحب الزنج

بالبصرة ، فشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت عن أيديهم ، والحمد لله رب العالمين][1] .

ففي هذا النص تأكيدٌ مذهل ، يأخذ بمجامع القلوب ، ضمن قرائن وعلامات وشهادات لا يمكن معها إلا أن تكون في الإمام (عليه السلام) ، حتى انّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان يخبر أصحابه والأتباع عن الأموال التي يحملونها وممَّن ، وعلاماتُها وشبه ذلك . بل كان يُؤكِّد عليهم بأنَّ الإمام من بعدهِ هو الذي يُخبرهم كذلك على نسق طريقتهِ ، علامةً منه استودعها بين أيديهم لمعرفة الإمام المنصوب من قبل الله تعالى ، لذلك حين عرفوا موتَ الإمام العسكري (عليه السلام) سألوا عن الإمام بعده ، معرفةً منهم انّه لا بدَّ مِن الإمام الثاني عشر ، وحين أرشدوهم إلى جعفر الكذّاب ، سألوه عن العلامات التي لا يمكن أن يعرفها إلا إمام ، فلمَّا عجز عنها امتنعوا عن إعطاءه المال ، إلى أن خرج الخادم يخبرهم بما في الهيمان وغيرهِ ، فعلموا انّ الذي بعثه هو الإمام الثاني عشر .

وفي طائفة من الروايات زيادة يطلبون فيها رؤية الإمام المهدي ، ويتحقّق لهم ذلك في ظل ظروف حيطة شديدة بسبب طغيان عباسي يصرُّ على قتل ولد الإمام العسكري ونصب جعفر الكذاب مكانه ..!

كما أنَّ أبا الأديان يعرض بين أيدينا صورةً شديدة التألُّق والإعجاز وضعها بين يديه الإمامُ العسكريُّ (عليه السلام) لتكون علامةً إعجازيَّةً له ولغيرهِ حول الإمام الثاني عشر ، مع أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان قادراً أن يعرض عليه ولده المهدي (عليه السلام) ويقول له هذا إمامك ، لكنّه آثر أن يعرض عليهِ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٧٥ ب ٤٣ –

حقيقة الإمامة بنحوٍ إعجازي لتكون شهادة إضافيّة مع الشهادات الكثيرة الكثيرة جداً في الإمام المهدي (عليه السلام) ..

فكان أن وضع بين يديه مجموع علاماتٍ لا بدّ أن تتحقَّق رغم السطو العباسي ومباشرة السيطرة على زمام الأمور من قبل العباسيين حتى يمنعوا أيّاً كان من إعلان إمامتِه ، لذلك دعموا بشكلٍ كثيف وجود جعفر الكذّاب ، وقدَّموه للصلاة على أخيه ، فما كان من الله إلا أن أبطل أمرهم أمام مشهدٍ من الخلق ، وبشكلٍ بدا فيه الجميع كالخُشبِ المسنَّدة لم يستطيعوا ان يقوموا بشيئ سوى الذهول والاضطراب ..

وهكذا في طوائف كثيرة تعرض لنا عظمة مقام الإمامة والبراهين المذهلة التي تبدو بشكل خارج السياق العادي فتؤلِّف وحدةً مدهشةً في صفحات الوجود .. وفي لسان بعض المتون إشارة إلى لون عظيم من الإعجاز الذي ضمَّنه اللهُ الإمامَ المهدي (عليه السلام) في طفولتِه ، ما يعني كمال الإمامة في كلِّ أطوار الإمام (عليه السلام) . ففي رواية محمد بن بحر بن سهل الشيباني قال : حدثنا أحمد بن مسرور ، عن سعد بن عبد الله القمي قال :

[كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها ، كلفاً باستظهار ما يصحُّ لي مِن حقائقها ، مغرماً بحفظ مشتبهها ومسغلقها ، شحيحاً على ما أظفر به من معضلاتها ومشكلاتها ، متعصِّباً لمذهب الامامية .. إلى أن قال : وكنت قد اتخذتُ طوماراً وأثبتُّ فيه نيفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مُجيباً على أن أسأل عنها خبير أهل بلدي « أحمد بن إسحاق » صاحب مولانا أبي محمد (عليه السلام) ، فارتحلت خلفه . وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بـ « سر من رأى » ،

فلحقته في بعض المنازل ، فلما تصافحنا قال : بخير لحاقك بي ؟ قلتُ : الشوق ثم العادة في الاسولة . قال : قد تكافينا على هذه الخطة الواحدة ، فقد برح بي القرم إلى لقاء مولانا أبي محمد عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ومشاكل في التنزيل ، فدونكها الصحبة المباركة . فإنها تقف بك على ضفة بحر لا تنقضي عجائبه ، ولا تفنى غرائبه ، وهو إمامنا .

يقول : فوردنا « سر من رأى » ، فانتهينا منها إلى باب سيدنا ، فاستأذنا ، فخرج علينا الاذنُ بالدخول عليه . وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطَّاهُ بكساءٍ طبري ، فيه مائة وستون صرَّة من الدنانير والدراهم ، على كل صرة منها ختم صاحبها .

قال سعد : فما شبَّهتُ وجَّه مولانا أبي محمد عليه السلام حين غشينا نورُ وجههِ إلا ببدر قد استوفى مِن لياليه أربعاً بعد عشر . وعلى فخذه الايمن « غلام » يناسب المشتري في الخلقة والمنظر ، على رأسه فرق بين وفرتين ، كأنه ألف بين واوين ، وبين يدي مولانا رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركَّبة عليها . قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة . وبيده قلم إذا أراد أن يسطر به على البياض شيئاً قبض الغلام على أصابعه . فكان مولانا يدحرج الرمانة بين يديه ويشغله بردِّها كيلا يصدّه عن كتابة ما أراد . فسلَّمنا عليه فألطف في الجواب وأومأ إلينا بالجلوس . قال : فلما فرغ مِن كتبة البياض الذي كان بيده ، أخرج أحمد بن إسحاق جرابَهُ من طي كسائه ، فوضعه بين يديه ، فنظر العسكري عليه السلام إلى الغلام وقال له : « يا بني ، فضَّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك . فقال : يا مولاي ، أيجوز أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة

قد شيب أحلها بأحرمها ؟ فقال مولاي : يا ابن إسحاق ، استخرج ما في الجراب ليميز ما بين الحلال والحرام منها ،

فأوَّل صرَّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام : « هذه لفلان بن فلان ، من محلة كذا بقم ، يشتمل على اثنين وستين ديناراً ، فيها من ثمن حجيرة باعها صاحبها وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً ، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر دينارا ، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير » ،

فقال مولانا : صدقت يا بني . دُلّ الرجل على الحرام منها . فقال (الطفل) عليه السلام : « فتِّش عن دينار رازي السكة ، تاريخه سنة كذا ، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه ، وقراضة آملية وزنها ربع دينار ، والعلة في تحريمها أن صاحب هذه الصرة وزن في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل منّاً وربع من ، فأتت على ذلك مدة وفي انتهائها قيض لذلك الغزل سارق ، فأخبر به الحائك صاحبه فكذبه واسترد منه بدل ذلك منا ونصف من غزلا أدق مما كان دفعه إليه واتخذ من ذلك ثوبا ، كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه » ،

فلما فتح رأس الصرة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال ، واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة . ثم أخرج صرَّة أخرى فقال الغلام : « هذه لفلان بن فلان ، من محلة كذا بقم تشتمل على خمسين دينارا لا يحل لنا لمسها » . قال : وكيف ذاك ؟ قال : « لانها من ثمن حنطة حَافَ صاحبها على أكاره في المقاسمة ، وذلك أنه قبض حصته منها بكيل واف وكان ما حص الاكار بكيل بخس » ، فقال مولانا : صدقت يا بني .

ثم قال : يا أحمد بن إسحاق ، احملها بأجمعها لتردها أو توصي بردها على أربابها ، فلا حاجة لنا في شيئ منها ، وائتنا بثوب العجوز . قال أحمد : وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته . فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إليَّ مولانا أبو محمد عليه السلام فقال : ما جاء بك يا سعد ؟ فقلت : شوَّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا . قال عليه السلام : والمسائل التي أردتَ أن تسأله عنها ؟ قلت : على حالها يا مولاي .. فأخذ يسأل والإمام عليه السلام يجيبُهُ بحججٍ مذهلة ، وفي بعضها يكشف له الإمام ما يريد من المسألة .. فكان يندهل ممَّا يرى يسمع ..

قال سعد : ثم قام مولانا الحسن بن علي الهادي عليه السلام للصلاة مع الغلام ، فانصرفت عنهما ، وطلبت أثر أحمد بن إسحاق ، فاستقبلني باكياً ، فقلت : ما أبطاك وأبكاك ؟ قال : قد فقدت الثوب الذي سألني مولاي إحضاره ، قلت : لا عليك فأخبِرهُ . فدخل عليه مسرعاً وانصرف من عنده متبسماً وهو يصلي على محمد وآل محمد . فقلت : ما الخبر ؟ قال : وجدتُ الثوب مبسوطاً تحت قدمي مولانا يُصلِّي عليه . قال سعد : فحمدنا الله تعالى على ذلك ، وجعلنا نختلف بعد ذلك اليوم إلى منزل مولانا أياماً ، فلا نرى الغلام بين يديه .

قال : فلما كان يوم الوداع دخلت أنا وأحمد بن إسحاق وكهلان من أهل بلدنا ، وانتصب أحمد بن إسحاق بين يديه قائماً وقال : يا ابن رسول الله ، قد دنت الرحلة ، واشتدت المحنة ، فنحن نسأل الله تعالى أن يصلي على المصطفى جدِّك وعلى المرتضى أبيك وعلى سيدة النساء أمك وعلى سيدي شباب أهل الجنة عمّك وأبيك وعلى الائمة الطاهرين من بعدهما آبائك ، وأن يصلي عليك وعلى ولدك ونرغب إلى الله أن يعلي كعبك

ويكبت عدوك ، ولا جعل الله هذا آخر عهدنا من لقائك . قال : فلما قال هذه الكلمات استعبر مولانا حتى استهلت دموعه وتقاطرت عبراته ثم قال : يا ابن إسحاق ، لا تكلف في دعائك شططاً ، فإنك ملاقٍ اللهَ تعالى في صدرك هذا . فخرَّ أحمد مغشياً عليه . فلما أفاق قال : سألتك بالله وبحرمَةِ جدِّك إلا شرفتني بخرقةٍ أجعلها كفناً . فأدخل مولانا يده تحت البساط فأخرج ثلاثة عشر درهماً فقال : خذها ولا تُنفِق على نفسك غيرها . فإنك لن تعدم ما سألت . وإن اللهَ تبارك وتعالى لن يضيع أجر من أحسن عملاً .

قال سعد : فلما انصرفنا بعد منصرفنا من حضرة مولانا من حلوان على ثلاثة فراسخ حمَّ أحمد بن إسحاق ، وثارت به علَّة صعبة ، أيِسَ من حياته فيها ، فلما وردنا حلوان ونزلنا في بعض الخانات دعا أحمد بن إسحاق برجلٍ مِن أهل بلده كان قاطناً بها ، ثم قال : تفرقوا عني هذه الليلة واتركوني وحدي ، فانصرفنا عنه ورجع كلُّ واحدٍ منَّا إلى مرقده .

قال سعد : فلما حانَ أن ينكشف الليلُ عن الصبح اصابتني فكرة ، ففتحت عيني فإذا أنا بكافور الخادم (خادم مولانا أبي محمد (عليه السلام)) وهو يقول : أحسن اللهُ بالخير عزاكم ، وجبر بالمحبوب رزيتكم . قد فرغنا من غسل صاحبكم ومن تكفينه . فقوموا لدفنه ، فإنه مِن أكرمكم محلَّاً عند سيدكم . ثم غاب عن أعيننا فاجتمعنا على رأسه بالبكاء والعويل حتى قضينا حقَّهُ ، وفرغنا من أمره رحمه الله][1].

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٥٤ ب ٤٣ ح ٢١ – قال النجاشي بعد توثيق سعد والحكم بجلالته : لقي مولانا أبا محمد (عليه السلام) ورأيت بعض أصحابنا يضعفون لقاءه لأبي محمد (عليه السلام) . في حين الصدوق يؤكّد اللقاء به (عليه السلام) . ومعلوم انَّ سعد كان في زمانه (عليه السلام) ، وكانت وفاته بعد وفاة الإمام العسكري بأربعين سنة تقريباً .

اللهُ أكبر .! كلُّ ما في هذا المتن مذهل ..! كلّه دليلُ عظمة الإمامة ورفعة مقامِها ..! على الأقل : يُستفاد من هذهِ الشهادات الحيَّة الحضور المذهل للإمام المهدي ، بل حضور إمامتِهِ رغم صغر سنّه ، والإعجاز العظيم الذي ضمَّنه اللهُ إيّاه ، وقد اختزلت منها الأسئلة والأجوبة التي سألها سعد ورفيقه بسبب طولها ودقّة أجوبتِها ، وهي موجودة في المصدر ، لتشكِّل دليلاً عميقاً على عظمة مقام الإمامة وشدَّة حضور المهدي عليه السلام في ذلك الزمن وما بعده ، وشدّة الوهج الذي يخيِّمه مولانا المهدي على مسرح الوجود العظيم .

بل في غيرها تأكيد على معانٍ تتَّصل باللقاء ، ورؤية مولانا المهدي عليه السلام بحضرةِ أبيه الإمام أبي محمَّد العسكري عليه السلام ، ومجموعة من العناوين المتّصلة بالدلالة على الإمامة ، من خلال سؤال السائل للإمام العسكري عن الخلف من بعده ، فكان الإمام يجيب بإحضار المهدي عليه السلام في كثيرٍ من الوقائع ، في حين يجري اللهُ تعالى على يد مولانا المهدي ما يشيرُ إلى الإعجاز الذي شمله الله به .

يقول أحمد بن إسحاق بن سعد الاشعري : دخلت على أبي محمد ، الحسن بن علي عليه السلام ، وأنا أريد أن أسأله عن الخلف مِن بعده ، فقال لي مبتدئاً : [يا أحمد بن إسحاق ، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يُخْلِ الارضَ منذ خلق آدم عليه السلام ، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجَّةٍ لله على خلقه ، به يدفع البلاء عن أهل الارض ، وبه يُنزِلُ الغيث ، وبه يُخرِجُ بركاتِ الارض . قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، فمَن الامامُ والخليفة بعدك ؟ فنهض عليه السلام مُسرِعَاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلى عاتقه غلامٌ كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين ، فقال عليه السلام :

يا أحمد بن إسحاق ، لولا كرامتُكَ على الله عزوجل وعلى حُجَجِهِ ما عرضتُ عليك ابني هذا . إنه سميُّ رسول الله ﷺ وكنيه ، الذي يملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً .

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الامة مثل الخضر (عليه السلام) ، ومثله مثل ذي القرنين ، واللهِ لَيَغِيبَنَّ غيبةً لا ينجو فيها من الهلكة إلا مَن ثبَّتَهُ اللهُ عزوجل على القول بإمامته ووفَّقَهُ [فيها] للدعاء بتعجيل فرجه .

فقال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي ، فهل من علامة يطمئنُّ إليها قلبي ؟ فنطق الغلام (عليه السلام) بلسانٍ عربي فصيح فقال : أنا بقيَّةُ اللهِ في أرضه ، والمنتقمُ من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق .

قال أحمد بن إسحاق : فخرجتُ مسروراً فَرِحَاً . فلما كان من الغد عدتُ إليه فقلت له : يا ابن رسول الله ، لقد عظم سروري بما منَنتَ [به] عليَّ ، فما السنَّةُ الجاريةُ فيه من الخضر وذي القرنين ؟ فقال (عليه السلام) : طولُ الغيبة يا أحمد . قلت : يا ابن رسول الله ، وإنَّ غيبتَهُ لَتَطُول .! قال (عليه السلام) : إي وربِّي ، حتى يرجع عن هذا الامر أكثرُ القائلين به ، ولا يبقى إلا مَن أخذ اللهُ عزَّ وجلَّ عهدَهُ لولايتنا ، وكتب في قلبه الايمانَ وأيَّدَهُ بروحٍ منه .

يا أحمد بن إسحاق : هذا أمرٌ من أمر الله ، وسرٌّ من سرِّ الله ، وغيبٌ من غيب الله . فخذ ما آتيتُكَ واكتمهُ ، وكُن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين][1] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٨٤ ب ٣٨ ح ١ – قال مصنف هذا الكتاب : لم أسمع بهذا الحديث إلا من علي بن عبد الله الوراق وجدت بخطه مثبتاً فسألته عنه فرواه لي عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن إسحاق رضي الله عنه كما ذكرته] .

ففي هذا النص تأكيدٌ مذهل للسائل عن الخلف (عليه السلام)، عن الإمامة ومقامِها، عن سنخ أشخاصِها، عن خصائص من يقوم فيها، والأهم فيها تجلِّي الإعجاز العظيم على يدِ مولانا المهدي (عليه السلام) الذي شكَّل منذ ولادتِهِ المفصل الأهم لمستقبل تاريخ البشريّة وتلك الحقبة الأخيرة من طور وجود البشر على الأرض. والوقائع كثيرة، شديدة التنوُّع والتعدُّد، فيها يحضر المهدي (عليه السلام) بلسان النصوص كعنوانٍ ضخم وميزة خالدة في سجِّل الإعجاز العظيم،

يقول الحسن بن ظريف: اختلج في صدري مسألتانِ أردتُ الكتابَ فيهما إلى أبي محمد (عليه السلام) فكتبتُ أسأله عن القائم (عليه السلام) إذا قام، بما يقضي .؟ وأين مجلسه الذي يقضي فيه بين الناس .؟ وأردت أن أسأله عن شيئ لحمى الربع فأغفلت خبر الحمى فجاء الجواب:

[.. سألتَ عن القائم، فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود (عليه السلام)، لا يسألُ البيِّنة. وكنتَ أردتَ أن تسأل لحمى الربع فأنسيت، فاكتب في ورقة وعلقه على المحموم فإنه يبرأ بإذن الله إنْ شاء الله: « يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم »، فعلَّقنا عليه ما ذكر أبو محمد (عليه السلام) فأفاق][1].

ففيه وغيره يسأل السائلُ عن بعض الدور الوظيفي الضخم الذي ارتكز بذهنه من قبل عن مولانا المهدي (عليه السلام)؟ فيجيبه الإمام (عليه السلام) بأنَّ حكومة مولانا المهدي (عليه السلام) فيها من السُّنن العديدة، منها سنّة داود التي امتازت بأنَّ الله تعالى علَّمه حقيقة الغيب في القضاء، فكان يعرف الحقيقة

---

[1] الكافي: ج ١ صـ ٥٠٩ حـ ١٣ -

التامّة في كلٍّ مخاصمةٍ فيحكم بعلمه بما أطلعه اللهُ عليه من دفاتر الغيب من هذه الجهة ، فيؤكِّد الإمام أبو محمَّد العسكري عليه السلام على انّ المهدي عليه السلام إذا ظهر حكم بحكم داود ، بالإضافة إلى السنن الكثيرة التي يشترك فيها مع أنبياء كثيرين أشرنا إليها فيما سبق .

أهميَّةُ هذهِ النصوص أنها تنقل لنا مشاهد لقاء وتفاعل وأسئلة تريد أجوبة ، وماذا عن الخلف بعد الإمام العسكري عليه السلام ، في ظل عَسَفٍ عباسي خطير ومحاولة شديدة الجور لمنع ولادة وحضور الإمام المهدي عليه السلام ، وصل معها الأمر إلى إعلان حالة طوارئ ضخمة هائلة بعد معرفة خبر وجود المهدي عليه السلام ، إلا انَّ جهودها باعتراف قادتها الكبار وولاتِها وعيونِها خابت وباءت بفشلٍ ذريع .. وفي دلالة التواقيع من الناحية المقدّسة ، إبّان إصدار الأوامر من قبل السلطة العباسيّة في التفتيش عن المهدي عليه السلام لقتله إشارة عظيمة على صون المهدي عليه السلام بأمر الله تعالى ، والله بالغٌ أمره .

ففي رواية أبي الحسن ، علي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعتُ أبا الحسين ، الحسن بن وجناء يقول : حدثنا أبي ، عن جدِّه ، أنه كان في دار الحسن بن علي عليه السلام فكبستنا الخيل وفيهم جعفر بن علي الكذَّاب ، واشتغلوا بالنهبِ والغارة ، وكانت همَّتي في مولاي القائم عليه السلام ،

قال : فإذا أنا به عليه السلام قد أقبل وخرجَ عليهم من الباب وأنا أنظر إليه ، وهو عليه السلام ابنُ ست سنين ، فلم يرَهُ أحدٌ حتى غاب][1] . أي غاب عنهم . [الحفظ الإعجازي من قبل الله تعالى] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٧٣ بـ ٤٣ حـ ٢٥ -

هذه الرواية وما في معناها يؤكِّد الهستيريا التي أصابت بني العباس والجهاز الحاكم من حقيقة وجود المهدي (عليه السلام) في محاولةٍ منهم للقضاء عليه وطمعاً في إنهاء أمر الإمامة ، إلا انَّ الله بالغٌ أمره . ففي ذيل النص إشارة كاملة إلى الإعجاز الذي أحاطَ اللهُ به الإمام المهدي (عليه السلام) في الحفظ والصون ..

بل في بعضها تأكيد عميق على صلة الإمام (عليه السلام) والناحية بحفظ الوكلاء والأتباع على نحوٍ عظيم . ففي رواية الحسين بن الحسن العلوي قال : كان رجلٌ مِن ندماء روز حسني ، وآخر معه فقال له : هو ذا يجبي الاموال وله وكلاء ، وسموا جميع الوكلاء في النواحي ، وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير ، فهمَّ الوزيرُ بالقبض عليهم ،

فقال السلطان : اطلبوا ، أين هذا الرجل ، فإن هذا أمر غليظ . فقال عبيد الله بن سليمان : نقبض على الوكلاء ، فقال السلطان : لا ، ولكنْ دسُّوا لهم قوماً لا يعرفون بالاموال ، فمَن قبض منهم شيئاً قُبِضَ عليه . قال : فخرج (التوقيع) بأن يتقدَّم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا مِن أحدٍ شيئاً ، وأن يمتنعوا مِن ذلك ويتجاهلوا الامر .

فاندسَّ لمحمد بن أحمد رجلٌ لا يعرفه وخلا به ، فقال : معي مال أريد أن أوصله . فقال له محمد : غلَّطتَ ، أنا لا أعرف مِن هذا شيئاً . فلم يزل (الرجل) يتلطَّفُهُ ومحمَّد يتجاهل عليه . وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلُّهُم لما كان تقدَّم إليهم][1] .

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥٢٥ حـ ٣٠ - منها [غيبة الطوسي : صـ ١٤٤ -] عن أحمد بن علي الرازي ، عن محمد بن علي عن حنظلة بن زكريا (قال) حدثني أحمد بن بلال بن داود الكاتب ، وكان بمحلٍّ من النصب لاهل

البيت ﷺ يظهر ذلك ولا يكتمه ، وكان صديقا لي يظهر مودة بما فيه من طبع أهل العراق ، فيقول - كلما لقيني - لك عندي خبر تفرح به ولا أخبرك به فأتغافل عنه إلى أن جمعني وإياه موضع خلوة فاستقصيت عنه وسألته أن يخبرني به ، فقال : كانت دورنا بـ « سر من رأى » مقابل دار ابن الرضا - يعني أبا محمد الحسن بن علي ﷺ - فغبت عنها دهراً طويلاً إلى قزوين وغيرها ، ثم قضى لي الرجوع إليها فلما وافيتها وقد كنت فقدت جميع من خلفته من أهلي وقراباتي إلا عجوزاً كانت ربَّتني ولها بنتٌ معها ، وكانت من طبع الاول مستورة صائنة لا تحسن الكذب وكذلك مواليات لنا بقين في الدار ، فأقمت عندهن أياماً ثم عزمت الخروج ، فقالت العجوزة كيف تستعجل الانصراف وقد غبتَ زماناً ! فأقم عندنا لنفرح بمكانك ، فقلت لها على جهة الهزء : أريد أن أصير إلى كربلاء ، وكان الناس للخروج في النصف من شعبان أو ليوم عرفة ، فقالت : يا بني أعيذك بالله أن تستهين ما ذكرت أو تقوله على وجه الهزء فإني أحدِّثك بما رأيته - يعني بعد خروجك مِن عندنا بسنتين - : كنت في هذا البيت نائمة بالقرب من الدهليز ، ومعي ابنتي وأنا بين النائمة واليقظانة إذ دخل رجل حسن الوجه ، نظيف الثياب ، طيِّب الرائحة ، فقال : يا فلانة يجيئك الساعة من يدعوك في الجيران فلا تمتنعي من الذهاب معه ولا تخافي ، ففزعتُ فناديت ابنتي ، وقلت لها هل شعرت بأحد دخل البيت ؟ فقالت : لا ، فذكرتُ الله وقرأتُ ونمتُ ، فجاء الرجل بعينه وقال لي مثل قوله ، ففزعتُ وصحت بابنتي فقالت : لم يدخل البيت ، فاذكري الله ولا تفزعي ، فقرأتُ ونمتُ ، فلما كان في الثالثة جاء الرجل وقال : يا فلانة قد جاءك مَن يدعوك ويقرع الباب فاذهبي معه ، وسمعت دقَّ الباب ، فقمت وراء الباب وقلت : مَن هذا ؟ فقال : افتحي ولا تخافي ، فعرفت كلامه وفتحت الباب فإذا خادم معه ازار فقال : يحتاجُ إليك بعض الجيران لحاجة مهمَّة فادخلي ولفَّ رأسي بالملاءة وادخلني الدار وأنا أعرفها ، فإذا بشقاق مشدودة وسط الدار ورجل قاعد بجنب الشقاق ، فرفع الخادم طرفه فدخلت وإذا امرأة قد أخذها الطلق وامرأة قاعدة خلفها كأنها تقبلها ، فقالت المرأة : تعينيننا فيما نحن فيه ؟ فعالجتها بما يعالج به مثلها ، فما كان إلا قليلاً حتى سقط غلام فأخذته على كفِّي وصحت : غلام غلام وأخرجت رأسي من طرف الشقاق أبشِّر الرجل القاعد ، فقيل لي لا تصيحي ، فلما رددتُ وجهي إلى الغلام قد كنت فقدته من كفي فقالت لي المرأة القاعدة لا تصيحي وأخذ الخادم بيدي ولف رأسي بالملاءة وأخرجني من الدار وردني إلى داري وناولني صرة وقال : لا تخبري بما رأيت أحداً فدخلت الدار ورجعت إلى فراشي في هذا البيت وابنتي نائمة فأنبهتها وسألتها هل علمت بخروجي ورجوعي ؟ فقالت : لا وفتحت الصرة في ذلك الوقت وإذا فيها عشرة دنانير عدداً وما أخبرت بهذا أحداً إلا في هذا الوقت لما تكلمت بهذا الكلام على حد الهزء ، فحدثتك إشفاقاً عليك ، فإن لهؤلاء القوم عند الله عزوجل شأناً ومنزلةً وكل ما يدعونه حق ، قال : فعجبتُ من قولها وصرفته إلى السخرية والهزء ولم أسألها عن الوقت غير أني أعلم يقيناً أني غبتُ عنهم في سنة نيف وخمسين ومائتين ورجعت إلى « سر من رأى » في وقت أخبرتني العجوزة بهذا الخبر في سنة إحدى وثمانين ومائتين في وزارة عبد الله بن سليمان لما قصدته ، قال حنظلة فدعوت بأبي الفرج المظفر بن أحمد حتى سمع معي هذا الخبر] .

وكذا في تقريب المعارف كما في الكافي بتفاوت ، وفيه : [.. ورووا أنَّ قوماً وشوا إلى عبيد الله بن سليمان الوزير ، بوكلاء النواحي وقالوا : الاموال تُجبَى إليهم ، وسمُّوهم له جميعهم ، فهمَّ بالقبض عليهم ، فخرج الامرُ من السلطان . . : نقبضُ على ما ذكر أنه من الوكلاء . . وهم لا يعلمون ما السبب في ذلك . . ولم يظفر بأحد منهم ، وظهرت بعد ذلك الحيلة عليهم وأنها لم تتم][1] .

حقَّاً شيئٌ مذهل ..!

وفي طائفة أخرى نوعٌ عظيم من البيان الكافي عبر الناحية المقدَّسة التي استطاعت أن تُمزِّق مشاريع ومخطّطات بني العباس في القبض على الوكلاء وأجلَّاء الأصحاب وتُسقِط مشاريعهم في تقويض أمر الإمامة . ففي الكافي عن علي بن محمد قال : خرج نهيٌ عن زيارة مقابر قريش والحير ، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائي فقال له : إلق بني الفرات والبرسيين وقل لهم : لا يزوروا مقابر قريش ، فقد أمر الخليفة أن يتفقَّد كل من زار فيقبض عليه][2] .

وفي غيبة الطوسي قال : « بنو الفرات رهط الوزير أبي الفتح ، الفضل بن جعفر بن فرات ، كان مِن وزراء بني العباس ، وهو الذي صحَّح طريق الخطبة الشقشقية ، ويحتمل أن يكون المراد النازلين بشط الفرات ، وبرس قرية بين الحلة والكوفة ، والمراد بزيارة مقابر قريش زيارة الكاظمين عليهما السلام » .

---

[1] : تقريب المعارف صـ ١٩٧ -

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٥ حـ ٣١

وطابع الأحداث كما ترى : لاحِقٌ على الإخبار الوارد من الناحية المقدّسة ، ما يعني عظمةَ الناحية والإحاطة الغيبيَّة التي أولاها اللهُ بالمهدي (عليه السلام) واللطف الرباني لحفظ الإمامة إلى قيام يوم الدِّين . بل في بعضها سرد للأحداث والوقائع التي منها جزئ تفصيلي عن أمورٍ تقع على يدِ الظالمين الذين يجمعون كل ما أمكنهم من كيد لاستئصال أمر الإمامة وأتباعِها .

ففي رواية سعد بن عبد الله قال : حدثني أبو علي المتيلي قال : جاءني أبو جعفر ، فمضى بي إلى العباسية وأدخلني خربة ، وأخرج كتاباً فقرأه عليَّ ، فإذا فيه شرح جميع ما حدث على الدار وفيه : إنَّ فلانة - يعني أم عبد الله - تُؤخَذُ بشعرها ، وتخرج من الدار ، ويُحدَرُ بها إلى بغداد ، فتقعد بين يدي السلطان ، وأشياء ممَّا يحدث ، ثم قال لي : احفظ ، ثم مزِّقَ الكتاب ، وذلك من قبل أن يحدث ما حدث بمده][1] .

والمقصود بأبي جعفر : محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، ومقصود المتيلي أو ابن متيل أنَّ العمري أخبره بقصَّة هجوم السلطة لتفتيش بيت العسكري (عليه السلام) في سامراء بعد وفاته بحثاً عن المهدي (عجل الله فرجه) . وفي لسان بعضِها الآخر نموذجٌ توجهي لبعض الأصحاب والفقهاء والأتباع لحمايتِهم في تلك الفترة المفصليّة التي حشد العباسيُّون فيها كلَّ طاقتِهم لمنع تسرُّب أخبار الإمامة ووقائع زمن وتاريخ المهدي المذهل إلى الأجيال اللاحقة ، ولو عبر قتل مَن يُقبض عليه بالتلبُّس ، أو مَن يحمل حقائق تلك الفترة العظيمة ، وغير ذلك من العناوين ، فكانت التواقيع تخرج من الناحية

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩٨ بـ ٤٥ حـ ٢٠ -

المقدّسة تشير إلى الفعل والنهي وشبه ذلك ، وبها أتمَّ اللهُ أمرهُ الذي لا مردَّ له .

ففي رواية بن الحسين اليماني قال : كنتُ ببغداد فتهيَّأت قافلةٌ لليمانيين ، فأردتُ الخروج معها ، فكتبتُ ألتمس الاذن في ذلك ، فخرج : [لا تخرج معهم . فليس لك في الخروج معهم خيرة وأقم بالكوفة . قال : وأقمتُ وخرجت القافلةُ فخرجت عليهم حنظلة (من بني تميم) فاجتاحتهم . وكتبت أستأذن في ركوب الماء ، فلم يُؤذن لي . فسألت عن المراكب التي خرجت في تلك السنة في البحر فما سلِمَ منها مركب ، خرج عليها قومٌ مِن الهند يُقال لهم « البوارح » فقطعوا عليها . قال : وزرتُ العسكر فأتيتُ الدرب مع المغيب ولم أكلِّم أحداً ولم أتعرَّف إلى أحد ، وأنا أصلي في المسجد بعد فراغي من الزيارة إذا بخادم قد جاءني فقال لي : قم ، فقلت له : إذن إلى أين ؟ فقال لي : إلى المنزل ، قلت : ومَن أنا لعلَّك أُرسِلتَ إلى غيري ، فقال : لا ما أُرسلت إلا إليك ، أنت علي بن الحسين رسولُ جعفر بن إبراهيم . فمرَّ بي حتى أنزلني في بيت الحسين بن أحمد ثم ساره ، فلم أدرِ ما قال له : حتى آتاني جميع ما أحتاجُ إليه وجلست عنده ثلاثة أيام ، واستأذنته في الزيارة من داخل فأذن لي فزرتُ ليلاً][1] .

والوقائع في هذا المجال كثيرة وعظيمة ، قد اشارت إليها التواريخ العامّة والخاصّة ، وشكّلت قطبَ مرحلةٍ محدَّدةٍ من فعل العباسيين

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥١٩ حـ ١٢ - كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩١ بـ ٤٥ حـ ١٤ - عن سعد بن عبد الله ، عن علي بن محمد الشمشاطي رسول جعفر بن إبراهيم اليماني قال : كنت مقيماً ببغداد ، وتهيأت قافلة اليمانيين للخروج فكتبت أستأذن في الخروج معها فخرج : - كما في الكافي بتفاوت ، وفيه : [. . وخرجت عليها بنو حنظلة . . فاجتاحوها . . فخرج لا تفعل . . البوارج] .

وذعرهم . بل فرضت حالة طوارئ وسعياً هائلاً من قبلهم في محاولة للقبض على المهديِّ أو وكلاءِه ، فكان التوقيع من الناحية يخرج محذِّراً لهم قبل وقوع الفعل فينجون بإذن الله تعالى .

وعليه : الإمام المهدي ﷺ مصونٌ بأمر الله وإرادته ، محفوظٌ إلى ساعة ظهورِه ونشر دولتِه القرآنيَّة العالميّة الشاملة ، إلى آخر لحظة في حياتِه عليه السلام ، تماماً كما صانَ اللهُ النبيَّ محمَّد صلى الله عليه وآله وحفظه من بين المشركين رغم تآمرهم على قتله ، فما كان منه صلى الله عليه وآله إلا أن خرج من بينهم وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴿٩/٣٦﴾ وترك صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام على فراشِه ، بعد ١٣ سنة أمضاها في مكَّة بين المشركين يدعو إلى الله تعالى . ويأبى اللهُ إلا يُتِمَّ نورَهُ ولو كره المشركون ولو كره الكافرون ..

بل في طائفة من النصوص تأكيدٌ من الإمام العسكري عليه السلام لشيعتِه الدعاءَ لمولانا المهدي عليه السلام والمواظبة على ذلك ، لما يمثِّله عليه السلام هذا القطب الأعظم في مفصل الكون في حد القسم الأخير من عالم البشر . بل لضرورة التواصل الروحي الضروري ، وتربية الأجيال على أمر المهدي عليه السلام واتّباع السبب الأعظم بين الأرض والسماء ، واللجوء إلى الله في كشف الهم والغم والبلاء وقضاء الحاجات وإتمام أمرِه بنشر دولتِه وقيام شريعتِه عبر الإبتهال إلى الله تعالى ، الذي هو شكل من أشكال الإنتظار بالإضافة إلى العمل والتهيّؤ والتزام مواثيق الإسلام زمن الغيبة والإنقياد إلى الفقهاء المُؤتَمَنين على الشريعة وضوابط الأحكام وحقائقها . ففي رواية أبي محمد عبد الله بن محمد بن العابد بالدالية لفظاً قال : سألت مولاي أبا محمد

الحسن بن علي عليه السلام في منزله بـ « سر من رأى » سنة خمس وخمسين ومائتين أن يُملي عليَّ مِن الصلاة على النبي وأوصيائه عليهم السلام ، وأحضرت معي قرطاساً كثيراً فأملى عليَّ لفظاً مِن غير كتاب :

[. . الصلاة على وليِّ الامر الامام المنتظر صاحب الزمان محمد بن الحسن بن علي عليه السلام . أللهم صلِّ على وليِّك وابن أوليائك ، الذين فرضتَ طاعتهم ، وأوجبتَ حقَّهم ، وأذهبتَ عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا . أللهم انصره وانتصر به لدينك ، وانصر به أولياءك وأولياءه وشيعته وأنصاره واجعلنا منهم . أللهم أعذه من شرِّ كلِّ باغٍ وطاغٍ ومن شرِّ جميع خلقك ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله واحرسه وامنعه أن يوصل إليه بسوء ، واحفظ فيه رسولك وآلَ رسولك ، وأظهر به العدل وأيِّدهُ بالنصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، واقصم به جبابرة الكفرة (الكفر) ، واقتل به الكفار والمنافقين وجميع الملحدين حيث كانوا وأين كانوا من مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها ، واملأ به الارضَ عدلاً ، وأظهر به دين نبيِّك عليه وآله السلام . واجعلني اللهمَّ مِن أنصاره وأعوانه وأتباعه وشيعته ، وأرني في آلِ محمَّد ما يأملون ، وفي عدوهم ما يحذرون ، إلهَ الحقِّ آمين][1] .

تأكيداً من الإمام عليه السلام على عظيم أمر المهدي ، والدور الوظيفي الضخم الذي أوكله اللهُ إليه ، والأثر الذي ينتج على يده ، والذي يتجلَّى بنشر دولة الإسلام على كافّة ارجاء الكون الذي تصله يدُ البشر .. ففي هذهِ القطعة تأكيد مشدّد على أهل بيتِ النبوّة ، الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهّرهم

---

[1] مصباح المتهجد : صـ ٣٥٧ - ٣٦٢ -

تطهيراً ، وأنّ المهدي عليه السلام ينتصرُ اللهُ بهِ لدينه ، وينتصر بهِ أولياءُهُ وشيعتُهُ وأنصارُهُ ، فيقصم اللهُ به ظهر جبابرة الكفر وأئمة الفساد ويقتل بـه الأعـداءَ والظالمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، ويملأ اللهُ بـه الأرض قسطاً وعدلاً وأماناً وخيراً وبركات .. وبذلك تتحقّق دولة آل محمد الموعودة ، الدولة التي تحكم الأرض وتُعيد للبشر وحدتهم وتقودهم نحو أرقى الفضائل التي تضمن مسيرتهم الوجوديَّة في أهم مفصل تاريخي من زمن الإنسان .. وكذا في التاريخ المعاصر للوكلاء : نقرأ من بعضهم سؤالاً عن صفة المهدي عليه السلام .؟ عن بعض العناوين الأخرى التي يجري فيها السؤالُ للوكيل عن المعصوم عليه السلام .؟ ففي رواية عبد الله محمد بن خليلان قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن غياث بن أسيد قال :

شهدتُ محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول : [لمَّا وُلِدَ الخلفُ المهديُّ عليه السلام سطَعَ نورٌ من فوق رأسه إلى أعناق السماء ، ثم سقط لوجهه ساجداً لربِّه تعالى ذكره ، ثم رفع رأسه وهو يقول : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إنّ الدِّين عند الله الاسلام » . قال وكان مولده يوم الجمعة .][1] .

كما نقرأ مقطوعات روائيَّة شديدة الصلة بوقائع ذلك الزمن ، فيها يسألُ الجيلُ الذي لم يتمكَّن من رؤية المهدي عليه السلام إمَّا لفارق الزمن أو لبعد المكان وشبه ذلك ، يسأل عن أمر المهديِّ وصفتِهِ وشبه ذلك ، وتعرضُ الروايات كما أشرنا سابقاً نوعين من الصفات ، واحدة يجد العباسيُّون فيها أنفسهم مطمئنِّين عن طلب المهدي عليه السلام على اعتبار انَّ عيونَهم لم يثبت لها

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٣٣ بـ ٤٢ حـ ١٣ - حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال : حدثنا الحسن بن علي بن زكريا بمدينة السلام قال : حدثنا ..

وجود المهدي عليه السلام ، وفي الوصف الثاني نجد العباسيين لاهثين في طلبهم للمهدي عليه السلام ..

ففي الكافي عن محمد بن عبد الله ، ومحمد بن يحيى جميعاً ، عن عبد الله بن جعفر الحميري قال : اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق ، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف (المهدي عليه السلام) ؟ فقلت له : يا أبا عمرو ، إنِّي أريد أن أسألك عن شيئ وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه ، فإنَّ اعتقادي وديني أنَّ الارض لا تخلو من حجة ، إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعينَ يوماً ، فإذا كان ذلك رُفِعَت الحجَّةُ وأُغلِقَ بابُ التوبة فلم يكُ ينفع نفساً إيمانُهَا لم تكن آمنت مِن قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، فأولئك أشرار من خلق الله عزوجل وهم الذين تقوم عليهم القيامة ، ولكني أحببتُ أن أزداد يقيناً ، وإنَّ إبراهيم عليه السلام سأل ربَّه عزوجل أن يريه كيف يحيي الموتى : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ؟ قَالَ بَلَى ، وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ،

وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته وقلت من أعامل أو عمَّن آخذ ، وقول مَن أقبل ؟ فقال عليه السلام له : « العمري ثقتي ، فما أدَّى إليك عنِّي فعَنِّي يُؤدِّي ، وما قال لك عني فعَنِّي يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنه الثقة المأمون » .

وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك ، فقال له : « العمري وابنه ثقتان ، فما أدَّيا إليك عنِّي فعني يؤدِّيان ، وما قالا لك فعني يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما ، فإنهما الثقتان المأمونان » . فهذا قول إمامين قد مضيا فيك .

قال : فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال : سل حاجتك ، فقلت لـه : أنت رأيت الخلف (المهدي عليه السلام) من بعد أبي محمـد عليه السلام ؟ فقـال : إي واللهِ ورقبته مثل ذا - وأومأ بيده - فقلت له : فبقيت واحـدة ، فقـال لـي : هـات ، قلت : فالاسم ؟ قال : محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك ، ولا أقـول هـذا مِـن عندي ، فليس لي أنْ أُحلِّل ولا أحرم ولكن عنه عليه السلام ، فإنَّ الامر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يُخلف ولداً ، وقسم ميراثـه وأخـذه مَـن لا حـق لـه فيه ، وهو ذا وعياله يجولون ليس أحد يجسـر أن يتعـرف إلـيهم أو ينـيلهم شيئاً ، وإذا وقع الاسم وقع الطلب ، فاتَّقُوا اللهَ وأمسكوا عن ذلـك ، (إشـارة واضحة إلى التحرُّز وحفظ ذريَّة أهل البيت عليهم السلام بما في ذلك حفـظ الشـيعة آنذاك) ، ثم قال : « حدثني شيخٌ مِن أصحابنا ذهب عني اسمه أنَّ أبا عمرو سأل أحمد بن إسحاق عن مثل هذا ، فأجاب بمثل هذا »][1] .

أقـول : الـنص واضـح فـي الـذيل انَّ المنـع عـن ذكـر الإسـم كـان مخصوصاً بمرحلة محدَّدة من فعل العباسـيين واضـطرابِهم وخفـاء الأمـر عليهم نتيجة مجموع تحقيقات بنّوا عبرها العيـون التـي فشـلت فـي تحقيـق نتائجها وفـق الـدليل الملمـوس مـن الرؤيـة ، وقـد أشـرنا إلـى طائفـة مـن النصوص تشير إلى قيام العباسيين بالتفتيش ثم حين لا يرون شيئاً يكتبون إلى الخليفة أنّه لا وجود للمهدي عليه السلام . ما ساهم في قلَّة الطلب على الشـيعة

---

[1] الكافي جـ ١ صـ ٣٢٩ حـ ١ - وفيها : حـ ٤ - علي بن محمد ، عن حمدان القلانسي ، قال قلت للعمـري : قـد مضى أبو محمد عليه السلام ؟ فقال لي : قد مضى ، ولكن قد خلـف فـيكم مـن رقبتـه مثـل هـذه ، وأشـار بيده . وفي كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٣٥ بـ ٤٣ حـ ٣ - عن محمد بن الحسن رضي الله عنه قال : حدثنا عبـد الله بن جعفر الحميري قال : قلت لمحمد بن عثمان العمري رضي الله عنه : إني أسألك سؤال إبراهيم ربه جـل جلاله حين قال له ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أو لـم تـؤمن ، قـال بلـى ، ولكـن ليطمـئن قلبـي ﴾ فأخبرني عن صاحب هذا الامر هل رأيته ؟ قال : نعم وله رقبة مثل ذي ، وأشار بيده إلى عنقه .

والتنكيل بهم وكذا ذريَّة أهل البيت عليهم السلام . وهذا الحفظُ للمهديِّ عليه السلام كان بأمر الله العظيم . لكنّ هذا الفعل السلبي والسكون من العباسيين تحوَّل إلى ثورة وحالة طوارئ بعد نقل العيون والأخبار انَّ المهدي عليه السلام موجودٌ مولود . فنظّموا حملاتٍ واسعة للقبض على المهدي عليه السلام ، لكنَّ أمرَ المهديِّ بيد الله تعالى ، هو محفوظٌ بحفظه والله بالغُ أمره ، لذا فشلوا فشلاً ذريعاً في تحقيق مكاسب ، فلم يستطيعوا القبض عليه في وقت أيقنوا انَّ وجود المهدي عليه السلام حقيقة لا شكَّ فيها .

فما كان من العباسيين بعد فشلهم في القبض على المهدي عليه السلام – وبنماذج متعدِّدة : خفيّةً مرَّة وعلنيّةً مرَّة أخرى – إلا أن شنُّوا دعاية ضخمة تفيد انَّ الإمامة استقرَّت في جعفر الكذّاب طمعاً منهم في إبطال أمر الإمامة لما يُعرف في جعفر مِن تهاون وضعفٍ وتلاشي شروط الإمامة فيه ..

وقد شهدت بعض المقطوعات على نوعٍ من بعض هذه المعاني التي انساق فيها البعضُ إلى حدِّ السقوط رغم وضوح الأدلَّة ، ما استدعى مِن الناحية أن تخرج توقيعاً في ذلك . ففي كمال الدين : خرج إلى العمري وابنه رضي الله عنهما – رواه سعد بن عبد الله قال – : قال الشيخ أبو عبد الله جعفر رضي الله عنه ، وجدته مثبتاً عنه رحمه الله :

[وفقكما الله لطاعته ، وثبَّتَكُمَا على دينه ، وأسعدكما بمرضاته ، انتهى إلينا ما ذكرتما أنَّ الميثمي أخبركما عن المختار ومناظراته من لقي ، واحتجاجه بأنه لا خلف غير جعفر بن علي وتصديقه إياه ، وفهمتُ جميع ما كتبتما به ممَّا قال أصحابكما عنه ، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ،

ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن موبقات الاعمال ومرديات الفتن ، فإنَّه عزوجل يقول : ﴿ ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ كيف يتساقطون في الفتنة ، ويترددون في الحيرة ، ويأخذون يميناً وشمالاً ، فارَقُوا دينهم ، أم ارتابوا ، أم عاندوا الحقَّ ، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والاخبار الصحيحة ، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أنَّ الارض لا تخلو من حجة إمَّا ظاهراً وإما مغموراً . أو لم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم ﷺ واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الامر بأمر الله عزوجل إلى الماضي - يعني الحسن بن علي عليه السلام - فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، كانوا نوراً ساطعاً ، وشهاباً لامعاً ، وقمراً زاهراً ، ثم اختار الله عزَّوجلَّ له ما عندهُ فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام حذوا النعل بالنعل على عهدٍ عهده ، ووصيَّةٍ أوصى بها إلى وصيٍّ سترهُ اللهُ عزوجل بأمرِهِ إلى غاية ، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ ، وفينا موضعه ، ولنا فضله ، ولو قد أذن اللهُ عزوجل فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحقَّ ظاهراً بأحسن حلية ، وأبين دلالة ، وأوضح علامة ، ولأبان عن نفسه وقام بحجته ، ولكن أقدار الله عزوجل لا تُغَالَب وإرادتُهُ لا تُردّ ، وتوفيقه لا يُسبَق ، فلْيَدَعُوا عنهم اتباع الهوى ، ولْيُقِيمُوا على أصلهم الذى كانوا عليه ، ولا يبحثوا عمَّا سُتِرَ عنهم فيأثموا ، ولا يكشفوا سترَ الله عزوجل فيندموا ، وليعلموا أنَّ الحق معنا وفينا ، لا يقول ذلك سوانا إلا كذَّابٌ مفتر ، ولا يدَّعيه غيرنا إلا ضال غوي ، فليقتصروا منَّا على هذه الجملة دون التفسير ، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله][1] .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٥١٠ بـ ٤٥ حـ ٤٢ -

أهميَّة هذا التوقيع أنّه يُعيد إلى اذهان العباد حقيقة النصِّ المتواتر مِن أنَّ الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى - إمام أم نبي – إمَّا ظاهر وإمَّا مغمور . مردِّداً عليهم مجموعة من براهين تحذرهم من السقوط أو التهاون . وانّ الأئمَّة إثنا عشر ، وانَّ النبوَّة الخاتمة خُتمت بالنبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله .. نعم اللافت في هذهِ المقطوعة أنها تشير إلى الظرف الصارخ بفعل العباسيين وجورهم وبث دعايتهم وتجميع ما أمكن لديهم لإبطال أمر الإمامة .

ويحدِّثنا التاريخُ في الطرف الآخر عن عظمة أمر الله وصون الإمامة ، بل صون الحجج والبراهين الساطعة في كل زمان ومكان التي تدل بعمقٍ وسطوعٍ عظيم على أمر الإمامة ، على المهدي عليه السلام ، لما يعنيه مِن إمامٍ ثاني عشر قد أوكل اللهُ إليه أمرَ أعظم دور تاريخي في الحقبة الأخيرة من موكب البشر على سطح الأرض أو ما تصل إليه يدُ البشر ..

ولقد شكَّل عثمان بن سعيد العمري العنوان الأبرز للوكالة العامَّة ، والشيخ العملاق في فقه أهلِ البيت عليهم السلام ، والشخصيّة الشهيرة جدَّاً في بغداد وغيرها من الأقطار الإسلاميّة ، والنموذج العلمي الحامل للتراث بشكلٍ ضخم ، إلى أن حانت وفاتُهُ . وقد عزَّى الإمامُ المهديُّ عليه السلام بعثمان بن سعيد في مقطوعة تدلُّ على مدى جلالة وعظمة هذه الشخصيّة ورفعة منزلتِها عند أهل البيت عليهم السلام وعند عامّة الناس وأهل الفقه والتراث من المشارب المختلفة . ففي كمال الدّين قال عبد الله بن جعفر الحميري : .. وخرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري في التعزية بأبيه رضي الله عنهما .. وفي فصل من الكتاب : [إنا لله وإنا إليه راجعون ، تسليماً لأمره ، ورضاءً بقضائه ، عاش أبوكَ سعيداً ، ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه

بأوليائه ومواليه (عليه السلام) ، فلم يزل مجتهدا في أمرهم ، ساعياً فيما يقرِّبُهُ إلى الله عزَّ وجلَّ وإليهم ، نضر الله وجهه وأقاله عثرته][1] .

وفي فصل آخر قال (عليه السلام) : [.. أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء ، رُزِئتَ ورُزِئنَا ، وأوحشك فراقُهُ وأوحشنا ، فسرَّهُ اللهُ في منقلبه ، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عزوجل ولداً مثلك يخلفه مِن بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحم عليه ، وأقول : الحمد لله ، فإنَّ الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عزوجل فيك وعندك ، أعانك الله وقوَّاك وعضدك ووفقك ، وكان الله لك وليَّاً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً][2] . هذا يدلُّ على الرفعة الخالصة لهذه الشخصيّة بنفس الوقت الذي يدلُّ على ثقة الإمام (عليه السلام) بولده محمَّد بن عثمان العمري . ومعلوم انَّ محمّد بن عثمان كان من الشخصيّات المعروفة بالفقه والعلم الكبير والإستقامة والرياسة والنزاهة الشديدة[3] ..

وقد قام العمري بعمل الوكالة خيرَ قيام ، وإليك طائفة من الوقائع في هذا المجال ، منها ، ما رواه محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال : سألت محمد بن عثمان العمري

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٥١٠ بـ ٤٥ حـ ٤١ .

[2] كمال الدين : ج ٢ صـ ٥١٠ بـ ٤٥ حـ ٤١ .

[3] من يراجع مجموع وقائع ذلك الظرف الصعب جداً والطاغي من قبل العباسيين يدرك عمق الخطورة التي كانت تحيط بالإمام المهديّ (عليه السلام) ، من هنا كان لا بدَّ من الإحاطة بمجموعة من تدابير ضروريّة في مقام الإحتجاجِ ووصول الأحكام ، فكان منها إقامة النواب الأربعة ، الذين إذا مات واحد قام الآخر محله وهم :

١. عثمان بن سعيد العمري .
٢. محمّد بن عثمان العمري .
٣. الحسين بن روح النوبختي .
٤. علي بن محمّد السمري .

رضي الله عنه فقلت له : أرأيت صاحب هذا الامر ؟ فقال : [نعم وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : أللهم أنجز لي ما وعدتني][1] .

وكذا ورد في لسان مروية محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال : سمعت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه يقول : [رأيته صلوات الله عليه متعلِّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول : أللهم انتقم لي من أعدائي][2] .

وعن عدم جواز توقيت خروجِهِ عليه السلام روى محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال : سمعتُ أبا علي محمد بن همام يقول : سمعتُ محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول : خرج توقيع بخطٍّ أعرفه : مَن سمَّاني في مجمع من الناس بإسمِي فعليه لعنة الله . قال أبو علي محمد بن همام : وكتبت أسأله عن الفرج متى يكون ؟ فخرج إليَّ : كذب الوقَّاتُون][3] . فهذا مضاف إلى نصوص كثيرة جداً تقول : كذب المؤقِّتون . وإنّما ظهور مولانا المهدي ليومٍ موعودٍ في علم الله تعالى ، وقد قرن بهِ علامات منها ما هو وصفي عام ومنها ما هو قطعي دالّ . فإذا تمت أذن اللهُ له الظهور المبارك . أمّا عن منع ذكر إسمِهِ عليه السلام فهو كما أشرنا في أكثر من مقام وارد على نحو خاص بفترة زمنيَّة محدّدة آنذاك حفظاً لعمل الوكلاء الذين نابوا بينه وبين الناس فترةً من الزمن ، ودرءاً عن الشيعة وذرية أهل البيت عليهم السلام . بعض المتون واضحة جداً في ذلك ..

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٤٠ بـ ٤٣ حـ ٩ -

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٤٠ بـ ٤٣ حـ ١٠ -

[3] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٣ بـ ٤٥ حـ ٣ .

وفي بعض التوقيعات يشيرُ إلى بيان احتجاجي على بعض المنكرين ، مستعرضاً بعض الأمور التي ستقع حتماً بأمر الله تعالى ، وهذه علامة من علامات الإمامة التي أولاها اللهُ تعالى عظمة بيان المستور الذي لا سبب له إلا الإطِّلاع على الغيب الذي لا يكون إلا بإذن الله تعالى . ففي رواية محمد بن محمد بن عصام الكليني رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يعقوب الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب قال : سألتُ محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يُوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكَلَت عليَّ ، فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام :

[أمَّا ما سألت عنه – أرشدك الله وثبَّتك – مِن أمر المُنكرين لي مِن أهل بيتنا وبني عمِّنا ، فاعلم أنه ليس بين الله عزوجل وبين أحدٍ قرابة ، ومن أنكرني فليس منِّي ، وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام . أما سبيل عمِّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام . أما الفقاع فشربه حرام ، ولا بأس بالشلماب ، وأما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا ، فمن شاء فلْيَصِل ومن شاء فليقطع ، فما آتاني اللهُ خيرٌ ممَّا آتاكم . وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره . وكذب الوقَّاتون . وأما قول مَن زعم أنَّ الحسين عليه السلام لم يُقتَل فكفرٌ وتكذيبٌ وضلال .

وأما الحوادثُ الواقعةُ ، فارجعوا فيها إلى رُوَاةِ حديثنا ، فإنَّهم حُجَّتِي عليكم ، وأنا حجَّةُ اللهِ عليهم .

وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ، فإنه ثقتي وكتابه كتابي . وأما محمد بن علي بن مهزيار الاهوازي فسيُصلِحُ اللهُ له قلبه ويزيل عنه شكَّهُ . وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلَّا لما طابَ

وطهر ، وثمن المغنِّية حرام . وأما محمد بن شاذان بن نعيم فهو رجلٌ من شيعتنا أهل البيت . وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الاجدع فملعون ، وأصحابه ملعونون ، فلا تجالِس أهلَ مقالتهم ، فإنِّي منهم بريئ ، وآبائي عليهم السلام منهم بُرَاء . وأما المتلبِّسون بأموالنا ، فمن استحلَّ منها شيئا فأكله فإنما يأكل النيران . وأما الخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجُعِلُوا منه في حلٍّ إلى وقت ظهور أمرنا ، لتطيب ولادتهم ولا تخبث . وأما ندامة قوم قد شكُّوا في دين الله عزوجل على ما وصلونا به ، فقد أقلنا مَن استقال ، ولا حاجة (لنا) في صلة الشاكِّين .

وأما علة ما وقع من الغيبة ، فإنَّ الله عزوجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ، لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ، إنه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي . وأما وجهُ الانتفاع بي في غيبتي ، فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبتها عن الابصار السحاب ، وإني لَأمانٌ لأهل الارض كما أنَّ النجومَ أمانٌ لأهل السماء ، فأغلقوا باب السؤال عمَّا لا يعنيكم ، ولا تتكلَّفُوا علمَ ما قد كُفيتُم ، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإن ذلك فرجكم . والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى][1] .

وقد ثبت ما أشار إليه عليه السلام ممَّا سيقع في هؤلاءِ في ظلِّ إعجازٍ يتلو إعجاز ، فما ازداد الناسُ إلا ديناً ويقيناً وتعظيماً لمقامِ الإمامة واحتراماً مذهلاً لمولانا المهدي عليه السلام .. وفي تواقيع الناحية ما يذهل المطّلع عليها ..! ولقد كان الأتباع والأصحاب والشيعة يسألون عن بعض المشكلات في

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٣ بـ ٤٥ حـ ٤ -

الأحكام .. فكان يخرجُ عليهم التوقيع من الناحية في ذلك . فقد روى محمد بن أحمد الشيباني ، وعلي بن أحمد بن محمد الدقاق ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا : حدثنا أبو الحسين ، محمد بن جعفر الاسدي ، رضي الله عنه ، قال : كان فيما ورد عليَّ مِن الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان ، قدس الله روحه ، في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان عليه السلام :

[.. أما ما سألتَ عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلئن كان كما يقولون أن الشمس تطلع بين قرني الشيطان وتغرب بين قرني الشيطان ، فما أرغم أنف الشيطان أفضل مِن الصلاة ، فصلِّها وأرغم أنف الشيطان . وأما ما سألتَ عنه من أمر الوقف على ناحيتنا وما يجعل لنا ثم يحتاج إليه صاحبه ، فكل ما لم يسلم فصاحبه فيه بالخيار ، وكل ما سلم فلا خيار فيه لصاحبه ، احتاج إليه صاحبه أو لم يحتج ، افتقر إليه أو استغني عنه . وأما ما سألت عنه مِن أمر مَن يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا ، فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماءُه يوم القيامة ، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله : المستحلُّ مِن عترتي ما حرَّمَ اللهُ ملعونٌ على لساني ولسان كل نبي . فمن ظلمنا كان من جملة الظالمين ، وكان لعنة الله عليه لقوله تعالى : ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ . وأما ما سألت عنه من أمر المولود الذي تنبت غلفته بعدما يختن هل يختن مرة أخرى ؟ فإنه يجب أن تقطع غلفته فإنَّ الارض تضجُّ إلى الله عزوجل مِن بول الاغلف أربعين صباحاً . وأمَّا ما سألتَ عنه من أمر المصلِّي والنار والصورة والسراج بين يديه هل تجوز صلاته فإنَّ الناس اختلفوا في ذلك قبلك ، فإنه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الاصنام أو عبدة النيران أن

يُصلِّي والنار والصورة والسراج بين يديه ، ولا يجوز ذلك لمَن كان من أولاد عبدة الاصنام والنيران . وأما ما سألت عنه من أمر الضياع التي لناحيتنا هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها وصرف ما يفضل من دخلها إلى الناحية احتساباً للاجر وتقرباً إلينا ، فلا يحل لأحد أن يتصرف من مال غيره بغير إذنه ، فكيف يحل ذلك في مالنا ، من فعل شيئاً من ذلك من غير أمرنا فقد استحلَّ منَّا ما حُرِّمَ عليه ، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً . وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعة ويسلمها من قيِّم يقوم بها ويعمرها ويؤدي من دخلها خراجها ومؤونتها ، ويجعل ما يبقى من الدخل لناحيتنا ، فإنَّ ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيِّماً عليها ، إنما لا يجوز ذلك لغيره . وأما ما سألت عنه من أمر الثمار من أموالنا يمر بها المار فيتناول منه ويأكله هل يجوز ذلك له ؟ فإنه يحلُّ له أكله ويحرم عليه حمله][1] ..

انّه البيت المقدَّس الذي قرنه اللهُ تعالى بقرآننا المجيد ، إنّهم سفينة نوح . إنّهم الثقل المقرون بالقرآن إلى قيام يوم الساعة ..! ثم في دلالة بعض المقطوعات التاريخيَّة ما يشير إلى العظمة الكبرى لمقام الإمامة والموقع الذي شكَّلته الناحية في تلك الفترة من الزمن . فهذا أبو جعفر محمد بن محمد الخزاعي رضي الله عنه يحدِّث فيقول : حدثنا أبو علي بن أبي الحسين الاسدي ، عن أبيه رضي الله عنه قال : ورد عليَّ توقيعٌ من الشيخ أبى جعفر محمد بن عثمان العمري ، قدس الله روحه ، ابتداءً لم يتقدمه سؤال : [بسم الله الرحمن الرحيم ، لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين على مَن استحلَّ مِن مالنا درهماً .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٥٢٠ بـ ٤٥ حـ ٤٩ -

قال أبو الحسين الاسدي رضي الله عنه : فوقع في نفسي أنَّ ذلك فِيمَن استحلَّ مِن مالِ الناحية درهماً ، دون من أكل منه غير مستحلٍّ له ، وقلت في نفسي : إنَّ ذلك في جميع من استحلَّ محرما ، فأي فضل في ذلك للحجة عليه السلام على غيره ؟

قال : فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقِّ بشيراً لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلبَ إلى ما وقع في نفسي : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين على مَن أكل من مالنا درهماً حراماً . قال أبو جعفر محمد بن محمد الخزاعي : أخرج إلينا أبو علي بن أبي الحسين الاسدي هذا التوقيع حتى نظرنا إليه وقرأناه][1] .

هذا واحد من عناوين الإعجاز التي أحاط اللهُ بها مقام الإمامة ، بل هذا عنوان من عناوين أثر مولانا المهدي عليه السلام الذي شكَّل ويشكِّل أعمق تحوُّل في مسار التاريخ البشري ، خاصّةً لحظة ظهورِهِ المبارك ، الذي معه تبدأ أولى مراحل العالم الجديد العميق الذي يصاحبه نشر مواثيق الحكم الرباني العادل والنِّعم الكبرى والتطوُّر الضخم الذي تستفيد منه البشرية كأقصى الممكن لها في دار الدنيا . إنّه صلةٌ ذات بُعد إعجازي في أخطر زمن عباسي . حتى انَّ قسماً من الشيعة كانوا ينقلون نقاشاتِهم ومحاوراتِهم للبتِّ فيها إلى الناحية عبر الوكيل ، لحل المعضلات ، وشبه ذلك ، تأكيداً لشمس الحضور العظيمة . فقد حدَّث أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أو قال أبو الحسن ، علي بن أحمد الدلال القمي) قال : اختلف جماعةٌ من الشيعة في أنَّ الله عزوجل فوَّضَ إلى الائمة

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٥٢٢ بـ ٤٥ حـ ٥١ -

صلوات الله عليهم أن يخلقوا أو يرزقوا . فقال قوم : هذا محالٌ لا يجوز على الله تعالى ، لأنَّ الاجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزوجل . وقال آخرون : بل اللهُ تعالى أقدَرَ الائمةَ على ذلك وفوَّضَهُ إليهم فخَلَقُوا ورزقوا . وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً . فقال قائل : ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر ، محمد بن عثمان العمري ، فتسألونه عن ذلك ، فيوضح لكم الحقَّ فيه ، فإنه الطريق إلى صاحب الامر عجَّلَ اللهُ فرجه ، فرضِيَت الجماعةُ بأبي جعفر وسلَّمت وأجابت إلى قوله ، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه ، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته :

[إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الاجسام وقسم الارزاق ، لانه ليس بجسم ولا حالّ في جسم ، ليس كمثله شيئ وهو السميع العليم ، وأما الائمة عليهم السلام ، فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ، ويسألونه فيرزق ، إيجاباً لمسألتهم ، وإعظاماً لحقهم][1] .

وفي طائفة من تلك الوقائع يبعث مولانا المهدي عليه السلام فيها الرد المباشر قبل سؤال السائل أو معرفة الحال ، فقد روى أحمد بن أبي روح قال : خرجت إلى بغداد في مال لأبي الحسن الخضر بن محمد ، لأوصله ، وأمرني أن أدفعه إلى أبي جعفر ، محمد بن عثمان العمري ، وأمرني أن لا أدفعه إلى غيره ، وأمرني أن أسأله الدعاء للعلَّة التي هو فيها ، وأسأله عن الوبر يحلُّ لبسه ؟ فدخلت بغداد ، وصرت إلى العمري ، فأبى أن يأخذ المال وقال : صر إلى أبي جعفر ، محمد بن أحمد ، وادفع إليه ، فإنه أمره بأخذه ، وقد خرج الذي طلبت ، فجئتُ إلى أبي جعفر فأوصلته إليه ، فأخرج إليَّ

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٧٨ -

رقعة فإذا فيها : [بسم الله الرحمن الرحيم سألتَ الدعاءَ مِن العلَّة التى تجدها ، وهبَ اللهُ لك العافية ، ودفع عنك الآفات ، وصرف عنك بعض ما تجده من الحرارة وعافاك ، وصح (وأصح) لك جسمك .. إلى أن يجيبه عمَّا سأل في أمر الصلاة والوبر][1] .

فهذا من عناوين العظمة المتّصلة بمقامِ الإمامة ، وإشارة مباركة وعلامة راسخة على الحضور الساطع للمهدي عليه السلام . بل في بعضها مباشرة الرؤية ، فقد روى محمد بن يعقوب رفعه عن الزهري (قال) : طلبت هذا الامر طلباً شاقاً ، حتى ذهب لي فيه مال صالح ، فوقعت إلى العمري وخدمته ولزمته وسألته بعد ذلك عن صاحب الزمان ، فقال لي : ليس إلى ذلك وصول ، فخضعت فقال لي : بكِّر بالغداة ، فوافيت فاستقبلني ومعه شاب مِن أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة ، بهيئة التجَّار ، وفي كمِّه شيئ كهيئة التجار ، فلما نظرت إليه دنوت من العمري فأومأ إليَّ فعدلتُ إليه وسألته فأجابني عن كل ما أردت ، ثم مرَّ ليدخل الدار ، وكانت من الدور التي لا يُكتَرثُ لها ، فقال العمري : إن أردت أن تسأل سَلْ ، فإنك لا تراه بعد ذا ، فذهبت لأسأل فلم يسمع ودخل الدار وما كلَّمني بأكثر من أن قال : ملعون ملعون ، من أخَّر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ، ملعون ملعون من أخر الغداة إلى أن تقضي النجوم . ودخل الدار][2] .

وفي غيرها تأكيد على أمورٍ ستقع ضمن أُطر ومعاني تصبُّ في الحضور الساطع لمولانا المهدي عليه السلام . فقد حدَّث أبو جعفر ، محمد بن علي الاسود رضي الله عنه قال : [دَفَعَت إليَّ امرأةٌ سنة من السنين ثوباً وقالت :

---

[1] الخرائج : ج ٢ صـ ٧٠٢ ب ١٤ ح ١٨ -

[2] غيبة الطوسي : صـ ١٦٤

احمله إلى العمري رضي الله عنه ، فحملته مع ثيابٍ كثيرة ، فلمَّا وافيتُ بغداد أمرني بتسليم ذلك كلِّه إلى محمد بن العباس القمي ، فسلَّمتُهُ ذلك كلّه ما خلا ثوب المرأة ، فوجَّهَ إليَّ العمريُّ رضي الله عنه وقال : ثوبُ المرأة سلِّمه إليه . فذكرتُ بعد ذلك أنَّ امرأة سلَّمت إليَّ ثوباً وطلبتُهُ فلم أجده . فقال لي : لا تغتم فإنك ستجده ، فوجدته بعد ذلك ، ولم يكن مع العمري رضي الله عنه نسخة ما كان معي][1] .

بل في طائفةٍ منها كشف أسرار لم يطَّلع عليها أحد إلا الله تعالى وصاحب القضيَّة ، فكانت الناحية تُخبَر بتفاصيلِها ، لعظيم ما أحاط اللهُ بهِ مولانا المهدي عليه السلام ومقام الإمامة الذي يشكِّل قطب الرحى في زمن ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله . فقد حدَّث أبو المفضل ، محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنا أبو بكر ، محمد بن جعفر بن محمد المقري ، قال : حدثنا أبو العباس ، محمد بن شابور قال : حدثني الحسن بن محمد بن حيوان السراج القاسم ، قال : حدثني أحمد بن الدينوري السراج المُكنَّى بأبي العباس ، الملقب بأستاره قال :

[انصرفت من أربيل إلى الدينور أريدُ الحج ، وذلك بعد مضي أبي محمد ، الحسن بن علي بسنة أو سنتين ، وكان الناسُ في حيرةٍ ، فاستبشروا أهل الدينور بموافاتي ، واجتمع الشيعةُ عندي فقالوا : قد اجتمع عندنا ستة عشر ألف دينار من مال الموالي ويحتاج أن تحملها معك ، وتسلّمها بحيث يجب تسليمها . قال فقلت : يا قوم ، هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت .

---

[1] كمال الدين ج ٢ صـ ٥٠٢ ب ٤٥ ح ٣٠ -

قال : فقالوا : إنما اخترناك لحمل هذا المال لِمَا نعرف مِن ثقتك وكرمك ، فاحمله على ألَّا تُخرجَهُ من يدك إلا بحجَّة . قال : فحمل إلي ذلك المال في صرر باسم رجل ، فحملت ذلك المال وخرجتُ ، فلما وافيت قرميسين ، وكان أحمد بن الحسن مقيماً بها ، فصرتُ إليه مُسلِّماً ، فلما لقيني استبشر بي ثم أعطاني ألف دينار في كيس ، وتخوت ثياب من ألوان معتمة لم أعرف ما فيها ، ثم قال لي أحمد : احمل هذا معك ولا تخرجه عن يدك إلا بحجة . قال : فقبضت منه المالَ والتخوت بما فيها من الثياب . فلما وردتُ « بغداد » لم يكن لي همة غير البحث عمَّن أُشير إليه بالبابية . فقيل لي : إنَّ ها هنا رجلاً يُعرف بالباقطاني يدَّعي بالبابية ، وآخر يُعرف بإسحاق الاحمر يُدعى بالبابية ، وآخر يُعرف بأبي جعفر العمري يُدعى بالبابية .

قال : فبدأتُ بالباقطاني فصرتُ إليه فوجدتُهُ شيخاً بهيَّاً ، له مروة ظاهرة ، وفرش عربي ، وغلمان كثير ، ويجتمع عنده الناس يتناظرون . قال : فدخلتُ إليه وسلَّمتُ عليه فرحَّب وقرَّب وبرَّ وسر . قال : فأطلت القعود إلى أن خرج أكثر الناس ، قال : فسألني عن حاجتي ؟ فعرَّفتُهُ أني رجلٌ مِن أهل الدينور ومعي شيئ من المال احتاجُ أن أُسلِّمَهُ ، قال لي : احمله ، فقلت : أريد حجَّة ، قال : تعود إليَّ في غد . قال : فعدتُ إليه من الغد فلم يأتِ بحجَّة . وعدتُ إليه في اليوم الثالث فلم يأتِ بحُجَّة . قال : فصرتُ إلى إسحاق الاحمر فوجدتُهُ شاباً نظيفاً ، منزله أكبر من منزل الباقطاني ، وفرشه ولباسه ومروته أسرى ، وغلمانه أكثر من غلمانه . ويجتمع عنده من الناس أكثر ممَّا يجتمعون عند الباقطاني . قال : فدخلتُ وسلَّمتُ فرحَّب وقرَّب . قال : فصبرتُ إلى أن خفَّ الناسُ فسألني عن حاجتي ، فقلت له كما

قلتُ للباقطاني . وعدتُ إليه ثلاثة أيام فلم يأتِ بحجَّة . قال : فصرتُ إلى « أبي جعفر العمري » فوجدته شيخاً متواضعاً ، عليه مبطنة بيضاء ، قاعد على لبد في بيت صغير ، ليس له غلمان ، ولا له مِن المروة والفرش ما وجدتُ لغيره ، قال : فسلَّمتُ ، فردَّ جوابي وأدناني وبسط منِّي . ثم سألني عن حالي ؟ فعرَّفته أنِّي وافيتُ من الجبل وحملتُ مالاً . فقال : إن أحببت أن تصل هذا الشيئ إلى حيث يجب ، يجب أن تخرج إلى « سر من رأى » وتسأل (عن) دار ابن الرضا ، وعن فلان بن فلان الوكيل . وكانت « دار ابن الرضا » عامرة بأهلها ، فإنَّك تجد هناك ما تريد .

قال : فخرجت مِن عنده ومضيتُ نحو « سر من رأى » ، وصرتُ إلى دار ابن الرضا وسألت عن الوكيل . فذكر البواب أنه مشتغل في الدار ، وانه يخرج آنفاً . فقعدتُ على الباب انتظر خروجه فخرج بعد ساعة ، فقمت وسلَّمت عليه وأخذ بيدي إلى بيتٍ كان له ، وسألني عن حالي وعمَّا وردتُ له ؟ فعرَّفتُهُ أني حملت شيئاً مِن المال من ناحية الجبل ، وأحتاج أن أسلِّمه بحجَّة .

قال : فقال : نعم ، ثم قدَّمَ إليَّ طعام ، وقال لي : تغدَّى بهذا واستريح (كذا) فإنك تعب ، وإن بيننا وبين الصلاة الاولى ساعة ، فإني أحمل إليكَ ما تريد . قال : فأكلت ونمت ، فلما كان وقت الصلاة نهضتُ وصلَّيت ، وذهبتُ إلى المشرعة فاغتسلتُ وانصرفت ، ومكثت إلى أن مضى مِن الليل ربعه ، فجاءني ومعه درج فيه : [بسم الله الرحمن الرحيم : وافى أحمد بن محمد الدينوري وحمل ستة عشر ألف دينار ، وفي كذا وكذا صرَّة فيها صرَّة فلان بن فلان كذا وكذا ديناراً ، وصرَّة فلان بن فلان كذا وكذا ديناراً . إلى أن عدَّ الصرارَ كُلَّهَا . وصرَّة فلان بن فلان المراغي ستة عشر ديناراً .

قال : فوسوس لي الشيطان (فقلت) : إنَّ سيدي أعلم بهذا مني . فما زلت أقرأ ذكر الصرة (صرة) وذكر صاحبها ، حتى أتيت عليها على آخرها . ثم ذكر : قد حمل من قرميسين من عند أحمد بن الحسن البادراني أخي الصراف كيساً فيه ألف دينار (و) كذا وكذا تختاً ثياباً . منها ثوب فلاني وثوب لونه كذا ، حتى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها . قال : فحمدتُ اللهَ وشكرته على ما مَنَّ به عليَّ مِن إزالة الشك عن قلبي . وأمر بتسليم جميع ما حملته إلى حيث ما يأمرك « أبو جعفر العمري » .

قال : فانصرفتُ إلى بغداد وصرتُ إلى أبي جعفر العمري . قال : وكان خروجي وانصرافي في ثلاثة أيام . قال : فلمَّا بصر بي أبو جعفر العمري قال لي : لِمَ لم تخرج ؟ فقلت يا سيدي مِن « سر من رأى » انصرفت . قال : فأنا أحدِّث أبا جعفر بهذا إذ وردت رقعة على أبي جعفر العمري مِن مولانا عليه السلام ومعها درج مثل الدرج الذي كان معي ، فيه ذكر المال والثياب ، وأمرٌ أن يسلم جميع ذلك إلى أبي جعفر محمد بن أحمد بن جعفر القطان القمي ، فلبس أبو جعفر العمري ثيابه وقال لي : احمل ما معك إلى منزل محمد بن أحمد بن جعفر القطان القمي .

قال : فحملت المالَ والثيابَ إلى منزل محمد بن أحمد بن جعفر القطان وسلمتها ، وخرجتُ إلى الحج ، فلما انصرفت إلى الدينور اجتمعَ عندي الناسُ فأخرجتُ الدرج الذي أخرجه وكيلُ مولانا إليَّ وقرأته على القوم ، فلما سمع ذكر الصرة باسم الزراع سقط مغشياً عليه فما زلنا نعلِّلهُ حتى افاق فسجد شكراً لله عزوجل وقال : الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالهداية ، الآن علمتُ أنَّ الارضَ لا تخلو من حجة . هذه الصرة دفعها واللهِ إليَّ هذا الزراع ولم يقف على ذلك إلا اللهُ عزوجل (..!) ،

قال : فخرجتُ ولقيتُ بعد ذلك بدهر أبا الحسن البادراني وعرفته الخبر ، وقرأتُ عليه الدرج ، قال : يا سبحان الله ، ما شككت في شيئ فلا تشكنَّ في أنَّ الله عزوجل لا يُخلي أرضه من حجة . إعلم لما غزا ارتكوكين يزيد بن عبد الله بسهرورد ، وظفر ببلاده ، واحتوى على خزائنه ، صار إليَّ رجلٌ وذكر أنَّ يزيد بن عبد الله جعل الفرس الفلاني والسيف الفلاني في باب مولانا ، قال : فجعلت انقل خزائن يزيد بن عبد الله إلى ارتكوكين أولاً فأولاً ، وكنت أدافع الفرس والسيف إلى أن لم يبق شيئ غيرهما ، وكنت أرجو أن أخلص ذلك لمولانا ، فلما اشتد مطالبة ارتكوكين إيَّاي ولم يمكنني مدافعته ، جعلت في السيف والفرس في نفسي ألف دينار وزنتها ودفعتها إلى الخازن ، وقلت : ادفع هذه الدنانير في أوثق مكان ولا تخرجن إليَّ في حال من الاحوال ولو اشتدت الحاجة إليها وسلمت الفرس والنصل ،

قال : فأنا قاعد في مجلسي بالري أبرم الامور وأوفى القصص وآمر وأنهى ، إذ دخل أبو الحسن الاسدي ، وكان يتعاهدني الوقت بعد الوقت وكنت أقضي حوائجه ، فلما طال جلوسه وعليَّ بؤسٌ كثير ، قلت له : ما حاجتك ؟ قال : احتاج منك إلى خلوة ، فأمرت الخازن أن يُهيِّئ لنا مكاناً من الخزانة فدخلنا الخزانة ، فأخرج إليَّ رقعة صغيرة من مولانا فيها : يا أحمد بن الحسن الالف دينار التي لنا عندك ثمن النصل والفرس سلِّمها إلى أبي الحسن الاسدي . قال : فخررتُ لله عزَّوجلَّ ساجداً شاكراً لما منَّ به عليَّ . وعرفتُ أنه خليفةُ الله حقَّاً . فإنه لم يقف على هذا أحد غيرك ، فأضفت إلى ذلك المال ثلاثة آلاف دينار سروراً بما منَّ اللهُ عليَّ بهذا الامر .][1]

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٨٢ -

هذهِ وغيرها من الأمور السواطعِ الدالّة على الإعجاز المُذهِل الذي أحاطَ اللهُ به مولانا المهدي (عليه السلام) . في نفس الوقت تكشف لنا هذه المتون جانباً من الوقائع والأحداث والظروف زمن الغيبة الصغرى . لما تعنيه من أهميَّة بالغة ومفصل تاريخي رئيسي زمن الأحداث تلك ، وما تعنيه في ظل ظرف عباسي خطير يعمل بكلِّ أدواتِهِ وطاقاتِهِ لتدمير مقام الإمامة ونزعِهِ من عقول الناس وصدورهم . ومَن يقرأ تاريخ هذهِ الفترة يجد فيها العجز المصحوب بغضبٍ هائلٍ من قبل العباسيين ، لذا عملوا بكلِ جهدهم للقبض على ما يمكن ان يشكِّل وكيلاً للمهدي (عليه السلام) ، وهذا الذي نقرأه في الروايات من تكتُّم البعض ، والتثبّت قبل بيان أمر الوكالة إنّما هو بسبب الطلب الضخم من قبل العباسيين للقبض والتنكيل وقتل الوكلاء أو مَن هو منهم قريب .

وتاريخ هذهِ الفترة مليئ بالأحداث الجسام ، والأخبار الزاخرة بالشهادة على العجز والضغط الحاشد الذي أصاب العباسيين بسبب معرفة حقيقة اتّصال الشيعة والفقهاء بالمهدي (عليه السلام) عبر الوكلاء دون قدرتهم على منع ذلك ، بالإضافة إلى الإحاطة بما يجري بسبب رعاية الإمام (عليه السلام) لمقام الوكالة وحفظها بل وصدور التواقيع من الناحية في التحذير والبيان في كلِّ لحظة خطر أو دهم من قبل العباسيين .

وفي رواية علي بن محمد ، عن أبي عبد الله الصالحي قال : سألني أصحابنا بعد مضي أبي محمد (عليه السلام) أن أسأل عن الاسم والمكان . فخرج الجواب : [إن دللتهم على الاسم أذاعوه ، وإن عرفوا المكان دلوا عليه][1] .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٣٣٣ ح ٢ -

بحيث يستفاد من مضامينها الإشارة إلى البيئة الضاغطة جداً من قبل العباسيين . كما يبدو نوع واضح من تكتُّم وظيفي حول إسم ومكان وجود الإمام (عليه السلام) بسبب مجموع الضغط والإكراه والتنكيل الذي يمارسه العباسيون ، منعاً لأي خللٍ في وضعيَّة الأصحاب والأتباع وما يمكن أن ينجر عليهم من قبل العباسيين ، وإلا فإنَّ المهدي (عليه السلام) محفوظ بحفظ الله تعالى . ثم على الناحية الأخرى كانت تخرج التواقيع وفيها من الأسرار والأخبار والإعجاز ما يثبِّت قلوب الأصحاب والأتباع على نحوٍ عظيم . فقد حدَّث محمد بن على بن متيل قال : قال عمِّي جعفر بن محمد بن متيل : دعاني أبو جعفر ، محمد بن عثمان السمان المعروف بالعمري ، رضي الله عنه ، فأخرج إليَّ ثويبات معلَّمة وصرَّة فيها دراهم ، فقال لي : يحتاج أن تصير بنفسك إلى واسط في هذا الوقت ، وتدفع ما دفعت إليك إلى أوَّلِ رجلٍ يلقاك عن صعودك من المركب إلى الشط بواسط ،

قال : فتداخلني من ذلك غمٌّ شديد ، وقلت : مثلي يُرسَل في هذا الامر ويحمل هذا الشيئ الوتح ؟ قال : فخرجت إلى واسط وصعدت مِن المركب فأوَّل رجل يلقاني سألته عن الحسن بن محمد بن قطاة الصيدلاني وكيل الوقف بواسط فقال : أنا هو . مَن أنت ؟ فقلت : أنا جعفر بن محمد بن متيل .

قال : فعرفني باسمي ، وسلَّم عليَّ ، وسلَّمتُ عليه وتعانقنا . فقلت له : أبو جعفر العمري يقرأ عليك السلام ، ودفع إليَّ هذه الثويبات وهذه الصرَّة لأسلِّمها إليك . فقال : الحمد لله ، فإنَّ محمد بن عبد الله الحائري قد مات وخرجت لإصلاحِ كفنه . فحلَّ الثيابَ وإذا فيها ما يحتاجُ إليه مِن حبر وثياب وكافور في الصرة ، وكرى الحمالين والحفار . قال : فشيعنا جنازته

وانصرفت][1] . إنّه الإعجاز المرتبط بسبب الإعجاز ومصدره العظيم ..! بل كانت الناحيةُ المقدَّسة تُؤكِّد على الوكيل الآخر قبل موتِ الوكيل الأوّل ، وتحدِّد شخصه . وكان الأصحاب والأتباع من أهل الخبرة والدِّين يعرفون تفاصيل الأمر عبر الناحية والأجلَّاء من الفقهاء والعلماء المتّصلين بسلسلة الوكلاء الموزَّعين من قِبَل الوكيل المنصوبِ من المهدي عليه السلام .

فقد حدَّث الحسين بن إبراهيم ، عن ابن نوح ، عن أبي نصر ، هبة الله بن محمد قال : حدثني خالي أبو إبراهيم جعفر بن أحمد النوبختي قال : قال لي أبي أحمد بن إبراهيم ، وعمي أبو جعفر ، عبد الله بن إبراهيم ، وجماعة من أهلنا يعني بني نوبخت : [إنَّ أبا جعفر العمري لمَّا اشتدَّت حاله ، اجتمع جماعة مِن وجوه الشيعة منهم أبو علي بن همام ، وأبو عبد الله بن محمد الكاتب ، وأبو عبد الله الباقطاني ، وأبو سهل بن إسماعيل النوبختي ، وأبو عبد الله بن الوجنا ، وغيرهم من الوجوه والأكابر ، فدخلوا على أبي جعفر رضي الله عنه ، فقالوا له : إنْ حَدَثَ أمرٌ ، فمَن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم ، الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الامر عليه السلام ، والوكيل والثقة الامين ، فارجعوا إليه في أموركم وعوِّلُوا عليه في مهماتكم . فبذلك أُمِرتُ وقد بلَّغت][2] .

بل في بعض النصوص ما يُذهل ، فعن أبي جعفر محمد بن علي الاسود رضي الله عنه قال : [ان أبا جعفر العمري حفَرَ لنفسه قبراً وسوَّاه بالساج ، فسألته عن ذلك فقال : للناس أسبابٌ ، ثم سألته بعد ذلك فقال : قد

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٥٠٤ بـ ٤٥ حـ ٣٥ -

[2] غيبة الطوسي : صـ ٢٢٦ -

أُمرت أن أجمع أمري . فمات بعد ذلك بشهرين رضي الله عنه][1] . إلى هذا المستوى كان الوكيلُ على اطّلاعٍ عبر الناحية المقدَّسة ، عبر مولانا المهدي (عليه السلام) ، الذي أحاطه اللهُ بعلمٍ من علمه ، فيعلم انَّ الأجل قد حان ، وان الأمر موكولٌ إلى غيرهِ من الوكلاء ، فكان يُسمِّيه له ليحلَّ محلَّه .

وبذلك حلَّ أبو القاسم « الحسين بن روح » في مقام الوكالة والنيابة ..

وفي الوصف الظرفي لتلك الفترة : عندما حانت وفاة النائب الثاني محمَّد بن عثمان العمري أشارَ عليهِ الإمامُ المهديُّ (عليه السلام) تسليم الأمر إلى الحسين بن روح النوبختي . وهو من علماء الشيعةِ وأعيانِهم ومشهوريهم ، بل من كبار فقهائِهم ، وله احترام واسع في صفوفِ كلِّ علماء الإسلام آنذاك . وقد كان من قبل ذلك وكيلاً للنائبِ الثاني محمَّد بن عثمان ، يقوم بدور الوساطة بينه وبين الشيعةِ في نقل ما يريدهُ الإمام من شيعتِهِ وما يستفسرون عنه من قِبَلِهِ (عليه السلام) .

وعليهِ : قبل وفاة النائب الثاني أمرهُ الإمام المهديُّ (عليه السلام) أن يُقيم الحسين بن روح مقامَهُ في النيابة الخاصَّة ، وأن يخبر الشيعة بذلك ، فكان أن جمع محمد بن عثمان العمري عيونَ الشيعةِ وخواصهم بشكلٍ سريٍّ فأخبرهم قائلاً : [إنْ حدثَ عليّ حدثُ الموتِ ، فالأمر إلى أبي القاسمِ الحسين بن روح النوبختي ، فقد أُمِرتُ أن أجعله في موضعي بعدي ، فارجعوا إليهِ ، وعوِّلوا في أموركم عليهِ ..][2] .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٥٠٢ بـ ٤٥ حـ ٢٩ -

[2] كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧

وفي لفظٍ آخر قبيل وفاة محمَّد بن عثمان حضر عليهِ جمع كبير من أعيانِ الشيعةِ لعيادتِهِ وتوديعِهِ فقال لهم : [هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبـي بحـر النـوبختي ، القـائم مقـامي ، والسـفير بيـنكم وبـين صـاحبِ الأمرِ عليه السلام والوكيل والثقة الأمين ، فارجعوا إليهِ في أموركم ، وعوِّلـوا عليـهِ في مهمَّاتِكم ، بذلك أُمرتُ ، وقد بلَّغت ..][1] .

ولقد قام الحسين بن روح بمهمّتِهِ بشكلٍ عـالٍ ومتعـاظم ، فـي ظـلِّ ظروفٍ صعبةٍ جدّاً ، وانتشـارٍ واسـعٍ للجواسـيس بعـد أن انتشـر خبـر أنَّ شيعة المهديِّ يراسلونَه ويراسلهم ، وله نواب ووسائط ، فكـان العبّاسـيّون في هذهِ الفترة يعتمدون وسـائل الإكـراه والسـجن والعنـف بشـكلٍ واسـعٍ كطريقة للإنتقامِ من المهديِّ وشيعتِهِ ..

وما تجدرُ الإشارةُ له أنَّ بعضَ رمـوزِ الشـيعة كـانوا يتوقَّعـون أن يكون « جعفر بن أحمد بن متيل » النائب بعد محمَّد بن عثمان لشدّة العلاقـةِ بينهما . حتى بلغ الأمرُ بمحمّد بن عثمان أواخرِ حياتـه أنـه كـان لا يتنـاول الطعام بشكلٍ إعتياديٍّ إلا في بيتِ جعفر بن أحمد . إلا أنَّ التوقيع صدرَ مـن الإمامِ المهديِّ عليه السلام بتنصيب الحسين بن روح ، بخلافِ أيِّ توقُّـعٍ .! - وهـذا دلالة العظمة - فما كان من جعفر بن أحمـد بـن متيـل إلا أن وضـع نفسـه بشكلٍ مقدَّسٍ ومتفانٍ بين يدي الحسـين بـن روح .. (لا شـكّ انّ هـذا سـرٌّ عظيم من أسرارِ العظمـة وروح الإيمـان ، ودليـل علـى حكمـة الله وربانيـة التسمية للسفراء ..) . وكان في كلِّ واحدٍ مـن سـفراء مولانـا المهـديِّ عليه السلام صفة وخصوصيَّة تُمكِّنُهُ من احتلال هـذا المقـام الرفيـع . وفـي طائفـة مـن

---

[1] كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧

النصوص ما يؤكِّد على بعض هذهِ الخصوصيّة في بعضهم مثلاً . فقد حدَّث أبو جعفر محمد بن علي الاسود رضي الله عنه قال : [سألني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه بعد موت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ، أن أسأل أبا القاسم الروحي ، أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله عزوجل أن يرزقه ولداً ذكراً قال : فسألته فأنهى ذلك ، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيُولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاد . قال أبو جعفر ، محمد بن علي الاسود رضي الله عنه ، وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً ، فلم يجبني إليه وقال : ليس إلى هذا سبيل . قال : فولد لعلي بن الحسين رضي الله عنه محمد بن علي وبعده أولاد ولم يولد لي شئ][1] .

وقد قال صاحب هذا المصدر الذي ننقل عنه :

« كان أبو جعفر محمد بن علي الاسود رضي الله عنه كثيراً ما يقول لي إذا رآني اختَلِفُ إلى مجلس شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد وأرغب في كتب العلم وحفظه : ليس بعجب أن يكون لك هذا (هذه) الرغبة في العلم ، أنت وُلِدتَ بدعاء الامام »[2] .

وفي رجال النجاشي عن علي بن الحسين ..؟ قال : علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو الحسن ، شيخ القميين في عصره ومتقدمهم وفقيههم وثقتهم . كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله وسأله مسائل ، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الاسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد ،

---

[1] كمال الدين : ص ٥٠٢ ب ٤٥ ح ٣١ -

[2] كمال الدين : ص ٥٠٢ ب ٤٥ ح ٣١ -

فكتب إليه : « قد دعونا الله لك بذلك ، وستُرزَق ولدين ذكرين خيِّرين » ، فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد . وكان أبو عبد الله ، الحسين بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر يقول : أنا وُلدتُ بدعوة صاحب الامر عليه السلام . ويفتخر بذلك[1] .

وعن محمد بن أحمد بن محمد الصيرفي المعروف بابن الدلال ، وغيرهما من مشايخ أهل قم : أنَّ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كانت تحته بنت عمِّهِ محمد بن موسى بن بابويه ، فلم يُرزَق منها ولداً ، فكتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه ، أن يسأل الحضرةَ أن يدعو اللهَ أن يرزقه أولاداً فقهاء ، فجاء الجواب : إنَّك لا ترزق من هذه ، وستملك جارية ديلمية وترزق منها ولدين فقيهين . قال : وقال لي أبو عبد الله بن سورة حفظه الله ، ولأبي الحسن بن بابويه رحمه الله ثلاثة أولاد محمد والحسين فقيهان ماهران في الحفظ ويحفظان ما لا يحفظ غيرهما من أهل قم ، ولهما أخ اسمه الحسن وهو الاوسط مشتغل بالعبادة والزهد لا يختلط بالناس ، ولا فقه له . وقال ابن سورة : كلَّما روى أبو جعفر وأبو عبد الله ابنا علي بن الحسين شيئاً يتعجَّب الناس من حفظهما ويقولون لهما : الشأن خصوصية لكما بدعوة الامام عليه السلام لكما . وهذا أمر مستفيض في أهل قم[2] .

وفي غيبة الطوسي قال : أخبرنا جماعة عن أبي الحسن ، محمد بن أحمد بن داود القمي قال : وجدتُ بخطِّ أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه على ظهر كتاب فيه جوابات

---

[1] رجال النجاشي : صـ ٢٦١ -

[2] رجال النجاشي .

ومسائل انفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني ، لانه حكي عنه أنه قال : هذه المسائل أنا أجبت عنها ، فكتب إليهم على ظهر كتابهم : [بسم الله الرحمن الرحيم ، قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته ، فجميعه جوابنا ، ولا مدخل للمخذول الضال المُضلّ المعروف بالعزاقري لعنه الله في حرف منه ، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن بلال وغيره من نظرائه ، وكان من ارتدادهم عن الاسلام مثلما كان من هذا ، عليهم لعنة الله وغضبه فاستثبت قديماً في ذلك فخرج الجواب : على من استثبت فإنه لا ضرر في خروج ما خرج على أيديهم وإن ذلك صحيح][1] .

وقال : روي قديماً عن بعض العلماء عليهم السلام والصلاة والرحمة أنه سُئِل عن مثل هذا بعينه في بعض من غضب الله عليه وقال عليه السلام : العلم علمنا ، ولا شيئ عليكم مِن كُفرِ مَن كَفَر ، فما صحَّ لكم ممَّا خرج على يده بروايةِ غيره له من الثقات رحمهم الله فاحمدوا الله واقبلوه ، وما شككتم فيه أو لم يخرج إليكم في ذلك إلا على يده فردُّوه إلينا لنصحّحه أو نُبطلَهُ ، والله تقدّست أسماؤه وجلَّ ثناؤه وليُّ توفيقكم ، وحسبنا في أمورنا كلها ونعم الوكيل[2] . وأضاف : قال ابن نوح : أوّل من حدَّثنا بهذا التوقيع أبو الحسين ، محمد بن علي بن تمام ، وذكر أنه كتبه من ظهر الدرج الذي عند أبي الحسن بن داود ، فلما قدم أبو الحسن بن داود قرأتُهُ عليه . وذكر أن هذا الدرج بعينه كتب به أهل قم إلى الشيخ أبي القاسم وفيه

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢٢٨ -

[2] غيبة الطوسي : صـ ٢٢٨ -

مسائل فأجابهم على ظهره بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي وحصل الدرج عند أبى الحسن بن داود . (نسخة الدرج) .

ففي مجموع هذهِ الشهادات تأكيد ضخم على الصفات التي تحلَّى بها الحسين بن روح من جهة ، كما تتضمَّن الإشارة المتنوِّعة إلى البيئة والظرف الضاغط جداً من قبل العباسيين . ومعلوم أنَّ فترة الحسين بن روح شكَّلت حلقة عميقة ، ودقيقة ، ومع ذلك استطاع أن يتصل بالشيعة والأتباع والفقهاء على نحوٍ متماسكٍ وقويٍّ ونافذ رغم الطغيان والعسس العباسي .

ومع نهاية فترة الحسين بن روح ، آلَ الأمر إلى علي بن محمَّد السمَّري . ومع قرب وفاة السمَّري (السفير الرابع) اشار الإمام ﷺ إلى بدء فترة الغيبة الكبرى .

وفي رواية أبي الحسين صالح بن شعيب الطالقاني رضي الله عنه في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد قال : حضرتُ بغداد عند المشايخ رضي الله عنهم ، فقال الشيخ أبو الحسن ، علي بن محمد السمري ، قدس الله روحه ، ابتداء منه : [رحم الله علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي . قال : فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم ، فورد الخبر أنه تُوفِّي ذلك اليوم . ومضى أبو الحسن السمري رضي الله عنه بعد ذلك في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة][1] .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٥٠٣ بـ ٤٥ حـ ٣٢ -

وقد حدَّث أبو محمد ، الحسن بن أحمد المكتب ، قال : كنتُ بمدينة السلام (بغداد) في السنة التي تُوفِّي فيها الشيخ علي بن محمد السمري ، قدس الله روحه ، فحضرتُهُ قبل وفاته بأيَّام فأخرج إلى الناس توقيعاً (من المهدي عليه السلام) نسخته :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، يا علي بن محمد السمري ، أعظم اللهُ أجرَ إخوانك فيك ، فإنَّك ميِّتٌ ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ، ولا تُوصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك . فقد وقعت الغيبةُ الثانية (التامة) . فلا ظهور إلا بعد إذن الله عزوجل ، وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب ، وامتلاء الارض جوراً ، وسيأتي شيعتي مَن يدعي المشاهدة ، ألَا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم السادس عُدنَا إليه وهو يجودُ بنفسه . فقيل له : مَن وصيُّك مِن بعدك ؟ فقال : لله أمرٌ هو بالغه . ومضى رضي الله عنه ، فهذا آخر كلام سمع منه][1] . وكانت التوقيعات زمن الوكلاء تتالى بشكلٍ متنوِّعٍ وواسع ، منها التكتُّم على إسم مولانا المهدي عليه السلام في ذلك الزمن لما يمكن أن يُصيب أتباعه والوكلاء والشيعة ، في ظل طلب عباسي وتنكيل متنامٍ . ففي رواية علي بن الحسن الدقاق وإبراهيم بن محمد قالا[2] : سمعنا علي بن عاصم

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٥١٦ ب ٤٥ ح ٤٤ -

[2] أصل السند هكذا : حدثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي رضي الله عنه قال : حدثني جعفر بن محمد بن مسعود وحيدر بن محمد بن السمرقندي قالا : حدثنا أبو النضر محمد بن مسعود قال : حدثنا آدم بن محمد البلخي قال : حدثنا علي بن الحسن الدقاق وإبراهيم بن محمد قالا :

الكوفي يقول : خرج في توقيعات صاحب الزمان : [ملعون ملعون ، مَن سمَّاني في محفل مِن الناس][1] . وكنَّا أشرنا إلى طائفة من النصوص يستفاد منها التكتُّم عن اسمهِ لجهة فترة الزمن ذاك لا غيره . فهذا النص وغيرهُ يوحي بالبيئة والضغط الشديد والممارسات الخطيرة التي كان يعتمدها العباسيّون ، إلى درجة انَّ ذكر إسم المهدي عليه السلام على لسان أحد كان يعني اتّهاماً له وتنكيلاً بهِ ..

ويمكنني القول : انّ الهجمة على الشيعة تفاقمت منذ زمن الإمام العسكري عليه السلام وتكثّفت جهودها مع علم العباسيين بأمر المهدي عليه السلام وولادتهِ . وطال أمد صدامهم وتنكيلهم وعسسهم زمن الوكلاء ، إلى أن أذن اللهُ ببدء الغيبة الكبرى .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٢ بـ ٤٥ حـ ١ -

حضور الملائكة عند ولادة المهدي عليه السلام

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ ولادة الأنبياء والأئمّة المنصوبين من قبل الله تعالى تُلازِمها أمورٌ إعجازية تدلُّ على فضل وعظمة وقيمة المولود الذي وُلد . هذا ما تؤكده طائفة النصوص في خصوص الأنبياء والأولياء الذين يُحيطُهم اللهُ تعالى بفضلِهِ ويُوكل إليهم نوعاً عظيماً من الإستخلاف وحمل العلم والدعوة إلى الهداية والرشاد ، وقيادة الأمّة .

وفي طوائف متعدِّدة أكَّدت النصوص نوعاً خاصّاً من الإعجاز المحفوف بولادة المهدي عليه السلام ، فقد حدَّثَ أبو علي الخيزراني عن جاريةٍ له كان أهداها لأبي محمد عليه السلام ، فلما أغار جعفر الكذَّاب على الدار جاءته فارَّةً مِن جعفر ، فتزوَّج بها ، قال أبو علي : فحدثتني أنها حضرت ولادةَ السيِّد عليه السلام (يعني المهدي) ، وأنَّ اسم أمِّ السيِّد عليه السلام صقيل (ويُقال لها أيضاً : نرجس) ، وأنَّ أبا محمد عليه السلام حدَّثَهَا بما يجري على عياله ، فسألته أن يدعو اللهَ عزَّ وجلَّ لها أن يجعل منيَّتَهَا قبله ، فماتت في حياة أبي محمد عليه السلام . وعلى قبرها لوحٌ مكتوبٌ عليه هذا قبرُ أمُّ محمَّد .

قال أبو علي : وسمعت هذه الجارية تذكر أنه لمَّا وُلِدَ السيِّدُ عليه السلام (أي المهدي) ، رأت له نوراً ساطعاً قد ظهَرَ منه وبلغ أفق السماء ، ورأيتُ طيوراً بيضاء تهبِطُ من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر

جسده ثم تطير ، فأخبَرْنَا أبا محمَّد ﷺ بذلك فضحك ، ثم قال : تلك الملائكة نزلت للتبرك بهذا المولود ، وهي أنصاره إذا خرج][1] .

ممَّا لا شكَّ فيه انّ هذا نوع خاص مِن العناية الربَّانيّة بالأنبياء والأولياء . والنصوص في هذا المعنى الإعجازي كثيرة .

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٣١ بـ ٤٢ حـ ٧ – حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار قال :

دلالات مقام الإمامة وعلامات التأييد الرباني

لا بدَّ هنا من الإشارة باختصار إلى أنَّ موضوع ولادة المهدي عليه السلام شكَّل حدثاً للفضائل والبركات والنِّعم الإعجازيَّة التي شملت العباد بعناوين مختلفة ، ويكفي المهدي عليه السلام انّه مُخلِّص البشريَّة ، والمُعدُّ لإقامة العدل ونشر دولة القرآن والعترة في ربوع الأرض كلِّها ، بل في كافّة الأرجاء التي تصلها يدُ الإنسان . حتى أنَّ الكثير من العامّة كانوا يقصدون بيت الإمام العسكري يريدون الدعاء أو قضاء حاجة أو شبه ذلك ، فكان يُلتَمسُ ذلك ببركة المهدي عليه السلام .

ففي روايةٍ ذات دلالة عميقة على أثر ونعمة ولادة المهدي عليه السلام انَّ طفلاً مريضاً يُعاني مِن مرضهِ ، فقصد رجلٌ بيتَ الإمامِ العسكريِّ عليه السلام لطلب ما مِن شأنِه أن يُستشفى بهِ ذلك الطفل ، فما كان مِن حكيمة إلا أن أعطتهم الميل الذي تمَّ اكتحال المهدي عليه السلام به . وذلك في خبرٍ طويل .

فقد قال « أبو جعفر » ، محمد بن علي بن أحمد البزرجي : [.. رأيت بـ « سر من رأى » رجلاً شابّاً في المسجد المعروف بـ « مسجد زبيدة » في شارع السوق ، وذكر أنه هاشمي مِن وُلدِ موسى بن عيسى ، لم يذكر أبو

جعفر اسمه ، وكنت أصلي فلما سلَّمت قال لي : أنت قمِّي أو رازي ؟ فقلت : أنا قميٌّ مجاور بالكوفة في مسجد أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال لي : أتعرف دار موسى بن عيسى التي بالكوفة ؟ فقلت : نعم ، فقال : أنا مِن وُلدِهِ . قال : كان لي أب وله أخوان وكان أكبر الاخوين ذا مال ولم يكن للصغير مال . فدخل على أخيه الكبير فسرق منه ستمائة دينار ،

فقال الاخ الكبير : أدخل على الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام وأسأله أن يلطف للصغير لعلّه يرد مالي فإنه حلو الكلام ، فلما كان وقت السحر بدا لي في الدخول على الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام ، قلت : أدخل على « أشناس التركي » صاحب السلطان فأشكو إليه ،

قال : فدخلتُ على أشناس التركي وبين يديه نرد يلعب به ، فجلستُ أنتظر فراغه ، فجاءني رسولُ الحسن بن علي عليه السلام فقال لي : أجب . فقمت معه ، فلما دخلتُ على الحسن بن علي عليه السلام قال لي : كان لك إلينا أوَّل الليل حاجة ، ثم بدا لك عنها وقت السحر . إذهب فإنَّ الكيس الذي أُخِذَ من مالك قد رُدَّ ولا تشكُ أخاك ، وأحسن إليه وأعطِه . فإنْ لم تفعل فابعثه إلينا لنعطيه ، فلما خرج تلقَّاهُ غلام يخبره بوجود الكيس .

قال أبو جعفر البزرجي : فلما كان مِن الغد حملني الهاشمي إلى منزله وأضافني ، ثم صاح بجارية وقال : يا غزال - أو يا زلال - فإذا أنا بجاريةٍ مُسنَّة ، فقال لها : يا جارية حدِّثي مولاكِ بحديث الميل والمولود . فقالت : كان لنا طفلٌ وجع ، فقالت لي مولاتي : امضي إلى دار الحسن بن علي عليه السلام فقولي لحكيمة : تعطينا شيئاً نستشفي به لمولودنا هذا ، فلما

مضيت وقلت كما قال لي مولاتي قالت حكيمة : ايتوني بالميل الذي كُحِّلَ به المولود (عليه السلام) الذي وُلِدَ البارحة . تعني ابن الحسن بن علي عليه السلام (المهدي) ، فأُتِيَت بميلٍ فدفعته إليَّ ، وحملتُهُ إلى مولاتي فكَحَّلَت به المولودَ فعوفي . وبقي عندنا ، وكُنَّا نستشفي به ثم فقدناه .

قال أبو جعفر البزرجي : فلقيتُ في مسجد الكوفة أبا الحسن بن برهون البرسي ، فحدثته بهذا الحديث عن هذا الهاشمي فقال : قد حدَّثني هذا الهاشمي بهذه الحكاية كما ذكرتها حذو النعل بالنعل سواء من غير زيادة ولا نقصان][1] .

وكما أشرتُ أعلاه : لقد شكَّلت ولادةُ الإمام المهدي عليه السلام العنصر الأكثر تعظيماً وقداسة في بشرى الإنسان من ذلك الزمان ، لما يعنيه من دورٍ وصفة ووظيفة عظَّمهُ اللهُ فيها .

فقد حدَّث أبو نصر ضرير الخادم فقال : دخلت على صاحب الزمان عليه السلام فقال لي : [عليَّ بالصندل الاحمر ، فأتيته به ، فقال : أتعرفني ؟ قلت : نعم ، قال : مَن أنا ؟ فقلت : أنت سيِّدي وابن سيدي . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قال ضرير فقلت : جعلت فداك فَسِّر لي ، فقال عليه السلام : أنا خاتم الاوصياء ، وبي رفع اللهُ البلاء عن أهلي وشيعتي][2] .

أقول : يكفي ما ورد في ذيل هذا النص من أنه عليه السلام خاتم الأوصياء . ففي هذهِ آية كبرى ومقام مذهل ، حيث هو الثاني عشر من أئمَّة أهل

---

[1] كمال الدين : جـ٢ صـ٥١٧ بـ٤٥ حـ٤٦ -

[2] إثبات الوصية : صـ٢٢١ -

البيت ﷺ الذي يُقيم دولة العدل والإسلام ، وينشر قيم الشريعة في آفاق كون الإنسان ، ويسير بالأمَّة العالميَّة نحو أقصى ممكناتِها في الحقبة الأخيرة من تاريخ البشر .

ولقد شكَّل حضورُ المهدي ﷺ نموذجاً عظيماً ، ومظهراً يدلُّ على شدَّة الحضور . حتى أنَّ شهادات التاريخ تشيرُ إلى وقائع جذَّابة جداً حول محضر المهدي ﷺ ، والروايات التاريخيّة في هذا المجال كثيرة ، منها ، ما رُوِي عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال : لما وصلتُ بغداد في سنة تسع وثلاثين (وثلاثمائة) للحج ، وهي السنة التي ردَّ القرامطةُ فيها الحجر إلى مكانه مِن البيت ، وكان أكبر همِّي الظفر بمَن ينصب الحجر ، لانه يمضي (كذا) ، ولعله في أثناء الكتب قصة أخذه وأنه ينصبه في مكانِهِ الحجَّة في الزمان ، كما في زمان الحجاج وضعه زينُ العابدين ﷺ في مكانه فاستقر .

يقول : فاعتللتُ علَّةً صعبةً خفتُ منها على نفسي ، ولم يتهيَّأ لي ما قصدتُ له ، فاستنبتُ المعروف بابن هشام ، وأعطيتُهُ رقعةً مختومة ، أسأل فيها عن مدَّة عمري ، وهل تكون المنيَّة في هذه العلَّة أم لا ؟ وقلت : همِّي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه ، وأخذ جوابه ، وإنما أندبك لهذا . قال : فقال المعروف بابن هشام : لما حصلت بمكة وعزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة ، تمكنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه ، وأقمت معي منهم مَن يمنع عني ازدحام الناس ، فكلما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم ، فأقبل غلام أسمر اللون ، حسن الوجه ، فتناوله ووضعه في مكانه فاستقامَ كأنه لم يزل عنه ، وعلت لذلك الاصوات ، وانصرف خارجاً من الباب ، فنهضتُ مِن مكاني أتبعه ، وأدفع

الناس عنّي يميناً وشمالاً ، حتى ظنَّ بي الاختلاط في العقل ، والناسُ يُفرجون لي ، وعيني لا تفارقه ، حتى انقطعَ عن الناس ، فكنتُ أُسرِعُ السيرَ خلفه ، وهو يمشي على تؤده ولا أدركه ، فلما حصل بحيث لا أحد يراه غيري ، وقف والتفت إلي فقال : [هات ما معك ، فناولته الرقعة ، فقال مِن غير أن ينظر فيها قل له : لا خوف عليك في هذه العلّة ، ويكون ما لا بد منه بعد ثلاثين سنة . قال : فوقع عليَّ الزمع حتى لم أطق حراكاً . وتركني وانصرف .

قال أبو القاسم : فأعلمني بهذه الجملة . فلما كان سنة تسع وستين اعتلَّ أبو القاسم فأخذ ينظر في أمره ، وتحصيل جهازه إلى قبره ، وكتب وصيَّتَهُ ، واستعمل الجد في ذلك . فقيل له : ما هذا الخوف ؟ وترجو أن يتفضَّل اللهُ تعالى بالسلامة فما عليك مخوفة . فقال : هذه السنة التي خوفت فيها . فمات في علته][1] .. والشهادات في هذا المجال قويَّة وشديدةُ التنوُّع في الزمان والمكان والأشخاص والصفات التي تحصل معهم مثل هذهِ الوقائع .

ومَن يقرأ الفترة التي حاول عبرها العبَّاسيُّون اغتيال الإمامة وإجهاض مشروعِها يذهله ما يقرأ ، ففي بعضها ترى حتى الخليفة العباسي لا يملك الإعتراض العلني ويقرُّ بفشل جعفر الكذَّاب في إثبات أمره . فهذا إنْ دلَّ على شيئٍ فإنّه يدلُّ على حرج الخليفة ضمن ظروف وأُطر خاصَّة في نفس الوقت الذي يدلُّ فيهِ على علو شأن الإمامة وعظيم أمرها . مع التأكيد على انَّ التعامل العباسي مع الإمامة وخطط العباسيين كانت تختلف من

---

[1] الخرايج : ج ١ صـ ٤٧٥ ب ١٣ ح ١٨ –

خليفة إلى آخر بسبب الظروف والأحوال السياسيَّة والأمنيَّة وعناصر مختلفة كانت تؤثِّر بشدَّة على بغداد ، ومعلوم انّ فترة ٢٥٠ للهجرة وحتى ما بعد ٢٧٠ للهجرة ، وقبل هذا التاريخ وبعد التاريخ الآخر كانت السلطة العباسيّة تعيش فترة اضطرابات وخلافات وتعارض فظيع بين العناصر المكوِّنة للجسم العسكري والسياسي في الخلافة العباسيّة ، بسبب الخلاف العربي التركي والفارسي بل الإنقسام أيضاً بين هذه العناصر ، فضلاً عن صراع الأمراء والولاة والإنفصال من جانب بعض الولاة وشبه ذلك ..

من هنا كان الشيعة والفقهاء والأتباع يستفيدون من انشغال الخلافة بأمورٍ تتعلَّق بالصراع على العرش وحمايتِه والخلافات بين الأمراء والولاة والحكَّام وشبه ذلك . بل في بعض الأحيان كان الخليفة يُغضي عن الفقهاء والشيعة وموقع الإمامة في محاولةٍ منه للتمترس الشعبي وإظهار بعض النفوذ في وجه الأتراك أو الأمراء أو الولاة الآخرين . ويمكننا قراءة بعض المتغيِّرات في بعض النصوص منها : ما حدَّثَ به أبو العباس أحمد بن الحسين بن عبد الله بن محمد بن مهران الابي العروضي رضي الله عنه بمرو قال : حدثنا أبو الحسين بن زيد بن عبد الله البغدادي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن سنان الموصلي قال : حدثني أبي قال :

[لما قبض سيِّدُنا أبو محمد ، الحسن بن علي العسكري عليه السلام وَفَدَ من قم والجبال وفودٌ بالاموال التي كانت تُحمَل على الرسم والعادة . ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام ، فلما أنْ وصلوا إلى « سر من رأى » سألوا عن سيِّدنا الحسن بن علي عليه السلام ؟ فقيل لهم : إنه قد فُقِد . فقالوا : ومَن وارثُهُ ؟ قالوا : أخوه جعفر بن علي . فسألوا عنه ؟ فقيل لهم : إنه قد خرج مُتَنَزِّهاً وركب زورقاً في الدجلة يشربُ ومعه المُغنُّون .

قال : فتشاور القومُ فقالوا : هـذه ليسـت مِـن صـفة الامـام . وقـال بعضهم لبعض : امضوا بنا حتى نَرُدَّ هذه الاموال على أصحابها . فقال أبـو العباس ، محمد بن جعفر الحميري القمي : قِفُوا بنا حتى ينصرفَ هذا الرجل ونختبر أمره بالصحَّة . قال : فلما انصرف دخلوا عليه فسلَّمُوا عليه وقالوا : يا سيِّدَنَا ، نحن مِن أهل قم ، ومعنا جماعة مِن الشيعة وغيرها ، وكُنَّا نحمل إلى سيِّدنا أبي محمد ، الحسن بن علي الأموالَ ؟ فقال : وأين هـي ؟ قـالوا : معنا . قال : احملوها إليَّ . قالوا : لا ، إنَّ لهذه الاموال خبـراً طريفـاً . فقـال : وما هو ؟ قالوا : إنَّ هذه الاموال تُجمَعُ ويكون فيها مِن عامة الشيعة الدينار والديناران ، ثم يجعلونها في كيسٍ ويختمون عليه ، وكُنَّا إذا وردنـا بالمـال على سيِّدنا أبي محمد عليه السلام يقول : جملةُ المال كذا وكذا ديناراً ، مِن عند فلان كذا ، ومِن عند فلان كذا ، حتى يأتي على أسماء الناس كلِّهم ، ويقول ما على الخواتيم مِن نقشٍ .

فقال جعفر : كذبتم . تقولون على أخي ما لا يفعله ، هذا علـمُ الغيـب ولا يعلمه إلا الله . قال : فلمَّا سمع القومُ كلام جعفر جعل بعضُهُم ينظر إلـى بعض . فقال لهم : احملوا هذا المال إليَّ . قالوا : إنَّا قومٌ مُستَأجرون وكـلاء لأربابِ المال ، ولا نُسلِّمُ المالَ إلا بالعلامـات التـي كُنَّـا نعرفهـا مِـن سـيِّدنَا الحسن بـن علـي عليه السلام ، فـإنْ كُنـتَ الامـام فبـرهن لنـا ، وإلا رددناهـا إلـى أصحابها ، يرونَ فيها رأيهم . قال : فدخل « جعفر » على « الخليفة » - وكان بـ « سر من رأى » - فاستعدى عليهم ، فلما أُحضِرُوا قال الخليفـة : احملـوا هذا المالَ إلى جعفر . قالوا : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ، إنَّا قومٌ مُستَأجرون ، وكلاء لأرباب هذه الاموال ، وهي وداعة لجماعة ، وأمرونا بأن لا نسلّمها إلا بعلامة ودلالة ، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد ، الحسن بن علي عليه السلام .

فقال الخليفة : فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمَّد قال القوم : كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي ؟ فإذا فعل ذلك سلَّمناها إليه . وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا . وقد مات ، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الامر فَلْيُقِم لنا ما كان يُقيمُهُ لنا أخوه ، وإلا رددناها إلى أصحابها . فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن هؤلاء قومٌ كذَّابون ، يكذبون على أخي ، وهذا علمُ الغيب . فقال الخليفة : القوم رُسُلٌ ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

قال : فبُهِت جعفر ولم يردّ جواباً . فقال القوم : يتطوَّل أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى مَن يبدرنا حتى نخرج من هذه البلدة . قال : فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها . فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجهاً ، كأنه خادم ، فنادي : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أجيبوا مولاكم . فقالوا : أنت مولانا . قال : معاذ الله ، أنا عبدُ مولاكم . فسيروا إليه .

قالوا : فسرنا [إليه] معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليه السلام ، فإذا ولدُهُ القائم سيدنا عليه السلام قاعد على سرير كأنه فلقة قمر ، عليه ثياب خضر ، فسلَّمنا عليه ، فردَّ علينا السلام ، ثم قال : جملة المال كذا وكذا ديناراً ، حمل فلان كذا ، [وحمل] فلان كذا ، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع . ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب ، فخررنا سُجَّداً لله عزَّوجلَّ شكراً لِمَا عرفنا ، وقبَّلنا الارضَ بين يديه ، وسألناه عمَّا أردنا فأجاب ، فحملنا إليه الاموال ، وأمَرَنَا القائمُ عليه السلام أن لا نحمل إلى « سر من رأى » بعدها شيئاً مِن المال . فإنه ينصبُ لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الاموال ويخرج من عنده التوقيعات ،

قال : فانصرفنا من عنده ، ودفَعَ إلى أبي العباس ، محمد بن جعفر القمي الحميري ، شيئاً مِن الحنوط والكفن فقال له : أعظم اللهُ أجرك في نفسك . قال : فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله . وكان بعد ذلك نحملُ الاموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين بها ، ويخرج من عندهم التوقيعات][1] .

قال مصنف هذا المصدر الذي ننقل عنه :

هذا الخبر يدلُّ على أنَّ الخليفةَ كان يعرف هذا الامر كيف هو (وأين هو) وأين موضعه . فَلِهَذا كفَّ عن القوم عمَّا معهم مِن الاموال ، ودفع جعفراً الكذَّاب عن مطالبتهم ولم يأمرهم بتسليمها إليه ، إلا أنه كان يحب أن يخفى هذا الامر ولا ينشر لئلَّا يهتدي إليه الناسُ فيعرفونه .

وكان جعفر الكذَّاب قد حمل إلى الخليفة عشرين ألف دينار لمَّا توفي الحسن بن علي عليه السلام وقال : يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته . فقال الخليفة :

اعلم أنَّ منزلة أخيك لم تكن بِنَا ، إنما كانت بالله عزوجل ، ونحن كُنَّا نجتهد في حطِّ منزلته والوضع منه ، وكان الله عزوجل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعةً لما كان فيه من الصيانة وحُسن السمت والعلم والعبادة . فإن كنتَ عند شيعةِ أخيك بمنزلته فلا حاجة بِكَ إلينا ، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نُغنِ عنك في ذلك شيئا][2] .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٧٦ بـ ٤٣ حـ ٢٦ –

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٧٦ بـ ٤٣ حـ ٢٦ –

إنَّ قراءة متن النص الأوَّل يظهر بشكلٍ أكيد تعاظم أمر الإمامة وضعف مركز الخلافة . ومعلوم انَّ الخلافة في هذهِ الفترات كانت تعيش أزمة خلل وضعف وإنْ كانت في نفس الوقت تعمل وبأشكالٍ متنوِّعة لإسقاط عظمة الإمامة ولو عبر دعم جعفر الكذاب بأنماط خفيَّة مرّةً وعلنيّةً مرّةً أخرى . أما قراءة متن النص الأخير فهو يشير إلى انَّ الخليفة كان يقرُّ بعظمة مقام الإمامة ، وانَّ الناس مهما فعلوا فلن يكون بمقدورهم إبطاله . لأنَّ رفعته من الله تعالى . وكفى بهذا وغيره دليلاً على عظمة الإمامة وعلوِّ شأنِها ..

والملفت في النصِّ الأوَّل أنَّ الشيعة كانوا على نحوٍ مُتمَاسكٍ دقيق في معرفة الإمام من غيره . وبين أيديهم من الصفات الظاهرة التي لا بدَّ أن يتحلَّى بها الإمامُ ما يساعدهم على الإختبار . وهذا ما امتازَ بهِ الشيعة في طول تاريخهم وتعاملهم مع الإمامة . بل هذا عنوان من عناوين الترويض الذي علَّمه أهلُ البيتِ عليهم السلام لأتباعِهم ولعامَّة أهل الحجّة واليقين . في حين ميزةُ الإمام عليه السلام انّه يُظهِرُ من البراهين التي لا تظهر إلا على يدِ معصوم له صلة بأسبابِ الغيب ، أي له صلة بالله تعالى . فتجد الإمام يجيبهم بتفاصيل مذهلة عن الأموال والأسماء وأسباب المال بين حلٍّ وحرام كما أشرنا إلى كثيرٍ من النصوص والطوائف الواردة في هذا المجال .

وكما ترى : أحاول هنا سرد شهادات تاريخيَّة ذات تماس واقعي مع قضايا تتَّصل ببيئة ذلك الزمن ومعانيه ، لما فيها من دلالات بالغة حول البيئة وعناصر المكوِّن العام التي تعكس قضيَّة مولانا المهدي وعظيم سطوعِهِ وتلاقي قضايا الناس حوله ، وبلوغ صيتِهِ مرحلةَ الإتِّفاق العام بل المنتشر على نوعٍ بالغٍ من إعجازِ أمرهِ عليه السلام .

حتى انَّ الأعرابي في البيداء ، أو التاجر في البلد الفلاني ، أو الساكن ريف المُدن ، أو البعيد في الآفاق تراهُ يـذكر المهـديَّ (عليه السلام) وقصّـة الإعجـاز البالغ ومدى الإنتشار الهائل لحضورهِ (عليه السلام) في قضايا وأمور مختلفـة . بـل بعضُهم كان يستدلُّ على الإمامة زمن جعفر الكّذاب بطُرق لا يمكـن أن يـتمَّ الكشفُ عنها إلا عبر طريق الإعجـاز حصـراً ، بحيـث يرصـد للدلالـة علـى الإمامة عناوين لا يمكن معرفتُها إلا عن طريق الغيب الذي لا يعلمه إلا الله أو من اتّصل بعلم الغيب عن طريق الله تعالى كالمعصوم (عليه السلام) .

وقد ورد بـين يـدينا كثيـرٌ مـن هـذه الروايـات التـي تعـدَّدَ راويهـا وساكنها بين مدنٍ وآفاق ، بين حضرٍ وبيداء ، بين قريبٍ وبعيد ، بـين عـدوٍّ وصديق ، حتى انتشر صيتُ المهدي بصورةٍ تهتزُّ الأنفس معها عند السماع بإسمِهِ روحي وأرواح العالمين فدى مقدمه الشريف .

فمن تلك الوقائع ما أخبر عنه محمد بن شاذان بن نعيم قال : [بعث رجلٌ مِن أهل « بلخ » بمالٍ ورقعةٍ ليس فيها كتابة قد خطّ فيها بأصبعه كمـا تدور مِن غير كتابة . وقال للرسول : احمل هذا المال فمَـن أخبـرك بقصَّـتِهِ وأجاب عن الرقعة فأوصل إليه المال . فصار الرجل إلى العسكر ، وقد قصد جعفراً (الكذاب) وأخبره الخبر . فقال له جعفر : تقر بالبداء ؟ قـال الرجـل : نعم ، قال له : فإنَّ صاحبك قد بدا له وأمرك أن تعطيني المال .

فقال له الرسول : لا يقنعني هذا الجواب . فخـرج مـن عنـده وجعـل يدور على أصحابنا فخرجت إليه رقعة قال : [هذا مـال قـد كـان غـرر بـه ، وكان فوق صندوق ، فدخل اللصوص البيت وأخذوا ما في الصندوق وسلم المال . وردت عليه الرقعة وقد كتب فيها كما تدور . وسألت الدعاء فعـل الله

بك وفعل][1] . فلمَّا رأى صاحبها ما رأى انذهل من عظمة ما يرى .! فلم يملك إلا أن وقع على الأرض باكياً لشدَّة العظمة التي ركَّزها اللهُ تعالى في مقام الإمامة والدلالة عليها .

إنَّ هذهِ وأخواتها تشكِّل دليلاً جبَّاراً على الحضور الضخم الذي أرساهُ موضوع المهدي (عليه السلام) روحي فداه في تلك الفترة التي شَقِيَ العباسيُّونَ وهم يبذلون جهداً بالغاً لإبطال الإمامة أو نصب جعفر الكذاب فيها ليكون عنصر تدمير لمعنى الإمامة ومواصفاتِها . بتعبيرٍ آخر : لا يمكن على الإطلاق أن يحتلَّ شخصٌ ما مقامَ الإمامة وهو ليس فيها إلا ويسقط . وصفحات التاريخ والشهادات الحيَّة الضخمة والمتنوِّعة خيرُ دليلٍ على ذلك . بل تقرأ ببعض التواقيع المقدَّسة من مولانا المهدي (عليه السلام) إحالة إلى السؤال لمَن يدَّعي المقام أو يحاول التشبيه والتمويه على الناس . وقد اشتهر فقهاءُ الشيعة بهذا أعظم اشتهار ، وهذا من تأييد وتعليم أئمَّتنا (عليهم السلام) ..

فقد حدَّث الشيخ الصدوق ، أحمد بن إسحاق بن سعد الاشعري رحمه الله ، أنه جاءه بعض أصحابنا يُعلِمُهُ أنَّ جعفر بن علي (الكذاب) كتَبَ إليه كتاباً يعرِّفُهُ فيه نفسه ، ويعلِّمه أنه القيِّمُ بعد أخيه [الإمام العسكري] ، وأنَّ عنده مِن علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه ، وغير ذلك من العلوم كلِّها .

(قال أحمد بن إسحاق) : فلمَّا قرأتُ الكتابَ كتبتُ إلى صاحب الزمان (عليه السلام) وصيَّرتُ كتاب جعفر في درجه ، فخرج الجواب إليَّ في ذلك :

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٧٦ ب ٤٣ ح ٢٦ – كمال الدين : ج ٢ ص ٤٨٨ ب ٤٥ ح ١١ – قال حدثنا أبي – رضي الله عنه – عن سعد بن عبد الله ، عن أبي حامد المراغي عن

[بسم الله الرحمن الرحيم ، أتاني كتابُك أبقاكَ اللهُ ، والكتاب الذي أنفذته درجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على اختلاف ألفاظه ، وتكرر الخطأ فيه ، ولو تدبرته لوقفت على بعض ما وقفت عليه منه ، والحمد لله رب العالمين حمداً لا شريك له على إحسانه إلينا ، وفضله علينا ، أبى الله عزَّ وجلَّ للحقِّ إلا إتماماً ، وللباطل إلا زهوقاً ، وهو شاهد عليَّ بما أذكره ، ولي عليكم بما أقوله إذا اجتمعنا ليومٍ لا ريب فيه ويسألنا عمَّا نحن فيه مختلفون . إنه لم يجعل لصاحب الكتاب على المكتوب إليه ولا عليك ولا على أحدٍ من الخلق جميعاً إمامة مفترضة ولا طاعة ولا ذمة ، وسأبيِّنُ لكم جملة تكتفون بها إن شاء الله تعالى .

يا هذا ، يرحمك الله ، إنَّ اللهَ تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سدىً ، بل خلقهم بقدرتِه وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ، ثم بعث إليهم النبيين عليهم السلام مبشِّرين ومنذرين ، يأمرونهم بطاعته ، وينهونهم عن معصيته ، ويعرِّفونهم ما جهلوهُ من أمر خالقهم ودينهم ، وأنزل عليهم كتاباً ، وبعث إليهم ملائكة ، يأتين بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم ، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة ، فمنهم مَن جعل النار عليه برداً وسلاماً واتخذه خليلاً ، ومنهم مَن كلَّمَهُ تكليماً وجعل عصاهُ ثعباناً مبيناً ، ومنهم مَن أحيى الموتى بإذنِ الله وأبرأ الاكمه والابرص بإذن الله ، ومنهم مَن علَّمَهُ منطق الطير وأُوتي مِن كلِّ شيئ ، ثم بعث محمدا صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين ، وتمَّمَ به نعمتَهُ ، وختم به أنبياءه ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر مِن صدقه ما أظهر ، وبيَّنَ من آياته وعلاماته ما بيَّن ، ثم قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً ، وجعل الامر بعده إلى أخيه وابن عمِّهِ ووصيِّهِ ووارثه علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم إلى

الاوصياء من وُلدِهِ واحداً واحداً ، أحيى بهم دينَهُ ، وأتمَّ بهم نـوره ، وجعـل بينهم وبين إخوانهم وبني عمِّهم والادنين فالادنين من ذوي أرحامهم فرقاناً بيِّناً يعرف به الحجة من المحجوج ، والامام من المأموم ، بأن عصمهم مـن الذنوب ، وبرَّأهم من العيوب ، وطهَّرهم من الـدنس ، ونـزَّههم مـن اللـبس ، وجعلهم خُزَّان علمِهِ ، ومستودع حكمتِهِ ، وموضعَ سرِّهِ ، وأيَّدَهُم بالدلائل ، ولولا ذلك لكان الناس على سواء ، ولادَّعَى أمر الله عزوجل كلُّ أحد ، ولِمَـا عُرِفَ الحقُّ من الباطل ، ولا العالم من الجاهل .

وقد ادَّعى هذا المُبطِلُ المفتري على الله الكذبَ بما ادَّعاهُ ، فـلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه ، أبفقهٍ في ديـن الله ! فـوالله مـا يعـرف حلالاً من حرام ، ولا يفرِّقُ بين خطأ وصواب . أم بعلم ؟ فما يعلم حقّـاً مـن باطل ، ولا مُحكماً من متشابه ، ولا يعرف حدَّ الصـلاة ووقتهـا . أم بـورع ! فاللهُ شهيد على تركـه الصـلاة الفـرض أربعـينَ يومـاً ، يـزعم ذلـك لطلـب الشعوذة ، ولعل خبره قد تأدَّى إليكم ، وهاتيك ظروف مسـكره منصـوبة ، وآثار عصيانه لله عزوجل مشهورة قائمة . أم بآية ! فليأتِ بها ، أم بحجّـة ! فليُقمهَا ، أم بدلالة ! فليذكرها . قال الله عزوجل في كتابـه بسـم الله الـرحمن الرحيم : ﴿ حم ﴿١/٤٦﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢/٤٦﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَـرُوا عَمَّـا أُنـذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣/٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْـمٍ إِن كُنـتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤/٤٦﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَـى يَـومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥/٤٦﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَـانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦/٤٦﴾ ، فالتمس تولَّى اللهُ توفيقك من هذا الظالم ما ذكرتُ

لك ، وامتحنه وسلْهُ عن آية من كتاب الله يفسِّرها ، أو صلاة فريضة يُبيِّن حدودها ، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره ، ويظهر لك عوارُهُ ونقصانُهُ ، واللهُ حسيبه . حفظ اللهُ الحقَّ على أهله ، وأقرَّهُ في مستقره ، وقد أبى الله عزوجل أن تكون الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام ، وإذا أذن اللهُ لنا في القول ظهر الحق ، واضمحل الباطل ، وانحسر عنكم . وإلى الله أرغب في الكفاية ، وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآل محمد][1] .

وفعلاً تمَّ اختبار جعفر بِصيَغ بسيطة ، فما كان منه إلا أن نفر وجرَّى رداءهُ وهو يصرخُ قائلاً : يسألونني عن الغيب ..! ومرّةً أخرى يعتذر بالتعب ، وثالثةً يعتذر بانشغال البال ، وشبه ذلك . ما أبطل أمرهُ واسقط حاله حتى بدا عاجزاً ذليلاً ، قد خاب أمرهُ وخاب أمرُ من حاول أن يستتر بهِ لإبطال الإمامة التي حفظها اللهُ بلطفِهِ العظيم .

بل في بعضها تعرض لنا النصوص مواقف مباشرة من المهدي عليه السلام لعَمِّه جعفر الذي ضاقَ ذرعاً ، وحاول ما أمكن استقطابَ الشيعة بدعمٍ مُتمَاسِكٍ من العباسيين ، فما يكون منه إلا أن يُعلن العجز

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٧٤ – وبهذا الاسناد . كما ورد في الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٤ حـ ٢٩ – علي بن محمد قال : [باع جعفر فيمن باع صبيَّةً جعفرية كانت في الدار يربونها ، فبعث بعض العلويين وأعلم المشتري خبرها ، فقال المشتري : قد طابت نفسي بردها وأن لا أرزأ من ثمنها شيئا فخذها ، فذهب العلوي فأعلم أهل الناحية الخبر فبعثوا إلى المشتري بأحد (كذا) وأربعين دينارا ، وأمروه بدفعها إلى صاحبها] . وفي كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٩ بـ ٤٥ ذيل حديث ١٢ – قال (حدثنا أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن الصالح) ولما ورد نعي ابن هلال لعنه الله جاءني الشيخ فقال لي : أخرج الكيس الذي عندك ، فأخرجته إليه فأخرج إلي رقعة فيها : [وأما ما ذكرت من أمر الصوفي المتصنع – يعني الهلالي – فبتر الله عمره ، ثم خرج من بعد موته ، فقد قصدنا فصبرنا عليه فبتر الله تعالى عمره بدعوتنا ، .] ..

أمام كلٍّ من حضر . ويشيع ذلك في الناس . حتى اصبح حديثَ الناس فيه وفي عجزِهِ ، مُقِرِّين بعظمة مقام الإمامة وحفظ الله ورعايته لمولانا المهدي عليه السلام .

ففي رواية محمد بن صالح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولى الرضا عليه السلام قال : خرج صاحبُ الزمان عليه السلام على جعفر الكذاب من موضع لم يعلم به عندما نَازَعَ في الميراث بعد مُضيِّ أبي محمد عليه السلام فقال له : [يا جعفر ، ما لك تعرض في حقوقي ! فتحيَّرَ جعفر وبُهِت . ثم غاب عنه ، فطلبه جعفر بعد ذلك في الناس فلم يره . فلمَّا ماتت الجدة أم الحسن أمرت أن تُدفن في الدار ، فنازعهم وقال : هي داري لا تُدفن فيها . فخرج عليه السلام فقال : يا جعفر أدَارُكَ هي ؟ ثم غاب عنه فلم يره بعد ذلك][1] . فما كان من جعفر إلا أن ارتعد واضطرب ، وهو يقول : واللهِ لقد تحيَّرتُ في أمري .. لا شك أنَّ هذه المقطوعات جزء لفظي بالغ يشير إلى مقامات عمليَّة ومشاهد ملحمية تحتضن الكثير من الدلالات رغم ضمور اللفظ عن بيان المعنى التجسيدي الكثير في مثل هذهِ الوقائع وتلك المشاهد ..

ثم كانت بعض التواقيع المقدّسة - وهي عديدة وكثيرة - التي تُركِّز على أهل الشكّ ، فتذكِّرهم أمر الله وحجّته البالغة ، وانّه لا تخلو الأرضُ من حجّة ، وانَّه كلّما أفل نجمٌ طلع نجم من حُجَجِ الله تعالى وكواكبه البررة ، وانّ الأمر سارٍ في البشر إلى يوم الدِّين لئلا يكون للناس على الله حجّة . ففي رواية علي بن إبراهيم الرازي قال : حدثني الشيخ الموثوق به بمدينة

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٤٢ بـ ٤٣ حـ ١٥ - حدثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي العمري رضي الله عنه قال : حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود ، عن أبيه قال : حدثنا جعفر بن معروف ، عن أبي عبد الله البلخي ، عن :

السلام (قال :) تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف عليه السلام ، فذكر ابن أبي غانم أنَّ أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له . ثم إنهم كتبوا في ذلك كتاباً وانفذوه إلى الناحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه . فورد جواب كتابهم بخطِّهِ عليه وعلى آبائه السلام :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، عافانا اللهُ وإياكم من الضلالة والفتن ، ووهب لنا ولكم روحَ اليقين ، وأجارنا وإياكم مِن سوء المنقلب ، إنه أُنهي إليَّ ارتيابُ جماعةٍ منكم في الدِّين ، وما دخلهم مِن الشك والحيرة في وُلَاةِ أمورهم ، فغمَّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنَّ الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره ، والحقّ معنا فلن يوحشنا مَن قعد عنَّا ، ونحن صنائع ربِّنا ، والخلق بعدُ صنائعنا . يا هؤلاءِ ، ما لكم في الريب تتردَّدُون ، وفي الحيرة تنعكسون ، أوَمَا سمعتم اللهَ عزوجل يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ، أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ممَّا يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقين منهم عليهم السلام ؟ أوما رأيتم كيف جعل اللهُ لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم عليه السلام إلى أن ظهر الماضي عليه السلام ، كلما غاب علمٌ بدا علم ، وإذا أفل نجمٌ طلع نجم ؟ فلما قبضه اللهُ إليه ظننتم أنَّ الله تعالى أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه ! كلا ، ما كان ذلك ، ولا يكون حتى تقوم الساعة . ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون . وإن الماضي عليه السلام مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل ، وفينا وصيَّتُهُ وعلمُهُ ، ومن هو خلفه ومَن هو يسدُّ مسدَّهُ ، لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم ، ولا يدَّعيه دوننا إلا جاحدٌ كافر ، ولولا أن أمر الله تعالى لا يغلب ، وسرّه لا يظهر ولا يعلن ، لظهر لكم مِن حقِّنا ما تبين منه عقولكم ، ويزيل شكوككم ، لكنه ما شاء الله

كان ، لكل أجل كتاب ، فاتقوا الله وسلّموا لنا ، وردُّوا الامر إلينا ، فعلينا الاصدار كما كان منا الايراد ، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم ولا تميلوا عن اليمين ، وتعدلوا إلى الشمال ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنة الواضحة ، فقد نصحتُ لكم والله شاهد عليَّ وعليكم . ولولا ما عندنا من محبَّةِ صلاحكم ورحمتكم والاشفاق عليكم لكنَّا عن مخاطبتكم في شغلٍ فيما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال المتتابع في غيِّه ، المضاد لربِّه ، الداعي ما ليس له ، الجاحد حق من افترض الله طاعته ، الظالم الغاصب ، وفي ابنة (كذا) رسول الله ﷺ لي أسوة حسنة ، وسيردي الجاهل رداءة عمله ، وسيعلم الكافر لِمَن عقبى الدار . عصمنا الله وإياكم من المهالك والاسواء والآفات والعاهات كلها برحمته ، فإنه وليُّ ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً ، والسلام على جميع الاوصياء والاولياء والمؤمنين ، ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما][1] .

فلمّا ورد التوقيع من الناحية ، ترادّ الجماعة الحُجَج ، وتثبَّتوا من البراهين ، فوقفوا على انَّ المسلمين كلّهم متّفقين على انّه لا بدّ من إمام ، وانّه من مات ولا يعرف إمام زمانِه مات ميتة جاهليّة ، وان النبي ﷺ أكَّد الأمر من بعده بإثني عشر كلّهم من قريش من بني هاشم ، وانَّ أمر المهدي عليه السلام أشهر في حديث النبيِّ ﷺ من حديث الولاة والحكَّام ، وانَّ أبا محمَّد عليه السلام أخبر من أخبر وأظهره لمن أظهرهُ ، وانّ الشبهة التي تابعها بنو

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٧٢ - (أخبرني) جماعة عن أبي محمد التلعكبري ، عن أحمد بن علي الرازي عن الحسين بن علي القمي (قال : حدثني) محمد بن علي بن بنان الطلحي الآبي ، عن علي بن محمد بن عبدة النيسابوري قال : حدثني

العباس وبنّوها لا يجوز أن تحول دون رؤية الحقيقة . فما إنْ قرءوا التوقيع حتى أصابتهم الرهبة من عظمة الخطاب فأقروا واعترفوا ..

ولقد رأى الفقهاء وأهل الخبرة والأتباع من تواقيع الناحية ما يذهلهم ، حتى أنَّ المعصوم ﷺ كان يُخبرهم بما سيقع ، فلا يشكُّ أحدٌ من أهل الإعتقاد أو غيرهِ به ، لشدّة صدق ما تشيرُ إليه الناحية . حتى اشتهر في الناس أنّ ما يأتي من الناحية هو الحقُّ اليقين . بل في عيون المعجزات عن الحصني قال : [خرج في أحمد بن عبد العزيز توقيع أنه قد ارتدَّ . فتبين ارتداده بعد التوقيع بأحد عشر يوماً][1] .

بحيث شكَّلت تواقيع الناحية حدثاً مذهلاً ، أصبح حديث الخاص والعام ، وعبره بدا مقام الإمامة على لونٍ مُقَدَّس ، يتضمَّن عظمة الإمامة وحقّانيّتها . وكم قرأنا في الروايات مَن اعتقد بعد جُحدٍ ، ومن تاب بعد عصيان ، ومن انذهل من شدّة ما اطّلع ورأى ، ومن صاح بأعلى صوتهِ : ﴿ أنه أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .. وكثير كثير من هذه المعاني وتلك ..

---

[1] عيون المعجزات : صـ ١٤٦ -

نماذج لبعض مَن تشرَّف برؤيته ﷺ في الغيبة الصغرى

أوَّلاً لا بدَّ من إبداء هذه الملاحظة :

وُلِد الإمام المهدي ﷺ عام ٢٥٥ للهجرة ، وتُوفِّي الإمام الحسن العسكري ﷺ عام ٢٦٠ للهجرة . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الغيبة الصغرى ، وظلت حتى تُوفِّي علي بن محمّد السمري سنة ٣٢٩ هجريّة . وبذلك انتهت الغيبة الصغرى ، وبدأت الغيبة الكبرى . جعلنا اللهُ تعالى من الثابتين على أمرهم ﷺ .

وموضوع هذا العنوان : بعض أولئك الذين تشرَّفُوا برؤية الإمام ﷺ في تلك الفترة من الغيبة الصغرى .

أمَّا ما قبل الغيبة فقد أشرنا بالعديد من الروايات إلى انَّ الكثيرين فازوا برؤية الإمام المهدي ﷺ حتى منذ الأيَّام الأولى لولادتِهِ ﷺ . بل في المجلس الواحد كان بعض الأحيان العشرات يرون المهدي ﷺ . وقد استعرضنا في ذلك طوائف وروايات شديدة التنوُّع والدلالة ، بل شديدة الإختزان الوصفي والتاريخي لأحوال البيئة والظروف التي تحيط بالإمامين العسكري والمهدي ﷺ .

من هنا فإنَّني أُفرد هذا المُلخَّص البسيط لعرض شهادات ذات بُعد تاريخي عن رُؤيا مولانا الإمام المهدي (عليه السلام) في تلك الفترة زمن الغيبة الصغرى .

فقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله بن صالح أنه رآهُ (عليه السلام) عند الحجر الاسود والناس يتجاذبون عليه وهو يقول : [ما بهذا أُمروا][1] . وقد أشرنا إلى هذه المروية بطولِ أحداثها وتعدُّد عناصرها ودلالاتِها في فصلٍ سابق .

وفي رواية محمد بن علي ، عن محمد بن أحمد بن خلف قال : [نزلنا مسجداً في المنزل المعروف بالعباسية ، على مرحلتين من فسطاط مصر ، وتفرَّق غلماني في النزول ، وبقي معي في المسجد غلام أعجمي . . وفي زاويته شيخا كثير التسبيح ، فلما زالت الشمس ركعتُ وصلَّيتُ الظهرَ في أول وقتها ، ودعوت بالطعام وسألتُ الشيخ أن يأكل معي ، فأجابني ، فلما طعمنا سألت عن اسمه واسم أبيه وعن بلده وحرفته ومقصده ، فذكر أن اسمه محمد بن عبد الله ، وأنه من أهل قم ، وذكر أنه يسيح منذ ثلاثين سنة في طلب الحق ويتنقل في البلدان والسواحل ، وأنه أوطن مكة والمدينة نحو عشرين سنة يبحث عن الاخبار ويتبع الآثار ،

فلما كان في سنة ثلاث وتسعين ومائتين طاف بالبيت ثم صار إلى مقام إبراهيم (عليه السلام) ، فركع فيه ، وغلبته عينه فانبَهَهُ صوتُ دعاءٍ لم يجر في سمعه مثله ، (قال) : فتأمَّلت الداعي فإذا هو شاب أسمر ، لم أرَ قط في حُسنِ صورته واعتدالِ قامته . ثم صلَّى فخرج وسعى ، فاتبعته وأوقع الله

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٣١ حـ ٧ - علي بن محمد ، عن محمد بن علي بن إبراهيم ..

عزوجل في نفسي أنه صاحب الزمان عليه السلام ، فلمَّا فرغ من سعيه قصد بعض الشعاب ، فقصدت أثره ، فلمَّا قربت منه إذ أنا بأسوَد مثل الفنيق قد اعترضني ، فصاح بي بصوتٍ لم أسمع أهول منه : ما تريد عافاك الله ؟ فارعدتُ ووقفتُ ، وزال الشخص عن بصري وبقيت متحيراً .

فلما طال بي الوقوف والحيرة انصرفت ألومُ نفسي وأعذلها بانصرافي بزجرة الأسود ، فخلوتُ بربِّي عزوجل أدعوهُ وأسأله بحق رسوله وآله صلى الله عليه وآله أن لا يُخيِّب سعيي وأن يظهر لي ما يثبت به قلبي ويزيد في بصري ، فلما كان بعد سنين زرتُ قبر المصطفى صلى الله عليه وآله ، فبينا أنا أُصلِّي في الروضة التي بين القبر والمنبر إذ غلبتني عيني فإذا محرِّك يحركني فاستيقظت فإذا أنا باسود فقال : ما خبرك ؟ وكيف كنت ؟

فقلت : الحمد لله . فقال : لا تفعل ، فإني أمرت بما خاطبتك به . وقد أدركت خيراً كثيراً فطب نفساً وازدد مِن الشكر لله عزوجل على ما أدركت وعاينت ، ما فعل فلان ؟ وسمَّى بعض إخواني المستبصرين ، فقلت : ببرقة ، فقال : صدقت ، ففلان ؟ وسمَّى رفيقاً لي مجتهداً في العبادة مستبصراً في الديانة ، فقلت : بالاسكندرية ، حتى سمَّى لي عدَّةً من إخواني ، ثم ذكر اسماً غريباً فقال ؟ ما فعل نقفور ؟ قلت : لا أعرفه ، فقال كيف تعرفه وهو رومي ؟ فيهديه اللهُ فيخرج ناصراً مِن قسطنطينية ، ثم سألني عن رجل آخر ، فقلت : لا أعرفه ، فقال هذا رجل من أهل هيت من أنصار مولاي عليه السلام ، امض إلى أصحابك فقل لهم : نرجو أن يكون قد أذن الله في الانتصار للمستضعفين وفي الانتقام من الظالمين ، ولقد لقيت جماعة من أصحابي وأدّيت إليهم وأبلغتهم ما حملت وأنا منصرف ، وأشير عليك أن لا تتلبس بما يثقل به ظهرك ، ويتعب به جسمك ، وأن تحبس نفسك

على طاعة ربك ، فإن الامر قريب إنْ شاء الله تعالى . فأمرت خازني فأحضر لي خمسين ديناراً وسألته قبولها ، فقال : يا أخي قد حرم الله علي أن آخذ منك ما أنا مستغنٍ عنه كما أحلَّ لي أن آخذ منك الشيئ إذا احتجت إليه ، فقلت له : هل سمع هذا الكلام منك أحد غيري من أصحاب السلطان ؟ فقال : نعم أحمد بن الحسين الهمداني المدفوع عن نعمته بآذربيجان ، وقد استأذن للحج تأميلاً أن يلقى مَن لقيت ، فحج أحمد بن الحسين الهمداني رحمه الله في تلك السنة فقتله ذكرويه بن مهرويه ، وافترقنا وانصرفت إلى الثغر ، ثم حججت فلقيت بالمدينة][1] .

لا شكَّ أنَّ هذه الرواية تشير إلى الظرف الذي كان يُحيط بالامام المهدي عليه السلام من السلطة وأنماط رقابتها في أوَّلِ غيبته ، ومدى الضغط الذي كانت تمارسه السلطة للقبض على المهدي عليه السلام . وقد وقع هذا مِن الراوي زمن الغيبة الصغرى . لأنَّ الراوي يقول إنه بحث عشرات السنين حتى كانت سنة ٢٣٩ هـ ، وقد كانت وفاة الامام العسكري عليه السلام وبداية الغيبة سنة ٢٦٠ هـ .

وفي محضرٍ تاريخيٍّ آخر قال أبو نعيم الانصاري الزيدي : كنت بمكة عند المستجار وجماعة من المقصرة وفيهم المحمودي ، وعلان الكليني ، وأبو الهيثم الديناري ، وأبو جعفر الاحول الهمداني ، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً ، ولم يكن منهم مخلص علمتُهُ غير محمد بن القاسم العلوي العقيقي ، فبينا نحن كذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين من الهجرة إذ خرج علينا شابٌّ مِن الطواف عليه ازاران

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٥٣ - وبهذا الاسناد (أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري) عن أحمد بن علي الرازي ، قال

مُحرِمٌ [بهما] ، وفي يده نعلان ، فلما رأيناهُ قمنا جميعاً هيبةً له ، فلم يبقَ مِنَّا أحدٌ إلا قام وسلَّمَ عليه ، ثم قعد والتفتَ يميناً وشمالاً ، ثم قال : [أتدرون ما كان أبو عبد الله عليه السلام يقول في دعاء الالحاح ؟ قلنا وما كان يقول ؟ قال : كان يقول : « أللهم إنِّي أسألك باسمك الذي به تقوم السماء ، وبه تقوم الارض ، وبه تفرِّقُ بين الحق والباطل ، وبه تجمع بين المتفرِّق ، وبه تُفرِّق بين المجتمع ، وبه أحصيتَ عدد الرمال وزِنَةَ الجبال وكيل البحار ، أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً » . ثم نهض فدخل الطواف ، فقمنا لقيامه حين انصرف ، وأُنسينا أن نقول له : مَن هو ؟ فلما كان من الغد في ذلك الوقت خرج علينا مِن الطواف فقمنا كقيامنا الاول بالامس ، ثم جلس في مجلسه مُتَوَسِّطاً ، ثم نظرَ يميناً وشمالاً قال : أتدرون ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول بعد صلاة الفريضة ؟ قلنا : وما كان يقول ؟ قال كان يقول : « أللهم إليك رُفِعَت الاصوات [ودُعِيَت الدعوات] ولك عنت الوجوه ، ولك خضعت الرقاب ، وإليك التحاكم في الاعمال ، يا خير مسؤولٍ وخيرَ مَن أعطى ، يا صادق يا بارئ ، يا مَن لا يخلف الميعاد ، يا من أمَرَ بالدعاء وتكفَّل بالاجابة ، يا من قال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، يا مَن قال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي ، وَلْيُؤْمِنُواْ بِي ، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ، يا من قال : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، ثم نظر يميناً وشمالاً بعد هذا الدعاء فقال : أتدرون ما كان امير المؤمنين عليه السلام يقول في سجدة الشكر ؟ قلنا : وما كان يقول ؟ قال كان يقول : « يا من لا يزيده إلحاحُ المُلحِّين إلا جوداً وكرماً ، يا مَن له خزائن السماواتِ والارض ، يا مَن

له خزائن ما دقَّ وجلَّ ، لا تمنعك إساءتي مِن إحسانك إليَّ ، إنِّي أسألك أن تفعل بي ما أنت أهله ، وأنت أهل الجود والكرم والعفو ، يا ربَّاهُ ، يا أله ، افعل بي ما أنت أهله ، فأنت قادر على العقوبة وقد استحققتها ، لا حجة لي ولا عذر لي عندك ، أبوء إليك بذنوبي كلها ، وأعترف بها كي تعفو عني ، وأنت أعلم بها مني ، بؤتُ إليك بكل ذنب أذنبته ، وبكل خطيئة أخطأتها ، وبكل سيئة عملتها ، يا رب اغفر لي وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الاعز الاكرم » . وقام فدخل الطواف فقمنا لقيامه ،

وعاد مِن غدٍ في ذلك الوقت ، فقمنا لاستقباله كفعلنا فيما مضى ، فجلس متوسطاً ونظر يميناً وشمالاً فقال : كان علي بن الحسين سيِّد العابدين عليه السلام يقول في سجوده في هذا الموضع ، وأشار بيده إلى الحجر نحو الميزاب : « عُبيدُكَ بفنائك ، مسكينُك ببابك ، أسألك ما لا يقدر عليه سواك » . ثم نظر يميناً وشمالاً ونظر إلى محمد بن القاسم العلوي فقال : يا محمد بن القاسم ، أنت على خير إن شاء الله . وقام فدخل الطواف ،

فما بقي أحد منا إلا وقد تعلم ما ذكر من الدعاء . وأُنسينا أن نتذاكر أمره إلا في آخر يوم . فقال لنا المحمودي : يا قوم ، أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا والله صاحب الزمان عليه السلام ، فقلنا : وكيف ذاك يا أبا علي ؟ فذكر أنه مكث يدعو ربه عزوجل ويسأله أن يريه صاحب الامر سبع سنين قال : فبينا أنا يوماً في عشية عرفة فإذا بهذا الرجل بعينه ، فدعا بدعاء وعيته فسألته ممَّن هو ؟ فقال : مِن الناس ، فقلت : مِن أيِّ الناس مِن عربها أو مواليها ؟ فقال : مِن عربها ، فقلت : مِن أيِّ عربها ؟ فقال : مِن أشرفها وأشمخها . فقلت : ومَن هم ؟ فقال بنو هاشم ، فقلت : مِن أي بني هاشم ؟ فقال : مِن أعلاها ذروةً وأسناها رفعةً . فقلت : وممَّن هم ؟ فقال : ممَّن فلق

الهام ، وأطعم الطعام ، وصلّى بالليل والناس نيام . فقلت : إنه علوي فأحببته على العلوية ، ثم افتقدته من بين يدي ، فلم أدر كيف مضى في السماء أم في الارض ، فسألت القوم الذين كانوا حوله أتعرفون هذا العلوي ؟ فقالوا : نعم ، يحجُّ معنا كلَّ سنة ماشياً ، فقلت : سبحان الله ، والله ما أرى به أثر مشي ، ثم انصرفتُ إلى المزدلفة كئيباً حزيناً على فراقه وبتُّ في ليلتي تلك ، فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال : يا محمَّد رأيت طلبتك . فقلت : ومن ذاك يا سيِّدي ؟ فقال ﷺ : الذي رأيته في عشيّتك فهو صاحب زمانكم][1] .

لا شكَّ انَّ هذا يختزن مفهوم شياع أمر المهدي عليه السلام بل طلّتُهُ من هنا وهناك ، ضمن مفاد يؤكّد أيضاً حالة الطلب العباسي الشديد للمهدي عليه السلام ، ما استعدى غياب المهدي عليه السلام الغيبة الصغرى التي كان يظهر فيها هنا وهناك على الأتباع والأصحاب ضمن ظروف وأُطر تعكس ضغط المجتمع والقيادة العباسيّة .

وتُحَدِّثُنَا بعضَ الوقائع عن ملاقاة المهدي عليه السلام زمن الغيبة الصغرى للبعض من شيعتِهِ في أماكن مختلفة ، وضمن عناوين وصفات وأهداف عديدة . فقد حدَّث أبو القاسم علي بن أحمد الخديجي الكوفي قال : حدثنا الازدي قال : بينما أنا في الطواف قد طفتُ ستّاً وأنا أريد أن أطوف السابع ، فإذا أنا بحلقة عن يمين الكعبة وشاب حَسَن الوجه ، طيِّب الرائحة ، هيوب مع هيبته متقرِّب إلى الناس ، يتكلَّم فلم أرَ أحسن من كلامه ولا أعذب من نطقه وحسن جلوسه ، فذهبت أكلمه فزبرني الناسُ فسألت بعضهم مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله يظهر في كل سنة يوماً لخواصه يحدثهم ،

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٧٠ ب ٤٣ ح ٢٤ – حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني قال : حدثنا أبو القاسم جعفر بن أحمد العلوي الرقي العريضي قال : حدثني أبو الحسن علي بن أحمد العقيقي قال :

فقلت : يا سيدي مسترشداً أتيتك فأرشدني هداك الله ، فناولني عليه السلام حصاة فحوَّلت وجهي فقال لي بعض جلسائه : ما الذي دفع إليك ؟ فقلت : حصاة وكشفت عنها فإذا أنا بسبيكة ذهب ، فذهبت فإذا أنا به عليه السلام قد لحقني فقال لي : [ثبتت عليك الحجة ، وظهر لك الحق ، وذهب عنك العمى ، أتعرفني فقلت : لا ، فقال عليه السلام : أنا المهدي وأنا قائم الزمان ، أنا الذي أملأها عدلاً كما مُلِئَت جوراً ، إنَّ الارض لا تخلو من حجة ولا يبقى الناس في فترة ، وهذه أمانة لا تحدِّث بها إلا إخوانك من أهل الحق][1] .

هذه تشير إلى مظهر من مظاهر ملاقاة مولانا المهدي عليه السلام للشيعة في موسم الحج ، ووضوح ظهورهِ لهؤلاءِ الذين يلقاهم ، ومعلوم انَّ المهدي عليه السلام كان يلتقي ببعض شيعتِهِ وأتباعِهِ زمن الغيبة الصغرى ، فيقضي حوائجهم ويدبِّر أمرهم ويرشدهم إلى غاياتٍ محدّدة .

وفي بعضِها نقرأ انَّ أناساً قرءوا في الكتب السابقة ما يبشِّر بالنبيِّ محمَّد ، وما رُصِد من حقائق حول الأوصياء وشبه ذلك ، فيتطوَّر الأمر إلى الخوض بذكر المهدي عليه السلام وما يتّصل بهذه المعاني . فقد حدَّث محمد بن محمد العامري عن أبي سعيد غانم الهندي قال :

[كنت بمدينة الهند المعروفة بقشمير الداخلة ، وأصحاب لي يقعدون على كراسي عن يمين الملك ، أربعون رجلاً كلهم يقرأ الكتب الاربعة : التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم ، نقضي بين الناس ونفقّههم في دينهم ونفتيهم في حلالهم وحرامهم ، يفزعُ الناس إلينا ، الملك

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٤٤ بـ ٤٣ حـ ١٨ – حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال :

فمَن دونه ، فتجارينا ذكر رسول الله ﷺ . فقلنا : هذا النبي المذكور في الكتب قد خفي علينا أمره ، ويجب علينا الفحص عنه وطلب أثره ، واتفق رأيُنا وتوافقنا على أن أخرج فأرتاد لهم ، فخرجت ومعي مالٌ جليل ، فسرتُ اثني عشر شهراً حتى قربت من « كابل » ، فعرض لي قومٌ من الترك ، فقطعوا عليَّ وأخذوا مالي ، وجُرحتُ جراحاتٍ شديدة ، ودفعت إلى مدينة كابل ، فأنفذني ملكُهَا لما وقف على خبري إلى مدينة بلخ ، وعليها إذ ذاك داود بن العباس بن أبي أسود ، فبلغه خبري وأني خرجتُ مرتاداً من الهند وتعلَّمت الفارسية وناظرت الفقهاء وأصحاب الكلام ، فأرسل إليَّ داود بن العباس فأحضرني مجلسه وجمع عليَّ الفقهاء ، فناظروني فأعلمتهم أنِّي خرجتُ مِن بلدي أطلب هذا النبيَّ الذي وجدته في الكتب ، فقال لي : مَن هو ؟ وما اسمه ؟ فقلت : محمَّد ، فقال : هو نبيُّنَا الذي تطلب ، فسألتهم عن شرائعه فأعلموني ، فقلت لهم : أنا أعلم أن محمَّداً نبي ولا أعلمه هذا الذي تصفون أم لا ، فأعلموني موضعه لأقصده فأسائله عن علامات عندي ودلالات ، فإنْ كان صاحبي الذي طلبتُ آمنتُ به . فقالوا : قد مضى ﷺ ، فقلت : فمن وصيُّهُ وخليفته ؟ فقالوا : أبو بكر ، قلت : فسمُّوهُ لي فإنَّ هذه كنيته . قالوا : عبد الله بن عثمان ونسبوهُ إلى قريش . قلت : فانسبوا لي محمَّداً نبيكم فنسبوه لي . فقلت : ليس هذا صاحبي الذي طلبتُ . صاحبي الذي أطلبه خليفتُهُ أخوهُ في الدِّين وابن عمِّهِ في النسب وزوج ابنته وأبو ولده . ليس لهذا النبيِّ ذرية على الارض غير وُلد هذا الرجل الذي هو خليفته .

قال : فوثبوا بي وقالوا : أيها الامير ، إنَّ هذا قد خرج من الشرك إلى الكفر ، هذا حلالُ الدم . فقلت لهم : يا قوم أنا رجل معي دين متمسِّكٌ به ، لا

أفارقه حتى أرى ما هو أقوى منه ، إنِّي وجدتُ صفة هذا الرجل في الكُتُب التي أنزلها اللهُ على أنبيائه ، وإنما خرجتُ من بلاد الهند ومِن العزِّ الذي كنتُ فيه طلباً له ، فلما فحصتُ عن أمر صاحبكم الذي ذكرتم لم يكن النبي الموصوف في الكتب ، فكَفُّوا عني .

وبعث العامل إلى رجلٍ يقال له : الحسين بن اشكيب ، فدعاه فقال له : ناظر هذا الرجل الهندي ، فقال له الحسين : أصلحك الله ، عندك الفقهاء والعلماء وهم أعلم وأبصر بمناظرته ، فقال له : ناظره كما أقول لك ، واخلُ به ، والطِف له ، فقال لي الحسين بن اشكيب بعدما فاوضته : إنَّ صاحبك الذي تطلبه هو النبي الذي وصفه هؤلاء وليس الامر في خليفته كما قالوا : هذا النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ووصيُّهُ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وهو زوج فاطمة بنت محمد ، وأبو الحسن والحسين سبطي محمد صلى الله عليه وآله .

قال غانم أبو سعيد : فقلت : الله أكبر . هذا الذي طلبت ، فانصرفت إلى داود بن العباس فقلت له : أيها الامير وجدت ما طلبت ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال : فبرَّني ووصلني . وقال للحسين تفقده . قال : فمضيت إليه حتى آنست به ، وفقهني فيما احتجتُ إليه من الصلاة والصيام والفرائض . قال : فقلت له : إنا نقرأ في كتبنا أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله خاتم النبيين لا نبي بعده وأنَّ الامر من بعده إلى وصيِّهِ ووارثه وخليفته من بعده . ثم إلى الوصي بعد الوصي ، لا يزال أمرُ اللهِ جارياً في أعقابهم حتى تنقضي الدنيا ، فمن وصيٌّ وصيِّ محمَّد ؟ قال : الحسن ثم الحسين ابنا محمد صلى الله عليه وآله ، ثم ساق الامر في الوصيَّة حتى انتهى إلى صاحب الزمان عليه السلام ، ثم أعلمني ما حدث . فلم يكن لي همة إلا طلب الناحية .

فوافَى قم وقعد مع أصحابنا في سنة أربع وستين ومائتين ، وخرج معهم حتى وافى بغداد ومعه رفيق له من أهل السند كان صحبه على المذهب ، قال : فحدثني غانم قال : وأنكرت من رفيقي بعض أخلاقه ، فهجرته وخرجتُ حتى سرت إلى العباسية أتهيأ للصلاة وأصلي ، وإني لواقف متفكِّر فيما قصدتُ لطلبه إذا أنا بآتٍ قد أتاني فقال : أنت فلان ؟ - اسمه بالهند - فقلت : نعم ، فقال : أجب مولاك . فمضيتُ معه ، فلم يزل يتخلَّل بي الطرق حتى أتى داراً وبستاناً ، فإذا أنا به عليه السلام جالس ، فقال : « مرحباً يا فلان - بكلام الهند - كيف حالك ؟ وكيف خلفت فلاناً وفلاناً ؟ حتى عدَّ الاربعين كلهم ، فساءلني عنهم واحداً واحداً ، ثم أخبرني بما تجارينا ، كل ذلك بكلام الهند ، ثم قال : أردت أن تحج مع أهل قم ؟ قلت : نعم يا سيدي ، فقال : لا تحج معهم وانصرف سنتك هذه وحج في قابل . ثم ألقى إليَّ صرة كانت بين يديه فقال لي : اجعلها نفقتك ولا تدخل إلى بغداد إلى فلان سمَّاه ، ولا تطلعه على شيئ . وانصرف إلينا إلى البلد ، ثم وافانا بعض الفيوج فأعلمونا أن أصحابنا انصرفوا من العقبة ، ومضى نحو خراسان ، فلما كان في قابل حج وأرسل إلينا بهدية من طرف خراسان ، فأقام بها مدة ، ثم مات رحمه الله][1] .

أقول : هذه تؤكِّد ما اشتهر وذاع من انَّ الوصيّة في علي بن أبي طالب عليه السلام نازلة في الكتب السابقة كنزول نبوّة محمَّدٍ صلى الله عليه وآله في الكتب السابقة ، وانَّ القوم كانوا يستدلُّون بما بين ايديهم على حقيقة النبوَّة والإمامة ، فكانوا يسألون عن النبي وعن الوصي وعن عدد الأوصياء الإثنى عشر ، وعن النسب والصفة وشبه ذلك .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٥١٥ ح ٣ - علي بن محمد وعن غير واحد من أصحابنا القميين ،

ثم يؤكِّد ملاقاتِه لمولانا المهدي ﷺ في إحدى الطرق حيث خاطبه بلغتِه وبيَّن له العلامات التي تؤكِّد بالإعجازِ إمامتَهُ ، فثبَّتَ اللهُ قلبه على الحقيقة التامة .. اللافت جداً أنَّ طيَّات هذه الشهادة ومعانيها تشير إلى شياع أمر النبوّة والوصيَّة وذياع ذكر مولانا المهدي ﷺ بشكلٍ واسع .

وفي الشياع العام انتشر إخبارُ الحسنِّ عن رؤيا المهدي ﷺ في قصصٍ وقضايا ذات صلة وتشابك بأمور متنوِّعة ، وبدا ذلك في أطراف ونواحي كثيرة . بل في عناوين ذات إحساس رهيب بقداسة الحضور والموقف ، بما تعنيه من إخبار وإظهار لأمورٍ تؤكِّد رفعة وقداسة طابع الإمامة واتّصال إخبارها بالغيب الذي أحاط اللهُ بهِ أهل الصفوة من الأنبياء والأئمّة ﷺ . فقد حدَّث أبو محمد ، الحسن بن علي بن حمزة الاقساني ، في دار الشريف علي بن جعفر بن علي المدائني العلوي قال :

[كان بالكوفة شيخ قصار ، وكان موسوماً بالزهد ، منخرطاً في سلك السياحة ، متبتِّلاً للعبادة ، مقتفياً للآثار الصالحة ، فاتَّفَقَ يوماً أنني كنتُ بمجلس والدي ، وكان هذا الشيخ يُحدِّثُهُ وهو مقبلٌ عليه . فقال : كنتُ ذات ليلةٍ بمسجد جعفي ، وهو مسجد قديم ، وقد انتصف الليلُ وأنا بمفردي فيه للخلوة والعبادة ، فإذا أقبل عليَّ ثلاثةُ أشخاص فدخلوا المسجد ، فلمَّا توسَّطُوا صرحتَهُ جلسَ أحدهم ثم مسحَ الارض بيده يمنةً ويسرةً فحصحص (فخضخض) الماء ونبع فأسبغ الوضوء منه ، ثم أشار إلى الشخصين الآخرين بإسباغ الوضوء فتوضئا ، ثم تقدَّم فصلَّى بهما إماماً فصلَّيت معهم مؤتمَّاً به ، فلما سلَّم وقضى صلاته بهرني حاله واستعظمت فعله من إنباع الماء ، فسألتُ الشخصَ الذي كان منهما إلى يميني عن الرجل فقلت له : مَن هذا ؟ فقال لي : هذا صاحب الامر ، ولَدُ الحسن ﷺ ، فدنوتُ

منه وقبَّلت يديه وقلت له : يا بن رسول الله : ما تقول في الشريف عمر بن حمزة هل هو على الحقِّ ؟ فقال : لا ، وربما اهتدى ، إلا أنه ما يموت حتى يراني .

قال : فاستطرفنا هذا الحديث ، فمضت برهة طويلة ، فتوفي الشريف عمر ، ولم يَشِع أنه لَقِيَهُ ، فلما اجتمعت بالشيخ الزاهد ابن نادية أذكرته بالحكاية التي كان ذكرها ، وقلت له مثل الراد عليه : أليس كنت ذكرت أن هذا الشريف عمر لا يموت حتى يرى صاحب الامر عليه السلام الذي أشرت إليه ؟ فقال لي : ومن أين لك أنه لم يره ؟ ثم إنني اجتمعتُ فيما بعد بالشريف أبي المناقب ولد الشريف عمر بن حمزة وتفاوضنا أحاديث والده فقال : إنا كنَّا ذات ليلة في آخر الليل عند والدي وهو في مرضه الذي مات فيه ، وقد سقطت قوَّتُهُ بواحدة ، وخفتُ موته ، والابواب مغلقة علينا ، إذ دخل علينا شخص هبناه واستطرفنا دخوله ، وذهلنا عن سؤاله ، فجلس إلى جنب والدي وجعل يحدِّثُهُ مليَّاً ووالدي يبكي ، ثم نهض ، فلما غاب عن أعيننا تحامل والدي وقال : أجلسوني فأجلسناه ، وفتح عينيه وقال : أين الشخص الذي كان عندي ؟ فقلنا : خرج مِن حيث أتى ، فقال : اطلبوه . فذهبنا في أثره فوجدنا الابواب مغلقة ، ولم نجد له أثراً ، فعدنا إليه فأخبرناه بحاله وإنا لم نجده ، ثم إنَّا سألناهُ عنه فقال : هذا صاحب الامر . ثم عاد إلى ثقله في المرض وأغمي عليه][1] . إنَّ هذهِ تشير إلى قضايا وعناوين ذات صلة بشياع الحضور المبارك من جهة ، ووهج ذلك الحضور من جهةٍ أخرى . وهي تؤكِّد طابع الإعتقاد العام بشهادات الوقائع وظروفِها وإخباراتِها .

---

[1] تنبيه الخواطر : جـ ٢ صـ ٣٠٣ - حدثني السيد الاجل الشريف أبو الحسن علي بن إبراهيم العريضي العلوي الحسيني قال : حدثني علي بن نما قال :

وليس غريباً أنَّ قضيَّة المهدي (عليه السلام) شكَّلت عنواناً رئيسيَّاً فرضت نفسها بقوةٍ كبيرة منذ تلك الفترة التاريخيّة . وتألَّقت ضمن عناوين ووقائع وشهادات متنوعة ، تَشَكَّلَ أطرافُها من مدن ومناطق وجهات مختلفة . ما أدى إلى بلوغ العباسيين مرحلة العجز الحقيقي في مواجهة هذا المدّ الإعلاني الكبير حول محور المهدي (عليه السلام) ووقائع الشهوديّة وشبه ذلك . وعليه : انتقلت ممارسة العباسيين من دعاية الإبهام إلى دعاية المطاردة ومحاولة كشف المواقع والضغط على الشيعة والأتباع في جهاتٍ مختلفة لمنع تسلُّل ذكر المهدي (عليه السلام) وشياعه ، لكنّهم أيضاً فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً ..

ثم هناك أنواع متعدِّدة خرجت عن الناحية ، كما هناك مواقف تشيرُ إلى وصفِهِ (عليه السلام) ، بل تتّفق المشاهد الكثيرة والشهادات المتكثِّرة على نوعٍ من الملاقاة والإرشاد وشبه ذلك . فقد حدَّث حسن بن حسين الاسترابادي قال : كنتُ في الطواف ، فشككت فيما بيني وبين نفسي في الطواف ، فإذا شاب قد استقبلني ، حسن الوجه قال [طُف أسبوعاً آخر][1] .

إنَّ هذا نوع مَن ملاقاة رجلٍ بصفات كذا ، تتكرَّر مع غيرهِ وبنحو الصفة نفسها وفي منطقة مختلفة ، والشهادات في هذا المجال أكثر من أن تُحصى . فقد حدَّث أبو محمد الدعلجي انّه كان له ولدان ، وقد كان من خيار أصحابنا ، وكان قد سمع الاحاديث وكان أحد ولديه على الطريقة المستقيمة وهو أبو الحسن ، وكان يغسل الاموات ، وولد آخر يسلك مسالك الاحداث في فعل الحرام ، وقد دفع إلى أبي محمد حجة يحج بها عن صاحب

---

[1] الخرائج : ج ٢ صـ ٦٩٧ ب ١٤ ح ١٣ - ما روي عن جعفر بن حمدان ،

الزمان عليه السلام ، وكان ذلك عادة الشيعة وقتئذ ، فدفع شيئاً منها إلى ابنه المذكور بالفساد ، وخرج إلى الحج ، فلما عاد حكى أنه كان واقفاً بالموقف فرأى إلى جانبه شاباً حسن الوجه ، أسمر اللون بذؤابتين ، مقبلاً على شأنه في الدعاء والابتهال والتضرُّع وحسن العمل ، فلما قرب نفْرُ الناسِ التفتَ إليَّ وقال : [يا شيخ ، ما تستحي ؟ قلت : مِن أي شيئ يا سيدي ؟ قال : يدفع إليك حجَّة عمَّن تعلم ، فتدفع منها إلى فاسقٍ يشربُ الخمر ، يوشك أن تذهب عينك هذه وأومأ إلى عيني وأنا من ذلك اليوم إلى الآن على وجل ومخافة . وسمع أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ذلك قال : فما مضى عليه أربعون يوماً بعد مورده حتى خرج في عينه التي أومأ إليها قرحة فذهبت][1] .

هذا كان من باب الإخبار لما سيَقَع ، وهو علامة برهانيَّة ذات مدلولٍ على وهج الحضور المهدوي ، كما هو تنبيه من جهةٍ أخرى إلى آداب وضوابط دفع المال وشبه ذلك وطبيعة العلاقة والتعامل والتوثيق ومدى ذلك من منظار أهل الثقة والحفظ وغيرهم . وفي موضوع الإستخارة يقول صاحب البحار : سمعت والدي رضي الله عنه يروي عن شيخه البهائي نوَّرَ اللهُ ضريحه أنه كان يقول : [سمعنا مذاكرة عن مشايخنا عن القائم صلوات الله عليه في الاستخارة بالسبحة أنه يأخذها ويصلِّي على النبي وآله - صلوات الله عليه وعليهم - ثلاث مرات ، ويقبض على السبحة وبعد اثنتين اثنتين ، فإنْ بقيت واحدة فهو أفعل ، وإن بقيت اثنتان فهو لا تفعل][2] . وفي

---

[1] الخرائج : ج ١ صـ ٤٨٠ ب ١٣ ح ٢١ -

[2] البحار : ج ٩١ صـ ٢٥٠ ب ٥ ح ٤ - أيضاً في البحار عن منهاج الصلاح : [نوع آخر من الاستخارة رويته عن والدي الفقيه سديد الدِّين يوسف بن علي بن المطهر رحمه الله تعالى ، عن السيد رضي الله محمد الآوي ، عن صاحب الزمان عليه السلام ، وهو : أن يقرأ فاتحة الكتاب عشر مرات وأقل منه ثلاث مرات ، وإلا

البحار أيضاً : ذكر أبو دلف محمد بن المظفر رحمه الله أنها آخر ما خرج : [بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إني أسألك باسمك الذي عزمت به على السموات والارض ، فقلت لهما ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا : أتينا طائعين ، وباسمك الذي عزمت به على عصا موسى فإذا هي تلقف ما يأفكون ، وأسألك باسمك الذي صرفت به قلوب السحرة إليك حتى قالوا : آمنَّا برب العالمين ، رب موسى وهارون ، أنت الله رب العالمين ، وأسألك بالقدرة التي تبلي بها كل جديد ، وتجدِّد بها كلَّ بالٍ ، وأسألك بكلِّ حقٍّ هو لك ، وبكل حقٍّ جعلته عليك ، إن كان هذا الامر خيراً لي في ديني ودنياي وآخرتي أن تصلي على محمد وآل محمد وتسلِّم عليهم تسليماً ، وتهنيه وتسهّلهُ عليَّ ، وتلطف لي فيه برحمتك يا أرحم الراحمين . وإن كان شراً لي في ديني ودنياي وآخرتي أن تصلي على محمد وآل محمد وتسلِّم عليهم تسليماً ، وأن تصرفه عني بما شئتَ وكيف شئت ، وترضيني بقضائك ، وتبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل شيئ أخَّرتَهُ ، ولا تأخير شيئ عجَّلته ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله يا علي يا عظيم يا ذا الجلال والاكرام][1] . هذا نمط متكثِّر جداً من أنواع التواصل والحضور المشعِّ لمولانا المهدي عليه السلام في غاياتٍ وجهاتٍ شديدة الكثافة والتنوُّع . ولو

دون منه مرة ، ثم يقرأ إنا أنزلناه عشر مرات ، ثم يقول هذا الدعاء ثلاث مرات : أللهم إني أستخيرك . وساق الدعاء إلى قوله : (لعلمك بعاقبة الامور ، وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور) ، إلى قوله : أللهم إما أمر فأئتمر أو نهي فأنتهي ، أللهم إني أستخيرك برحمتك خيرة في عافية ، ثم يقبض على قطعة من السبحة ويضمر حاجة ويخرج إن كان عدد تلك القطعة زوجا فهو أفعل ، وإن كان فرداً لا تفعل ، أو بالعكس] [البحار : ج ٩١ صـ ٢٤٨ بـ ٥ حـ ٢ –] .

[1] البحار : ج ٩١ صـ ٢٧٥ بـ ٧ حـ ٢٥ – عن الفتح دعاء مولانا المهدي صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين في الاستخارات ، وهو آخر ما خرج من مقدس حضرته أيام الوكالات : روى محمد بن علي بن محمد في كتاب جامع له ما هذا لفظه : استخارة الاسماء التي عليها العمل ، ويدعو بها في صلاة الحاجة وغيرها ،

أردنا ان نسرد الكثير من وقائع الملاقات أو الحضور أو الإستفادة أو تواقيع الناحية كنّا بحاجةٍ إلى كتُب وشروحات كثيرة .

وقد ورد عن المعصوم عليه السلام أمور كثيرة ، منها ، ما ورد في الأمور المالية في غيبته الصغرى ، فقد روى الحسن بن الفضل بن زيد اليماني قال : - [كتب أبي بخطِّهِ كتاباً فورد جوابه ثم كتبتُ بخطِّي فورد جوابه ، ثم كتب بخط رجلٍ من فقهاء أصحابنا ، فلم يرد جوابه ، فنظرنا فكانت العلة أن الرجل تحوَّل قرمطياً .

قال الحسن بن الفضل : فزرتُ العراق ووردتُ طوس وعزمت أن لا أخرج إلا عن بيّنة مِن أمري ، ونجاح مِن حوائجي ، ولو احتجت أن أقيم بها حتى أتصدق . قال : وفي خلال ذلك يضيق صدري بالمقام وأخاف أن يفوتني الحج ، قال : فجئتُ يوماً إلى محمد بن أحمد أتقاضاهُ فقال لي : صر إلى مسجد كذا وكذا وإنه يلقاك رجل ، قال : فصرت إليه فدخل عليَّ رجل ، فلما نظر إليَّ ضحك وقال : لا تغتم ، فإنَّكَ ستحجُّ في هذه السنة وتنصرف إلى أهلك وولدك سالماً .

قال : فاطمأننتُ وسكن قلبي وأقول ذا مصداق ذلك والحمد لله . قال : ثم وردت العسكر فخرجت إليَّ صرة فيها دنانير وثوب فاغتممتُ وقلت في نفسي : جزائي عند القوم هذا ، واستعملت الجهل فرددتها وكتبت رقعة ، ولم يشر الذي قبضها منِّي عليَّ بشيئ ولم يتكلّم فيها بحرف ثم ندمت بعد ذلك ندامة شديدة وقلت في نفسي : كفرت بردي على مولاي ، وكتبت رقعة أعتذر من فعلي وأبوء بالاثم وأستغفر من ذلك وأنفذتها وقمت أتمسح . فأنا في ذلك أفكِّر في نفسي وأقول : إنْ ردت عليَّ الدنانير لم أحلل

صرارها ولم أحدث فيها حتى أحملها إلى أبي ، فإنه أعلم منِّي ليعمل فيها بما شاء . فخرج إليَّ الرسول الذي حمل إليَّ الصرة أسأت إذ لم تعلم الرجل أنا ربما فعلنا ذلك بمواليا وربما سألونا ذلك يتبركون به ، وخرج إليَّ : أخطأت في ردِّك برّنا ، فإذا استغفرت اللهَ فالله يغفر لك ، فأما إذا كانت عزيمتك وعقد نيتك ألا تحدث فيها حدثاً ولا تنفقها في طريقك ، فقد صرفناها عنك ، فأما الثوب فلا بد منه لتحرم فيه .

قال : وكتبت في معنيين وأردت أن أكتب في الثالث وامتنعت منه مخافة أن يكره ذلك ، فورد جواب المعنيين والثالث الذي طويت مفسراً والحمد لله . قال : وكنت وافقت جعفر بن إبراهيم النيسابوري بنيسابور على أن أركب معه وأزامله ، فلما وافيت بغداد بدا لي فاستقلته وذهبت أطلب عديلاً ، فلقيني ابن الوجنا بعد أن كنت صرت إليه وسألته أن يكتري لي فوجدته كارهاً ، فقال لي : أنا في طلبك وقد قيل لي : إنه يصحبك فأحسن معاشرته ، واطلب له عديلاً واكتر له][1] .

وكذا ورد في أمورٍ كثيرةٍ لم يطَّلِع على حقائقها إلا أصحابها ، فكانوا ينذهلون من حقائق ما يأتيهم من الناحية والتواقيع وشبه ذلك . فقد روى محمد بن علي بن شاذان النيسابوري قال : اجتمع عندي خمسمائة درهم تنقص عشرين درهماً فأنفت أن أبعث بخمسمائة تنقص عشرين درهما

---

[1] الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٠ حـ ١٣ – عن إسحاق بن حامد الكاتب قال : كان بقم رجلٌ بزاز مؤمنٌ وله شريك مرجئي ، فوقع بينهما ثوب نفيس ، فقال المؤمن : يصلح هذا الثوب لمولاي ، فقال له شريكه : لست أعرف مولاك ، ولكن افعل بالثوب ما تحب ، فلما وصل الثوب إليه شقَّهُ ﷺ بنصفين طولاً فأخذ نصفه ورد النصف ، وقال : « لا حاجة لنا في مال المرجئ »] [كمال الدين : جـ ٢ صـ ٥١٠ بـ ٤٥ حـ ٤٠ – حدثنا أحمد بن هارون القاضي رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أبيه ،] .

فوزنت من عندي عشرين درهماً وبعثتها إلى الاسدي ، ولم أكتب ما لي فيها فورد : [وصلت خمسمائة درهم ، لك منها عشرونَ درهماً][1] .

بل في بعضها شهادات تتعلّق بشبهةٍ أو شكّ وقعت في أحدهم بعد موت أبي محمَّد الإمام العسكري عليه السلام ، فكانَ يأتي الفرج ضمن عناوين عدة من الناحية بإذن الله تعالى ومعها حتماً يكون الفرج . فقد حدّث محمد بن إبراهيم بن مهزيار قال : شككتُ عند مضي أبي محمد عليه السلام ، واجتمع عند أبي مالٌ جليل ، فحمله وركب السفينة وخرجتُ معه مشيِّعاً ، فوعك وعكاً شديداً ، فقال : يا بُنيَّ ردّني ، فهو الموت ، وقال لي : اتَّقِ اللهَ في هذا المال ، وأوصى إليَّ فمات . فقلت في نفسي : لم يكن أبي لِيُوصِي بشيئ غير صحيح ، أحمل هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشط ، ولا أُخبر أحداً بشيئ ، وإن وضح لي شيئ كوضوحه في أيام أبي محمد عليه السلام ، أنفذته

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٥٢٣ - ٥٢٤ ب ٢٣ – وقال محمد بن صالح : لما مات أبي وصار الامر لي كان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم فكتبت إليه أعلمه فكتب : [طالبهم واستقضِ عليهم ، فقضاني الناس إلا رجل واحد كانت عليه سفتجة بأربعمائة دينار فجئت إليه أطالبه فماطلني واستخفَّ بي ابنه وسفَّهَ عليَّ ، فشكوتُ إلى أبيه فقال : وكان ماذا ؟ فقبضتُ على لحيته وأخذت برجله وسحبته إلى وسط الدار ، وركلته ركلاً كثيراً ، فخرج ابنه يستغيثُ بأهل بغداد ويقول : قُمّيٌّ رافضيٌّ قد قتل والدي ، فاجتمع عليَّ منهم الخلق ، فركبت دابتي وقلت أحسنتم يا أهل بغداد ، تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم ، أنا رجل من أهل همدان من أهل السنة ، وهذا ينسبني إلى أهل قم والرفض ليذهب بحقّي ومالي ، قال : فمالوا عليه وأرادوا أن يدخلوا على حانوته حتى سكّنتُهُم ، وطلب إليَّ صاحب السفتجة وحلف بالطلاق أن يوفيني مالي ، حتى أخرجتهم عنه] [الكافي : ج ١ ص ٥٢١ ح ١٥ - علي بن محمد] .

* وعن علي بن محمد ، وروى علي بن محمد الرازي قال : [حدثني جماعة من أصحابنا ، أنه بعث إلى أبي عبد الله بن الجنيد وهو بواسط غلاماً وأمر ببيعه ، فباعه وقبض ثمنه ، فلما عير الدنانير نقصت من التعيير ثمانية عشر قيراطاً وحبّة ، فوزن من عنده ثمانية عشر قيراطاً وحبّة وأنفذها ، فردَّ عليه ديناراً وزنة ثمانية عشر قيراطا وحبة] [كمال الدين : ج ٢ ص ٤٨٦ ب ٤٥ ح ٧ - حدثني أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله] .

وإلا قصفت به . فقدمت العراق واكتريتُ داراً على الشط وبقيت أياماً ، فإذا أنا برقعة مع رسول فيها : [يا محمد ، كذا وكذا في جوف كذا وكذا ، حتى قصَّ عليَّ جميع ما معي ممَّا لم أُحِط به علماً ، فسلّمتُهُ إلى الرسول وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس واغتممت ، فخرج إليَّ : قد أقمناك مكان أبيك فاحمد الله][1] .

لا شكَّ انّ هذهِ من العناوين الحيَّة والشهادات المتفاعلة التي تحتضن الإشارة إلى البيئة والظرف الذي كان يكتنف بعض الناس في تلك الفترة العصيبة . فضلاً عن كشف الشبهة وبيان الحق ضمن أُطر وأوصاف جديرة بالإنتباه ..

وفي العديد من التواقيع مطالبة بالحقوق المالية ، في حين هي طريقة مطلقة لبيان مقام الحجّة ورفعة الإمامة في الإحاطة التي أولاها اللهُ إيّاها .. فقد روى محمد بن هارون بن عمران الهمداني قال : كان للناحية عليَّ خمسمائة دينار ، فضقتُ بها ذرعاً ، ثم قلت في نفسي : لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة وثلاثين ديناراً ، قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار ، ولم أنطق بها : فكتب إليَّ محمد بن جعفر : اقبض الحوانيت من محمد بن هارون بالخمسمائة دينار التي لنا عليه][2] .. يا للعظمة والإعجاز ..!

بل في بعضِها تتدخَّل الناحية لبيان الحجَّة في ظل دعاية عباسيَّة تعمل على تلبيس مقام الإمامة لجعفر دون المهدي عليه السلام . فقد حدَّث الحسن بن عيسى العريضي أبي محمد قال : لما مضى أبو محمد عليه السلام ورد رجلٌ

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥١٨ حـ ٥ - علي بن محمد عن محمد بن حمويه السويداوى

[2] الكافي : ج ١ صـ ٥٢٤ حـ ٢٨ - علي بن محمد ،

مِن أهل مصر بمالٍ إلى مكّة للناحية ، فاختلف عليه ، فقال بعض الناس : إنّ أبا محمّد عليه السلام مضى من غير خَلَف ، والخلفُ جعفر ، وقال بعضهم : مضى أبو محمد عن خَلَفٍ ، فبعثَ رجلاً يُكنّى بأبي طالب ، فورد العسكر ومعه كتاب ، فصار إلى جعفر وسأله عن برهان ، فقال : لا يتهيأ في هذا الوقت ، فصار إلى الباب وأنفذ الكتاب إلى أصحابنا فخرج إليه : [آجرك الله في صاحبك ، فقد مات ، وأوصى بالمال الذي كان معه إلى ثقة ليعمل فيه بما يجب ، وأجيب عن كتابه][1] .

هذا النص يعرض لنا قسمين من الناس كنموذج جزئي : فريق يقول انّ العسكري عليه السلام مضى من دون خلف . وآخرون يقولون بأنّ الخلف هو جعفر شقيق العسكري عليه السلام .. وكنّا قد أشرنا إلى تفاصيل العمل العباسي من أجل نصب جعفر محلّ الإمامة لإبطال الإمامة وإضعاف نفوذها والسيطرة عليها من قبل العباسيين وشبه ذلك . وقد باء كلُّ ما خطّطوا له بالفشل . وفي هذا المقام بالخصوص تعلن الناحية الأمر المكتوم من موت فلان ، والوصيّة التي بها يتم إخراج الحق ، فيما الهدف الأرفع والغاية الصريحة تكمنُ في بيان مقام الحجّة المهدي وبطلان أمر جعفر الكذّاب .

وكذا وردت شهادات كثيرة ظاهرها - جزئيّاً - طابع مالي ، وباطِنُها كشف الحق وبيان الحجّة بشكلٍ تام . يقول علي بن محمد : أوصَلَ رجلٌ من أهل السواد مالاً فرُدَّ عليه وقيل له : [أخرج حقَّ وُلدِ عمِّك منه وهو أربعمائة درهم . وكان الرجل في يده ضيعة لِوُلدِ عمِّه فيها شركة قد حبسها عليهم ، فنظر فإذا الذي لوُلدِ عمِّه من ذلك المال أربعمائة درهم ،

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥٢٣ حـ ١٩ - علي بن محمد ،

فأخرجها وأنفذ الباقي فقُبِل][1] . إنَّ هذا من الوجه الذي لا يطَّلع عليه إلا العارفون به . فيما الإخبار عنه من قبل الناحية ما هو إلا من باب الإحاطة بما لا يعلمه إلا اللهُ أو مَن ارتضى ، وبمقدار ما أولاهُ اللهُ من ذلك . يقول اللهُ تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ ﴾ ، وفي سورة أخرى يقول : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦/٧٢﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧/٧٢﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨/٧٢﴾ . واضح انَّ أصل المعنى وارد في مقام المنصب الإلهي من نبوَّة أو إمامة .

وفي رواية بدر غلام أحمد بن الحسن قال : وردتُ الجبلَ وأنا لا أقول بالامامة أحبهم جملة ، إلى أن مات يزيد بن عبد الله ، فأوصى في علته أن يدفع الشهري السمند وسيفه ومنطقته إلى مولاه ، فخفت إنْ أنا لم أدفع الشهري إلى اذكوتكين نالني منه استخفاف ، فقوَّمتُ الدابة والسيف والمنطقة بسبعمائة دينار في نفسي ، ولم أُطلِع عليه أحداً ، فإذا الكتاب قد ورد عليَّ من العراق : [وَجِّه السبع مائة دينار التي لنا قِبَلَك مِن ثمن الشهري والسيف والمنطقة][2] ..! إنّها عظمةُ الإمامة ودلالةُ الإعجاز ..

.. هذا مِن العناوين التي تشهد للإمامة بصلتها الربانيّة العظيمة ومقامها المنفرد ، وصلتها بالعلم الذي لا يكون إلا من الله وبسببه . ولقد كانت هذه الإخبارات طريقاً للهداية ومعرفة الحق ضمن أنماط وشهادات

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥١٩ حـ ٨ –

[2] الكافي : ج ١ صـ ٥٢٢ حـ ١٦ – علي ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن الحسن والعلاء بن رزق الله ،

متنوِّعة . وكذا ورد في رواية عبد الله بن يزيد غلام أحمد بن الحسن قال : وردتُ الجبل وأنا لا أقول بالامامة وأحبهم جملة ، إلى أن مات يزيد بن عبد الله وكان من موالي أبي محمد عليه السلام من جبل كرتكين ، فأوصى إلي أن أدفع شهري (كذا) كان معه وسيف ومنطقة إلى مولاي صاحب الزمان ، قال يزيد : فخفتُ أن أفعل ذلك فيلحقني سوء من سودان كرتكين ، فقوَّمتُ الشهري والسيف والمنطقة بسبع مائة دينار على نفسي أن أحمله وأسلمه إلى أزكرتكين ، فورد إلي التوقيع من العراق : [احمل إلينا السبع مائة دينار وقيمة الشهري والسيف والمنطقة . وما كنت والله أُعلِمُ به أحداً فحملته من مالي مسلماً][1] .

ويمكنني القول : هناك - في قضايا الشهادات التاريخيَّة ووقائعها - ثمة براهين ذات نمط عملاق جدَّاً لا تدع خياراً أمام سطوع الحقيقة وسلطانِها ، بحيث لا بدَّ من إعلان الإيمان والتزام موقف الإمامة بشكلٍ تام وكامل .

وفي رواية محمد بن الحسين أنَّ التميمي حدثني ، عن رجلٍ مِن أهل أسد آباد قال : صرتُ إلى العسكر ومعي ثلاثون ديناراً في خرقة ، منها دينار شامي ، فوافيتُ الباب وإني لقاعدٌ إذ خرج إليَّ جاريةٌ أو غلام (الشكُّ

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٩٠ - وعنه (الحسين بن حمدان) عن أبي علي ، وأبي عبد الله بن علي المهدي ، عن محمد بن عبد السلام عن محمد بن النيشابوري ، عن أبي الحسن أحمد بن الحسن الفلاني ، ** . أيضاً ورد - الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٣ حـ ٢٠ - علي بن محمد قال : حمل رجل من أهل آبة شيئا يوصله ونسي سيفا بآبة ، فأنفذ ما كان معه ، فكتب إليه : " ما خبر السيف الذي نسيته ؟ " . وفيها : حـ ٢٢ - بمعناه علي بن محمد ، عن (أحمد بن) أبي علي بن غياث ، عن أحمد بن الحسن قال : أوصى يزيد بن عبد الله بدابة وسيف ومال ، وأنفذ ثمن الدابة ، وغير ذلك ولم يبعث السيف فورد : " كان مع ما بعثتهم سيف فلم يصل أو كما قال " .]

مني) قال : هات ما معك ، قلت : ما معي شيئ ، فدخل ثم خرج فقال : [معك ثلاثون ديناراً في خرقة لونها أخضر منها دينار شامي ، ومعه خاتم كنت تمنيته ، فأوصلته ما كان معي وأخذت الخاتم][1] .. هذهِ من العناوين المذهلة في الدلالة الإضافية على خصوصيّة مقام الإمام ، ومدى اللطف والإحاطة التي أولاها اللهُ للمهدي عليه السلام .

وفي بعضِها تقرأ عجباً ، بسبب الإحاطة التي شكّلت واحداً من رموز النعمة الربانيَّة التي أنعم اللهُ بها على منصب الإمامة وأشخاصِها . فقد روى أحمد بن محمد الجبلي قال : شككتُ بصاحب الزمان بعد مضي أبي محمد عليه السلام فخرجتُ إلى العراق ، وخرجت إلى خارج الرسا ، وكنت سمعتُ أن حاجزاً من وكلاء الناحية حرم أبي محمد عليه السلام ، وأنه وكيل صاحب الزمان عليه السلام سرّاً ، إلا عن ثقات الشيعة . فدفعتُ إليه خمسة دنانير وكتبتُ رقعة سألتُ فيها الدعاء لي وتسمَّيت في ترجمة الرقعة بغير اسمي ، فورد التوقيع : [بوصول الخمسة الدنانير والدعاء باسمي واسم أبي دون ما سمّيت به ، ولم يكن حاجز ولا غيره ممَّن حضر عرفني . فآمنتُ به ، واعتقدت إمامة القائم عليه السلام][2] .

ففيها يؤكِّد المعصوم عليه السلام على حقيقة المُرسِل والطالب بإسمه الفعلي لا المستعار أو المفترض ، ليكشف الشبهة عن قلبِهِ وليُدلَّ على مقام الإمامة في الإحاطة بإذن الله تعالى ، وليكون ذاك الرجل معبَراً نحو الدعوة إلى الحقائق المتّصلة بالإمامة عبر ما جرى معه وما سار إليه .. وقد بلغ من شياع هذا الأمر أنَّ بعض القوم كانوا إذا اشتبهوا بأمرٍ له حقوق كتبوا إلى

---

[1] وفي الخرائج : ج ٢ ص ٦٩٦ ب ١٤ ح ١١ –

[2] عيون المعجزات : ص ١٤٥ –

الناحية ، فكان يخرج التوقيع بالحقيقة الخافية عليهم بإذن الله تعالى . فقد رُوِي عن الحسن بن جعفر القزويني قال : مات بعض إخواننا من أهل فانيم من غير وصيَّة ، وعنده مال دفين ، لا يعلم به أحد من ورثته ، فكتب إلى الناحية يسأله عن ذلك فورد التوقيع : [المال في البيت ، في الطاق ، في موضع كذا وكذا ، وهو كذا وكذا ، فقلع المكان وأخرج المال][1] .

هذا إن دلَّ على شيئٍ فإنّه يدلُّ على شياع الثقة وتعاظم أمرها بأنَّ الناحية كفيلةٌ بالإحاطة المعرفيَّة بإذن اللهِ تعالى ، بما للمعصوم من مقامٍ ورتبة عظيمة عند الله تعالى . وأهميَّة ما يتضمَّنه النص أنَّ الإتِّصال بالناحية المقدّسة كان على نحوٍ مشاعٍ والناس يتعاملون في ذلك بنحوٍ يقيني مطلق . وهذا أمر في غاية الأهميّة .. وكذا في طوائف متعدِّدة من الشهادات التاريخيّة والوقعات الميدانيَّة ، فقد روى علي بن محمَّد قائلاً : كان ابن العجمي جعل ثلثه للناحية وكتب بذلك ، وقد كان قبل إخراجه الثلث ، دفع مالاً لابنه أبي المقدام ، لم يطلع عليه أحد ، فكتب إليه : [فأين المال الذي عزلته لأبي المقدام ؟][2] . إنّه الإخبار الموصول بطرف الإعجاز ..!

وحدَّث الحسن بن علي العلوي انّه أودع المجروح مرداس بن علي مالاً للناحية ، وكان عند مرداس مال لتميم بن حنظلة ، فورد على مرداس : [أنفذ مال تميم مع ما أودعك الشيرازي][3] . وقال محمد بن الحسين ظاهرا : إنَّ مسروراً الطباخ قال : حدثني أبي قال : كتبتُ إلى الحسن بن راشد لضيقةٍ أصابتني فلم أجده في البيت ، فانصرفتُ فدخلت مدينة أبي

---

[1] عيون المعجزات : صـ ١٤٤ –

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٤ حـ ٢٦ –

[3] الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٣ حـ ١٨ –

جعفر ، فلما صرتُ في الرحبة حاذاني رجل لم أرَ مثلَ وجهه ، وقبض على يدي ودسَّ إليَّ صرةً بيضاء ، فنظرت فإذا عليها كتابة فيها اثنا عشر ديناراً ، وعلى الصرَّة مكتوب « مسرور الطباخ »][1] .

كلُّ هذهِ من معينٍ واحد .! والغاية شاملة وجامعة ، والهدف واضح ، في تحقيق دلالات ذات صلة قاطعة بموضوع الإمامة ، على انّ هذهِ أعرُضُهَا من باب الوقعات الميدانيّة والشهادات التطبيقيَّة ، وإلا ففيما أشرنا إليه وعرضناه من حُجَج ونصوص وروايات شديدة الإعتبار بل بعضها شديد التواتر فيها كفاية مطلقة ، لكنّني آثرتُ أن أتعرَّض لبعض الوقائع من باب دلالتِها التاريخيَّة ومنطقها الزمني ومفعولها الحركي وطبيعتها الظرفيّة .

وتتكرَّر الشهادات بشكلٍ يليق النظر فيها بسبب تنوُّع أشخاصها ، وتعدُّد أطرافها ، في حين كلُّها تصبُّ في هدفٍ وغاية واحدة ، لتعلن الثبات والشياع الكبير في جانب الناس بما خصَّ أمر المهدي عليه السلام من جهة ، والتواصل مع الناحية واليقين المطلق بها من جهةٍ أخرى .

فقد روى سعد بن عبد الله فقال : حدثني أبو القاسم بن أبي حليس قال : [كنتُ أزورُ الحسينَ عليه السلام في النصف من شعبان ، فلما كان في سنة من السنين وردتُ العسكر قبل شعبان ، وهممتُ أن لا أزور في شعبان ، فلما دخل شعبان قلت : لا أدع الزيارة التي كنتُ أزورها ، فخرجت زائراً ، وكنتُ إذا وردتُ العسكر أعلمتهم برقعةٍ أو برسالة ، فلما كان في هذه الدفعة قلت لأبي القاسم الحسن بن أحمد الوكيل : لا تُعلمهم بقدومي ، فإني

---

[1] الخرائج : ج ٢ صـ ٦٩٧ ب ١٤ ح ١٢

أريد أن أجعلها زورةً خالصةً . قال : فجاءني أبو القاسم وهو يتبسم وقال : بُعِثَ إليَّ بهذين الدينارين وقيل لي : ادفعها إلى الحليسي وقل له : مَن كان في حاجة الله عزوجل كان الله في حاجته . قال : واعتللت بـ « سر من رأى » علَّةً شديدةً أشفقتُ منها ، فأطليت مستعداً للموت ، فبعث إليَّ بستوقة فيها بنفسجين ، وأُمرت بأخذه ، فما فرغت حتى أفقت من علتي ، والحمد لله رب العالمين][1] . لا شكّ أن هذا عنوان بارز من عناوين الدلالة ، وصفة لازِمة في طبايع الشهادة حول الإحاطة التي كانت للناحية المقدَّسة وهي نعمة كبرى من نعم الله تعالى وحجَّة ساطعة على أرجاء الأذهان والقلوب ..

وفي عيون المعجزات - بتفاوت - قال مُرسِلاً عن أبي قاسم الجليسي ، أنه قال : مرضتُ بالعسكر مرضاً شديداً أعني بـ « سر من رأى » حتى آيستُ من نفسي وأشرفت على الموت ، فبعث إليَّ مِن جهته عليه السلام قارورةً فيها بنفسج مربي ، من غير أن أسأله ذلك ، وكنت آكل منها على غير مقدار ، فعُوفِيتُ عند فراغي منها ، وفني ما كان فيها][2] .

إنَّ هذا تأكيد نموذجي على الصلة بالمعصوم . ويقين من طرف الناس بما يصدر عن الناحية المقدّسة ، فضلاً عن الإفتخار ، حتى أصبح الشياعُ في هذا الأمر عنواناً واسعاً في قلب الدولة وأطرافها ، بل تحدَّث بهِ القادة وأهل الخلافة العباسيَّة وزعامات الجند ووُلاة البلاد الذين كان يضغط على صدورهم شياعُ أمرِ المهدي عليه السلام وما يصدر عن الناحية وما يتّصل بأمر العباد .. ولقد كان أمرُ المهديِّ عليه السلام شديدَ الذياع ، وظلَّ كذلك ، وسط طمأنينة الناس ، وبُشراهم ، وشهادات متنامية ، ووقائع شديدة العمق

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩٣ بـ ٤٥ حـ ١٨ - حدثني أبي رضي الله عنه ،

[2] عيون المعجزات: صـ ١٤٤ -

في الإقرار مرة أو الإعتراف أو الإذعان مرّةً أخرى ، أو في التأكيد والتوكيد ، وغير ذلك من العناوين . وصولاً إلى قضاء الحاجات ، وتسهيل الأمر ، وكلّ هذا ساهم في إضاءة الجانب الواسع من المفهوم التاريخي للشهادة . وسط تعدُّد كبير في التلاقي الحسِّي مع هذه القضيّة . ففي الرواية عن أبي ذر ، أحمد بن أبي سورة - وهو محمد بن الحسن بن عبد الله التميمي وكان زيدياً - قال سمعت هذه الحكاية عن جماعة يروونها عن أبي رحمه الله ، أنه خرج إلى الحير ، قال : فلما صرت إلى الحير إذا شاب حسن الوجه يصلي ، ثم إنه ودَّعَ وودَّعت وخرجنا ، فجئنا إلى المشرعة فقال لي :

[يا ابا سورة أين تريد ؟ فقلت الكوفة . فقال لي مع مَن ؟ قلت : مع الناس . قال لي : لا نريد ، نحن جميعاً نمضي ، قلت : ومَن معنا ؟ فقال ليس نريد معنا أحداً . قال : فمشينا ليلتنا فإذا نحن على مقابر مسجد السهلة ، فقال لي هو ذا منزلك فإن شئتَ فامض ، (ثم قال) لي : تمر إلى ابن الزراري علي بن يحيى فتقول له : يعطيك المال الذي عنده . فقلت له لا يدفعه إلي . فقال لي قل له : بعلامة أنه كذا وكذا دينار أو كذا وكذا درهماً ، وهو في موضع كذا وكذا ، وعليه كذا وكذا مغطًّى ، فقلت له ومن أنت ؟ قال : أنا محمد بن الحسن ، قلت فإنْ لم يقبَل منِّي وطُولِبتُ بالدلالة ؟ فقال : أنا وراك ، قال : فجئت إلى ابن الزراري فقلت له فدفعني . فقلت له ، قد قال لي : أنا وراك . فقال : ليس بعد هذا شيئ ، وقال لم يعلم بهذا إلا الله تعالى ودفع إليَّ المال][1] .

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٦٢ - (أحمد بن علي الرازي) . قال حدثني ابن أبي سورة (قال) كنت بالحائر زايراً عشية عرفة فخرجت متوجها على طريق البر ، فلما انتهيت المسناة جلست إليها مستريحاً ، ثم قمتُ أمشي وإذا رجل على ظهر الطريق فقال لي هل لك في الرفقة ؟ فقلت : نعم فمشينا معا يحدثني وأحدثه وسألني عن حالي فأعلمته أني مضيق لا شيئ معي ولا في يدي فالتفت إلي فقال لي : إذا دخلت الكوفة

فأتِ أبا طاهر الزراري فاقرع عليه بابه فإنه سيخرج عليك وفي يده دم الاضحية ، فقل له : يقال لك إعطِ هذا الرجل الصرة الدنانير التي عند رجل السرير ، فتعجبت من هذا ، ثم فارقني ومضى لوجهه لا أدري أين سلك ، ودخلت الكوفة فقصدت أبا طاهر محمد بن سليمان الزراري فقرعت بابه . كما قال لي وخرج إلي وفي يده دم الاضحية فقلت له : يقال لك إعط هذا الرجل الصرة الدنانير التي عند رجل السرير ، فقال سمعا وطاعة ودخل فأخرج إليَّ الصرة فسلَّمَهَا إليَّ فأخذتها وانصرفت . وفيها أيضاً : حدّث أبو عيسى محمد بن علي الجعفري وأبو الحسين محمد بن علي بن الرقام ، قالا حدثنا أبو سورة (قال أبو غالب) وقد رأيت ابناً لابي سورة ، وكان أبو سورة أحد مشايخ الزيدية المذكورين ، قال أبو سورة : خرجت إلى قبر أبي عبد الله ﷺ أريد يوم عرفة فعرفت يوم عرفة ، فلما كان وقت عشاء الآخرة صليت وقمت فابتدأت أقرأ من الحمد وإذا شاب حسن الوجه عليه جبة سيفي فابتدأ أيضا من الحمد وختم قبلي أو ختمت قبله ، فلما كان الغداة خرجنا جميعاً من باب الحائر ، فلما صرنا إلى شاطئ الفرات قال لي الشاب : أنت تريد الكوفة فامض فمضيت طريق الفرات ، وأخذ الشاب طريق البر ، قال أبو سورة ثم أسفت على فراقه فاتبعته فقال لي : تعال فجئنا جميعا إلى أصل حصن المسناة فنمنا جميعا وانتبهنا فإذا نحن على العوفي على جبل الخندق ، فقال لي : أنت مضيق وعليك عيال فامض إلى أبي طاهر الزراري فيخرج إليك من منزله وفي يده الدم من الاضحية فقل له شاب من صفته كذا يقول لك صرة فيها عشرون دينارا جاءك بها بعض إخوانك فخذها منه ، قال أبو سورة فصرت إلى أبي طاهر الزراري كما قال الشاب ووصفته له فقال : الحمد لله ورأيته فدخل وأخرج إليَّ الصرة الدنانير فدفعها إلي وانصرفت ، قال أبو عبد الله محمد بن زيد بن مروان - وهو أيضا من أحد مشايخ الزيدية - حدثت بهذا الحديث أبا الحسن محمد بن عبيد الله العلوي ونحن نزول بأرض الهر ، فقال : هذا حق ، جاءني رجل شاب فتوسمت في وجهه سمة فانصرف الناس كلهم وقلت له من أنت ؟ فقال : أنا رسول الخلف ﷺ إلى بعض إخوانه ببغداد ، فقلت له : معك راحلة فقال : نعم في دار الطلحيين ، فقلت له : قم فجيئ بها ، ووجهت معه غلاماً فاحضر راحلته وأقام عندي يومه ذلك وأكل من طعامي وحدثني بكثير من سري وضميري ، قال فقلت له : على أي طريق تأخذ ؟ قال : أنزل إلى هذه النجفة ثم آتي وادي الرملة ثم آتي الفسطاط واتبع الراحلة فاركب إلى الخلف عليه السلام إلى المغرب ، قال أبو الحسن محمد بن عبيد الله : فلما كان من الغد ركب راحلته وركبت معه حتى صرنا إلى قنطرة دار صالح فعبر الخندق وحده وأنا أراه حتى نزل النجف وغاب عن عيني . قال أبو عبد الله محمد بن زيد فحدثت أبا بكر محمد بن أبي دارم اليمامي - وهو من أحد مشايخ الحشوية - بهذين الحديثين فقال : هذا حق جاءني منذ سنيات ابن أخت أبي بكر النخالي العطار - وهو صوفي يصحب الصوفية - فقلت من أنت وأين كنت ؟ فقال لي : أنا مسافر منذ سبع عشرة سنة ، فقلت له : فأيش أعجب ما رأيت ؟ فقال : نزلت في الاسكندرية في خان ينزله الغرباء وكان في وسط الخان مسجد يصلي فيه أهل الخان وله إمام وكان شاب يخرج من بيت له أو غرفة فيصلي خلف الامام ويرجع من وقته إلى بيته ولا يلبث مع الجماعة ، قال : فقلت - لما طال ذلك علي ورأيت منظره شاب نظيف عليه عباء - أنا والله أحب خدمتك والتشرف بين يديك ، فقال شأنك فلم أزل أخدمه حتى أنس بي الانس التام ، فقلت له ذات

وفيها أيضاً (في حديث آخر عنه ، زاد فيه) : .. قال أبو سورة : فسألني الرجلُ عن حالي فأخبرته بضيقي وبعيلتي ، فلم يزل يماشيني حتى انتهينا إلى النواويس في السحر فجلسنا ، ثم حفر بيده فإذا الماء قد خرج ، فتوضأ ثم صلَّى ثلاث عشرة ركعة ، ثم قال لي : « امضِ إلى أبي الحسن ، علي بن يحيى ، فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك الرجل ادفع إلى أبي سورة من السبع مائة دينار التي مدفونة في موضع كذا وكذا مائة دينار ، وإني مضيتُ من ساعتي إلى منزله فدققت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت قولي لابي الحسن : هذا أبو سورة ، فسمعته يقول مالي ولابي سورة ، ثم خرج إليَّ فسلمت عليه وقصصت عليه الخبر ، فدخل وأخرج إلي مائة دينار فقبضتها . فقال لي صافحته ؟ فقلت : نعم ، فأخذ يدي فوضعها على عينيه ، ومسح بها وجهه » .

ثم قال : « قال أحمد بن علي وقد روى هذا الخبر عن محمد بن علي الجعفري ، وعبد الله بن الحسن بن بشر الخزاز ، وغيرهما وهو مشهور عندهم » .

يوم من أنت أعزك الله ؟ قال : أنا صاحب الحق ، فقلت له : يا سيدي متى تظهر ؟ فقال : ليس هذا أوانُ ظهوري . وقد بقي مدة من الزمان ، فلم أزل على خدمته تلك وهو على حالته من صلاة الجماعة وترك الخوض فيما لا يعنيه ، إلى أن قال : أحتاج إلى السفر فقلت له : أنا معك ، ثم قلت له : يا سيدي متى يظهر أمرك ؟ قال : علامة ظهور أمري كثرة الهرج والمرج والفتن ، وآتي مكة فأكون في المسجد الحرام ، فيقول الناس انصبوا لنا إماماً ، ويكثر الكلام حتى يقوم رجل من الناس فينظر في وجهي ثم يقول : يا معشر الناس ، هذا المهدي انظروا إليه ، فيأخذون بيدي وينصبوني (كذا) بين الركن والمقام ، فيبايع الناسُ عند أياسهم عني . قال : وسرنا إلى ساحل البحر فعزم على ركوب البحر فقلت له : يا سيدي أنا والله أفرق من ركوب البحر ، فقال : ويحك تخاف وأنا معك ، فقلت : لا ولكن أجبن ، قال : فركب البحر وانصرفت عنه] . [وفي نفس المصدر : صـ ١٨١ - وأخبرني جماعة عن أحمد بن محمد بن عياش ، قال حدثني ابن مروان الكوفي ،] .

وهكذا شاع الأمرُ وتعدَّد جداً ، حتى كان سبباً في العديد من الأشخاص والقبائل للهداية والإلتزام بالإمامة وإعلان الولاء لمولانا المهدي عليه السلام حتى روى أحمد بن فارس الاديب يقول : سمعت بهمدان حكاية حكيتها كما سمعتها لبعض إخواني فسألني أن أثبتها له بخطي ولم أجد إلى مخالفته سبيلاً ، وقد كتبتها ، وعهدتها على مَن حكاها وذلك أنَّ بهمدان ناساً يعرفون بـ « بني راشد » وهم كلُّهم يتشيَّعُون ، ومذهبهم مذهب أهل الامامة . فسألت عن سبب تشيُّعِهم من بين أهل همدان ؟ فقال لي شيخ منهم – ورأيت فيه صلاحاً وسمتاً – : إنَّ سبب ذلك أنَّ جدَّنَا الذي ننتسِبُ إليه خرج حاجاً فقال : إنه لمَّا صدر مِن الحج وساروا منازل في البادية قال : فنشطتُ في النزول والمشي فمشيتُ طويلاً حتى أعييت ونعست ، فقلت في نفسي : أنام نومةً تريحني ، فإذا جاء أواخر القافلة قمتُ ، قال : فما انتبهتُ إلا بحرِّ الشمس ولم أرَ أحداً فتوحَّشتُ ، ولم أرَ طريقاً ولا أثراً ، فتوكَّلتُ على الله عزوجل وقلت : أسير حيث وجَّهني ، ومشيت غيرَ طويل فوقعت في أرض خضراء نضراء كأنها قريبةُ عهدٍ من غيث ، وإذا تربتها أطيب تربة ، ونظرت في سواء تلك الارض إلى قصر يلوح كأنه سيف ، فقلت : ليت شعري ما هذا القصر الذي لم اعهده ولم أسمع به فقصدته ، فلما بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين ، فسلَّمتُ عليهما فردَّا ردَّاً جميلاً وقالا : اجلس فقد أراد اللهُ بك خيراً ، فقام أحدهما ودخل واحتبس غير بعيد ، ثم خرج فقال : قم ، فادخل . فدخلت قصراً لم أرَ بناءً أحسن من بنائه ولا أضوء منه ، فتقدَّم الخادم إلى سترٍ على بيتٍ فرفعه ، ثم قال لي : ادخل ، فدخلتُ البيت ، فإذا فتىً جالس في وسط البيت ، وقد علق فوق رأسه من السقف سيف طويل تكاد ظبته (حليته) تمسُّ رأسه ، والفتى (كأنه) بدر يلوح في ظلام ، فسلَّمتُ فردَّ السلام بألطف كلام وأحسنه ، ثم قال لي :

« أتدري من أنا ؟ فقلت : لا والله ، فقال : أنا القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله ، أنا الذي أخرجُ في آخر الزمان بهذا السيف - وأشار إليه - فأملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً . فسقطتُ على وجهي وتعفَّرتُ ، فقال : لا تفعل ارفع رأسك ، أنت فلان من مدينة بالجبل يُقال لها همدان ، فقلت : صدقت يا سيدي ومولاي . قال : فتحبُّ أن تؤوبَ إلى أهلك ؟ فقلت : نعم يا سيدي وأبشرهم بما أتاحَ اللهُ عزوجل لي ، فأومأ إلى الخادم فأخذ بيدي ، وناولني صرَّة ، وخرج ومشى معي خطوات ، فنظرتُ إلى ظلال وأشجار ومنارة مسجد ، فقال : أتعرف هذا البلد ؟ فقلت : إنَّ بقرب بلدنا بلدة تُعرف بأسد آباد وهي تشبهها . قال : فقال : هذه أسد آباد امضِ راشداً ، فالتفتُّ فلم أره . فدخلتُ أسد آباد وإذا في الصرَّة أربعون أو خمسون ديناراً . فوردت همدان وجمعت أهلي وبشَّرتُهُم بما يسَّرَهُ الله عزوجل لي . ولم نزل بخير ما بقي معنا من تلك الدنانير][1] .

وقال في الخرائج : روى جماعة : [إنَّا وجدنا بهمدان أهل بيت كلّهم مؤمنون ، فسألناهم عن ذلك قالوا : كان جدنا قد حجَّ ذات سنة ، ورجع قبل دخول الحاج بكثير ، فقلنا : كأنك انصرفت من العراق ؟ قال : لا ، إنما أنا قد حججت مع أهل بلدتنا وخرجنا . فلما كان في بعض الليالي في البادية غلبتني عيناي ، فنمتُ فما انتبهت إلا بعد أن طلعت الشمس (فانتبهت ، فلم أرَ للقافلة أثراً) وخرَجَت القافلة وآيستُ من الحياة ، وكنتُ أمشي وأقعد يومين وثلاثة ، فأصبحتُ يوماً وإذا أنا بقصر فأسرعت إليه ، ووجدت ببابه أسود ، فأدخلني داراً ، وإذا أنا برجل حسن الوجه والهيئة ، فأمر أن يطعموني ويسقوني فقلت له : من أنت (جعلت فداك) قال أنا الذي ينكرني

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٥٣ ب ٤٣ ح ٢٠ -

قومك وأهل بلدك . فقلت : ومتى تخرج ؟ قال : ترى هذا السيف المعلَّق ههنا ، وهذه الراية ، فمتى انسلَّ من غمده (وأنشرت الراية بنفسها) خرجت ، فلما كان بعد وهن من الليل قال : تريد أن تخرج إلى بيتك ، قلت : نعم ، قال لبعض غلمانه : خذ بيده (وأوصله إلى منزله فأخذ بيدي) فخرجت معه وكأن الارض تُطوى تحت أرجلنا ، فلما انفجر الفجر (وإذا نحن بموضع أعرفه بالقرب من بلدتنا) قال لي غلامه : هل تعرف الموضع ؟ قلت نعم ، أسد آباد ، فانصرف ، قال ودخلت همدان ، ثم دخل بعد مدة أهل بلدتنا ممن حج معي ، وحدث الناس بانقطاعي منهم ، وتعجبوا من ذلك ، فاستبصرنا من ذلك جميعاً][1] .

وقد قرأنا شهاداتٍ متنوِّعة لافتة جداً تصبُّ في هذا المعنى وتشيرُ إليه وتؤكّده ، من أطراف وبقاع مختلفة . في ظل شياع وطمأنينة واضحة . وهذا نوع مهمّ من استنطاق الأحداث واستنباط التوجُّهات من أحداث الوقعات التي تجرى في تلك الأزمان .

---

[1] الخرائج : ج ٢ صـ ٧٨٨ ب ١٥ ح ١١٢ – قال :

جملة من كراماته ﷺ في الغيبة الصغرى

يبدو للمتتبِّع انَّ هناك جملة واسعة من الكرامات التي ظهرت على الكثيرين زمن الغيبة الصغرى عبر بركة مولانا المهدي ﷺ . فقد حدَّث رجا المصري وكان يُسمَّى عبد ربه قائلاً : خرجتُ في طريق مكَّة بعد مضي أبي محمد ﷺ بثلاث سنين ، فوردت المدينة وأتيتُ صارياً ، فجلست في ظلة كانت لأبي محمد ، وكان سيدي أبو محمد عالم أنَّ بُغيتي عنده ، فأنا أفكِّر وأقول في نفسي : لو كان شيئ لظهر بعد ثلاث سنين . وإذا بهاتف يهتفُ بي - أسمع صوته ولا أرى شخصه - : [يا عبد ربه ابن نصير ، قُل لأهل مصر ، هل رأيتم رسول الله ﷺ حيث آمنتم ؟ قال : ولم أكن أعرف اسم أبي ، وذلك أنني خرجتُ من مصر وأنا طفل صغير . فقلت : أنت صاحب الزمان بعد أبي محمَّد ﷺ حقّ ، وإنَّ غيبته حقّ ، وإنه الهاتف بي . وزال عني الشك وثبت اليقين][1] .

نعم لسانُ النص يشير ضمناً إلى حيرةٍ ما ، كان يقع بها الراوي من جهة ، وظرف زمني مُتداعٍ من هذه الجهة حيث العباسيّون يُجهدون أنفسهم

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٩٠ - عن الحسين بن حمدان قدس الله روحه ، عن جعفر بن محمد الكوفي ،

في طمس معالم الإمامة ومنع ذكرها ، والسيطرة على مقاليد الأمر عبر بثّ الإشاعات في انّ أبا محمد العسكري عليه السلام مضى ولم يكن له ولد ..! .. وباءت جهودهم بالفشل ..

وفي رواية الاعلم المصري ، عن أبي رجاء المصري قال : خرجتُ في الطلب بعد مضي أبي محمد عليه السلام بسنتين ، لم أقف فيهما على شيئ ، فلمّا كان في الثالثة كنتُ بالمدينة في طلب ولد لأبي محمد عليه السلام بصرياء ، وقد سألني أبو غانم أن أتعشّى عنده ، وأنا قاعد مُفكِّر في نفسي وأقول : لو كان شيئ لظهر بعد ثلاث سنين ، فإذا هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه وهو يقول : [يا عبد ربه ابن نصير ، قُل لأهل مصر ، هل رأيتم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث آمنتم ؟ قال : ولم أكن أعرف اسم أبي ، وذلك أنني خرجتُ من مصر وأنا طفل صغير . فقلت : أنت صاحب الزمان بعد أبي محمّد عليه السلام حق ، وإنّ غيبته حقّ ، وإنه الهاتف بي ..][1] – تماماً كما ورد في الهداية بتفاوت وتقديم وتأخير وفيه أيضاً – : [. . ولدت بالمدائن فحملني النوفلي وقد مات أبي ، فنشأت بها ، فلما سمعت الصوت قمت مبادراً ولم أنصرف إلى أبي غانم وأخذت طريق مصر ..][2] .

فهي تؤكِّد طابع الإعجاز الكاشف ، كما تؤكِّد ظرف تلك الفترة العصيبة التي طالت بصعوبتها البعض بل الأغلب . والأهم انّها صريحة جدّاً في أنّ شيعة الأطراف كانوا شديدي الإعتقاد بأنّه لا بدّ أن يخلف الإمام

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩١ بـ ٤٥ حـ ١٥ – حدثنا أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن علان الكليني ،

[2] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩١ بـ ٤٥ حـ ١٥ – حدثنا أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن علان الكليني ،

العسكري ولد ، هو الثاني عشر من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهو نفسه يكون المهدي الذي تواتر النصُّ فيهِ عن النبي (صلى الله عليه وآله) ..! هذا الأمر لا بدَّ من الإلتفات إليه ..

ومعلوم انَّ الشيعة الذين لم يعلموا بولادة المهدي (عليه السلام) كانوا مُتأكِّدين من انّه لا يمكن ان يمضي الإمام أبو محمّد العسكري (عليه السلام) دون ان يخلف المهدي ، حيث شاع وذاع في النصوص أنَّ المهدي (عليه السلام) يكون من ذريّة رسولِ الله ، من ولدِ عليٍّ وفاطمة (عليهما السلام) ، وأنّه يكون من وُلد الحسين ، وانّه التاسع من وُلد الحسين ، بل من وَلَدٍ للحسين (عليه السلام) يُدعى الحسن العسكري . هذا ما ورد في طائفة واسعة من النصوص عدَّدَت الأئمّة وحدَّدت أوصافهم حتى قبل أن يولدوا .. لذلك لا يمكن أن تنجح خطّة العباسيين . نعم كان من شأنها أن تطال البعض ، وأن تثير الشبهات هنا وهناك عبر خططها ومنعها ودعاياتِها وشبه ذلك .. ومتن النص بأكثر من مضمون يشيرُ إلى واحدةٍ من هذه الظروف القاسية التي أثارت الغبار هنا وهناك ..

والأهم من هذا وذاك انَّ أمر المهدي (عليه السلام) كان شديد الوضوح والبديهيَّة عند الشيعة وعند كثيرٍ من غيرِ الشيعة[1] ، بل كان الشيعةُ منذ أولى لحظات وفاة الإمام العسكري يُعرفون بانتسابِهم إلى المهدي (عليه السلام) . وقد شاعت هذه الصفة بهم وذاعت . وبها كانوا يُعرفون عند القوم وعند

---

[1] أما من حيث الأصل والإعتقاد بالمهدي (عليه السلام) فكل المسلمين يعتقدون به . الخلاف بين الشيعة والسنة أنّ الشيعة تؤكّد ولادته وانّه التاسع من وُلد الحسين ، الثاني عشر من أئمة أهل البيت . وعلى ذلك نصوص لا تُحصى عند الشيعة والسنّة . فيما السنة يقولون انه لم يولد بعد . وانّه نعم يكون من وُلد رسول الله من نسل عليٍّ وفاطمة . وما عليه الشيعة تشهد له البراهين والنصوص والأدلّة المدهشة ..

الخليفة ، وفي كافّةِ أقطار الأرض . وبها يتمسَّكون ، وعليها يقاتلون . وقد حدَّث أبو الحسن المسترق الضرير قائلاً : كنتُ يوماً في مجلس الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة ، فتذاكرنا أمر الناحية ، قال : كنتُ أُزري عليها ، إلى أن حضرت مجلس عمِّي الحسين يوماً ، فأخذتُ أتكلَّم في ذلك ، فقال : يا بُنيَّ ، قد كنتُ أقول بمقالتك هذه ، إلى أن ندبت لولاية « قم » حين استصعبت على السلطان ، وكان كل مَن ورد إليها من جهة السلطان يُحارِبُهُ أهلها ، فسلَّم إليَّ جيشاً وخرجت نحوها .

فلما بلغت إلى ناحية طزر خرجتُ إلى الصيد ، ففاتتني طريدة فاتبعتها وأوغلت في أثرها ، حتى بلغت إلى نهر ، فسرت فيه ، وكلما أسير يتَّسع النهر ، فبينما أنا كذلك إذ طلع عليَّ فارسٌ تحته شهباء ، وهو متعمِّم بعمامة خز خضراء ، لا أرى منه إلا عينيه ، وفي رجليه خفان أحمران ، فقال لي : يا حسين ، فلا هو أمرني ولا كناني .

فقلت : ماذا تريد ؟ قال : لِمَ تُزري على الناحية ! ولِمَ تمنع أصحابي خمسَ مالك ؟ وكنت الرجل الوقور الذي لا يخاف شيئاً فأرعدت [منه] وتهيّبتُهُ ، وقلت له : أفعل يا سيِّدي ما تأمر به . فقال : إذا مضيت إلى الموضع الذي أنت متوجِّه إليه ، فدخلته عفواً وكسبت ما كسبته ، تحمل خمسه إلى مستحقه . فقلت : السمع والطاعة . فقال : امض راشداً ، ولوى عنان دابته وانصرف ، فلم أدرِ أي طريق سلك ، وطلبته يميناً وشمالاً فخفي عليَّ أمرُهُ ، وازددتُ رعباً ، وانكفأت راجعاً إلى عسكري ، وتناسيتُ الحديث . فلما بلغت « قم » وعندي أنِّي أريدُ محاربةَ القوم ، خرج إليَّ أهلها وقالوا : كُنَّا نحارِبُ مَن يجيئنا بخلافهم لنا ، فأما إذا وافيت أنت فلا خلافَ بيننا وبينك . ادخل البلدة فدَبِّرها كما ترى . فأقمت فيها زماناً ، وكسبتُ

أموالاً زائدةً على ما كنت أقدر ، ثم وشى القوّادُ بي إلى السلطان ، وحُسِدتُ على طول مقامي ، وكثرة ما اكتسبتُ ، فعُزِلتُ ورجعتُ إلى بغداد ،

فابتدأتُ بدار السلطان وسلَّمتُ عليه ، وأتيت إلى منزلي ، وجاءني فيمَن جاءني « محمد بن عثمان العمري » فتخطَّى الناسَ حتى اتَّكَأ على تكأتي ، فاغتظتُ من ذلك ، ولم يزل قاعداً ما يبرح ، والناسُ داخلون وخارجون ، وأنا أزداد غيظاً . فلما تصرَّم [الناس ، وخلا] المجلس ، دنا إليَّ وقال : بيني وبينك سرٌّ فاسمعه ، فقلت : قل . فقال : صاحب الشهباء والنهر يقول : قد وفينا بما وعدنا . يقول : فذكرتُ الحديثَ وارتعتُ من ذلك ، وقلت : السمع والطاعة . فقمت فأخذتُ بيده ، ففتحتُ الخزائن ، فلم يزل يخمِّسها ، إلى أن خمَّس شيئاً كنتُ قد أنسيته ممَّا كنت قد جمعته وانصرف . ولم أشك بعد ذلك ، وتحقَّقتُ الامر . فأنا منذ سمعت هذا من عمِّي أبي عبد الله زَالَ ما كان اعترضني من شك][1] .

حقّاً انّه مذهل ..! انّه شهادة عمليّة إضافيّة على عناوين الحضور وبسط الحُجج المتنوِّعة في تلك الفترة ..

---

[1] الخرائج : ج ١ صـ ٤٧٢ بـ ١٣ حـ ١٧ . وفي الكافي : ج ١ صـ ٥٢٤ حـ ٢٧ - علي بن محمد ، عن أبي عقيل عيسى بن نصر ، قال : كتب علي بن زياد الصيمري يسأل كفناً فكتب إليه " إنك تحتاج إليه في سنة ثمانين ، فمات في سنة ثمانين ، وبعث إليه بالكفن قبل موته بأيام " .] .. أيضاً في الكافي : ج ١ صـ ٥١٩ حـ ١٠ - علي بن محمد ، عن أبي عبد الله بن صالح قال : كنت خرجت سنة من السنين ببغداد فاستأذنت في الخروج ، فلم يُؤذَن لي ، فأقمت اثنين وعشرين يوماً ، وقد خرجت القافلة إلى النهروان ، فأذن في الخروج لي يوم الاربعاء وقيل لي [أخرج فيه ، فخرجت وأنا آيس من القافلة أن ألحقها ، فوافيت النهروان والقافلة مقيمة ، فما كان إلا أن أعلفت جمالي شيئاً حتى رحلت القافلة ، فرحلت وقد دعا لي بالسلامة فلم ألق سوء والحمد لله] .

هذا النص يحكِي شياعَ أمرِ المهدي (عليه السلام) في أهل قم ، وبتعبيرٍ آخر : كان موضوع الإمام المهدي (عليه السلام) والإنتساب إليه وإلى إمامتِهِ من الأمور البديهيّة جدّاً عند الشيعة ، ثم يشير أنّه كان منكراً عليهم قولهم هذا ، إلى أن حدث وتمّت توليتُهُ من قِبَل الخليفة على الجيش ليقاتل هؤلاءِ الشيعة الذين فشل في ضبطهم مَن كان قبله من الولاة والقادة . وفي ساعةٍ حاسمة ، رأى ما رأى ..! ومنذ تلك اللحظة بدا أنَّ شيئاً تغيَّر ، تغيَّر في أهل قم وفيه هو أيضاً ، فقد قبض أهل قم أيديهم عن قتال هذا الوالي الجديد . وقابلوه بالإحسان ، في حين هو سار معهم بإحسانٍ واستقامة ، وهذا خلاف ما كان يضمر لهم حين عُيِّن من حربٍ وانتقام .. إلى أن عُزِل للحسد من قبل العسس والعيون والمنافسين وغيرهم . وكان مجيئه إلى بغداد ، ثم مجيئ محمّد بن عثمان العمري وكيل الناحية المقدّسة ..! الذي ذكَّره بصاحب الشهباء ، أي لقاءه بالإمام المهدي (عليه السلام) ، وأمره بتخميس ماله وتبشيره بالرزق الوفير .. عندها انذهل ممّا سمع من العمري ، فقام طائعاً خاشعاً ففعل ما فعل واعتنق أمر الإمامةِ منذ تلك اللحظة ..

لا شكَّ أنَّ مطالعة عناصر هذهِ الواقعة تؤكد طابع العموم الرهيب الشائع بذكر مولانا المهدي (عليه السلام) آنذاك ..

ومهما يكن من أمر ، فقد شاع وذاع ، وتكاثرت الوقائع التي يتمُّ فيها ملاقاة المهدي (عليه السلام) أو إطلاعهم على الخبر وشبه ذلك . فقد روى أبو محمد الحسن بن وجناء النصيبي قال : كنتُ ساجداً تحت الميزاب في رابع أربع وخمسين حجة بعد العتمة ، وأنا أتضرَّعُ في الدعاء إذ حركني محرِّكٌ فقال : قم يا حسن بن وجناء . قال : فقمت ، فإذا جارية صفراء نحيفة البدن أقول : إنها من أبناء أربعين فما فوقها ، فمشت بين يدي وأنا لا أسألها عن شيئ

حتى أتت بي إلى دار خديجة عليها السلام وفيها بيت بابه في وسط الحائط وله درج ساج يرتقي ، فصعدت الجارية وجاءني النداء : اصعد يا حسن ، فصعدت فوقفت بالباب ، فقال لي صاحب الزمان عليه السلام : يا حسن ، أتراك خفيت عليَّ ، واللهِ ما مِن وقت في حجِّك إلا وأنا معك فيه . ثم جعل يعدُّ علي أوقاتي ، فوقعت [مغشيّاً] على وجهي ، فحسست بيَدٍ قد وقعت عليَّ فقمت ، فقال لي : يا حسن ، الزم دار جعفر بن محمد عليه السلام ، ولا يهمنَّك طعامك ولا شرابك ولا ما يستر عورتك ، ثم دفع إليَّ دفتراً فيه دعاء الفرج وصلاة عليه فقال : بهذا فادعُ ، وهكذا صلِّ عليَّ ، ولا تُعطِهِ إلا محقِّي أوليائي ، فإنَّ اللهَ جلَّ جلاله موفِّقك . فقلت : يا مولاي ، لا أراك بعدها ؟ فقال : يا حسن ، إذا شاء الله .

قال : فانصرفت من حجتي ولزمتُ دار جعفر بن محمد عليه السلام فأنا أخرج منها فلا أعود إليها إلا لثلاث خصال : لتجديد وضوء أو لنوم أو لوقت الافطار ، وأدخل بيتي وقت الافطار فأصيبُ رباعياً مملوءاً ماءً ورغيفاً على رأسه وعليه ما تشتهي نفسي بالنهار ، فآكلُ ذلك فهو كفاية لي ، وكسوة الشتاء في وقت الشتاء ، وكسوة الصيف في وقت الصيف ، وإني لأدخل الماء بالنهار فأرشُّ البيت وأدع الكوز فارغاً فأوتي بالطعام ولا حاجة لي إليه فأصدَّق به ليلاً كيلا يعلم بي مَن معي][1] .

فكان يخبر بها الناس ويقول : واللهِ إنَّ أمر صاحب الزمان عظيم .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٤٣ بـ ٤٣ حـ ١٧ - حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال : حدثنا علي بن أحمد الكوفي المعروف بأبي القاسم الخديجي قال : حدثنا سليمان بن إبراهيم الرقي قال : حدثنا

وهكذا في كثيرٍ من القضايا والوقائع التي تناثرت هنا وهناك ، في القلب والأطراف ، في مدن ومناطق شديدة الإختلاف والتنوُّع .. وفي العديد من المتون ما يبطل القول بإمامة جعفر الكذّاب ، ويُعطِي من الحججِ ما يجب معه الرجوع إلى إمامة مولانا المهدي عليه السلام . فقد روى أحمد بن أبي روح قال : وجهَّت إليَّ امرأةٌ من أهل دينور ، فأتيتها فقالت : يا ابن أبي روح ، أنت أوْثَقُ مَن في ناحيتنا ديناً وورعاً ، وإني أريدُ أن أودعك أمانةً أجعلها في رقبتك تؤدِّيها وتقوم بها .

فقلت : أفعل إن شاء الله تعالى . فقالت : هذه دراهم في هذا الكيس المختوم ، لا تحلّه ولا تنظر فيه حتى تؤدِّيه إلى مَن يخبرك بما فيه . وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير ، وفيه ثلاث حبَّات لؤلؤ تساوي عشرة دنانير ، ولي إلى صاحب الزمان عليه السلام حاجة ، أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها . فقلت : وما الحاجة ؟ قالت : عشرة دنانير استقرضتْهَا أمي في عرسي لا أدري ممَّن استقرضتها ، ولا أدري إلى مَن أدفعها ، فإنْ أخبرك بها ، فادفعها إلى مَن يأمرك بها . قال : وكنتُ أقول بجعفر بن علي (أي بجعفر الكذاب) ، فقلت : هذه المحبَّة بيني وبين جعفر . فحملت المال وخرجت حتى دخلت بغداد ، فأتيت « حاجز بن يزيد الوشاء » ، فسلمت عليه وجلست ، فقال : ألك حاجة ؟ قلت : هذا مال دُفِعَ إليَّ ، ولا أدفعه إليك حتى تخبرني كم هو ، ومَن دفعه إليَّ ؟ فإن أخبرتني دفعته إليك . قال : لم أُومَر بأخذه ، وهذه رقعة جاءتني بأمرك ، فإذا فيها : « لا تقبل مِن أحمد بن أبي روح ، توجَّه به إلينا إلى سامراء » . فقلت : لا إله إلا الله هذا أجلُّ شيئ أردته .

يقول : فخرجت ووافيتُ سامراء ، فقلت : أبدأ بجعفر ، ثم تفكَّرتُ فقلت : أبدأ بهم ، فإن كانت المحبَّة مِن عندهم وإلا مضيتُ إلى جعفر .

فدنوت من دار أبي محمد ﷺ فخرج إليَّ خادم فقال : أنت أحمد بن أبي روح ؟ قلت : نعم . قال : هذه الرقعةُ اقرأها ، فقرأتها فإذا فيها : [بسم الله الرحمن الرحيم ، يا بن أبي روح ، أودَعتُكَ عاتكة بنت الديراني كيساً فيه ألف درهم بزعمك ، وهو خلاف ما تظن ، وقد أدَّيت فيه الامانة ، ولم تفتح الكيس ولم تدرِ ما فيه ، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً صحاح ، ومعك قرطٌ زعمت المرأة أنه يساوي عشرة دنانير ، صدقت ، مع الفصين اللذين فيه ، وفيه ثلاث حبَّات لؤلؤ شراؤها بعشرة دنانير ، وهي تساوي أكثر ، فادفع ذلك إلى جاريتنا فلانة ، فإنَّا قد وهبناهُ لها ، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى حاجز ، وخذ منه ما يُعطيك لنفقتك إلى منزلك . وأما العشرة دنانير التي زعمت أنَّ أمها استقرضتها في عرسها ، وهي لا تدري مَن صاحبُهَا ، بل هي تعلم لِمَن ، هي لكلثوم بنت أحمد ، وهي ناصبيَّةٌ فتحيَّرت أن تعطيها إياها ، وأوجبت أن تقسمها في إخوانها ، فاستأذنتنا في ذلك ، فلْتُفرِّقها في ضعفاء إخوانها . ولا تعودنَّ يا ابن أبي روح إلى القول بجعفر والمحبة له . وارجع إلى منزلك ، فإنَّ عدوَّك قد مات ، وقد ورثك الله أهله وماله . يقول : فرجعت إلى بغداد ، وناولتُ الكيس حاجزاً ، فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون ديناراً ، فناولي ثلاثين ديناراً ، وقال : أُمرتُ بدفعها إليك لنفقتك . فأخذتُهَا وانصرفتُ إلى الموضع الذي نزلتُ فيه ، فإذا أنا بفيج وقد جاءني مِن منزلي يخبرني بأن « حموي » قد مات ، وأهلي يأمروني بالانصراف إليهم . فرجعت فإذا هو قد مات وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم][1] .

---

[1] الخرائج : جـ ٢ صـ ٦٩٩ بـ ١٤ حـ ١٧ - * وفي الهداية الكبرى : صـ ٩٢ - عن (الحسين بن حمدان) قدس الله روحه ، عن محمد (أبي محمد) بن عيسى بن مهدي الجوهري قال : خرجت في سنة ثمان وستين ومائتين إلى الحج ، وكان قصدي المدينة وصاريا ، حيث صح عندنا أنَّ صاحب الزمان ﷺ رحل عن

هذه واحدة من معاني الإعجاز .. الإعجاز الذي يأخذ بالعقول ولا يترك مجالاً إلَّا للتعظيم والتهليل والثبات على الولاية الحقّة والحفظ لها وبذل المهج أمامها ..

إنَّ هذه وغيرها من الشهادات الفعلية العميقة في دلالتها ، وقد طارت في الآفاق ، وتُليت على الأسماع ، وتناوبت عليها رجالاتٌ كثيرةٌ تحكي ما وقع معها وما جرى بخصوص رؤية أو رقعة أو بيان أو برهان

العراق إلى المدينة فجلس في القصر بصاريا ، بظلة له بجانب ضلة أبيه أبي محمد ﷺ ، ودخل عليه قوم من خاص شيعته فخرجت بعد أن حججت ثلاثين حجة في تلك السنة حاجاً ومشتاقاً إلى لقائه بصاريا ، فاعتللت وقد خرجنا من فيد فتعلقت بشهوة السمك واللبن والتمر ، فلما وردت المدينة وافيتُ بها إخواننا فبشروني بظهوره ﷺ بصاريا ، فصرتُ إلى صاريا فلما أشرفت على الوادي رأيت عنيزات عجافاً تدخل القصر ، فوقفت ارتقب الامر إلى أن وصلت وصلَّيت العشائين وأنا أدعو وأتضرع وأسأل ، فإذا ببدر الخادم يصيح بي يا عيسى بن مهدي الجوهري الجيلاني فكبَّرت وهلَّلتُ وأكثرت من حمد الله عزوجل والثناء عليه ، فلما صرتُ في صحن القصر رأيت مائدةً منصوبةً فمرَّ بي الخادم إليها فأجلسني عليها وقال لي : مولاك يأمرك أن تأكل ما اشتهيت في علَّتك ، وأنت خارج من فيد ، فقلت في نفسي حسبي بهذا برهاناً فكيف آكل ولم أرَ سيِّدي ومولاي فصاح بي : يا عيسى كل من طعامك فإنك تراني ، فجلست على المائدة فإذا عليها سمك حار يفور وتمر إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا بجنبلا وبجانب التمر اللبن وقلت في نفسي أنا عليل والغداء سمك ولبن وتمر فصاح بي يا عيسى أتشك في أمرنا ، فأنت أعلم بما يضرك وينفعك ، فبكيت واستغفرت الله وأكلت من الجميع ، وكان إذا رفعت يدي منه لم يتبيّن موضعها ووجدته أطيب ما ذقته في الدنيا فأكلت منه كثير حتى استحييت فصاح بي لا تستحي يا عيسى فإنه طعام الجنة لم تصنعه يد مخلوق فأكلت فرأيت نفسي لا تنتهي من أكله فقلت يا مولاي حسبي فصاح بي : أقبل إلي ، فقلت في نفسي ألقى مولاي ولم أغسل يدي فصاح بي يا عيسى وهل لما أكلت غمرة فشممت يدى وإذا هي أعطر من المسك والكافور فدنوت منه ﷺ فبدا لي شخص أغشى نظري من نوره ورهبت حتى ظننت أنَّ عقلي قد اختلط فقال يا عيسى ما كان لكم أن تروني ولولا المكذبون القائلون أين هو ومتى كان وأين ولد ومن رآه وما الذي خرج إليكم منه وبأي شيئ نبَّأكم وأي معجز آتيكم ، أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رأوه ، وقدموا عليه وكادوه وقتلوه وكذلك فعلوا بآبائي عليهم السلام ولم يصدقوهم ونسبوهم إلى السحر والكهانة وخدمة الجن . إلى أن قال يا عيسى فخبر أولياءنا بما رأيت وإياك أن تخبر أعداءنا فتسلبه ، فقلت يا مولاي ادع لي بالثبات فقال لي : لو لم يُثبتك اللهُ ما رأيتني ، فامض لحجك راشداً فخرجت ، وأنا من أكثر الناس حمدا لله وشكرا] .

من مولانا المهدي (عليه السلام) . وقد اعترف بذلك القاصي والداني ، المحبُّ والعدوّ ، القريب والبعيد ..

أمَّا الإخبارات فقد اتَّسعت إلى مستوياتٍ تجلَّت فيها البراهين والشهادات . وقد قال الحسين بن محمد الاشعري : كان يرد كتاب أبي محمد (عليه السلام) في الاجراء على الجنيد قاتل فارس وأبي الحسن وآخر ، فلما مضى أبو محمد (عليه السلام) ورد استيناف من الصاحب لاجراء أبي الحسن وصاحبه ولم يرد في أمر الجنيد بشيئ . قال : فاغتممتُ لذلك ، فورد نعيُ الجنيد بعد ذلك][1] ..

وهذا كما ترى : عائدٌ إلى الإحاطة ..! وبطريقةٍ تصحب معها البرهان العظيم على الإمامة وسطوع بركة المهدي (عليه السلام) .. حتى انَّ الرجل كان يكتبُ إليه (عليه السلام) يطلبُ منه حاجته المستعصية فتُقضى . وقد توارث الشيعةُ ذلك بل غيرهم ، لما للمهدي (عليه السلام) من مقامٍ عظيمٍ عند الله تعالى . وفي رواية محمد بن يعقوب قال : قال القاسم بن العلا : كتبتُ (كاتبت) صاحب الزمان (عليه السلام) ثلاثة كُتُب في حوائج لي أعلمتُهُ أنني رجلٌ قد كبر سني ، وأنه لا ولد لي . فأجابني عن الحوائج ولم يُجبني عن الولد بشيئ . فكتبت إليه في الرابعة كتاباً وسألته أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً . فأجابني وكتب بحوائجي وكتب : [أللهم ارزقه ولداً ذكراً ، تقرُّ به عينه ، واجعل هذا الحمل الذي له وارثاً ، فورد الكتاب وأنا لا أعلم أنَّ لي حملاً ، فدخلت إلى جاريتي فسألتها عن ذلك فأخبرتني أنَّ علتها قد ارتفعت ، فولدت غلاماً][2] .

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٥٢٤ حـ ٢٤ -

[2] دلائل الامامة : صـ ٢٨٦ - أخبرني أبو المفضل محمد بن عبد الله قال : .. أيضاً في فرج المهموم : صـ ٢٤٤ - ورد كما في دلائل الامامة بتفاوت ، بإسناده إلى الشيخ أبي جعفر الطبري من كتابه ، وفيه " . .

ففي هذا النص - فضلاً عن قضاء الحوائج - تركيز كامل على تعلُّق الشيعة وغيرهم بأمر الإمامة ، وتفاخرهم بفضل الإمامة ومقامها الرفيع ، ووساطتِها العليا في قضاء الحوائج إلى الله تعالى . والأمثلة عن هذا المقام وذاك كثيرة ولا يحصيها قلم . بل تقرأ في كثيرٍ من المتون أنَّ الرجل إذا أراد الحجّ كان يستأذنُهُ (عليه السلام) ، فإذا جاءه الجواب : لا تفعل . كان يمتنع مُسلِّماً . ما يشيرُ إلى عمق اليقين الذي يتفرَّع عنه السمع والطاعة . والأمثلة في هذا المجال وغيرهِ من الموضوعات كثيرة ، منها ما رواه في الكافي عن عليٍّ ، عمَّن حدَّثَهُ قال : وُلِدَ لي وَلَدٌ ، فكتبت أستأذن في طهره يوم السابع فورد : [لا تفعل ، فمات يوم السابع أو الثامن . ثم كتبتُ بموته فورد : ستخلف غيره وغيره تسمِّيه أحمد ومن بعد أحمد جعفراً . فجاء كما قال . قال : وتهيَّأتُ للحجِّ وودَّعتُ الناس وكنتُ على الخروج ، فورد : نحن لذلك كارهون والامر إليك .

قال : فضاق صدري واغتممتُ ، وكتبت : أنا مقيم على السمع والطاعة ، غير أنِّي مغتمٌ بتخلُّفي عن الحج . فوقع : لا يضيقنَّ صدرُك ، فإنك ستحجُّ من قابلٍ إنْ شاء الله . قال : ولما كان من قابل كتبتُ أستأذن ، فورد الاذن ، فكتبتُ إني عادلت محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانته . فورد : الاسدي نعم العديل ، فإن قدم فلا تختر عليه ، فقدم الاسدي وعادلته][1] .

كتابا في حوائج . . واجعله هذا الحمل الذي أردت . . وإنها حامل " وقال " وهذان الحديثان رويتهما عن الطبري والحميري " .

[1] الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٢ حـ ١٧ * وفي كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٩٧ بـ ٤٥ حـ ١٩ - حدثني أبي رضي الله عنه قال : حدثني سعد بن عبد الله قال : حدثني علي بن محمد بن إسحاق الاشعري قال : كانت لي زوجة من الموالي ، قد كنت هجرتها دهراً فجائتني فقالت : إن كنت قد طلقتني ، فأعلمني ، فقلت لها : لم أطلقك وتلتُ

هذا يضع بين أيدينا نوعاً عالياً من ثبوت الإعتقاد بالمهدي عليه السلام وعلى نحوٍ مذهل . خاصَّةً انَّ الإتصال بالناحية مُيَسَّر نسبيّاً ، ومنها يخرجُ ما تنذهل منه العقول . وكفى بهذا شرفاً وتعظيماً . ولا تدع الناحيةُ المقدَّسة مقاماً إلا وتشيرُ فيهِ إلى برهانٍ وحجَّة بخصوص الإمامة وعظمتِها . فقد حدّث أبو جعفر المروزي : عن جعفر بن عمرو قال : خرجتُ إلى العسكر وأم أبي محمد عليه السلام في الحياة ، ومعي جماعة ، فوافينا العسكر ، فكتب أصحابي يستأذنون في الزيارة مِن داخل باسم رجلٍ رجل ، فقلت : لا تُثبِتُوا إسمي ، فإني لا أستأذن ، فتركوا اسمي فخرج الاذن : [ادخلوا ومَن أبي أن يستأذن][1] . أي وكذا الذي أبى أن يستأذن . فلما ورد الجواب كبَّرَ القومُ لم فيها .. وهذا عندهم من الأمر الذي اعتادوا عليه .. والأمثلة كثيرة ، شديدة السطوع ، وقد اختصرتها الأقلام على عادة القوم في سرد الواقعة باختصارها ، وفي الإختصار ما فيهِ من بيان مقام الحجّة والعظمة . فقد

منها في هذا اليوم ، فكتبت إليَّ بعد أشهر تدَّعي أنها حامل ، فكتبتُ في أمرها ، وفي دار كان صهري أوصى بها للغريم عليه السلام ، أسأل أن يباع مني وأن ينجم عليَّ ثمنها ، فورد الجواب في الدار : [قد أعطيت ما سألت ، وكف عن ذكر المرأة ، والحمل ، فكتبت إليَّ المرأة بعد ذلك تعلمني أنها كتبت بباطل وأن الحمل لا أصل له ، والحمد لله رب العالمين]

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩٨ ب ٤٥ ح ٢١ - قال (سعد بن عبد الله) : * . وكذا في غيبة الطوسي : صـ ٢٠٨ - عن كتاب الاوصياء : أبو جعفر المروزي قال : خرج جعفر بن محمد بن عمر وجماعة إلى العسكر ورأوا أيام أبي محمد عليه السلام في الحياة ، وفيهم علي بن أحمد بن طنين ، فكتب جعفر بن محمد بن عمر يستأذن في الدخول إلى القبر ، فقال له علي بن أحمد لا تكتب اسمي فإني لا أستأذن ، فلم يكتب اسمه ، فخرج إلى جعفر ، ادخل أنت ومن لم يستأذن . * وفي كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٨٩ ب ٤٥ ح ١٢ - حدثنا أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الصالح قال : وحدثني أبو جعفر . . قال : وتزوجت بامرأة سراً ، فلما وطئتها علقت وجاءت بابنة فاغتممت وضاق صدري فكتبت أشكو ذلك ، فورد " ستكفاها ، فعاشت أربع سنين ثم ماتت ، فورد : إن الله ذو أناة وأنتم تستعجلون " .] . * وفي الكافي : ج ١ صـ ٥٢٤ ح ٢٥ - علي بن محمد ، عن محمد بن صالح قال : كانت لي جارية كنت معجبا بها فكتبت أستأمر في استيلادها فورد : " استولدها ويفعل الله ما يشاء ، فوطئتها فحبلت ثم أسقطت فماتت " .]

حدث محمد بن جعفر قال : خرج بعضُ إخواننا يريدُ العسكر في أمر من الامور قال : فوافيتُ عكبرا ، فبينما أنا قائم أصلي إذ أتاني رجلٌ بِصُرَّة مختومة ، فوضعها بين يدي وأنا أصلي ، ومضى ، فلما انصرفتُ مِن صلاتي فضضتُ خاتم الصرَّة ، وإذا فيها رقعة بشرح ما خرجت له ، فانصرفت من عكبرا . وكتب رجلانِ في حمل لهما ، فخرج التوقيع بالدعاء لواحد منهما وخرج للآخر : [يا حمدان آجرك الله ، فأسقطت امرأته وولد للآخر ولد][1] ..

وهكذا تُلقَى الحُجَج وتتكاثر ، ويتعاظم أمرُ الإمامة وتشتعلُ الصدورُ بِحُبِّها .. وفي مواقف كثيرة شهادات أسوقها لا للدلالة البرهانيَّة ، بل للإستشهاد الفعلي بها كمنطق واقعي ومشهد حسِّي دلالته فيه غير منفصلة . رغم ان الإستشهاد بها من بابِ الإضافة لا من بابِ التأسيس ، وإلا فإنَّ ما تواتر مِن النصِّ في المهدي عليه السلام هو ممَّا أجمع عليهِ علماءُ المسلمون جميعاً دون فرقٍ أو اختلاف .

وعليه : ما اسوقُهُ في هذا الفصل هو من بابِ الإضافة والعرض لبعض الصور ذات المفهوم المشهدي والواقع الفعلي كدلالة تشهد لنفسها

---

[1] عيون المعجزات : صـ ١٤٥ - وفي الكافي : جـ ١ صـ ٥٢٣ حـ ٢١ - الحسن بن خفيف ، عن أبيه قال : [بعث بخدم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ومعهم خادمان ، وكتب إلى خفيف أن يخرج معهم فخرج معهم ، فلما وصلوا إلى الكوفة شرب أحد الخادمين مسكراً فما خرجوا من الكوفة حتى ورد كتاب من العسكر برد الخادم الذى شرب المسكر ، وعزل عن الخدمة] * . وفي عيون المعجزات : صـ ١٤٦ - كما في الكافي بتفاوت ، مرسلا عن الحسن بن خفيف ، عن أبيه ، قال : حملت حرما من المدينة إلى الناحية ومعهم خادمان فلما وصلنا إلى الكوفة شرب أحد الخدم مسكرا في السر ولم نقف عليه ، فورد التوقيع برد الخادم الذي شرب المسكر ، فرددناه من الكوفة ولم نستخدم به . * وفي كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٩٩ بـ ٤٥ حـ ٢٤ - قال (سعد بن عبد الله) وحدثني أبو جعفر قال : بعثنا مع ثقة من ثقات إخواننا إلى العسكر شيئا فعمد الرجل فدس فيما معه رقعة من غير علمنا ، فردت عليه الرقعة من غير جواب .]

بشدّة وتتّصل بذلك الزمن كما تكشف عن ذهنيَّة القوم الواسعة واعتقادِهم في المهدي كقضيَّة دليل وحجّة ومشاهدة وحقيقة كبرى . وفي بعض متونِها تجد عمقاً وبياناً رفيعاً . فقد روى عبد الله بن جعفر الحميري ، عن إبراهيم بن مهزيار قال :

[قدمت مدينةَ الرسولِ ﷺ فبحثتُ عن أخبار آل أبي محمد ، الحسن بن علي الاخير عليه السلام (يعني نسل الإمام العسكري) ، فلم أقع على شيئ منها . فرحلت منها إلى مكة مُستَبحِثاً عن ذلك . فبينما أنا في الطواف إذ تراءى لي فتى أسمر اللون ، رائع الحسن ، جميل المخيلة ، يطيل التوسم فيَّ ، فعدتُ إليه مُؤمِّلاً منه عرفان ما قصدتُ له ، فلما قربت منه سلَّمتُ ، فأحسن الاجابة ثم قال : مِن أيِّ البلاد أنت ؟ قلت : رجل مِن أهل العراق . قال : مِن أيِّ العراق ؟ قلتُ : مِن الاهواز . فقال : مرحباً بلقائك ، هل تعرف بها جعفر بن حمدان الحصيني ؟ قلت : دُعِي فأجاب . قال : رحمةُ اللهِ عليه ما كان أطول ليله وأجزل نيله . فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار ؟ قلت : أنا إبراهيم بن مهزيار . فعانقني مَلِيَّاً ثم قال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، ما فعلت بالعلامة التي وشجت بينك وبين أبي محمد عليه السلام ؟ فقلت : لعلَّكَ تريد الخاتم الذي آثرني اللهُ به من الطيِّب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ؟ فقال : ما أردتُ سواه . فأخرجتُهُ إليه . فلما نظر إليه استعبر وقبَّلَهُ . ثم قرأ كتابته فكانت : « يا الله ، يا محمَّد ، يا علي » ، ثم قال : بأبي يداً طالما جلَّت فيها .

يقول : وتراخى بنا فنون الاحاديث ، إلى أن قال لي : يا أبا إسحاق ، أخبرني عن عظيم ما توخَّيت بعد الحج ؟ قلت : وأبيكَ ما توخَّيت إلا ما سأستعلمُك مكنونه . قال : سَلْ عمَّا شئتَ ، فإني شارحٌ لك إن شاء الله ؟ قلت : هل تعرف مِن أخبار آل أبي محمد ، الحسن (العسكري) شيئاً ؟ قال

لي : وأيم الله إني لأعرف الضوءَ بجبين محمد ابن الحسن بن علي عليه السلام ، ثم إنِّي لَرسُولُهُ إليك ، قاصداً لِأنبائك أمره . فإن أحببتَ لقاءه والاكتحال بالتبرُّكِ به فارتحل معي إلى الطائف ، وليكن ذلك في خفية مِن رجالك واكتتام .

قال إبراهيم : فشخصتُ معه إلى الطائف أتخلَّل رملة فرملة ، حتى أخذ في بعض مخارج الفلاة ، فبدت لنا خيمة شعر ، قد أشرفت على أكمة رمل ، تتلألأ تلك البقاع منها تلالؤاً ، فبدرني إلى الاذن ، ودخل مسلِّماً عليه ، وأعلمه بمكاني ، فخرج عليَّ « محمَّد » ابنُ الحسن عليه السلام ، وهو غلام أمرد ، ناصع اللون ، واضح الجبين ، أبلج الحاجب ، مسنون الخدين ، أقنى الانف ، أشم أروع ، كأنه غصن بان ، وكأنَّ صفحة غرته كوكب دري ، بخده الايمن خال كأنه فتاة مسك على بياض الفضة ، وإذا برأسه وفرة سحماء سبطة تطالع شحمة أذنه ، له سمت ما رأت العيون أقصد منه ، ولا أعرف حسناً وسكينة وحياء . فلمَّا مثل لي أسرعت إلى تلقِّيه ، فأكببت عليه ألثم كلَّ جارحة منه ، فقال لي : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، لقد كانت الايام تعدني وشك لقائك ، والمعاتب بيني وبينك على تشاحط الدار وتراخي المزار ، تتخيل لي صورتك حتى كأنا لم نخلُ طرفة عين من طيب المحادثة وخيال المشاهدة ، وأنا أحمد الله ربي على ما قيض من التلاقي ، ورفّه من كربة التنازع والاستشراف عن أحوالها متقدمها ومتأخرها .

فقلت : بأبي أنت وأمي ، ما زلتُ أفحص عن أمرك بلداً فبلداً ، منذ استأثر اللهُ بسيدي أبي محمد عليه السلام فاستغلق عليَّ ذلك حتى مَنَّ اللهُ عليَّ بمَن أرشدني إليك ودلَّني عليك ، والشكر لله على ما أوزعني فيك مِن كريم اليد والطول ، ثم نسب نفسه واعتزل بي ناحية ، ثم قال : إن أبي عليه السلام عهد إليَّ

أن لا أوطن من الارض إلا أخفاها وأقصاها إسراراً لأمري ، وتحصيناً لمحلي لمكائد أهل الضلال والمردة من أحداث الامم الضوال ، فنبذني إلى عالية الرمال ، وجبت صرائم الارض ينظرني الغاية التي عندها يحل الامر وينجلي الهلع . وكان عليه السلام أنبط لي من خزائن الحكم ، وكوامن العلوم ما إنْ أشعت إليك منه جزء أغناك عن الجملة . [واعلم] يا أبا إسحاق أنه قال عليه السلام : يا بني إنَّ الله جلَّ ثناؤه لم يكن ليخلي أطباق أرضه وأهل الجد في طاعته وعبادته بلا حجة يستعلي بها ، وإمام يؤتم به ويقتدى بسبيل سنته ومنهاج قصده ، وأرجو يا بني أن تكون أحد مَن أعدَّهُ الله لنشر الحق ووَطْئِ الباطل وإعلاء الدِّين وإطفاء الضلال ، فعليك يا بني بلزوم خوافي الارض وتتّبع أقاصيها ، فإنَّ لكل وليٍّ لاولياء الله عزوجل عدواً مقارعاً وضداً منازعاً ، افتراضاً لمجاهدة أهل النفاق وخلاعة أولي الالحاد والعناد ، فلا يُوحشَنَّك ذلك . واعلم أنَّ قلوب أهل الطاعة والاخلاص نزع إليك مثل الطير إلى أوكارها ، وهم معشرٌ يطلعون بمخائل الذلة والاستكانة ، وهم عند الله بررة أعزاء ، يبرزون بأنفس مختلة محتاجة ، وهم أهل القناعة والاعتصام ، استنبطوا الدِّين فوازروه على مجاهدة الاضداد ، خصهم اللهُ باحتمال الضيم في الدنيا ليشملهم باتساع العز في دار القرار ، وجبلهم على خلائق الصبر لتكون لهم العاقبة الحسنى ، وكرامة حسن العقبى . فاقتبس يا بني نور الصبر على موارد أمورك تفُزْ بدرك الصنع في مصادرها ، واستشعر العزَّ فيما ينوبك تحظَ بما تحمد غبه إن شاء الله ، وكأنك يا بني بتأييد نصر الله وقد آن ، وتيسير الفلج وعلو الكعب وقد حان ، وكأنك بالرايات الصفر والاعلام البيض تخفق على أثناء أعطافك ما بين الحطيم وزمزم ، وكأنك بترادف البيعة وتصافي الولاء يتناظم عليك تناظم الدر في مثاني العقود ، وتصافق الاكف على جنبات الحجر الاسود ، تلوذ بفنائك من ملأ يراهم الله

من طهارة الولادة ونفاسة التربة ، مقدَّسة قلوبهم من دنس النفاق ، مهذَّبة أفئدتهم من رجس الشقاق ، ليِّنَة عرائكهم للدِّين ، خشنة ضرائبهم عن العدوان ، واضحة بالقبول أوجههم ، نضرة بالفضل عيدانهم ، يدينون بدين الحقِّ وأهله ، فإذا اشتدَّت أركانهم ، وتقوَّمت أعمادهم فدت بمكانفتهم طبقات الامم إلى إمام ، إذ تبعتك في ظلال شجرة دوحة تشعَّبت أفنان غصونها على حافة بحيرة الطبرية ، فعندها يتلألأ صبح الحق وينجلي ظلام الباطل ، ويقصم الله بك الطغيان ، ويعيد معالم الايمان ، يظهر بك استقامة الآفاق وسلام الرفاق ، يود الطفل في المهد لو استطاع إليك نهوضاً ، ونواشط الوحش لو تجد نحوك مجازاً ، تهتزُّ بك أطراف الدنيا بهجةً ، وتنشر عليك أغصان العزّ نضرة ، وتستقر بواني الحق في قرارها ، وتؤوب شوارد الدِّين إلى أوكارها ، تتهاطل عليك سحائب الظفر ، فتخنق كل عدو ، وتنصر كل ولي ، فلا يبقى على وجه الارض جبار قاسط ولا جاحد غامط ، ولا شانئ مُبغض ، ولا معاند كاشح ، ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغُ أمره ، قد جعل الله لكل شيئ قدراً .

ثم قال : يا أبا إسحاق ، ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلا عن أهل التصديق والاخوة الصادقة في الدِّين ، إذا بدت لك أمارات الظهور والتمكّن فلا تبطئ بإخوانك عنَّا وباهر المسارعة إلى منار اليقين وضياء مصابيح الدِّين تلقَ رشداً إنْ شاء الله .

قال إبراهيم بن مهزيار : فمكثتُ عنده حيناً أقتبس ما أؤدي إليهم من موضحات الاعلام ونيرات الاحكام ، وأروي نبات الصدور من نضارة ما ادَّخره الله في طبائعه من لطائف الحكم وطرائف فواضل القسم ، حتى خفتُ إضاعة مخلفي بالاهواز لتراخي اللقاء عنهم ، فاستأذنته بالقفول ،

وأعلمته ما أصدر به عنه من التوحش لفرقته والتجرع للظعن عن محاله ، فأذن وأردفني من صالح دعائه ما يكون ذخراً عند الله ولعقبي وقرابتي إن شاء الله .

فلمَّا أزَفَّ ارتحالي وتهيَّأ اعتزامُ نفسي غدوتُ عليه مودِّعاً ومجدِّداً للعهد وعرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم وسألته أن يتفضَّل بالامر بقبوله مني ، فابتسم وقال : يا أبا إسحاق ، استعن به على منصرفك ، فإن الشقة قذفة ، وفلوات الارض أمامك جمة ، ولا تحزن لاعراضنا عنه ، فإنَّا قد أحدثنا لك شكره ونشره وربضناه عندنا بالتذكرة وقبول المنة فبارك الله فيما خوّلك ، وأدام لك ما نولك ، وكتب لك أحسن ثواب المحسنين ، وأكرم آثار الطائعين ، فإنَّ الفضل له ومنه ، وأسأل الله أن يردك إلى أصحابك بأوفر الحظ من سلامة الاوبة ، وأكناف الغبطة ، بلين المنصرف ، ولا أوعث الله لك سبيلاً ، ولا حيَّر لك دليلاً ، وأستودعه نفسك وديعة لا تضيع ولا تزول ، بمنه ولطفه إن شاء الله .

يا أبا إسحاق : قنعنا بعوائد إحسانه وفوائد امتنانه ، وصان أنفسنا عن معاونة الاولياء لنا عن الاخلاص في النية ، وإمحاض النصيحة ، والمحافظة على ما هو أنقى وأتقى ، وأرفع ذكراً .

قال : فأقفلت عنه حامداً لله عزوجل على ما هداني وأرشدني ، عالماً بأنَّ اللهَ لم يكن ليُعطِّل أرضه ولا يخلِّيها من حجة واضحة ، وإمام قائم ، وألقيت هذا الخبر المأثور والنسب المشهور توخياً للزيادة في بصائر أهل اليقين ، وتعريفاً لهم ما منَّ اللهُ عزوجل به من إنشاء الذرية الطيبة والتربة الزكية ، وقصدت أداء الامانة والتسليم لما استبانَ ليضاعف اللهُ عزوجل

الملَّة الهادية ، والطريقة المستقيمة المرضية قوة عزم وتأييد نية ، وشدة أزر ، واعتقاد عصمة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم][1] .

وهكذا في كثيرٍ من القضايا الواقعة ، والحوادث الجارية ، يحدِّثُ الشيعةُ وغيرهم عن أمرِ المهدي ، عن وقائع مشهديَّة ، عن أوصاف وعناوين ، عن أجوبة ومداليل ، عن كُتُب وأجوبة ، عن كشف خصوصيات ، عن بيان أسرار في لسان الإجابة تدلُّ على عظمة الإمامة ورفعة الوصف في مولانا المهدي عليه السلام .

وفي ذيل حديث علي بن مهزيار الثاني ما يشيرُ إلى علامات وبيِّنات ، ووقائع وأخبار جليلة ، فقد حدَّث علي بن إبراهيم بن مهزيار قائلاً : كنتُ نائماً في مرقدي إذ رأيتُ فيما يرى النائمُ قائلاً يقول لي : حج ، فإنَّك تلقى صاحب زمانك . قال علي بن إبراهيم : فانتبهتُ وأنا فرِحٌ مسرور ، فما زلتُ في الصلاة حتى انفجر عمود الصبح وفرغت من صلاتي وخرجتُ أسأل عن الحاج ، فوجدت فرقةً تريد الخروج ، فبادرت مع أوَّل مَن خرج ، فما زلتُ كذلك حتى خرجوا وخرجتُ بخروجهم أريدُ الكوفة ، فلمَّا وافيتها نزلتُ عن راحلتي وسلَّمتُ متاعي إلى ثقات إخواني ، وخرجت أسأل عن آل أبي محمد عليه السلام ، فما زلتُ كذلك فلم أجد أثراً ، ولا سمعتُ خبراً ، وخرجت في أوَّل مَن خرج أريد المدينة ، فلما دخلتُهَا لم أتمالك أن نزلت عن راحلتي وسلَّمت رحلي إلى ثقاتِ إخواني ، وخرجتُ أسأل عن الخبر وأقْفُوا الاثر ، فلا خبراً سمعت ، ولا أثراً وجدت . فلم أزل كذلك إلى أن نَفَرَ النَّاسُ إلى مكة ، وخرجتُ مع مَن خرج ، حتى وافيتُ مكة ، ونزلتُ فاستوثقتُ مِن

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٤٥ بـ ٣٣ حـ ١٩ - حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال : حدثنا

رحلي ، وخرجتُ أسأل عن آل أبي محمد ﷺ فلم أسمع خبراً ولا وجدت أثراً .

فما زلتُ بين الإياس والرجاء مُتَفَكِّراً في أمري وغائباً على نفسي ، وقد جنَّ الليلُ . فقلت : أرقب إلى أن يخلو لي وجهُ الكعبة لأطوف بها ، وأسأل اللهَ عزوجل أن يُعرِّفني أملي فيها ، فبينما أنا كذلك وقد خلا لي وجهُ الكعبة إذ قمتُ إلى الطواف ، فإذا أنا بفتىً مليح الوجه ، طيب الرائحة ، مُتَّزِر ببردة ، مُتَّشِح بأخرى ، وقد عطف بردائه على عاتقه فرعته ، فالتفت إليَّ فقال : ممَّن الرجل ؟ فقلتُ : مِن الاهواز ، فقال : أتعرف بها ابن الخصيب ؟ فقلت : رحمه الله دُعِي فأجاب ، فقال : رحمهُ الله ، لقد كان بالنهار صائماً ، وبالليل قائماً ، وللقرآن تالياً ، ولنا مُوالياً ، فقال : أتعرف بها علي بن إبراهيم بن مهزيار ؟ فقلتُ : أنا علي ، فقال : أهلاً وسهلاً بك يا أبا الحسن . أتعرف الصريح ؟ قلت : نعم قال : ومَن هو ؟ قلت : محمَّد . ثم قال : ما فعلت العلامة التي بينك وبين أبي محمد ﷺ ؟ فقلت : معي . فقال : أخرجها إليَّ ، فأخرجتها إليه خاتماً حسناً على فصه « محمد ، وعلي » فلما رأى ذلك بكى [مليَّاً ورنَّ شجياً ، فأقبل يبكي بكاءً] طويلاً وهو يقول : رحمك الله يا أبا محمد ، فلقد كنتُ إماماً عادلاً ، ابن أئمة وأبا إمام ، أسكنَكَ اللهُ الفردوس الأعلى مع آبائك ﷺ . ثم قال : يا أبا الحسن ، صر إلى رحلك ، وكن على أهبةٍ مِن كفايتك ، حتى إذا ذهب الثلثُ مِن الليل وبقي الثلثان ، فالحق بنا ، فإنك ترى مناك [إن شاء الله] ،

قال ابن مهزيار : فصرت إلى رحلي أطيلُ التفكُّر حتى إذا هجم الوقت ، فقمتُ إلى رحلي وأصلحته ، وقدمت راحلتي وحملتها وصرت في متنها حتى لحقتُ الشعب ، فإذا أنا بالفتى هناك يقول : أهلاً وسهلاً بك يا أبا

الحسن ، طوبى لك ، فقد أذن لـك ، فسـار وسـرت بسـيره حتـى جـاز بـي عرفات ومنى ، وصرتُ في أسـفل ذروة جبـل الطـائف ، فقـال لـي : يـا أبـا الحسن ، أنزل وخذ في أهبة الصلاة ، فنزل ونزلتُ حتى فـرغ وفرغـت ، ثـم قال لي : خُذ في صلاة الفجر وأوجز ، فأوجزتُ فيها وسلم وعفر وجهه فـي التراب . ثم ركب وأمرني بالركوب فركبت ، ثم سار وسـرت بسـيرِهِ حتـى علا الذروة فقال : المح ، هل ترى شيئاً ؟ فلمحت فرأيت بقعـة نزهـة كثيـرة العشب والكلاء ، فقلت : يا سيدي ، أرى بقعة نزهة كثيرة العشـب والكـلاء ، فقال لي : هل ترى في أعلاها شيئاً ؟ فلمحتُ فإذا أنا بكثيب مـن رمـل فوقـه بيت من شعر يتوقَّد نوراً ، فقال لي : هل رأيتَ شيئاً ؟ فقلت : أرى كذا وكذا . فقال لي : يا ابن مهزيار ، طب نفساً ، وقرْ عيناً ، فإن هناك أمل كلّ مؤمِّـل . ثم قال لي : انطلق بنا . فسار وسرتُ حتى صار في أسفل الذروة ، ثم قال : انزل ، فههنا يذل لك كلُّ صعب ، فنزل ونزلت حتى قال لي : يا ابـن مهزيـار خلِّ عن زمام الراحلة . فقلت : على مَن أخلفها وليس ههنا أحـد ؟ فقـال : إن هذا حرم لا يدخله إلا ولي ، ولا يخرج منه إلا ولـي . فخلَّيـت عـن الراحلـة ، فسار وسرت فلما دنا من الخباء سبقني ، وقال لي : قف هناك إلى أن يؤذن لك .

فما كان إلا هنيئة فخرج إلـيَّ وهـو يقـول : طـوبي لـك قـد أُعطِيـتَ سُؤلَك . قال : فدخلت عليه صلوات الله عليه وهو جـالس علـى نمـط ، عليـه نطع أديم أحمر ، متّكِئ على مسورة أديم ، فسلَّمتُ عليه وردَّ عليَّ السـلام . ولمحته فرأيتُ وجهه مثل فلقة قمـر ، لا بـالخرق ولا بـالبزق ، ولا بالطويـل الشـامخ ، ولا بالقصـير اللاصـق ، ممـدود القامـة ، صـلت الجبـين ، أزج الحاجبين ، أدعج العينين ، أقنى الانف ، سـهل الخـدين ، علـى خـده الايمـن

خال . فلما أن بصرت به حارَ عقلي في نعتـه وصـفته . فقـال لـي : يـا ابـن مهزيار ، كيف خلفت إخوانك في العراق ؟ قلتُ : في ضنكِ عيشٍ وهناة ، قد تواترت عليهم سيوفُ بني الشيصبان . فقال : قاتلهم الله أنَّى يؤفكون ، كأني بالقوم قد قتلوا في ديارهم وأخذهم أمرُ ربِّهم ليلاً ونهاراً ،

فقلت : متى يكون ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : إذا حِيلَ بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوام لا خـلاق لهـم - والله ورسـوله مـنهم بـرآء - وظهـرت الحمرةُ في السماء ثلاثاً فيها أعمدةٌ كأعمـدة اللجـين ، تـتلألأ نـوراً ويخـرج السروسي (الشروسي) من إرمنيـة وآذربيجـان يريـد وراء الـري الجبـل الاسود المتلاحم بالجبل الاحمـر لزيـق جبـل طالقـان ، فيكـون بينـه وبـين المروزي وقعة صيلمانية يشيب فيها الصغير ويهرم منهـا الكبيـر ، ويظهـر القتل بينهما .

فعندها توقعوا خروجه إلـى الـزوراء ، فـلا يلبـث بهـا حتـى يـوافي باهات . ثم يوافي واسط العراق ، فيقيم بها سنة أو دونهـا ، ثـم يخـرج إلـى « كوفان » فيكون بينهم وقعة من النجـف إلـى الحيـرة إلـى الغـري ، وقعـة شديدة تذهل منها العقول ، فعندها يكـون بـوار الفئتـين ، وعلـى الله حصـاد الباقين . ثم تلا قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ ، فقلت : سيدي ، يا ابن رسول الله ، ما الامر ؟ قال : نحن أمر الله وجنوده ، قلت : يا سيدي يا ابن رسول الله ، حانَ الوقت ؟ قال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾][1] . في هـذا الـذيل يشـيرُ إلـى

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٦٥ بـ ٤٣ حـ ٢٣ - عن أبي الحسن علي بن موسى بن أحمد بن إبراهيم بـن محمـد بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال : وجـدتُ فـي كتاب أبي رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن أحمد الطوال ، عن أبيه ، عن الحسن بن علـي الطبـري ، عـن

علامات وصفات كانت بعضُ النصوص قد أشارت إليها . وكُنَّا قد شرحناها في فصولٍ متقدِّمة . وعلى كلِّ حال : أهميّة هذهِ النصوص أنها تحكِي عنصرَ اللقاء وروح التفاعل ، وطبيعة المشهد ، ثم تعرض لنا عنواناً من الوصفِ الواقعِ في ذيل النص يؤكِّد على مجموع وقائع وأحداث متعدِّدة متنوِّعة تقع في مناطق شتّى وضمن أحداث متعدّدة .. إلى ان يأمرَ اللهُ بظهور مولانا القائم عليه السلام ..

وهذا يرويه الطوسي أيضاً في غيبتِه إلى أن يقول[1] : .. [.. فقلت يا سيدي ، متى يكون هذا الامر ؟ فقال : إذا حِيلَ بينكم وبين سبيل الكعبة ،

أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن مهزيار قال : سمعت أبي يقول : سمعت جدي علي بن مهزيار :

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٥٩ - (وأخبرنا) جماعة عن التلعكبري عن أحمد بن علي الرازي عن علي بن الحسين عن رجل - ذكر أنه من أهل قزوين لم يذكر اسمه - عن حبيب بن محمد بن يونس بن شاذان الصنعاني (قال) دخلت إلى علي بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي فسألته عن آل أبى محمد عليه السلام فقال : يا أخي لقد سألت عن أمر عظيم حججت عشرين حجة كلا أطلب به عيان الامام فلم أجد إلى ذلك سبيلا ، فبينا أنا ليلة نائم في مرقدي إذ رأيت قائلا يقول يا علي بن إبراهيم قد أذن الله لي (لك) في الحج فلم اعقل ليلتي حتى أصبحت فأنا مفكر في أمري أرقب الموسم ليلي ونهاري ، فلما كان وقت الموسم أصلحت أمري ، وخرجت متوجها نحو المدينة ، فما زلت كذلك حتى دخلت يثرب فسألت عن آل أبى محمد عليه السلام فلم أجد له أثرا ولا سمعت له خبرا فأقمت مفكرا في أمري حتى خرجت من المدينة أريد مكة فدخلت الجحفة وأقمت بها يوما وخرجت منها متوجها نحو الغدير وهو على أربعة أميال من الجحفة ، فلما أن دخلت المسجد صليت وعفرت واجتهدت في الدعاء وابتهلت إلى الله لهم ، وخرجت أريد عسفان فما زلت كذلك حتى دخلت مكة فأقمت بها أياما أطوف البيت واعتكفت فبينا أنا ليلة في الطواف إذا أنا بفتى حسن الوجه ، طيب الرائحة ، يتبختر في مشيته طائف حول البيت فحس قلبي به فقمت نحوه فحككته ، فقال لي من أين الرجل ؟ فقلت : من أهل العراق ؟ قلت : من الاهواز ، فقال لي : تعرف بها الخصيب ؟ فقلت : رحمه الله ، دعي فأجاب ، فقال : رحمه الله ، فما كان أطول ليلته وأكثر تبتله وأغزر دمعته ، أفتعرف علي بن إبراهيم بن المازيار ؟ فقلت : أنا علي بن إبراهيم فقال : حيَّاك اللهُ أبا الحسن ما فعلت بالعلامة التي بينك وبين أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ؟ فقلت : معي قال : أخرجها ، فادخلت يدي في جيبي فاستخرجتها ، فلما أن رآها لم يتمالك أن تغرغرت عيناه بالدموع وبكى منتحبا حتى بل أطماره ، ثم قال : أذن لك الآن يا

واجتمع الشمسُ والقمر ، واستدار بهما الكواكب والنجوم . فقلت : متى يا بن رسول الله ؟ فقال لي : في سنة كذا وكذا (يريد التوقيت العام غير المحدَّد) تخرج دابة الارض من بين الصفا والمروة ، ومعه عصا موسى وخاتم سليمان ، يسوق الناس إلى المحشر . قال : فأقمت عنده أياماً وأذن لي بالخروج بعد أن استقصيت لنفسي وخرجت نحو منزلي . واللهِ لقد سرت

بن مازيار صر إلى رحلك وكن على أهبة من أمرك ، حتى إذا لبس الليل جلبابه ، وغمر الناس ظلامه ، سر إلى شعب بني عامر فإنك ستلقاني هناك فسرت إلى منزلي فلما أن أحسست بالوقت أصلحت رحلي وقدمت راحلتي وعكمته شديدا ، وحملت وصرت في متنه واقبلت مجدا في السير حتى وردت الشعب فإذا أنا بالفتى قائم ينادي يا أبا الحسن إليَّ فما زلت نحوه فلما قربت بدأني بالسلام وقال لي سر بنا يا أخ فما زال يحدثني وأحدثه حتى تخرقنا جبال عرفات ، وسرنا إلى جبال منى وانفجر الفجر الاول ونحن قد توسطنا جبال الطائف فلما أن كان هناك أمرني بالنزول وقال لي : انزل فصل صلاة الليل فصليت ، وأمرني بالوتر فأوترت ، وكانت فائدة منه ، ثم أمرني بالسجود والتعقيب ، ثم فرغ من صلاته وركب ، وأمرني بالركوب ، وسار وسرت معه حتى علا ذروة الطائف ، فقال : هل ترى شيئا ؟ قلت : نعم أرى كثيب رمل عليه بيت شعر يتوقد البيت نورا ، فلما أن رأيته طابت نفسي ، فقال لي : هناك الامل والرجاء ، ثم قال : سر بنا يا أخ فسار وسرت بمسيره إلى أن انحدر من الذروة وسار في أسفله ، فقال : انزل فها هنا يذل كل صعب ، ويخضع كل جبار ، ثم قال : خلٌ عن زمام الناقة ، قلت : فعلى مَن أخلفها ؟ فقال : حرم القائم عليه السلام لا يدخله إلا مؤمن ولا يخرج منه إلا مؤمن ، فخليت من زمام راحلتي ، وسار وسرت معه إلى أن دنا من باب الخباء فسبقني بالدخول ، وأمرني أن أقف حتى يخرج إلي ، ثم قال لي : ادخل هناك السلامة ، فدخلت فإذا أنابه جالس قد اتشح ببردة واتزر بأخرى وقد كسر بردته على عاتقه وهو كأقحوانة أرجوان قد تكاثف عليها الندى ، وأصابها ألم الهوى ، وإذا هو كغصن بان أو قضيب ريحان ، سمح سخي تقي نقي ، ليس بالطويل الشامخ ، ولا بالقصير اللازق ، بل مربوع القامة ، مدور الهامة ، صلت الجبين ، ازج الحاجبين ، أقنى الانف ، سهل الخدين ، على خده الايمن خال كأنه فتات مسك على رضراضة عنبر ، فلما أن رأيته بدرته بالسلام ، فردَّ عليَّ أحسن ما سلمت عليه ، وشافهني وسألني عن أهل العراق ، فقلت سيدي قد ألبسوا جلباب الذلة ، وهم بين القوم أذلاء فقال لي يا بن المازيار لتملكونهم كما ملكوكم وهم يومئذ أذلاء ، فقلت : سيدي لقد بعد الوطن وطال المطلب ، فقال : يا بن المازيار أبي أبو محمد عهد إليَّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم ، وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها ، ومن البلاد إلا عفرها ، والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي فأنا في التقية إلى يوم يُؤذن لي فأخرج ..

من مكة إلى الكوفة ومعي غلام يخدمني فلم أرَ إلا خيراً وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً][1].

---

[1] وكذا ورد في دلائل الامامة : صـ ٢٩٦ - وروى أبو عبد الله محمد بن سهل الجلودي ، قال حدثنا أبو الخير أحمد بن محمد بن جعفر الطائي الكوفي في مسجد أبي إبراهيم موسى بن جعفر ، قال : حدثنا محمد بن الحسن بن يحيى الحارثي قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي قال : خرجت في بعض السنين حاجاً إذ دخلت المدينة وأقمت بها أياماً أسأل واستبحث عن صاحب الزمان فما عرفت له خبراً ولا وقعت لي عليه عين ، فاغتممت غما شديدا وخشيت أن يفوتني ما أملته من طلب صاحب الزمان فخرجت حتى أتيت مكة ، فقضيت حجتي واعتمرت بها أسبوعا كل ذلك أطلب ، فبينما أنا أفكر إذ انكشف لي باب الكعبة فإذا أنا بإنسان كأنه غصن بان متزر ببردة متشح بأخرى ، قد كشف عطف بردته على عاتقه ، فارتاح قلبي وبادرت لقصده ، فانثنى إلي وقال من أين الرجل ؟ قلت من العراق قال من أي العراق ؟ قلت : من الاهواز . فقال أتعرف الحضيني قلت نعم قال رحمه الله ، فما كان أطول ليله وأكثر نيله وأغزر دمعته ، قال فابن المهزيار ؟ قلت أنا هو ، قال حياك الله بالسلام أبا الحسن ثم صافحني وعانقني وقال : يا أبا الحسن ما فعلت العلامة التي بينك وبين الماضي أبي محمد نضر الله وجهه ؟ قلت معي وأدخلت يدي إلى جنبي وأخرجت خاتما عليه محمد وعلي ، فلما قرأه استعبر حتى بل طمره الذي كان على يده ، وقال يرحمك الله أبا محمد فإنك زين الامة ، شرفك الله بالامامة ، وتوجك بتاج العلم والمعرفة ، فإنا إليكم صائرون ، ثم صافحني وعانقني ، ثم قال ما الذي تريد يا أبا الحسن ؟ قلت الامام المحجوب عن العالم ، قال ما هو محجوب عنكم ، ولكن جنه سوء أعمالكم . قم سر إلى رحلك وكن على أهبة من لقائه ؟ إذا انحطت الجوزاء وازهرت نجوم السماء ، فها أنا لك بين الركن والصفا ، فطابت نفسي وتيقنت أن الله فضلني ، فما زلت أرقب الوقت حتى حان ، وخرجت إلى مطيتي واستويت على رحلي واستويت على ظهرها ، فإذا أنا بصاحبي ينادي يا أبا الحسن ، فخرجت فلحقت به فحياني بالسلام وقال : سر بنا يا أخ ، فما زال يهبط واديا ويرقى ذروة جبل إلى أن علقنا على الطائف ، فقال يا أبا الحسن انزل بنا نصلي باقي صلوة الليل ، فنزلت فصلى بنا الفجر ركعتين ، قلت فالركعتين الاوليين قال هما من صلاة الليل وأوتر فيهما ، والقنوت وكل صلاة جائزة ، وقال سر بنا يا أخ فلم يزل يهبط واديا ويرقى ذروة جبل حتى أشرفنا على واد عظيم مثل الكافور ، فأمد عيني فإذا ببيت من الشعر يتوقد نوراً قال : هل ترى شيئا قلت أرى بيتا من الشعر ، فقال : الامل ، وانحط في الوادي واتبعت الاثر ، حتى إذا صرنا بوسط الوادي نزل عن راحلته وخلاها ، ونزلت عن مطيتي وقال لي دعها ، قلت فإن تاهت قال هذا واد لا يدخله إلا مؤمن ولا يخرج منه إلا مؤمن ، ثم سبقني ودخل الخبا وخرج إلي مسرعا وقال أبشر فقد أذن لك بالدخول ، فدخلت فإذا البيت يسطع من جانبه النور ، فسلمت عليه بالامامة فقال لي : يا أبا الحسن قد كنا نتوقعك ليلا ونهارا فما الذي أبطأ بك علينا ؟ قلت : يا سيدي لم أجد من يدلني إلى الآن ، قال لي : ألم تجد أحدا يدلك ؟ ثم نكت بأصبعه في الارض ، ثم قال : لا ولكنكم كثرتم الاموال ، وتجبرتم على ضعفاء المؤمنين وقطعتم

بحيث تجد في طوائف شتَّى إخبارات عن نواحٍ غير مُدرَكَة إلا من قِبَلِ المعصوم عليه السلام . فمنها ما يكون لحاجة الجماعة ، ومنها لأصل إثبات الحجَّة ، ومنها ما يكون لجهة العناوين والوصف قبل خروجِهِ عليه السلام ، ومنها ما يشيرُ إلى أمورٍ شديدة التنوُّع . وكلّها واردة على نحوِ الكرامة التي أحاط اللهُ بها مقام الإمامة .. والوقائع كثيرة ، والعناوين أكثر ، وكلّها من معينٍ واحدٍ وصفاءٍ تام ..

اللهم اجعلنا من أنصار مولانا المهدي صاحب الزمان عليه السلام والثابتين على أمره . بحقِّ محمَّد وآله الطاهرين ..

الرحم الذي بينكم ، فأيُّ عذر لكم فقلت : التوبة التوبة ، الاقالة الاقالة . ثم قال : يا ابن المهزيار لولا استغفار بعضكم لبعض لهلك مَن عليها إلا خواص الشيعة الذين تشبه أقوالهم أفعالهم ، ثم قال يا ابن المهزيار ومد يده : ألا أنبئك الخبر ؟ إذا قعد الصبي ، وتحرك المغربي ، وسار العماني ، وبويع السفياني ، يؤذن لولي الله فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، فأجئ إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الاول ، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة ، وأحج بالناس حجة الاسلام ، وأجيئ إلى يثرب . . فيومئذ لا يبقى على وجه الارض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للايمان . قلت يا سيدي ما يكون بعد ذلك ؟ قال الكرة الكرة الرجعة الرجعة ثم تلا هذه الآية : ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا " .

جملة من كراماته ﷺ بعد الغيبة الصغرى

.. هناك أمور جليلة خطيرة حدثت مع كثيرٍ من الناس ، فكان الغوثُ من المهدي ﷺ لما أعطاه اللهُ تعالى من أبواب الغوثِ والشفاعة . والحوادثُ كثيرة ، وأطرافُها متعدِّدون ، ومن بقاعٍ مختلفة ، ورواتُها أكثر من أن يُحصوا . ما يعني انَّ المنطق التاريخي والمظهر الحسِّي يعرض بين أيدينا نماذج إضافيّة متكثِّرة حول المهدي ﷺ وقضايا الجماعة ، وبركة الحضور أو الخلاص وشبه ذلك . بما تعنيه في النهاية إضافةً زائدةً في مقام الحجَّة والإحتجاج يصبُّ في موضوع الإمامة وعظمة مقامِها وعلوِّ شأنِها الذي لا يُوصَف .. الأمثلة في هذا المجال كثيرة ، وأطرافُها مشهُورُون ، وبعضهم من رجالات الإدارة أو ما هو شبيه فيها ..

فقد روى أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب قائلاً : تقلَّدتُ عملاً مِن أبي منصور بن الصالحان ، وجرى بيني وبينه ما أوجب استتاري فطلبني وأخافني ، فمكثتُ مستتراً خائفاً ثم قصدتُ « مقابر قريش » ليلة الجمعة ، واعتمدتُ على المبيتِ هناك للدعاء والمسألة ، وكانت ليلةَ ريحٍ ومطرٍ ، فسألت ابن جعفر القيِّم أن يُغلق الابواب ، وان يجتهد في خلوة الموضع لأخلو بما أريدهُ مِن الدعاء والمسألة ، وآمَنُ مِن دخول إنسانٍ ممَّا لم آمنه ، وخفتُ مِن لقائي له .

ففعل وقفل الابواب ، وانتصف الليل ، وورد مِن الريح والمطر ما قطَعَ الناسَ عن الموضع ، ومكثتُ أدعو وأزور وأصلِّي .

فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ وطأةً عند مولانا موسى (الكاظم عليه السلام) ، وإذا رجلٌ يزور ، فسلَّم على آدم وأُولي العزم ، ثم الائمة واحداً واحداً إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان ، فعجبتُ مِن ذلك وقلت : لعلَّهُ نسي أو لم يعرف ، أو هذا مذهب لهذا الرجل . فلما فرغ مِن زيارته صلَّى ركعتين ، وأقبل إلى عند مولانا أبي جعفر فزار مثل الزيارة وذلك السلام ، وصلَّى ركعتين وأنا خائف منه إذ لم أعرفه ، ورأيته شاباً تامَّاً مِن الرجال ، عليه ثياب بيض وعمامة محنك بها ذؤابة وردي على كتفه مسبل ، فقال لي : يا أبا الحسين بن أبي البغل أين أنت عن دعاء الفرج ؟ فقلت : وما هو يا سيدي ؟

فقال : تصلِّي ركعتين وتقول : يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، يا مَن لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ، يا عظيم المَنِّ ، يا كريم الصفح ، يا مبتدئ النِّعم قبل استحقاقها ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا منتهى كل نجوى ، ويا غاية كل شكوى ، يا عون كلِّ مستعين ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا رباه عشر مرات ، يا سيِّداه عشر مرات ، يا مولاهُ عشر مرات ، يا غايتاه عشر مرات ، يا منتهى رغبتاه عشر مرات ، أسألك بحق هذه الاسماء ، وبحقِّ محمَّد وآله الطاهرين إلا ما كشفت كربي ، ونفَّستَ همِّي ، وفرَّجتَ غمِّي ، وأصلحتَ حالي . وتدعو بعد ذلك بما شئت وتسأل حاجتك ، ثم تضع خدَّكَ الايمن على الارض وتقول مائة مرة في سجودك : يا محمد يا علي ، يا علي يا محمد ، إكفياني وانصراني فإنكما ناصراي . ولتضع خدَّك الايسر على

الارض وتقول مائة مرة أدركني ، وتكررها كثيراً ، وتقول : الغوث الغوث ، حتى ينقطع نفسك وترفع رأسك ، فإنَّ اللهَ بكرمِهِ يقضي حاجتك إنْ شاء الله تعالى .

يقول : فلما اشتغلتُ بالصلاة والدعاء خرج ، فلمَّا فرغتُ خرجتُ لابن جعفر لأسأله عن الرجل ، وكيف قد دخل ، فرأيتُ الابواب على حالها مغلقةً مقفلةً ، فعجبتُ من ذلك وقلت : لعلَّ باباً هنا ولم أعلم . فأنبَهتُ ابنَ جعفر ، فخرج إليَّ مِن بيت الزيت ، فسألته عن الرجل ودخوله ؟ فقال : الابواب مقفلة كما ترى ما فتحتُهَا . فحدَّثتَهُ بالحديث فقال : هذا مولانا صاحب الزمان ، وقد شاهدته مراراً في مثل هذه الليلة عند خلوِّها مِن الناس .

يقول : فتأسَّفت على ما فاتني منه ، وخرجت عند قرب الفجر ، وقصدتُ الكرخ إلى الموضع الذي كنتُ مستتراً فيه ، فما اضحى النهار إلا وأصحاب ابن الصالحان يلتمسون لقائي ، ويسألون عنِّي أصدقائي ومعهم « أمانٌ » مِن الوزير ، ورقعة بخطِّهِ فيها كلُّ جميل ، فحضرت مع ثقة مِن أصدقائي عنده فقام والتزمني وعاملني بما لم أعهده منه وقال : انتهت بك الحال إلى أن تشكوني إلى صاحب الزمان !

فقلت : قد كان منِّي دعاء ومسألة . فقال : ويحك ، رأيتُ البارحة مولاي صاحب الزمان في النوم - يعني ليلة الجمعة - وهو يأمرني بكلِّ جميل ، ويجفو عليَّ في ذلك جفوةً خفتُهَا ،

قال أبو الحسين بن أبي البغل : فقلتُ : لا إله إلا الله ، أشهد أنَّهم الحقُّ ومنتهى الصدق . رأيتُ البارحة مولانا عليه السلام في اليقظة وقال لي كذا

وكذا وشرحتُ ما رأيته في المشهد فعجب مِن ذلك ، وجرت منه أمورٌ عظام حسان في هذا المعنى ، وبلغت منه غاية ما لم أظنُّه ببركة مولانا صاحب الزمان عليه السلام][1] .

إنّه الإعجازُ والنعمةُ الربانيَّة والمقام الرفيع والمشهد المُذهِل الذي يُدهش العقول ..! انّها قضايا تحمل دليلها بثقلها وطبيعة فعلها . بحيث شكَّلت ظاهرة حضور المهدي عليه السلام العنوانَ الأبرز على الألسن ، وكانت الأسماعُ تطوقُ إلى ذكرِ الأخبار في هذا المجال ، بل كان قومٌ كثيرون ممَّن هم ليسوا على مذهب أهلِ البيت عليهم السلام يتضرَّعون إلى الله بالمهدي عليه السلام . وقراءة هذا المتن ، أو غيره تضيفُ عنواناً بارزاً وهو انَّ موضوع الإستنجاد بالمهدي عليه السلام والتضرُّع إلى الله عبرهُ كان أمراً مشاعاً ، بل كان البلاط أو غيرهُ يرون هذا الأمر حقيقةً لا غبار عليها . ولقد كان أمرُ حضورِهِ عجل الله فرجه مشاعاً ظاهراً معروفاً بين الناس ..

وفي الدعاء الذي علَّمه له الإمام المهدي عليه السلام تأكيدٌ على الهويَّة الهائلة التي ينادي بها أهلُ البيت عليهم السلام ، هويَّة الإبتهال والدعاء إلى الله بتلك الصفات العظيمة المرويَّة ، بالإضافة إلى المدخل والمفاتيح التي يُدعى اللهُ عبرها . بتعبيرٍ آخر : ذيل الدعاء يؤكِّد على طابع دعاء الله عبر البيوت التي أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويُذكرَ فيها إسمه ، أي عبر النبوَّة التي تجلَّت بخاتم النبيين محمَّد صلى الله عليه وآله ، والإمامة التي تجلَّت بمولانا وصي خاتم النبيين الإمام علي عليه السلام ، ثم بسلسلة الأئمّة عليهم السلام ، ثم خصوص إمام الزمان مولانا المهدي المنتظر عجل الله فرجه ..

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٣٠٤ – حدثني أبو جعفر محمد بن هارون بن موسى التلعكبري ، قال

لا شكَّ انّها حادثة جديرة بالإنتباه والملاحظة ، وهي عنوان تأكيدي لما أشرنا إليه وفرَّعنا عليه من قبل . ولقد كان مولانا المهدي عليه السلام وما زال يتعاهد - بنماذج مختلفة - أمرَ الشريعة وفقهاءها وناسها وأمورها بالإحاطة ، حتى ذكر في الإحتجاج كتاباً وَرَدَ من الناحية المقدسة - حرسها اللهُ ورعاها - في أيَّام بَقِيَت مِن صفر سنة عشرة وأربعمائة على « الشيخ المفيد » أبي عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان ، قدس الله روحه ونوَّرَ ضريحه ، ذَكَرَ مُوصِلُهُ أنَّهُ يحمله مِن ناحيةٍ متَّصِلَةٍ بالحجاز نسخته :

[للأخ السديد ، والوليِّ الرشيد ، الشيخ المفيد ، أبي عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان ، أدامَ اللهُ إعزازهُ ، من مستودع العهد المأخوذ على العباد ، بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : سلامٌ عليك أيُّها الولي المُخلِصُ في الدِّين ، المخصوص فينا باليقين ، فإنا نحمد إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، ونسأله الصلاة على سيِّدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين ، ونُعلمُك - أدام اللهُ توفيقك لنصرة الحق وأجزل مثوبتك على نطقك عنَّا بالصدق - أنه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة ، وتكليفك ما تُؤدِّيه عنَّا إلى موالينا قبلك ، أعزهم اللهُ بطاعته ، وكفاهم المُهِمَّ برعايته لهم وحراسته ، فقف أيَّدَكَ اللهُ بعونه على أعدائه المارقين مِن دينه على ما أذكره ، وأعمل في تأديته إلى مَن تسكن إليه بما نرسمه إنْ شاء الله . نحن وإن كُنَّا نائينَ بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي أراناهُ اللهُ تعالى لنا مِن الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولةُ الدنيا للفاسقين ، فإنَّا نحيطُ علماً بأنبائكم ، ولا يعزبُ عنَّا شيئ مِن أخباركم ، ومعرفتنا بالذلِّ الذي أصابكم مُذ جنحَ كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالحُ عنه شاسعاً ، ونبذوا العهدَ المأخوذ وراءَ ظهورهم كأنهم لا يعلمون . إنَّا غيرُ مُهمِلين لمراعاتكم ، ولا ناسينَ

لذكركم ، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواءُ واصطلمكم الاعداءُ ، فاتَّقُوا اللهَ جلَّ جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله ويحمى عنها من أدرك أمله ، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومبائّتكم بأمرنا ونهينا ، واللهُ متمٌّ نورَهُ ولو كره المشركون . اعتصموا بالتقية ، من شب نار الجاهلية يحششها عصب أموية ، يهول بها فرقة مهدية ، أنا زعيمٌ بنجاةِ مَن لم يرم فيها المَوَاطِن ، وسلك في الطعن منها السبل المرضية ، إذا حلَّ جمادي الاول .. فاعتبروا بما يحدثُ فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه . ستظهر لكم من السماء آية جلية ، ومن الارض مثلها بالسوية ، ويحدث في أرض المشرق ما يُحزِنُ ويُقلِقُ ، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الاسلام مراق ، تضيق بسوء فعالهم على أهله الارزاق ، ثم تنفرج الغمة من بعد ببوار طاغوت من الاشرار ، ثم يستر بهلاكه المتقون الاخيار ، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما يؤملونه منه على توفير عليه منهم واتفاق ، ولنا في تيسير حجهم على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق . فليعمل كلُّ امرءٍ منكم بما يقرب به من محبتنا ، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا ، فإنَّ أمرَنَا بغتة فجاءة ، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه مِن عقابنا ندم على حوبة ، والله يلهمكم الرشد ، ويلطف لكم في التوفيق برحمته . نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام : هذا كتابنا إليك أيها الاخ الوني ، والمخلص في ودِّنا الصفي والناصر لنا الوفي حرسك الله بعينه التي لا تنام ، فاحتفظ به ! ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه بما له ضمناه أحدا ! وأدِّ ما فيه إلى مَن تسكن إليه ، وأوصِ جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين][1] .

---

[1] الاحتجاج : صـ ٤٩٥ -

.. في هذا الكتاب بيانٌ سرديٌّ لمجموعةٍ وصفيّةٍ لما يكون قبل ظهورِهِ الشريف ، كما فيه حثٌّ على لزوم الشريعة واتّباع قوانينها ، وبذل النفوس لتحقيقِ مقاصدها . وتحذير شديد للذين يخرجون عليها ، وانَّ أمر الدنيا هيِّن ، وأمر الآخرة عظيم ، وانَّه لا تنقضي الليالي والأيَّام حتى يتحقَّق أمرُ اللهِ تعالى بالظهور المبارك حيث تُشرقُ الأرض بظهور المهدي عليه السلام وتبدأ أولى مراحل نشر العدل وتأسيس حكومة الإسلام ذات البعد العالمي الإستيعابي الكامل .

والأهم انَّ الإحاطة والمباركةَ للفقهاء والعلماء واحدة من نِعم اللهِ تعالى . وانّ هذا الدِّين وإن كان غريباً كما بدأ إلا انّه يبقى غضّاً محفوظاً في أمّةٍ وطوائف شتَّى يلتزمونَه ما أمكنهم ذلك ، يحافظون عليه ، ويدعون إليه ، ويرفعونَهُ لواءاً في فقه التشريع وقيادة الناس والتزام الصِّيَغ والقوانين . وكذا وردَهُ كتابٌ آخر مِن قِبَلِهِ صلوات الله عليه ، يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة ، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، نسخته :

من عبد الله المرابط في سبيله إلى مُلهَم الحق ودليله ، بسم الله الرحمن الرحيم : [سلام الله عليك أيها الناصرُ للحق ، الداعي إليه بكلمة الصدق ، فإنا نحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، إلهنا وإله آبائنا الاولين ، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

وبعد : فقد كُنَّا نظرنا مناجاتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه اللهُ لك مِن أوليائه ، وحرسك به مِن كيد أعدائه ، وشفعنا ذلك الآن من مستقر لنا ينصب في شمراخ ، من بهماء صرنا إليه آنفاً مِن غماليل ألجأنا إليه

السباريت من الايمان ، ويوشك أن يكون هبوطنا إلى صحصح من غير بُعد من الدهر ولا تطاول من الزمان ، ويأتيك نبأ منَّا يتجدَّد لنا من حال ، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا بالاعمال ، والله موفّقك لذلك برحمته ، فلتكن - حرسك الله بعينه التي لا تنام - أن تقابل لذلك فتنة تسل نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين يبتهج لدمارها المؤمنون ، ويحزن لذلك المجرمون ، وآية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرم المعظَّم مِن رجس منافق مذمم ، مستحل للدم المحرم ، يعمد بكيده أهل الايمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان ، لأنَّنَا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الارض والسماء ، فلتطمئن بذلك مِن أوليائنا القلوبُ ، وليتَّقُوا بالكفاية منه ، وإن راعتهم بهم الخطوب ، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدةً لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب . ونحن نعهد إليكَ أيُّها الولي المُخلص ، المجاهد فينا الظالمينَ أيَّدَكَ اللهُ بنصره الذي أيَّدَ به السلف مِن أوليائنا الصالحين ، أنه مَن اتَّقَى ربَّهُ مِن إخوانك في الدِّين ، وأخرج ممَّا عليه إلى مستحقِّيهِ ، كان آمناً مِن الفتنة المبطلة ، ومِحَنِهَا المظلمة المظلّة ، ومن بخل منهم بما أعارهُ الله مِن نعمته على مَن أمره بصلته ، فإنه يكون خاسراً بذلك لأُولَاهُ وآخرته ، ولو أنَّ أشياعنا وفقَّهَمُ اللهُ لطاعته على اجتماع مِن القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليُمْنُ بلقائنا . ولتعجَّلت لهم السعادةُ بمشاهدتنا على حقِّ المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممَّا نكرهه ولا نؤثره منهم ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلاته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم][1] .

---

[1] الاحتجاج : صـ ٤٩٥ -

قيمة هذا الكتاب جليلُ ما ورد فيه ، وعظيمُهُ يكمن في الحثِّ على اتِّباع الشريعة ، على التفاني في سبيلِها ، على التزام الحلالِ ، على اجتناب الحرام كلِّه ، على إقامة الشريعة في النفوس والأفعال . ويحذِّرُ (عليه السلام) من مغبَّة الوقوع في الآثام والحرام ، وانّه لولا الإنحراف من البعض لكان لهم اليُمن في كثيرٍ من التشريف ، لكنَّ ما هم فيهِ من هذا الإنحراف له أثر في أمورٍ عدّة ، منها عدم التشرُّف ، وما شرفُ دخول بابِ الإمامة إلا التزام الإسلام ، والتفاني في سبيلِهِ . ثمَّ يشيرُ (عليه السلام) إلى أمورٍ ستقع ، ويؤكِّد على أنَّ حدث الظهورِ لا بدَّ منه ، ويصرِّح بلزوم مجاهدة الظالمين بالعناصر السليمة المشروعة التي من شأنِها أن تحافظ على قيمة الشريعة وترفعها ميزاناً ومرجعاً للإلتزام والأعمال . ويلفت إلى الأذى الذي يصحبُ الخارجين على أمرِ الله ، والمنحرفين عن دينِهِ . والأمر موكولٌ إلى زمنٍ تتحقّقُ فيه صفات ، وحوادث تتحقّقُ فيها شروط ، فإذا تمّت أذن اللهُ للمهدي بالظهور (عليه السلام) ..

وهكذا تعدَّدت البركات الجليلة والكرامات العظيمة التي أحاط بها مولانا المهدي (عليه السلام) قضايا الناس بعناوين مختلفة ، في حاجةٍ أو مسألةٍ أو كشف همٍّ أو دفع بلاء بإذن الله تعالى ، على انّها في النهاية صفةٌ إضافي إلى المفهوم الإحتجاجي لمقام الإمامة العظيم .

ففي البحار قال بسنده : ومِن ذلك ما أخبرني مَن أثق به وهو خبر مشهور عند أكثر أهل المشهد الشريف الغروي سلام الله تعالى على مشرفه ، ما صورتُهُ : أنَّ الدار التي هي الآن - سنة سبعمائة وتسع وثمانين - أنا ساكنها كانت لرجلٍ مِن أهل الخير والصلاح ، يُدعَى حسين المدلل ، وبه يعرف ساباط المدلل ملاصقة جدران الحضرة الشريفة ، وهو مشهور بالمشهد الشريف الغروي (عليه السلام) ،

وكان الرجل له عيال وأطفال ، فأصابه فالج ، فمكث مدّةً لا يقدر على القيام ، وإنما يرفعه عياله عند حاجته وضروراته ، ومكث على ذلك مدةً مديدةً ، فدخل على عياله وأهله بذلك شدةٌ شديدةٌ واحتاجوا إلى الناس واشتدَّ عليهم الناس . فلما كان سنة عشرين وسبع مائة هجرية في ليلة مِن لياليها بعد ربع الليل أنبَهَ عياله فانتبهوا في الدار ، فإذا الدار والسطح قد امتلأ نوراً يأخذ بالابصار ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال : إنَّ الامام عليه السلام جاءني وقال لي : قم يا حسين ، فقلت : يا سيدي ، أتراني أقدرُ على القيام ؟ فأخذ بيدي وأقامني فذهب ما بي . وها أنا صحيحٌ على أتمِّ ما ينبغي . وقال لي : هذا الساباط دربي إلى زيارة جدي عليه السلام فأغلقه في كلِّ ليلة ، فقلت : سمعاً وطاعة لله ولك يا مولاي . فقام الرجل وخرجَ إلى الحضرة الشريفة الغروية وزار الامام عليه السلام وحمد الله تعالى على ما حصل له مِن الانعام وصار هذا الساباط المذكور إلى الآن ينذر له عند الضرورات فلا يكاد يخيب ناذره من المراد ببركات الامام القائم عليه السلام][1] .

إنَّ هذا جزءٌ بسيطٌ جداً ممَّا يقع على يد أهل بيت الله تعالى .. إنّهم اهلُ الله .. إنهم خيرتُهُ .. إنّهم الأولياء المنصوبون من قِبَلِه تعالى .. فيا ربِّي اشْهَد إنِّي على ولايتِهم حياً وميتاً . وبهذه الشهادة انزلُ قبري مُلتَحِفَاً بها ، معتصماً بكرامتها . لَائذاً بأصحابِها ، أصحابِ الشفاعة لديك يا ربَّ العالمين ..

ثمَّ ما ورد في المتن ما هو إلا عنوان من عناوين الإحاطة والبركة التي تتنزَّلُ عن مقامِ الإمامة ، بل في الحوادث التي تجري مع الناس منذ

---

[1] كتاب السلطان للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار .] * * : البحار : جـ ٥٢ صـ ٧٣ - ٧٤ بـ ١٨

الأزمان السابقةِ إلى يومنا هذا دليلٌ مذهلٌ على العظمة التي أحاط اللهُ بها مقامَ أهل البيتِ عليهم السلام ،

فكثيرٌ من الوقائع المذهلة التي تجري تحت قبَّة مقاماتهم عليهم السلام من قضاء الحاجات وكشف الكروب ودفع البلاء وتحقيق الأماني والشفاء من العِلَل والبلايا بإذن اللهِ تعالى دليلٌ مذهلٌ على عظمةِ المجد الذي أحاطهم اللهُ به .

وقد قال اللهُ تعالى في حقِّ عيسى بن مريم عليه السلام وما أظهر على يديه من الإعجاز المبين ، كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ : أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ ، وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ ، وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩/٣﴾ ، وهذه صفةٌ أحاطَ اللهُ بها المُصطَفَين من الأنبياء والأولياء ، كلٌّ بحسبِهِ وضمن وظيفتِهِ واللهُ عزيزٌ حكيم .

وأمثلةُ ما أحاطَ اللهُ به أهلَ البيتِ عليهم السلام من عظمةٍ وإجلالٍ وإكرامٍ يمكنُك أن تقرأها تحت قِبَبِهِم ، حيث يشفي اللهُ بهم العاجزين ، والمرضى والمقعدين ، ويدفع بهم البلاء ، ويقضي بهم الحوائج ، حتى شاع وذاع ذلك في كلِّ قطرٍ ومكانٍ من عصرنا الحاضرِ ، فلا قلمٌ يُحصي ما يجري تحت قِبَبِ مقاماتِهم عليهم السلام ، حتى كثر قولُ الشاعرِ على ألسُنِ الناسِ مردّداً :

فواللهِ بكُمُ اللهُ قضى

ما أعجزَ كثرَةَ العالمين ..

وقد رأينا بأُمِّ العين وشاهدنا في مقام السيِّدة زينب الكبرى ، بنت الإمام علي بن أبي طالب ما انذهلت منه العين وحار معه العقل وارتعد معه الجسد ، فما وجدتُ نفسي إلا مردِّداً :

ما خَابَ مَن دعا اللهَ بكم ،
قضاء الحاجاتِ تحتَ قبَّتِكم .

وها هي قبَّةُ سيِّدَتنا ومولاتِنا زينب عليها السلام تحكي قصَّة المجد السماوي المذهل الذي أحاطُهُ اللهُ بهم عليهم السلام ، قصّة الإعجاز المُبين ، قصّة قضاء الحاجات ودفع البلاء والشفاء من الزمانات والأمراض المستعصية .. وقد شاع وذاع خبَرُهَا في كلِّ الأمصار وعند كُلِّ المِلَل ..

أمَّا ما يجري تحتَ قبَّةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وباقي الأئمَّة عليهم السلام فمُذهلٌ ومدهش ومعجزٌ .. فلا يقوم قلمٌ على إحصاءِهِ أو بيان إعظامِه ، سوى ترداد الناس في كلِّ بقعةٍ وزمان :

ما خاب مَن تمسَّكَ بكم ،
وأمِن مَـــــن لجأ إليكم ..

لا شكَّ أنّ هذا منطق إضافي وسرٌ عظيم . حتى أنَّ المهموم يكفيه أن يقف نحو قبابِهم فيدعو اللهَ بقلبٍ صادقٍ ويسألُهُ بإسمِهم حتى يفرِّجَ اللهُ همَّه ، ويكشف غمَّه ويدفع كربه ، ويقضي حاجته بمحمَّد وآل محمَّد عليهم السلام ..

ويكفي الرجل ليتحقَّق مباشرةً من هذا الفضل المذهل لأهل البيتِ عليهم السلام أن يقصد قبابَ مقاماتهم الشريفة حتى يرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على عقل بشر من قضاء الحاجات ودفع البلاء والشفاء والتوفيق الذي يُحقِّقُه اللهُ بفضلِهم عليهم السلام ..

والأخبار في هذا المجال أكثر من أن يُحصيها كتابٌ او يترجمها قلم وتحتاجُ إلى موسوعات . وقد رأيتُ بأُمِّ العين تحت قبَّة سيِّدتي ومولاتي زينب بنت علي أمير المؤمنين ما أذهلني وهزَّ قلبي وأرعد جسدي . رأيتُ ما أعجز العين واذهل القلب وأخشع العقل ..

ولأنَّني في هذا الكتاب أعتمدُ المصدرَ الذي يمكن ان يرجع إليه القارئ وجدتُ نفسي محجُوراً بين أُطر المكتوب لا المسموع ، في حين المسموع والمُشَاهد بأُمِّ العين أكثر من أن يُحيط به قلم ..

ومن تلك الحوادث المكتوبة ما يذكرهُ صاحبُ البحار بسنده يقول : هذا ما أخبرني به جماعة من أهل الغري على مشرفه السلام أنَّ رجلاً من أهل « قاشان » أتى إلى الغريِّ مُتَوَجِّهاً إلى بيت الله الحرام . فاعتلَّ عِلَّةً شديدةً حتى يبست رجلاهُ ، ولم يقدر على المشي .

فخلفه رفقاؤهُ وتركوهُ عند رَجُلٍ من الصلحاء كان يسكنُ في بعض حجرات المدرسة المحيطة بالروضة المقدسة ، وذهبوا إلى الحجِّ ، فكان هذا الرجلُ يُغلق عليه الباب كل يوم ، ويذهب إلى الصحاري للتنزُّهِ ولطلب الدراري التي تُؤخذ منها ، فقال له في بعض الايام : إنِّي قد ضاقَ صدري واستوحشتُ من هذا المكان ، فاذهَب بي اليوم واطرحني في مكان واذهب حيث شئت .

قال : فأجابني إلى ذلك ، وحملني وذهب بي إلى مقام القائم صلوات الله عليه خارج النجف ، فأجلسني هناك ، وغسل قميصه في الحوض وطرحها على شجرة كانت هناك ، وذهب إلى الصحراء ، وبقيتُ وحدي مغموماً ، أفكِّر فيما يؤول إليه أمري . فإذا أنا بشاب صبيح الوجه ، أسمر

اللون ، دخل الصحنَ وسلَّم عليَّ وذهب إلى بيت المقام ، وصلَّى عند المحراب ركعات ، بخضوعٍ وخشوع لم أرَ مثله قط ، فلما فرغ من الصلاة خرج وأتاني وسألني عن حالي ؟ فقلت له : ابتليتُ ببليَّةٍ ضقتُ بها لا يشفيني اللهُ فأسلم منها ، ولا يذهب بي فأستريح . فقال : لا تحزن ، سيُعطِيك اللهُ كليهما . وذهب .

قال : فلما خرج رأيتُ القميصَ وقع على الارض ، فقمتُ وأخذت القميص وغسلتُهَا وطرحتها على الشجر . فتفكَّرتُ في أمري وقلت : أنا كنتُ لا أقدر على القيام والحركة .! فكيف صرتُ هكذا .! فنظرتُ إلى نفسي فلم أجد شيئاً ممَّا كان بي ، فعلمتُ أنه كان القائم صلوات الله عليه . فخرجت فنظرتُ في الصحراء فلم أرَ أحداً فندمتُ ندامةً شديدة . فلما أتاني صاحبُ الحجرة ، سألني عن حالي وتحيَّر في أمري ، فأخبرته بما جرى ، فتحسَّر على ما فاتَ منه ومني ، ومشيتُ معه إلى الحجرة . قالوا : فكان هكذا سليماً حتى أتى الحاج ورفقاؤه ، فلما رآهم وكان معهم قليلاً مرضَ ومات ، ودُفِنَ في الصحن ، فظهر صحَّة ما أخبره عليه السلام من وقوعِ الامرين معاً . وهذه القصة من المشهورات عند أهل المشهد ، وأخبرني به ثقاتهم وصلحاؤهم][1] .

إنَّ هذا وغيره من كرم اللهِ تعالى وبركاتِه العظيمة التي أحاط بها أهل البيت عليهم السلام الذين يُشكِّلون الآية الكبرى والحبل المتين وسفينة النجاة والثقل المقرون بالقرآن إلى يوم الحوض من زمن القيامة وساعة الحساب ..

---

[1] على بن عبد الحميد : على ما في البحار .] * * : البحار : ج ٥٢ ص ١٧٦ ب ٢٤ –

ويضيفُ في البحار رَاوِيَاً العديدَ من الإعجازات بخصوصِ مولانا صاحب الزمان عليه السلام فيقول : ومنها ما أخبرني به والدي رحمه الله قال : كان في زماننا رجلٌ شريفٌ صالح ، كان يُقَالُ له : أمير إسحاق الاسترابادي ، وكان قد حجَّ أربعينَ حجةً ماشياً . وكان قد اشتهر بين الناس أنه تُطوَى له الارض . فورد في بعض السنين بلدة إصفهان ، فأتيتُهُ وسألته عمَّا اشتهر فيه ؟

فقال : كان سبب ذلك أني كنتُ في بعض السنين مع الحاج متوجِّهينَ إلى بيت الله الحرام . فلما وصلنا إلى موضعٍ كان بيننا وبين مكة سبعة منازل أو تسعة تأخرَّتُ عن القافلة لبعض الاسباب حتى غابت عني . وضللتُ عن الطريق ، وتحيَّرتُ وغلبني العطشُ حتى آيستُ من الحياة .

فناديت : يا صالح ، يا أبا صالح ، أرشدونا إلى الطريق يرحمكم الله . فتراءى لي في منتهي البادية شبح . فلما تأمَّلته حضر عندي في زمانٍ يسيرٍ فرأيته شاباً حسن الوجه نقي الثياب ، أسمر ، على هيئة الشرفاء ، راكباً على جمل ، ومعه أداوة ، فسلَّمتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلامَ وقال : أنت عطشان ؟ قلت : نعم . فأعطاني الاداوة فشربتُ ثم قال : تريد أن تلحق القافلة ؟ قلت : نعم . فأردَفَني خلفَهُ ، وتوجَّهَ نحو مكة .

وكان من عادتي قراءة الحرز اليماني في كلِّ يوم ، فأخذتُ في قراءته فقال عليه السلام في بعض المواضع : إقرأ هكذا . قال : فما مضى إلا زمان يسير حتى قال لي : تعرف هذا الموضع ؟ فنظرت فإذا أنا بالابطح . فقال : انزل ، فلما نزلتُ رجعت وغاب عني . فعند ذلك عرفت أنه القائم عليه السلام فندمت وتأسفت على مفارقته ، وعدم معرفته ، فلمَّا كان بعد سبعة أيام أتت

القافلة ، فرأوني في مكّة بعدما أيسوا من حياتي . فلذا اشتهرتُ بطيِّ الارضِ . قال الوالد - رحمه الله - : فقرأتُ عنده الحرز اليماني وصحَّحتُهُ وأجازني والحمدُ لله][1] .

والأخبار في هذا المجال كثيرة . وشديدة التنوُّع والوثوق ، وهي إخبارات حسٌّ لا حدس ، إخباراتٌ مشاعةٌ منقولةٌ عبر الوسائطِ وبكثرةٍ كاثرة .. وفي البحار أيضاً قال : روى السيد علي بن عبد الحميد في كتاب السلطان المفرِّج عن أهل الايمان عند ذكر مَن رأى القائم عليه السلام قال : فمن ذلك ما اشتهر وذاع ، وملأ البقاع ، وشهد بالعيان أبناء الزمان ، وهو قصة « أبو راجح الحمامي » بالحلَّة . وقد حكى ذلك جماعةٌ من الاعيان الاماثل ، وأهل الصدق الافاضل . منهم الشيخ الزاهد العابد المحقِّق شمس الدين محمد بن قارون سلَّمَهُ الله تعالى . قال : كان الحاكم بالحلَّة شخص يُدعى « مرجان الصغير» ، فَرُفِعَ إليه أنَّ أبا راجح هذا يسبُّ الصحابة . فأحضره وأمر بضربه فضُرِبَ ضرباً شديداً مُهلِكَاً على جميع بدنه . حتى أنه ضُرِبَ على وجهه . فسقطت ثناياه وأُخرِجَ لسانُهُ فجُعِلَ في مسلَّة من الحديد ، وخُرِقَ أنفُهُ ، ووُضِعَ فيه شركة من الشعر وشدّ فيها حبلاً وسلَّمَهُ إلى جماعة من أصحابه وأمرهم أن يدوروا به أزقة الحلَّة ، والضرب يأخذ من جميع جوانبه ، حتى سقط إلى الارض وعايَنَ الهلاك . فأُخبِرَ الحاكمُ بذلك فأمر بقتله .

فقال الحاضرون : إنه شيخٌ كبير ، وقد حصل له ما يكفيه ، وهو ميِّت لِمَا به ، فاتركه وهو يموتُ حتفَ أنفه ، ولا تتقلَّد بدمه . وبالغوا في

---

[1] نفس المصدر : بحار الأنوار ..

ذلك حتى أمر بتخليتِهِ وقد انتفخ وجهُهُ ولسانه . فنقله أهله في الموت ولم يشكَّ أحد أنه يموت مِن ليلته . فلما كان مِن الغد غدا عليه الناسُ فإذا هو قائمٌ يصلِّي على أتمّ حالة ، وقد عادت ثناياه التي سقطت كما كانت ، واندملت جراحاته ، ولم يبقَ لها أثرٌ ، والشجة قد زالت مِن وجهه . فعجب الناسُ مِن حاله وسألوه عن أمره .! فقال : إني لمَّا عاينتُ الموت ، ولم يبقَ لي لسان أسألُ اللهَ تعالى به ، فكنت أسأله بقلبي ، واستغثتُ إلى سيِّدي ومولاي صاحب الزمان عليه السلام ، فلمَّا جنَّ عليَّ الليلُ ، فإذا بالدار قد امتلأت نوراً ، وإذا بمولاي صاحب الزمان قد أمرَّ يده الشريفة على وجهي ، وقال لي : أخرج وكدّ على عيالك . فقد عافاك اللهُ تعالى . فأصبحت كما ترون][1] ..

فكانت هذه من القصص المشهورة التي تتناقلها الألسن بشيءٍ من التعظيم والتبجيل ..

ولو أردنا أن نسرد الأخبار في هذا المجال لطال بنا المقام ، لكنّنا نخلصُ إلى النتيجة التالية : وهي أنَّ محضر الإمامةِ أمرٌ عظيم ، فهم بابُ اللهِ الذي منهُ يُؤتى . وحجّةُ اللهِ على الخلق ، بدءاً من جدِّهم المصطفى صلى الله عليه وآله أعظم انبياء وخاتمهم وسيّد المرسلين ، وانتهاءاً بهم ، بدءاً من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصولاً إلى مولانا المهدي عليه السلام : إثنا عشر إماماً معدوداً مرقوماً في السماء قبل الأرض . بيِّناتُهم ساطعة في السماء والأرض ، وآياتُهم تملأ الكونَ والصدور .. وقد روى يوسف بن السخت البصري قال : رأيتُ التوقيع بخط محمَّد بن محمد بن علي فكان فيه : [الذى يجب

---

[1] إثبات الهداة : جـ ٣ صـ ٧٠٤ بـ ٣٣ فـ ١٦ حـ ١٥٢ - عن البحار .

عليكم ولكم ، أن تقولوا إنَّا قدوةُ اللهِ وأئمةُ وخلفاءُ اللهُ في أرضه ، وأمناؤهُ على خلقه ، وحجَجُهُ في بلاده ، نعرفُ الحلال والحرام ، ونعرف تأويل الكتاب وفصل الخطاب][1] ..

والنصوص الواردة في عظمة وفضل الأئمَّة الأولياء لخاتم النبيين شديدة الوثوق والظهور والبيان والعظمة ومروقومة في كُتُب الفريقين باتِّفاق علماء جميع المسلمين .. اللهم فاشهد : هؤلاءِ أئمَّتي ، بهم أتولَّى ، ومن أعدائهم أتبرَّى في الدنيا والآخرة .

---

[1] العياشي : ج ١ ص ١٦ ح ١٠ -

بعض أدعية الإمام المهدي عليه السلام

لمولانا المهدي عليه السلام أدعية وأذكار وأحراز ، كباقي الأئمة عليهم السلام ، فيها من الدلالة والقداسة والعظمة والبيان ما يشيرُ إلى علوِّ رفعتِهِ وخصوصِ رتبتِهِ مثل باقي الأئمة عليهم السلام ..

وهنا أذكرُ بعضها من دعاءٍ أو حرزٍ أو حجاب ، لما فيهِ من بيان صفات الغيبة والظهور ومطالب العناوين الظاهرة فيه عجل الله فرجه ..

فقد ورد في « حجاب » مولانا صاحب الزمان عليه السلام الذكر التالي - كما في مهج الدعوات » - : [أللهمَّ احجبني عن عيون أعدائي ، واجمع بيني وبين أوليائي ، وأنجز لي ما وعدتني ، واحفظني في غيبتي إلى أن تأذن لي في ظهوري ، وأحي بي ما درس من فروضك وسننك ، وعجِّل فرجي ، وسهِّل مخرجي ، واجعل لي مِن لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح لي فتحاً مبيناً ، واهدني صراطاً مستقيماً ، وقِني جميع ما أحاذره من الظالمين ، واحجبني عن أعين الباغضين الناصبين العداوة لأهل بيت نبيك ، ولا يصل منهم إليَّ أحدٌ بسوء ، فإذا أذنتَ في ظهوري فأيِّدني بجنودك ، واجعل مَن يتبعني لنصرة دينك مؤيّدين ، وفي سبيلك مجاهدين ، وعلى مَن أرادني وأرادهم بسوء منصورين ، ووفّقني لإقامة حدودك ، وانصرني على مَن تعدَّى محدودك ، وانصر الحق ، وأزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً ،

وأورد عليَّ مِن شيعتي وأنصاري مَن تقر بهم العين ، ويشدّ بهم الازر ، واجعلهم في حرزك وأمنك ، برحمتك يا أرحم الراحمين][1] ..

---

[1] مهج الدعوات : صـ ٣٠٢ - ومن تلك الأدعية ما ورد في مجموعة من المصادر المهمّة منها : ما ذُكِر في « مهج الدعوات » حيث ذكر السيد قائلاً : ودعا في قنوته - أي الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف - بهذا الدعاء : [أللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعزُّ مَن تشاء ، وتذلُّ من تشاء بيدك الخير ، إنَّك على كل شيئ قدير ، يا ماجد يا جواد ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا بطاش ، يا ذا البطش الشديد ، يا فعالاً لما يريد ، يا ذا القوة المتين ، يا رؤوف يا رحيم ، يا لطيف ، يا حي حين لا حي ، أسألك باسمك المخزون المكنون الحي القيوم ، الذي استأثرت به في علم الغيب عندك لم يطلع عليه أحد من خلقك ، وأسألك باسمك الذي تصور به خلقك في الارحام كيف يشاء ، وبه تسوق إليهم أرزاقهم في أطباق الظلمات من بين العروق والعظام ، وأسألك باسمك الذي ألفت به بين قلوب أوليائك ، وألفت بين الثلج والنار ، لا هذا يذيب هذا ولا هذا يطفئ هذا ، وأسألك باسمك الذي كونت به طعم المياه ، وأسألك باسمك الذي أجريت به الماء في عروق النبات بين أطباق الثرى ، وسقت الماء إلى عروق الاشجار بين الصخرة الصماء ، وأسألك باسمك الذي كونت به طعم الثمار وألوانها ، وأسألك باسمك الذي به تبدئ وتعيد ، وأسألك باسمك الفرد الواحد المتفرد بالوحدانية المتوحد بالصمدانية ، وأسألك باسمك الذي فجرت به الماء من الصخرة الصماء وسقته من حيث شئت ، وأسألك باسمك الذي خلقت به خلقك ورزقتهم كيف شئت وكيف شاؤا يا من لا تغيره الايام والليالي أدعوك بما دعاك به نوح حين ناداك فأنجيته ومن معه وأهلكت قومه ، وأدعوك بما دعاك إبراهيم خليلك حين ناداك فأنجيته وجعلت النار عليه بردا وسلاما ، وأدعوك بما دعاك به موسى كليمك حين ناداك ، ففلقت له البحر فأنجيته وبني إسرائيل ، وأغرقت فرعون وقومه في اليم ، وأدعوك بما دعاك به عيسى روحك حين ناداك ، فنجيته من أعدائه وإليك رفعته ، وأدعوك بما دعاك حبيبك وصفيك ونبيك محمد صلى الله عليه وآله ، فاستجبت له ومن الاحزاب نجيته ، وعلى أعدائك نصرته ، وأسألك باسمك الذي إذا دعيت به أجبت ، يا من له الخلق والامر ، يا من أحاط بكل شيئ علماً ، يا من أحصى كل شيئ عدداً ، يا من لا تغيره الايام والليالي ، ولا تتشابه عليه الاصوات ، ولا تخفى عليه اللغات ، ولا يبرمه إلحاح الملحين . أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد خيرتك من خلقك ، فصلِّ عليهم بأفضل صلواتك ، وصلِّ على جميع النبيين والمرسلين الذين بلغوا عنك الهدى ، وأعقدوا لك المواثيق بالطاعة ، وصل على عبادك الصالحين ، يا من لا يخلف الميعاد أنجز لي ما وعدتني ، واجمع لي أصحابي ، وصبرهم ، وانصرني على أعدائك وأعداء رسولك ، ولا تخيب دعوتي ، فإني عبدك وابن عبدك ، ابن أمتك ، أسير بين يديك ، سيدي أنت الذي مننت علي بهذا المقام ، وتفضلت به علي دون كثير من خلقك ، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تنجز لي ما وعدتني ، إنك أنت الصادق ، ولا تخلف الميعاد ، وأنت على كل شئ قدير] [مهج الدعوات : صـ ٦٨] .. * وأيضاً دعاء الامام العالم الحجة ﷺ في قوله : [إلهي حق من ناجاك ، وبحق من

وهو كما ترى ذكرٌ جامعٌ ، يشيرُ إلى عناوين وصفات ذُكِرَ بعضُها في متونٍ سابقةٍ من النصوصِ المرويّة . ولها من الأهميَّة والإشارة والبيان ما يدعو إلى دقّة النظر فيها ، فسلامُ اللهُ على ذاكرها وداعيها ..

وفي كثيرٍ من الأدعية المرويَّة عن صاحب الزمان إشارة إلى عظمة المقام الذي أحلَّ اللهُ أهلَ البيت عليهم السلام فيه ، بالإضافة إلى مجموع صفات ذات أُطر حول هويَّة ونماذج الزمن الأخير ، زمن الظهور في حقبة العالم الأخير . فقد ذكر في دلائل الإمامة قائلاً :

نقلت هذا الخبر من أصل ، بخط شيخنا أبي عبد الله الحسين الغضائري رحمه الله قال[1] :

حدثني يعقوب بن يوسف بأصفهان قال : حججتُ سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وكنتُ مع قوم مُخَالِفين . فلمَّا دخلنا مكَّةَ تقدَّمَ بعضُهُم فاكترى لنا في زقاقٍ مِن سوقِ الليل في دارِ خديجة تسمَّى « دار الرضا » ، وفيها عجوزٌ سمراء . فسألتها لمَّا وقفتُ أنها دارُ الرضا : ما تكونينَ مِن أصحابِ هذه الدار ، ولِمَ سُمِّيت دارَ الرضا ؟ فقالت : أنا مِن مواليهم . وهذه دارُ الرضا علي بن موسى عليه السلام . وأسكَنَنيها الحسنُ بن علي عليه السلام [أي الإمام العسكري] عليه السلام ، فإني كنتُ خادمةً له .

دعاك في البر والبحر ، تفضَّل على فقراء المؤمنين والمؤمنات بالغناء والثروة ، وعلى مرضى المؤمنين والمؤمنات بالشفاء والصحة ، وعلى أحياء المؤمنين والمؤمنات باللطف والكرم ، وعلى أموات المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة ، وعلى غرباء المؤمنين والمؤمنات بالرد إلى أوطانهم سالمين غانمين ، بمحمد وآله أجمعين] [مهج الدعوات : صـ ٢٩٥ –] .

[1] قال حدثني أبو الحسن علي بن عبد الله القاشاني قال : حدثنا الحسين بن محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين بقاشان بعد منصرفه من اصفهان قال :

يقول : فلما سمعتُ بذلك أنِستُ بها ، وأسررتُ الأمر عن رفقائي [لأنَّهم مخالفون] ، وكنتُ إذا انصرفتُ مِن الطواف بالليل أنامُ مع رفقائي في زقاقِ الدار ، ونغلق البابَ ونرمي خلفَ البابِ حجراً كبيراً . فرأيتُ غير ليلة ضوءَ السراجِ في الزقاقِ الذي كُنَّا فيه شبيهاً بضوء المشعل ، ورأيتُ (الباب) قد فُتِح ، ولم أرَ أحداً فتَحَهُ مِن أهل الدار ، ورأيتُ رجلاً ربعةً أسمر ، يميلُ إلى الصفرةِ ، في وجهه سجادة ، عليه قميصانِ وإزارٌ رقيقٌ قد تقنَّعَ به ، وفي رجلِهِ نعلٌ طاق (وخبَّرَني أنه رآهُ في غير صورة واحدة) ، فصعد إلى الغرفة التي في الدار ، حيث كانت العجوزُ تسكن .. وكُنَّا نراهُ يدخل ويخرج ، ونجيئُ إلى الباب ، وإذا الحجرُ على حالته التي تركناهُ عليها ، وكُنَّا نتعهَّدُ البابَ خوفاً على متاعنا . وكُنَّا لا نرى أحداً يفتحه ولا يغلقه ، والرجلُ يدخل ويخرج ، والحجرُ خلف الباب .

إلى أن حانَ وقتُ خروجِنَا ، فلما رأيتُ هذه الاسباب ضُرِبَ على قلبي ووقعت الهيبةُ فيه . فتلطّفتُ للمرأة وقلت [في نفسي] : أحبُّ أن أقف على خبرِ الرجل ، فقلت لها : يا فلانة ، إني أحبُّ أن أسألَكِ وأفاوضَكِ مِن غير حضورِ هؤلاء الذين معي ، فلا أقدر عليه . فأنا أحبُّ إذا رأيتني وحدي في الدار أن تنزلي لأسألَكِ عن شيئ . فقالت لي مسرعة : وأنا أريدُ أن أسرَّ إليك شيئاً ، فلم يتهيأ ذلك مِن أجل أصحابك . فقلتُ : ما أردتِ أن تقولي ؟

فقالت : يقولُ لك – ولم تذكر أحداً – : لا تُخاشِن أصحابك وشركاءك ولا تلاحهم ، فإنهم أعداؤك ، ودَارِهِم . فقلت لها : مَن يقول ؟ فقالت : أنا أقرِّبُك ، فلم أجسر لما كان دخل قلبي مِن الهيبة أن أرجعها . فقلت : أيُّ الاصحاب ؟ وظننتها تعني رفقاي الذين كانوا معي ؟ فقالت : لا ، ولكن شركاءك الذين في بلدك وفي الدار معك . [يقول] : وكان قد جرى

بيني وبين الذين عنَتْ عنهم أشياء في الدِّين فشنَّعُوا عليَّ حتى هربتُ واستترتُ بذلك السبب . فوقفتُ على أنها إنَّما عنت أولئك .

فقلت لها : ما تكونينَ مِن الرضا عليه السلام ؟ فقالت : كنتُ خادمةً للحسن بن علي [العسكري عليه السلام] ، فلما قالت ذلك قلت لَأسألنَّهَا عن الغائب ؟ [أي المهدي عليه السلام] ، فقلت : باللهِ عليكِ رأيتِيهِ بعينك ؟ فقالت : يا أخي ، إنِّي لم أرهُ بعيني ، فإني خرجتُ وأختي حبلى وأنا خالته . وبشَّرَني الحسنُ بأني سوفَ أراهُ آخر عمري . وقال : تكونين له كما أنتِ لي ، وأنا اليوم منذ كذا وكذا سنة بمصر ، وإنما قدمتُ الآن وكتابه ونفقته ووجهه بها إليَّ على يد رجل من أهل خراسان لا يفصح بالعربية ، وهي ثلاثون ديناراً ، وأمرني أن أحج سنتي هذه ، فخرجتُ رغبةً في أن أراهُ ، فوقع في قلبي أنَّ الرجل الذى كنت أراهُ يدخلُ ويخرج هو هو ، فأخذتُ عشرة دراهم رضائية - وكنتُ حملتُهَا على أن أُلقيها في مقام إبراهيم عليه السلام ، فقد كنتُ نذرتُ ذلك ونويتُهُ في نفسي فأدفعها إلى قومٍ مِن وُلدِ فاطمة أفضل ممَّا أُلقيها في مقام إبراهيم عليه السلام وأعظم ثواباً -

فقلت لها : ادفعي هذه الدراهم إلى مَن يستحقُّها مِن وُلدِ فاطمة ، وكان في نيَّتِي أنَّ الرجل الذي رأيتُهُ هو فإنَّمَا تدفعها إليه ، فأخَذَت الدراهم وصعدت وبقيت ساعةً ثم نزلَت وقالت : يقولُ لك : ليس لنا فيها حقٌّ ، فاجعلها في الموضع الذي نويت . ولكن هذه الرضائية خُذ مِنَّا بَدَلَهَا وألْقِهَا في الموضع الذي نويت . ففعلت ما أُمرت به عن الرجل .

ثم كانت معي نسخة توقيع خرجَ إلى القاسم بن العلا بأذربيجان ، فقلت لها : تعرضينَ هذه النسخة على إنسان قد رأى توقيعات الغائب عليه السلام

وهو يعرفها . فقالت : ناولني ، فإنِّي أعرفها ، فأريتُهَا النسخة وظننتُ أنَّ المرأة تُحسِنُ أن تقرأ ، فقالت : لا يمكن أقرأ في هذا المكان . فصعدت به إلى السطح ثم أنزلته قالت : صحيح . وفي التوقيع إني أبشِّركم ما سررت به .

وقالت يقول لك : إذا صلَّيت على نبيِّكَ فكيف تصلي عليه ؟ فقلت أقول : اللهم صلِّ على محمَّد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد كأفضل ما صلَّيتَ وباركتَ وترحَّمتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد . فقالت : لا ، إذا صلَّيت عليهم فصلِّ عليهم كلِّهم وسمِّهم ، فقلت : نعم . فلما كان من الغد نزَلَت ومعها دفترٌ صغير قد نسخناهُ فقالت : يقول لك إذا صلَّيت على نبيِّك فصلِّ عليه وعلى أوصيائه على هذه النسخة ، فأخذتُهَا وكنتُ أعمل بها .

ورأيتُهُ عدَّةَ ليالٍ قد نزل مِن الغرفة وضوء السراج قائم وخرج ، فكنتُ أفتحُ الباب وأخرج على أثر الضوء وأنا أراهُ - أعني الضوء - ولا أرى أحداً حتى يدخل المسجد ، وأرى جماعةً مِن الرجال مِن بلدان كثيرة يأتون بابَ هذه الدار ، قومٌ عليهم ثياب رثة يدفعون إلى العجوز رقاعاً معهم ، ورأيتُ العجوز تدفع إليهم كذلك الرقاع وتكلِّمُهُم ويكلِّمُونَهَا ولا أفهم عنهم ، ورأيتُ منهم جماعةً في طريقنا حتى قدمنا بغداد . وقد جاء في نسخة الدعاء :

[أللهم صلِّ على محمَّد سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وحجَّة ربِّ العالمين ، المنتجب في الميثاق ، المصطفى في الظلال ، المطهّر من كل آفة ، البريئ من كلِّ عيب ، المؤمّل للنجاة ، المرتَجَى للشفاعة ، المفوّض إليه في

ديـن الله . وصـلِّ علـى أميـر المـؤمنين ، ووارث المرسـلين ، وحجـة ربِّ العالمين ، وقائد الغرِّ المحجلين ، وسيِّد المؤمنين . وصلِّ علـى الحسـن بـن علي ، إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة رب العالمين . وصلِّ علـى الحسين بن علي ، إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجَّة ربِّ العالمين . وصلِّ على علي بن الحسين ، إمـام المـؤمنين ، ووارث المرسـلين ، وحجـة رب العـالمين . وصـلِّ علـى محمـد بـن علـي ، إمـام المـؤمنين ، ووارث المرسـلين ، وحجـة رب العـالمين . وصـلِّ علـى جعفـر بـن محمـد ، إمـام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجّة رب العالمين . وصلِّ على موسى بـن جعفر ، إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجة رب العالمين . وصلِّ على علي بن موسى ، إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجة رب العـالمين . وصلِّ على محمد بن علي ، إمام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجـة رب العالمين . وصلِّ على علي بن محمد ، إمـام المـؤمنين ، ووارث المرسـلين ، وحجة ربِّ العالمين . وصلِّ على الحسن بن علي ، إمام المـؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجة رب العالمين . وصلِّ على الخلف الهادي المهـدي ، إمـام المؤمنين ، ووارث المرسلين ، وحجة رب العـالمين . . . وصـل علـى وليِّـكَ المُحيِـي سـنَّتَك ، القـائم بـأمرك ، الـداعي إليـك ، الـدليل عليـك ، حجتـك وخليفتك في أرضك ، وشاهدك على عبادك . أللهم أعزز نصره ، ومدَّ فـي عمره ، وزيِّن الارض بطول بقائه . أللهم اكفِهِ بغيَ الحاسـدين ، وأعـذهُ مِـن شرِّ الكائدين ، وادحر عنه إرادة الظالمين ، وخلِّصـه مـن أيـدى الجبـارين . أللهم أرِهِ في ذريته وشيعته ورعيَّتِهِ وخاصّته وعامته وعدوِّهِ وجميـع أهـل الدنيا ما تقرُّ به عينه وتسرّ به نفسه وبلّغهُ أفضل أمله في الـدنيا والآخـرة ، إنك على كل شيئ قدير . أللهم جدِّد به ما امتحى مِن دينك (وأحْي) به مـا بُدِّلَ من كتابك ، وأظهِر به ما غُيِّرَ مِن حكمك حتى يعـود دينُـكَ بـه وعلـى

يديه غضاً جديداً خالصاً محضاً لا شكَّ فيه ولا شُبهة معه ولا باطل عنده ولا بدعة لديه . أللهم نوِّر بنوره كلَّ ظلمة ، وهدّ بركنِه كلَّ بدعة ، واهدم بقوَّتِه كلَّ ضلال ، واقصم به كلَّ جبار ، واخمد بسيفه كلَّ نار ، وأهلك بعدلِه كلَّ جائرٍ ، وأجرِ حكمه على كلِّ حكم ، وأذلَّ بسلطانه كلَّ سلطان . أللهم أذل مَن ناواهُ وأهلِك مَن عاداه ، وامكر بمَن كادهُ واستأصل من جحد حقَّه واستهزأ بأمره وسعى في إطفاء نوره وأراد إخماد ذكره ..][1]

أقول ، ما ورد في هذا الدعاء جديرٌ بالإلتفاتِ والإنتباه ، وما ورد في ذيلِه يشيرُ إلى صفاتٍ يُحقِّقُها اللهُ تعالى ، من نصرة الحق وكسر الجور وإبطال الباطل ، وإعزاز الدِّين ، وتعظيم الإسلام ، وردّ الظالمين وإفشال أمرهم .

ويمكن أن نقرأ الفرجَ في الدعاء الوارد عنه (عليه السلام) والمعروف بدعاء « العلوي المصري » ، والذي من قصتِّه كما ورد في دلائل الإمامة[2] بسندٍ مذكور - إلى أن قال - : حدثني محمد بن علي العلوي الحسيني - وكان يسكن بمصر - قال :

دهمني أمرٌ عظيم ، وهَمٌّ شديد ، مِن قِبَل صاحب مصر فخشيتُهُ على نفسي . وكان قد سعى بي إلى « أحمد بن طولون » فخرجت من مصر حاجّاً ، وصرتُ مِن الحجاز إلى العراق ، فقصدتُ مشهدَ مولاي أبي عبد

---

[1] كتاب الشفاء والجلاء - على ما في سند جمال الاسبوع . * : دلائل الامامة : صـ ٣٠٠

[2] قال : وجدت في مجلد عتيق ذكر كاتبه أن اسمه الحسين بن علي بن هند وأنه كتب في شوال سنة ست وتسعين وثلثمأة دعاء العلوي المصري مما هذا لفظه وإسناده : دعاء علّمَهُ سيدنا المؤمّل صلوات الله عليه رجلاً من شيعته وأهله في المنام وكان مظلوماً ففرَّجَ اللهُ عنه وقتَلَ عدوَّهُ . قال : [حدثني أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحق بن جعفر بن محمد العلوي العريضي بحران]

الله ، الحسين بن علي ، صلوات الله عليه ، عائذاً به ، ولائذاً بقبره ، ومستجيراً بِهِ ، مِن سطوةِ مَن كنتُ أخافهُ . فأقمتُ بالحائر خمسة عشر يوماً أدعو واتضرَّعُ ليلي ونهاري ، فترائى لي قائم الزمان وولي الرحمن عليه السلام وأنا بين النائم واليقظان ، فقال لي : يقول لك الحسين : يا بُنيَّ خفتَ فلاناً ؟ فقلت : نعم ، أراد هلاكي ، فلجأتُ إلى سيِّدِي عليه السلام أشكو إليه عظيم ما أراد بي . فقال : هلَّا دعوتَ اللهَ ربَّكَ وربَّ آبائك بالأدعية التي دعا بها ما سلفَ مِن الانبياء عليهم السلام . فقد كانوا في شدَّةٍ فكشفَ اللهُ عنهم ذلك . قلت : وماذا أدعوهُ ؟ فقال : إذا كان ليلة الجمعة فاغتسل وصلِّ صلاة الليل ، فإذا سجدتَ سجدةَ الشُّكرِ دعوتَ بهذا الدعاء ، وأنت باركٌ على ركبتيك . فذكر لي دعاء . قال : ورأيته في مثل ذلك الوقت يأتيني وأنا بين النائم واليقظان .. فاغتسلتُ وغيَّرتُ ثيابي وتطيَّبتُ وصلَّيتُ صلاة الليل وسجدتُ سجدة الشكر ، وجثوتُ على ركبتي ، ودعوتُ اللهَ جلَّ وتعالى بهذا الدعاء ، فأتاني ليلة السبت عليه السلام فقال لي : قد أُجيبَت دعوتك يا محمد ، وقُتِلَ عدوُّك عند فراغك مِن الدعاء عند مَن وشى بِكَ إليه .

قال : فلما أصبحت ودَّعتُ سيدي وخرجتُ متوجِّهاً إلى مصر ، فلما بلغتُ الاردن وأنا متوجِّهٌ إلى مصر رأيتُ رجلاً مِن جيراني بمصر وكان مؤمناً ، فحدثني أنَّ خصمَك قَبَضَ عليه أحمد بن طولون فأمر به فأصبحَ مذبوحاً مِن قفاه . قال : وذلك في ليلة الجمعة . وأمر به فطُرِحَ في النيل[1] .

---

[1] والدعاء معروف بدعاء العلوي المصري لكلِّ شديدة وعظيمة ، أخبر أبو الحسن علي بن حماد المصري : قال أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد العلوي قال حدثني محمد بن علي العلوي الحسيني المصري قال أصابني غم شديد ودهمني أمر عظيم من قبل رجل من أهل بلدي من ملوكه فخشيته خشية لم أر لنفسي منها مخلصاً فقصدت مشهد ساداتي وآبائي صلوات الله عليهم بالحاير لائذاً بهم وعائذا بقبورهم ومستجيرا من عظيم سطوة من كنت أخافه وأقمت بها خمسة عشر يوما أدعو واتضرع ليلا ونهارا فترائي

لي قائم الزمان وولي الرحمن عليه وعلى آبائه أفضل التحية والسلام فأتاني وأنا بين النائم واليقظان فقال يا بني خفت فلانا فقلت نعم أرادني بكيت وكيت فالتجأت إلى ساداتي عليهم السلام أشكو إليهم ليخلصوني منه فقال لي هلّا دعوت الله ربك ورب آبائك بالادعية التي دعا بها أجدادي الانبياء صلوات الله عليهم حيث كانوا في الشدة فكشف الله عزوجل عنهم ذلك قلت وبماذا دعوه به لادعوه به قال عليه السلام إذا كان ليلة الجمعة فقم فاغتسل وصل صلاتك فإذا فرغت من سجدة الشكر فقل وأنت بارك على ركبتيك وادع بهذا الدعاء مبتهلا قال وكان يأتيني خمس ليال متواليات يكرر علي القول وهذا الدعاء حتى حفظته وانقطع مجيئه ليلة الجمعة فقمت واغتسلت وغيرت ثيابي وتطيبت وصليت ما وجب علي من صلاة الليل وجثوت على ركبتي فدعوت الله بهذا الدعاء فأتاني عليه السلام ليلة السبت كهيئة التي يأتيني فقال لي قد أجيبت دعوتك يا محمد وقتل عدوك وأهلكه الله عزوجل عند فراغك من الدعاء قال فلما أصبحت لم يكن لي همة غير وداع ساداتي صلوات الله عليهم والرحلة نحو المنزل الذي هربت منه فلما بلغت بعض الطريق إذا رسول أولادي وكتبهم بان الرجل الذي هربت منه جمع قوما واتخذ لهم دعوة فأكلوا وشربوا وتفرق القوم فنام هو وغلمانه في المكان فأصبح الناس ولم يسمع لهم حس فكشف عنه الغطاء فإذا به مذبوحا من قفاه ودمائه تسيل وذلك في ليلة الجمعة ولا يدرون من فعل به ذلك ويأمرونني بالمبادرة نحو المنزل فلما وافيت إلى المنزل وسألت عنه وفي أي وقت كان قتله فإذا هو عند فراغي من الدعاء وهذا الدعاء : " ربٌّ مَن ذا الذي دعاك فلم تُجبه ، ومَن ذا الذي سألك فلم تعطه ، ومن ذا الذي ناجاك فخيبته ، أو تقرب إليك فأبعدته . رب هذا فرعون ذو الاوتاد مع عناده وكفره وعتوه ، وادعائه الربوبية لنفسه ، وعلمك بأنه لا يتوب ، ولا يرجع ولا يؤوب ، ولا يؤمن ولا يخشع ، استجبت له دعاءه وأعطيته سؤله ، كرما منك وجوداً ، وقلة مقدار لما سألك عندك ، مع عظمه عنده ، أخذاً بحجتك عليه وتأكيداً لها حين فجر وكفر ، واستطال على قومه وتجبَّر ، وبكفره عليهم افتخر ، وبظلمه لنفسه تكبَّر ، وبحلمك عنه استكبر ، فكتب وحكم على نفسه جرأة منه : أن جزاء مثله أن يغرق في البحر ، فجزيته بما حكم به على نفسه . إلهي وأنا عبدك ابن عبدك وابن أمتك معترف لك بالعبودية ، مقرّ بأنك أنت الله خالقي ، لا إله لي غيرك ولا ربّ لي سواك ، موقن بأنك أنت الله ربي وإليك مردي ، وإيابي ، عالم بأنك على كل شئ قدير تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ، لا معقب لحكمك ولا راد لقضائك ، وأنك الاول والآخر والظاهر والباطن ، لم تكن من شئ ولم تبن عن شئ ، كنت قبل كل شئ وأنت الكائن بعد كل شئ ، والمكوّن لكل شئ ، خلقت كل شئ بتقدير وأنت السميع البصير . وأشهد أنك كذلك كنت وتكون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، ولا توصف بالاوهام ، ولا تدرك بالحواس ، ولا تقاس بالمقياس ، ولا تشبه بالناس ، وأن الخلق كلهم عبيدك وإماؤك ، أنت الرب ونحن المربوبون ، وأنت الخالق ونحن المخلوقون ، وأنت الرازق ونحن المرزوقون ، فلك الحمد يا إلهي إذ خلقتني بشراً سوياً وجعلتني غنياً مكفيا ، بعد ما كنت طفلا صبيا ، تقوتني من الثدي لبنا مريا ، وغذيتني غذاءاً طيبا هنيّاً ، وجعلتني ذكرا مثالا سويا ، فلك الحمد حمدا إن عد لم يحص ، وإن وضع لم يتسع له شئ ، حمدا يفوق على جميع حمد الحامدين ، ويعلو على حمد كل شئ ، ويفخم ويعظم على ذلك كله ، وكلما حمد الله شئ ، والحمد لله كما يحب الله أن يحمد ، والحمد لله عدد ما

خلق ، وزنة ما خلق ، وزنة أجل ما خلق ، وبوزن أخف ما خلق ، وبعدد أصغر ما خلق والحمد لله حتى يرضى ربنا وبعد الرضا ، وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد ، وأن يغفر لي ذنبي ، وأن يحمد لي أمري ، ويتوب علي إنه هو التواب الرحيم . إلهي وإني أنا أدعوك وأسألك باسمك الذي دعاك به صفوتك أبونا آدم ﷺ ، حين أصاب الخطيئة ، ففغرت له خطيئته ، وتبت عليه ، واستجبت له دعوته ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تغفر لي خطيئتي ، وترضى عني ، فإن لم ترض عني فاعف عني ، فإني مسيئ ظالم خاطئ عاص ، وقد يعفو السيد عن عبده وليس براض عنه ، وأن تُرضِي عني خلقك ، وتميط عني حقك . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به إدريس عليه السلام ، فجعلته صديقا نبيا ، ورفعته مكانا عليا ، واستجبت دعائه ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تجعل مآبي إلى جنتك ومحلي في رحمتك ، وتسكنني فيها بعفوك ، وتزوجني من حورها بقدرتك يا قدير . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به نوح إذ نادى ربه أني مغلوب فانتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الارض عيونا ، فالتقى الماء على أمر قد قدر ، ونجيته على ذات الالواح ودسر ، فاستجبت دعاءه وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تنجيني من ظلم من يريد ظلمي ، وتكف عني بأس من يريد هضمي ، وتكفيني شر كل سلطان جائر ، وعدو قاهر ، ومستخف قادر ، وجبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، وإنسي شديد ، وكيد كل مكيد ، يا حليم يا ودود . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك صالح عليه السلام ، فنجيته من الخسف ، وأعليته على عدوه ، واستجبت دعاءه ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تخلصني من شر ما يريدني أعدائي به . وسعى بي حسادي ، وتكفينيهم بكفايتك ، وتتولاني بولايتك ، وتهدي قلبي بهداك ، وتؤيدني بتقواك ، وتبصرني (وتنصرني) بما فيه رضاك ، وتغنيني بغناك يا حليم . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك وخليلك إبراهيم عليه السلام ، حين أراد نمرود إلقاءه في النار ، فجعلت له النار برداً وسلاما ، واستجبت له دعاءه ، وكنت منه قريباً يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تبرد عني حر نارك ، وتطفئ عني لهبها ، وتكفيني حرها ، وتجعل ثائرة أعدائي في شعارهم ودثارهم ، وترد كيدهم في نحورهم ، وتبارك لي فيما أعطيتنيه ، كما باركت عليه وعلى آله ، إنك أنت الوهاب الحميد المجيد . إلهي وأسألك بالاسم الذي دعاك به إسماعيل ﷺ فجعلته نبياً ورسولاً ، وجعلت له حرمك منسكاً ومسكناً ومأوى ، واستجبت له دعاءه ونجيته من الذبح ، وقربته رحمة منك وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تفسح لي في قبري ، وتحط عني وزري ، وتشد لي أزري ، وتغفر لي ذنبي ، وترزقني التوبة ، بحط السيئات ، وتضاعف الحسنات ، وكشف البليات ، وربح التجارات ، ودفع معرة السعايات ، إنك مجيب الدعوات . ومنزل البركات ، وقاضي الحاجات ، ومعطي الخيرات . وجبار السماوات . إلهي وأسألك بما سألك به ابن خليلك إسماعيل عليه السلام ، الذي نجّيته من الذبح ، وفديته بذبح عظيم ، وقلبت له المشقص ، حتى ناجاك موقناً بذبحه ، راضيا بأمر والده . فاستجبت له دعاءه ، وكنت منه قريباً يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تنجيني من كل سوء وبلية ، وتصرف عني كلّ ظلمة وخيمة . وتكفيني ما أهمني من أمور دنياي

وآخرتي ، وما أحاذره وأخشاه ومن شر خلقك أجمعين ، بحق آل ياسين . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به لوط عليه السلام فنجيته وأهله من الخسف والهدم والمثلات والشدة والجهد وأخرجته وأهله من الكرب العظيم واستجبت له دعاءه ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تأذن لي بجمع ما شتت من شملي ، وتقر عيني بولدي ، وأهلي ومالي ، وتصلح لي أموري ، وتبارك لي في جميع أحوالي ، وتبلغني في نفسي آمالي ، وأن تجيرني من النار ، وتكفيني شر الاشرار ، بالمصطفين الاخيار ، الائمة الابرار ونور الانوار ، محمد وآله الطيبين الطاهرين الاخيار ، الائمة المهديين ، والصفوة المنتجبين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وترزقني مجالستهم ، وتمن علي بمرافقتهم ، وتوفق لي صحبتهم ، مع أنبيائك المرسلين ، وملائكتك المقربين ، وعبادك الصالحين ، وأهل طاعتك أجمعين ، وحملة عرشك والكروبيين . إلهي وأسألك باسمك الذي سألك به يعقوب ، وقد كف بصره وشتت شمله (جمعه) وفقد قرة عينه ابنه ، فاستجبت له دعاءه ، وجمعت شمله ، وأقررت عينه وكشفت ضره ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تأذن لي بجمع ما تبدد من أمري . وتقر عيني بولدي وأهلي ومالي ، وتصلح شأني كله ، وتبارك لي في جميع أحوالي ، وتبلغني في نفسي وآمالي ، وتصلح لي أفعالي وتمن علي يا كريم ، يا ذا المعالي ، وبرحمتك يا أرحم الراحمين . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك يوسف عليه السلام فاستجبت له ، ونجيته من غيابت الجب ، وكشفت ضره ، وكفيته كيد إخوته ، وجعلته بعد العبودية ملكاً . واستجبت دعاءه ، وكنت منه قريباً يا قريب . أن تصلي على محمد وآل محمد . وأن تدفع عني كيد كل كائد وشر كل حاسد ، إنك على كل شئ قدير . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك موسى بن عمران . إذ قلت تباركت وتعاليت : وناديناه من جانب الطور الايمن . وقربناه نجيا . وضربت له طريقا في البحر يبسا . ونجيته ومن معه من بني إسرائيل ، وأغرقت فرعون وهامان وجنودهما ، واستجبت له دعاءه وكنت منه قريبا يا قريب ، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تعيذني من شر خلقك ، وتقربني من عفوك ، وتنشر علي من فضلك ، ما تغنيني به عن جميع خلقك ، ويكون لي بلاغا أنال به مغفرتك ، ورضوانك ، يا وليي وولي المؤمنين . إلهي وأسألك بالاسم الذي دعاك به عبدك ونبيك داود فاستجبت له دعاءه وسخرت له الجبال ، يسبحن معه بالعشي والابكار ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددت ملكه وآتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وألَنتَ له الحديد ، وعلَّمته صنعة لبوس لهم ، وغفرت ذنبه وكنت منه قريباً يا قريب ، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تسخر لي جميع أموري ، وتسهل لي تقديري ، وترزقني مغفرتك وعبادتك ، وتدفع عني ظلم الظالمين ، وكيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وسطوات الفراعنة الجبارين الحاسدين ، يا أمان الخائفين ، وجار المستجيرين ، وثقة الواثقين ، وذريعة المؤمنين ، ورجاء المتوكلين ، ومعتمد الصالحين ، يا أرحم الراحمين . إلهي وأسألك اللهم بالاسم الذي سألك به عبدك ونبيك سليمان بن داود عليهما السلام ، إذ قال : رب اغفر لى وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، إنك أنت الوهاب ، فاستجبت له دعاءه . وأطعت له الخلق ، وحملته على الريح ، وعلمته منطق الطير ، وسخرت له الشياطين ، من كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الاصفاد ، هذا عطاؤك لا عطاء غيرك ، وكنت

منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تهدي لي قلبي وتجمع لي لبي ، وتكفيني همي ، وتؤمن خوفي ، وتفك أسري ، وتشد أزري ، وتمهلني ، وتنفسني ، وتستجيب دعائي ، وتسمع ندائي ، ولا تجعل في النار مأواي ، ولا الدنيا أكبر همي ، وأن توسع على رزقي ، وتحسن خلقي ، وتعتق رقبتي من النار ، فإنك سيدي ومولاي ، ومؤملي . إلهي وأسألك اللهم باسمك الذي دعاك به أيوب لما حل به البلاء بعد الصحة ، ونزل السقم منه منزل العافية ، والضيق بعد السعة والقدرة ، فكشفت ضره ، ورددت عليه أهله ، ومثلهم معهم ، حين ناداك داعيا لك ، راغبا إليك ، راجيا لفضلك ، شاكيا إليك : ربِّ اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبت له دعاءه ، وكشفت ضره ، وكنت منه قريباً يا قريب . أن تصلي علي محمد وآل محمد ، وأن تكشف ضري ، وتعافيني في نفسي وأهلي ومالي وولدي ، وإخواني فيك ، عافية باقية شافية كافية وافرة هادية نامية مستغنية عن الاطباء والادوية ، وتجعلها شعاري ودثاري ، وتمتعني بسمعي وبصري ، وتجعلهما الوارثين مني . إنك على كل شئ قدير . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به يونس بن متى في بطن الحوت . حين ناداك في ظلمات ثلاث : أن لا إله إلا أنت ، سبحانك إني كنت من الظالمين ، وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبت له دعاءه ، وأنبت عليه شجرة من يقطين ، وأرسلته إلى مائة ألف أو يزيدون ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد . وأن تستجيب دعائي وتداركني بعفوك ، فقد غرقت في بحر الظلم لنفسي ، وركبتني مظالم كثيرة لخلقك علي ، صل على محمد وآل محمد ، واسترني منهم ، وأعتقني من النار . واجعلني من عتقائك وطلقائك من النار ، في مقامي هذا ، بمنك يا منان . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك عيسى بن مريم عليهما السلام ، إذ أيدته بروح القدس ، وأنطقته في المهد ، فأحيا به الموتى وأبرأ به الاكمه والابرص بإذنك ، وخلق من الطين كهيئة الطير ، فصار طائرا بإذنك ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تفرغني لما خلقت له ، ولا تشغلني بما قد تكلفته لي ، وتجعلني من عبادك وزهادك في الدنيا ، وممن خلقته للعافية ، وهنأته بها ، مع كرامتك يا كريم ، يا علي يا عظيم . إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به آصف بن برخيا ، على عرش ملكة سبأ ، فكان أقل من لحظة الطرف حتى كان مصورا بين يديه ، فلما رأته قيل : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو ، فاستجبت دعاءه وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وتكفر عني سيئاتي ، وتقبل مني حسناتي ، وتقبل توبتي ، وتتوب علي ، وتغني فقري ، وتجبر كسري ، وتحيي فؤادي بذكرك ، وتحييني في عافية ، وتميتني في عافية . إلهي وأسألك بالاسم الذى دعاك به عبدك ونبيك زكريا عليه السلام ، حين سألك داعيا لك ، راغبا إليك ، راجيا لفضلك ، فقام في المحراب ينادي نداءا خفيا ، فقال : رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا ، فوهبت له يحيى ، واستجبت له دعاءه وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تبقي لي أولادي ، وأن تمتعني بهم ، وتجعلني وإياهم مؤمنين لك ، راغبين في ثوابك ، خائفين من عقابك ، راجين لما عندك ، آيسين مما عند غيرك ، حتى تحيينا حياة طيبة ، وتميتنا ميتة طيبة ، إنك فعال لما تريد . إلهي وأسألك بالاسم الذي سألتك به امرأة فرعون ، إذ قالت : ربِّ ابنِ لي بيتاً عندك في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين ، فاستجبت لها

دعاءها وكنت منها قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تقر عيني بالنظر إلى جنتك ، ووجهك الكريم ، وأوليائك ، وتفرحني بمحمد وآله ، وتؤنسني به وبآله ، وبمصاحبتهم ، ومرافقتهم ، وتمكن لي فيها ، وتنجيني من النار ، وما أعد لاهلها ، من السلاسل والاغلال ، والشدائد والانكال ، وأنواع العذاب ، بعفوك يا كريم . إلهي وأسألك باسمك الذي دعتك به عبدتك وصديقتك ، مريم البتول ، وأم المسيح الرسول عليهما السلام ، إذ قلت : ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين ، فاستجبت لها دعاءها ، وكنت منها قريبا يا قريب . أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تحصنني ، بحصنك الحصين ، وتحجبني بحجابك المنيع ، وتحرزني بحرزك الوثيق ، وتكفيني بكفايتك الكافية ، من شر كل طاغ ، وظلم كل باغ ، ومكر كل ماكر ، وغدر كل غادر ، وسحر كل ساحر ، وجور كل سلطان جائر ، بمنعك يا منيع . إلهي وأسألك بالاسم الذي دعاك به عبدك ونبيك وصفيّك وخيرتك من خلقك ، وأمينك على وحيك ، وبعيثك إلى بريتك ، ورسولك إلى خلقك ، محمد خاصتك وخالصتك ، صلى الله عليه وآله ، فاستجبت دعاءه ، وأيدته بجنود لم يروها ، وجعلت كلمتك العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وكنت منه قريبا يا قريب ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، صلاة زاكية ، طيبة نامية باقية مباركة ، كما صليت على أبيهم إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك عليهم كما باركت عليهم ، وسلم عليهم كما سلمت عليهم ، وزدهم فوق ذلك كله زيادة من عندك ، واخلطني بهم ، واجعلني منهم ، واحشرني معهم ، وفي زمرتهم ، حتى تسقيني من حوضهم ، وتدخلني في جملتهم ، وتجمعني وإياهم ، وتقر عيني بهم ، وتعطيني سؤلي ، وتبلغني آمالي في ديني ودنياي وآخرتي ، ومحياي ومماتي ، وتبلغهم سلامي ، وترد علي منهم السلام ، وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته . إلهي أنت الذي تنادي في أنصاف كل ليلة : هل من سائل فأعطيه ؟ أم هل من داع فأجيبه ؟ أم هل من مستغفر فأغفر له ؟ أم هل من راج فأبلغه رجاه ؟ أم هل من مؤمل فأبلغه أمله ؟ ها أنا سائلك بفنائك ومسكينك ببابك ، وضعيفك ببابك ، وفقيرك ببابك ، ومؤملك بفنائك ، أسألك نائلك ، وأرجو رحمتك ، وأؤمل عفوك ، وألتمس غفرانك . فصل على محمد وآل محمد ، وأعطني سؤلي ، وبلغني أملي ، واجبر فقري ، وارحم عصياني ، واعف عن ذنوبي ، وفك رقبتي من المظالم لعبادك (التي) ركبتني ، وقو ضعفي وأعز مسكنتي ، وثبت وطأتي ، واغفر جرمي ، وأنعم بالي ، وأكثر من الحلال مالي ، وخر لي في جميع أموري وأفعالي ، ورضني بها ، وارحمني ووالدي وما ولدا ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات ، إنك سميع الدعوات ، وألهمني من برهما ما أستحق به ثوابك والجنة ، وتقبل حسناتهما ، واغفر سيئاتهما ، واجزهما بأحسن ما فعلا بي ثوابك والجنة . إلهي وقد علمت يقينا أنك لا تأمر بالظلم ولا ترضاه ، ولا تميل إليه ولا تهواه ، ولا تحبه ولا تغشاه . وتعلم ما فيه هؤلاء القوم من ظلم عبادك ، وبغيهم علينا ، وتعديهم بغير حق ولا معروف ، بل ظلما وعدوانا ، وزورا وبهتانا ، فإن كنت جعلت لهم مدة لا بد من بلوغها . أو كتبت لهم آجالا ينالونها ، فقد قلت - وقولك الحق ووعدك الصدق - : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ ، فأنا أسألك بكل ما سألك به أنبيائك المرسلون ورسلك ، وأسألك بما سألك به عبادك الصالحون ، وملائكتك المقربون ، أن تمحو من أم

الكتاب ذلك ، وتكتب لهم الاضمحلال والمحق . حتى تقرب آجالهم . وتقضي مدتهم . وتذهب أيامهم ، وتبتر أعمارهم . وتهلك فجارهم ، وتسلط بعضهم على بعض ، حتى لا تبقي منهم أحدا ، ولا تنجي منهم أحدا ، وتفرق جموعهم ، وتكل سلاحهم . وتبدد شملهم ، وتقطع آجالهم ، وتقصر أعمارهم . وتزلزل أقدامهم ، وتطهر بلادك منهم ، وتظهر عبادك عليهم ، فقد غيروا سنتك ، ونقضوا عهدك ، وهتكوا حريمك ، وأتوا على ما نهيتهم عنه ، وعتو عتوا كبيرا كبيرا ، وضلوا ضلالا بعيدا ، فصل على محمد وآل محمد ، وأذن لجمعهم بالشتات ، ولحيهم بالممات ، ولازواجهم بالنهبات ، وخلص عبادك من ظلمهم ، واقبض أيديهم عن هضمهم ، وطهر أرضك منهم ، وأذن بحصد نباتهم ، واستيصال شأفتهم ، وشتات شملهم ، وهدم بنيانهم ، يا ذا الجلال والاكرام ، وأسألك يا إلهي وإله كل شئ ، وربي ورب كل شئ ، وأدعوك بما دعاك به عبداك ورسولاك ونبياك وصفياك موسى وهارون عليهما السلام ، حين قالا - داعيين لك راجيين لفضلك : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فمننت وأنعمت عليهما بالاجابة لهما . إلى أن قرعت سمعهما بأمرك ، فقلت - أللهم رب - : ﴿ قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما ، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ أن تصلّي على محمد وآل محمد ، وأن تطمس على أموال هؤلاء الظلمة ، وأن تشدد على قلوبهم ، وأن تخسف بهم برك ، وأن تغرقهم في بحرك ، فإن السماوات والارض وما فيهما لك ، وأر الخلق قدرتك فيهم ، وبطشتك عليهم ، فافعل ذلك بهم ، وعجل لهم ذلك ، يا خير من سئل ، وخير من دعي ، وخير من تذلل له الوجوه ، ورفعت إليه الايدي ، ودعي بالالسن ، وشخصت إليه الابصار ، وأمت إليه القلوب ، ونقلت إليه الاقدام ، وتحوكم إليه في الاعمال ، إلهي : وأنا عبدك ، أسألك من أسمائك بأبهاها ، وكل أسمائك بهي . بل أسألك بأسمائك كلها ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تركسهم على أم رؤوسهم ، في زينتهم ، وترديهم في مهوى حفرتهم ، وارمهم بحجرهم ، وذكهم بمشاقصهم ، واكبهم على مناخرهم ، واخنقهم بوترهم ، واردد كيدهم في نحورهم ، وأوبقهم بندامتهم ، حتى يستخذلوا ويتضاءلوا ، بعد نخوتهم ، وينقمعوا بعد استطالتهم ، أذلاء مأسورين في ربق حبائلهم التي كانوا يؤملون أن يرونا فيها ، وترينا قدرتك فيهم ، وسلطانك عليهم ، وتأخذهم أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذك الاليم الشديد ، وتأخذهم - يا رب - أخذ عزيز مقتدر ، فإنك عزيز مقتدر ، شديد العقاب ، شديد المحال . أللهم صل على محمد وآل محمد . وعجل إيرادهم عذابك ، الذي أعددته للظالمين من أمثالهم ، والطاغين من نظرائهم ، وارفع حلمك عنهم ، وأحلل عليهم غضبك ، الذي لا يقوم له شئ وأمر في تعجيل ذلك عليهم ، بأمرك الذي لا يرد ولا يؤخر ، فإنك شاهد كل نجوى ، وعالم كل فحوى ، ولا تخفى عليك من أعمالهم خافية ، ولا تذهب عنك من أعمالهم خائنة ، وأنت علام الغيوب ، عالم بما في الضمائر والقلوب ، وأسألك اللهم وأناديك بما ناداك به - سيدي - وسألك به نوح ، إذ قلت - تباركت وتعاليت - : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أجل - أللهم يا رب - أنت نعم المجيب ، ونعم المدعو ، ونعم المسؤول ، ونعم المعطي ، أنت الذي لا تخيب سائلك ، ولا ترد راجيك ، ولا تطرد الملح عن بابك ، ولا ترد دعاء سائلك ، ولا تمل دعاء من أملك ، ولا تتبرم بكثرة حوائجهم إليك ، ولا بقضائها لهم ،

فإن قضاء حوائج جميع خلقك إليك في أسرع لحظ من لمح الطرف ، وأخف عليك وأهون عندك من جناح بعوضة ، وحاجتي - يا سيدي ومولاي ، ومعتمدي ورجائي - أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تغفر لي ذنبي ، فقد جئتك ثقيل الظهر ، بعظيم ما بارزتك به من سيئاتي ، وركبني من مظالم عبادك ، ما لا يكفيني ولا يخلصني منها غيرك ، ولا يقدر عليه ولا يملكه سواك ، فامح - يا سيدي - كثرة سيئاتي بيسير عبراتي ، بل بقساوة قلبي ، وجمود عيني ، بل برحمتك التي وسعت كل شئ ، وأنا شئ ، فلتسعني رحمتك ، يا رحمان يا رحيم ، يا أرحم الراحمين ، لا تمتحني في هذه الدنيا بشئ من المحن ، ولا تسلط علي من لا يرحمني ، ولا تهلكني بذنوبي ، وعجل خلاصي من كل مكروه ، وادفع عني كل ظلم ، ولا تهتك ستري ، ولا تفضحني يوم جمعك الخلائق للحساب ، يا جزيل العطاء والثواب ، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تحييني حياة السعداء ، وتميتني ميتة الشهداء ، وتقبلني قبول الاوداء ، وتحفظني في هذه الدنيا الدنية ، من شر سلاطينها ، وفجارها ، وشرارها ، ومحبيها ، والعاملين لها وما فيها ، وقني شر طغاتها ، وحسادها ، وباغي الشرك فيها ، حتى تكفيني مكر المكرة ، وتفقأ عني أعين الكفرة ، وتفحم عني ألسن الفجرة ، وتقبض لي على أيدي الظلمة ، وتوهن عني كيدهم ، وتميتهم بغيظهم ، وتشغلهم بأسماعهم ، وأبصارهم ، وأفئدتهم ، وتجعلني من ذلك كله في أمنك ، وأمانك ، وحرزك ، وسلطانك ، وحجابك ، وكنفك ، وعياذك ، وجارك ، ومن جار السوء ، وجليس السوء ، إنك على كل شئ قدير . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين . أللهم بك أعوذ . وبك ألوذ . ولك أعبد ، وإياك أرجو ، وبك أستعين ، وبك أستكفي . وبك أستغيث ، وبك أستنقذ ، ومنك أسأل ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، ولا تردني إلا بذنب مغفور ، وسعي مشكور ، وتجارة لن تبور ، وأن تفعل بي ما أنت أهله ، ولا تفعل بي ما أنا أهله ، فإنك أهل التقوى ، وأهل المغفرة ، وأهل الفضل والرحمة . إلهي وقد أطلت دعائي ، وأكثرت خطابي . وضيق صدري حداني على ذلك كله ، وحملني عليه علما مني بأنه يجزيك منه قدر الملح في العجين ، بل يكفيك عزم إرادة ، وأن يقول العبد بنية صادقة ولسان صادق : يا رب ، فتكون عند ظن عبدك بك ، وقد ناجاك بعزم الارادة قلبي ، فأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تقرن دعائي بالاجابة منك ، وتبلغني ما أملته فيك ، منة منك وطولا ، وقوة وحولا ، لا تقيمني من مقامي هذا إلا بقضاء جميع ما سألتك ، فإنه عليك يسير ، وخطره عندي جليل كثير ، وأنت عليه قدير ، يا سميع يا بصير ، إلهي : وهذا مقام العائذ بك من النار ، والهارب منك إليك ، من ذنوب تهجمته ، وعيوب فضحته ، فصل على محمد وآل محمد ، وانظر إلي نظرة رحيمة أفوز بها إلى جنتك ، واعطف علي عطفة ، أنجو بها من عقابك ، فإن الجنة والنار لك ، وبيدك ، ومفاتيحهما ومغاليقهما إليك ، وأنت على ذلك قادر ، وهو عليك هين يسير ، فافعل بي ما سألتك يا قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين] [الكتاب العتيق للغروي : على ما في البحار . * : مهج الدعوات : صـ ٢٧٨ -] .

ففي هذا وغيره متونٌ مدهشة تُؤكِّد طابع المروي عن أهلِ البيتِ عليهم السلام في كثيرٍ من النصوصِ الواردةِ عنهم . وتشيرُ إلى واحدٍ رئيسيٍ من البابِ الذي فتحهُ اللهُ لعبادِهِ كي يدعوا ، وليكونوا على مقربةٍ من الفرج ودفع البلاء والنعمة والثواب والبركات ..

كما هناك جملةٌ وردت أيضاً لزيارة مولانا وأئمّتنا عليهم السلام ، بالإضافة إلى الفيض العظيم ممَّا ورد عن لسانِهم عليهم السلام وأخذهُ أصحابهم منهم يداً بيدٍ . وقيمة الزيارات الواردة عنه عليه السلام في زيارة صاحب الأمر تكمن في عناوينها وصفاتِها وإخباراتِها والعناوين التي أُعطيت لمولانا المهدي عليه السلام ، وهي بطبيعة الحال ضرورة في بحثِنا هذا ، ووصف رئيسي في محطّة الإشارة إلى دور وقيمة ووظيفة سيدنا ومولانا المهدي عليه السلام صاحب الأمر والزمان[1] .

---

[1] منها ما ورد في « مصباح الزائر » : صـ ٣٢٧ - « الزيارة الرابعة » يُزَارُ بها صلوات الله عليه وسلامه وهي : [السلام عليك يا خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله وآبائه الائمة المعصومين المهديين ، السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين ، السلام عليك يا وارث علم المرسلين ، السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين ، السلام عليك يا ابن الانوار الزاهرة ، السلام عليك يا ابن الاشباح الباهرة ، السلام عليك يا ابن الصور النيرة الطاهرة ، السلام عليك يا وارث كنز العلوم الالهية ، السلام عليك يا حافظ مكنون الاسرار الربانية السلام عليك يا من خضعت له الانوار المجدية ، السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك ، السلام عليك يا حجاب الله الازلي القديم ، السلام عليك يا ابن شجرة طوبى وسدرة المنتهى ، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفئ ، السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى ، السلام عليك يا لسان الله المعبر عنه ، السلام عليك يا وجه الله المنقلب بين أظهر عباده ، سلام من عرفك بما تعرفت به إليه ، ونعتك ببعض نعوتك التي أنت أهلها وفوقها . أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي ، وأن حزبك هم الغالبون ، وأولياءك هم الفائزون ، وأعداءك هم الخاسرون ، وأنك حائز كل علم ، وفاتق كل رتق ، وسابق لا يلحق ، رضيت بك يا مولاي إماما وهاديا ، لا أبتغي بك بدلا ، ولا أتخذ من دونك ولياً ، وأنك الحق الثابت الذي لا أغتاب ولا أرتاب لامد الغيبة ، ولا أتحير لطول المدة ، وعد الله بك حق ، ونصرته لدينه بك صدق ، طوبى لمن سعد بولايتك ، وويل لمن شقي بجحودك ، وأنت الشافع المطاع الذي لا يدافع ، ذخرك الله سبحانه لنصرة الدين ، وإعزاز

المؤمنين ، والانتقام من الجاحدين ، الاعمال موقوفة على ولايتك ، والاقوال معتبرة بإمامتك ، من جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله ، وصدقت أقواله ، تضاعف له الحسنات ، وتمحى عنه السيئات ، ومن زل عن معرفتك ، واستبدل بك غيرك ، كبه الله على منخريه في النار ، ولم يقبل له عملا ، ولم يقم له يوم القيامة وزنا . أشهد يا مولاي أن مقالي ظاهره كباطنه ، وسره كعلانيته ، وأنت الشاهد علي بذلك وهو عهدي إليك ، وميثاقي المعهود لديك إذ أنت نظام الدين ، وعز الموحدين ، ويعسوب المتقين ، وبذلك أمرني فيك رب العالمين . فلو تطاولت الدهور وتمادت الاعصار ، لم أزدد بك إلا يقينا ، ولك إلا حبا ، وعليك إلا اعتمادا ، ولظهورك إلا مرابطة بنفسي ومالي وجميع ما أنعم به علي ربي ، فإن أدركت أيامك الزاهرة ، وأعلامك القاهرة ، فعبد من عبيدك ، معترف بأمرك ونهيك ، أرجو بطاعتك الشهادة بين يديك ، وبولايتك السعادة فيما لديك ، وإن أدركني الموت قبل ظهورك فأتوسل بك إلى الله سبحانه أن يصلي على محمد وآل محمد ، وأن يجعل لي كرة في ظهورك ، ورجعة في أيامك ، لابلغ من طاعتك مرادي ، وأشفي من أعدائك فؤادي ، يا مولاي وقفت على زيارتي إياك موقف الخاطئين ، المستغفرين النادمين أقول عملت سوء وظلمت نفسي ، وعلى شفاعتك يا مولاي متكلي ومعولي ، وأنت ركني وثقتي ، ووسيلتي إلى ربي ، وحسبي بك وليا ومولي وشفيعا ، والحمد لله الذي هداني لولايتك ، وما كنت لاهتدي لولا أن هداني الله حمدا يقتضي ثبات النعمة ، وشكرا يوجب المزيد من فضله ، والسلام عليك يا مولاي وعلى آبائك موالي الائمة المهتدين ، ورحمة الله وبركاته ، وعلي منكم السلام] . ثم قال : صلِّ صلاة الزيارة فإذا فرغت منها فقل : اللهم صل على محمد وأهل بيته ، الهادين المهديين ، العلماء الصادقين الاوصياء المرضيين ، دعائم دينك ، وتراجمة وحيك ، وحججك على خلقك ، وخلفائك في أرضك ، فهم الذين اخترعتهم لنفسك ، واصطفيتهم على عبادك ، وارتضيتهم لدينك ، وخصصتهم بمعرفتك ، وجللتهم بكرامتك ، وغذيتهم بحكمتك ، وغشيتهم برحمتك ، وزينتهم بعلمك ، وألبستهم من نورك ورفعتهم في ملكوتك ، وحففتهم بملائكتك وشرفتهم بنبيك . أللهم صل على محمد وعليهم صلاة زاكية نامية ، كثيرة طيبة دائمة ، لا يحيط بها إلا أنت ، ولا يسعها إلا علمك ، ولا يحصيها أحد غيرك ، أللهم صل على وليك المحيي السبيل ، القائم بأمرك ، الداعي إليك ، الدليل عليك ، وحجتك على خلقك ، وخليفتك في أرضك ، وشاهدك على عبادك . أللهم أعز نصره ، وامدد في عمره ، وزين الارض بطول بقائه ، أللهم اكفه بغي الحاسدين ، وأعذه من شر الكائدين ، وازجر عنه إرادة الظالمين ، وخلصه من أيدي الجبارين ، أللهم أعطه في نفسه وذريته ، وشيعته ورعيته ، وخاصته وعامته ، وجميع أهل الدنيا ما تقر به عينه ، وتسر به نفسه ، وبلغه أفضل أمله في الدنيا والآخرة ، إنك على كل شئ قدير . ثم ادع الله بما أحببت] [البحار : ج ١٠٢ صـ ٩٨ بـ ٧ حـ ٢ - كما في مصباح الزائر ، عن السيد علي بن طاووس بتفاوت] . ** وقال أيضاً : وفي الزيارة السادسة التي يزار بها مولانا صاحب الامر صلوات الله عليه : إذا زرت العسكريين صلوات الله عليهما . . فأتِ إلى السرداب وقف ماسكاً جانب الباب كالمستأذن وسم وانزل وعليك السكينة والوقار وصلّ ركعتين في عرصة السرداب وقل : [أللهُ أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، ولله الحمد ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وعرّفنا أولياءه وأعداءه ، ووفّقنا لزيارة أئمتنا ولم يجعلنا مِن المعاندين الناصبين ، ولا

من الغلاة المفوضين ، ولا من المرتابين المقصرين ، السلام على ولي الله وابن أوليائه ، السلام على المدخر لكرامة [أولياء] الله وبوار أعدائه ، السلام على النور الذي أراد أهل الكفر إطفاءه ، فأبى الله إلا أن يتم نوره بكرههم وأمده بالحياة حتى يظهر على يده الحق برغمهم ، أشهد أن الله اصطفاك صغيرا وأكمل لك علومه كبيرا ، وأنك حي لا تموت حتى تبطل الجبت والطاغوت . أللهم صلّ عليه وعلى خدامه وأعوانه ، على غيبته ونأيه ، واستره ستراً عزيزاً واجعل له معقلاً حريزاً واشدد اللهم وطأتك على معانديه ، واحرس مواليه وزائريه . أللهم كما جعلت قلبي بذكره معمورا ، فاجعل سلاحي بنصرته مشهورا وإن حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتما مقضيا وأقدرت به على خليقتك رغما ، فابعثني عند خروجه ، ظاهرا من حفرتي ، مؤتزرا كفني ، حتى أجاهد بين يديه ، في الصف الذي أثنيت على أهله في كتابك ، فقلت " كأنهم بنيان مرصوص " . أللهم طال الانتظار ، وشمت بنا الفجار ، وصعب علينا الانتصار ، أللهم أرنا وجه وليّك الميمون ، في حياتنا وبعد المنون ، أللهم إني أدين لك بالرجعة ، بين يدي صاحب هذه البقعة ، الغوث الغوث الغوث ، يا صاحب الزمان ، قطعت في وصلتك الخلان ، وهجرت لزيارتك الاوطان ، وأخفيت أمري عن أهل البلدان لتكون شفيعاً عند ربك وربي ، وإلى آبائك موالي في حسن التوفيق ، وإسباغ النعمة علي ، وسوق الاحسان إلي . أللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، أصحاب الحق ، وقادة الخلق ، واستجب مني ما دعوتك ، وأعطني ما لم أنطق به في دعائي ، ومن صلاح ديني ودنياي ، إنك حميد مجيد ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين . ثم ادخل الصفة فصل ركعتين وقل : أللهم عبدك الزائر في فناء وليك المزور ، الذي فرضت طاعته على العبيد والاحرار ، وأنقذت به أولياءك من عذاب النار ، أللهم اجعلها زيارة مقبولة ذات دعاء مستجاب من مصدق بوليك غير مرتاب أللهم لا تجعله آخر العهد به ولا بزيارته ، ولا تقطع أثري من مشهده ، وزيارة أبيه وجده ، أللهم اخلف علي نفقتي ، وانفعني بما رزقتني ، في دنياي وآخرتي ولاخواني وأبوي وجميع عترتي ، أستودعك الله أيها الامام الذي يفوز به المؤمنون ، ويهلك على يديه الكافرون المكذبون . يا مولاي يا ابن الحسن بن علي جئتك زائرا لك ولابيك وجدك متيقنا الفوز بكم ، معتقدا إمامتكم ، أللهم اكتب هذه الشهادة والزيارة لي عندك في عليين وبلغني بلاغ الصالحين ، وانفعني بحبهم يا رب العالمين] . [مصباح الزائر : صـ ٣٣٢ -] . * وفي زيارة مولانا صاحب الامر صلوات الله عليه وما يلحق بذلك ، إذا أردت زيارته صلوات الله عليه وسلامه فليكن ذلك بعد زيارة العسكريين عليهما السلام ، فإذا فرغت من العمل هناك ، وبلغت من زيارتهما هناك فامض إلى السرداب وقف على بابه ، وقل : [إلهى إني قد وقفت على باب بيت من بيوت نبيك محمد صلواتك عليه وآله ، وقد منعت الناس من الدخول إلى بيوته إلا بإذنه ، فقلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته ، كما أعتقد في حضرته ، وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون ، فرحين ، يرون مكاني ويسمعون كلامي ويردون سلامي علي ، وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم فإني أستأذنك يا رب أولا ، وأستأذن رسولك صلواتك عليه وآله ثانيا وأستأذن خليفتك الامام المفترض علي طاعته في الدخول في ساعتي هذه إلى بيته ، وأستأذن ملائكتك الموكلين بهذه البقعة المباركة المطيعة لك السامعة ،

السلام عليكم أيها الملائكة الموكلون بهذا المشهد الشريف المبارك ورحمة الله وبركاته . بإذن الله وإذن رسوله وإذن خلفائه وإذن هذا الامام وبإذنكم صلوات الله عليكم أجمعين ، أدخل هذا البيت متقربا إلى الله بالله ورسوله محمد وآله الطاهرين فكونوا ملائكة الله أعواني ، وكونوا أنصاري حتى أدخل هذا البيت ، وأدعوا الله بفنون الدعوات ، وأعترف لله بالعبودية ، ولهذا الامام وآبائه - صلوات الله عليهم - بالطاعة . ثم تنزل مقدما رجلك اليمنى وتقول " بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " وكبر الله واحمده وسبحه وهلله ، فإذا استقررت فيه فقف مستقبل القبلة وقل : " سلام الله وبركاته وتحياته وصلواته على مولاي صاحب الزمان ، صاحب الضياء والنور ، والدين المأثور ، واللوء المشهور ، والكتاب المنشور ، وصاحب الدهور والعصور ، وخلف الحسن ، الامام المؤتمن ، والقائم المعتمد ، والمنصور المؤيد ، والكهف والعضد ، عماد الاسلام ، وركن الانام ، ومفتاح الكلام ، وولي الاحكام ، وشمس الظلام ؛ وبدر التمام ، ونضرة الايام ، وصاحب الصمصام ، وفلاق الهام ، والبحر القمقام ، والسيد الهمام ، وحجة الخصام ، وباب المقام ، ليوم القيام ، والسلام على مفرج الكربات ، وخواض الغمرات ، ومنفس الحسرات ، وبقية الله في أرضه ، وصاحب فرضه ، وحجته على خلقه ، وعيبة علمه ، وموضع صدقه ، والمنتهى إليه مواريث الانبياء ، ولديه موجود آثار الاوصياء ، وحجة الله وابن رسوله ، والقيم مقامه ، وولي أمر الله ، ورحمة الله وبركاته . أللهم كما انتجبته لعلمك ، واصطفيته لحكمك ، وخصصته بمعرفتك ، وجللته بكرامتك ، وغشيته برحمتك ، وربيته بنعمتك ، وغذيته بحكمتك ، واخترته لنفسك ، واجتبيته لبأسك ، وارتضيته لقدسك ، وجعلته هاديا لمن شئت من خلقك ، وديان الدين بعدلك ، وفصل القضايا بين عبادك ، ووعدته أن تجمع به الكلم ، وتفرج به عن الامم ، وتنير بعدله الظلم ، وتطفئ به نيران الظلم ، وتقمع به حر الكفر وآثاره ، وتطهر به بلادك ، وتشفي به صدور عبادك ، وتجمع به الممالك كلها ، قريبها وبعيدها ، عزيزها وذليلها ، شرقها وغربها ، سهلها وجبلها ، صباها ودبورها ، شمالها وجنوبها ، برها وبحرها ، حزونها ووعورها ، يملاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وتمكن له فيها ، وتنجز به وعد المؤمنين ، حتى لا يشرك بك شيئاً ، وحتى لا يبقى حق إلا ظهر ، ولا عدل إلا زهر ، وحتى لا يستخفي بشئ من الحق ، مخافة أحد من الخلق . أللهم صل عليه صلاة تظهر بها حجته ، وتوضح بها بهجته ، وترفع بها درجته ، وتؤيد بها سلطانه ، وتعظم بها برهانه ، وتشرف بها مكانه ، وتعلي بها بنيانه ، وتعز بها نصره ، وترفع بها قدره ، وتسمي بها ذكره ، وتظهر بها كلمته ، وتكثر بها نصرته ، وتعز بها دعوته ، وتزيده بها إكراما ، وتجعله للمتقين إماما وتبلغه في هذا المكان ، مثل هذا الاوان ، وفي كل مكان ، منا تحية وسلاما ، لا يبلى جديده (ولا يفنى عديده) . السلام عليك يا بقية الله في أرضه وبلاده ، وحجته على عباده ، السلام عليك يا خلف السلف ، السلام عليك يا صاحب الشرف ، السلام عليك يا حجة المعبود ، السلام عليك يا كلمة المحمود ، السلام عليك يا شمس الشموس ، السلام عليك يا مهدي الارض ، و [مبين] عين الفرض ، السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان والعالي الشأن ، السلام عليك يا خاتم الاوصياء ، وابن الانبياء ، السلام عليك يا معز الاولياء ومذل الاعداء ، السلام عليك أيها الامام الوحيد ، والقائم الرشيد ، السلام

عليك أيها الامام الفريد ، السلام عليك أيها الامام المنتظر ، والحق المشتهر ، السلام عليك أيها الامام الولي المجتبى ، والحق المنتهى ، السلام عليك أيها الامام المرتجى لازالة الجور والعدوان ، السلام عليك أيها الامام المبيد لاهل الفسوق والطغيان ، السلام عليك أيها الامام الهادم لبنيان الشرك والنفاق ، والحاصد فروع الغي والشقاق ، السلام عليك أيها المدخر لتجديد الفرائض والسنن ، السلام عليك يا طامس آثار الزيغ والاهواء ، وقاطع حبائل الكذب والفتن والامتراء ، السلام عليك أيها المؤمل لاحياء الدولة الشريفة السلام عليك يا جامع الكلمة على التقوى ، السلام عليك يا باب الله ، السلام عليك يا ثار الله ، السلام عليك يا محيي معالم الدين وأهله ، السلام عليك يا قاصم شوكة المعتدين ، السلام عليك يا وجه الله الذي لا يهلك ولا يبلى إلى يوم الدين ، السلام عليك أيها السبب المتصل بين الارض والسماء ، السلام عليك يا صاحب الفتح وناشر راية الهدى ، السلام عليك يا مؤلف شمل الصلاح والرضا ، السلام عليك يا طالب ثار الانبياء ، والثائر بدم المقتول بكربلاء ، السلام عليك أيها المنصور على من اعتدى ، السلام عليك أيها المنتظر المجاب إذا دعا ، السلام عليك يا بقية الخلائف ، البر التقي الباقي لازالة الجور والعدوان . السلام عليك يا ابن محمد المصطفى ، السلام عليك يا ابن علي المرتضى . السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا ابن خديجة الكبرى ، وابن السادة المقربين ، والقادة المتقين ، السلام عليك يا ابن النجباء الاكرمين ، السلام عليك يا ابن الاصفياء المهذبين ، السلام عليك يا ابن الهداة المهديين ، السلام عليك يا ابن خيرة الخير ، السلام عليك يا ابن سادة البشر ، السلام عليك يا ابن الغطارفة الاكرمين والاطائب المطهرين ، السلام عليك يا ابن البررة المنتجبين ، والخضارمة الانجبين ، السلام عليك يا ابن الحجج المنيرة ، والسرج المضيئة ، السلام عليك يا ابن الشهب الثاقبة ، السلام عليك يا ابن قواعد العلم ، السلام عليك يا ابن معادن الحلم ، السلام عليك يا ابن الكواكب الزاهرة ، والنجوم الباهرة ، السلام عليك يا ابن الشموس الطالعة ، السلام عليك يا ابن الاقمار الساطعة ، السلام عليك يا ابن السبل الواضحة والاعلام اللائحة ، السلام عليك يا ابن السنن المشهورة ، السلام عليك يا ابن المعالم المأثورة ، السلام عليك يا ابن الشواهد المشهودة والمعجزات الموجودة ، السلام عليك يا ابن الصراط المستقيم ، والنبأ العظيم ، السلام عليك يا ابن الآيات البينات ، والدلائل الظاهرات ، السلام عليك يا ابن البراهين الواضحات ، السلام عليك يا ابن الحجج البالغات ، والنعم السابغات ، السلام عليك يا ابن طه والمحكمات ، وياسين والذاريات والطور والعاديات . السلام عليك يا ابن من دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، واقترب من العلي الاعلى ، ليت شعري أين استقرت بك النوى ، أم أنت بوادي طوى ، عزيز علي أن ترى الخلق ولا ترى ، ولا يسمع لك حسيس ولا نجوى ، عزيز علي أن يرى الخلق ولا ترى ، عزيز علي أن تحيط بك الاعداء ، بنفسي أنت من مغيب ما غاب عنا ، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا ، ونحن نقول الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين . ثم ترفع يديك وتقول : أللهم أنت كاشف الكرب والبلوى ، وإليك نشكو [فقد نبينا ، و] غيبة إمامنا وابن بنت نبينا ، أللهم فاملأ به الارض عدلا وقسطا ، كما ملئت ظلما وجورا ، أللهم صل على محمد وأهل بيته ، وأرنا سيدنا وصاحبنا وإمامنا ومولانا صاحب الزمان ، وملجأ أهل عصرنا ، ومنجا أهل دهرنا ظاهر المقالة ، واضح الدلالة ،

هاديا من الضلالة ، منقذا من الجهالة ، وأظهر معالمه وثبت قواعده وأعز نصره ، وأطل عمره ، وابسط جاهه ، وأحي أمره ، وأظهر نوره ، وقرب بعده ، وأنجز وعده ، وأوف عهده ، وزين الارض بطول بقائه ، ودوام ملكه ، وعلو [ارتقائه و] ارتفاعه ، وأنر مشاهده ، وثبت قواعده ، وعظم برهانه وأمد سلطانه ، وأعل مكانه ، وقو أركانه ، وأرنا وجهه ، وأوضح بهجته ، وارفع درجته ، وأظهر كلمته ، وأعز دعوته ، وأعطه سؤله ، وبلغه يا رب مأموله ، وشرف مقامه وعظم إكرامه ، وأعز به المؤمنين ، وأحي به سنن المرسلين ، وأذل به المنافقين ، وأهلك به الجبارين ، واكفه بغي الحاسدين ، وأعذه من شر الكائدين ، وازجر عنه إرادة الظالمين ، وأيده بجنود من الملائكة مسومين وسلطه على أعداء دينك أجمعين ، واقصم به كل جبار عنيد ، وأخمد بسيفه كل نار وقيد ، وأنفذ حكمه في كل مكان ، وأقم بسلطانه كل سلطان ، واقمع به عبدة الاوثان ، وشرف به أهل القرآن والايمان ، وأظهره على كل الاديان ، واكبت من عاداه ، وأذل من ناواه ، واستأصل من جحد حقه ، وأنكر صدقه ، واستهان بأمره ، وأراد إخماد ذكره ، وسعى في إطفاء نوره . أللهم نور بنوره كل ظلمة ، واكشف به كل غمة ، وقدم أمامه الرعب وثبت به القلب ، وأقم به نصرة الحرب ، واجعله القائم المؤمل ، والوصي المفضل ، والامام المنتظر ، والعدل المختبر ، واملأ به الارض عدلا وقسطا ، كما ملئت جورا وظلما ، وأعنه على ما وليته واستخلفته واسترعيته ، حتى يجري حكمه على كل حكم ، ويهدي بحقه كل ضلالة . واحرسه اللهم بعينك التي لا تنام ، واكنفه بركنك الذي لا يرام ، وأعزه بعزك الذي لا يضام ، واجعلني يا إلهي من عدده ومدده ، وأنصاره وأعوانه وأركانه ، وأشياعه وأتباعه ، وأذقني طعم فرحته ، وألبسني ثوب بهجته ، وأحضرني معه لبيعته ، وتأكيد عقده ، بين الركن والمقام ، عند بيتك الحرام ، ووفقني يا رب للقيام بطاعته ، والمثوى في خدمته ، والمكث في دولته ، واجتناب معصيته ، فإن توفيتني اللهم قبل ذلك ، فاجعلني يا رب فيمن يكر في رجعته ، ويملك في دولته ، ويتمكن في أيامه ، ويستظل تحت أعلامه ، ويحشر في زمرته ، وتقر عينه برؤيته ، بفضلك وإحسانك وكرمك وامتنانك ، إنك ذو الفضل العظيم ، والمن القديم ، والاحسان الكريم " . ثم صل في مكانك اثنتي عشرة ركعة واقرأ فيها ما شئت ، واهدها له عليه السلام ، فإذا سلمت في كل ركعتين فسبح تسبيح الزهراء عليها السلام وقل " أللهم أنت السلام ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، حينا ربنا منك بالسلام ، أللهم إن هذه الركعات هدية مني إلى وليك وابن وليك ، وابن أوليائك ، الامام ابن الائمة الخلف الصالح الحجة صاحب الزمان ، فصل على محمد وآل محمد ، وبلغه إياها وأعطني أفضل أملي ، ورجائي فيك وفي رسولك ، صلواتك عليه وعلى آله أجمعين . فإذا فرغت من الصلاة فادع بهذا الدعاء وهو دعاء مشهور يدعى به في غيبة القائم عليه السلام ، وهو : أللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك أللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، أللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ، أللهم لا تمتني ميتة جاهلية ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني . أللهم فكما هديتني بولاية من فرضت علي طاعته من ولاة أمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله ، حتى واليت ولاة أمرك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعليا ومحمدا وجعفرا وموسى وعليا ومحمدا وعليا والحسن والحجة القائم المهدي صلواتك عليهم أجمعين . أللهم فثبتني على دينك

واستعملني بطاعتك ، ولين قلبي لولي أمرك ، وعافني مما امتحنت به خلقك وثبتني على طاعة ولي أمرك ، الذي سترته عن خلقك ، وبإذنك غاب عن بريتك ، وأمرك ينتظر ، وأنت العالم غير المعلم بالوقت الذي فيه صلاح أمر وليك في الاذن له بإظهار أمره ، وكشف ستره وصبرني على ذلك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت ، ولا كشف ما سترت ، ولا البحث عما كتمت ، ولا أنازعك في تدبيرك ، ولا أقول لم وكيف ، ولا ما بال ولي الامر لا يظهر ، وقد امتلأت الارض من الجور ، وأفوض أموري كلها إليك . أللهم إني أسألك أن تريني ولي أمرك ظاهرا ، نافذ الامر ، مع علمي بأن لك السلطان ، والقدرة والبرهان ، والحجة والمشية ، والحول والقوة ، فافعل بي ذلك وبجميع المؤمنين ، حتى ننظر إلى ولي أمرك صلواتك عليه وآله ظاهر المقالة ، واضح الدلالة ، هاديا من الضلالة ، شافيا من الجهالة ، أبرز يا رب مشاهده وثبت قواعده ، واجعلنا ممن تقر عينه برؤيته ، وأقمنا بخدمته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته . أللهم أعذه من شر جميع ما خلقت وذرأت وبرأت وأنشأت وصورت ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، بحفظك الذي لا يضيع من حفظته ، واحفظ فيه رسولك ووصي رسولك عليه وآله السلام ، ومد في عمره وزد في أجله ، وأعنه على ما وليته واسترعيته ، وزد في كرامتك له ، فإنه الهادي المهدي ، والقائم المهتدي ، والطاهر التقي ، الزكي النقي ، الرضي المرضي الصابر الشكور المجتهد . اللهم ولا تسلبنا اليقين لطول الامد في غيبته ، وانقطاع خبره عنا ، ولا تنسنا ذكره وانتظاره والايمان به ، وقوة اليقين في ظهوره ، والدعاء له ، والصلاة عليه حتى لا تقنطنا غيبته من قيامه ، ويكون يقيننا في ذلك كيقيننا في قيام رسولك صلواتك عليه وآله ، وما جاء به من وحيك وتنزيلك ، وقو قلوبنا على الايمان حتى تسلك بنا على يديه منهاج الهدى ، والمحجة العظمى ، والطريقة الوسطى وقونا على طاعته ، وثبتنا على متابعته ، واجعلنا في حزبه وأعوانه وأنصاره والراضين بفعله ، ولا تسلبنا ذلك في حياتنا ، ولا عند وفاتنا ، حتى تتوفانا ونحن على ذلك لا شاكين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مكذبين . أللهم عجل فرجه وأيده بالنصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمدم على من نصب له وكذب به ، وأظهر به الحق ، وأمت به الجور ، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل ، وأنعش به البلاد ، واقتل به الجبابرة والكفرة ، واقصم به رؤوس الضلالة ، وذلل به الجبارين والكافرين ، وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين والملحدين ، في مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ، حتى لا تدع منهم ديارا ، ولا تبقي لهم آثارا ، طهر منهم بلادك ، واشف منهم صدور عبادك ، وجدد به ما امتحى من دينك وأصلح به ما بدل من حكمك ، وغير من سنتك ، حتى يعود دينك به وعلى يديه غضا جديدا صحيحا لا عوج فيه ، ولا بدعة معه ، حتى تطفئ بعدله نيران الكافرين ، فإنه عبدك الذي استخلصته لنفسك ، وارتضيته لنصر دينك ، واصطفيته بعلمك ، وعصمته من الذنوب ، وبرأته من العيوب ، وأنعمت عليه ، وطهرته من الرجس ، ونقيته من الدنس . أللهم فصل عليه وعلى آبائه الائمة الطاهرين وعلى شيعته المنتجبين ، وبلغهم من أيامهم ما يؤملون ، واجعل ذلك منا خالصا في كل شك وشبهة ورياء وسمعة ، حتى لا نريد به غيرك ، ولا نطلب به إلا وجهك . أللهم إنا نشكوا إليك فقد نبينا ، وغيبة إمامنا ، وشدة الزمان علينا ، ووقوع الفتن بنا ، وتظاهر الاعداء ، وكثرة عدونا ، وقلة عددنا ، أللهم

فافرج ذلك عنا بفتح منك تعجله ، ونصر منك تعزه ، وإمام عدل تظهره ، إله الحق آمين . أللهم إنا نسألك أن تأذن لوليك في إظهار عدلك في عبادك ، وقتل أعدائك في بلادك ، حتى لا تدع للجور يا رب دعامة إلا قصمتها ، ولا بقية إلا أفنيتها ولا قوة إلا أوهنتها ، ولا ركنا إلا هدمته ، ولا حدا إلا فللته ولا سلاحا إلا أذللته ولا راية إلا نكستها ، ولا شجاعا إلا قتلته ، ولا جيشا إلا خذلته ، وارمهم يا رب بحجرك الدامغ ، واضربهم بسيفك القاطع ، وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين وعذب أعداءك وأعداء وليك وأعداء رسولك صلواتك عليه وآله بيد وليك وأيدي عبادك المؤمنين . أللهم اكف وليك وحجتك في أرضك هول عدوه ، وكيد من أراده ، وامكر بمن مكر به ، واجعل دائرة السوء على من أراد به سوء ، واقطع عنه مادتهم ، وأرعب له قلوبهم ، وزلزل أقدامهم ، وخذهم جهرة وبغتة ، وشدد عليهم عذابك واخزهم في عبادك ، والعنهم في بلادك ، وأسكنهم أسفل نارك ، وأحط بهم أشد عذابك وأصلهم نارا ، واحش قبور موتاهم نارا ، وأصلهم حر نارك ، فإنهم أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، وأضلوا عبادك ، وأخربوا بلادك . أللهم وأحي بوليك القرآن ، وأرنا نوره سرمدا لا ليل فيه ، وأحي به القلوب الميتة ، واشف به الصدور الوغرة ، واجمع به الاهواء المختلفة على الحق وأقم به الحدود المعطلة ، والاحكام المهملة ، حتى لا يبقى حق إلا ظهر ، ولا عدل إلا زهر ، واجعلنا يا رب من أعوانه ، ومقوية سلطانه ، والمؤتمرين لامره والراضين بفعله ، والمسلمين لاحكامه ، وممن لا حاجة به إلى التقية من خلقك . أنت يا رب الذي تكشف الضر ، وتجيب المضطر إذا دعاك ، وتنجي من الكرب العظيم ، فاكشف الضر عن وليك ، واجعله خليفة في أرضك ، كما ضمنت له . أللهم لا تجعلني من خصماء آل محمد عليهم السلام ، ولا تجعلني من أعداء آل محمد عليهم السلام ، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيظ على آل محمد عليهم السلام ، فإني أعوذ بك من ذلك فأعذني ، وأستجير بك فأجرني ، أللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني بهم عندك فائزا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، آمين يا رب العالمين] [مصباح الزائر : صـ ٣١٢ ، ف ١٧] * * وقال : هناك زيارة ثانية لمولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه وهي المعروفة بالندبة خرجت من الناحية المحفوفة بالقدس إلى أبي جعفر محمد بن عبد الله الحميري رحمه الله ، وأمر أن تُتلى في السرداب المقدس وهي : [بسم الله الرحمن الرحيم ، لا لامر الله تعقلون ، ولا من أوليائه تقبلون . حكمة بالغة عن قوم لا يؤمنون ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، سلام على آل ياسين ، ذلك هو الفضل المبين ، والله ذو الفضل العظيم لمن يهديه صراطه المستقيم ، قد آتاكم الله يا آل ياسين خلافته ، وعلم مجاري أمره فيما قضاه ودبره ، ورتبه وأراده في ملكوته ، فكشف لكم الغطاء وأنتم خزنته وشهداؤه وعلماؤه وأمناؤه ، وساسة العباد ، وأركان البلاد ، وقضاة الاحكام ، وأبواب الايمان ، وسلالة النبيين ، وصفوة المرسلين ، وعترة خيرة رب العالمين ، ومن تقديره منايح العطاء بكم إنفاذه محتوما مقروناً ، فما شئ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل ، خياره لوليكم نعمة ، وانتقامه من عدوكم سخطة ، فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ، ولا مذهب عنكم ، يا أعين الله الناظرة ، وحملة معرفته ، ومساكن توحيده في أرضه وسمائه . وأنت يا مولاي ويا حجة الله وبقيته كمال نعمته ، ووارث أنبيائه وخلفائه ، ما بلغناه من دهرنا ، وصاحب الرجعة لوعد ربنا ، التي فيها دولة الحق وفرجنا ، ونصرة الله لنا وعزنا . السلام عليك أيها العلم المنصوب ، والعلم

المصبوب ، والغوث والرحمة الواسعة ، وعدا غير مكذوب ، السلام عليك يا صاحب المرأى والمسمع ، الذي بعين الله مواثيقه ، وبيد الله عهوده ، وبقدرة الله سلطانه ، أنت الحليم الذي لا تعجله المعصية ، والكريم الذي لا تبخله الحفيظة ، والعالم الذي لا تجهله الحمية ، مجاهدتك في الله ذات مشية الله ، ومقارعتك في الله ذات انتقام الله ، وصبرك في الله ذو أناة الله ، وشكرك لله ذو مزيد الله ورحمته . السلام عليك يا محفوظا بالله . ألله نور أمامه وورائه ويمينه وشماله ، وفوقه وتحته ، السلام عليك يا مخزونا في قدرة الله ألله نور سمعه وبصره ، السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه ، ويا ميثاق الله الذي أخذه ووكده ، السلام عليك يا داعي الله ودیان دينه ، السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقه ، السلام عليك يا حجة الله ودليل إرادته ، السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه ، السلام عليك في آناء الليل والنهار ، السلام عليك يا بقية الله في أرضه ، السلام عليك حين تقوم ، السلام عليك حين تقعد ، السلام عليك حين تقرأ وتبين ، السلام عليك حين تصلي وتقنت ، السلام عليك حين تركع وتسجد ، السلام عليك حين تعوذ وتسبح ، السلام عليك حين تهلل وتكبر ، السلام عليك حين تحمد وتستغفر ، السلام عليك حين تمجد وتمدح ، السلام عليك حين تمسي وتصبح . السلام عليك في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ، السلام عليك في الآخرة والاولى ، السلام عليكم يا حجج الله ودعاتنا ، وهداتنا ورعاتنا ، وقادتنا وأئمتنا وسادتنا وموالينا ، السلام عليكم أنتم نورنا ، وأنتم جاهنا وأوقات صلواتنا ، وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا واستغفارنا ، وسائر أعمالنا ، السلام عليك أيها الامام المأمون ، السلام عليك أيها الامام المأمول ، السلام عليك بجوامع السلام . إشهد يا مولاي أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لا حبيب إلا هو وأهله ، وأن أمير المؤمنين حجته ، وأن الحسن حجته وأن الحسين حجته ، وأن علي بن الحسين حجته ، وأن محمد بن علي حجته ، وأن جعفر بن محمد حجته ، وأن موسى بن جعفر حجته ، وأن علي بن موسى حجته ، وأن محمد بن علي حجته ، وأن علي بن محمد حجته ، وأن الحسن بن علي حجته ، وأنت حجته وأن الانبياء دعاة وهداة رشدكم ، أنتم الاول والآخر وأن رجعتكم حق لا شك فيها ، ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، وأن الموت حق ، وأن منكرا ونكيرا حق وأن النشر حق ، والبعث حق ، وأن الصراط حق ، وأن المرصاد حق ، وأن الميزان حق ، والحساب حق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، والجزاء بهما للوعد والوعيد حق وأنكم للشفاعة حق ، لا تردون ولا تسبقون بمشية الله وبأمره تعملون ، ولله الرحمة والكلمة العليا ، وبيده الحسنى وحجة الله النعمى ، خلق الجن والانس لعبادته ، أراد من عباده عبادته ، فشقي وسعيد من قد شقي من خالفكم ، وسعد من أطاعكم . وأنت يا مولاي فاشهد بما أشهدتك عليه ، تخزنه وتحفظه لي عندك أموت عليه ، وأنشر عليه ، وأقف به ولياً لك ، بريئاً من عدوك ، ماقتاً لمن أبغضكم ، وادّاً لِمَن أحببتم ، فالحق ما رضيتموه ، والباطل ما سخطتموه ، والمعروف ما أمرتم به ، والمنكر ما نهيتم عنه ، والقضاء المثبت ما أستأثرت به مشيتكم ، والمحو ما لا استأثرت به سنتكم . فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد عبده ورسوله ، علي أمير المؤمنين حجته ، الحسن حجته ، الحسين حجته ، علي حجته ، محمد حجته ، جعفر حجته ، موسى حجته ، علي حجته ، محمد حجته ، علي حجته ، الحسن حجته ، أنت حجته ،

وهذه وتلك تحشد في متونها ما يؤكّد طابع القداسة والفرادة والصفات الدالّة على مقامهم العظيم عليهم السلام في صفوةٍ خاصّة بالأوصياء البررة الذين يُشكّلون العمق الوارث للنبوة المحمّديّة الكريمة جدّاً على اللهِ تعالى ..

أنتم حججه وبراهينه ، أنا يا مولاي مستبشر بالبيعة التي أخذ الله علي شرطه ، قتالا في سبيله اشترى به أنفس المؤمنين ، فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له ، وبرسوله وبأمير المؤمنين وبكم يا موالي ، أولكم وآخركم ، ونصرتي لكم معدة ، ومودتي خالصة لكم ، وبراءتي من أعدائكم : أهل الحردة والجدال ثابتة ، لثأركم أنا ولي وحيد ، والله إله الحق جعلني بذلك ، آمين آمين ، من لي إلا أنت فيما دنت واعتصمت بك فيه ، تحرسني فيما تقربت به إليك ، يا وقاية الله وستره وبركته ، أغثني أدنني أدركني صلني بك ولا تقطعني . أللهم بهم إليك توسلي وتقربي ، أللهم صل على محمد وآل محمد ، وصلني بهم ولا تقطعني ، بحجتك اعصمني ، وسلامك على آل يس ، مولاي أنت الجاه عند الله ربك وربي إنه حميد مجيد ، أللهم إني أسألك باسمك الذي خلقته من ذلك ، واستقر فيك ، فلا يخرج منك إلى شئ أبدا ، أيا كينون أيا مكون أيا متعال أيا متقدس أيا مترحم أيا مترئف أيا مُتَحَنِّن ، أسألك كما خلقته غضا أن تصلي على محمد نبي رحمتك ، وكلمة نورك ، ووالد هداة رحمتك ، واملأ قلبي نور اليقين ، وصدري نور الايمان ، وفكري نور الثبات ، وعزمي نور التوفيق ، وذكائي نور العلم ، وقوتي نور العمل ، ولساني نور الصدق ، ودِيني نور البصائر من عندك ، وبصري نور الضياء ، وسمعي نور وعي الحكمة ، ومودتي نور الموالاة لمحمد وآله عليهم السلام ، ولقني نور قوة البراءة من أعداء محمد وأعداء آل محمد ، حتى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك ، فلتسعني رحمتك يا ولي يا حميد ، بمرأى آل محمد ومسمعك يا حجة الله دعائي ، فوفني منجزات إجابتي ، أعتصم بك ، معك معك معك سمعي ورضاي يا كريم] [مصباح الزائر : صـ ٣٢٢ – ٣٢٦] .

الأئمّة في مخزون القرآن وبشارة الكُتب
(البشارة بالمهدي عليه السلام)

لقد شكّل موضوعُ المهدي عليه السلام العمق المضموني في كثيرٍ من النصوص والآيات التي تتحدّثُ ببعضِ أوجهِها عن تلك المحطَّة الهائلة ، والعنوان الذي سيشكّل أضخم تطوُّر في مركب البشر ومسيرهم نحو آفاق شديدة الإختلاف عن مباني الإنحراف وعناوين الفساد ، وصولاً إلى إعلان دولة القرآن على طول مساحة الوجود البشري ، تحت راية عالميَّة يقودها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف .

مِن هنا تكاثَرَ في لسان الراوي والطبقة التي تعايشُ عصرَ الأئمّة عليهم السلام أو عصر النبيِّ صلى الله عليه وآله السؤال عن المهدي عليه السلام ..؟ عن عمق ذلك العالم .؟ عن عظمة ذلك اليوم .؟ عن كُنه وطبيعة وصفات ذلك الزمن .؟ عن المخزون التراثي في السنّة أو القرآن .. بل في طائفةٍ كثيرة نجد أنَّ المعصوم عليه السلام حين يُسأل عن تفسير آيةٍ ما ، يشيرُ إلى العمق المضموني الذي تختزِنُهُ . ومعلوم انَّ القرآن نزل على أربعة معاني : للعوام ، والفقهاء والأولياء والأنبياء . أي انَّ القرآن يُشكّل في مضامينِهِ بحراً زاخراً من الإنطباق والدلالات .. النبيُّ أو الإمامُ يُجيب في تفسير بعض الآيات عن بعض المضامين ، في حين يُجيب في مقامٍ آخر عن مضامين أخرى ، وفي

مقامٍ ثالثٍ يشيرُ إلى أعماق المضمون الوارد في القرآن بشكلٍ عظيم وأوسع . وموضوع الإمام المهدي عليه السلام شكّل مساحة واسعة من هذهِ الإشارات الكريمة والمخزونات العظيمة . ففي رواية يونس بن عبد الرحمن ، عمَّن ذكره - رفعه - قال : سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إنَّ ظاهرها الحمد ، وباطنها ولد الولد ، والسابع منها القائم عليه السلام][1] . إشارة إلى مولانا المهدي عليه السلام . لِمَا يعنيهِ المهديُّ ووظيفتُهُ والآثار التي تقع على يده ، فهذا مصداق بارز جداً ومضمون عميق من مضامين هذهِ الآية . المعصوم عليه السلام يؤكّد أنّه أبرز مصاديقها في آخر الزمن .

وفي رواية جابر بن عبد الله الانصاري قال : دخل جندب بن جنادة اليهودي من خيبر ، على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ، أخبرني عمَّا ليس لله ، وعمَّا ليس عند الله ، وعمَّا لا يعلمه الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما ما ليس لله ؟ فليس لله شريك . وأمَّا ما ليس عند الله ؟ فليس عند الله ظلمٌ للعباد . وأمَّا ما لا يعلمه اللهُ ؟ فذلك قولكم يا معشر اليهود « عزير ابن الله » ، واللهُ لا يعلم له ولداً .

فقال جندب : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك رسولُ اللهِ حقّاً .

ثم قال : يا رسول الله ، إني رأيتُ البارحةَ في النوم موسى بن عمران عليه السلام ، فقال لي : يا جندب أسلِم على يدِ محمَّد واستمسك بالاوصياء

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ٢٥٠ حـ ٣٧ - * المقصود بالآيات المفسّرة : الروايات التي وردت في تفسير آيات أو تأويلها أو تطبيقها أو الاستشهاد بها بحيث ترتبط بقضية الامام المهدي عليه السلام بعنوانه الخاص أو بعنوان عام يشمله أو ترتبط بالرجعة أو تنفع في هذا المجال .

مِن بعده ، فقد أسلَمْتُ ، فرزقَني اللهُ ذلك ، فأخبرني بالأوصياء بعدك لِأتمسَّك بهم .

فقال ﷺ : يا جندب ، أوصيائي مِن بعدي بعددِ نقباءِ بني إسرائيل . فقال : يا رسول الله ، إنهم كانوا اثني عشر ، هكذا وجدنا في التوراة . قال ﷺ : نعم ، الائمةُ بعدي إثنا عشر . فقال : يا رسول الله ، كلُّهم في زمن واحد ؟ قال ﷺ : لا ، ولكنّهم خلفٌ بعد خلف ، فإنَّك لا تدرك منهم إلا ثلاثة . قال : فسمِّهم لي يا رسول الله . قال ﷺ : نعم ، إنَّك تُدرِكُ سيِّد الاوصياء ووارث الانبياء وأبا الائمة علي بن أبي طالب بعدي ، ثم ابنه الحسن ، ثم الحسين . فاستمسك بهم مِن بعدي . ولا يغرنَّك جهلُ الجاهلين . فإذا كان وقت ولادة ابنه علي بن الحسين سيِّد العابدين يقضي اللهُ عليه (عليك) ويكون آخر زادك مِن الدنيا شربةٌ مِن لبن تشربه .

فقال : يا رسول الله ، هكذا وجدتُ في التوراة اليانقطه ؟ شبيراً وشبيراً فلم أعرف أساميهم ، فكم بعد الحسين مِن الاوصياء وما أساميهم ؟ فقال ﷺ : تسعةٌ مِن صُلبِ الحسين . والمهديُّ منهم ، فإذا انقضت مدَّةُ الحسين قام بالامر بعده ابنه علي ويُلقَّب بزين العابدين ، فإذا انقضت مدَّة علي قام بالامر بعده محمد ابنه يُدعَى بالباقر ، فإذا انقضت مدَّة محمَّد قام بالامر بعده ابنه جعفر يُدعَى بالصادق ، فإذا انقضت مدّة جعفر قام بالامر بعده ابنه موسى يُدعى بالكاظم ، ثم إذا انتهت مدّة موسى قام بالامر بعده ابنه علي يُدعى بالرضا ، فإذا انقضت مدّة علي قام بالامر بعده محمد ابنه يُدعى بالزكي ، فإذا انقضت مدة محمد قام بالامر بعده علي ابنه يُدعي بالنقي ، فإذا انقضت مدَّة علي قام بالامر بعده الحسن ابنه يُدعى بالامين ، ثم يغيب عنهم إمامهم . قال : يا رسول الله هو الحسن يغيب

عنهم ؟ قال ﷺ : لا ، ولكن ابنه الحجَّة . قال : يا رسول الله فمَا اسمه ؟ قال : لا يُسمَّى حتى يظهره الله . قال جندب : يا رسول الله ، قد وجدنا ذكرهم في التوراة ، وقد بشَّرَنَا موسى بن عمران بِكَ وبالأوصياء بعدك من ذريتك . ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ،

فقال جندب : يا رسول الله ، فما خوفهم ؟ قال ﷺ : يا جندب ، في زمنِ كلِّ واحدٍ منهم سلطانٌ يعتريه ويُؤذيه . فإذا عجَّلَ اللهُ خروجَ قائمنا عليه السلام يملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً . ثم قال : طوبى للصابرين في غيبته ، طوبى للمتَّقين على محجتهم ، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ وقال : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾][1] .

وكنتُ قد أشرتُ إلى جملةٍ واسعة من النصوص الواردة عن الفريقين بخصوص الأئمّة الإثني عشر ، أو إثنا عشر أميراً أو خليفة ، وعلى هذا اتِّفاق علماء المسلمين جميعاً . تماماً كعدد نقباء بني إسرائيل ، أيضاً كعدد حواريي عيسى المسيح عليه السلام . ولا شكّ أنَّ عدد الأئمّة والنقاء والحواريين لم يأتِ من فراغ ، بل بتدبيرٍ من أمرِ الله تعالى ، بل نجد في القرآن الكريم تأكيداً على ثلاثيِّ النبوَّة : موسى وعيسى ومحمَّد عليهم السلام . وذلك لخصوصيّةِ الترابط الشديد من وجوه مختلفة بين هذه النبوات الثلاث . ففي واحدةٍ من تلك الآيات يقول اللهُ تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١/٩٥﴾ وَطُورِ

---

[1] الغيبة : الفضل بن شاذان – بعضه ، على ما في مستدرك الوسائل . * : كفاية الاثر : صـ٥٦ – ٥٧ –

سِينِينَ ﴿٢/٩٥﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣/٩٥﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤/٩٥﴾

هنا يُقسِمُ اللهُ تعالى ببقاعٍ ثلاث ، لها من العظمة والقداسة والنسبة ما شرَّفها ان تكون موضوعاً في قسم الله تبارك وتعالى ، وهي : أرض التين والزيتون ، وهي فلسطين التي كانت معروفة بهذا الوصف ، وهي أرض المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، في حين الأرض الثانية التي يُقسم بها هي أرض طور سيناء ، أرض موسى بن عمران عليه السلام ، أمَّا الأرض الثالثة فهي أرض مكَّة ، البلد الأمين .. واللافت في هذا العنوان الثلاثي أنّه جاء تماماً على نفس المقصد الذي ورد في الكتاب المقدَّس حيث أكَّد على هذا الثلاثي المبارك ، فقد جاء في سفر التثنية النص التالي :

[.. جاء الربُّ من سيناء ، [مصر أرض موسى بن عمران] ،
وأشرق عليهم من سعير [فلسطين أرض عيسى المسيح] ،
وتلألأ من جبال فاران [مكَّة أرض نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله] ،
حيث خرج وسط عشرة آلاف قدّيس ،
تشعّ لهم من يمينه أنوار الشريعة ..
إنّه يحبُّ أيضاً جميع الشعوب ،
جميع هؤلاء القدّيسين هم في يدك ،
وهم جالسون عند قدميك يتلقّون أقوالك ..][1] .

إنَّ هذا النص موجودٌ بكامله ودقّته وبشكله الحالي من دون أيِّ تغيير في نسخة الملك جيمس الإنكليزيّة المعتمدة وشديدة الإعتبار . فهو

---

[1] سفر التثنية ٣٣: ٢-٣

يقرِّر نبوات ثلاث : نبوَّة موسى ونبوّة عيسى ونبوَّة محمّد ﷺ . ومعلوم انّ تسمية سيناء وسعير وفاران كانت لفظاً اعتياديّاً للإشارة إلى مصر وفلسطين ومكَّة ، بل ورد استعمالها بشكلٍ شديد الوضوح في الكتاب المقدّس بهذا المعنى ، وتعرَّضنا لنصوصٍ كثيرةٍ ودلالاتٍ مذهلةٍ وردت في الكتاب المقدَّس بكتابنا المعروف : [التوراة والإنجيل والقرآن] .

وعلى كلِّ حال : أمرُ النبوَّةِ والأوصياء أمرٌ مشهورٌ معروفٌ ليس على لسان الرواة والصحابة والنبي والأئمّة ، وعلماء المسلمين ، بل في كُتُب السابقين مثل اليهود والنصارى ، وهذا أمر شاع وذاع وخَبرَهُ الناسُ في أزمانِهم المختلفة . وهذا ما قرّرهُ النبيُّ ﷺ في إجابتِهِ لجندب . وهو كما ترى : عنوان عظيم جدير بالإلتفات والقراءة والملاحظة ، لما يعنيه ويشيرُ إليهِ ليس في ذيل النصِّ بل في تكريس المفهوم القرآني الذي تلاهُ النبيُّ ﷺ كدليلٍ مخزونٍ عليه وعمق قراءني يشمله .

الاعتقاد بالمهدي ﷺ من الايمان بالغيب الوارد في القرآن

الشهود يعني : ما تطَّلع عليه بإحدى الحواس مباشرةً ، والغيب يعني ما غاب عن الحسِّ ، حتى وإنْ أمكن التحسُّس به بعد زمن . أيضاً يُطلق على الغيب غير المشهود المباشر ، حتى وإنْ لم يمكن مباشرةُ رؤيته لاستحالة ذلك . لأنَّ الوجود أعم من الموجود الحسِّي . وقد ورد في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣/٦﴾ . وعن إيمان المؤمنين بالغيب قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣/٢﴾ والآخرةُ من الغيب حتى وإنْ أمكن تحسُّسُها بعد عبور الموت نحو ذلك العالم العظيم ، لكنَّه غيبٌ عن الحسِّ الحالي يحتاجُ إلى دليل ، وضمانة كاشفة ، فكان أن بيَّن اللهُ الدليل وقرنه بالحجّة والضمانة . وعليه : الإيمان بالآخرة غيبٌ ، لأنّه إيمان بأمرٍ غير محسوس بشكلٍ مباشر . وكذا موضوع الإمام المهدي عليه السلام ، فقد بشَّر النبيُّ صلى الله عليه وآله به ، وأخبر أمّته ، وأمرهم بإخبار الأجيال ونشر خبره بالأوطان لما يعنيه زمنُ المهدي عليه السلام من عظمةٍ ومجدٍ ومفصلٍ هائل .

ومفردات الغيب كثيرة ، وفيما رواه عمار عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الواحدة في حديث طويل بيَّنَ فيه مناقب نفسه القدسيَّة ، وجاء فيه

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، فقال عليه السلام : [الغيب : يومُ الرجعة ، ويومُ القيامة ويومُ القائم عليه السلام ، وهي أيَّامُ آل محمد عليهم السلام . . وإليها الاشارة بقوله : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ ﴾ ، فالرجعة لهم ، ويوم القيامة لهم ، وحكمُهُ إليهم ، ومعوَّل المؤمنين فيه عليهم][1] .

يريد الإمام عليه السلام أن يشير إلى انَّ موضوع المهدي عليه السلام من الغيب الذي ضمَّنَهُ اللهُ قرآنَهُ المجيد واحتجَّ به على الخلق ، فهو من مضمون القرآن ومُرادِه ، ومن دلالاتِه واحتجاجاتِه . وقد ذاع وشاع خبرُ المهدي عليه السلام من وُلد الرسول عبر عليٍّ وفاطمة من وُلد الحسين الذي يخرج في آخر الزمان ، حتى تواتر خبرهُ بين المسلمين والأصحاب والرواة جميعاً .

وفي رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ﴿ ألم ﴾ وكُلُّ حرفٍ في القرآن مقطعة ، من حروف اسم الله الأعظم الذي يؤلّفه الرسولُ والامامُ فيدعو به فيجاب . قال : قلت قوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ ؟ فقال عليه السلام : الكتاب أمير المؤمنين [القرآن الناطق] لا شك فيه ، إنه إمامُ هدىً للمتقين ، فالآيتان لشيعتنا ، هم المتَّقُون الذين يؤمنون بالغيب ، وهو البعث والنشور وقيام القائم والرجعة . ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ؟ قال عليه السلام : ممَّا علمناهم من القرآن يتلون][2] .

وكان الخوارج قد احتّجوا بأنّ جماعة معاوية رفعوا القرآن في صفّين ؟ فقال الإمام علي عليه السلام : إنّها كلمةُ حقٍّ يُرادُ بها باطل . هذا القرآن

---

[1] إبراهيم - ٥ . ١٤٤٠ - المصادر : * : كتاب الواحدة : على ما في مشارق أنوار اليقين . مشارق أنوار اليقين : صـ ١٥٩ -

[2] القمي : على ما في تأويل الآيات . * : تأويل الآيات : جـ ١ صـ ٣١ حـ ١ -

الصامت وأنا القرآن الناطق . أي أنا الدليلُ على ما فيه ، أنا الحجّةُ في بيان مضامينه وحدودها وحقائقها . أنا الراسخ في العلم الذي له تأويل القرآن . وهذا معنى قول النبيِّ المشهور والمتفق عليهِ بين علماء المسلمين جميعاً : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها . وقوله ﷺ : إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ، كتابَ الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض . وهو نفس معنى قول النبي ﷺ : أهلُ بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومَن تخلّف عنها غرق وهوى . وكذا قوله ﷺ لعمَّار : يا عمَّار ، إذا سلك الناسُ وادياً وسلك عليٌّ وادياً ، فاتَّبِع عليّاً ، فإنّه مع الحق يدور معه كيفما دار . وكذا قوله ﷺ لعليٍّ : أنت قسيم الجنّة والنار . وكثير كثير من النصوص المعتبرة جدّاً الواردة في مضامين أنَّ علياً هو الراسخ في العلم والقيِّم في معرفة القرآن ومؤوِّله ، وانّه باب مدينة علم الرسول ، وهو باب حطّة .. وما إلى ذلك من نصوص .

ثمَّ يشيرُ الإمام أبو جعفر عليه السلام في ذيل النص عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ انَّ من الغيب : البعث والنشور وقيام القائم عليه السلام والرجعة .. وعليه : صفة هؤلاءِ المؤمنين أنَّهم يؤمنون بالغيب الذي منهم ظهور قائم آل محمَّد المهدي عليه السلام من وُلدِ الرسول ، عبر عليٍّ وفاطمة ، من وُلد الحسين عبر الإمام العسكري عليه السلام . وهذا أمر شديد الوضوح على لسان الرواة من كافّة المشارب ، وهو بديهي جداً وأمر اتفاقي كرَّره النبيُّ ﷺ في كثيرٍ من المقامات والمواقف مبشِّراً المسلمين وأهل الدنيا بأمر المهدي عليه السلام .

ولقد تكاثر هذا التفسير على لسان الأئمّة عليهم السلام ، وكان من البديهيَّات ، أي انّ أمرَ المهدي عليه السلام من الغيب الذي لا بدَّ من الإيمان بهِ ، فهو

مضمون القرآن وتمامُ حجّة الله والأمر الذي لا بدَّ من تحقُّقه في آخر الزمان . فقد روى يحيى بن أبي القاسم قال : سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ ألم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [المتَّقون : شيعةُ عليٍّ عليه السلام . والغيب : هو الحجَّة الغائب][1] . موردُ الشيعة هنا جاء كسياقٍ تطبيقي للدلالة على أنّهم أهل الحق . أمَّا المهديُّ عليه السلام ؟ فهو المصداق العظيم من مصاديق الغيب الذي لا بدَّ من الإيمان به ، والذي سيتحقّق في آخر الزمن . وقد أشار العلامة المجلسي إلى كلامٍ للشيخ الصدوق هنا قال : وشاهدُ ذلك قول الله عزوجل : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ؟ فَقُلْ : إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ ، فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ .

وفي رواية داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام - في قول الله عزوجل - : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [مَن أقرَّ بقيام القائم عليه السلام أنه حق][2] . أي الإيمانُ بالغيبِ إيمانٌ بما أخبرَ اللهُ ورسولُهُ به أنّه واقع ، كالقيامة ويوم القائم عليه السلام والرجعة وغيرها . وهذه مفردات متعدِّدة شديدة الوضوح بلسان النصوص . وشديدة الشياع بلسان الأصحاب والرواة والناس في كلِّ زمنٍ من طبقات الفقهاء والعلماء . وقد اتّفق المسلمونَ جميعاً - سنَّة وشيعة - باختلاف مشاربهم ومللهم على أنَّ المهديَّ القائم عليه السلام من الغيب الذي لا بدَّ أن يقع ، وهو الحجّة الثاني عشر ، يكون من آل محمّد ، يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٤٠ بـ ٣٣ حـ ٢٠ -

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٤٠ بـ ٣٣ حـ ١٩ -

الإمام المهدي (عليه السلام) يفتح بلاد الروم ويقيم العدل آخر الزمان
(نموذج قرآني)

تنوَّعت الآياتُ القرآنيَّة التي تشيرُ إلى أمر المهدي والحوادث والتواريخ الضخمة التي تصحب حضوره المبارك ، منها ما رواه الطبري عن ثنا أسباط ، عن السدي في قوله تعالى : ﴿ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ ؟ قال : أما خزيُهُم في الدنيا : [إذا قام المهديُّ وفتحت القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي][1] . ففي هذا النص يشيرُ بلغة الكناية والتقريب إلى انّ مهديَّ آل محمَّد (عليه السلام) الذي يخرجُ في آخر الزمان يصطدم بالروم ، دولة أو جبهة غربيَّة مسيحيّة ، فيقاتلهم إلى ان ينتصر عليهم ويدخل عاصمة القرار فاتحاً .

وقد أشرنا فيما سبق إلى طوائف واسعة تتحدَّث عن ملاحم تقع آخر الزمان ، وتقف فيها الروم - وهي جهة مسيحيَّة غربية _ موقفَ المناوئ لجبهة المهدي (عليه السلام) وتقع بينهم معارك تنتهي بانتصار الإمام المهدي (عليه السلام) وإعلان كل بقاع الروم تحت نفوذ وإمرة دولةِ الإمام المهدي (عليه السلام) التي تقود العالم في آخر الزمان على هدي القرآن ومواثيق الشريعة الضامنة للعنوان التكاملي في رحلة البشر الدنيويّة .

---

[1] تفسير الطبري : ج ١ صـ ٣٩٩ -

بل في بعض الطوائف الأخرى تجد تركيزاً على الأئمَّة عليهم السلام كولاة للأمر منصوبين من قبل الرب ، وأنَّ المهدي عليه السلام يُشكِّل المفصل الكبير في تجسيد وعد الله وإقامة أمره في دولة القرآن ونشر الإسلام . ففي الإحتجاج رَوَى مرسلاً إلى أن قال : جاء بعضُ الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له : [. . لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلتُ في دينكم . فأجابه عليه السلام بحديثٍ طويلٍ عظيمٍ ذكر فيه الائمةَ أولي الامر عليهم السلام - إلى أن قال السائل - : ما ذاك الامر ؟ قال علي عليه السلام : الذي تنزَّلُ به الملائكة في الليلة التي يُفْرَقُ فيها كلُّ أمر حكيم : من خلق ، ورزق ، وأجل ، وعمل ، وعمر ، وحياة ، وموت ، وعلم غيب السماوات والارض ، والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفيائه والسفرة بينه وبين خلقه . وهم وجهُ الله الذي قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ ، هم بقيَّةُ الله . يعني المهدي عليه السلام يأتي عند انقضاء هذه النظرة ، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً ، بعدما مُلِئَت ظلماً وجوراً][1] .

أي انَّ المهدي عليه السلام يُشكِّلُ قطباً ضخماً وصانعاً للتاريخ بشكلٍ عملاق في الحقبة الأخيرة من الزمن الذي يعيشه البشر ، دون تحديد لمدّة هذه الحقبة طولاً واستغراقاً . وانّه الثاني عشر من وُلاة الأمر ، والحجّة الباقية ، والإمام مفترض الطاعة ، والوعد الذي لا بدَّ أن يظهر ، والحتم الذي لا بدَّ أن يظهر ، والقائم الذي يُقيم القسط والعدل ويقود الأمّة البشريّة بدولةٍ واحدةٍ تضمن عالميَّة الأمة تحت لواء المواثيق التي ارتضاها اللهُ للبشر في واجب سلوكِهم واعتقادهم ومسيرتِهم التكامليّة .

---

[1] الاحتجاج : ج ١ صـ ٢٤٠ - ٢٥٢ -

المهدي عليه السلام من كلمات الله تعالى
(نموذج قرآني)

تشيرُ طائفة من التفسيرات القرآنيَّة إلى أنَّ المهدي عليه السلام كما أهلُ البيت عليهم السلام هو من كلماتُ الله عزَّ وجلَّ ، وأنَّ مجموع آيات تجري بحقِّ المهدي عليه السلام في مضمونها ومعانيها وعمقِ دلالاتها ، وهذا نمطٌ يؤكِّد دلالة اللفظ بشكلٍ يختزن مجموع معاني بعضُها لا يعرف حقيقتها إلا النبيُّ أو الوليُّ ، وأولئك هم أولوا الأمر الراسخون في العالم الذين حصر اللهُ فيهم بيان ما يحتاجُ إلى تأويل . وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِه ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴿٧/٣﴾ ولا يشكّ أحدٌ من المسلمين بمدى العظمة التي أولاها اللهُ تعالى لأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ، وانّهم سفينة النجاة ، وقرينُ القرآن والحجّة البالغة وأهل البيان والتفسير ، وإليهم يُردُّ التأويل ، ومنهم حصراً يُؤخذ معنى الآيات المتشابهات . وأنّهم عليهم السلام هم الذين يُحدِّدُون المعنى المصداقي أو المعنى الكلِّي للآية في كلِّ ما ليس للعباد أو الفقهاء أو الرواة معرفةُ خُصوصِه أو مقصوده حيث حصرَ اللهُ بهم تأويل الآيات وإجراء المعاني المقصودة في علم الله تعالى . وهذا ما

نجدهُ في تفسير الآيات أو بيان بعض معانيها في موضوع الإمام المهدي عليه السلام .

فقد روى المفضل بن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ما هذه الكلمات ؟ فقال عليه السلام : [هي الكلمات التي تلقَّاها آدمُ من ربِّه فتاب اللهُ عليه][1] . وقد ورد في طائفة من النصوص أنَّ آدم دعا بأهل البيت عليهم السلام . دعا بمحمَّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .. وأوصياءُ النبي إثنا عشر : أوَّلهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم المهدي عليه السلام . والتفسير من المعصوم عليه السلام يؤكِّد انَّ أمر المهدي عليه السلام معلومٌ مشهورٌ ما قبل بعثة نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله ، كما هي مشهورةٌ بعثة نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله على لسان النبيين والمرسلين . وأن الأئمة أوصياءُهُ وحججُ اللهِ البالغة .

وفي رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألتُهُ عن تفسير هذه الآية من قول الله : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ : مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ؟ قَالُواْ : نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ ، إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [جرت في القائم عليه السلام][2] .

أي أنَّ يعقوب عليه السلام أوصى أولاده حين الموت بعبادة الله تعالى الملك الجبار القهَّار الخالق البارئ الحي الذي لا يموت ، كما أوصاهم بالإيمان بالأنبياء والرسل القادمين وأوصياءهم الذين منهم ومن أبرزهم أهل البيت عليهم السلام ، بل أخذ منهم العهد أيضاً بموضوع المهدي عليه السلام من وُلدِ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٥٨ ب ٣٣ ح ٥٧ –

[2] العياشي : ج ١ صـ ٦١ ح ١٠٢ –

نبينا محمّد ﷺ ، وبشّرهم بما يقع على يدهِ في آخر الزمن من توطئة الأرض وإعلان دولة الإسلام وانقياد الأمم تحت رايتِه وعظيمِ أهدافِه . هذا مضمون انّ هذهِ الآية جرت في القائم المهدي عليه السلام . وفي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

[لا يزال الناسُ ينقصونَ حتى لا يُقَال « الله » ، فإذا كان ذلك ضرب يعسوبُ الدِّين بذنبه ، فيبعث اللهُ قوماً من أطرافها ، يجيئون قزعاً كقزع الخريف . واللهِ إنِّي لَأعرفهم وأعرفُ أسمائهم وقبائلهم واسم أميرهم ، وهم قومٌ يحملهم اللهُ كيف شاء ، من القبيلة الرجل والرجلين - حتى بلغ تسعة - فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر ، وهو قول الله : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، حتى أنَّ الرجل لَيَحتَبِي فلا يحلّ حبوته حتى يبلغه الله ذلك][1] .

النص يؤكّد تمام المفروغيَّة من أمر الغيب الذي لا بدَّ منه ، أي ظهور المهدي عليه السلام ، وانّه أمرٌ محتومٌ بالغٌ واقعٍ لا بدّ من ذلك ، وانَّ من معاني قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ما يجري آنذاك عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام حيث يخرج معه ٣١٣ من خواصه ، يكونون في الأرض منتشرين فيأتِ اللهُ بهم ، والإشارة في هذهِ الآية إلى ما يجري في ذلك الزمان تأكيدٌ على عظمة هذا الحادث وذلك الزمن بما يعنيه شأنُ المهدي عليه السلام الذي يقود أعظم حركة تغييريّة ، ذات إصلاح متعاظم تتجلّى في النهاية بإرساء حكومة الله على الأرض وقيادة الناس تحت لواء الإسلام وضمن مواثيقه . وفي رواية أبي خالد الكابلي ، عن علي بن الحسين - أو

---

[1] الفضل بن شاذان : كما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٨٤ -

عن محمد بن علي - عليه السلام - أنه قال : [ألفُقَداءُ قومٌ يُفقَدُون من فرشهم فيصبحون بمكة . وهو قول الله عزوجل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ وهم أصحاب القائم عليه السلام][1] .

تكريساً لهذا المضمون ، وتأكيداً على الأمر الجليل الذي تتناولهُ هذهِ الآية فيما تتناول من عناوين ومصاديق ومفردات تجري مجرى الليل والنهار وتدور مدار الشمس والقمر . بتعبير آخر : الآية تتناول محطَّة مضمونيّة ذات اثر بالغ ومقصد جليل في آخر الزمان ، تتجلَّى بجمع أصحابِ المهدي عليه السلام إليه في لحظة تعتبر من أهم مفردات صناعة التاريخ الجديد آنذاك .. جعلنا اللهُ من المساهمين في توطئة أحداثها . وقد رواها أيضاً أبو خالد الكابلي ، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال : [المفقودون عن فُرُشِهِم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، عدّة أهل بدر ، فيصبحون بمكة ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ، وهم أصحاب القائم عليه السلام][2] .

إشارة قرآنيَّة لمظهر ذلك اليوم المشهود والحدث العظيم في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأرض وانحراف البشر . ليبدأ المهديُّ عليه السلام صناعةَ التاريخِ وقيادةَ الأمم على نحوٍ مِن وفرةٍ في التكامل ، وجدوى في السير ، وتماميَّة في الآمال والأعمال .

---

[1] النعماني : ج ٣١٣ ب ٢٠ ح ٤ -

[2] كمال الدين : ج ١ ص ٦٥٤ ب ٥٧ ح ٢١ -

أصحاب المهدي وجملة من أحداث وأخبار ظهوره ﷺ
(نموذج قرآني)

كان أهلُ البيتِ ﷺ - على عادتهم - يتعرَّضون لمضامين القرآن ، ثمَّ يُشيرون في كثيرٍ من المقامات إلى بعض مضامينها الواردة في أحداث الظهور المبارك ، ثمَّ يُعرِّجون إلى بيان بعض التفاصيل التي تحدث في ذلك الزمن التاريخي التحوُّلي الضخم . ففي رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر ﷺ - في حديثٍ حول القرآن وخبر المهدي ﷺ - قال :

[.. إلزم الارضَ ، لا تحرِّكَنَّ يدك ولا رجلك أبداً ، حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة (ستة) . وترى منادياً ينادي بدمشق ، وخسف بقرية من قراها ، ويسقط طائفة من مسجدها .

فإذا رأيتَ الترك جازوها فأقبلت التركُ حتى نزلت الجزيرة ،

وأقبلت الرومُ حتى نزلت الرملة (فلسطين) ، وهي سنةُ اختلافٍ في كلِّ أرضٍ من أرضِ العرب .

وإنَّ أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : الاصهب والابقع والسفياني ، مع بني ذنب الحمار مضر ، ومع

السفياني أخوالُه مِن كلب ، فيظهر السفياني ومَن معه على بني ذنب الحمار ، حتى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيئ قط ،

ويحضر رجلٌ بدمشق فيقتل هو ومَن معه قتلاً لم يقتله شيئ قط ، وهو من بني ذنب الحمار ، وهي الآية التي يقول الله : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ،

ويظهر السفياني ومَن معه حتى لا يكون له همَّة إلا آل محمد ﷺ وشيعتهم ، فيبعث بعثاً إلى الكوفة ، فيصاب بأناس مِن شيعة آل محمد بالكوفة قتلاً وصلباً ، وتقبل رايةٌ مِن خراسان حتى تنزل ساحل الدجلة . يخرج رجلٌ مِن الموالي ضعيف ومن تبعه فيصاب بظهر الكوفة .

ويبعث [السفياني] بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي والمنصور منها ، ويُؤخذ آلُ محمَّد صغيرُهُم وكبيرُهُم لا يُترَكُ منهم أحدٌ إلا حُبِس .

ويخرج الجيشُ في طلب الرجلينِ ، ويخرج المهديُّ عليه السلام منها على سُنَّةِ موسى عليه السلام خائفاً يترقَّب حتى يقدم مكة . وتقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات (الهلال) خُسِفَ بهم فلا يفلَتُ منهم إلا مُخبِر ،

فيقوم القائم عليه السلام بين الركن والمقام ، فيصلي وينصرف ومعه وزيرُهُ ، فيقول :

يا أيها الناس إنَّا نستنصِرُ اللهَ على مَن ظلمنا وسلب حقَّنَا . مَن يحاجَّنا في الله فأنا أولى بالله . ومَن يحاجَّنَا في آدم عليه السلام فأنا أولى الناس بآدم . ومَن حاجَّنا في نوح عليه السلام فأنا أولى الناس بنوح .

ومَن حاجَّنا في إبراهيم ﷺ فأنا أولى الناس بإبراهيم . ومَن حاجَّنا بمحمَّد ﷺ فأنا أولى الناس بمحمَّد ﷺ . ومَن حاجَّنَا في النبيين ﷺ فنحن أولى الناس بالنبيين . ومَن حاجَّنَا في كتاب الله فنحنُ أولى الناسِ بكتاب الله . إنَّا نشهد وكلّ مسلم اليوم أنَّا قد ظُلمنَا وطُردنَا وبُغِي علينا وأُخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقُهرنَا . ألَا إنَّا نستنصر اللهَ اليوم وكلُّ مسلم .

ويجيئُ واللهِ ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسونَ امرأة ، يجتمعون بمكَّة على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف ، يتبعُ بعضهُم بعضاً ، وهي الآية التي قال الله : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ..

ثم يخرج ﷺ من مكَّة هو ومَن معه الثلثمائة وبضعة عشر ، يُبايعونه بين الركن والمقام ، ومعه عهدُ نبيِّ اللهِ ﷺ ورايتُهُ وسلاحُهُ ووزيره معه ، فينادي المنادي بمكَّة باسمه وأمره من السماء ، حتى يسمعه أهل الارض كلهم . إسمُهُ إسمُ نبي (محمّد) . ما أشكل عليكم فلم يُشكِل عليكم عهدُ نبيِّ اللهِ ﷺ ورايتُهُ وسلاحُهُ والنَّفسُ الزكيَّة من وُلدِ الحسين ،

فإنْ أشكل عليكم هذا ، فلا يشكل عليكم الصوتُ من السماء باسمهِ وأمره . وإيَّاكَ وشذاذاً من آل محمد ﷺ ، فإنَّ لآل محمَّد وعلي راية ولغيرهم رايات ،

فالزم الارضَ ولا تتَّبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من وُلدِ الحسين ﷺ ، معه عهدُ نبيِّ اللهِ ورايتُهُ وسلاحُهُ ، فإنَّ عهدَ نبيِّ اللهِ ﷺ صار عند علي بن الحسين ، ثم صار عند محمد بن علي ، ويفعل اللهُ ما يشاء . فالزم هؤلاء أبداً وإيَّاكَ ومن ذكرت لك ،

فإذا خرج رجلٌ منهم معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، ومعه رايةُ رسولِ الله ﷺ عامداً إلى المدينة حتى يمر بالبيداء ، حتى يقول هذا مكان القوم الذين يُخسف بهم وهي الآية التي قال الله : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ ، فإذا قدم المدينة أخرج محمد بن الشجري على سنة يوسف .

ثم يأتي الكوفة فيُطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث ، حتى يظهر عليها . ثم يسير حتى يأتي العذراء هو ومن معه وقد لحق به ناسٌ كثير والسفياني يومئذ بوادي الرملة ،

حتى إذا التقوا وهو يوم الابدال ، يخرجُ أناسٌ كانوا مع السفياني من شيعة آلِ محمَّد ﷺ ، ويخرج ناسٌ كانوا مع آلِ محمَّد ﷺ إلى السفياني ، فهُم مِن شيعته حتى يلحقوا بهم ، ويخرج كلُّ ناسٍ إلى رايتهم وهو يوم الابدال . قال أمير المؤمنين : ويُقتَلُ يومئذٍ السفياني ومَن معه حتى لا يُترَكُ منهم مُخبِر ، والخايب يومئذ مَن خاب من غنيمة كلب .

ثم يُقبِلُ عليه السلام إلى الكوفة فيكون منزلُهُ بها ، فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه ، ولا غارماً إلا قَضَى دينَهُ ، ولا مظلمة لأحد مِن الناس إلا ردَّهَا ، ولا يقتل منهم عبداً إلا أدَّى ثمنه دية مسلَّمة إلى أهلها ، ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء ، حتى يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً وعدواناً ، ويسكنه (كذا) هو وأهل بيته الرحبة (والرحبة إنما كانت

مسكن نوح وهي أرض طيبة) ، ولا يسكن رجل من آل محمد ﷺ ولا يقتل إلا بأرض طيبة زاكية فهم الاوصياء الطيبون][1] .

ففي هذهِ العناوين تؤكِّد جزءاً من خريطة بعض الأحداث التي تحصل زمن الظهور الشريف . نعم أهمية النص أنّه يقرن بعض الآيات في الإشارة إلى الحدث التاريخي الذي يتعاظم بظهور مولانا المهدي ﷺ . إذن القرآن خزَّان هذهِ المعاني ومرشدٌ إليها ، وأولو الأمر هم حصراً مفاتيحُ بيان هذهِ المعاني العميقة في مدلول آيِ القرآن الكريم .

وفي رواية عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) قال : قال أبو جعفر ﷺ - بعضه عن عبد الاعلى الحلبي - : [.. يكون لصاحبِ هذا الامر غيبةٌ في بعض هذه الشعاب ، ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى ، حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقى بعض أصحابه ، فيقول : كم أنتم ها هنا ؟ فيقولون : نحو من أربعين رجلاً ، فيقول : كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم ؟ فيقولون : واللهِ لو يأوي بنا الجبال لأويناها معه ، ثم يأتيهم من القابلة (القابل) فيقول لهم : أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخياركم عشيرة ، فيشيرون له إليهم ، فينطلق بهم حتى يأتون (كذا) صاحبهم ، ويعدهم إلى الليلة التي تليها .

ثم قال أبو جعفر : واللهِ لَكأنِّي أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر ، ثم ينشد الله حقَّهُ ثم يقول : يا أيها الناس ، مَن يحاجّني في اللهِ فأنا أولى الناس باللهِ ومَن يحاجّني في آدم ﷺ فأنا أولى الناس بآدم ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في نوح ﷺ فأنا أولى الناس بنوح ، يا أيها الناس مَن يحاجّني

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٦٤ ح ١١٧ -

في إبراهيم عليه السلام فأنا أولى بإبراهيم ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في موسى عليه السلام فأنا أولى الناس بموسى ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في عيسى عليه السلام فأنا أولى الناس بعيسى ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في محمد صلى الله عليه وآله فأنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وآله ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله . ثم ينتهي إلى المقام فيصلِّي [عنده] ركعتين ، ثم ينشد الله حقَّه . قال أبو جعفر عليه السلام : هو والله المضطرُّ في كتاب الله ، وهو قول الله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ ﴾ ، وجبرئيل عليه السلام على الميزاب في صورة طاير أبيض فيكون أوَّل خلق الله يبايعه جبرئيل ، ويبايعه الثلثمائة والبضعة عشر رجلاً . قال : قال أبو جعفر عليه السلام : فمن ابتلي في المسير وافاهُ في تلك الساعة ، ومن لم يبتل بالمسير فُقِدَ عن فراشه . ثم قال : هو والله قول علي بن أبي طالب عليه السلام : المفقودون عن فرشهم ، وهو قول الله : ﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ أصحاب القائم الثلثمائة وبضعة عشر رجلاً . قال : هم والله الامة المعدودة التي قال الله في كتابه : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ قال : يجمعون في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف . فيصبح بمكة فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيِّه صلى الله عليه وآله ، فيجيبه نفر يسير ، ويستعمل على مكة ، ثم يسير فيبلغه أن قد قُتِلَ عامله ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة لا يزيد على ذلك شيئاً ، يعني السبي ، ثم ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله ، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، والبرائة من عدوِّه ، ولا يسمي أحداً ، حتى ينتهي إلى البيداء ، فيخرج إليه جيش السفياني فيأمر اللهُ الارضَ فيأخذهم من تحت أقدامهم ، وهو قول الله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ يعني

بقائم آل محمد ، ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ﴾ يعني بقائم آل محمد - إلى آخر السورة - ولا يبقى منهم إلا رجلان يُقال لهما وتر ووتير مِن مراد ، وجوههما في أقفيتهما يمشيانِ القهقرى ، يخبرانِ الناسَ بما فُعِلَ بأصحابهما ، ثم يدخل المدينة فتغيب عنهم عند ذلك قريش ، وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام : واللهِ لودَّت قريش أنَّ عندها موقفاً واحداً جزر جزور بكلِّ ما ملكت وكلّ ما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ثم يحدث حدثاً فإذا هو فعل ذلك ، قالت قريش : اخرجوا بنا إلى هذه الطاغية ، فواللهِ إن لو كان محمديَّاً ما فعل ، ولو كان علويَّاً ما فعل ، ولو كان فاطميَّاً ما فعل ، فيمنحه اللهُ أكتافهم ، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية ، ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة فيبلغه أنهم قد قتَلُوا عامله فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلةً ليس قتل الحرة إليها بشيئ . ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنَّة نبيه والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من عدوه . حتى إذا بلغ إلى الثعلبية قام إليه رجلٌ مِن صلب أبيه وهو من أشد الناس ببدنه وأشجعهم بقلبه ، ما خلا صاحب هذا الامر ، فيقول : يا هذا ما تصنع ؟ فواللهِ إنَّك لَتُجفِلُ الناسَ إجفالَ النعم ، أفبعهد مِن رسول الله صلى الله عليه وآله أم بماذا ؟ فيقول المولى الذي ولي البيعة : والله لتسكُتنَّ أو لأضربنَّ الذي فيه عيناك ، فيقول له القائم عليه السلام : أسكت يا فلان ، إي واللهِ إنَّ معي عهداً مِن رسول الله صلى الله عليه وآله ، هات لي يا فلان العيبة أو الطيبة أو الزنفليجة ، فيأتيه بها فيقرأه العهدَ مِن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فيقول : جعلني اللهُ فداك أعطني رأسك أقبله ، فيعطيه رأسه فيقبّله بين عينيه ثم يقول جعلني الله فداك جدِّد لنا بيعة ، فيجدِّد لهم بيعة .

قال أبو جعفر عليه السلام : لكأنِّي أنظُر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد ، جبرئيل عن يمينه

وميكائيل عن يساره ، يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً ، أمدَّهُ الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين حتى إذا صعد النجف ، قال لأصحابه : تعبَّدُوا ليلتكم هذه ، فيبيتون بين راكع وساجد يتضرَّعُون إلى الله ، حتى إذا أصبح ، قال : خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة جندٌ مجنَّد . قلت : جندٌ مجنَّد ؟ قال عليه السلام : إي واللهِ حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة ، فيصلِّي فيه ركعتين ، فيخرج إليه مَن كان بالكوفة مِن مرجئها وغيرهم من جيش السفياني ، فيقول لأصحابه : استطردوا لهم ثم يقول كرُّوا عليهم .

قال أبو جعفر عليه السلام : ولا يجوز واللهِ الخندق منهم مُخبِرٌ ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمنٌ إلا كان فيها أو حنَّ إليها وهو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام . ثم يقول لأصحابه سيروا إلى هذه الطاغية ، فيدعوهُ إلى كتاب الله وسنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وآله ، فيعطيه السفياني مِن البيعة سلماً فيقول له كلب : وهم أخواله [ما] هذا ..! ما صنعت ..! واللهِ ما نبايعك على هذا أبداً ، فيقول : ما أصنع ؟ فيقولون : استقبله (أي انكث البيعة) فيستقبله ، ثم يقول له القائم عليه السلام : خذ حذرك ، فإنني أدَّيت إليك وأنا مقاتلك ، فيصبح فيقاتلهم فيمنحه اللهُ أكتافهم . ويأخذ السفياني أسيراً ، فينطلق به ويذبحه ،

ثم يرسل جريدةَ خيلٍ إلى الروم فيستحضرون بقية بني أمية ، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا : أخرجوا إلينا أهل ملَّتنا عندكم ، فيأبون ويقولون واللهِ لا نفعل ، فيقول الجريدة : واللهِ لو أُمرنا لقاتلناكم ، ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه فيقول : انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم ، فإنَّ هؤلاء قد أتوا بسلطان [عظيم] وهو قول الله : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ، لَا تَرْكُضُوا ، وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تُسْأَلُونَ ﴾ قال : يعني الكنوز التي كنتم تكنزون ، ﴿ قَالُوا : يَا وَيْلَنَا ، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ لا يبقى منهم مُخبِرٌ ،

ثم يرجع عليه السلام إلى الكوفة فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها ، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم ، فلا يتعايون في قضاء ، ولا تبقى أرض إلا نُوديَ فيها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله ، وهو قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ، ولا يقبل صاحب هذا الامر الجزية كما قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قول الله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ .

قال أبو جعفر عليه السلام : يقاتلون والله حتى يُوحَّدَ اللهُ ولا يُشرَكُ به شيئاً . وحتى تخرج العجوزُ الضعيفة من المشرق تريدُ المغرب ولا ينهاها أحدٌ . ويُخرِجُ اللهُ من الارض بذرها ، ويُنزِلُ من السماء قطرها . ويُخرِجُ الناسُ خراجهم على رقابهم إلى المهدي عليه السلام . ويوسِّعُ اللهُ على شيعتنا ولولاه ما يدركهم (ينجز لهم) من السعادة لبغوا ، فبينا صاحب هذا الامر قد حكم ببعض الاحكام وتكلَّم ببعض السنن ، إذ خرجت خارجةٌ من المسجد يريدون الخروج عليه . فيقول لأصحابه : انطلقوا فتلحقوا بهم في التمارين فيأتونه بهم أسرى ليأمر بهم فيذبحون وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمد صلى الله عليه وآله][1] .

بصورةٍ ملحوظة تشيرُ هذه الشهادة إلى نوعٍ من الترابط بين الدليل القرآني والمخزون المضموني بخصوص الظهور المبارك للمهدي عليه السلام وما

---

[1] وفي : ص ١٤٠ ح ٨ -العياشي : ج ٢ ص ٥٦ ح ٤٩ -

يعني من أحداث . على انّ بعض لفظها يبدو انّه خُلِطَ فيه بين قول المعصوم عليه السلام والراوي . من هنا عرضتُهَا من باب : ما ثبت في غيرها هو ثابتٌ فيها باعتبار تأكيد المُعتَبر له . نعم طابع التلازُم والتركيز على المضمون القرآني في موضوع الظهور وقيام صاحب الأمر من الأمور شديدة الشياع والذياع في النصِّ والتراث التام .

وفي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام قوله عزوجل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ، إنهم لَيُفتقدونَ عن فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة ، وبعضهم يسير في السحاب ، يُعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه . قال ، قلت : جعلت فداك أيُّهم أعظم إيماناً ؟ قال : الذي يسير في السحاب نهاراً][1] ..

فيها تأكيد على المغزى القرآني والصلة الضروريّة بينها وبين قيام القائم وتحقُّق الأحداث الضخام . ومنها بطبيعة الحال حدث ألـ : ٣١٣ من أصحابِه الذين يشكّلون هيكل القيادة تحت إمرة المهدي عليه السلام ويجوبون الأرض في ظل احتدام للصراع واختلاف في الأمم وتناوب جماعات من القوى التي تشكِّل ميزان القوى آنذاك لمحاولة القضاء على جبهة المهدي عليه السلام ، إلى أن يُتِمَّ اللهُ نورَهُ ولو كره الكافرون .

وكذا ورد هذا المضمون في رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ قال عليه السلام : [نزلت في

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٦٧٢ بـ ٥٨ حـ ٢٤ –

القائم عليه السلام وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد][1] . إشارة إلى تلك المحطّة الفاصلة في لحظةٍ ما من تاريخ التحوُّلات التي يطال أثرها نواحي العالم بنماذج ومُدد مختلفة .

وفي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [إذا أُوذِنَ الامامُ عليه السلام دعا اللهَ باسمه العبراني الاكبر فانتحيت له أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر قزعاً كقزع الخريف وهم أصحاب الولاية ، ومنهم مَن يُفتَقَدُ من فراشه ليلاً فيصبح بمكة ، ومنهم مَن يُرى يسير في السحاب نهاراً يُعرف باسمه واسم أبيه وحسبه ونسبه ، قلت : جعلت فداك أيُّهُم أعظم إيماناً ؟ قال عليه السلام : الذي يسيرُ في السحاب نهاراً وهم المفقودون ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾][2] .

أهميّة هذا التكاثر في هذه الآيات المُفَسَّرة على لسان المعصوم تعني تأكيداً رفيعاً على تعميق الصلة بين النصِّ القرآني والحدث التاريخي الأعظم في تلك الفترة من الزمن والذي يتجلّى بالظهور المبارك .

إنَّ لهذا التكاثر في النص دلالةً بالغة على التوثيق العالي لهذا الحدث التاريخي الكبير . وقد رُوي عن طبقاتٍ مختلفة ، وعن رواةٍ مختلفين ، وعن أئمّة مختلفين أيضاً ، تأكيداً في الوثوق والوقوع . ففي رواية عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، عدَّة أهل بدر ، فيُصبِحُون بمكَّة ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ أَيْنَ

---

[1] النعماني : صـ ٢٤١ بـ ١٣ حـ ٣٧

[2] العياشي : جـ ١ صـ ٦٧ حـ ١١٨ –

مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ وهم أصحاب القائم (عليه السلام)][1] . واللافت انَّ الإمام (عليه السلام) كان يُركِّز على موضوع المهدي (عليه السلام) الذي كان لم يُولد بعد . فكان سبباً لأن تنهال الأسئلة عن المهدي (عليه السلام) .؟ عن ظروف ظهورهِ .؟ عن دولتهِ .؟ عن اصحابهِ .؟ عن صفة العالم آنذاك .؟ عن الملاحم والفتن وشبه ذلك ..؟

على انَّ أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يرتكزون في البيان على شيئين : القرآن والسنّة . وهذا أعظم ارتكاز . ففي تلك الجلسة بين الإمام الصادق (عليه السلام) وأصحابه كان يذكُر المهديَّ (عليه السلام) ، مُرَكِّزاً على أنَّ امرهُ (عليه السلام) شديد الوضوح والحتم والسطوع في الكتاب والسنّة . وفي رواية أبي بصير سأل الإمام الصادق (عليه السلام) قائلاً : جُعلت فداك ، هل كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعلم أصحاب القائم (عليه السلام) كما كان يعلم عدّتهم ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : حدثني أبي قال : [واللهِ لقد كان يعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم رجلاً فرجلاً ، ومواضع منازلهم ومراتبهم . فكلَّمَا عرفه أميرُ المؤمنين عرفَهُ الحسن (عليه السلام) ، وكلَّمَا عرفَهُ الحسن (عليه السلام) فقد صار علمه إلى الحسين ، وكلَّما عرفه الحسينُ فقد عرفه علي بن الحسين ، وكلما علمه علي بن الحسين (عليه السلام) فقد صار علمه إلى محمد بن علي ، وكلما قد علمه محمد بن علي (عليه السلام) فقد علمه وعرفه صاحبكم - يعني نفسه - . قال أبو بصير : مكتوبٌ ؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : مكتوب في كتاب ، محفوظٌ في القلب ، مثبَّت في الذكر لا يُنسَى . قلت : جُعِلتُ فداك ، أخبرني بعددهِم وبلدانهم ومواضعهم فذاك يقتضي مِن أسمائهم ؟

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : صـ ١٥٨ حـ ٣١

فقال عليه السلام : إذا كان يوم الجمعة بعد الصلاة فأتني . قال : فلما كان يوم الجمعة أتيته . فقال : يا أبا بصير ، أتيتنا لِمَا سألتنا عنه ؟ قلت : نعم جُعِلتُ فداك . قال : إنك لا تحفظ ، فأين صاحبُكَ الذي يكتب لك . فقلت : أظن شغله شاغلٌ وكرهت أن أتأخَّر عن وقت حاجتي . فقال لرجل في مجلسه : أكتب له : هذا ما أملاهُ رسولُ اللهِ على أمير المؤمنين عليه السلام وأودعه إيَّاهُ ، مِن تسمية أصحابِ المهديِّ عليه السلام وعدَّة مَن يوافيه مِن المفقودين عن فرشهم وقبائلهم ، والسائرين في ليلهم ونهارهم إلى مكة . وذلك عند استماع الصوتِ في السنة التي يظهر فيها أمرُ اللهِ عزوجل ، وهم النجباء والقضاةُ والحكَّامُ على الناس : من طاربند الشرقي رجلٌ ، وهو المرابط السياح ، ومن الصامغان رجلانِ ، ومن أهل فرغانة رجل ، ومن أهل البريد رجلان ، ومن الديلم أربعة رجال ، ومن مرو الروذ رجلان ، ومن مرو إثنا عشر رجلاً ، ومن بيروت تسعةُ رجال ، ومن طوس خمسةُ رجال ، ومن القريات رجلان ، ومن سجستان ثلاثة رجال ، ومن الطالقان أربعة وعشرون رجلاً ، ومِن الجبل الغرر ثمانية رجال ، ومن نيسابور ثمانية عشر رجلاً ، ومن هراة اثنا عشر رجلاً ، ومن وشيج أربعة رجال ، ومن الري سبعة رجال ، ومن طبرستان تسعة رجال ، ومِن « قُم » ثمانية عشر رجلاً ، ومِن قرمس رجلانِ ، ومن جرجان اثنا عشر رجلاً ، ومن الرقّة ثلاثة رجال ، ومِن الرافقة رجلان ، ومن حلب ثلاثة رجال ، ومن سلمية خمسة رجال ، ومن طبرية رجل ، ومن بافاد رجل ، ومن بلبيس رجل ، ومن دمياط رجل ، ومن أسوان رجل ، ومن الفسطاط أربعة رجال ، ومن القيروان رجلان ، ومن كُوَر كرمان ثلاثة رجال ، ومن قزوين رجلان ، ومن همدان أربعة رجال ، ومن جوقان رجل ، ومن البدو رجل ، ومن خلاط رجل ، ومن جابروان ثلاثة رجال ، ومن النسوي رجل ، ومن سنجار أربعة

رجال ، ومن طالقان رجل ، ومن سيمسياط رجل ، ومن نصِّيبين رجل ومن حرّان رجل ، ومن باغه رجل ، ومن قابس رجل ، ومن صنعاء رجلان ، ومن قارب رجل ، ومن طرابلس رجلان ، ومن القلزم رجلان ، ومن العبثة رجل ، ومن وادي القرى رجل ، ومن خيبر رجل ، ومن بدا رجل ، ومن الحار رجل ، ومن الكوفة أربعة عشر رجلاً ، ومن المدينة رجلان ، ومن الري رجل ، ومن الحيوان رجل ، ومن كوثا رجل ، ومن طهر رجل ، ومن بيرم رجل ، ومن الاهواز رجلان ، ومن الاصطخر رجلان ، ومن الموليان رجلان ، ومن الدبيلة رجل ، ومن صيدائيل رجل ، ومن المدائن ثمانية رجال ، ومن عكبرا رجل ، ومن حلوان رجلان ، ومن البصرة ثلاثة رجال ، وأصحاب الكهف وهم سبعة ، والتاجران الخارجان من عانة إلى أنطاكية وغلامهما وهم ثلاثة نفر ، والمستأمنون إلى الروم من المسلمين وهم أحد عشر رجلاً ، والنازلان بسرانديب رجلان ، ومن سمند أربعة رجال ، والمفقود من مركبه بسلاهط رجل ، ومن شيراز أو قال سيراف الشك من مسعدة رجل ، والهاربان إلى السروانية من الشعب رجلان ، والمتخلي بصقيلية رجل ، والطواف الطالب الحق من يخشب رجل ، والهارب من عشيرته رجل ، والمحتج بالكتاب على الناصب من سرخس رجل .

فذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، بعدد أهل البدر ، يجمعهم اللهُ إلى مكة في ليلة واحدة ، وهي ليلة الجمعة ، فيتوافون في صبيحتها إلى المسجد الحرام ، لا يتخلَّف منهم رجلٌ واحد ، وينتشرون بمكة في أزقَّتِهَا يلتمسون منازل يسكنونها ، فينكرهم أهلُ مكة ، وذلك أنهم لم يعلموا برفقةٍ دخلت من بلدٍ مِن البلدان لِحجٍّ أو عمرة ولا تجارة ، فيقول بعضهم لبعضٍ : إنَّا لَنَرى في يومنا هذا قوماً لم نكن رأيناهم قبل يومنا هذا ، وليس مِن بلدٍ واحدٍ ولا

أهلِ بدو ، ولا معهم إبل ولا دواب . فبينما هم كذلك وقد ارتابوا بهم ، قد أقبل رجلٌ مِن بني مخزوم يتخطَّى رقابَ الناس حتى يأتي رئيسهم فيقول : لقد رأيتُ ليلتي هذه رؤياً عجيبةً ، وإني منها خائف وقلبي منها وَجِلٌ . فيقول له : أقصص رؤياك . فيقول : رأيتُ كبة نار انقضَّت من عنان السماء ، فلم تزل تهوي حتى انحطَّت على الكعبة فدارت فيها . فإذا هي جراد ذوات خطر كالملاحف ، فأطافت بالكعبة ما شاء الله ، ثم تطايرت شرقاً وغرباً لا تمرُّ ببلد إلا أحرقته ، ولا بحضرٍ إلا حطمته . فاستيقظتُ وأنا مذعور القلب وَجِل . فيقولون : لقد رأيت هؤلاءِ فانطلق بنا إلى الاقرع ليعبِّرها وهو رجلٌ مِن ثقيف ، فقصَّ عليه الرؤيا ، فيقول الاقرع : لقد رأيتَ عجباً ، ولقد طرقكم في ليلتكم جندٌ من جنودِ الله لا قوَّة لكم بهم . فيقولون : لقد رأينا في يومنا هذا عجباً ، ويحدِّثونَهُ بأمر القومِ ثم ينهضون مِن عنده ويهمُّون بالوثوب عليهم ، وقد ملأ اللهُ قلوبهم منهم رعباً وخوفاً .

فيقول بعضهم لبعض وهم يتآمرون بذلك : يا قوم ، لا تعجلوا على القومِ . إنهم لم يأتوكم بعدُ بمُنكَرٍ ، ولا أظهروا خلافاً ، ولعلَّ الرجلَ منهم يكون في القبيلة مِن قبائلكم ، فإنْ بدا لكم منهم شرٌّ فأنتم حينئذ وهُم . وأما القوم فإنَّا نراهم مُتَنَسِّكين وسيماهم حسنة ، وهم في حرمِ اللهِ تعالى الذي لا يُبَاحُ مَن دخله حتى يُحدِثَ به حدثاً تجبُ محاربتهم . فيقول المخزومي – وهو رئيس القوم وعميدهم – : إنَّا لا نأمنُ أن يكون وراءهم مادّة لهم ، فإذا التأمت إليهم كُشِفَ أمرُهُم ، وعظم شأنهم ، فنهضتموهم وهم في قلَّة من العدد وغرّة في البلد ، قبل أن تأتيهم المادة . فإنَّ هؤلاء لم يأتوكم مكَّة إلا وسيكون لهم شأن . وما أحسب تأويل رؤيا صاحبكم إلا حقَّاً ، فخلُّوا لهم بلدكم وأجيلوا الرأي والامر ممكن .

فيقول قائلهم : إن كان مَن يأتيهم أمثالهم فلا خوف عليكم منهم ، فإنه لا سلاح للقومِ ولا كراع ولا حصنَ يلجأون إليه ، وهم غرباء محتوون . فإنْ أتى جيشٌ لهم ونهضتم إلى هؤلاء ، وهؤلاء ، وكانوا كشربةِ الظمآن . فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه حتى يَحجُزَ الليلُ بين الناس ، ثم يضرب اللهُ على آذانهم وعيونهم بالنوم ، فلا يجتمعون بعد فراقِهم إلى أن يقوم القائمُ عليه السلام . وإنَّ أصحاب القائم عليه السلام يلقى بعضُهُم بعضاً كأنهم يقولون وإن افترقوا عشاء والتقوا غدوة . وذلك تأويل هذه الآية : ﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ ، أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ،

قال أبو بصير : قلت : جُعِلتُ فداك ، ليس على الارض يومئذ مؤمنٌ غيرهم ؟ قال عليه السلام : بلى . ولكن هذه التي يُخرِجُ اللهُ فيها القائم عليه السلام . وهم النجباءُ والقضاة والحُكَّامُ والفقهاءُ في الدِّين ، يمسح اللهُ بطونهم وظهورهم فلا يشتبه عليهم حكم][1] .

لا شكَّ أنَّ هذه المقطوعة من النصِّ تشرح لنا جزءاً من الوصف الظرفي في مكَّة ، كما تشيرُ إلى بعض الظرف الخاص في تفسير أمن هذه الجماعة التي تشكِّل هيكل القيادة في الصفِّ الثاني بعد الإمام المهدي عليه السلام في دولة الإمام . لا شكّ انّ هذا النصَّ غنيٌّ بالإشارات والتوصيف والتركيز على بعض المناحي والمعاني الناطقة بالظرف الهش والإنقسام السياسي بل الأمني الذي يكون في الحجاز على اثر موت خليفة أو صراع أهلي هناك يؤدِّي إلى اختلاف الجماعة على الحكم . بل فيها إشارة إلى خوف من تسلُّل الخارج ، وكأنَّ البلاد مفتوحة على تدخُّلات خارجيَّة ذات اثر بالغ بما يجري

---

[1] كتاب يعقوب بن نعيم : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : دلائل الامامة : صـ ٣٠٧ –

في المنطقة والأقاليم المتنوّعة من تلك البقاع . على انَّ طبيعة دخولِ هؤلاءِ العدَّة واختلاف مناطقهم والإضطراب السياسي الأمني والتوجُّس القائم في الحجاز يدفع إلى الإرباك من هؤلاءِ ، لكنَّ تلك الجماعة تبقى بحمى اللهِ تعالى .

نعم يبدو انّهم يشكّلون مادّة أكثر من اجتماع ذات صفة خاصّة يُراد منه عكس التوجُّس الذي خلَّفوه في صدورٍ فريقٍ ما من تلك الجماعة الحجازيَّة . إلى ان يحجز بينهم وبينهم الليل ويطرأ من الأحداث والظروف الشاغلة ما يمنع طرح موضوعهم على بساط المناقشة وطاولة القرارات . فبينما هم كذلك وإذا بالمهدي عليه السلام قد خرج ، وهؤلاءِ الثلّة الذين بعدد بدر قربه صلى الله عليه وآله . جعلنا الله من أنصارِهِ وأعوانِهِ والذابِّين عنه والمستشهدين بين يديه ..

نستفيد من هذا النص بعض الظرف الأمني حتى ساعة الظهور الشريف والإعلان المبارك . واللافت في النصّين السابقين احتجاج مولانا المهدي بطريقةٍ عظيمة .

ثمَّ هذهِ النصوص شكَّلت عمق الأصل القرآني والأساس الإرتكازي لبيانِها على لسان المعصوم عليه السلام . وهذا بطبيعة الحال ممَّا اختزن القرآنُ من دلالاتٍ لا تنقضي إلى آخر الزمان . أهميَّة هذهِ النصوص وتركيزها يكمن في الإشارة إلى اللحظة الأهم على الإطلاق في ذلك الزمن . وهي ساعة الإعلان عن ظهور المهدي عليه السلام . فتَجَمُّعُ هؤلاءِ في مكَّة ما هو إلا مقدّمة سريعة لإعلان الظهور الأعظم في تلك الحقبة من زمن بني الإنسان . وفي مرسل أبي سمينة ، عن مولى لأبي الحسن قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن

قوله : ﴿ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ؟ قال عليه السلام : [.. وذلك والله أن لو قد قام قائمنا عليه السلام يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان][1] .. إذن هذه الكثرة من النصوص ومن أئمة متنوِّعين يُراد منها لفتُ النظر إلى المخزون القرآني للدلالة على العمق العظيم فيها ، والتنبيه إلى اللحظة الأكثر تعاظماً في ذلك الزمن ، ألَا وهي لحظة الإعلان عن ظهور مولانا القائم محمّد بن الحسن ، المهدي عجل الله فرجه الشريف .

بل في نموذج من النصوص يسأل بعضهم الإمام إن كان هو القائم عليه السلام .؟ يريدُ من ذلك معرفة متى تقوم دولة آل محمّد التي اشتهر في لسان الرواة أنّها قائمة لا بدَّ من ذلك . فيلفت الإمام نظرهُ : أنَّ الأمر موكولٌ إلى الإمام الأخير ، الإمام الثاني عشر ، المهدي عليه السلام الذي يُقيم أمر الله وينشر دولتَه في الآفاق ويقود الأمة العالميَّة بمواثيق الإسلام . ففي رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام :

إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الارضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً . فقال عليه السلام : يا أبا القاسم : ما منَّا إلا وهو قائم بأمر الله عزوجل ، وهادٍ إلى دينِ الله ، ولكن القائم الذي يُطهِّر اللهُ عزَّوجل به الارضَ من أهل الكفر والجحود ، ويملأها عدلاً وقسطاً ، هو الذي تخفَى على الناسِ ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ، ويحرم عليهم تسميته ، وهو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الذي تُطوَى له الارض ، ويذل له كلُّ صعب ، [و] يجتمعُ إليه من أصحابه عدَّة أهل بدر : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الارض ، وذلك قول الله عزوجل : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٦٦ ح ١١٧ .

بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ، إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الاخلاص أظهر اللهُ أمره ، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزوجل ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزوجل . قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيِّدي ، وكيف يعلم أن الله عزوجل قد رضي ؟ قال عليه السلام : يلقي في قلبه الرحمة ..][1] .

هذا نوع تأكيدي مضاف إلى نصوصٍ كثيرة وردت على لسان أهلِ البيت عليهم السلام من أنَّ دولتهم تكون في آخر الزمان ، أعني بذلك الدولة التي تقود الأرض وتحكم الدنيا وتملأ الكون البشري عدلاً وقسطاً وأماناً ورحمة ، وتسير بالبشر نحو كمالاتها الممكنة . وأنَّ هذا الأمر من الحقِّ اليقين الذي اختزنته الآيات ، ونطقت بهِ معانيها ، وهو حتمُ الحتمِ الذي لا بدَّ من وقوعه . أي هو ممَّا تجري فيه الآيات ممَّا سيقع . ففي رواية عبد الله بن العباس في قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَمَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ قال عليه السلام : [قيام القائم عليه السلام][2] . ومثله أيضاً - في قول الله تعالى - : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا ﴾ ؟ قال عليه السلام : [أصحاب القائم عليه السلام يجمعهم اللهُ في يوم واحد][3] .

أي هذا من الأمر الذي تضمَّنَهُ القرآن وجرى فيه مدلولهُ واختزن معانيه . وهو من الأمر الواقع الذي لا بدَّ من ذلك . بل في بعض الآيات يسألُ الراوي أو الصحابي أو التابعُ الإمامَ عليه السلام عن آيةٍ ما ، فيجيبه الإمامُ عليه السلام بما تجري فيهِ من آخر الزمان ، تركيزاً منه عليه السلام على إشاعة هذا

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٧٧ ب ٣٦ حـ ٢ -

[2] غيبة الطوسي : صـ ١١٠ -

[3] غيبة الطوسي : صـ ١١٠ -

الأمر وتثبيتِه في الصدور ، وتعظيمِ أمر الله على نحوٍ ممَّا خـزَّنَ اللهُ قرآنـه . ففي رواية الثمالي قال : سـألت أبـا جعفـر عليه السلام عـن قـول الله : ﴿ وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [ذلك جوعٌ خاص وجوعٌ عام . فأمَّا بالشام فإنَّهُ عام . وأما الخاص بالكوفـة ، يخـصُّ ولا يعـم ، ولكنَّـهُ يخـصُّ بالكوفة أعداء آل محمد عليه الصلاة والسـلام فـيهلكهم اللهُ بـالجوع . وأمَّـا الخوفُ فإنه عام بالشام ، وذاك الخوف إذا قـام القـائم عليه السلام ، وأمَّـا الجـوع فقبـل قيـام القـائم عليه السلام وذلـك قولـه : ﴿ وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ بِشَـيْءٍ مِّـنَ الْخَـوفْ وَالْجُوعِ ﴾][1] ..

وكما ترى : يخاطبُ الإمام عليه السلام صحابيًّاً جليلاً مثل الثمـالي يخبـرهُ بواحدةٍ من مضامين القرآن على قاعدة ممّا سيقع في آخر الـزمن . فيشـير إلى نوعٍ تلحظُهُ الآية في الخوف والجوع ، تركيـزاً منـه عليه السلام علـى موضـوع المهديِّ عليه السلام قبل الظهورِ وبعده . وفي نصٍّ أكثر إيضاحاً للظرف فـي إتمـام المعنى من هذه الجهة ، وتثبيتاً لمخزون الآية من جهةٍ أخرى قال محمد بـن مسلم : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

[إنَّ قدام القائم علامات تكون من الله عزَّوجلَّ للمؤمنين ، قلـت : مـا هي ، جعلني الله فداك ؟ قال عليه السلام : ذلـك قـول الله عزوجـل : ﴿ وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ – يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام – بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ، قال عليه السلام : يبلـوهم بشـيئ مـن الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم ، والجـوع بغـلاء أسـعارهم . ونقص من الاموال . قال عليه السلام : كساد التجارات وقلـة الفضـل . ونقـص مـن

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٦٨ ح ١٢٥ –

الانفس ؟ قال عليه السلام : موتٌ ذريع . ونقص من الثمرات ؟ قال عليه السلام : قلّة ريع ما يزرع . وبشِّر الصابرين : عند ذلك بتعجيلِ خروج القائم عليه السلام . ثم قال لي : يا محمَّد هنا تأويلُهُ . إنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾][1] ..

ففي هذهِ الآية يشيرُ الإمام الصادق عليه السلام بعد أبيه الإمام الباقر عليه السلام إلى مضامين إيضاحيَّة للمخزون القرآني أو ما تجري به الآية في الدلالة التي لا يعلم تأويلها إلا اللهُ والراسخون في العلم . وهذا الأمر أبرَزَهُ المعصومُ في كثيرٍ من المقامات والإجابات ، وعلى لسان ودواوين رواة كُثُر ، ففي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [لا بد أن يكون قدَّام القائم سنة يجوعُ فيها الناس ويصيبهم خوفٌ شديد من القتل ، ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، فإنَّ ذلك في كتاب الله لَبَيِّنٌ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾][2] . في هذهِ الآيات يُظهرُ الإمامُ عليه السلام نوعاً من مخزونها وما تجري فيهِ ممَّا سيقع في آخر الزمان ، وما يطرأ في أدق ظرف من تلك الفترة ومعالم تلك الحقبة . حتى الشهادات الواردة في هذهِ المضامين جاءت لتُؤكِّد على هذا الطابع من الترابط الكبير بين النصِّ القرآني وما يجري فيهِ بخصوص مولانا صاحب الزمان عليه السلام . ففي رواية مقتضب الأثر قال بسنده : حدَّثني الزبير بن بكار قال : حدَّثني عتيق بن يعقوب قال : حدثني عبد الله بن ربيعة رجلٌ من أهل مكة ، قال : قال لي أبي : إنِّي مُحدِّثُك الحديثَ فاحفظه عنِّي واكتمه عليَّ ما دمتُ حيَّاً أو يأذنَ اللهُ فيه بما يشاء . ثم

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٦٤٩ بـ ٥٧ حـ ٣ –

[2] النعماني : صـ ٢٥٠ – ٢٥١ بـ ١٤ حـ ٦ –

قال : كنتُ مع مَن عمل مع ابن الزبير في الكعبة ، حدَّثني أنَّ ابن الزبير أمرَ العُمَّال أن يبلغوا في الارض . قال : فبلغنا صخراً أمثال الابل ، فوجدتُ على بعض تلك الصخور كتاباً موضوعاً ، فتناولته وسترتُ أمره . فلمَّا صرتُ إلى منزلي تأمّلتُهُ فرأيتُ كتاباً لا أدري من أيِّ شيئ هو ؟ ولا أدري الذي كُتِبَ به ما هو ؟ إلا أنه ينطوي كما ينطوي الكُتُب فقرأت فيه . . في حديث طويل في فضلِ النبيِّ ﷺ والائمة عليهم السلام جاء فيه :

[. . ثم المنتظرُ عليه السلام بعدَهُ ، اسمُهُ اسمُ النبيِّ ﷺ ، يأمرُ بالعدل ويفعله ، وينهى عن المنكر ويجتنبه ، يكشفُ اللهُ بِهِ الظُّلمَ ، ويجلو بِهِ الشكَّ والعمى ، يرعى الذئبُ في أيَّامِهِ مع الغنم ، ويرضى عنه ساكنُ السماء والطيرِ في الجوِّ والحيتان في البحار . يا له مِن عبدٍ ما أكرمَهُ على الله ، طُوبى لِمَن أطاعه ، وويلٌ لِمَن عصاه . طوبى لِمَن قاتل بين يديه فقُتِلَ أو قُتِل . ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ، وأولئك هم المفلحون ، وأولئك هم الفائزون][1] ..

بحيث يبدو من ذيلِهِ ترداد بعض مضامين القرآن الكريم . وهذا ما كُنَّا نشيرُ إليه من انَّ القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بل في مدرسة غيرهم يختزنُ عمقاً واضحاً حول مولانا المهدي عليه السلام وانّه ممَّا دلَّت عليه الآيات . ثمَّ في غيره تؤكِّد الآيات القرآنيَّة على بعض المحطّات التي تشير إلى مفاصل تاريخيَّة في عالم الظهور وتحوُّلاته ، فقد روى جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ، وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ قال عليه السلام : [ينزلُ (أي المهدي عليه السلام) في سبع قباب مِن نور ، لا

---

[1] مقتضب الاثر : صـ ١١ - ١٢ -

يُعلَمُ في أيِّها هو ، حين ينزل في ظهر الكوفة ، فهذا حين ينزل عليه السلام][1] .. وفي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : [إنه (أي المهدي عليه السلام) نازلٌ في قبابٍ من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق . فهذا حين ينزل . وأما : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ ؟ ، فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر][2] ..

النص صريح في الإشارة إلى التحوُّل الكبير الذي يتمُّ في دخول المهدي عليه السلام إلى العراق . وهذا يعني انتهاءه عليه السلام من مرحلة التأسيس لمرحلة الفتوحات التي يتمُّها اللهُ على يده ، كما يضمر النصُّ إشارة إلى بعض الإحتياط الأمني الذي يتّخذه عليه السلام ، هذا ما يُستفاد من تعبير : لا يُدرى في أيِّها هو ، أي لا يُدرى المهدي عليه السلام في أيِّ قبَّة – طائرة أو شبيهة بها أو غير ذلك – . أمَّا العناوين الأخرى ؟ ففيها لفتةٌ إلى أمورٍ تجري وتفاصيل تحدث تكون من توابع أصل هذا الحدث التاريخي الكبير .

ثم في بعض الآيات القرآنيَّة يكشفُ المعصومُ عليه السلام – وهو المُخَوَّل بيان ما لا يمكنُ بيانُهُ إلا عن طريق الراسخين في العلم ، أي أهل بيت العصمة – يكشف عن خزائن عظيمة في الدلالة المضمومة فيه . وهي لسان واضح يجري فيما أردهُ اللهُ تعالى ، سواء ممَّا وقع أو سيقع . فيشير إلى دلالاتٍ وأحداثٍ ضخام ، ينطق بها القرآن ويضمّنها آياتِهِ . ففي رواية إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : – في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن يبلغ نحو ١٢٨ صفحة روى فيه عن الامام الصادق عليه السلام مجموعة أسئلة لأمير المؤمنين عليه السلام عن

---

[1] العياشي : ج ١ ص ١٠٢ ح ٣٠١ –

[2] العياشي : ج ١ ص ١٠٣ ح ٣٠٣ –

آيات القرآن وأحكامه ، جاء فيه - : [.. وأما الردُّ على مَن أنكر الرجعة ؟ فقول الله عزوجل : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ، أي إلى الدنيا . وأما معنى حشر الآخرة فقوله عزوجل : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ في الرجعة . فأمَّا في القيامة فهم يرجعون . ومثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ وهذا لا يكون إلا في الرجعة . ومثله ما خاطب اللهُ به الائمة ، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ ، وهذا إنَّما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا . ومثل قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ، أي رجعة الدنيا . ومثله قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ : مُوتُواْ ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ ، وقوله عزوجل : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾ فردهم اللهُ تعالى بعد الموت إلى الدنيا وشربوا ونكحوا . ومثله خبر العزير][1] ..

وكما ترى : هذا من باب بيان دلالات القرآن الكريم على قضايا شديدة السطوع ، لا بدَّ فيها من الوقوع ، مثل قضيَّة ظهور القائم ، والرجعة ،

---

[1] تفسير النعماني : على ما في المحكم والمتشابه . * : المحكم والمتشابه : ص ٣ والمتن في ص ٥٧ -

والبعث وغيره .. وهذا كلُّهُ من الغيب الذي تحدَّثنا عنه والذي تضمَّنه القرآن في الإشارة بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ .. وقد مرَّ عليك تفسير ذلك وتدوينُهُ في كُتُب الفريقين . ويبدو من بعض التفسيرات انّه يجري في أصحاب المهدي عليه السلام بعض ما جرى مع أصحاب النبيين أو بعضهم من قبل . وكنَّا قد أشرنا إلى فصلٍ متنوِّعٍ في مثل هذا المجال ، وهنا أعرضُ لذيلٍ تفسيري يناسب موضوع الإشارات القرآنيّة . ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إنَّ أصحاب طالوت ابتلوا بالنهر الذي قال الله تعالى : ﴿ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ ، وإنَّ أصحاب القائم عليه السلام يبتلون بمثل ذلك][1] ..

وفي مرسل حماد بن عثمان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [لا يخرج القائم عليه السلام في أقل من الفئة ولا تكون الفئة أقل من عشرة آلاف][2] .

فلسان النص الأول - بموضوع النهر - اختباري يختزن قضيّة طالوت وما يقع في زمن المهدي عليه السلام . ولسان النص الثاني يشيرُ إلى تشكيلات الإمام المهدي عليه السلام وما تعنيه قوّة الظهورِ وتحقيق النصر أيضاً . بل في بعضِها يؤكّد المعصوم عليه السلام أنَّ قيام القائم وأمره وإن طال لا بدَّ أن يقع . حيث يعتمد على عنوان تشبيهي من القرآن ليعبر منه إلى تأكيد أمر الله الذي وعد انّه حتمٌ لا بدّ أن يقع . ففي رواية أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : [مَثَلُ أمرنا في كتاب الله مثل (النبي عزير) صاحب الحمار أماته الله مائة عام ثم بعثه][3] . بمعنى انّ أمر المهدي عليه السلام حتمٌ يقيني لا بدَّ أنه واقع .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ٢١٦ بـ ٢١ حـ ١٣ -

[2] العياشي : جـ ١ صـ ١٣٤ حـ ٤٤٤ -

[3] غيبة الطوسي : صـ ٢٦٠ -

وفي مضمونٍ آخر كأنّه يشير إلى انّ أمر المهدي وظهوره بعد طولِ غيبته عليه السلام شبيه بأمر النبي عزير عليه السلام من جهة يأس أغلب الناس منه . فإذا به يتحقَّق ويقع . أي لا بدّ من وقوعه وهذا من الأمر المحتوم اللازم . أيضاً روى علي بن خطاب عن مؤذن مسجد الاحمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام : هل في كتاب الله مَثَلٌ للقائم عليه السلام ؟ فقال عليه السلام : [نعم آية (عزير) صاحب الحمار ، أماته الله مئة عام ثم بعثه][1] . أي انّ المهدي عليه السلام يبعثه اللهُ من غيبتِه بعد طول مدَّة يغلبُ فيها على الناس اليأس . تشبيه النصِّ وارد لبيان هذهِ الجهة ، أي الغيبة لا الموت ومن دون تحديد مدَّة أيضاً . فعزير مات . في حين الإمام المهدي عليه السلام غائب حي . ولسان النصِّ يشير إلى انّ المهدي عليه السلام يظهر بعد طولِ غيبةٍ ويأسٍ يلفُّ الناس . وهذا وَرَدَ في نصوصٍ كثيرة معتبرة جداً ، لكنَّ وُرُدَهُ هنا بهذا الكيف التقريبي جاء لبيان جهة اليأس ثم التحقُّق ، أي ليشير إلى ظهور مولانا المهدي عليه السلام الذي هو حيٌّ يُرزق بعد طولِ يأس يصيب الناس .

وهناك المزيد من التفسيرات الواردة عن لسان أهلِ البيت عليهم السلام التي أشارت إلى المخزون القرآني ممَّا يجري فيه القرآن ويدلُّ عليه . ففي رواية أبي بصير سأله عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ما عنى بذلك ؟ فقال عليه السلام : [معرفةُ الامام واجتناب الكبائر . ومَن مات وليس في رقبته بيعةٌ لإمام ماتَ ميتةً جاهليةً . ولا يُعذَرُ الناسُ حتى يَعرِفُوا إمامهم . فمَن مات وهو عارفٌ بالامامة لم يضرُّهُ تقدّم هذا الامر أو تأخر ، فكان كمن هو مع القائم عليه السلام في فسطاطه . قال : ثم مكث هنيئة ثم قال : لا بل كمَن قاتل معه . ثم قال : لا بل – واللهِ – كمَن استشهد مع رسول

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢٦٠ –

الله ﷺ][1] . إشارة تامَّة إلى ضرورة وجود الإمام في كلِّ زمان دون إبطاء ، وواجب معرفة الإمام والبيعة له واعتناق أمره . وهذا أمر شديد الوضوح في التراث والسنة . وحديث : من مات ولم يعرف إمام زمانِه مات ميتةً جاهليّة . حديث مشهورٌ متفقٌ عليهِ بين علماء المسلمين جميعاً ، وعليه قامت احتجاجاتُهُم وأدلّتهم في قضايا كثيرة . وهي واردةٌ حصراً في الأئمّة الإثنى عشر . أو كما في النصوص الكثيرة شديدة الإعتبار عند كافّة علماء المسلمين : إثنا عشر أمير كلّهم من قريش . وفي لفظ كثير : مِن بني هاشم .

وفي رواية يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني ابن زيد يقول في قوله - ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ - : [قد كلَّمهم عيسى في المهد وسيكلمهم إذا قَتَلَ الدجَّال وهو يومئذ كهل][2] . أيضاً هذا النصّ من التراث التفسيري ، وهو ناظر إلى موضوع قتل الدجَّال ونزول المسيح عليه السلام ، وكلاهما من وقعات زمن المهدي عليه السلام الذي يقوم عيسى المسيح منه مقام وزير دفاع جبهتِهِ عليه السلام .

وفي رواية صفوان بن عمرو ، عن المشايخ ، عن كعب قال : - ولم يسندهُ إلى النبيِّ ﷺ - : [لمَّا رأى عيسى بن مريم عليه السلام قلَّة مَن معه ، شكى إلى الله تعالى ، فقال اللهُ : إنِّي رافعك إليَّ ومتوفيك[3] (كذا) . وليس مَن

---

[1] اعلام الدين : صـ ٤٥٩ -

[2] تفسير الطبري : جـ ٣ صـ ١٨٨ -

[3] قوله تعالى في القرآن : ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

رفعتُ عندي يموت . وإنّي باعِثُكَ على الاعور الدجّال فتقتله . ثم تعيش بعد ذلك أربعة وعشرين سنة ، ثم أتوفّاك ميتة الحق][1] . فهي ولو من باب العرض والشهادة تؤكّد الطابع الأصلي والعنوان الكلّي لنزول المسيح الذي ينزل في زمن إمامنا المهدي عليه السلام ويكون معه وزيرَ جبهتِهِ يقاتل بين يديه .

بتعبيرٍ آخر : هذهِ النصوص وتلك الشهادات تعتمد على ركن الحدث الأعظم وهو الظهور المبارك للمهدي عليه السلام قطب الأحداث وأصل تلك الفروع كلّها . والتي تبدأ في أكبر وأعظم إعلان تحوُّلي على الإطلاق يحتجُّ به المهدي عليه السلام بمقام النصب الإلهي والإستخلاف . ففي رواية عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) قال : قال أبو جعفر عليه السلام : [. . واللهِ لَكَأنّي أنظرُ إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر ، ثم ينشد الله حقَّه ثم يقول : يا أيها الناس مَن يحاجّني في الله فأنا أولى الناس بالله ، ومن يحاجّني في آدم عليه السلام فأنا أولى الناس بآدم ، يا أيها الناس من يحاجّني في نوح عليه السلام فأنا أولى الناس بنوح ، يا أيها الناس مَن يحاجّني في إبراهيم عليه السلام فأنا أولى الناس بإبراهيم ..][2] .

فهذا عنوان الوراثة المقدَّسة وتمام الإمامة الرفيعة التي تشكِّل الخلف الأكبر للنبوَّة العظمى التي ختم اللهُ بها الأنبياء عليهم السلام .

وهكذا في كثيرٍ من القضايا ربطٌ شديد بين اللفظ القرآني ومخزونه ، منها موضوع النبوَّة والإمامة ، الإمامة لما تعنيه من بابِ الله الذي منه تُؤتى النبوّة ويُعبَدُ اللهُ تعالى . وهي ميثاقٌ مأخوذٌ على النبيين من قبل بشهادة القرآن والسنّة . وفي رواية فيض بن أبي شيبة قال : سمعت أبا

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٣ –

[2] العياشي : جـ ٢ صـ ٥٦ حـ ٤٩ –

عبد الله عليه السلام يقول : وتلا هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُواْ : أَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُواْ ، وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال عليه السلام : لَتُؤمننَّ برسول الله ولَتنصرنَّ أمير المؤمنين . قلت : ولتنصرنَّ أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : نعم ، من آدم فهلمَّ جرَّاً ، ولا يبعث الله نبيَّاً ولا رسولاً إلا رُدَّ إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين][1] ..

تأكيداً صريحاً على أمر الإمامة العظيم ، خاصّةً الإمامة الوارثة للنبوَّة الخاتمة التي نصبها اللهُ تعالى لتخلف خاتم النبيين وأعظم المرسلين محمَّد صلى الله عليه وآله . ومن يقرأ كُتُب الفريقين في أمر الإمامة يذهلهُ ما يقرأ ، بل يقرأ عجباً من عظيم أمر الإمامة في القرآن والسنّة . وبطبيعة الحال من هذه الإمامة موضوع إمامنا المهدي عليه السلام الذي يقوم بأعظم دور في الحقبة الأخيرة من زمن بني البشر . فيقود العالم على هدي القرآن وعظيم مواثيق الإسلام .

---

[1] مختصر البصائر : على ما في مختصر بصائر الدرجات . * : العياشي : ج ١ صـ ١٨١ حـ ٧٦ –

مجيئ الروم إلى السواحل وخروج أهل الكهف ، ومعالم الظهور ، وأمور أخرى (نموذج قرآني)

في البيان التطبيقي والمخزون المعرفي الذي تتناولهُ آياتٌ قرآنيّة كثيرةٌ عبر مداليلها بخصوص الأحداث الكبار التي تحصل زمن الظهور المبارك ما أشار له مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام في خطبةٍ لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تسمَّى المخزون - منها - :

[. . وينادي منادٍ في شهر رمضان مِن ناحية المشرق عندما تطلع الشمسُ : يا أهل الهدى اجتمعوا . وينادي (منادٍ) مِن ناحية المغرب بعدما تغيب الشمس : يا أهل الضلالة اجتمعوا . ومن الغدّ عند الظهر تكوّر الشمس فتكون سوداء مظلمة . واليوم الثالث يفرق بين الحق والباطل بخروجِ دابَّة الارض[1] . وتُقبِلُ الرومُ إلى قريةٍ بساحلِ البحر عند كهف الفتية ، ويبعث الله الفتية من كهفهم إليهم رجل يُقال له « تمليخا » والآخر « كمسلمينا » وهما الشهداء المسلمون للقائم عليه السلام ، فيبعث أحد الفتية إلى الروم ، فيرجع بغير حاجةٍ ويبعث بالآخر ، فيرجع بالفتح ، فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا ﴾][2] ..

---

[1] واضح ان ناقل النص لم ينقله على النحو الدقيق من تعاقب الأحداث . فلاحِظ ..

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٠١ -

ففي لسان هذا النص تأكيد تطبيقي لما تشمله الآية لمجموع أحداث تحصل زمن قيام القائم عليه السلام الذي أطلقت عليهِ نصوص كثيرة انّه من الغيب الذي يعنيه قول الله تعالى ﴿ الذين يُؤمنون بالغيب ﴾ ، أمّا ما أشار له مولانا أميرُ المؤمنين عليه السلام فهل ذلك على نحو الترتيب في وقوع الأحداث أم على نحوِ البيان ؟ يبدو النص في وارد البيان ببعد النظر عن تاريخ الوقوع بالنسبة إلى بعضها البعض . نعم هي تقع زمن الظهور الشريف[1] .

موضع الشاهد انَّ النص يُحدِّثنا عن مجيئ الروم إلى سواحل منطقتنا الأوسطيّة ، وخروج أهل الكهف وإعلان طاعتِهم للمهدي عليه السلام . فضلاً عن انبعاث امبراطوريَّة إعلاميَّة غربيَّة ضخمة تعمل على محاولة إبطال مفهوم الصوت السماوي الذي ينادي به جبرائيل عليه السلام من السماء بإسم المهدي عليه السلام ، ثم يشير إلى ضميمة أحداث عظام تقع تباعاً في ظل تشابك في الفتن وإعلانات الجيوش ، ولجوء إلى أدوات الخرب والعنف عبر الروم والترك وألوية مختلفة في منطقة الشرق الأوسط ، على انّ بئرة الصراع تبدأ في هذهِ النواحي أوّلاً ، إلا انّ الرايات والألوية التي تشترك في هذا الصدام ذات تنوّع وتعدّد دولي . وبعضها يبدو انّه يكون من بين منظومة ميزان القوى الأكبر في العالم .

اللافت في أوّل النص انقسامُ العالم بين شرقٍ وغرب ، أو هو في مقام الإشارة إلى رمزٍ شرقيٍّ له أهميَّة كبرى مثل ظهور المهدي عليه السلام ، ورمزٍ غربي يُشكِّل ميزةَ قوَّةٍ ضخمة على مستوى العالم والنظام الدولي ، وهو حسب النصوص : الروم . أي الغرب المسيحي . أمَّا ذيلُ النص فهو

---

[1] احتمال كبير أنّ عدم بيان التعاقب الزمني بسبب الراوي .

يؤكّد طابع الإنتصار الضخم الذي تحققه جبهة المهدي عليه السلام على جبهة الروم ، ثم يتلو قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا ﴾ .

وفي رواية رفاعة بن موسى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا ﴾ قال : إذا قام القائم عليه السلام لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله][1] . إشارة إلى الإنتصارات الحتميّة التي تحقّقها جبهة المهدي ، والمدّ الهائل الذي يحصل ، بحيث يتمُّ على نحو سيطرة كاملة على بقاع الأرض كلّها وإعلان دولة القرآن كميثاق لقيادة البشر في طول مسيرة الوجود .

وتتضمَّن طائفة من النصوص المُفَسِّرة لهذه الآية إشارة إلى مجموع عناوين تشكِّل عناصر متنوِّعة في معادلة انتصار المهدي عليه السلام بالطوع أو الكره . ففي رواية ابن بكير قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا ﴾ ؟ قال عليه السلام : [أنزلَت في القائم عليه السلام إذا خرج باليهودِ والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردّة والكفار في شرقِ الارض وغربها فعرض عليهم الاسلامَ ، فمَن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يُؤمَرُ به المسلم ويَجبُ لله عليه . ومَن لم يُسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحَّدَ الله . قلت له : جُعلت فداك ، إنَّ الخلق أكثر من ذلك ؟ فقال : إن الله إذا أراد أمراً قلَّلَ الكثير وكثَّرَ القليل][2] . ومدلول « ضرب عنقه » شرحته طوائف

---

[1] العياشي : ج ١ صـ ١٨٣ حـ ٨١ –

[2] العياشي : ج ١ صـ ١٨٣ حـ ٨٢ –

النصوص الواردة في أكبر مصداق وهي الحرب التي يخوضها المهدي (عليه السلام) ضدَّ الأمم التي تصرُّ على توحُّشها الجبروتي وطغيانِها الهائل .

وعليه : مفادُ النص أنَّ الإمام (عليه السلام) يخرج في زمنٍ يحكمه الطواغيت من هذه الفئات وغيرها ، فإذا خرج المهدي (عليه السلام) تعلن هذهِ الأمم بأزمانٍ مختلفة حربَها على الإمام المهدي (عليه السلام) ، بل في بعض النصوص أنّها تعلن حربها بشكلٍ استباقي ، لأهدافٍ تتعلَّق بالمصالح والمرابح والفوز بالغنائم والحفاظ على استراتيجيّة التفوُّق وشبه ذلك . فلا يخشاها المهدي (عليه السلام) فيدعوها إلى الإسلام والقرآن ، فتصرُّ على تعنُّتِها ، فمن أسلم دخل في الأمان والسلام ، ومن جاهر في القتال والحرب والكفر والنفاق قاتله المهديُّ (عليه السلام) حتى يقتله . هذا مصداق ممّا ورد في النص بضرب العنق . إشارة إلى قتاله لهم وانتصارِه عليهم وإحقاق الحق وإبطال الباطل وتعظيم الشريعة . بل هذا ما أوردته النصوص بشكلٍ أكثر تفصيلاً فيما سبق .

وفي نفس تفسيرات هذهِ الآية تؤكِّد طائفة من النصوص على عامل الأمن والأمان والسلم والسلام والرحمة الكبرى التي ينالها البشر بفضل قيام القائم (عليه السلام) وتحقيقه العدل الكوني تحت ظلِّ قيمومة القرآن والعترة . ففي رواية علي بن عقبة عن أبيه قال : [إذا قام القائم (عليه السلام) حكم بالعدل ، وارتفع في أيَّامِه الجور ، وأمنت به السُّبُل ، وأخرجت الارض بركاتها ، ورُدَّ كُلُّ حقٍّ إلى أهله ، ولم يبقَ أهلُ دينٍ حتى يظهروا الاسلام ويعترفوا بالايمان . أما سمعتَ اللهَ سبحانه يقول : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وحكَم (صلى الله عليه وآله) بين الناس بحُكمِ داود (عليه السلام) وحُكْمِ محمَّد (صلى الله عليه وآله) فحينئذ تُظهِرُ الارضُ كنوزها ، وتُبدِي بركاتها ،

ولا يجد الرجلُ منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولبرِّهِ ، لشمول الغنى جميع المؤمنين ،

ثم قال عليه السلام : إنَّ دولتنا آخر الدول . ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلَّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾][1] .

قيمة هذا النص في بيانه التفصيلي لبعض العناوين التي جاء بعضُها كإجابة مضافة إلى ما سبق ، بحيث يؤكد انّ طابع ذلك الزمن تقوم فيه ملاحم وتتصادم جيوش ، فمنهم من يسلم طوعاً ، ومنهم من يعلن الحرب ويجيّش الأمم ، ويُطاحِن بقوى الموت والدمار ، ويلجأ إلى وسائل القتل والقتال لمواجهة جبهة المهدي عليه السلام الذي يبدو من النصوص أنَّ الروم وأتباعها تحاول منذ لحظة ظهور المهدي عليه السلام القضاء عليه فتفشل بإذن الله تعالى . إلى أن يُتمَّ اللهُ النصر لمولانا المهدي عليه السلام فيحكم بين الناس بالعدل الذي يدهش الأمم ، بل في طائفة من النصوص مرَّت تشير إلى انَّ المهدي عليه السلام لا يدخل بقعةً إلا دخلها الأمن والسلام والرحمة والبركات .

أمَّا ذيل النصِّ فيؤكِّد على ما تجري فيه آية ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ من مدلول . فيشير إلى انّ دولة آل محمّد عليهم السلام هي آخر الدول في عالم الإنسان ، وانّها دولة تقود الأمم على نحوٍ رفيع من كمالاتها ، وأنَّ الأرض يرثها هؤلاء الكرام على الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ فما أعظمها من نعمة ، وما أتمّها من عاقبة ..

---

[1] الارشاد : صـ ٣٦٤ –

وفي قوله تعالى : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ قال عليه السلام : [يا أبا بكر (هي) مع قائمنا أهل البيت . وأما قوله : ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ قال عليه السلام : فمَن بايعه عليه السلام ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه كان آمناً][1] .. أي هذا ممَّا تجري فيهِ معنى هذهِ الآية من مخزون مدلولها وعمق انطباقها بنص القرآن وبيان مَن هم الراسخون في العالم والمُؤتَمَنُون على بيان أغوار هذا الكتاب المبين .

أما مضمونه العام : فهو التأكيد على الأمن والأمان الذي يلازم بسط دولة الإمام القائم عليه السلام ، ثمَّ الأمن الخاص وهو الإشارة إلى بيعة مولانا المهدي عليه السلام من قبل الناس ، ما يجعلهم في ربوع الأمن والسلامة والبركة والخير والرحمة التي تنتشر وتصاحب حكم وسلطنة وإمارة المهدي عليه السلام أينما حلَّ ونزل . بل في طائفةٍ منها تأكيد على الإحاطة الربانيَّة لحفظ هذا المقام الرفيع من دولة القرآن وضرورة تنفيذهِ ليتمّ الأمن والأمان بشقّي المواثيق والتطبيق . ففي رواية ضريس بن عبد الملك ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [إنَّ الملائكة الذين نصروا محمَّداً صلى الله عليه وآله يوم بدر في الارض ما صعدوا بعد ، ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الامر ، وهم خمسة آلاف][2] .

أي انَّ هؤلاءِ مُخَوَّلون حراسة هذا العنوان الوجودي الضخم من بناء وقيام دولة الإسلام وديموتِها ، مع ما تعنيه من سلمٍ وسلامٍ وأمن ورحمةٍ وخيرات .

---

[1] علل الشرائع : صـ ٨٩ بـ ٨١ حـ ٥ –

[2] العياشي : جـ ١ صـ ١٩٧ حـ ١٣٨ –

وفي رواية زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام ، في قول الله : ﴿ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [ما زال مذ خَلَقَ اللهُ آدم : دولةٌ لله ، ودولةٌ لإبليس ، فأين دولةُ الله ؟ أما هو إلا قائم واحد][1] . يعني بذلك دولةَ المهدي عليه السلام التي من ميزتها الشهيرة انّها تشمل العالم ، وتحكم كون الإنسان ، وتقود البشر على هدي القرآن والعترة عليهم السلام . ثمَّ أهميَّة هذا النص أنَّ المعصوم عليه السلام يؤكِّد انّه من مدلولِ قول الله تعالى ، ومن مصداقِ ما يجري فيهِ بدلالةِ لفظِهِ لا بالتجوُّز والكناية . بل بصريحِ ما يمتدُّ إليهِ وينطبقُ عليهِ في أصل الشمول القرآني الحقيقي .

وعن الظرف والبيئة الدوليّة ، بما تعنيه من مواثيق ومقاصد وسلوكيَّات شديدة الإصطدام والتعارض مع فقه الوجود ومادَّة الهدى ، وما يلزم من ذلك من بلوى التمحيص والعناء يروي أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام قائلاً : كان جعفر عليه السلام يقول : [والله لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تميَّزُوا وتمحّصوا ، ثم يذهب من كلِّ عشرة شيئ ، ولا يبقى منكم إلا الاندر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾][2] .. أي أنّ ذلك العالم قبل وأثناء الملاحم يكون على نحوٍ صِدَامي مع القيم اللازمة لحفظ الشريعة وقيام مواثيق الإسلام ، بحيث تشيع المفاسد الفاحشة ، وتعمُّ بشكلٍ متعاظم معالمُ الظلام والحرام ، وتُبتدع أشياء وتُختَرعُ أمور تهتز منه نفوس الكرام ، بحيث تتضمَّن المزيد وبكثافة من قواعد وأعراف وقيم ذات ظلاميَّة حادّة بخصوص ضرورات الإنسان ومقاصد المسيرة البديَّة لغايات الكمال ،

---

[1] العياشي : ج ١ صـ ١٩٩ حـ ١٤٥ –

[2] قرب الاسناد : صـ ١٦٢ –

فيكون كل ذلك مصداقاً لتلك الآية التي تشيرُ إلى التمحيص ، الذي تنطبقُ فيهِ على أممٍ وأجيال وتجري بدلالتِها على أمّة مولانا المهدي عليه السلام وعالم ذلك اليوم إلى أن يُتمَّ اللهُ وعده بظهور القائم الذي يقيم دولة العدل والقرآن .

وفي طائفة من الآيات يشيرُ المعصومُ عليه السلام إلى عمق مداليلها في أدقِّ الأمور مثل الرجعة ، وهي أمرٌ يحدثُ إمّا في زمن مولانا المهدي عليه السلام أو بعده . ففي رواية زرارة قال : كرهتُ أن أسأل أبا جعفر عليه السلام في الرجعة ، فأقبلت بمسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي ، فقلت : جعلت فداك ، أخبرني عمَّن قُتِلَ ماتَ ؟ قال عليه السلام :

[لا ، الموتُ موتٌ ، والقتلُ قتلٌ . فقلت له : ما أحد يُقتَلُ إلا مات ؟ فقال عليه السلام : يا زرارة قول الله أصدق من قولك ، قد فرَّقَ بينهما في القرآن قال : ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ ﴾ ، ليس كما قلتَ يا زرارة ، الموتُ موتٌ والقتلُ قتلٌ . وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْه حَقًّا فِي التَّوْرَاة وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِه مِنَ اللّه ، فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِه ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ، قال : فقلتُ له : إنَّ الله يقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، أفرأيت مَن قُتِلَ لم يذق الموت ؟ فقال عليه السلام : ليس مَن قُتِلَ بالسيف كمَن مات على فراشه . إنَّ مَن قُتِلَ لا بدَّ أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت][1] . إشارة إلى الرجعة التي كان زرارة يريد أن يسألهُ عنها . أي قسمٌ من هؤلاءِ يعود إلى الدنيا في الرجعة

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ١١٢ حـ ١٣٩ –

حتى وإنْ قُتِل فيبعثُهُ الله تعالى فيُقاتل أعداء الله وينتقم منه ، من خصوص ظلمة محدّدين ، ثم لا يُقتل ، بل يموت موتاً . هذا لسانُ قولِ الإمام عليه السلام هنا . [التركيز فيها على محور الرجعة] .

وفي طائفة من أجوبة الإمام عليه السلام كان يشيرُ إلى مخزون عمق مداليل القرآن ، إلى لسان انطباقِها ، إلى ما تجري فيهِ على نحو الحقيقة في المدلول والإنطباق . ففي رواية بريد بن معاوية العجلي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ، في معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إصبروا على أداء الفرائض ، وصابروا عدوَّكم ، ورابطوا إمامكم المنتظر عليه السلام][1] .

هذه الآية من الآيات التي تشيرُ بلسان مدلولها إلى الحدث التاريخي الكبير في آخر الزمن ، وهو ظهور المهدي عليه السلام فتجري فيهِ ، فيكون من أبرز مصاديقها ، وأهم عناوينها ، وفي التفسير : رابطوا إمامكم المنتظر ، أي انتظروه وهيّئوا له ، وأقيموا أموركم على نهج الشريعة ، وكونوا مُهيَّئين لنصرتِه والتضحية والبذل بين يديه . بتعبيرٍ آخر : الإمام عليه السلام في مقام بيان أنَّ هذا مدلول الآية فيما تجري فيهِ من الزمان الذي سيقع . وهو الظهور المبارك . وهكذا ترى في كثيرٍ من موارد التفسير الوارد عن لسان الإمام عليه السلام . وهذا أمرٌ عظيمٌ في بيان العظمة التي تناولها المدلول القرآني الذي لا يموت . بل هو حيٌّ يجري يدور مدار الليل والنهار ويجري مجرى الشمس والقمر . وأمثلتُهُ التطبيقيّة كثيرة ، منها ما رواه يعقوب السراج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : تبقى الارض يوماً بغير عالِم منكم يفزعُ الناسُ إليه ؟

---

[1] النعماني : صـ ٢٧ –

فقال عليه السلام لي : [إذاً لا يُعبَدُ اللهُ يا أبا يوسف . لا تخلو الارض من عالمٍ منَّا ، ظاهر يفزعُ الناسُ إليه في حلالهم وحرامهم ، وإنَّ ذلك لَمُبيَّنٌ في كتابِ الله ، قال الله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ - على دينكم - وَصَابِرُواْ - عدوَّكُم فمن يخالفكم - وَرَابِطُواْ - إمامكم - وَاتَّقُواْ اللّهَ - فيما أمركم بِهِ وافترض عليكم][1] . لا شك انَّ هذا فيض إلهي من مخزون القرآن المجيد ودليلٌ على عمقه العميق الذي لا ينفد ، وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩/١٨﴾

وعن القرآن ومخزونه ورد في رواية الحارث الهمداني قال : [دخلت المسجدَ ، فإذا أناسٌ يخوضون في أحاديث ، فدخلت على علي عليه السلام فقلت : ألَا ترى أنَّ أناساً يخوضونَ في الاحاديث في المسجد ؟ فقال عليه السلام : قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال عليه السلام : أما إنِّي قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ستكونُ فتنٌ . قلت : وما المخرج منها ؟ قال صلى الله عليه وآله : كتابُ الله ، كتابُ الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم . هو الفصلُ ليس بالهزل ، هو الذي مَن تركه مِن جبَّارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ الله ، فهو حبلُ اللهِ المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم ينته الجنُّ إذ سمعته أن قالوا : « إنَّا سمعنا قرآناً عجباً » ، هو الذي مَن قال به صدق ، ومَن حكم به عدل ، ومَن عمل به أُجِر ، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراطٍ مستقيم][2] .

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٢١٢ ح ١٨١ -

[2] البيان في تفسير القرآن . السيد الخوئي .

ففي هذا النص تأكيدٌ هائل على العمق القرآني ، على المخزون الزاخر الذي يلفُّ مسيرة بني الإنسان ، ويشكِّل العمق الأكبر في تثبيت ضابطة الحركة الوجوديّة ، فلا ينفد مدلوله ولا يزول عمقه . وقد قال أميرُ المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن :

[.. ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبو توقُّده ، وبحراً لا يُدرَكُ قعرُهُ ، ومنهاجاً لا يضلُّ نهجه ، وشعاعاً لا يُظلِمُ ضوءُهُ ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تُهدَمُ أركانه ، وشفاءً لا تُخشَى أسقامُهُ ، وعزّاً لا تُهزَمُ أنصاره ، وحقّاً لا تُخذَلُ أعوانه ، فهو معدن الايمان وبحبوحته ، وينابيعُ العلم وبحوره ، ورياضُ العدل وغدرانه ، وأثافيُّ الاسلام وبنيانه ، وأوديةُ الحقِّ وغيطانه ، وبحرٌ لا ينزفُهُ المنتزفون ، وعيونٌ لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضلُّ نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها السائرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون ، جعله اللهُ ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوبِ الفقهاء ، ومحاج لطُرُق الصلحاء ، ودواءً ليس بعده داء ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزّاً لمَن تولّاهُ ، وسلماً لمَن دخلَهُ ، وهُدَىً لمن ائتمَّ به ، وعذراً لمَن انتحله ، وبرهاناً لمَن تكلَّم به ، وشاهداً لمَن خاصم به ، وفلجاً لمَن حاجَّ به ، وحاملاً لمَن حمله ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنّة لمن استلام ، وعلماً لمن وعى ، وحديث لمَن روى ، وحكماً لمَن قضى][1] . ففي هذا إشارة ضخمة إلى المخزون القرآني الذي لا ينضب ، والمدلول الهائل المستمر الذي يشتمل على معانٍ كثيرة ، نعم الدلالة التامة على معانيه لا يدركها إلا الأوصياءُ والأنبياء ، وهذا هو سرُّ

---

[1] م . س .

قَرنِ القرآن بأهل البيت عليهم السلام اللذين لا يفترقان عن بعضهما البعض حتى يردا الحوض . وبالتالي هم الراسخون في العالم ، وبهم مقاليد التأويل . أي تحديد المعاني التامّة لآي الذكر الحكيم .

هذا معنى انَّ القرآن لا يموت . وقد روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أنه قال عليه السلام : [علي عليه السلام الهادي . ومنَّا الهادي . فقلت : فأنت جعلت فداك الهادي ؟ قال عليه السلام : صدقت . إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت . والآية حيَّةٌ لا تموت . فلو كانت الآية إذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الآيةُ لماتَ القرآن . ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين][1] . وفي نصٍّ آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إنَّ القرآن حيٌّ لم يمُت . وإنه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما تجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا][2] .

هذا هو سرُّ القرآن . هذا دليلُ إعجازِه المذهل . هذا هو العمق الذي لا ينفد ، والبحر الذي لا يُحاطُ بهِ ، والعمق الذي لا يصله إلا الراسخون في العلم . وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ : هذه نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وآله . وقد تكون في قرابتك . فلا تكوننَّ ممَّن يقول للشيئ : إنه في شيئ واحد][3] . وفي تفسير الفرات قال عليه السلام : [ولو أنَّ الآية إذا نزلت في قومٍ ثم مات اولئك ماتت الآية لمَا بقي من القرآن شيئ . ولكن القرآن

---

[1] م . س .
[2] م . س .
[3] م . س .

يجري أوَّلُهُ على آخره ما دامت السماوات والارض . ولكل قوم آية يتلوها هم منها من خير أو شر][1] . وعليه : القرآنُ خزَّانُ العلم السماوي ، وسرٌ عظيم من أسرارِ الله تعالى ، وهو ينطبق على آخرنا كما ينطبقُ على أوَّلنا ، وفيه من الإعجاز على الآخر كما فيه من الإعجاز على الأوَّل تماماً ، لا تنقضي عجائبهُ ومعجزاتُهُ إلى يوم القيامة .

من هنا فإنَّنا نقرأ الكثير من الأحاديث المفسِّرة أو المبيِّنة لمدلول القرآن في أحداثٍ ضخام كتلك التي تقع زمن حضور مولى البشريَّة المهدي المنتظر عليه السلام . بحيث يضمِّنُ القرآنُ دلالتَهُ على أمورٍ هي من عمقِ الدّين وسرِّ الله المبين ومعانيه الناجزة وسلطانه العظيم .

بحيث ترى القرآن كلَّه عمقاً وخزَّاناً للنصوص وما ورد عن لسان النبي أو الإمام عليهما السلام . أشدِّد على انَّ أهل البيت عليهم السلام هم مفاتيح القرآنِ والأدلَّاء على معانيه العميقة . وهم المنصوبون تعييناً وتحديداً من قِبَل الله تعالى . ففي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد الله الانصاري يقول : لما أنزل الله عزوجل على نبيِّه محمَّد صلى الله عليه وآله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، قلت : يا رسول الله ، عرفنا اللهَ ورسوله ، فمَن أُولو الامر الذين قرَنَ اللهُ طاعتهم بطاعتك ؟ فقال صلى الله عليه وآله :

[هم خلفائي يا جابر ، وأئمة المسلمين (من) بعدي أولهم علي بن أبي طالب ، ثم الحسنُ والحسينُ ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر . فإذا لقيتَهُ فأقرئه مني

---

[1] م . س .

السلام . ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم سمِّيي وكنيي حجَّةُ اللهِ في أرضه وبقيته في عبادِهِ ابن الحسن بن علي ، ذاك الذي يفتحُ اللهُ - تعالى ذكرهُ - على يديه مشارقَ الارضِ ومغاربها ، ذاك الذي يغيبُ عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا مَن امتحَنَ اللهُ قلبه للايمان . قال جابر : فقلت له : يا رسول الله ، فهل يقع لشيعتِهِ الانتفاعُ به في غيبته ؟ فقال عليه السلام : إي والذي بعثني بالنبوة ، إنهم يستضيئون بنوره ، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاعِ الناس بالشمس وإنْ تجلَّلَهَا سحاب . يا جابر هذا مِن مكنونِ سرِّ اللهِ ومخزونِ علمِهِ . فاكتمه إلا عن أهله][1] ..

وكما ترى في صدر الحديث : النبيُّ عليه السلام يستدلُّ على الأئمَّة ويعدِّدُهم بما للقرآن من مخزونٍ ودلالة وعمق ، على أنّ ظاهر القرآن شديد الوضوح بأنَّ الطاعة لله تعالى وللنبيِّ عليه السلام وأُولي الأمر - وظاهر القرآن المُحْكَم حجَّة باتفاق المسلمين جميعاً - وحين سأل جابرٌ عن أُولي الأمر ؟ أجابهُ النبيُّ عليه السلام : بأنَّهم إثنا عشر ، منصوبون من الله ، هم الأولياء الأوصياء الأئمّة والخلفاء بعد النبيِّ عليه السلام ، وانَّ آخرهم المهدي له غيبة ، وهو الذي يقيم العدل الكوني ، ويقود دنيا البشر على نحوٍ مستقيمٍ من عظمة الإنتماء إلى دولة الإسلام والقرآن .

في حين المشكلة الأكبر أن تأخذ مدلول العمق القرآني ومخزون علم الله من غير الراسخين في العالم .! لأنَّ الظاهر المُحكَم للقرآن واضح

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٥٣ بـ ٢٣ حـ ٣ -

للجميع . لكنَّ مخزون دلالتهِ وأعماق بياناتهِ قرنَها اللهُ تعالى بخصوص المنصوبين من قِبَلِهِ تعالى لبيان القرآن إلى يوم الدِّين . هذا معنى قرن الله القرآن بأهل البيت . وهذا معنى قول النبي ﷺ : إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض . ثمَّ هذا معنى قولهِ تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ أولئك الذين لا تخلو الأرض منهم أبداً ، وهم المنصوبون تعييناً من قبل اللهِ تعالى ، بدءاً من الإمام علي عليه السلام ، وصولاً إلى الإمام المهدي عليه السلام ، وهم حصراً الأمراء الخلفاء الأوصياء الذين ورد النصُّ فيهم متواتراً عند الفريقين من السنّة والشيعة ، وانّهم الإثنى عشر ، وفيهم ورد قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ..

وفي النصوص التامَّة مطلقاً عند الفريقين عن النبي ﷺ : من مات ولم يعرف إمام زمانهِ مات ميتةً جاهليّة . أي لكلِّ أمَّة إمام حتى يوم القيامة . سواء كان ظاهراً أم مستوراً . وسواء كان في سدّة الحكم أم مُضطَهَداً كما جرى مع كثيرٍ من الأئمّة عليهم السلام . وفي النصوص الكثيرة : هم حججُ الله والباب الذي منه يُؤتى ، وهم الخلفاء الأوصياءُ الذين اصطفاهم اللهُ تعالى . وعليه : أيُّ تجاوزٍ لهم إلى غيرهِم يعني تركاً مدهشاً لقومٍ نصبهم اللهُ تعالى حُججَه على خلقهِ ، وأُمناءَهُ على بيانِ أسرارِ قراءنه . فمَن عدل منهم إلى غيرهِم تورَّط وارتطم .. وفي الرواية عن أبان ، عن سليم ، قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ، إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي ﷺ ثم سمعتُ منك تصديقَ ما سمعتُ منهم ، ورأيتُ في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن النبي ﷺ تُخالفُ الذي سمعتُهُ منكم ، وأنتم تزعمون أنَّ ذلك

باطل ، أفترى يكذبون على رسول الله ﷺ معتدين ، ويفسِّرون القرآن برأيهم .؟ قال : فأقبل عليّ فقال لي :

يا سليم ، قد سألتَ فافهم الجواب . إنَّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وخاصّاً وعامّاً ، ومُحكَماً ومتشابِهاً ، وحفظاً ووهماً . وقد كُذِبَ على رسولِ الله ﷺ على عهده . . إلى أن قال عليه السلام : فقلتُ له ﷺ ذاتَ يومٍ : يا نبيَّ الله ، إنَّك منذ يوم دعوتَ اللهَ لي بما دعوتَ لم أنسَ شيئاً ممَّا علَّمتني ، فلم تمليه عليَّ وتأمرني بكتابته ، أتتخوَّف عليَّ النسيان ؟ فقال ﷺ : [. . يا أخي ، لستُ أتخوَّفُ عليك النسيان ولا الجهل . وقد أخبرني اللهُ أنه قد استجابَ لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك . قلت : يا نبيَّ الله ، ومَن شركائي ؟ قال ﷺ : الذين قرنهم اللهُ بنفسه وبي معه ، الذين قال في حقهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ . قلت : يا نبي الله ومَن هم ؟ قال ﷺ : (. . .) هم الاوصياءُ ، إلى أن يَرِدُوا عليَّ حوضي ، كُلُّهم هادٍ مهتَدٍ لا يضرُّهُم كيدُ مَن كادهم ، ولا خذلان مَن خذلهم ، هم مع القرآن والقرآنُ معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم . بهم ينصرُ اللهُ أمتي وبهم يُمطَرُون ، ويُدفَعُ عنهم بمستجابِ دعوتهم . فقلت يا رسول الله سمِّهِم لي : فقال ﷺ : ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام ، ثم ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام - ثم ابن إبني هذا - ووضع يده على رأس الحسين - ثم ابنٌ له على اسمي إسمُه محمَّد ، باقر علمي وخازِنُ وحي الله . وسيُولد عليٌّ في حياتك يا أخي ، فأقرئه مني السلام . ثم أقبل على الحسين فقال ﷺ : سيولد لك محمَّد بن علي في حياتك فأقرئه منِّي السلام . ثم تكملة الاثني عشر إماماً مِن وُلدِكَ

يا أخي . فقلت يا نبيَّ اللهِ سمِّهم لي ، فسمَّاهُم لي رجلاً رجلاً منهم . واللهِ يا بني هلال (منهم) مهديُّ هذه الامة ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . واللهِ إني لأعرف جميع مَن يبايعُهُ بين الركن والمقام وأعرف أسماء الجميع وقبائلهم][1] ..

ففي هذا النص يُبَيِّنُ النبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى نصب إثني عشر وصيّاً ، أوّلُهم عليٌّ وآخر المهدي عليه السلام . ثم في ذيل النص يؤكِّد ﷺ على انَّ المهديَّ عليه السلام ثاني عشر الأئمّة . يخرجُ في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . ويلفتُ عليه السلام إلى مشهد تاريخي كبير . يؤكِّد فيه عليه السلام انّه يعرف الذين يبايعون المهدي عجل الله فرجه عند الركن والمقام ، ليشير إلى عظمة هذه البشرى وذلك النبأ وتلك اللحظات التاريخيّة الأولى من إعلان ظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه . والأهم من كلِّ ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ يقرِّرُ انَّ الله تعالى بَيَّنَ له الأئمَّة الأوصياء عليهم السلام الذين عناهم بقولِه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ ﴾ ، أي هم مدلول هذه الآية ، والمهدي الثاني عشر منهم الذي يملأ كون الإنسانِ عدلاً . وذلك بعد تجربةٍ دمويَّةٍ منحرفةٍ هائلة يقودها أهل الفساد في البلاد الواسعة قبل الظهور .

ثم لا بدَّ من التذكير بأنَّ الإثني عشر أميراً أو إماماً يدوم أمرُ حُجَّتِهم إلى قيام يوم الدِّين . فكلّما مضى إمامٌ قام آخر ، ولا تخلو أرضُ اللهِ من حجّة . هذا مضمون نصوص كثيرة واردة في كُتُب الفريقين من السنّة والشيعة . ومن مات ولم يعرف إمام زمانِه مات ميتةً جاهليّةً . باتفاق جميع

---

[1] سليم بن قيس : صـ١٠٣ والمتن في صـ١٠٦ –

فرق المسلمين . بحيث لا بدَّ لكلِّ زمانٍ من إمام ، على العباد الإنقياد إليه ، وإلا هم مسؤولون يوم القيامة . لذلك جاءت طائفة واسعة من النصوص لتؤكِّد انَّ الإئمّة الإثني عشر أو الأمراء الإثني عشر هم حججُ اللهِ أبد الآبدين إلى يوم القيامة ، وانّ المهدي عليه السلام آخرهم تطولُ غيبتُهُ وينتفع بهِ الناسُ كانتفاعِهم بالشمسِ إذا حجبتها الغيوم . وانّهم جميعاً حُجَجُ اللهِ إلى قيام يوم الساعة . هذا ما نطقت بهِ النصوص ، وأقرته الأحاديث المفسِّرة لمنطوق القرآن الكريم ، لتؤكِّد انّ هذا من مخزون علم القرآن وبيانِهِ العظيم . وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ، أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [الائمةُ من وُلدِ عليٍّ وفاطمة عليهما السلام ، إلى أن تقوم الساعة][1] .

فما أعظم هذهِ النصوص وما أجلّ دلالتها ، وما أكبر قداستها وأسطع برهانها .. وعليه : النص شديد الدلالة على انَّ الإمامة داخلةٌ في أمَّةِ محمَّد إلى يوم القيامة ، وانّه لا يخلو زمانٌ منها أبداً ، وانّها لا تزيد على إثني عشر إماماً آخرهم المهدي عليه السلام ، وانّهم من وُلد علي وفاطمة .

وفي رواية أبان : أنه دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : فسألته عن قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم سكت . قال : فلما طال سكوته قلت : ثم مَن ؟ قال عليه السلام : ثم الحسن ، ثم سكت . فلما طال سكوته قلت : ثم مَن ؟ قال عليه السلام : الحسين . قلت : ثم مَن ؟ قال عليه السلام : ثم علي بن الحسين وسكت . فلم يزل يسكتُ عند كلِّ واحدٍ حتى أُعيد المسألة ،

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٢٢ بـ ٢٢ حـ ٨ –

فيقول ، حتى سمَّاهم إلى آخرهم عليهم السلام][1] .. وأمثالُ هذا المتن شديد العمق والشهرة والذياع على لسان المسلمين في كلِّ جيلٍ وزمان . كان الإمام السابقُ يشيرُ إلى الإمام اللاحق . بل إلى مجموع الأئمَّة الذين سمَّاهُم اللهُ ونصبهم حججاً على خلقِهِ إلى قيام الساعة .

ومن أبرز معانيه : أنّه لا يمكن ان يبقى الكون بلا نبيٍّ أو إمام ، ولا يقوم العالَم إلَّا بنيٍّ أو وصيٍّ . ولأنّ النبوَّة كانت خاتمة ، كان لا بدَّ من أوصياء يقومون مقام الحجَّة إلى قيام الساعة . فكان المهدي الثاني عشر منهم عليه السلام . وفي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : لأيِّ شيئ يُحتَاجُ إلى النبيِّ والامامِ ؟ فقال عليه السلام : [لبقاء العالَم على صلاحه ، وذلك أنَّ الله عزوجل يرفع العذاب عن أهل الارض إذا كان فيها نبي أو إمام ، قال الله عزوجل : ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : النجومُ أمانٌ لأهل السماء ، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهل الارض ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهلُ بيتي أتى أهل الارض ما يكرهون . يعني بأهل بيته الائمة الذين قرن اللهُ عزوجل طاعتهم بطاعته فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، وهم المعصومون المطهرون الذين لا يذنبون ولا يعصون . وهم المؤيّدون الموفّقون المُسدَّدون . بهم يرزق اللهُ عباده ، وبهم تعمر بلاده ، وبهم ينزل القطر من السماء ، وبهم يخرج بركات الارض ، وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب . لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم ، صلوات الله

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٢٥١ ح ١٧١ –

عليهم أجمعين][1] .. ففي هذا النص بيانٌ مذهل لمقام الإمامة وشرف عظمتها ومدى قداستها ووظيفتها ، بحيث تشكِّل ضمانة أهل الأرض وكفالة الوجود . وفي النصِّ المشهور عند المسلمين عن النبيِّ ﷺ قال : لولا الحجَّةُ لساخت الأرضُ بأهلها . فهو بيان إضافي لقولهِ ﷺ : أهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض . بل ينزِّلهم القرآنُ منزلة النبيِّ ﷺ من هذه الجهة فيقول تعالى : ﴿ وما كان اللهُ ليُعذِّبَهُم وأنت فيهم ﴾ ، أي ما دام النبيُّ ﷺ فيهم أو الإمام المنصوب من قبل الله تعالى . فهم في أمانٍ من نزولِ عذاب الله تعالى . وهذا ما تشيرُ إليه مجموعة من فقرات هذا الحديث . ثم يشيرُ إلى نصبهم الإلهي بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، فهم منصوبون بالقرآن . وكثيرٌ من آياته نازلةٌ فيهم ومؤشِّرةٌ عليهم . والنصوص في هذا المجال أكثر من أن تُحصى .

وهكذا في كثيرٍ من المقامات النازلةِ هذا المنزل والعميقة نفس هذا العمق والتي تلوح منها البداهةُ بشكلٍ الكامل . بل في بعضِها بيان رائع لعمقِ الإرتباط المرجعي بين القرآن والنبوَّة والإمامة مقابل بطلان اللجوء إلى الجبت والطاغوت . ففي رواية بريد بن معاوية ، قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فسألته عن قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ؟ قال فكان جوابه أن قال : [ألم تَرَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت - فلان وفلان - ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً [ويقول] الائمة الضالة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلاً - أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ، أم لهم نصيب من

---

[1] علل الشرائع : صـ ١٢٣ بـ ١٠٣ حـ ١ -

الملك - يعني الامامة والخلافة - فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً . نحن الناس الذين عنى الله . والنقير النقطة التي رأيت في وسط النواة . أم يحسدون الناس على ما آتيهم اللهُ من فضله ، فنحن المحسودون على ما آتانا اللهُ مِن الامامة دون خلق اللهِ جميعاً . فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما ، يقول : فجعلنا منهم الرسل والانبياء والائمة ، فكيف يقرون بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله ! فمنهم مَن آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيراً ، إلى قوله وندخلهم ظلاً ظليلاً . قال قلت : قوله في آل إبراهيم : وآتيناهم مُلكاً عظيماً ، ما المُلك العظيم ؟ قال : أن جعل منهم أئمة ، مَن أطاعهم أطاعَ الله ، ومَن عصاهم عصى الله ، فهو المُلك العظيم . قال ثم قال : إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها - إلى قوله - سميعاً بصيرا ؟ قال : إيَّانا عنى أن يؤدِّي الاول منَّا إلى الامام الذي بعده الكُتُبَ والعلم والسلاح . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، الذي في أيديكم ، ثم قال للناس : يا أيها الذين آمنوا ، فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة . أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، إيَّانَا عنى خاصةً . فإنْ خفتُم تنازعاً في الامر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول وأولي الامر منكم .. وكيف يأمرهم بطاعة أولي الامر ويرخِّص لهم في منازعتهم ! إنما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم][1] .

في هذا النص مفهوم شديد الترابط ، وبيان قرآني عميق ، وتناسق هائل ، يجمع بين امر اللهِ والنبوَّة والإمامة . وهذا نتاج مجموعة واسعة جداً من النصوص المعتبرة التي هي مدلول القرآن وترجمة بيانِهِ .

---

[1] العياشي : ج ١ صـ ٢٤٦ حـ ١٥٣ -

ومعنى قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ انَّ الطاعة لله بطاعة الرسول ، وطاعة الله والرسول بطاعة أُولي الأمر الذين نصبهم اللهُ إثني عشر إماماً إلى يوم القيامة أوَّلُهم عليّ عليه السلام وآخرهم المهدي عليه السلام . وقد قال تعالى : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ إذن الطاعةُ مقرَّرَةٌ على نحوٍ خصوصي ، لقومٍ نصبهم اللهُ واصطفاهم ، وذاك المقام الخصوصي الرباني قائم بين النبوة والإمامة . ومن أمر اللهُ بطاعتهِ مَنَعَ من مخاصمته أو التنازع معه . هذا أمر بديهي جداً ..!

وعليه : بالقرن بين الإمام والنبوَّة ، تكمن الطاعة ، وتتمُّ الكلمة ، ويخلص العمل ، ويصلح الإنقيادُ إلى الله تعالى . وما الطاعةُ لله إلا إتيان أمرهِ من حيث أمر ، من بابِ النبوَّةِ والإمامة . هذا ما قرَّرته النصوصُ الكثيرة جداً الواردة في كُتب جميع المسلمين . ولقد قَرَنَ اللهُ النبوَّة الخاتمة بالإمامة التي عدَّدَهَا بإثني عشراً أميراً أو خليفة أو إمام ، حسب تعابير النص ، أي لا بدَّ في هذهِ الأمّة من إثني عشر إماماً ، لا تنقضي الأرض حتى يُتمَّهُم اللهُ تعالى . وانّ آخر هؤلاءِ له غيبةٌ طويلة ، فإذا خرج أقام العدل في الدنيا وسار بالناس تحت ظلِّ دولة الإسلام يجمع فيها بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام ، قارناً بينهما كما قَرَنَ النبيُّ صلى الله عليه وآله ، لا يفترقانِ حتى يردا الحوض يوم الدِّين .

وما الإمامة إلا مفتاح النجاة ، والباب الذي منه يُؤتى اللهُ ، والضمانة لسعادة الدنيا والآخرة . وفي رواية عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : حدِّثني عمَّا بُنِيَت عليه دعائمُ الاسلام إذا أنا أخذتُ بها زكَى عملي ولم يضرّني جهلُ ما جهلت بعده ، فقال عليه السلام : [شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ

محمَّداً رسولُ الله ﷺ ، والاقرار بما جاء بِهِ مِن عند الله ، وحقّ في الاموالِ مِن الزكاة ، والولاية التي أمر اللهُ عزَّوجلَّ بها ولاية آل محمَّد ﷺ ، فإنَّ رسول الله ﷺ قال : مَن مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية . قال الله عزوجل : ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، فكان علي عليه السلام ، ثم صار من بعده حسن ، ثم من بعده حسين ، ثم من بعده علي بن الحسين ، ثم من بعده محمد بن علي . ثم هكذا يكون الامر . إنَّ الارض لا تصلح إلا بإمام ، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية . وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ : لقد كنت على أمر حسن][1] ..

هذا هو العنوان الضامنُ للفقه الوجودي ومسيرة الإنسان والكون ، هم الأئمّة النجباء الإثنا عشر ، كنقباء بني إسرائيل الإثني عشر ، وحورايي عيسى المسيح الإثني عشر . طبق العدد بالعدد ، وطبقة الخلافة بالخلافة . في ظلِّ أمرٍ قد قُدِر . وفي رواية أم سلمة قالت : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قول الله سبحانه : ﴿ أُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ؟ قال ﷺ : [**الذين أنعم اللهُ عليهم** مِن النبيين : أنا ، والصدِّيقين : علي بن أبي طالب . والشهداء : الحسن والحسين وحمزة . وحسن أولئك رفيقاً : الائمة الاثنا عشر بعدي][2] . أي علي عليه السلام وإبناهُ الحسن والحسين وأولاد الحسين الأئمّة التسعة عليهم السلام الذين آخرهم المهدي عجل الله فرجه . وهكذا : طبقُ المعنى بالمعنى ، واللفظ باللفظ ، والدليل بالدليل . وكلُّهُ مِن القرآن الكريم ومدلولِهِ ومخزونِ علمِهِ .

---

[1] الكافي : ج ٢ صـ ٢١ حـ ٩ -

[2] كفاية الاثر : صـ ١٨٢ -

وفي رواية أبي الفتوح الرازي قال : وجاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام عن الباقر عليه السلام أنه : - كما في القمي - قال : [النبيين : رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، والصدِّيقين : علي عليه السلام ، والشهداء : الحسن والحسين عليهما السلام ، والصالحين : الائمة عليهم السلام ، وحسن أولئك رفيقاً : القائم من آل محمد عليه السلام][1] . أي الصدّقون هم الأئمّة الإثنى عشر ، أوَّلُهم علي بن أبي طالب ، ثم ولداهُ الحسن والحسين ، ثمّ الأئمّة التسعة من صلب الحسين ، الذين يكون آخرهم المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

وفي رواية الاصبغ بن نباتة - فيها بعض الوهن السندي - قال : قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام : [إني أريدُ أن أذكر حديثاً ، فقال عمار بن ياسر فذكره . قال : إني أريد أن أذكر حديثاً قال أبو أيوب الانصاري : فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تذكره ؟ فقال : ما قلت هذا إلا وأنا أريد أن أذكره . ثم قال : إذا جمع الله الاولين والآخرين كان أفضلهم سبعة ، منَّا بني عبد المطلب ، الانبياء أكرم الخلق على الله ، ونبينا أكرم الانبياء ثم الاوصياء أفضل الامم بعد الانبياء ووصيه أفضل الاوصياء ثم الشهداء أفضل الامم بعد الانبياء والاوصياء وحمزة سيد الشهداء وجعفر ذو الجناحين يطير مع الملائكة لم ينحله شهيد قط قبله وإنما ذلك شيئ أكرم الله به وجه محمد صلى الله عليه وآله . ثم قال : أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل مِن الله وكفى بالله عليماً ، والسبطان حسن وحسين ، والمهدي جعله الله ممن يشاء من أهل

---

[1] القمي : ج ١ صـ ١٤٢ : أبو الفتوح الرازي : ج ٣ صـ ٤٣٥ -

البيت][1] . النص هنا بالإجمال يُؤكِّد طابع الإمامة المنصوص عليها من قبل الله تعالى ، وانّ الأئمّة إثنى عشر ، وانّ آخرهم المهدي (عليه السلام) . بل النصوص تلحظ المهدي (عليه السلام) بشكلٍ شبه تفصيلي في بعض النصوص الجامعة للإشارة إلى دورهِ الكبير وما يُتمّه اللهُ على يدهِ من إقامة دولة الإسلام التي تقود الأمم على منهج القرآن الشريف .

وفي طائفةٍ أخرى يشيرُ إلى بعض نكات الآيات وعميق مداليها ولسان انطباقها . ففي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : [واللهِ الذي صنعه الحسن بن علي (عليه السلام) كان خيراً لهذه الامة ممَّا طلعت عليه الشمس ، واللهِ لَفيه نزلت هذه الآية [أي جرت] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾ ، إنما هي طاعةُ الامام فطلبوا القتال . فلمَّا كُتبَ عليهم القتال مع الحسين (عليه السلام) : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ . وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ ، أرادوا تأخير ذلك إلى القائم (عليه السلام)][2] .

لا يمكنني هنا إلا أن أُؤكِّد على الدهشة العظيمة من هذا السرِّ العميق الوارد في التفاسير ، الذي يُعطي القرآن الطابع المُعجِز ، والصورة الهائلة ، والكتاب الذي لا يأتيه باطلٌ أبداً ، والرسالة الأبديَّة التي تتحيَّر أمامها العقول وتخشع . وفي رواية إدريس مولى لعبد الله بن جعفر ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في تفسير هذه الآية : [﴿ ألم تَرَ إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم (أي مع الحسن) ، وأقيموا الصلاة ﴾ ، ﴿ فلما كُتِبَ عليهم القتال (أي مع الحسين) قالوا

---

[1] تفسير فرات : صـ ٣٥ - (فرات)

[2] العياشي : جـ ١ صـ ٢٥٨ حـ ١٩٦ -

ربنا لِمَ كتبتَ علينا القتال ، لولا أخَّرتنا إلى أجلٍ قريبٍ (**أي إلى خروج القائم**) **فإن معه النصر والظفر . قال الله :** ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمَن اتَّقَى ﴾[1]] .

أي هذهِ الآية الواردة أعلاهُ تجري في الحسن عليه السلام من كفِّ القتال ، وتلك تجري في الحسين عليه السلام من وجوب القتال معه . في حين تقبَّضَ القومُ عن القتال مع الحسين عليه السلام متعذِّرين بحبِّ القتال مع القائم عليه السلام لمَا يعلمون من النصر بين يديه ، أي تعذَّروا وتهرَّبُوا وشبه ذلك . أهميَّةُ النصِّ أنّه يشير إلى المخزون الكبير في الذهن العام حول مولانا المهدي عليه السلام وما يكون في زمنِهِ ، وما يتمُّ على يدهِ بإذن الله تعالى . وهذا يعني تركيز قيمي كبير في الذهن العام وفي تلك الأزمان حول موضوع المهدي عليه السلام ومدى شياع وذياع أمرهِ العظيم .

بل في بعض الآيات إشارة عظيمة إلى غور معانيها ، وعميق مدلولها ، وبيان انّها تجري جداً في الحدث الأضخم الذي يملأ الدنيا عظمةً وبهجةً ، أي يوم الظهور وما يتبعه من صناعة التاريخ وفق مواثيق الشريعة وقيمومة القرآن والعترة عليهم السلام . ففي مختصر الدرجات يقول : وقفت على كتاب خُطَب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعليه خط السيد رضي الدِّين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ما صورته هذا الكتاب ذكر كاتبه رجلين بعد الصادق عليه السلام فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد المائتين من الهجرة لانه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة . وقد روى بعض ما فيه عن أبي روح ، فرج بن فروة ، عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن

---

[1] العياشي : ج ١ صـ ٢٥٧ - ٢٥٨ حـ ١٩٥ -

محمد (عليه السلام) . وبعض ما فيه عن غيرهما . ذكر في الكتاب المشار إليه خطبة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) تسمَّى المخزون ، ثم ذكر الخطبة بطولها . وقد جاء في بعضها :

[. . ويسير الصدِّيق الاكبر برايه الهدي والسيف ذو الفقار والمخصرة ، حتى ينزل أرضَ الهجرة مرَّتين ، وهي الكوفة ، فيهدم مسجدها ويبنيه على بنائه الاول . ويهدم ما دونه من دور الجبابرة . ويسير إلى البصرة حتى يشرف على بحرها ومعه التابوتُ وعصا موسى فيعزم عليه فيزفر زفرة بالبصرة فتصير بحراً لجيَّاً فيغرقها لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة على ظهر الماء . ثم يسير إلى حرور ثم يحرقها ، ويسير من باب بني أسد حتى يزفر زفرة في ثقيف وهم زرع فرعون . ثم يسير إلى مصر فيعلو منبره ويخطب الناس . فتستبشر الارضُ بالعدل ، وتعطي السماء قطرها ، والشجر ثمرها ، والارض نباتها ، وتتزيَّن لأهلها ، وتأمن الوحوشُ حتى ترتعي في طرف الارض كأنعامهم . ويقذف في قلوب المؤمنين العلم ، فلا يحتاج مؤمنٌ إلى ما عند أخيه من العلم ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ .. يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ .. ﴾ . .][1] ..

إشارة إلى الأحداث الضخام ، والأثر العملاق الذي يطرأ بعد ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وما يتبعُهُ من عناوين وهيكلة وصفات ذات صورة سلوكيّة ومشاهد حَدَثيَّة ومكوِّنات تقود البشر نحو كمالاتِها الممكنة في دنيا الإنسان ، وصولاً إلى باقات العالم الرفيع ، وخلاصات التجربة البشريّة ، وزبدة القمّة في إنتاجاتِها الوجوديَّة القائمة على متابعة المسير نحو عالم

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٥١٩ والمتن في ٢٠١ –

الإنسان الأعظم . وكما في تعبير الإمام علي عليه السلام « العلمُ أكثر من أن يُحصى » . يشيرُ إلى جنس العلم ، فبهذا العلم كما أشرنا سابقاً تصل البشريّةُ في دولة المهدي عليه السلام إلى أعلى القمم فيهِ . بحيث يتمّ استغلال النواميس على شكلِها الأكمل والأفضل ، وتصل رحلة الكشوفات والإستغلال إلى مقامات شديدة التقدُّم والنفع .

وتؤكِّد النصوص أنَّ أهل البيت عليهم السلام يملكون بنعمة الله وتأييده أعظم العلوم ، حتى قال الإمام الصادق عليه السلام ، لقد أعطى اللهُ محمّداً صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء من علومٍ ، ونحنُ ورثنا محمَّداً صلى الله عليه وآله ، وعندنا صُحُف إبراهيم عليه السلام وألواح موسى عليه السلام . فقال السائل : هذا هو العلم . فقال عليه السلام : ليس هذا هو العالم . إنّما العلمُ ما يحدثُ بالليل والنَّهار يوماً بعدَ يومٍ وساعةً بعد ساعة][1] .. إلى هذا الحدّ أحاطَ اللهُ أهل البيت عليهم السلام بالعلوم ، إلى حدّ الإحاطة بما يحدثُ بالليل والنهار والساعة بعد الساعة ، وهذا أعظم العلوم . ولذا نقرأ في طائفة من الروايات انّه إذا ظهر المهدي عليه السلام بسط من العلم أعظمه ، بحيث تأخذ دنيا الإنسان كمالها الأكبر ..

والملاحظ أنَّ القرآن يؤكِّد على طابع الحدث التاريخي الأعظم في تلك الحقبة من الزمن ، أي حدث الظهور الذي يقود عبرهُ مولانا المهدي عليه السلام دولة الإسلام وسط صفات وعناوين كبرى ، وهذا الأمر كان مغروساً في فقه الجماعة كلّها ، وفي دواوينِهم ، بل بعضُهم كان يحتار في تأويل أو تفسير الآية ، بحيث لا يجد مصداقها فيحتار حتى يسأل ما معنى تفسيرها ؟ وهذا دليلُ عظمة القرآن الكريم ومكنون سرِّهِ وعظيمِ مخزونه .

---

[1] م . س .

فقد روى شهر بن حوشب قال : قال لي الحجاج [بن يوسف الثقفي] بأنَّ آيةً في كتاب الله قد أعيتني . فقلت : أيها الامير ، أيَّةُ آيةٍ هي ؟ فقال قوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، واللهِ إني لَآمر باليهودي والنصراني فيُضرب عنقُهُ ، ثم أرمقه بعيني فما أراهُ يحرِّكُ شفتيه حتى يخمد !

فقلت : أصلحَ اللهُ الامير ، ليس على ما تأوَّلت ، قال : كيف هو ؟ قلت : [إنَّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ، فلا يبقى أهلُ ملَّة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته ، ويصلِّي خلف المهدي عليه السلام . قال : ويحك أنَّى لك هذا ، ومِن أين جِئتَ به ؟ فقلت : حدَّثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقال : جئتَ بها واللهِ من عينٍ صافية][1] ..

الله أكبر ..! أيُّ عمق ومدلول ولغز في هذه الآية ، حتى انَّ الحجّاج يحتار في دلالتِها ، لِمَا يعرف في القرآن من الإعجاز المذهل الذي قطع الحجج ، ولما رأى وعاين من كبار مصاديق القرآن . الرجل المعروف في التاريخ بسفكِه الدماء وقتلِه النفوس يقف أمام هذهِ الآية حائراً ، بل كان يضرب عنق اليهودي أو النصراني ثم يقف عند رأسه حتى يرى : هل يؤمن أم لا ..؟ فلا يراه يُؤمِن ..! حتى احتار بالمعنى المقصود من هذهِ الآية ، وما أعظم ما قاله إبن عبَّاس عن الإمام علي عليه السلام : إنَّ في القرآن آيات لا يفسِّرها إلا الزمن . عندها لجأ الحجّاج إلى فقيهٍ يسألهُ عن مدلول هذهِ الآية التي حيَّرته ؟ فيجيبه الفقيه بأنَّ تأويل هذهِ الآية في زمن المهدي عليه السلام حيث ينزل المسيح عيسى بن مريم . عندها ينذهل الحجَّاج من مخزون دلالة هذهِ

---

[1] القمي : ج ١ ص ١٥٨ –

الآية .. أهميَّة هذهِ الشهادة انّها تؤرِّخ مدى العمق الهائل الذي كان يسيطر على أذهان الجماعة آنذاك بخصوص أمر المهدي (عليه السلام) ، المهدي الذي شاع وذاع خبره على لسان الرواة والصحابة نقلاً عن النبيِّ والأئمّة (عليهم السلام) .. وعليه : حين يسمع الحجّاج بأنَّ هذهِ تكون زمن المهدي (عليه السلام) لا يسأل مَن هو المهدي (عليه السلام) . بل يجد حلَّ دلالة الآية في المهدي الذي تواتر خبرهُ عن لسان النبي (صلى الله عليه وآله) ..

نعم الأهميَّة الأكبر تكمن في مدلول الآية ، التي نزلت على النبيِّ (صلى الله عليه وآله) في ذلك الزمن ، وتأويلها في آخر الزمن . الله أكبر . أيُّ سرٍّ وأيُّ معنى وأيُّ عمقٍ في دلالة هذا القرآن ..

وبعد ، نسأل : هل يجوز فصل القرآن عن أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم قرينُ القرآن ومفتاحُهُ والراسخون في العلم الذي لا يصحُّ التأويل إلا بهم ..!

ألَا يجب علينا أن نُمعن النظر جيِّداً بمدلول قوله (صلى الله عليه وآله) المتَّفق عليهِ بين كل علماء الإسلام من الفِرَق كلِّها : إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً . ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .. واضح جدَّاً انَّ مفتاح أسرار وعمق ومخزون هذا القرآن محصورٌ بأهل البيتِ (عليهم السلام) بعد النبيِّ (صلى الله عليه وآله) ، وانّهم الراسخون في العلم وضمانة البيان القرآني العظيم ، وهذا يذكّرني بقول الإمام علي (عليه السلام) حين رفع أصحاب معاوية القرآن فقال (عليه السلام) : يا قوم ، هذا القرآن الصامت ، وأنا القرآن الناطق . أي أنا الدليل عليه ، أنا مفتاحُ مخزونهِ ، أنا المُؤتَمَن على الرسالة بعد النبيِّ ، وقولي الفصل والحجة على الخلائق أجمعين .

بل بعضُ الآيات تنقل لنا اللسان التاريخي المختَزِن خشيةَ قومٍ ما ، مِن تلك الدولة وذاك الإمام الذي يخرج في آخر الزمان فيقيم دولة الرحمان . ففي رواية جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية : ﴿ اليوم يَئِسَ الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ ﴾ : [يومَ يقومُ القائمُ عليه السلام يَئِسَ بنو أمية ، فهم الذين كفروا يئسوا من آل محمد عليهم السلام][1] .

لسان النص يشير إلى أنَّ هذه الجماعة الأمويَّة كانت تعيش كابوسَ حقيقة ما تواتر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله من انَّ لآل محمّد دولةً ضخمة تأخذ الأرض من جميع نواحيها ، وهي تلك التي يقودها قائم آل محمّد المهدي عليه السلام ، فكانوا يتهامسون اليأس والخشية من زمن تلك الدولة المحمَّديَّة طمعاً من بني أميَّة في أن يكون المُلك لهم أبداً ضارباً في طول الزمان . وهكذا انطوى اللفظ القرآني على مضامين العلم وبحورِه ، حتى انَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يستشهد على المقامات الضخمة في الولاية وأشباهها بالقرآن الكريم . ففي رواية الاصبغ بن نباتة ، عن ابن عباس ، قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقول :

[معاشر الناس اعلموا أنَّ (الله تعالى جعل لكم) باباً مَن دخله أمِن مِن النار ومِن الفزع الاكبر . فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال : يا رسول الله ، اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه ، قال صلى الله عليه وآله : هو علي بن أبي طالب ، سيد الوصيين ، وأمير المؤمنين ، وأخو رسول رب العالمين (وخليفة اللهِ على الناسِ أجمعين) ، معاشر الناس ، مَن أحبَّ أن يتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسَّك بولاية علي بن أبي طالب ، فإنَّ ولايته ولايتي ،

---

[1] العياشي : ج ١ صـ ٢٩٢ حـ ١٩ –

وطاعته طاعتي . معاشر الناس مَن أحب أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب . (معاشر الناس مَن أراد أن يتولَّى اللهَ ورسوله) فليقتدِ بعلي بن أبي طالب بعدي والائمة مِن ذريَّتِي فإنهم خُزَّان علمي .

فقام جابر بن عبد الله الانصاري فقال : يا رسول الله ، وما عدَّةُ الائمة ؟ فقال ﷺ : يا جابر ، سألتني رحمك اللهُ عن الاسلام بأجمعه ، عدَّتُهُم عدَّة الشهور ، وهي عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض . وعدّتهم عدّة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران عليه السلام حين ضرب بعصاه [الحجر] فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً . وعدتهم عدّة نقباء بني إسرائيل [قال الله تعالى] وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ، فالائمة يا جابر اثنا عشر [إماماً] أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم المهدي صلوات الله عليهم][1] .

وكما ترى : مداليلُ النبيِّ ﷺ مأخوذة من القرآن ، النبيُّ ﷺ كان في مقامِ الشارح المُفَسِّر لِمَا احتوى القرآنُ من بيانٍ وعلمٍ ومخزون . وهذا الأمر كان شديد الشياع على زمن النبي . فكرة انَّ الأئمّة إثنا عشر كانت شديدة الرسوخ في ذهن الجماعة : قريبهم وبعيدهم . بل أحمد بن حنبل ألّف في ذلك مسنداً تامَّاً . والخبر متواتر وكامل . وعليه : هو يؤكّد على الإمامة بعدّتها الإثني عشر ، مُبَيِّناً انَّ علي بن أبي طالب عليه السلام أوّلهم ، وانّ المهدي صاحب الزمان ، الثاني عشر . أي آخرهم .

أهميّة هذا النصِّ أنّه دليلُ القرآنِ ونتاجُ بيانِهِ على لسان النبيِّ الأعظم ﷺ .

---

[1] مائة منقبة : ٧١ المنقبة ٤١ –

وفي غيرها من الآيات تفسير شديد العمق والذهول لما يجري بخصوص حدث ظهور المهدي المنتظر ﷺ . فقد روى أبو الربيع الشامي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : [لا تشتر من السودان أحداً ، فإن كان لا بد فمن النوبة ، فإنهم من الذين قال الله عزوجل : ﴿ ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنَسوا حظّاً ممّا ذُكّروا به ﴾ ، أما إنهم سيذكرون ذلك الحظ . وسيخرج مع القائم عليه السلام منّا عصابةٌ منهم . .][1] . حتى هذه الخصوصيّة تشيرُ إليها الآية وتجري فيها وتتضمّنُها لما يعنيه حدث الظهورِ من ضخامةٍ وعظمةٍ وتحوُّل هائل . وهذا يجري على يدِ خاتم الأئمّة المهدي عليه السلام وصيّ خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله .. وفي رواية محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [الانبياء رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وإبراهيم وإسماعيل وذريته . والملوك : الائمة عليهم السلام . فقلت : وأيُّ ملك أُعطيتم ؟ فقال : ملك الجنة ، وملك الكرّة][2] . إشارة إلى أمر المهدي عليه السلام ثمَّ الرجعة التي بها يملكون بأمرِ الله تعالى .

وعن أمر المهدي عليه السلام وإقامتِه العدل وقطع دابر الظلمة والظلام والفساد وأئمّة الجور والحيف والباطل والآثام روى السدي في قوله تعالى : ﴿ لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ قال : [خزيهم في الدنيا أنهم إذا قام المهدي عليه السلام وفتحت قسطنطينية قتلهم][3] . تأكيداً منه على أمر المهدي وظهورِه وعظمة والتحوّلات الهائلة التي يحقّقها عليه السلام ،

---

[1] الكافي : ج ٥ صـ ٣٥٢ حـ ٢ –

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٨ –

[3] التبيان : ج ١ صـ ٤٢٠ –

فيقيم على أثرها العدل ويجتث الفساد والمفسدين . وفي لفظٍ آخر قال : [روي عن السدي في قوله عزوجل : ﴿ لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ قال : فتح القسطنطينية [على يدي المهدي] وخروج الدجال ، وبعض المفسرين ذهب في تفسير : ﴿ ألم * غُلِبَت الروم ﴾ أنه كائنٌ . وعنى به فتح القسطنطينية وخروج الدجال سبع سنين ، فبينما هم كذلك إذ جاءهم الصريخ أنَّ الدجال قد خلفكم في داركم . قال : فيرفضون ما في أيديهم من ذلك وينفرون إليه ، وهي كذبة][1] . أي يكون الدجال في تلك اللحظات لم يخرج بعد . في حين خروج الدجّال من الأمر المحتوم . لكن في تلك اللحظات لم يكن قد خرج بعد . وفي ينابيع المودَّة : قال بعضهم مِن أهل الله ، أصحاب الكشف والشهود ، وعلماء الحروف : إنَّني ناقلٌ عن الامام علي كرم الله وجهه قوله :

[سيأتي اللهُ بقوم يُحبُّهُم اللهُ ويُحبُّونَهُ ، ويملك مَن هو بينهم غريب ، فهو المهدي ، أحمر الوجه ، بشعره صهوبة ، يملأ الارض عدلاً بلا صعوبة ، يعتزل في صغره عن أمِّه وأبيه ، ويكون عزيزاً في مرباه ، فيملك بلاد المسلمين بأمان ، ويصفو له الزمان ، ويسمع كلامه ويطيعه الشيوخ والفتيان ، ويملأ الارض عدلاً كما مُلِئَت جوراً ، فعند ذلك كملت إمامته ، وتقرَّرت خلافته ، واللهُ يبعث من في القبور ، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، وتعمر الارض وتصفو وتزهو بمهديها ، وتجري به أنهارها ، وتعدم الفتن والغارات ، ويكثر الخير والبركات][2] .

---

[1] م . س .

[2] ينابيع المودة : صـ ٤٦٧ -

وكان أمرُ المهدي عليه السلام شديد العمق والشياع في أذهان الأمّة وصدورها ، حتى انّ القائل يقول : واللهِ إنّه في المهدي ، لا يحوّله اللهُ إلى أحدٍ . إنّه من الأمر المحتوم النازل في النبيّ وأبناءِهِ من عليٍّ وفاطمة . وهذا التكرار كان شديد السطوح والوضوح والتكرار في كلِّ الطبقات .

وفي رواية سليمان بن هارون قال : قلت له إنَّ بعض هذه العجلة يزعمون أنَّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عند عبد الله بن الحسن ، فقال : [واللهِ ما رآهُ هو ولا أبوه بواحدةٍ من عينيه إلا أن يكون رآه أبوه عند الحسين عليه السلام . وإنَّ صاحب هذا الامر محفوظٌ له ، فلا تذهبنَّ يميناً ولا شمالاً ، فإنَّ الامر واللهِ واضحٌ ، واللهِ لو أنَّ أهل السماء والارض اجتمعوا على أن يحوِّلوا هذا الامر من موضعه الذي وضعَهُ اللهُ فيه ما استطاعوا ، ولو أنَّ الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحدٌ لجاء اللهُ لهذا الامر بأهل يكونون من أهله . ثم قال : أما تسمع الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا مَن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبّهم ويُحبُّونه ، أذلّة على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين ﴾ ، حتى فرغ من الآية وقال في آية أخرى : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكَّلنَا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ . ثم قال : إنَّ هذه الآية هم أهل تلك الآية][1] .

أي هذا الأمر نازلٌ في أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله ، في عليٍّ وولديه الحسن والحسين والأئمَّة التسعة من صلب الحسين ، وفي الثاني عشر منهم ، أي المهدي عليه السلام . وانّه نازلٌ المنزل الذي أنزله اللهُ إيَّاه ، لا مُحوِّل له . ثم استشهد بالقرآن دليلاً كاملاً نهائيّاً على حقيقة الوحي وما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله . فما أهم وأعظم هذهِ الشهادة .

---

[1] العياشي : ج ١ ص ٣٢٦ ح ١٣٥ –

وفي ذيلٍ آخر لسليمان بن هارون العجلي ينقل تفسيراً أوضح عن لسان الإمام الصادق عليه السلام فيقول : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : [إنَّ صاحب هذا الامر (المهدي) محفوظٌ له أصحابه ، لو ذهب الناسُ جميعاً أتى اللهُ له بأصحابه وهم الذين قال الله عزوجل : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكَّلنَا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبهم ويُحبُّونه ، أذلةٍ على المؤمنين ، أعزَّةٍ على الكافرين ﴾][1]

أي انَّ المهدي عليه السلام أمرٌ محتومٌ كحتم الإمامة في إثني عشر إماماً . حتى أصحابه محفوظون ، قد أعدَّهم اللهُ له . وانّه عجل الله فرجه خارجٌ بهم حتماً ، أمراً مقضيَّاً من الله العزيز الحكيم . وفي « القمي » قال : ورد مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين غصبوا آل محمد حقَّهم وارتدوا عن دين الله : ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونَهُ ﴾ ، نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه : ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾][2] . وكذا ورد في غيره تأكيداً لأمر القائم المهدي عليه السلام ، الذي يُقيم دولة العدل والإنسان ، تحت ظلِّ الشريعة والعترة والقرآن .

وتحت تفسير قول الله تعالى - في قصَّة المسيح عيسى عليه السلام - : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَأَنتَ قُلتَ للنَّاسِ اتَّخذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ من دُونِ اللّه ، قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ولاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦/٥﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وكُنتُ عَلَيْهِمْ

---

[1] النعماني : صـ ٣١٦ بـ ٢١ حـ ١٢ -

[2] القمي : جـ ١ صـ ١٧٠ -

شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧/٥﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨/٥﴾ روى ابن عباس عنه قائلاً : إنْ تعذبهم فإنَّهم عبادك ، يقول – في تصريح الكشميري – : [عبيدك قد استوجبوا العذاب بمقالتهم ، وإنْ تغفر لهم ، أي مَن تركتَ منهم ، ومُدَّ في عمره حتى أهبط من السماء إلى الارض بقتل الدجال ، فنزلوا عن مقالتهم ، ووحَّدوك وأقرُّوا أنَّا عبيد . وإنْ تغفر لهم حيث رجعوا عن مقالتهم ، فإنَّك أنت العزيز الحكيم][1] .

ففي هذا المتن تأكيد لقضيَّة نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض زمن المهدي عليه السلام وانّه يقتل الدجَّال ، وقد أشرنا فيما سبق أنَّ المسيح عليه السلام إذا نزل صلّى وراء المهدي عليه السلام ويقول للمهدي عليه السلام : بعضُكم أميرٌ على بعض . ويكون المسيحُ عليه السلام وزير دفاع جبهة آل محمَّد عليهم السلام . قيمة هذا المتن أنَّه يتضمَّن الإشارة بتركيزٍ تام حول موضوع المهدي ونزلة المسيح وقتل الدجّال ..

وفي غيرها من الآيات سبر أعماق مداليل كثيرة وردت في القرآن وهي جارية في المهدي عليه السلام والأحداث التي تقع في زمانه عليه السلام ، فضلاً عن تضمنيها لسان الجماعة والإجتماع آنذاك شهرةً ورسوخاً وركازةً مطلقةً تؤكِّد طابع التواتر المذهل الذي رُوي في المهدي عليه السلام . ففي رواية حمران بن أعين عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ثم قضى أجلاً ، وأجلٌ مسمًّىً عنده ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إنَّهما أجلانِ : أجل محتوم ، وأجل موقوف . فقال له حمران : ما المحتوم ؟ قال عليه السلام : الذي لله فيه المشيئة .

---

[1] الدر المنثور : ج ٢ صـ ٣٥٠ –

قال حمران : إنِّي لَأرجو أن يكون أجلُ السفياني من الموقوف . فقال أبو جعفر عليه السلام : لا والله إنه لَمِنَ المحتوم][1] .

الإمام عليه السلام يُطبِّق هذهِ الآية بموضوع الأحداث الجسام التي تقع زمن المهدي عليه السلام ويشير إلى الحتم الذي لا بدَّ منه في وقوعها . أي ضرورة خروج السفياني الذي يكون قبيل ظهور المهدي عليه السلام بقليل .

نعم أهميَّة المتون انّها تشير إلى تعاظم ذكر المهدي عليه السلام في تلك الأزمان . ففي رواية عبد الملك بن أعين قال : كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكْرُ القائم عليه السلام . فقلت له : أرجو أن يكون عاجلاً ولا يكون سفياني . فقال عليه السلام : لا والله إنَّه لَمِنَ المحتوم الذي لا بد منه][2] . أي لا بدَّ من خروج السفياني الذي يكون قُبَيل بقليل من ظهور المهدي عليه السلام .

وعن عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال عليه السلام : [إنَّ مِن الامور أموراً موقوفةً ، وأموراً محتومة ، وإنَّ السفياني مِن المحتوم الذي لا بدَّ منه][3] . ما يؤكِّد الطابع الهائل في دلالة مخزون القرآن الكريم ، والمعنى العميق المرتبط بلفظِهِ ، حتى انَّنا نجد المعصوم عليه السلام يُجري الآيات بمضامينها على أمورٍ عظيمة ومداليل ضخمة ، على نسقٍ تام من المطابقةٍ المصداقيَّة المشمولة باللفظ القرآني ، فيطبّقها بمدلولها على الأحداث التاريخيَّة الكبرى التي تجري زمن ظهور المهدي عليه السلام . ففي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [نزلت في بني فلان ثلاث آيات ، قوله

---

[1] النعماني : صـ ٣٠١ بـ ١٨ حـ ٥ –

[2] نفس المصدر .

[3] نفس المصدر .

عزوجل : ﴿ حتى إذا أخذت الارض زخرفها ، وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ﴾ ، يعني القائم بالسيف ، ﴿ فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس ﴾ ، وقوله عزوجل : ﴿ فتحنا عليهم أبواب كلّ شيئ ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون ، فقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ . قال أبو عبد الله : السيف . وقوله عزوجل : ﴿ فلمّا رأوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا ، وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه ومساكِنكُم لعلكم تُسألون ﴾ . يعني القائم يسأل بني فلان كنوزَ بني أميَّة][1] .

أي أنَّ هذه الاحداث المشار إليها واحدةٌ من مصاديق المضمون المخزون في هذهِ الآية وألفاظها ، وانَّها جاريةٌ فيها ، وانّها للمستقبل المحتوم . وكذا في غيرها من الآيات ما يشير إلى رهبة الإمامة ، وعظمة الأمر الموكول إليها في بيان أعماق المضمون ومداليل اللفظ ، التي لا يعرفها إلا الراسخون في العالم . أمَّا ظاهر اللفظ المُحكم أو المصداق الظاهر فهم حجَّةُ الله على الخلق أجمعين . في حين التأويل وبيان المخزون العميق فقد اتَّفقت الأمّة كلّها بعلماءها وكبارها أنّه من أسرار القرآن ومعجزاتِهِ وانّ النبيَّ ﷺ اعتمده وقال به وفسَّر عليه ، بل كان من أهم مصاديق الإعجاز القرآني الذي يحيا إلى يوم الدِّين ويعطي البشر كل البشر من الإعجاز ما يذهل العقول إلى يوم القيامة وانّه مقرون بالراسخين في العلم ، بأهل البيت ، بالأئمّة الإثني عشر .

وعليه : نقرأ نمطاً مذهلاً من البيان الذي أوردهُ علينا الأئمة بخصوص آخر الزمان ممَّا ورد في مضامين القرآن وبيّنه الراسخون في

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٥٠ -

العالم من الأئمّة ﷺ ، ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ في قوله : ﴿ وهو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ ؟ قال ﷺ : هو الدخان والصيحة ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ ؟ قال ﷺ : هو الخسف ، ﴿ أو يَلْبِسكم شيعاً ﴾ ، قال ﷺ : هو اختلافٌ في الدِّين ، وطعن بعضكم على بعض ، وهو أن يقتل بعضُكُم بعضاً . وكل هذا في أهل القبلة][1] ..

أهميّةُ النص تكمنُ بكلِّ مضمونهِ خاصّةً تركيزُهُ على الأحداث الضخمة التي تقع زمن ظهور المهدي ﷺ . ثم ما ورد في ذيله حيث يشيرُ إلى فرقةٍ وقتلٍ وعنفٍ واختلاف في الدِّين وطعن البعض على البعض الآخر ، وما إلى ذلك ، وانّه يجري في أهل القبلة والإسلام . فضلاً عن الفتن والملاحم التي تجري في الأمم الأخرى . نعم لسان النصِّ يريد تركيز الإنتباه على أمورٍ جسامٍ تقع في الأمّة الإسلاميّة يكون على أثرها قتل وعنف واتّهامات واختلافات هائلة . وأنَّ أمر المهدي ﷺ لا بدَّ منه ، وانّه حسامُ اللهِ الذي به ينتقم من الجبابرة وأهل الفساد والطغيان . وانّ له أصحابه والصفات والأدوات التي بها ينتصر . وقد مرَّ ما أشار إليه سليمان بن هارون العجلي ، قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [إنَّ صاحب هذا الامر محفوظٌ له أصحابه ، لو ذهب الناس جميعاً أتى اللهُ له بأصحابه ، وهم الذين قال الله عزوجل : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكَّلنَا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونَهُ ، أذلةٍ على المؤمنين ، أعزَّةٍ على الكافرين ﴾][2] .

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٢٠٤ -

[2] النعماني : صـ ٣١٦ ب ٢١ ح ١٢ -

فهذا من بابِ تفسير المضامين المقصودة وإيرادها على نحوٍ من الإنطباق المدلول بقوله تعالى المشار إليه أعلاه . بل في نقل بعض التفاسير عن النبيِّ ﷺ تأكيدٌ عميق على أحداث آخر الزمان التي تدور رحاها زمن الظهور الشريف . ففي رواية أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : [خمساً (كذا) لا أدري أيَّتُهنَّ أوَّل من الآيات وأيتهن (إذا) جاءت لم ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوعُ الشمس من مغربها ، والدجال ، ويأجوج ومأجوج ، والدخان ، والدابة][1] ..

أي تلك الأحداث أحداث آخر الزمان ، زمن الظهور وتوابعه . الآية التي أشار إليها في المتن جاءت كتأكيد وارد لبيان مضامين ما أشار إليه مثل طلوع الشمس والدخان والدابّة والدجّال وشبه ذلك .. أيضاً فيما تجري به هذه الآية ما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند ذكر أشراط الساعة ، قال : [ألَا وتكون الناس بعد طلوع الشمس مِن مغربها كيومهم هذا ، يطلبون النسل والولد ، يلقى الرجل الرجل فيقول : متى ولدت ؟ فيقول : من طلوع الشمس مِن المغرب . وترفع التوبة فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، هو التوبة][2] . وكُنا فيما سبق قد ناقشنا مثل هذه المتون وما تعنيه ، وأيُّ طلعة للشمس .

وفي رواية عبد الله بن مسعود وابن عمرو وغيرهما : [طلوع الشمس من مغربها كالبعيرين القرينين][3] . توصيف تنزلي لمشهد سيقع في آخر الزمان .

---

[1] ابن حماد : صـ ١٨٣ –

[2] عقد الدرر : صـ ٣٢٦ بـ ١٢ فـ ٧ –

[3] ابن حماد : صـ ١٨٤ –

وفي إطار هذا الموضوع وجوهرِ الإشارات إلى هـذه المعـاني روى جعفر بن محمد الفزاري ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿ يـوم يـأتي بعـضُ آيات ربِّك لا ينفع نفساً إيمانُهَا لم تكن آمنـت مـن قبـل أو كسـبت فـي إيمانهـا خيراً ﴾ قال عليه السلام : [يعني صفوتنا ونصرتنا . قلت إنما قدر الله عنـه باللسـان واليدين والقلـب .؟ قـال : يـا خثيمـة ألـم تكـن نصـرتنا باللسـان كنصـرتنا بالسيف ، ونصرتنا باليدين أفضل والقيام فيها . يا خثيمـة إنَّ القـرآن نـزل أثلاثاً ، فثلثٌ فينا ، وثلثٌ في عدوِّنا ، وثلـث فـرائض وأحكـام . ولـو أنَّ آيـة نزلت في قومٍ ثم ماتوا أولئك ماتت الآية ، إذاً ما بقي من القرآن شـيئ .! إنَّ القرآن عربيٌّ مِن أوَّلِه إلى آخره ، وآخره إلـى أولـه ، مـا قامـت السـماوات والارض ، فلكلِّ قومٍ آيةٌ يتلونها . يا خثيمة إنَّ الاسلام بدأ غريبـاً وسـيعود غريباً فطوبى للغرباء . وهذا في أيدي الناس فكلٌّ على هذا . يا خثيمة سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله (و) ما هو التوحيـد ، حتـى يكـون خـروج الدجال ، وحتى ينزل عيسى بن مريم من السماء ، ويقتـل الله الـدجال علـى يده ، ويصلِّي بهم رجلٌ منَّا أهل البيت . ألَا ترى أن عيسى يصلي خلفنا وهو نبي ، الا ونحن أفضل منه][1] .

جملة ما أشار إليه النص أنَّ هذا القرآن عربي ، يجري علـى قـانون الوضع والإستعمال في المجاز والكناية والإستعارة وهذا سرُّ قـوَّة وعظمـة اللغة العربيّة ، وانَّ الثلث الذي نزل في أهل البيت وشبه ذلك يُراد منه النظر إلى الأحداث المتتابعة والصفات الهائلة والعناوين الكبرى التي يجـري فيهـا ثلثُ هذا القرآن كما يجري في مخزون علمِه بأُمورٍ ومعاني أخـرى شـديدة الإتساع والعمق أيضاً .

---

[1] تفسير فرات : صـ ٤٤ –

أهميَّة النص أنّه يستحضر مدلول اللفظ القرآني ليشير إلى الحدث الأضخم في آخر الزمان ، ألَا وهو الظهور الشريف للإمام المهدي عليه السلام وما يقع من أحداثٍ وما يُشكِّل من استقطاب يصعب على القلم إحصاءُه . وفي بعضها تركيز على السيوف وتنوّعها بما يعنيه من كناية واستعارة بخصوص زمن المهدي وجبهتِه وانتصاراتِها المتتالية حتى يقيم حكم اللهِ في الأرض . ففي رواية حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال سأل رجل عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل مِن محبِّينا ، فقال أبو جعفر عليه السلام :

[بعث اللهُ محمَّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ، ثلاثة منها شاهرة لا تغمد إلى أن تضع الحربُ أوزارها . ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت الشمس من مغربها آمنَ الناسُ كُلُّهم في ذلك اليوم . فيومئذ ﴿ لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ ، وسيفٌ منها ملفوف ، وسيف منها مغمود سلُّه إلى غيرنا وحكمه إلينا . .][1] . ففي هذا النص تأكيدٌ ترابطي شديد الوضوح ، ناظر إلى محوري جبهة الإمام علي عليه السلام وجبهة الإمام المهدي عليه السلام . وفي رواية زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله : ﴿ يوم يأتي بعضُ آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ﴾ ؟ قال عليه السلام : [طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة والدجال ، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل على الإيمان ثم تجيئ الآيات فلا ينفعه إيمانه][2] .

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٣٢٠ –

[2] العياشي : ج ١ صـ ٣٨٤ حـ ١٢٨ –

فيها تفسير إيضاحي لبعض شرط هذهِ الآية فيما تجري فيهِ عبر بيان بعض مصاديقها المتنوِّعة في آخر الزمان . على أنَّ أصل قيام التوبة يظلُّ مفتوحاً ضمن شروطها وحدودِها . هذا ما أكَّدته طائفة واسعة من النصوص ضيَّقت من زمن منع التوبة وحصره بعضُها بآيةٍ تكون ما قبل نهاية الحياة على الأرض بوقتٍ قصير . وفي رواية علي بن رئاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ يوم يأتي بعضُ آيات ربِّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت مِن قبل ﴾ قال عليه السلام : [الآيات هم الائمة ، ، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف ، وإن آمنت بمَن تقدَّمه من آبائه عليهم السلام][1] .

وألفت هنا إلى أنَّ طائفة واضحة من النصوصِ أكّدت فتح باب التوبة حتى بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وهذا أمر واضح جدّاً . من هنا تُحمل هذه المتون على نوع من التشدُّدِ والحثّ في اتِّخاذ موقف ، على انَّ لسان طائفة يشيرُ إلى انّ الآية المانعة من قبول التوبة تكون قبيل نهاية الحياة على الأرض بقليل . ولسان طائفة من النصوص في هذا المجال واضح جدّاً . ففي رواية عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [ما زالت الارضُ ولله فيها حجَّةٌ يعرف الحلال والحرام ، ويدعو إلى سبيل الله ، ولا ينقطع الحجة من الارض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة . فإذا رُفِعَت الحجَّة أُغلق بابُ التوبة ولم ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أن تُرفَعَ الحجة . وأولئك شرار من خلق الله ، وهم الذين تقوم عليهم القيامة][2] .

---

[1] كمال الدين : ١٨ .

[2] المحاسن : صـ ٢٣٦ ، بـ ٢١ ، حـ ٢٠٢ .

فهذا النص – كما ترى – يضيِّق مساحة المنع من قبول التوبة ، ويحدِّد المنع النهائي في الأيَّام الأربعين الأخيرة قبل قيام القيامة . ما يعني انَّ لسان تلك الطوائف من النصوص التي تضع ظهور القائم عليه السلام حدَّاً لقبول التوبة ما هو إلا صيغة متشدِّدة ولسان مجازي لبيان تسارع الزمان ، وضرورة اتخاذ موقف قبل خسارة الفرصة بحيث لا ينفع نفساً إيمانُها إذا تحقَّقَ شرطُ إغلاق باب التوبة . إذن النصوص تلك تؤكِّدُ طابع الإنذار .

طائفة من الآيات ناظرة إلى أحداث آخر الزمان ومقام أهل البيت ^

كما أشرنا سابقاً : القرآنُ خزّانُ علمِ اللهِ تعالى ، فيه من الأسرار والأعماق والمداليل ما لا تقع عليه يدُ مخلوقٍ إلا من كان له مِن الله سبب ، إلا ظاهر القول من آياته المحكمات فإنَّ ظاهر معناها يدركه العقلاء ويقفون عليهِ وهو حجّة عليهم . أمّا ما تشابَهَ من القرآن وما ضمَّنَ اللهُ الألفاظَ من مداليل عميقة ومخزون واسع فأمرهُ إلى الله تعالى ، لا يدركُهُ إلا مَن كان له سببٌ من الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ ،

والغيب جزءٌ من مدلول هذا القرآن العظيم ، ونحن مأمورون بالإيمان به . وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ ﴾ ، ولا أحد له قدرة الإطلاع على الغيب إلا بسببٍ من الله وضمن حدود السبب ، وقد قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِه أَحَدًا ﴿٢٦/٧٢﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه رَصَدًا ﴿٢٧/٧٢﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨/٧٢﴾ وهذا أمرٌ زَادَ من إعجاز هذا القرآن العظيم ، حتى انّك ترى هذا القرآن جديداً في كلِّ زمان ، عميقاً في كلِّ طورٍ ، يخاطبُ الأمم والأجيال ، يخاطب إبنَ البادية في نفس الوقت الذي يخاطب بنفس الآية إبنَ التكنولوجيا والتقنيَّة الجبّارة ..!

سرُّ هذا القرآن أنّه عميق الدلالة ، خـزّانٌ لا ينضـب ، بحـرٌ لا ينفـد ، يجـري مجرى الشمس والقمر ، ويدور مدار الليل والنهار . والأمر فيه موكولٌ إلـى الراسـخين فـي العـالم ، المنصـوبين مـن قبـل الله تعـالى ، كـالنبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام . وهم الذين قَرَنَ النبيُّ صلى الله عليه وآله في وصـيّتِهِ الخالـدة بيـنهم وبـين القرآن فقال : إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهـل بيتـي ، مـا إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً . ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

بل في طائفة من النصوص المفسِّرة تأكيـد عميـق بمـدلول القـرآنِ على عظمة أهل البيت عليهم السلام ومقامهم الشريف ، ففي روايـة أبـي الطفيـل عـن أبي ذر قال : سمعت فاطمة عليها السلام تقـول : سـألت أبـي عـن قـول الله ﴿ وعلـى الاعراف رجالٌ يَعرِفُون كلّاً بِسِيمَاهُم ﴾ ؟ قال صلى الله عليه وآله : [هم الائمـةُ بعـدي ، علـي وسبطاي ، وتسعةٌ مِن صلب الحسين . هم رجالُ الاعراف ، لا يدخل الجنـة إلا مَن يعرفهم ويعرفونـه . ولا يـدخل النـار إلا مَـن أنكـرهم وينكرونـه . لا يُعرَفُ اللهُ إلا بسبيل معرفتهم][1] . إشارة كبيرة إلى انَّهم البابُ الذي منـه اللهُ يُؤتى ، والحبل الذي أمر الأمم والأجيال أن تتمسَّك به إلـى قيـام السـاعة . فهم الأعراف ، وبيدهم صكُّ الأمان ومعرفتُهم تعني الإلتزام بمواثيق اللهِ .

انّهم الأئمَّة الإثنـا عشـر أوَّلُهـم علـيٌّ عليه السلام وآخـرهم المهـدي عجل الله فرجه . وبالتالي النصُّ ناظرٌ إلى أزمـانِ هـؤلاءِ العظـام المختلفـة ، بـدءاً مـن زمـنِ عليٍّ عليه السلام وانتهاءاً بزمن المهدي عليه السلام . وفي رواية محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن شيئ في الفرج ؟ فقال : [أو ليس تعلـم أنَّ انتظـارَ الفـرجِ مِـن الفـرج .! إنَّ الله يقـول : ﴿ انتظـروا إنـي معكـم مـن

---

[1] كفاية الاثر : صـ ١٩٤ -

المنتظرين ﴾][1] . الإمام عليه السلام اعتمد الآية ليشير إلى عمقِ مصاديقها ، فحدَّد واحدةً من هذهِ المصاديق المقصودة من انّها تكون في زمن الغيبة للمولى المهدي عليه السلام الذي يغيب غيبة طويلة ويخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، مؤكِّداً أنّ انتظار الفرجِ بمثابة الفرج . وأشرنا فيما سبق إلى مضامين تؤكِّد انَّ انتظار الفرج يعني تهيئة النفس ليوم الفرج الأعظم ، عبر الإلتزام بمواثيق الشريعة وتوطئة ما أمكن لقيام أمر الإسلام وظهور الإمام .

وفي لفظٍ آخر عن أحمد بن محمد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : [ما أحسن الصبر وانتظار الفرج . أما سمعتَ قول العبد الصالح : ﴿ انتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾][2] . فهذا من بابِ التأكيد على ضرورة التزام أمر المهدي عليه السلام في غيبتِهِ وحضورِهِ . أي اعتناق الشريعة والتزامها والعمل وفق قوانينها ومفاهيمها وبذل النفس والمال والولد في سبيل إعزاز كلمة الله تعالى وقيام أمر الدِّين وحفظ الشريعة والحكم على أساسِها وتحت عناوينها .

وهناك طائفة يشيرُ لسانُها إلى أحداث تقع في آخر الزمان ، منها الرجعةُ لأهلِ البيتِ عليهم السلام ، على انَّ بعض لسان هذه الرواية فيه شيءٌ من المجاز والإستعارة التي سِيقت على نحو صيغة البشارة بما تعنيه من بيان إجمالي لا تفصيلي . ففي رواية جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يُقتَل : [إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قال : يا بُنيَّ إنَّك

---

[1] العياشي : ج ٢ ص ١٣٨ ، ح ٥٠ –

[2] العياشي : ج ٢ ص ٢٠ ، ح ٥٢ –

ستُسَاق إلى العراق ، وهي أرضٌ قد التقى بها النبيون وأوصياءُ النبيين . وهي أرضٌ تدعى عمورا وإنَّك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسِّ الحديد ، وتلا : ﴿ يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ ، تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً . فأبشروا فوالله لَئِن قتلونا فإنَّا نَرِدُ على نبينا ﷺ . ثم أمكثُ ما شاء الله فأكون أوَّل مَن تنشقُّ عنه الارض فأخرج خرجةً توافق خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا عليه السلام وحياة رسول الله ﷺ ، ثم لينزلنَّ عليَّ وفدٌ مِن السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الارض قط ، ولينزلَنَّ إليَّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وجنودٌ مِن الملائكة ولينزلنَّ محمَّد وعلي وأنا وأخي وجميع مَن مَنَّ اللهُ عليه في حمولات مِن حمولات الرب . خيل بلق من نورٍ لم يركبها مخلوق ، ثم لَيهزنَّ محمَّدٌ لواءه وليدفعنَّهُ إلى قائمنا عليه السلام مع سيفه . ثم إنَّا نمكثُ مِن بعد ذلك ما شاء الله . ثم إنَّ الله يُخرج من مسجد الكوفة عيناً مِن دهنٍ وعيناً مِن لبنٍ وعيناً مِن ماء ، ثم إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يدفع إليَّ سيف رسول الله ﷺ ، فيبعثني إلى الشرق والغرب ولا آتي على عدوٍّ إلا أهرقت دمه ، ولا أدع صنماً إلا أحرقته ، حتى أقع إلى الهند فأفتحها ، وإنَّ دانيال ويونس يخرجانِ إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقولانِ : صدق الله ورسوله ، ويبعث اللهُ معهما " إلى البصرة " سبعين رجلاً فيقتلون مقاتلتهم ، ويبعث بعثاً إلى الروم فيفتح اللهُ لهم ، ثم لأقتلنَّ كلَّ دابة حرَّمَ اللهُ لحمها حتى لا يكون على وجه الارض إلا الطيِّب ، وأعرض على اليهود والنصارى وساير الملل ولأخيِّرنَّهُم بين الاسلام والسيف ، فمن أسلم مننتُ عليه ، ومن كره الاسلام أهرق اللهُ دمه ، ولا يبقى رجلٌ مِن شيعتنا إلا أنزل اللهُ إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنزلته في الجنة . ولا يبقى على وجه الارض أعمى ولا مُقعَد ولا مُبتَلى إلا كشف اللهُ عنه بلاءه بنا أهل البيت . ولتنزلن البركةُ مِن

السماء إلى الارض حتى أنَّ الشجرة لتقصف بما يريد الله فيها من الثمرة وليأكلنَّ ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء . وذلك قوله تعالى : ﴿ ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتَّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذَّبُوا ﴾ ، ثم إنَّ الله لَيَهب لشيعتنا كرامةً لا يخفى عليهم شيئ في الارض وما كان فيها حتى أنَّ الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون][1] ..

هذا النص يتضمَّن ركائز عدَّة ، منها الكرامة التي أعطاها اللهُ عزَّ وجلَّ لأهل البيت عليهم السلام ، ثمَّ ما يؤولُ إليه أمرهم ، وبالأخص زمن ظهور قائم آل محمَّد المهدي عجل الله فرجه ، بل في النص تأكيد على أمر المهدي عليه السلام ، إلا انَّ جملة من معانيه جاءت على نحو الكناية التي تحتاجُ إلى تفاصيل بيان معانيها . كما جاء بعضها مُجمَلاً . المهم أنَّ ركائز النص وأصل فقراته شديد الصحّة بدلالة النصوص الكثيرة ، من مثل قيام قائم آل محمّد المهدي عجل الله فرجه ، والرجعة وشبه ذلك .

وفي متونٍ أخرى تأكيد على وراثة المتّقين ، وفي صريح بعضِها انَّها واردةٌ في قيامِ أمر المهدي عليه السلام كما انها شاملة للرجعة وصفاتها ، ففي رواية أبي خالد الكابلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [﴿ إنَّ الارضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ ، وأنا وأهل بيتي الذين أورثنا (اللهُ) الارضَ . ونحن المُتَّقون ، والارضُ كُلُّها لنا ، فمَن أحيا أرضاً مِن المسلمين فعمَّرَهَا فليُؤدِّ خراجها إلى الامام مِن أهل بيتي ، وله ما أكل منه . فإنْ تركها

---

[1] الخرائج : ج ٢ ص ٨٤٨ ح ٦٣ –

وأخربها بعدما عمَّرَهَا ، فأخذها رجلٌ من المسلمين بعده فعمَّرَهَا وأحياها فهو أحقُّ بها من الذي تركها ، فليؤدِّ خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منه ، حتى يظهر القائم عليه السلام من أهل بيتي بالسيف ، فيحوزها ويمنعها ويخرجهم عنها ، كما حواها رسولُ الله صلى الله عليه وآله ومنعها . إلا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم ، ويترك الارض في أيديهم][1] .

عناصرُ هذا المتن عدَّة ، منها التركيز على قيام القائمِ المهديِّ عليه السلام بدليلِ الآية ومعانيها ، ثمَّ الرجعةُ أيضاً بدليل الآية ومعانيها ، وما يؤولُ إليه الأمر بعد ظهور القائم عليه السلام من أخذ الأرض التي تُحيى بالعمارةِ ، بحيث يكون مآلُها للمهدي عليه السلام إلا ما كان في أيدي الشيعة فإنَّه يقاطعهم عليها ، وهي في ذيلها تؤكِّد على جزء نموذجي من إعادة توزيع الثروة في أيَّام المهدي عليه السلام على نحوٍ من قسطٍ وعدلٍ عظيم . والقيمة المنظورة من هذا المضمون ترتكز على سعة مدلول قوله تعالى : ﴿ والعاقبة للمتَّقين ﴾ ، وفي رواية سفيان الجريري عن أبي صادق ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [دولتنا آخرُ الدُّوَل ، ولم يبق أهلُ بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا ، لئلَّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾][2] .

فبالإضافة إلى المخزون المقرون بهذا اللفظ القرآني فإنَّ فيها تأكيداً على ضرورة وحتميَّة قيام دولة آل محمّد بمنظارها العالمي ، الذي معه يحكم الإسلام أقطار الأرض وما تصله يدُ البشر . وبذلك تتجلَّى حكومةُ اللهِ

---

[1] العياشي : ج ٢ ، صـ ٢٥ ، ح ٦٦ –

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٨٢ –

تعالى وحكومةُ رسولِه ﷺ عبر حكومة المهدي عليه السلام سليل الأئمة والثاني عشر منهم ، وفي النصوص الكثيرة ورد : ما كان لله فهو لرسوله ، وكان كان للرسولِ فهو للإمام . ففي رواية عمار الساباطي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [﴿ إنَّ الارضَ للهِ يُورثها مَن يشاء مِن عباده ﴾ ، فما كان للهِ فهو لرسوله ، وما كان لرسول الله فهو للامام بعد رسول الله ﷺ][1] .

وفي بعض المتون إشارة مصداقيَّة تطبيقيَّة إلى مضمون قوله تعالى ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ لِمَا يحصل في آخر الزمن ، زمن ظهور المهدي عليه السلام ، ففي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إذا قام قائم آل محمد عليه السلام استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً ، خمسة عشر مِن قوم موسى عليه السلام الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، وسبعة من أصحاب الكهف ، ويوشع وصي موسى ، ومؤمن آل فرعون ، وسلمان الفارسي ، وأبا دجانة الانصاري ، ومالك الاشتر][2] ..

---

[1] العياشي : ج ٢ ، صـ ٢٥ ، حـ ٦٥ –

[2] العياشي : ج ٢ ، صـ ٣٢ ، حـ ٩٠ – وهناك رواية – فيها شيئٌ من النقاش – عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : [إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق ، خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً ، فامتزج الماءآن ، فأخذ طيناً من أديم الارض فعركه عركاً شديداً ، فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذر يدبون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال يدبون : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . قال : ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ألست بربكم . ثم قال وإنَّ هذا محمد رسولي ، وإنَّ هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى فثبتت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم ألا إنِّي ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي ، وإنَّ المهدي أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا وشهدنا يا رب . ولم يجحد آدم ولم يقر ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ، ولم يكن لآدم عزم على الاقرار به . وهو قوله عزوجل : * (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) ، قال : إنما يعني فترك ثم أمر ناراً فأججت ، فقال لاصحاب الشمال : ادخلوها فهابوها ، وقال لاصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم بردا وسلاما ، فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ،

النص صريح في ظهور أصحاب هذه الأسماء ، ولا يشيرُ إلى الكيف الإستخراجي ، كما لا يشيرُ إلى الوقت التفصيلي من موقع الأحداث ، وهل يقع ذلك ضمن إطار الرجعة أم عنوانُهُ ناظر إلى غيرها ؟ يبدو مِن لحن النصِّ الإشارة إلى واحدة من مضامين الرجعة . نعم ما ورد في هذا المتن هو بيان مصداقي غير حصري ، وهناك متون تشير إلى أكمل أو أشرف المصاديق فيها . ففي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام عن قوله : ﴿ وممَّن خلقنا أمَّةٌ يهدون بالحقِّ وبه يعدِلُون ﴾ ؟ قال عليه السلام : [**هُم الائمة عليهم السلام** ، وإنَّ الله تعالى جعل على عهده الامة شهداء قال : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم ﴾ . وقال في النبيِّ : ﴿ ليكون الرسولُ عليكم شهيداً ﴾ ، وفي علي عليه السلام : ﴿ ويتلوهُ شاهد ﴾ ، وفي الائمة : ﴿ وتكونوا شهداء ﴾ آلُ محمَّد يكونون شهداء على الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله][1] ..

وعليه : الجمعُ بين النصوص يكون على نحو بيان الشمول في متنِ الآية وتنوُّع اللفظ الممتد إليه ، فيما لسان النصوص المفسِّرة قد يكون شموليَّاً وقد يكون جزئيَّاً في مقام بيان مصاديق اللفظ القرآني وتطبيقاتِه . إذن المسألة في المجال التطبيقي قد تكون في بيان الجزء المشمول لا كلَّ المشمول . خاصَّةً إذا علمنا انَّ القرآن فيهِ من خزائن العلم ما يجعل القرآن حيَّاً جديداً إلى يوم القيامة .

فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، فثم ثبتت الطاعة والمعصية – المصادر : * : بصائر الدرجات : صـ ٧٠ ، بـ ٧ حـ ٢ –

[1] مناقب ابن شهر اشوب : جـ ٤ ، صـ ٤٠٠ –

بغتة الظهور

للظهور علامات وشرائط ، لكنَّ تحديد الموعد وبيان المواقيت أمرهُ بيد الله تعالى ، وقد تكاثرت النصوص التي تؤكِّد على كذب المؤقِّتين . نعم ، إذا ظهر المهدي عليه السلام أصلح اللهُ أمره في ساعة . وأنَّ أمر المهدي عليه السلام كأمر الساعة من حيث المباغتة . وفي رواية الكميت بن أبي المستهل قال : دخلتُ على سيدي أبي جعفر ، محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت : يا بن رسول الله ، إني قد قلتُ فيكم أبياتاً ، أفتأذن لي في إنشادها ؟ فقال عليه السلام : إنها أيَّام البيض . قلت : فهو فيكم خاصة . قال : هاتِ ، فأنشأت أقول : . . فلمَّا بلغت إلى قولي : متى يقومُ الحقُّ فيكم ، متى يقوم مهديكم الثاني . . فقال عليه السلام : .. لقد سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عن ذلك ، فقال : [إنَّما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة][1] ..

إشارة إلى صفة الظهور التي تقع . ما يعني انّ عرضنا للشرائط والصفات يكون على نحو بيان الكلِّي المفهوم من النص . أمَّا المصداق الحصري فأمرهُ واقعٌ في علم الله تعالى ، فإذا تمَّ أذن اللهُ تعالى للمهدي بالظهور ، فيكون ظهورهُ كالبغتة التي يقع على أثرها أعظمُ تحوُّل تاريخي في الفترة الأخيرة من زمن الإنسان .

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٤٨ –

وفي رواية عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعتُ دعبل بن علي الخزاعي يقول : أنشدتُ مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام قصيدتي التي أوَّلُهَا : مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزلُ وحيٍ مقفر العرصات . فلما انتهيتُ إلى قولي : خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٌ * يقومُ على اسم الله والبركات . يميِّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ * ويجزي على النعماءِ والنقمات . بكى الرضا عليه السلام بكاءاً شديداً ، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي :

يا خزاعيُّ ، نطقَ روحُ القُدُسِ على لسانك بهذين البيتين . فهل تدري مَن هذا الامام ومتى يقوم ؟ فقلت : لا يا مولاي ، إلا أنِّي سمعتُ بخروجِ إمامٍ منكم يُطَهِّرُ الارضَ مِن الفساد ويملأها عدلاً (كما مُلِئَت جوراً) .

فقال عليه السلام : يا دعبل ، الامامُ بعدي محمَّدُ ابني ، وبعد محمد ابنُهُ علي ، وبعد علي ابنُهُ الحسن ، وبعد الحسن ابنُهُ الحجَّةُ القائمُ المنتظرُ في غيبتِهِ المُطَاعُ في ظهورِهِ . لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحد لطوَّلَ اللهُ عزوجل ذلك اليوم حتى يخرجَ فيملأ الارض عدلاً كما مُلِئَت جوراً . وأمَّا « متى » ؟ فإخبارٌ عن الوقت ، فقد حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قيل له : يا رسولَ الله ، متى يخرجُ القائمُ عليه السلام من ذريتك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « مثله مثل الساعة التي ﴿ لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾][1] .

ففي هذا الحديث الشريف تركيزٌ عميقٌ من الشاعر دعبل على موضوع قائم آل محمَّد عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان ، بحيث يختزنُ فيهِ التواتُرَ المعروف بأمرِ هذا القائم المذكور على لسانِ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمة

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٧٢ بـ ٣٥ حـ ٦ –

والأصحاب والأتباع وكافّة الرواة والمسلمين ، وهذا أمر من أكبر مِيَز موضوع المهدي عليه السلام .

وفي الذيلِ تثبيتٌ رفيعٌ مِن قِبَلِ الإمامِ عليه السلام لحقيقةِ أنَّ ظهورَ المهدي عليه السلام في آخر الزمان يأتي بغتةً مثل الساعة ، وما علمها إلا عند الله تعالى ، وقد قال الله عزَّ وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ، لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧/٧﴾

على أنَّ مجمل النص فيه من الإشارة والإختزان والعمق ما يجعله من الشهادات المركّزة جداً في إشارتِها العميقة إلى شياع وذياع وسطوع أمر المهدي عليه السلام الذي كثر التعبير عنه في النصوص ولسان الرواة بقائم آل محمَّد صلى الله عليه وآله .. وعلى كلٍّ حال ، هذا النص من الشهادات العميقة المهمّة جداً ، وفيهِ من المخزون والدلالة والتصوير ما يجعله شديد الحياة والإشارة والحيويّة . ويكفي فيه قراءة مدلول العناصر المكوِّنَة لقضاياها ومعانيها لجهة بيان تراث الأطراف المحمولة في طيَّاتِ الألفاظ ومداليها .

والمفهوم العام من النص أنَّ المهدي عليه السلام إذا قام ملأ الدنيا عدلاً ، وأبطل الباطل ، ونشر دين الإسلام وأقام العالم على هديه . وفي رواية جابر قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في قول الله : ﴿ يريدُ أن يُحقَّ الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام : [تفسيرها في (الظاهر) يريدُ الله ، فإنه شيئ يريدُهُ ولم يفعله بعد ، وأمَّا قوله : ﴿ يحقّ الحقَّ بكلماته ﴾ ، فإنه يعني يحقُّ حقَّ آل محمد ، وأما قوله : ﴿ بكلماته ﴾ ،

قال : كلماته في الباطن علي عليه السلام ، هو كلمة اللهِ في الباطن ، [أي ممَّا يجري فيهِ هذا المعنى وهو مِن مضامينه] ، وأما قوله : ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ ، فهم بنو أمية .. يقطع اللهُ دابرهم . وأما قوله : ﴿ ليُحقَّ الحق ﴾ ، فإنه يعني ليُحقَّ حقَّ آل محمد حين يقوم القائمُ عليه السلام . وأما قوله : ﴿ ويبطل الباطل ﴾[1] ؟ يعني القائم عليه السلام [الذي يبطل الباطل] . فإذا قامَ عليه السلام يُبطل باطلَ بني أمية . وذلك قوله : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾][2] .

واضح أنَّ مجموع الآيات يتحدَّثُ عن معانٍ عميقة ، ذات مداليل متنوِّعة في سعة ما تنطبقُ عليه . وأن من أبرز معانيها رموزاً رئيسيين أمثال الإمام علي عليه السلام الذي هو مصداقُ كلمة الله تعالى ، والإمام المهدي عليه السلام الذي يُبطل الباطل ويُقيم العدل وينشر دولة الإسلام . على أنَّ الباطل الذي يُبطِلُهُ أعم من باطل بني أميَّة بدلالة كثيرٍ من النصوص التي أكَّدت انَّ المهدي عليه السلام يُبطل باطل الظالمين والجائرين من السفيانيين والكفرة والجاحدين وغيرهم ، كباطل الروم وباطل الترك وباطل اليأجوجيين وباطل أممٍ متعدِّدة تكون في آخر الزمان تقيم حكمها وسلطانَها على قيم ومواثيق شديدة الإنحراف والضلال .

---

[1] في قول الله تعالى : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨/٨﴾

[2] العياشي : ج ٢ صـ ٥٠ حـ ٢٤ –

يقيم المهدي دولة الإسلام حتى يُوحَّد الله

في العديد من الآيات المُفسَّرة إظهار للمعنى الأكمل المُراد من قولِه تعالى : ﴿ حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدِّين كلّه لله ﴾ ، تأكيد على المحض التوحيدي لله تعالى وفق منظومة الإسلام الشريف . ففي رواية عمر بن أذينة عن محمد بن مسلم قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قول الله عزوجل : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدِّين كلّه لله ﴾ ؟ قال عليه السلام : [لم يجيئ تأويل هذه الآية بعد ، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله رخَّصَ لهم لحاجته وحاجة أصحابه ، فلو قد جاء تأويلها لم يُقبَل منهم ، لكنَّهُم يُقتَلُون حتى يُوحَّدَ اللهُ عزَّوجلَّ وحتى لا يكون شرك][1] .

لسانُ النصِّ يؤكِّد انّه في دولة المهدي عليه السلام لا يكون إلا الإسلام ، حتى يُوحَّد اللهُ على لسان الجميع . على أنَّ طائفة من النصوص أكّدت انَّ قسماً من المشركين والكفرة يتهافتون على الإسلام لعظيمِ ما يرون من حُججٍ في بياناتِ في المهدي عليه السلام واحتجاجاتِه . في حين قسمٌ آخرون يُصرُّون على الرفض والجحود وإعلان العداوة والحرب على المهدي عليه السلام فيقاتلهم المهديُّ عليه السلام حتى يُقيم حكمَ اللهِ فيهم . وفي رواية عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) عن أبي جعفر عليه السلام . . في حديثٍ طويلٍ قال فيه : ولا يقبل

---

[1] الصافي : ج ٢ صـ ٣٠٣ -

صاحبُ هذا الامر الجزية كما قبلها رسولُ الله ﷺ وهو قول الله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدِّين كلّه لله ﴾ ، قال أبو جعفر عليه السلام : [يقاتلون والله حتى يُوحَّدَ اللهُ ولا يُشرَكَ به شيئاً ، وحتى تخرجَ العجوزُ الضعيفةُ مِن المشرق تُريد المغربَ ولا ينهاها أحدٌ ، ويُخرِجَ اللهُ مِن الارض بذرَهَا ، وينزِّلَ مِن السماء قطرها ، ويُخرِجُ الناسُ خراجهم على رقابهم إلى المهديِّ عليه السلام ، ويوسِّع اللهُ على شيعتنا . ولولا ما يدركهم (ينجز لهم) من السعادة لبغوا . فبينا صاحب هذا الامر عليه السلام قد حكم ببعض الاحكام ، وتكلَّم ببعض السنن ، إذ خرجت خارجةٌ من المسجد يريدون الخروج عليه ، فيقول لأصحابه : انطلقوا فيلحقوا (ن) بهم في التمارين ، فيأتونه بهم أسرى[1] .. وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمد ﷺ][2] .

لا نعرف ظرف هذه الواقعة ، ومتى ؟ لكن كما يبدو واضحاً أنَّ هذه الخارجة تُعلنُ الحرب على المهدي عليه السلام في وقتٍ متأخِّر ، فينال منهم عليه السلام . تعبير النص أنّهم خارجة ، إشارة إلى إعلانِهم الحرب على المهدي عليه السلام . طبيعة خروجِهم وإعلانِهم الحرب يعني أنَّهم يقترفون الآثام والجرائم التي منها القتل أو الإفساد في الأرض وغير ذلك . وفي النهاية المهديّ عليه السلام يعاقبهم وفق مواثيق الشريعة وينال منهم . وهذه تكون آخر خرجة . ونذكر مِن التاريخ خروج الخوارج الذي أعلنوا الحرب على الإمام علي عليه السلام وأبناء المجتمع الإسلامي ، فلمّا أعلنوا الحرب استتابهم عليه السلام فرفضوا وأصرُّوا على

---

[1] فيأمر بهم فيُذبَحون . أقول : هذه الفقرة لا بدَّ لها من حيثيّة مُوجبة ، النصُّ لم يتحدّث عنها ، من هنا يكون المتن توصيفي دون حيثيات ، في حين الحيثيّات تكون في صحن الواقع . بحيث هناك موجبات للقتل . النصُّ لم يشر إليها . فكان لا بدّ من إيراد هذا التوضيح .

[2] العياشي : ج ٢ ص ٥٦ ح ٤٩ –

إعلانهم الحرب وقتل الأبرياء ، فقتلوا النفس المحترمة وسعوا في الأرض فساداً . فأمر عليه السلام بقتالهم فاجتثَّهم وأبعد خطرهم عن نواحي الناس .

وفي رواية زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : سُئِلَ أبي عن قول الله : ﴿ قاتلوا المشركين كافَّة كما يقاتلونكم كافة ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدِّين كلّه لله ﴾ ، فقال عليه السلام : إنه (تأويل) ، لم يجئ تأويلُ هذه الآية . ولو قد قام قائمنا بعده سيرى مَن يُدرِكُهُ ما يكون مِن تأويل هذه الآية . وليبلغنَّ دينُ محمَّد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل ، حتى لا يكون شركٌ على ظهر الارض ، كما قال الله][1] . أي أنَّ دين الإسلام يستوعب دنيا الإنسان أينما كان وحلَّ ، فهو وحده دينُ الحكم والجماعة والإجتماع بكافَّة أطيافِهِ وشتَّى معانيه .

بتعبيرٍ آخر : دولة آل محمَّد تكون على وصفٍ شمولي استغراقي لبقاع الأرض المختلفة . بل لكلِّ الأمصار التي يصلُها الإنسان ، فيقيم المهديُّ عليه السلام العدل والقسط ويظهر دين الله التوحيدي حتى يُعبد اللهُ أعظم العبادة . نعم الروايةُ تؤكِّد على طابعٍ مُمَيَّز لهذهِ الآية ، أي على حصَّة خاصّة من مراميها ومعانيها المُرادة في مخزون دلالتِها ومصاديق انطباقها .

---

[1] العياشي : ج ٢ ص ٥٦ ح ٤٨ .

الإمامة كلمة الله الباقية

تواترت النصوصُ التي تؤكِّد أنَّ الإمامةَ منصوبةٌ مِن الله ، وأنَّها أمرُ اللهِ تعالى في الأوصياء ، باقية إلى يوم الدِّين ، إثنا عشر خليفة للنبيِّ ﷺ . وهذا أصلٌ اتفاقي بين كافَّة علماء المسلمين أنَّ : الأمر في إثني عشر خليفة من قريش . وقد عدَّدتهم النصوص في كتب الفريقين بدءاً بعلي بن أبي طالب ، وانتهاءاً بالمهدي عليه السلام . وفي رواية ثابت الثمالي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : [فينا نزلت هذه الآية : ﴿ وأولوا الارحام بعضُهُم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، وفينا نزلت هذه الآية : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ ، والامامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب إلى يوم القيامة . وإنَّ للقائم عليه السلام منَّا غيبتين : إحداهما أطول من الاخرى[1] .. وأما الاخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الامر أكثرُ مَن يقولُ به ، فلا يثبت عليه إلا مَن قوي يقينه ، وصحَّت معرفته ، ولم يجد في نفسه حرجاً ممَّا قضينا ، وسلَّمَ لنا أهل البيت][2] .

---

[1] أما الاولى فستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ستة سنين . هكذا وردت في النص ، والترداد لا يُدرى من الراوي أو من النص . وعلى كل حال ، العدد هنا مذكور من باب : إن تستغفر لهم سبعين مرّة ، أي لذكر قصر الغيبة الأولى مقابل الغيبة الثانية التي يطول أمدها . ولهذا التفسير طوائف عديدة تؤكّده بشكلٍ واضح بالإضافة إلى القوانين الإستعماليّة الجارية في ذلك بوضوح .

[2] كمال الدين : ج ١ صـ ٣٢٣ ب ٣١ حـ ٨ -

المتنُ شديدُ الوضوح في أنَّ الكلمة الباقية واردةٌ في الإمامة المنصوبة من قبل الله تعالى ، من باب انّها واحدة من تمام مصاديقها وكمال شرف دلالتِها . والنصوص في هذا المجال كثيرة . وأصل الإمامة وتعيينها من قبل الله تعالى أمر شديد الوضوح والبداهة ، حتى انَّ الخلاف المستعر بين الأنصار والمهاجرين لم يحسمه سوى احتجاج أبي بكر بقول النبيِّ ﷺ انّه قال ﷺ : الأئمَّة من قريش إثنا عشر . فاستسلمت الأنصار ، ونادى بعضُها : أين عليّ ..! وحين أراد أبو بكرٍ وعمر إرضاء العباس عمّ النبي ﷺ احتجَّ عليهما العباس بحديث النبيِّ ﷺ وانّه في أهل البيت عليهم السلام . وقد اعترف كبار الرواة والأصحاب وحملة الحديث بأنَّ حديث الإمامة الإثني عشر إنّما هو وارد في اللفظ والمعنى والتفصيل بالأئمّة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بدءاً بعليٍّ وسبطيه الحسن والحسين ، وانتهاءاً بالتسعة من صلب الحسين عليهم السلام الذين آخرهم المهدي عليه السلام . وانَّ المهدي وَلَدُ رسولِ الله ﷺ من وَلَدِه الحسين عبر سلسلة أئمّة ، وانَّ الحسين من ابنتِه فاطمة زوجة عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام . وانّه عجل الله فرجه يخرج في آخر الزمن فيقيم أمرَ الله وحكمه ، وهو وارث الأنبياء وائمَّة وحجّة الله على الخلق ، وصاحب الثأر ، وسفينة النجاة وبرهان الله العظيم ، ورايته الكبرى في آخر الزمان . وفي رواية علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال :

حجَّ رسولُ الله ﷺ من المدينة . . في حديث طويل - في خطبة الغدير - إلى أن قال ﷺ : [معاشر الناس : النورُ من الله عزَّ وجلَّ فيَّ مسلوكٌ ، ثم في عليٍّ ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي عليه السلام الذي يأخذ بحقِّ الله وبكلِّ حقٍّ هو لنا ، لأنَّ اللهَ عزوجل قد جعلنا حجَّةً على المقصرين

والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين . ألَا إنَّ خاتم الائمة منَّا القائم المهدي عليه السلام ،

ألَا إنه (المهديُّ عليه السلام) الظاهرُ على الدِّين . ألا إنه المنتقم من الظالمين . ألا إنه فاتحُ الحصون وهادمها . ألا إنَّهُ قاتل كلِّ قبيلة مِن أهل الشرك . ألا إنه مدرك بكل ثار لاولياء الله . ألا إنه الناصر لدين الله . ألا إنه الغراف في بحر عميق . ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله . ألا إنه خيرةُ الله ومختاره . ألا إنَّهُ وارث كلِّ علمٍ والمحيط به . ألا إنه المُخبِر عن ربِّهِ عزوجل والمنبّه بأمر إيمانه . ألا إنه الرشيد السديد . ألا إنه المفوض إليه . ألا إنه قد بشّر به من سَلف بين يديه . ألا إنه الباقي حجةً ولا حجةَ بعده ، ولا حقَّ إلا معه ، ولا نورَ إلا عنده . ألَا إنه لا غالب له ولا منصور عليه . ألا وإنه وليُّ اللهِ في أرضه ، وحُكمُهُ في خلقه ، وأمينُهُ في سره وعلانيته . . فأمرتُ أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عزوجل في عليٍّ أمير المؤمنين والائمة من بعده ، الذين هم مني ومنه ، أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق][1] .

وكما ترى : النص شديد الشمول ، نازل منزلة الوراثة والقائم مقام الخلافة والمنصوب من قبل الله تعالى حجّةً على الخلق إلى يوم الدِّين . وذيل النصِّ فيه تأكيد مكين على انّ بيعة النبيِّ صلى الله عليه وآله آنذاك كانت لعليٍّ عليه السلام والأئمَّة من بعده ، أي هي شاملةٌ للخلفاء الإثني عشر الذين صرَّح بهم النبيُّ صلى الله عليه وآله في نصوصٍ كثيرةٍ متَّفق عليها بين الفريقين من السنَّة والشيعة . وانَّ أمر الإمامةِ قائمٌ في الناسِ إلى قيام الساعة ، وانّ من المحتوم أن يُتمَّ

---

[1] كتاب الولاية ، لابي جعفر الطبري : – على ما في الصراط المستقيم . * : الاحتجاج : ج ١ صـ ٦١ –

اللهُ حكم الدِّين وقيمومة الشريعة على يدِ القائم من آل محمَّد الذي ينشر الدِّين ويقيم العدل الإلهي في كافّة أنحاء البشر .

ففي رواية محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ يريدون ليطفئُوا نور الله بأفواههم ﴾ ؟ قال : [يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم ، [أي هذا ممَّا تجري الآية فيه وتنطبقُ عليه وهو واحد من مصاديقها المقصودة] ، قلت : ﴿ والله متمُّ نوره ﴾ ؟ قال عليه السلام : واللهُ مُتِمُّ الامامة ، لقوله عزوجل : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ ، فالنور هو الامام ، قلت : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ ؟ قال عليه السلام : هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيِّهِ ، والولايةُ هي دينُ الحقِّ . قلت : ﴿ ليظهره على الدِّين كله ﴾ ؟ قال عليه السلام : يظهرهُ على جميع الاديان عند قيام القائم عليه السلام . قال عليه السلام يقول الله : ﴿ واللهُ مُتِمُّ نُورَهُ ﴾ : (يعني) ولاية القائم عليه السلام ، ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ ، بولاية علي عليه السلام ..][1] .

والمُلَخَّص العام : انَّ الإمامة عنوانٌ عظيم ، وخلافةٌ تامَّة ، وحجَّة باقية ، وانَّ المهدي عليه السلام أشرف مصاديق إتمام نور اللهِ تعالى في تلك الفترة الأخيرة من الزمن ، حيث يظهر فيقيم الحق والعدل ويقود البشر على هدي الإسلام والعترة وبها يتمُّ القرْنُ الأعظمُ بين الثقلين : كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام .

---

[1] الكافي : جـ ١ صـ ٤٣٢ حـ ٩١ – وفي الذيل يقول : قلت : هذا تنزيل ؟ قال : نعم أما هذا الحرف فتنزيل . وأما غيره فتأويل . أي ما ورد من القرآن تنزيل ، وما أشرتُ إليه تأويل . أي إشارة إلى معنى الآية ومخزونها .

وفي رواية عمران بن ميثم عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : [﴿ هو الذي أرسل رسولَهُ بالهدى ودين الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّين كلّه ﴾ أظهر بعد ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال عليه السلام : كلَّا ، فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قريةٌ إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشياً][1] . أي تمام هذا المعنى الشامل يكون على يدِ القائم المهدي ، الثاني عشر من الأئمّة الذي أعدَّهُ اللهُ تعالى ليقيم العدل الكوني على كافَّة أرجاء تقلُّبات الإنسان أينما كان وحلّ حتى يُوحَّد اللهُ فلا يُشرك بهِ شيئاً . ويُعبد أعظم العبادة في كلِّ نواحي وأمصار وجود الإنسان .

وفي طائفة من النصوص تركيز على إتمام كلمة الله تعالى ، وإشراق أكبر لحظة الظهور وما يتبعه ، وتجسيد لكلمة الله الباقية ، وتحقيق لحلم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في قيام حكومة الدِّين وقيمومة الشريعة ، بعد زمنٍ من الشّطط والإنحراف الذي يقوده الطغيان وقيام مواثيق شديدة التعارض مع قيم الإسلام وضرورات مسيرة البشر الوجوديّة . بحيث يتحقّق الظهور المبارك في زمنٍ تغصُّ فيهِ الأرض بالفساد والإضطهاد والإنحراف القيمي والسلوكي . ففي حديثٍ لأميرِ المؤمنين عليه السلام - من حديث طويل - قال فيه عليه السلام :

[. . كلُّ ذلك لتتم النظرة التي أوحاها اللهُ تعالى لعدوِّهِ إبليس ، إلى أن يبلغ الكتابُ أجلَهُ ، ويحقّ القول على الكافرين ، ويقترب الوعد الحق ، الذي بيَّنَهُ في كتابه بقوله : ﴿ وعد اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَستخلفنَّهُم في الارض كما استخلفَ الذين من قبلهم ﴾ ، وذلك إذا لم يبقَ من الاسلام إلا اسمه ، ومن القرآن

---

[1] العياشي : على ما في مجمع البيان ، والصافي . * : مجمع البيان : ج ٥ صـ ٢٨٠ -

إلا رسمه ، وغابَ صاحبُ الامر عليه السلام بإيضاح الغدر له في ذلك ، لاشتمال الفتنة على القلوب ، حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوةً له ، وعند ذلك يُؤيِّدُهُ اللهُ بجنودٍ لم تروها ، ويُظهر دين نبيّه صلى الله عليه وآله على يديه على الدِّين كُلِّهِ ولو كره المشركون][1] .

هذا تأكيد إضافي للمفهوم التحوُّلي الأكيد للتاريخ ، والرسم الجديد للعالميّة الجديدة ، وهو حتمٌ واقع ، ومظهر خلاصي ضخم للبشريّة ، بعد ملاحم وفتن وجوعٍ أغبر وموتٍ أحمر ، وفوضويَّة هائلة ، وسيطرة عنيفة للقوّة ، وخلط شديد للمفاهيم والحقوق ، وطمس رهيب لأصل النظريّة في فقه الوجود وضرورات المسيرة ، ومعاني الغاية اللازِمة من المسير الكوني والمنطق الطبيعي .

بتعبير آخر : تبدأ رحلة الوجود البشري على الأرض بأبينا آدم الذي شكَّل ثقل الرسالة الأولى ، وتنتهي بثقل الرسالة المحمَّديَّة التي تتمُّ ترجمتها عبر خاتم الأئمّة المهدي عليه السلام ، وبذلك تتحقّق الوراثة للمتّقين . ويمنُّ الله على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمّةً ويجعلهم الوارثين . على انَّ كلَّ واحدٍ من الأئمّة قائمٌ بأمر الله ، لكنَّ الثاني عشر هو الذي يُقيم دولة القسط العالمي ويحقِّق دولة آل محمد الكبرى .

وفي رواية عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : [منَّا إثنا عشر مهدياً ، أوَّلُهُم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وآخرهم التاسع مِن وُلدي ، وهو الامام القائم بالحق عليه السلام ، يُحيي اللهُ به الارض بعد موتها ، ويُظهِر به دينَ الحقِّ على الدِّين كُلِّهِ ولو

---

[1] الاحتجاج : ج ١ ص ٢٥٦

كره المشركون ، له غيبةٌ يرتدُّ فيها أقوامٌ ويثبتُ فيها على الدِّين آخرون ، فيؤذون ويقال لهم : متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين . أما إنَّ الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

على انَّ النصوص التي تحدَّثت عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام كثيرة ، وشديدة التعدُّد ، وكثيرة الطبقات ، وهي ذاتُها التي أكَّدت على النوع البلائي الذي يُصيب الأمم ، كلٌّ بخاصّتِه وما يمكن أن ينطبق عليه ، بالإضافة إلى الأصل العام من غلبة الظلمة والظالمين وثبات متتابع لأمر اهل الفسق والفاسقين ، وتنوُّع مُركّز لقيم الضلالة والإنحراف العام في مجالات الجماعة والمجتمع والبيئة الدوليّة المختلفة . فإذا ظهر المهديُّ عليه السلام بسطَ اللهُ به العدل الأكبر والحكم الأعظم . وقام ذكرُ الإسلام ، وعلا نهجُ النبيِّ المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله مع الآل الكرام . وفي رواية أبي المقدام ، عن أبي جعفر عليه السلام [.. لا يبقى أحدٌ إلا أقرَّ بمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله][2] . وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال : [ليظهره الله ، في الرجعة][3] .

وفي المرسل قال : قال أبو جعفر عليه السلام :[إنَّ ذلك يكون عند خروج القائم عليه السلام][4] . تأكيداً على أمر الله وعظمة اليوم الموعود ، وإتمام كلمتِه تعالى ، وإثباتاً للإستخلاف الوجودي الأكبر في ذلك الزمن الأخير من حقبة البشر ، وتعظيماً لذلك اليوم الذي يشهد التاريخُ فيهِ أكبر تحوُّلٍ على

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٢١٧ ب ٣٠ ح ٣ –

[2] العياشي : ج ٢ ص ٨٧ ح ٥٠ –

[3] العياشي : ج ٢ ص ٨٧ ح ٥٠ –

[4] مجمع البيان : ج ٣ ص ٢٥ –

الإطلاق يطال مركب البشر آنذاك . وأنّه لا يحول دون قيام أمرِ ألإسلام شيئ ، وانّ أمر المهدي سيؤول إلى قيام دولة الحقّ وإتمام نور الله وإعلاء كلمتِهِ ونشر دولة الحقّ الوجودي والعدل السماوي . وهذا الأمر لا يمكن ان تحول دون إتمامِهِ دولة أو جبهة ، حتى لو اجتمعَ أهلُ الأرض كلّهم . وفي رواية محمد بن حمران ، عن الصادق عليه السلام قال :

[إنَّ القائم منَّا منصورٌ بالرعب ، مُؤيَّدٌ بالنصر ، تُطوَى له الارض ، وتظهر له الكنوز كلّها ، ويظهر اللهُ به دينه على الدِّين كُلِّهِ ولو كره المشركون . ثم ذكر جملة مِن علاماته ثم قال عليه السلام : فعند ذلك خروجُ قائمنا عليه السلام][1] .

بتعبيرٍ آخر : يشهدُ آخرُ الزمان نموذجاً ضخماً وحتميّاً من انتصارات أهل الشريعة بقيادة المهدي عليه السلام ، هذه الإنتصارات يتبعها هيكلة وترجمة هائلة لدولة الحقّ الإلهي التي تجمع بين قيمومة القرآن وأهل البيت اللذين يشكّلانِ الثقلين اللذين أوصى بهما نبيُّ الإسلام محمَّد صلى الله عليه وآله ، فيقودانِ دنيا الإنسان في ذلك الركب الباقي من فترة بقاء البشر قبل قيام الساعة .

ومضمون النصوص الكثيرة واضح في هذا المعنى من حتميَّة علو أمر الإسلام وشموله طيف البشر بنحوٍ استغراقي ، بحيث لا يكون بين أيدي الناس إلا الإسلام . مع ضرورة التذكير بأنَّ أُمَماً كثيرة تُعلن حرباً صارمة على جبهة الإمام المهدي عليه السلام منذ أولى لحظات الصوت السماوي بظهورِهِ عليه السلام ، وتتوالى صدامات القوى ، على انَّ طبيعة البيئة الدوليّة تكون

---

[1] إثبات الرجعة : للفضل بن شاذان : - على ما في إثبات الهداة . * : الغيبة للفضل بن شاذان : - على ما في كشف الاستار . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٧٠ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٦ -

على نحوٍ تعدُّدي . بل يستفاد من وصف طائفة من النصوص أنّها تكون على نحوٍ فوضوي لجهة انعدام وجود حكومة عالميَّة وأدوات تنفيذيَّة ذات مفهوم دولي مهيكل ، بل هناك تعدُّد قوى ، تعدُّد دول ، تعارض مصلحي ، خلافات ذات غايات شديدة الإتصال بمفهوم المنافع على المسرح الدولي ، وما إلى ذلك من عناوين ، نعم لا يمنع ذلك من تحقُّق صِيَغ ذات نمط دولي أو هيئات دوليَّة مجوَّفَة من الداخل بحكومة بعض القوى المتعارضة كما هي الحال مع صيغة عصبة الأمم أو الأمم المتَّحدة ، أو صيغة مؤسَّسات دوليّة ذات طابع مالي أو نقدي كما هي الحال مع نموذج الصندوق والبنك الدوليين ..

لكن يستفاد من النصوص الوصفيّة ذات اللسان الإخباري عمَّا يكون في ذلك الزمن أنَّ العالم آنذاك يكون مُثقَلاً بأزمة « انعدام توازن دولي » أو مرجعيَّة ضابطة للسلم والأمن الدوليين . ويكون من نتيجة هذا الأمر أنَّ إعلان الحرب على جبهة المهدي عليه السلام يأتي مُتَنَوِّعاً ، ولا يشكِّل نواة حرب متعدِّدة مِن كل قوى العالم على جبهة الإمام عليه السلام في زمنٍ واحد ، بل هناك دول وقوى بعينها تعلن حربَها على جبهة الإمام عليه السلام فيما دول أخرى تلتزم الصمت أو تمتنع عن إعلان الحرب ، فيما تعلن بعض الدول وبعض القوى الشعبيّة وبعض المؤسَّسات التي تتشكَّل من نسيج المجتمع المدني تعلن ولاءها للإمام المهدي عليه السلام مباشرةً .

وعلى أثر تعقيدات الحرب وجبهاتِها المتنوِّعة في أزمانٍ مختلفة يبدو واضحاً جدّاً أنَّ أيديولوجيا تلك الجبهات تعلن صدامَها العقيدي ضدَّ جبهة الإمام المهدي عليه السلام . بل يبدو من طائفة من النصوص أنَّ إعلانات الحرب تأتي بشكلٍ غالب ومتنامي من الخارج وبشكلٍ ابتدائي ضدَّ جبهة

المهدي عليه السلام . بل يُحارَبُ المهدي عليه السلام منذ لحظة الإعلان عن ظهورِه . ويكون السفياني أوّل مَن يعلن الحرب الشموليّة على المهدي عليه السلام وعلى الشيعة . ويكون مِن أولى تطبيقات هذا الإعلان بعث جيشين : واحد إلى العراق ، والثاني إلى الحجاز .

وعلى أثر حروبٍ متتالية وتعقيداتٍ مختلفةٍ وصدامات متنامية بين القوى تتصاعد قوّة وعظمة جبهة المهدي عليه السلام حتى تشمل دولتُهُ أقطارَ الأرض وما تصله تقلُّبات البشر . ويصحب كلَّ بلدٍ يدخلُهَا عليه السلام إعلانُ الإسلامِ مرجعاً للجماعة والإجتماع والأفراد . ونستفيد من طائفةٍ واسعةٍ من النصوص أنَّ أفراداً وجماعات تُعلن دخولها الإسلامَ بشكلٍ لا سابق له . بل في لسان طائفة واضحة انَّ شرائح لافتة من الشعوب تُعلن إسلامَها وإيمانها بالمهدي عليه السلام بمجرَّد أن يسمعوا دعوتَهُ ويتمعَّنوا بالحجج التي يلقيها . وفي ختام الأمر يشمل الإسلامُ عقيدة الدولة والشعوب ، وعلى نحوٍ استغراقي . وبذلك يتمّ نورُ الله تعالى . ففي رواية المفضل بن عمر قال : سألتُ سيِّدي أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - ضمن حديث طويل - إلى أن قال : قلت قوله : ﴿ ليظهره على الدِّين كلِّه ﴾ ، ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدِّين ؟ قال عليه السلام : [. . يا مفضل ، لو كان ظهر على الدِّين كلِّه ما كان مجوسيَّة ولا نصرانية ولا يهودية ولا صابئة ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العزَّى ولا عبدة الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة ، وإنما قوله ﴿ ليظهره على الدِّين كُلِّه ﴾ في هذا اليوم ، وهذا المهدي عليه السلام ، وهذه الرجعة ، وهو قوله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. ﴾][1] . تأكيداً

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٧٤ - ٨٢ -

على هذا الوصف الشمولي الذي لا يكفي فيهِ إعلان الإسلام كعقيدة دولة ، بل إعلان الشعوب واعتناقهم الإسلام بشكلٍ استغراقي . على انَّ الدقّة الوصفيَّة الإخباريّة عن إعلانات الإسلام واضحة في كثرة الشعوب وتعاظم أمرها التي تعلن اختياريَّاً اعتناق الإسلام الشريف بسبب ما ترى من شأن وعظمة وبراهين وحجج المهدي عليه السلام .

نعم في طائفة من النصوص تطبيق مفهوم : ﴿ ليظهره على الدِّين كلِّه ﴾ على مصاديق واسعة ، منها الرجعة بما تعنيهِ من نعمةٍ ربَّانيّة وتجسيد لنصرة الحقّ الإلهي على الباطل بأشخاصِهِ ورموزه . لتعود الأرضُ كما بدأت مهد عباد الله وأنبياءِه الذين يعبدون الله جهراً بتمام العبادة في أصلتها وتطبيقاتِها . ففي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إنَّ لعلي عليه السلام في الارض كرَّةً مع الحسين ابنه صلوات الله عليهما (إشارة إلى الرجعة) يُقبِلُ برايته حتى ينتقم له من أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه . ثم يبعث اللهُ إليهم بأنصاره يومئذ : من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ومن ساير الناس سبعين ألفاً . فيلقاهما بصفين مثل المرة الاولى حتى يقتلهم ولا يبقى منهم مُخبِر . ثم يبعثهم اللهُ عزوجل فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون . ثم كرة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يكون خليفة في الارض ، وتكون الائمة عليهم السلام عمّاله . وحتى يعبد الله علانية ، فتكون عبادته علانية في الارض كما عُبِدَ اللهُ سرَّاً في الارض . ثم قال : إي والله ، وأضعاف ذلك ، ثم عقد بيده أضعافاً يعطي اللهُ نبيَّهُ صلى الله عليه وآله ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها . حتى ينجز له موعده في كتابه كما قال : ﴿ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ﴾][1] ..

---

[1] بصائر الدرجات : لسعد بن عبد الله : - على ما في حلية الابرار . * : مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٩ -

النصُّ ناظرٌ إلى النموذج التطبيقي للرجعة ، نعم هو على نسق البشارة ، شديد الإختصار في بيان الواقع الموصوف ، لكنّه كافٍ في بيان الظاهرة الوجودية ذات الوصف الخاص الذي يُطلق عليه إسمُ الرجعة التي يتمُّ فيها تجسيد انتصار الحق على الباطل . بتعبير آخر : إنتصار الحق بأشخاص أهل الحق ، على الباطل بأشخاص أهل الباطل . وعليه : ممَّا ينطبق عليهِ قوله تعالى ﴿ ليظهره على الدِّين كلّه ﴾ بدلالة النصِّ متعدّدة وشاملة لجملةٍ من المصاديق ، مثل يوم القائم عليه السلام ، ويوم الرجعة ، وانتصار المسيح عيسى بن مريم لدين الله تعالى وشبه ذلك . وفي رواية أبي هريرة في قوله : ﴿ ليظهره على الدِّين كله ﴾ ، قال : [حين خروج عيسى بن مريم عليه السلام][1] . من بابِ الإشارة إلى ظهور مولانا المهدي عليه السلام الذي يتبعه نزول المسيح والقيام بجهودٍ عظيمةٍ بين يدي الإمام المهدي عليه السلام . وهو كما أشرنا يشكِّل وزير دفاع جبهة الإمام المهدي عليه السلام .

وعن مجاهد في قوله : ﴿ لِيُظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ﴾ ، قال : [إذا نزل عيسى بن مريم لم يكن في الارض إلا الاسلام ليظهره على الدِّين كلِّه][2] . ومعلوم انَّ نزول المسيح على الأرض يكون بعد مرحلةٍ من توطئة الأرض بالإسلام على يدِ الإمام المهدي عليه السلام ، لكنَّ الإسلام آنذاك لا يكون مستغرقاً لكافَّة أقاليم الأرض ، وبالتالي لا يكون شاملاً لكامل مجموعة منظومة الحكم والشعوب في الأرض . فيقوم المسيح على رأس وزارة آل محمّد إلى أن يتمَّ اللهُ نوره وتشرق الأرض بضياء الإسلام

---

[1] عبد بن حميد : - على ما في الدر المنثور . * : أبو الشيخ : - على ما في الدر المنثور . * : جامع البيان : جـ ١٠ صـ ٨٢ -

[2] البيهقي : جـ ٩ صـ ١٨٠ -

الشريف . ويتَّفق السنَّة مع الشيعة كلمةً واحدةً أنَّ أصل قيام العدل في الأرض إنما يكون على يدِ الإمام المهدي (عليه السلام) الذي ثبت في النصوص المتواترة أنَّه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . إذاً هو قطب الرحى ، هو المركز الأساس في ثقل قيادة الأمم إلى دين الله ونظْمِ الجماعة البشريَّة على هيكل نظام الإسلام ليس وفق أطروحة النظريّة السياسيَّة العامة من باب عقيدة الدولة فحسب ، بل استغراق الإسلام كعقيدة وشريعة لصدور الجماعة البشريَّة وأعمالها .

وفي المرسل عن سعيد بن جبير في تفسير قوله عزوجل : ﴿ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ﴾ ؟ قال : [هو المهديُّ مِن عترة فاطمة (عليها السلام)][1] .

وفي « القمي » قال : قوله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ﴾ : [هو الامام الذي يظهره اللهُ على الدِّين كلِّه فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً . وهذا ممَّا ذكرنا أن تأويله بعد تنزيله][2] . تأكيداً منهم لأصل المحور ، وعمَّا يقع من تحوُّل يطرأ على أرض الإنسان في ذلك الزمان ، والذي يتجلّى بمقام الإمامة الخاتمة التي تقود الأرض وأهلها إلى أعظم اعتناق وجودي قيمي مفاهيمي شريعي يعبِّر عنه الإسلام وقيمومة القرآن والعترة .

وقد رُوِي عن أبي هريرة أنه قال : [هذا وعدٌ مِن اللهِ بأنه تعالى يجعل الاسلام عالياً على جميع الاديان] . ثم قال الراوي : [وتمام هذا إنما

---

[1] بيان الشافعي : صـ ٥٢٨ بـ ٢٥ –

[2] القمي : جـ ٢ صـ ٣١٧ –

يحصل عند خروج عيسى . وقال السدي : ذلك عند خروج المهدي ، لا يبقى أحدٌ إلا دخل في الاسلام ، أو أدَّى الخراج][1] . بتعبيرٍ آخر : لحْظُ النصِّ في بعض المتون للمسيح ﷺ إنَّما هو من باب المصداق الذي يُشارُ بهِ إلى آخر الزمان الذي يقود بهِ المهديُّ أعظمَ تحوُّل عالمي ويعلن الإسلام منظومة الجماعة البشريَّة تحت راية واحدة وبإسم أمّة واحدة . وكُتُب السنّة شديدة الإتفاق مع كتب الشيعة على انّ أصل حركة التاريخ وصناعة مجد الفترة الأخيرة من حياة البشر زمن الظهور إنّما يعود إلى قيادة المهدي ﷺ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

وعليه : ما ورد في طائفةٍ من منقولاتِ أهل السنّة في البيان التطبيقي ، إنّما هو إشارة جزئيّة رمزيَّة إلى يوم المهدي الذي يشكِّل العمق الأكبر في صناعة تاريخ الأرض آنذاك ، بل يشكِّل محور تاريخ العالم الجديد . وذلك جمعاً بين هذهِ الطائفة من النصوص وغيرها من الروايات المتواترة جداً التي تؤكِّد انّ المهدي ﷺ هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلِئت فساداً وظلماً . وعن مجاهد في قوله عزوجل : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ : [يعني حتى ينزل عيسى بن مريم فيُسلِم كلُّ يهودي وكلُّ نصراني وكلُّ صاحب ملَّة وتأمن الشاة الذئب ، ولا تقرض فأرة جراباً وتذهب العداوة من الاشياء كلِّها وذلك ظهور الاسلام على الدِّين كله][2] . يعني زمن المهدي ﷺ الذي يُشكِّل إمامَ أهل الأرض ، فيما يكون المسيح وزير دفاع جبهتِهِ ، بل يُصلِّي خلفَ المهدي ﷺ ، ويقود بعض الجيوش بين يديه .

---

[1] التفسير الكبير : ج ١٦ صـ ٤٠ –

[2] سعيد بن منصور : – على ما في الدر المنثور . * : البيهقي : ج ٩ صـ ١٨٠ –

وفي مضامين آياتٍ عديدة إشارات رفيعة ، ذات بعد عظيم ، تدلُّ على العظمة التي قرنها الله بالقرآن من مخزون العلم وأسرار الكَلِم . ففي رواية معاذ بن كثير صاحب الاكسية قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [مُوسَّعٌ على شيعتنا أن يُنفقوا ممَّا في أيديهم بالمعروف ، فإذا قام قائمنا عليه السلام حرم على كلِّ ذي كنزٍ كنزُهُ ، حتى يأتيه به فيستعين به على عدوِّهِ وهو قول الله عزوجل : ﴿ والذين يكنزون الذهبَ والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾][1] . أقول : هذا من المضامين الرفيعة والنُّكَات الساطعة في هذهِ الآية ومداليلها التي تأخذ بطيَّات القلوب ومجاميع العقول .

وفي رواية زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : سُئِلَ أبي عليه السلام عن قول الله : ﴿ قاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [إنَّه تأويلٌ ، لم يجئ تأويل هذه الآية . ولو قد قام قائمنا عليه السلام بعده سيرى مَن يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية ، وليبلغنَّ دينُ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ما بلغ الليلُ حتى لا يكون شرك (مشرك) على الارض كما قال الله][2] .. بحيث يكون الشمول والإطباق لدين الإسلام دون غيرهِ ، وهو شرط ضروري لكمال البشر بالمعنى المسيري وتوابعه في طول مرحلة التتابع الوجودي الذي ينتقل الإنسانُ في مركبه من الدنيا إلى الآخرة ، بالإضافة إلى منافع اتِّبَاع الإسلام بالدنيا والآخرة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ، وَلَكِن كَذَّبُواْ . فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦/٧﴾

---

[1] العياشي : ج ٢ ص ٨٧ ح ٥٤ –

[2] العياشي : ج ٢ ص ٥٦ ح ٤٨ –

بل في بعضها لحنٌ رائعٌ ومعانٍ رفيعة في بيان المخزون الإعجازي على مستوى الزمن المدلولي للقرآن بشكلٍ استيعابي لكافَّة الأزمان وبعناوين ومصاديق متتابعة شديدة الإرتباط بدلالة اللفظ القرآني ومعانيه . ففي رواية جابر الجعفي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن تأويل قول الله عزوجل : ﴿ إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حُرُم ، ذلك الدِّين القيّم فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم ﴾ ؟ قال : فتنفَّس سيِّدي الصعداء ثم قال : [يا جابر ، أمَّا السنة فهي جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهورها اثنا عشر شهراً . فهو أمير المؤمنين ... وإلي ، وإلى ابني جعفر وابنه موسى ، وابنه علي ، وابنه محمد ، وابنه علي ، وإلى ابنه الحسن ، وإلى ابنه محمد الهادي المهدي ، إثنا عشر إماماً حُجَجُ الله في خلقه ، وأمناؤه على وحيه وعلمه . والاربعة الحُرُم الذين هم الدِّين القيِّم ، أربعة منهم يخرجون باسم واحد : علي أمير المؤمنين وأبي علي بن الحسين وعلي بن موسى وعلي بن محمد ، فالاقرار بهؤلاء هو الدِّينُ القيم . ﴿ ولا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ : أي قولوا بهم جميعاً تهتدوا][1] . فهذه المعاني وليدةُ الألفاظِ ومصداقُ دلالتِها ، وعنصر رئيسي من مضامينها ، وهي مصداق شمولي لأطياف كثيرة ، متكثِّرة بالأحداث ، وناظرة إلى مفردات تطبيقيَّة مستغرقة لأزمانٍ طويلةٍ متنوِّعة وهائلة . وهذا معنى حياة القرآن وإعجازه الدائم وحياته المتجدّدة ، وأسراره العميقة ومخزونه الذي لا ينضب .

وفي لياقة تطبيقيَّة رفيعة أيضاً روى داود بن كثير الرقي قال : دخلتُ على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام بالمدينة فقال لي : [ما الذي

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٩٦ -

أبطأ بك يا داود عنَّا ؟ فقلت : حاجة عرضت بالكوفة . فقال عليه السلام : مَن خلفت بها ؟ فقلت : جعلت فداك خلفتُ بها عمَّك زيداً ، تركته راكباً على فرسٍ متقلِّداً سيفاً .. ثم نادى (أي الإمام الصادق عليه السلام) : يا سماعة بن مهران ايتني بسلَّة الرطب ، فأتاهُ بسلَّة فيها رطب ، فتناول منها رطبة فأكلها واستخرج النواة من فِيْهِ فغرسها في الارض ، ففلقت وأنبتت وأطلعت وأغدقت ، فضرب بيده إلى بسرة من عذق فشقها واستخرج منها رقاً أبيض ، ففضَّهُ ودفعه إليَّ ، وقال : اقرأه ، فقرأته وإذا فيه سطران : السطر الاول « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » والثاني « إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيِّم » : [أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ، محمد بن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ، محمد بن علي ، علي بن محمد ، الحسن بن علي ، الخلف الحجة] . ثم قال : يا داود ، أتدري متى كُتِبَ هذا في هذا ؟ قلت : اللهُ أعلم ورسوله وأنتم . فقال : قبل أن يخلق اللهُ آدم بألفي عام][1] .

ففي هذا المتن تركيز مطلق على المخزون العظيم والدقّة الرفيعة في تطبيقات القرآن التي تعتمد المعنى المقصود في اصل دلالة اللفظ القرآني ، والتي تُشكِّل جزءاً من المخزون القرآني الذي يحتاجُ إلى بيان الراسخين في العلم . وبصورةٍ عامَّة هو تأكيد على قيمومة الشريعة وعظمة القرآن والقرن بأهل البيت عليهم السلام الذين يُشكِّلون مفاتيح البيان الأعظم لهذا القرآن . ومعلوم انّهم الأئمّة المنصوبون من قبل الله تعالى ، إثنا عشر إماماً إلى قيام الساعة ، هم حجج الله ، والباب الذي منه يُؤتى ، والحبل الذي به نعتصم

---

[1] النعماني : صـ ٨٧ بـ ٤ حـ ١٨ –

مضافاً إلى القرآن وسنّة النبي المصطفى محمّد ﷺ . وهكذا في كثيرٍ من الآيات تأكيدٌ عميقٌ على مستقبل الزمن ، على الحدث الأكبر في تلك الآونة من عمر البشر ، من مفاصل التاريخ المفترض حتماً وقوعه . ففي رواية أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - إلى أن قال : قلت قوله عزوجل : ﴿ هل تربَّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إمَّا موت في طاعة الله ، أو أدرك ظهور إمام . ونحن نتربص بهم مع ما نحن فيه من الشدَّة أن يصيبهم الله بعذاب من عنده . قال : هو المسخ ، أو بأيدينا وهو القتل ، قال الله عزوجل لنبيه ﷺ : ﴿ قل تربَّصوا فإنَّا معكم مُتربِّصُون ﴾ . والتربص انتظار وقوع البلاء بأعدائهم][1] ..

من باب التأكيد على التحوُّل التاريخي العملاق حينئذ . ومصداقُهُ قهرُ الظالمين على يدِ مولانا صاحب الأمر قائم آل محمَّد الذي يُفتِّتُ بُنى وأدوات الظلم والفساد ، ويكوِّن امر الجماعة والإجتماع العالمي على نحوٍ من قيم الشريعة ومنظومة الإسلام . وفي رواية أبان عن سليم - في حديث طويل - قال : قال علي عليه السلام : أنشدكم الله ، هل تعلمون أنَّ الله جل اسمه أنزل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ، فقال سلمان : يا رسول الله ، أعامة أم خاصة ؟ فقال رسول الله ﷺ : [أما المؤمنون فعامَّة ، لأنَّ جماعة المؤمنين أُمروا بذلك . وأما الصادقون فخاصَّة : علي بن أبي طالب وأوصيائي مِن بعده إلى يوم القيامة][2] .. فهم عليهم السلام - بنص القرآن ومدلولِ آيهِ - الصادقون الذين نصبهُم اللهُ أعلاماً لدينِهِ ودعاةً إليه ،

---

[1] الكافي : جـ ٨ ، صـ ٢٨٥ ، حـ ٤٣١ -

[2] سليم : ١٨٩ -

وحججاً على الخلق ، وضوابط لقافلة المسير البشري نحو محطّاتها التي لا بدَّ منها وفق المعنى الوجودي لفقه الحياة والوجود .

وفي إطارٍ آخر من معاني التنزيل القرآني تأويلٌ ارتباطي وفق الصيغة القانونيَّة في دلالة الألفاظ ، لكن على نحوٍ من مخزون العلم الرباني الذي لا بدَّ فيهِ من سببٍ لعلمه وكشفِه ، وهو سببٌ من الله تعالى لخاصَّة الأنبياء والأوصياء ، يشيرُ إلى أعماق المدلول ومبانيه ومصاديقه المأخوذة على نحوٍ متتابع من الإشارة إلى قيم وأحداث الأزمان ومفاصلها وعناوين حججها وشبه ذلك . ففي رواية يحيى بن أبي القاسم قال : سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ﴾ فقال : [المتَّقون شيعة علي عليه السلام . والغيب فهو الحجَّة الغائب . وشاهد ذلك قول الله عزوجل : ﴿ ويقولون لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربِّه ، فقل : إنما الغيب لله ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾][1] .

وكنتُ أشرتُ سابقاً إلى مجموع آيات تفسيريّة تطبيقيَّة تُؤكِّد طابع البيان المصداقي لكلمة « غيب » ، فيشير المعصوم إلى مفردات تطبيقيَّة مثل : قيام القائم عليه السلام ، والرجعة ، والساعة ، فهذهِ من مصاديقها ومباني مدلولاتِها ، ولكن ليست على سبيل الحصر بل المثال . وبها ندرك قيمة وضرورة الإرتباط الشديد بين العترة والقرآن ، بل الدور الجوهري الحتمي بين مدلول القرآن ومفاتيح بيانِه عبر أهل البيت عليهم السلام .. بحيث نجد في أعماق بعض الآيات مداليل ذات خصوصيَّة كبيرة ، إلا انّنا لا نستطيع إدراكها بشكلٍ ذاتي إلا عبر أهل البيت عليهم السلام الذين قرن رسولُ اللهِ بينهم وبين

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٤٠ بـ ٣٣ حـ ٢٠ –

القرآن . وقال : انّهما لا يفترقان . ومن تلك التطبيقات القرآنيَّة ما رواه المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [نزلت في بني فلان ثلاث آيات .. قوله عزوجل : ﴿ حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازيَّنت وظنَّ أهلُهَا أنَّهُم قادرونَ عليها أتاها أمرُنَا ليلاً أو نهاراً ﴾ ، يعني القائم عليه السلام بالسيف ، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس][1] .

أي المهدي عليه السلام واحدٌ من مصاديقها وعنصر رئيسي من دلالاتِها ، طبقاً لما في مخزون القرآن . وهذا أمر اتفاقي بين جميع الملل والمذاهب . وكذا ورد هذا المضمون في غيرِ هذه الرواية ، منها ما رواهُ علي بن إبراهيم بن مهزيار قال : سمعتُ أبي يقول : سمعت جدي علي بن إبراهيم بن مهزيار يقول : – في حديث طويل عن مشاهدته لصاحب الزمان عليه السلام في غيبته – أنه قال له : [. . يا بن مهزيار ، كيف خلفت إخوانك بالعراق ؟ قلتُ في ضنك عيش وهناة ، قد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان ، فقال : قاتلهم اللهُ أنَّى يُؤفَكُون . كأني بالقوم قد قُتِلُوا في ديارهم ، وأخذهم أمرُ ربهم ليلاً ونهاراً . فقلت : متى يكون ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال عليه السلام : إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة بأقوامٍ لا خلاق لهم ، واللهُ ورسولُهُ منهم براء ، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدةٌ كأعمدة اللجين تتلألأ نوراً . ويخرج السروسي (الشروسي) من أرمنية وآذربيجان ، يريدُ وراء الريِّ الجبل الاسود المتلاحم بالجبل الاحمر لزيق جبل طالقان . فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية ، يشيبُ فيها الصغير ، ويهرم منها الكبير ويظهر القتل بينهما . فعندها توقَّعُوا خروجه إلى الزوراء ، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات ، ثم يوافي واسط العراق ، فيقيم بها سنة أو دونها . ثم يخرج

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٥٠ –

إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري وقعة شديدة تذهل منها العقول فعندها يكون بوار الفئتين ، وعلى الله حصاد الباقين . ثم تلا قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس ﴾ . فقلت : سيدي ، يا ابن رسول الله ما الامر ؟ قال عليه السلام : نحن أمر الله وجنوده . قلت : سيدي يا ابن رسول الله ، حانَ الوقت ؟ قال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾][1] .

لسان النصِّ ناظرٌ إلى وصف إخباري لما سيقع ، مؤكِّداً انَّ أهل البيت عليهم السلام هم أمرُ اللهِ وخلفاءُه ، وانّهم الذين يُبطِلون الباطل وينشرون العدل الأعظم عبر قائمهم عليه السلام ، فيقيم الحق ، وينشر الرحمة ، بعد حربٍ وقتالٍ وجبهاتٍ متنوِّعةٍ وإعلانات حرب واسعة تُعلنها الجبهات المُفسِدَة عفواً وبشكلٍ إبتدائي بوجه المهدي عليه السلام . أما ذيلُ النصِّ فهو يؤكِّد طابعَ القُرب وهو نسبيٌّ بطبيعة الحال متوقّف على العلامات والشروط التي ستقع حتماً ، وهذه نعرفها بالمعنى الكلِّي النظري لكنّنا لا ندركها بالمعنى المصداقي الحصري لنحدّد الوقت . وقد ردَّد عليه السلام كَذِبَ المُؤَقِّتين . وانَّ ساعة الظهور هي بعلم الله تعالى ، وانّ ظهور المهدي عليه السلام يكون بغتةً ، وانّه واقعٌ حتماً لا محالة .

فإذا جاءُ أمرُ الظهور علا الصوتُ في السماء من جبرائيل عليه السلام بأنَّ المهدي عليه السلام قد ظهر . ويحدِّد نسبه ووصفه ، ويعلن منذ تلك اللحظة بداية العالم الجديد والنهضة الكبرى . فيقابله صوتٌ أرضيٌّ يصرُّ على حرفِ

---

[1] كمال الدين : صـ ٤٦٩ بـ ٤٣ ذ حـ ٢٣ –

الناس عمَّا أصابهم من عظمة النداء الأوَّل بهدف تضليلهم . وقد روينا مجموعة من النصوص بهذا المضمون . وفي رواية داود بن فرقد قال : سمع رجلٌ مِن العجلية هذا الحديث قوله : [ينادي منادٍ : ألَا إنَّ فلان بن فلان وشيعته هم الفائزون أوَّلَ النهار . وينادى آخر النهار : ألَا إنَّ عثمان وشيعته هم الفائزون . قال : وينادي أول النهار منادي آخر النهار . فقال الرجل : فما يدرينا أيما الصادق من الكاذب ؟ فقال : يصدقه عليها مَن كان يؤمن بها قبل أن ينادي . إنَّ الله عزوجل يقول : ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يُتَّبَع أمَّن لا يهدي إلا أن يُهدَى ﴾][1] .

بالإضافة إلى الصوتين المذكورين يؤكِّدُ ذيلُ الحديث على الطابع القرآني المُعجِز في مخزون الإشارة إلى أمر المهدي عليه السلام وحقّانيّتِه . وهذه الآية - كما هو معلوم - دليلُ ولاية الإمام علي عليه السلام . وتماماً هي دليلُ ولاية الإمام المهدي عليه السلام . ومعناها واسع ومصدايقها متعدِّدة . وهذا سرُّ القرآن وعظيمُ إعجازه .

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٢٠٩ حـ ٢٥٣ -

القائم المنتظر في القرآن الكريم

موضوع الإمام المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمن من الأمور اليقينيَّة بشكلٍ مطلق ، تتّفق عليه النصوص المتواترة عند الفريقين من السنّة والشيعة . بل هو واحد من معجزات النبيِّ صلى الله عليه وآله الذي أخبر غيباً بأمر المهدي عليه السلام ومواصفات وأمور تُعتَبَر قياساً إلى ذلك الزمن شديدة الذهول والغرابة إلى حدِّ الإستحالة ، إلا انّها تتحقَّق في آخر الزمان ، مثل أهل المشرق يرون أهل المغرب ويسمعون أصواتهم ، ومثل طوي الأرض والسير في الفضاء وغيرها من الأمور شديدة التحوُّل والتقنيَّة الهائلة التي تشكِّل دليلاً باهراً على عظمة رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسرِّ مقولاتِه . ولو أردنا أن نُحصِي المُعجِز المنقولَ في حديث النبيِّ صلى الله عليه وآله لعجزنا عن إحصاءِه ، ممَّا تخشع عنده العقول وتُسلِّم لعظيمِ مقامِه المتَّصل بأسباب السماء .

ويكفي انَّ موضوع المهديِّ وطوائف هائلة من النصوص تشير إلى مواصفات العالم الجديد في حقبة الزمن الأخير تدلُّ بعمقٍ مذهلٍ على الأسرار التي حملتها نصوص النبي وآله عليهم السلام .. بل في طوائف كثيرة يحدِّدُ النبيُّ صلى الله عليه وآله أوصياءَهُ الإثني عشر : واحداً واحداً بأسماءِهم وصفاتِهم . مؤكِّداً وجودهم في سلسلة الزمن ، وأنّهم بابُ الله الذي منه يُؤتى . وفي صحن الواقع يتحقَّق هؤلاءِ الكرام على الله تعالى بأسماءهم وصفاتِهم بشيئٍ

من الذهول والعظمة والمجد الذي يُكرِّسُ النبيَّ ﷺ على كرسيِّ النبوَّة الكبرى . وهذا أمرٌ شاع وذاع ، وسطع وانتشر في كلِّ خبر ، على طول الأزمان ، ضمن تعدِّد الطبقات وتنوُّعِهَا . حتى أصبح أمرُ الأئمَّة شديدَ الظهور على لسان الجماعة والرواة والأصحاب والطبقات .

وبرز بشكلٍ هائل أمر المهدي عليه السلام الذي يخرجُ في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . وانّه البقيَّة الباقية وخاتم الأئمَّة والمُعدُّ لإقامة حكم الله في الأرض وما تصل إليه يدُ الإنسان . وفي رواية عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : [منَّا إثنا عشر مهديَّاً ، أوَّلُهُم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من ولدي وهو الامام القائم بالحق ، يُحيي اللهُ به الارض بعد موتها ، ويُظهِرُ به دينَ الحقِّ على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . له غيبةٌ يرتدُّ فيها أقوامٌ ويثبت فيها على الدِّين آخرون . فيؤذون ويقال لهم : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ، أما إنَّ الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ][1] .

وعليه : موضوع المهديِّ يُشكِّلُ العمق الغزير في طائفة متواترة من النوع الرفيع بلسان النصوص ، عند كل طوائف أهل الإسلام . ولسان طائفةٍ واسعةٍ انَّ له عجل الله فرجه غيبةً تطول ، وسط زمن فوضوي ، وبيئة دوليَّة يكون للقوَّة فيها سطوة وجور واضح ، وضمن أعراف وقيم ومفاهيم شديدة التعارض مع قيم الكون والطبيعة وشروط التكامل البشري النوعي ومعاني المسيرة الوجوديَّة .

---

[1] كمال الدين : صـ ٣١٧ بـ ٣٠ حـ ٣ -

وبسبب هذه الحكومات القائمة على مواثيق وقيم متعارضة مع فقه الوجود ومنظومة الحقوق الضامنة ، وأُسس الكفالة التشريعيَّة الدينيَّة ، فإنَّ الذين يقيمون على أمر المهدي يقلُّون جداً ، بل الذين يتعلَّقون بالدِّين تجدهم قلة يعانون من شرِّ ذلك الزمان وقيمه . وفي طائفة واضحة من النصوص تجد تركيزها على غربة الدِّين ، على غربة المؤمنين ، على غربة القيم الموائمة بين مواكبة الكون وضمانة الشريعة ، ما ينعكس صعوبةً على المنادين بقيم الإسلام ومواثيق الشريعة . وهذا ما لحظتهُ نصوصٌ كثيرة ، وفي غيرها تأكيدٌ على هذه الثلَّة المؤمنة الصابرة المحتسبة ، المتشدِّدة بأمر دينها ، القائمة على يقينها . ففي رواية أبي بصير قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : [. . يا أبا بصير ، طُوبَى لشيعة قائمنا عليه السلام ، المنتظرين لظهورهِ في غيبته ، والمطيعين له في ظهوره ، أولئك أولياءُ اللهِ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون][1] .

مضمون هذا النص يؤكِّد على طابع العظمة لأولئك الصابرين ، في نفس الوقت الذي يؤكِّد فيه على الصعوبة البالغة التي يختنق بها كونُ الإنسان بسبب الإنحراف والظلم والحيف والفساد المواثيقي التطبيقي القيمي وغيره . بل يبدو في طائفةٍ من النصوص تركيز على نقمة تصيب أهل الأرض ، لا أدري في قلَّةٍ أو كثرة ، لكنّها كما في بعض المتون تقع ، نعم بعض هذهِ النصوص ضعيف السند ، لكن من وجهة المتن تشير إلى نوعٍ من مسخٍ يقع في الناس ، وهل سببه آية مِن الله تعالى ، أو عقاب ، أو أمر آخر له صلة بسببٍ بشري أو نتاج عنيف للإنحراف البشري . المهم انّ بعض النصوص تشيرُ إلى مسخٍ ربما فجائي يقع ما يؤكِّد طابع الأزمة

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٥٧ ب ٣٣ ح ٥٤ –

المتنوّعة التي تجتاح البشر في ظل بيئة دوليّة تكون قد قطعت أشواطاً مخيفة في إعلانِها العصيان الوجودي والإنحراف عن قيم الكون والسماء .

ففي رواية أبي بصير في قوله تعالى ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمّة معدودة ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام : [.. وأي خزي أخزى يا أبا بصير من أن يكون الرجلُ في بيته وحجاله وعلى إخوانه وسط عياله ، إذ شق أهله الجيوب عليه وصرخوا فيقول الناس : ما هذا ؟ فيُقَال : مُسِخَ فلان الساعة . فقلت : قبل قيام القائم عليه السلام أو بعده ؟ قال عليه السلام : لا بل قبله][1] .

هذا يشير إلى عمق الأزمة التي تجتاح البشر . ويبدو أنَّ البشر آنذاك يُواجهون أزماتٍ أخلاقيَّة مستفحلة ، وانحرافات سياسيَّة قيميَّة ومبادئ وجود هائلة الفظاعة ، تصل فيما تصل إلى حدّ ظهور أمور تهتزُّ منها الأبدان وترتعد منها العقول . وعن تفسير الأمَّة المعدودة الواردة في ذيل الآية ؟ روى عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) قال : قال أبو جعفر عليه السلام : [أصحاب القائم عليه السلام الثلثمائة والبضعة عشر رجلاً ، هم والله الأمَّة المعدودة التي قال الله في كتابه : ﴿ ولئن أخَّرنا عنهم العذاب إلى أمَّةٍ معدودة ﴾ ، قال : يجمعون له في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف][2] ..

وفي طائفةٍ أخرى إشارةٌ إلى عذاب الله تعالى الذي يطالُ بهِ جبهات الباطل وأباطرة الإنحراف وفراعنة القتل وسفك الدماء عبر المهدي عليه السلام الذي بهِ يقتلُ اللهُ أهلَ الطغيان ويفتح حصونهم ويدمِّر قواهم . ففي رواية إسحاق بن عبد العزيز ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ولئن أخَّرنا

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٩ بـ ١٤ حـ ٤١ –

[2] العياشي : جـ ٢ صـ ٥٧ حـ ٤٩ –

عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴾ قال عليه السلام : [العذاب خروج القائم عليه السلام . والامة المعدودة عدة أهل بدر وأصحابه][1] ..

إشارة إلى القصاص الذي ينزله اللهُ بأهل الباطل والفساد وأئمَّة الجور والإنحراف . في طول جبهة يقودها المهديُّ عليه السلام وحججٍ يعلنها وبيّنات يرفعها على الأمم كلِّها في دعوةٍ واسعةٍ إلى الله تعالى واحتجاجٍ عظيمٍ على الخلق ، داعياً الناسَ إلى دخول مجد الله تعالى عبر مواثيق الإسلام الشريف .

ومعلوم انَّ الأمم السياسيّة المتعدِّدة تعلن حرباً شعواء على المهدي عليه السلام وبشكلٍ ابتدائي ، منذ أولى لحظات إعلان ظهورِه الشريف . فينصرُ اللهُ المهديَّ عليه السلام الذي يقيم القسط والحق في طول معالم أرض الإنسان أين حلَّ ورحل . وفي رواية أبان بن مسافر ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : ﴿ ولئن أخَّرنا عنهم العذاب إلى أمَّة معدودة ﴾ قال عليه السلام : يعني عدة كعدة بدر - وعن قوله تعالى - : ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ . أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ ، قال عليه السلام : العذاب][2] . إشارة إلى المهدي عليه السلام الذي يقضي على ممالك الجبابرة وينهي حكمَ الباطل ويُقيم مجدَ الإسلام في طول الأرض ومرابع الوجود . على انَّ عالم ما قبل الظهور يُشكِّل مرحلةً شديدةَ الفتن والملاحم ذات صِدَام وقتل وسفك متنوِّعٍ متنقِّلٍ في البلاد ، ويطال العالم الإسلامي من القتل والخوف والغزو ما يطاله في كثيرٍ من النصوص كانت شديدة الوضوح في هذا المجال .

---

[1] النعماني : صـ ٢٤١ بـ ١٣ حـ ٣٦ -

[2] العياشي : جـ ٢ صـ ١٤٠ حـ ٧ -

وفي رواية الحسن بن محبوب عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : [لا بدَّ من فتنةٍ صمَّاء صيلم ، تظهر فيها كلُّ بطانة ووليجة . وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من وُلدي (يعني بذلك المهدي (عليه السلام)) يبكي عليه أهل السماء وأهل الارض . ثم قال - من بعد كلام طويل - كأنِّي بهم شر ما كانوا ، وقد نودوا ثلاثة أصوات : الصوت الاول أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين . والصوت الثاني : ألا لعنة الله على الظالمين . والثالث بدن يظهر فيرى في قرن الشمس يقول : إنَّ اللهَ بعث فلاناً فاسمعوا وأطيعوا][1] .

بياناً لمعالم ذلك الزمن ، وما يكون فيه ، وما يصيبُهُ من اضطرابٍ وبلاءٍ وأزماتٍ ومخاطر . وما يكون فيهِ حالُ أهل الإيمان بوصفٍ جزئي ، حتى دولة خراسان صاحبة الرايات السود تعاني من جور الزمان واضطهاد الأمم وشياع قيم الفساد والإفتراس ، إلا انَّها تكون على نحوٍ من قوَّة تسمح ببقائها والحفاظ على أمجادِها ضمن محور إقليمي واضح رغم ما تعاني منه من جهدٍ وبلاءٍ ونماذج عدائيَّة مختلفة .. نعم مع ظهور القائم تتعزَّز دفاعات وقوَّة أهل الإيمان ، ويصبح لأهل الإيمان ميزة إعلان القيم والضغط الدولي والثبات وإعلان هيكليَّات ضخمة . ففي رواية أبي بصير قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : [ما كان قول لوط (عليه السلام) لقومه : ﴿ لو أنَّ لي بكم قوَّة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ إلَّا تمنِّياً لقوَّةِ القائم (عليه السلام) ، ولا ذكر إلا شدَّة أصحابه ، وإنَّ الرجل منهم لَيُعطَى قوَّة أربعين رجلاً ، وإنَّ قلبه لأشد من زبر الحديد ، ولو مرُّوا بجبال الحديد لقلعوها ، ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى اللهُ عزوجل][2] . تفسير مصداقي مستقبلي فيما تنطبقُ عليهِ الآية في

---

[1] إثبات الوصية : صـ ٢٢٧ -

[2] كمال الدين : صـ ٦٧٣ ب ٥٨ حـ ٢٦ -

واحدٍ من مخزون علم الله تعالى وسرٍّ من أسراره . ما يعني انَّ أمر المهدي عليه السلام كان شائعاً ذائعاً في النبوات السابقة وهذا ما أشارت إليه طائفة واضحة من النصوص .

بل صريحُ النصوصِ انَّ أنصار المهدي عليه السلام الذين يخرجون معه ألـ : ٣١٣ يكونون على نحوٍ من قوّة استثنائيّة ملحوظة جداً ، بالإضافة إلى عظمة القائم وقوّته التي تشكّل عذاباً على الكافرين والظالمين . ففي رواية صالح بن سعد ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : ﴿ لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ قال عليه السلام : قوَّةُ القائم عليه السلام . والركن الشديد : الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه][1] .

ولإبراز عنصر القوّة أشارت طوائف عديدة إلى عظمة قوّة خراسان في أزمانٍ محدَّدة وضمن معايير مخصّصة أيضاً . ففي رواية مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد عليه السلام - من خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تسمَّى المخزون - جاء فيها : [. . ثم يخرجُ عن الكوفة مائة ألف بين مُشرِكٍ ومنافقٍ حتى يضربوا دمشق ، لا يصدُّهم عنها صادٌّ وهي إرم ذات العماد ، وتقبل رايات (من) شرقي الارض ، ليست بقطن ولا كتان ولا حرير ، مختمة في رؤوس القنا بخاتم السيِّد الاكبر ، يسوقها رجلٌ مِن آل محمَّد صلى الله عليه وآله يوم تطير بالمشرق . . إلى أن قال : ويأتيهم يومئذ الخسف والقذف والمسخ فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾][2] . إشارة إلى تغيُّر كبير في ميزان القوّة ، وتحرُّك واضح للجيش الخراساني

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ١٥٦ حـ ٥٥ -

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٠٠ -

الذي يكون على نحوٍ من قدرة تسمح له باختراق الحدود وإعلان الحرب على أهل الطغيان . ويساعدهُ ما اشار إليه النص في الذيل من قذفٍ ومسخٍ وخسف تبدأ معه مراحل جديدة وهيكل جديد من خريطة القوَّة في هذه النواحي من الأرض .

على أنَّ ظروف العالم تظل تعطي الكفَّة لقوى الفساد وأهل الطغيان من أهل الشرق والغرب ، ويبدو انَّ لأهل الغرب آنذاك غلبةً على أهل الشرق ، خاصّةً على دول أهل الإسلام ومناطق المسلمين ، كما يُستفاد من النصوص . فإذا ظهر المهديُّ عليه السلام تغيَّر كلُّ شيئ ، وتعدّلت الهويّة ، وبدأت خريطة العالم بالتحوُّل التدريجي ، لكن بعد طول فسادٍ وانحرافٍ وتداعي بالأزمات الأخلاقيَّة القيميَّة السياسيّة تصل إلى حد معاندة السماء ومنطق الكون . وفي رواية محمد بن مسلم الثقفي قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول :

[القائمُ منَّا منصورٌ بالرعب ، مؤيَّدٌ بالنصر ، تُطوى له الارض ، وتظهر له الكنوز . يبلغ سلطانه المشرق والمغرب ، ويُظهرُ اللهُ عزوجل به دينه على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . فلا يبقى في الارض خراب إلا قد عمّر ، وينزل روحُ اللهِ عيسى بن مريم عليه السلام فيصلِّي خلفه . قال قلت : يا بن رسول الله ، متى يخرج قائمكم ؟ قال : إذا تشبَّهَ الرجالُ بالنساء ، والنساء بالرجال ، واكتفى الرجالُ بالرجال ، والنساءُ بالنساء ، وركب ذواتُ الفروجِ السروج ، وقُبِلَت شهاداتُ الزور ، ورُدَّت شهاداتُ العدول ، واستخفَّ الناسُ بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا ، واتُّقِي الاشرارُ مخافةَ ألسنتهم . وخروج السفياني من الشام ، واليماني من اليمن ، وخسفُ البيداء ، وقتلُ غلامٍ من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام ، إسمه محمد بن الحسن النفس الزكيَّة ،

وجاءت صيحةٌ مِن السماء بأنَّ الحقَّ فيه وفي شيعته ، فعند ذلك خروجُ قائمنا عليه السلام . فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة ، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وأوَّل ما ينطق به هذه الآية : ﴿ بقيَّةُ اللهِ خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ،

ثم يقول : أنا بقيَّةُ اللهِ في أرضه وخليفته ، وحجَّتُهُ عليكم ، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقيَّة الله في أرضه . فإذا اجتمعَ إليه العقد ، وهو عشرة آلاف رجل ، خرج ، فلا يبقى في الارض معبودٌ دون الله عزوجل من صنم [ووثن] وغيره إلا وقعت فيه نار فاحترق . وذلك بعد غيبةٍ طويلةٍ ، ليعلمَ اللهُ مَن يطيعه بالغيب ويؤمن به][1] .

هذا النص يؤكِّد على الطابع الهائل في الإنحراف الأخلاقي الأدبي ، وتداعي عنيف في قيم الفرد والجماعة ، على مساحةٍ واسعة من كون الإنسان ، بما يعنيه من اضطراب واهتزاز وغزو وعنف وتسليع وباطل أخلاقي واجترار فظيع لأهوال الطغيان الأخلاقي كما تشيرُ إليه هذه النصوص .. إلى أن يظهر المهديُّ عليه السلام الذي يقضي على الفساد ويقود العباد إلى أعلى مراحل التكامل الوجودي في ظل دولة الإسلام ومواثيق الشريعة الكبرى . ويؤكِّد النص أنَّ المهديَّ عليه السلام مصداقٌ مقصودٌ عناهُ القرآنُ من بقيَّة الله تعالى . فهو بقيّة الله ، وهو خليفتُهُ في أرضه ، وهو إمام المتَّقين وخاتم الأئمَّة ووصي رسولِ ربِّ العالمين .

وفي رواية عمر بن ذاهب قال : قال رجلٌ لجعفر بن محمد عليه السلام : نُسلِّم على القائم بإمرةِ المؤمنين ؟ قال عليه السلام : [لا ، ذلك اسمٌ سمَّا اللهُ به

---

[1] إثبات الرجعة / الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : كمال الدين صـ ٣٣٠ بـ ٣٢ حـ ١٦ –

أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يُسمَّى به أحدٌ قبله ولا بعده إلا كافر . قال : كيف نُسلِّم عليه ؟ قال (عليه السلام) : تقول : السلام عليك يا بقية الله . قال : ثم قرأ جعفر (عليه السلام) : ﴿ بقيَّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾][1]

وبذلك يتجلَّى أمرُ اللهِ العظيم على نحوٍ من استحقاقٍ يطالُ أهل الأرض بما يتمُ بهِ أمرُ اللهِ في إعلاء كلمة الإسلام وإعلان الشريعة منظومة قيادة الأمَّة البشريّة وعقيدة الدولة التي تحكم دنيا الإنسان . وذلك على يدِ بقيَّة الله تعالى ، أي المهدي (عليه السلام) . وهذا واحدٌ من أسرار القرآن ومخزون علم الله تعالى في هذه الأمَّة التي أعدَّ لها بقيَّته الخاتمة في سلالة الأوصياء إتماماً لأمر النبوَّة الخاتمة التي بعث اللهُ فيها أعظم النبيين وخاتم المرسلين محمَّد (صلى الله عليه وآله) .

وفي رواية هارون بن مسلم عن مسعدة بإسناده عن أبي الحسن ، صاحب العسكر (عليه السلام) قال : [لا تعادوا الايَّام فتعاديكم . يقول : فسألته عن معنى ذلك ؟ فقال (عليه السلام) : له معنيان ظاهر وباطن . فالظاهر : السبت لنا ، والاحد لشيعتنا ، والاثنين لاعدائنا - وتمم الحديث - والباطن : السبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والاحد أمير المؤمنين ، والاثنين الحسن والحسين ، ، والثلاثاء : علي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد . والاربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وأنا . والخميس الحسن ابني والجمعة ابنه وعليه تجتمع هذه الامة . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ . ثم قال (عليه السلام) : نحن بقيَّةُ

---

[1] تفسير فرات : صـ ٦٣ -

الله][1] . وكما أشرتُ أعلاه : المهديُّ عليه السلام واحدٌ من مصاديقِ هذه الآية الشريفة ومضمون دليلِها المرتبط بأصل لفظها . نعم كلُّ إمامٍ هو بقيَّةُ الله ، لكنَّ البقيَّة التي تُقيم العدل في دنيا الإنسان ، ويقوم بها الحقُّ العالمي إنّما تعني النصوص به الإمامَ المهديَّ عليه السلام .

من هنا : كان انتظار الفرج من أعظم العبادات . وكيف لا ، وبعدها يكون من أمرِ الله ما يكون . وفي رواية محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال : سألته عن انتظار الفرج ؟ فقال : [أو ليس تعلم أن انتظار الفرج من الفرج . ثم قال : إنَّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وارتقبوا إني معكم رقيب ﴾][2] . وعليه : هو أمرٌ محتوم ، هو يقينٌ واقع ، لا بدَّ من ظهور المهدي عليه السلام ونشر القسط والعدل العالمي وإتمام الحجّة وقيادة البشر على هدي الإسلام .

وهناك بيان لما تجري فيه بعض الآيات بدليل مخزون علمها . يشيرُ إلى مصاديق بعض الآيات بشيءٍ من الرفعة والعظمة . ففي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦/٣٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧/٣٨﴾ ؟ قال عليه السلام : [هو أمير المؤمنين عليه السلام . [أي هذا ممَّا تجري فيه الآية وهو واحدٌ من شرف معانيها] - وعن وقوله - : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ؟ قال عليه السلام : عند خروجِ القائم عليه السلام .. وأما قوله عزوجل : ﴿ والذين يُصدّقون بيوم الدين ﴾ ؟ قال عليه السلام : بخروج القائم عليه السلام . وفي قوله عزوجل : ﴿ والله ربنا ما كنّا

---

[1] إثبات الوصية : صـ ٢٢٥ -

[2] العياشي : جـ ٢ صـ ١٥٩ حـ ٦٢ -

مُشرِكين ﴾ ؟ قال عليه السلام : يعنون بولاية علي عليه السلام . وفي قوله عز وجل : ﴿ وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل ﴾ ؟ قال : إذا قام القائم عليه السلام ذهبت دولة الباطل][1] ..

وكما في الذيل : إذا قامَ القائمُ عجل الله فرجه ذهبت دولةُ الباطلِ بعد مجموع مجريات معقَّدة وقتال وفتوحات وإعلانات من قبل بعض الشعوب بدخول الإسلام طوعاً وحبَّاً إلى أن يتمَّ أمرُ الله تعالى . وفي رواية المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين فشكا إليه طول دولة الجور ، فقال له أمير المؤمنين :

[واللهِ ما تأملون حتى يهلك المُبطِلون ، ويضمحلّ الجاهلون ، ويأمن المتَّقون وقليل ما يكون حتى يكون لأحدكم موضع قدمه ، وحتى يكونوا على الناس أهون من الميت (الميتة) عند صاحبها ، فبينا أنتم كذلك إذ جاء نصر الله والفتح ، وهو قوله عزَّوجلَّ في كتابه : ﴿ حتى إذا استيئس الرُّسُل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾][2] . إشارة إلى قيام أمر الله تعالى وتعاظم حكومة الشريعة التي تطال العالم كلّه وتقود دنيا الإنسان اينما حلَّ ورحل .

وبالتالي يكون المهديُّ عليه السلام هاديَ الأمَّة وخليفة الله والوصي الخاتم في زمنهِ ومصداق قوله تعالى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ . ففي رواية حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما أنت منذر ولكلِّ قومٍ هاد ﴾ : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : [أنا المنذر ، وعليٌّ

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٢٨٧ حـ ٤٣٢ –

[2] دلائل الامامة : صـ ٢٥١ –

الهادي . وكلُّ إمام هادٍ للقرن الذي هو فيه][1] . أي كلُّ إمامٍ في زمنِهِ يكون هادي الأمّة وحجّة الله على الخلق . بدءاً من الإمام أمير المؤمنين وصولاً إلى مولانا صاحب الزمان عليه السلام .

وفي خطبةٍ لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تسمَّى المخزون - جاء فيها - : [. . أيها الناس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، لأنَّا بطرق السماء أعلم من العالم بطرق الارض . أنا يعسوبُ المؤمنين ، وغاية السابقين ، ولسانُ المتَّقين ، وخاتم الوصيين ، ووارث النبيين ، وخليفة ربِّ العالمين ، أنا قسيمُ النَّار وخازن الجنان ، وصاحب الحوض ، وصاحب الاعراف ، فليس منَّا أهل البيت إمام إلا وهو عارف بجميع أهل ولايته ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما أنت منذر ولكلِّ قوم هاد ﴾][2] .. تأكيداً لشرف هذا المقام ، وعظمة هذا المضمون من قوله تعالى ، الذين خصَّ اللهُ تعالى به الأئمّة إماماً بعد إمام ، إثني عشر إماماً . أوَّلُهم عليٌّ عليه السلام ، وآخرهم المهدي عجل الله فرجه .

ولا بدَّ من الحذر ، وانتظار الفرج ، والقيام على أمر الله ، والنزول عند حُجَجِهِ ، فإنَّ زمن الغيبة صعبٌ ، والفتن كثيرة ، وحبال إبليس متنوِّعة ، والظروف شديدة الصعوبة ، ففي رواية الاصبغ بن نباتة قال : سمعتُ عليَّاً عليه السلام يقول : [إنَّ بين يدي القائم عليه السلام سنين خداعة ، يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويقرب فيها الماحل - (وفي حديث « وينطق فيها الرويبضة ») - فقلت : وما الرويبضة وما الماحل ؟ قال عليه السلام : أو ما تقرءُون القرآنَ قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ ، قال : يريد المكر .

---

[1] العياشي : ج ٢ ، صـ ٢٠٤ ، حـ ٧ -

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٨ -

فقلت : وما الماحل ؟ قال : يريد المكار][1] . وعليه : زمنُ الغيبةِ يتسلَّقُ الحكمَ فيهِ مَن لا قيمة له في قيادة الأمَّة وإتمام أمرها ، وينطق بهم مَن إذا قاد أبطل وأفسد . وسط عالمٍ منحازٍ ومنحرفٍ بخطورةٍ في قيم شديدة التنوُّع والضرورة ، وفي مبادئ تحيل الإنسان إلى مجرّد سلعة ونزوةٍ وشهوةٍ وآثام ..

والضامن مِن هذهِ الزلازل نصرة الحقِّ واتّباع أمر الإسلام ، والنزول تحت حكم الشريعة ، وبذل النفس والمال وما أمكن من جهدٍ وتضحيات في سبيل قيام أمر الله تعالى في طول زمن الإنتظار وصولاً إلى زمن الفرج الأعظم . وفي رواية أبي بصير قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : [طُوبَى لِمَن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا ، فلم يزغ قلبه بعد الهداية . فقلت له : جعلت فداك ، وما طوبى ؟ قال عليه السلام : شجرةٌ في الجنة ، أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام . وليس مِن مؤمنٍ إلا وفي داره غصنٌ مِن أغصانها . وذلك قول الله عزوجل : ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾][2] .. إشارة إلى العظمة التي أولاها اللهُ لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو خلاصة الوصيين وإمام البررة وحجّة اللهُ الكبرى بعد حجَّة الله العظمى التي تجلَّت برسولِ الله صلى الله عليه وآله .

وعليه : هم عليهم السلام حججُ الله ، وبابُهُ التي منها يُؤتى ، وبرهانُهُ العظيم ، وآيتُهُ الكبرى . وفي رواية عمَّار عن أمير المؤمنين عليه السلام - في كتاب الواحدة ، في حديث طويل بيَّن فيه مناقب نفسه القدسية - جاء فيه قوله

---

[1] النعماني : صـ ٢٧٨ ، ب ١٤ ، حـ ٦٢ -

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٥٨ ب ٣٣ حـ ٥٥ -

تعالى - : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال عليه السلام : [الغيبُ : يومُ الرجعة ، ويوم القيامة ، ويوم القائم ، وهي أيَّامُ آل محمد . وإليها الاشارة بقوله : ﴿ وذكرهم بأيَّام الله ﴾ ، فالرجعة لهم ، ويوم القيامة لهم ، ويوم القائم لهم ، وحكمُهُ إليهم ، ومعوَّلُ المؤمنين فيه عليهم][1] .

أي انَّ الله تعالى يسأل العباد عن أمرهم عليهم السلام يوم القيامة ، وينصبهم عليهم السلام أمامَ العباد حُجَجاً على الخلق ، أوصياء للرسول صلى الله عليه وآله ، وشهداء على الأمّة وجماعة أهل الدنيا منذ زمن رسولِ الله صلى الله عليه وآله . وعلى رأس المقام المحمود وأعلى قمم الحجّة يكون جدُّهم خاتم النبيين وأعظم المرسلين محمَّد صلى الله عليه وآله . وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرهم بأيَّام الله ﴾ ؟ قال عليه السلام : [أيام اللهُ ثلاثة : يوم القائم عليه السلام ، يوم الموت ، ويوم القيامة][2] . إشارة إلى عظمة يوم القائم عليه السلام ورفعة محوره ، وأثرِه الأكبر الذي شاع ذكرهُ في الصحف وتواتر في الأخبار ، وتعالى في الآثار ..

على أنَّ لسان النصوص ليس لسانَ حصرٍ ، بل بيان إضافي إبرازي على نحوِ المثل ، وإظهار للعناوين الكبرى ، فهو يذكر في كثيرٍ من التفسيرات أبرز العناوين ومرامي ما يريد المعصومُ بيانَهُ في مخزون علم اللهِ بخصوص ما تشتمل عليه الآية وضمن حكمة البيان والإظهار . وفي رواية موسى الحنَّاط قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : [أيَّامُ اللهِ ثلاثة : يوم يقوم القائم عليه السلام ، ويوم الكرَّة ويوم القيامة][3] . تأكيداً لخصوص ميزة

---

[1] مشارق أنوار اليقين : صـ ١٥٩ -

[2] كتاب الحضرمي : - على ما في الصراط المستقيم . * : القمي : جـ ١ صـ ٣٦٧ -

[3] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٨ -

يوم القائم ، وما يعنيه وما يؤول إليه الأمر . جعلنا اللهُ من أنصارِه والتابعين لهديه والمستشهدين بين يديه ، والناظرين إلى وجهه الكريم بحقِّ محمّدٍ وآله الطاهرين .

على أنَّ الأئمّة مركز الهداية ، والباب الذي منه اللهُ يُؤتى ، والحجَّة المنصوبة على الخلق ، قرن اللهُ والنبيُّ ﷺ القرآنَ بهم ، فهم ثاني الثقلين ، وحجَّةُ اللهِ على الخلق وخلفاء الرسولِ ﷺ إلى يوم القيامة . وفي الرواية عن الصادق والباقر عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ﴾ ؟ قالا عليهما السلام : [نعمةُ اللهِ رسولُهُ إذ يُخبِرُ أمَّته بمَن يرشدهم مِن الائمة عليهم السلام . فأحلّوهم دار البوار ، ذلك معنى قول النبي ﷺ : لا ترجعن بعدي كفّاراً يضرب بعضُكُم رقابَ بعض][1] .. إشارة إلى عظيم مركز الإمامة ، وشرفِ أهل البيت عليهم السلام الذين نصبهم اللهُ باباً إليه وحجَّةً دالّةً على مواثيقِه ومبيِّنة لهديه ، بهم يختم ، وعلى يدِ قائمهم عليه السلام ينشر اللهُ الإسلام في كافّة بقاع الأرض وأين حلَّ الإنسان .

---

[1] مناقب ابن شهر اشوب : جـ ٤ صـ ٢٨٤ – وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : [والله الذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الامّة ممّا طلعت عليه الشمس ، واللهِ لفيه نزلت هذه الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ ، إنما هي طاعة الامام ، فطلبوا القتال ، ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿ قالوا ربنا لِمَ كتبتَ علينا القتال ، لولا أخَّرتنا إلى أجل قريب ﴾ . وقوله : ﴿ ربَّنا أخرنا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتك ونتبع الرسل ﴾ ، أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام] [العياشي : جـ ١ ، صـ ٢٥٨ حـ ١٩٦ –]

بالقائم ﷺ ينتصر الله ويبطل أمر الجبابرة (نموذج قرآني)

تؤكِّد طائفة واسعة من النصوص أنَّ الله تعالى - القادر على كلِّ شيئ والغني المطلق - ينتصر بالمهدي ﷺ آخر الزمان ، وعلى الأثر يشهد العالم تحوُّلاً جبَّاراً ، تسعَدُ البشريّةُ على أثرهِ . ولأنَّ الحدث الذي ينعكس على الجماعة يُصنَّف تاريخيَّاً بحجمِ انعكاسِهِ وآثارهِ ، فإنَّ ظهور المهدي ﷺ وإقامتِهِ دولة العدل الرباني على كافَّة مساحة الوجود البشري يعني أعظم تحوُّل على الإطلاق في تلك الحقبة من تاريخ الأرض .

وفي لسان طائفة من الروايات تأكيد على انهيار جانب من دُوَل عملاقة ، كان لها حكومة النظام العالمي في فترة من الزمن ، تأكيداً من النصِّ على انّ دولة المهدي ﷺ لا تقف في وجهها دولة أو جبهة أو تحول دونها قوَّة أو ملحمة . ففي رواية جميل بن دراج قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : [﴿ إن كان مكرُهُم لَتَزُول منه الجبال ﴾ ، وإن كان مكر بني برهان (العباس) بالقائم لتزول منه قلوب الرجال][1] . إشارة إلى قوَّة بني العباس المشهورة ، وانَّها سواء هي أم مثيلات في تسلُّق العظمة لا يمكنُها أن تقف في وجه زحف المهدي وانتصاراتِها التي لا بد أن يتحقّق على أثره أعظم وجود لدولة آل محمَّد ﷺ .

---

[1] العياشي : ج ٢ ، صـ ٢٣٥ ، حـ ٥٠ -

ومعلوم وفق الروايات أنَّ لبني العباس دولتين : واحدة تكون قبل الظهور ، وقد تحقّقت ، وعايشها قسمٌ من الأئمَّة عليهم السلام ، والثانية تكون زمن الغيبة ، وإلى قرب الظهور . واللافت في طائفة من النصوصِ أنَّ دولةَ السفيانيين تعاودُ ظهورهَا قُبَيل ومع ظهور المهدي عليه السلام . ويقودها السفياني المختلع لدين الله الذي يجتاح الأكوار الخمسة ويعلن عداءه المطلق لآل محمَّد ، ويخوض في وجه الإمام المهدي عليه السلام معركةً ضارية فيُهزم على أثرها ويُقتل . ومع ذلك الإنتصار الذي يحقِّقه المهدي عليه السلام تبدأ مرحلة جديدة من تعاظم أمر المهدي عليه السلام على المسرح الدولي خاصَّة في منطقة الشرق الأوسط .

وفي لسان متون عديدة تأكيدٌ نهائي على أنَّ النصر الإلهي يتحقَّق . ويُهزم الشيطان بجندِهِ وأتباعِهِ من البشر ، وتزول معالم الفساد والضلال ، وتتعالى راياتُ الحقِّ بما يعنيه من شمولٍ في الإعتقاد والتشريع وقيادة الأمّة البشريّة وما يتَّصل بهذهِ المعاني . وفي رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول : [معنى « الرجيم » أنه مرجومٌ باللعن ، مطرودٌ من مواضع الخير ، لا يذكره مؤمنٌ إلا لعنه ، وإنَّ في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة ، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن][1] .. تأكيداً على النصرة الإلهيَّة والتحقُّق الضخم لدولة الحقِّ مقابل الهزيمة الهائلة لدولة الباطل بتعدُّد جهاتِهِ وجبهاتِهِ . وهل المراد من لسان هذا النصِّ المعنى الحرفي أم المجازي القائم على مفهوم الإستعارة في بيان هذه المقاصد من نصرة الحق ودولتِهِ ؟

---

[1] معاني الاخبار : صـ ١٣٩ حـ ١ –

الإجابة مفتوحة على المعنيين لكن بمرجِّح لجانبٍ على الآخر ، لما ثبت من متابعة وجود إبليس وإغوائه ما دام التكليفُ منجزاً على وجه الأرض . بل هذا يعتبر من الأدلّة الحاكمة على غيرهِ ممَّا يرد من نصوصٍ وأشباهها في هذا المضمون[1] . نعم يمكن الجمعُ بين هذين الوجهين بفترةٍ معلومةٍ ينقضي بها التكليف ، دون أن يحدّدها النص متى ، وفي أيِّ فترةٍ من حكم القائم المهدي عليه السلام ، على انَّ بعض النصوص تقول بأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله هو الذي يذبحه ، ما يعني أنَّ ذلك يحصل في الرجعة ، وبعضها يتحدَّث عن المهدي عليه السلام ، على انّ في بعض سندها نقاش ، نعم يمكن التوجيه الجمعي بين المتون على فترةٍ فاصلة يرتفع فيها التكليف . ومعنى هذا أنّها مرحلة شديدة القرب من يوم القيامة .

---

[1] وعليه : هذا المعنى التوجيهي يكون حاكماً على متونٍ وردت – في بعض أسانيدها نقاش – مثلما ورد عن إسحاق بن عمار قال : سألته – يعني زين العابدين عليه السلام – عن إنظار الله تعالى إبليس وقتاً معلوماً ذَكَرَهُ في كتابه قال : ﴿ فإنَّك مِن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ ؟ قال : [الوقت المعلوم يوم قيام القائم ، فإذا بعثه اللهُ كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه فيقول : يا ويلاهُ من هذا اليوم ، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه ، فذلك يوم الوقت المعلوم منتهى أجله] [كتاب الانوار المضيئة : – على ما في البحار . * : منتخب الانوار المضيئة : صـ ٢٠٣ ف ١٢] .. وفي رواية وهب بن جميع مولى إسحق بن عمار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبليس : ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، قال له وهب : جعلت فداك أي يوم هو ؟ قال : " يا وهب أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس ؟ إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا ، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة ، وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول : يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك اليوم هو الوقت المعلوم "] . [العياشي : ج ٢ صـ ٢٤٢ حـ ١٤] – وفي رواية محمد بن يونس ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، قال : " يوم الوقت المعلوم : يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة التي في بيت المقدس "] . [القمي : ج ٢ صـ ٢٤٥] – أقول : من الثابت القطعي عندنا انّ إبليس يظلّ يمارس الإغواء ما دام التكليفُ على البشر . ما يعني ضرورة توجيه هذهِ النصوص على نحوٍ لا يمنع من ضرورة هذهِ النتيجة التي تظل قائمة ما قام التكليف على البشر .

وعليه : المعنى العام يكمن في بيان نصرة الحقِّ وبطلان الباطل وقيام حكومة الله تعالى على يد مولانا المهدي ﷺ وما يتبعه من يوم الرجعة ، بحيث يسوء وجه إبليس ويسقط ، وتنهار دعائم أمرهِ ، على أنّه لا يمنع من تحقّق المعنى اللفظي من هذه الطائفة على فترةٍ محدَّدةٍ تكون قريبة من يوم القيامة مثلاً . وفي سعد السعود[1] جاء مِن سؤال إبليس وجواب الله .. : [« قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون » قال : لا ، ولكنَّك مِن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، فإنَّهُ يومٌ قضيتُ وحتمتُ أن أطهِّرَ الارض ذلك اليوم مِن الكفر والشرك والمعاصي ، وأنتخب لذلك الوقت عباداً لي امتحنتُ قلوبهم للايمان ، وحشوتها بالروح والاخلاص واليقين والتقوى والخشوع والصدق والحلم والصبر والوقار والشعار والزهد في الدنيا والرغبة فيما عندي بعد الهدى . وأجعلهم دعاة الشمس والقمر وأستخلفهم في الارض وأمكن لهم دينهم الذي ارتضيتُهُ لهم ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . يقيمون الصلاة لوقتها ، ويؤتون الزكاة لحينها ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وألقي في ذلك الزمان الامانة على الارض فلا يضر شيئ شيئاً ، ولا يخاف شيئ من شيئ ، ثم تكون الهوام والمواشي بين الناس فلا يُؤذِي بعضُهم بعضاً ، وأنزع حمة كل ذي حمة مِن الهوام وغيرها ، وأذهب سم كلِّ ما يلدغ ، وأنزل بركات مِن السماء والارض ، وتزهر الارض بحسن نباتها ، وتخرج كل ثمارها وأنواع طيبها . . وألقي الرأفة والرحمة بينهم ، فيتواسون ويقتسمون بالسوية ، فيستغني الفقير ،

---

[1] فصل فيما نذكره من صحائف إدريس ﷺ وجدت هذه الصحف بنسخة عتيقة يُوشك أن يكون تاريخها من مائتين من السنين ، بخزانة كُتُب مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، وقد ذهب أوّلُهَا وآخرها ، فكان الموجود منها نحو سبعة كراساً وقوائمه بقالب ربع الورقة الكبيرة إلى أن قال في صـ ٣٤ [فصل فيما نذكره من القائمة الثامنة من الكراس الخامس من سؤال إبليس وجواب الله بلفظ ما وجدناه]

ولا يعلو بعضهم على بعض بل يخضع بعضُهُم لبعض ، ويرحم الكبير الصغير ويوقِّر الصغير الكبير ، ويُدِينُون بالحقِّ وبه يعدلون ويحكمون . أولئك أوليائي اخترتُ لهم نبيًّاً مصطفى وأميناً مرتضى ، فجعلته لهم نبيًّاً ورسولاً ، وجعلتهم له أولياء وأنصاراً ، تلك أئمة اخترتها للنبيِّ المصطفى وأميني المرتضي . ذلك وقت حجبته في علمِ غيبي ، ولا بدَّ أنه واقع ليبيدك يومئذ وخيلك ورجلك وجنودك أجمعين فاذهب « فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم »][1] .

فهو في حدِّهِ الأدنى يؤكِّد النصرة الإلهية وتحقّق دولة الله في أرضِهِ على يد مولانا المهدي عليه السلام دون تحديد زمن نهائي لما يُطلقُ عليه اليوم المعلوم الذي يُتبادَر من مفهوم النص هنا أنّه قبل يوم القيامة ، أو انّ النص يعتمد الإستعارة لبيان الزمن القريب من ذلك اليوم وشبه ذلك ، ومعلوم انَّ الإستعارة من أجود الإستعمالات في اللسان العربي ، ولها قدرة فذّة في بيان المطلوب ضمن حدود الدور الوظيفي للقائل أو المُلقي بالخطاب وضمن حدود مرادِهِ وحدّ ما يريد بيانَهُ في تفصيلٍ أو إجمالٍ لنكتةٍ ما .

وتشير طائفةٌ من الروايات إلى معانٍ تتضمَّن الإشارة إلى ضغطٍ يُمارسُ على الشيعة ، لمنعِهم من إعلان شعائرهم ، ويُستعمل في سبيلِ منعهم أو معرفتِهم نوعٌ من وسائل الإكراه والعنف والقتل ، ما يوجب اللجوء إلى التستُّر بما هم عليهِ بسبب العنف الذي يطالهم ويطال مَن يُتَّهَم بالإنتماء إلى التشيُّع واتِّبَاع آل محمَّد عليهم السلام ، هذا هو لسان النصوص التي تشير إلى ضرورة التقيَّة ، فهي نصوص ليست استيعابيَّة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ على نحوٍ

---

[1] سعد السعود : ص ٣٤ –

متساوٍ . بل هي تشيرُ إلى قيام التقيَّة إلى يوم القيامة ببعد النظر عن دائرة استيعاب هذا الأمر لأتباع آل محمَّد في الزمان والمكان بنحوٍ متساوٍ . فهذا الأمر أجنبي عن لسان تلك النصوص .

ففي رواية الحسين بن خالد قال : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام : [لا دين لِمَن لا ورع له . ولا إيمان لمن لا تقيَّةَ له . إنَّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية . فقيل له : يا ابن رسول الله إلى متى ؟ قال عليه السلام : إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت . فمَن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا . فقيل له : يا ابن رسول الله ، ومَن القائمُ منكم أهلَ البيت ؟ قال عليه السلام : الرابع من وُلدي ابن سيدة الاماء ، يطهِّر اللهُ بِهِ الارضَ مِن كلِّ جورٍ ، ويقدِّسُهَا مِن كل ظلم . (وهو) الذي يشكُّ الناس في ولادته ، وهو صاحبُ الغيبة قبل خروجه . فإذا خرج أشرقت الارضُ بنوره ، ووُضِعَ ميزانُ العدلِ بين الناس فلا يظلِمُ أحدٌ أحداً . وهو الذي تُطوَى له الارض ولا يكون له ظل . وهو الذي ينادي منادٍ مِن السماء يسمعه جميعُ أهلِ الارض بالدعاء إليه يقول : ألَا إنَّ حجَّةَ اللهِ قد ظهر عند بيتِ اللهِ فاتبعوه ، فإنَّ الحقَّ معه وفيه . وهو قول الله عزوجل : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم مِن السماء آيةً فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾][1] .

ومن مجموع المتون الناظرة إلى بعضِ هذه المعاني - ولو مصداقيّاً - يحصل انّه قُبيل وبعد ظهور المهدي عليه السلام يكثُرُ طلبُ الشيعةِ لقتلهم على يد السفياني الذي يبعثُ الجيوش لإستئصالهم ، أو قتل من يُتَّهم بالتشيُّع . وفي التاريخ أمثلة مذهلة عن هذهِ المتون . ما يؤكِّد الطابع الرفيع

---

[1] كمال الدين : ج ١ ، صـ ٣٧١ ، ب ٣٥ ، ح ٥ -

لبيان النصوص هذهِ . وانَّ التقيّة ترتفع بقيام دولة العدل الإلهي ونصرة الحق وتحوُّل العالم ليكون تحت قيادة قائم آل محمّد المهدي عليه السلام الذي يجمع البشر على دينٍ وعقيدةٍ ربَّانية كاملةٍ صافيةٍ تسير بهم نحو ركب الوجود الأعظم ، لتحلَّ هناك عند محلِّ القيامة في ظلٍّ أعظم وأضخم وأكبر مشهد تتابعي من الوجوديّة .

على انَّ أئمّةَ الرَّكب وخلفاءَ الرسول صلى الله عليه وآله هم آل محمّد عليهم السلام ، بدءاً مِن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وصولاً إلى مولانا صاحب الزمان ، المهدي المنتظر عجل الله فرجه . وفي رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : [يا علي ، أنا نذيرُ أُمَّتي ، وأنت هاديها ، والحسنُ قائدها ، والحسين سائقها ، وعلي بن الحسين جامعها ، ومحمد بن علي عارفها ، وجعفر بن محمد كاتبها ، وموسى بن جعفر مُحصيها ، وعلي بن موسى معبرها ومنجيها وطارد مبغضيها ومدني مؤمنيها ، ومحمد بن علي قائمها وسائقها ، وعلي بن محمد ساترها وعالمها ، والحسن بن علي مناديها ومعطيها ، والقائم الخلف ساقيها ومناشدها : ﴿ إنَّ في ذلك لآيات للمتوسّمين ﴾][1] .

وأيضاً في بيان مصداق المتوسِّمين ، وما منه ينطبق على زمن القائم المهدي عليه السلام ما رواهُ جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال : [كأنِّي أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة ، كأنَّ على رؤوسهم الطير فنيت أزوادهم ، وخلقت ثيابهم (متنكّبين قسيهم) قد أثَّر السجود بجباههم ، ليوثٌ بالنهار ، ورهبانٌ بالليل ، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد ، يعطى الرجل منهم

---

[1] مائة منقبة : صـ ٢٤ - (المنقبة السادسة) -

قوَّة أربعين رجلاً (ويعطيهم صاحبهم التوسم) لا يقتُلُ أحدٌ منهم إلا كافراً أو منافقاً . فقد وصفهم اللهُ بالتوسُّم في كتابه : ﴿ إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾][1] .

إشارة وعلامة وبلاغ وصفة رفيعة لأولئك الذين وصفهم اللهُ بالتوسُّم ، بحيث يشكِّلون واحداً من عميق مداليل هذه الآية ومصاديقها . على انَّ هذه الصفة لها أهلها - بل مصداقها الأشرف - من نخبة الصفوة الذين سمَّاهُمُ الله ، أعني بذلك : رسولَ الله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام . وفي المُرسَل عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين ، وإنها لبسبيل مقيم ﴾ قال عليه السلام : [فكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله المتوسم ، والائمة من ذريتي المتوسمون إلى يوم القيامة :﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ ، فذلك السبيل المقيم هو الوصي بعد النبي][2] .

بحيث يبقى الأمرُ في هذه الصفوة المسمَّاة من الله والمنصوبة بأمره في إثني عشر إماماً إلى يوم القيامة ، ويكون المهديُّ عليه السلام الثاني عشر ، الذي يخرج في آخر الزمان ، ومعه جماعة من أصحابه صفتُهُم هذه . وكلُّ شيءٍ بحسبه ، فيقود البشر إلى أعظم وأضخم وأعمق الكمالات الممكنة ، تحت ظلِّ حكومة الله تعالى الكبرى في تلك الفترة من الزمن .

وفي طائفة أُخرى تأكيدٌ على انَّ صفة المتوسِّمين ذات استيعاب كبير - وكلٌّ بحسبه في تلبُّس هذه الصفة - ففي رواية أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحدٌ من خلق

---

[1] كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد : على ما في البحار . * : منتخب الانوار المضيئة : صـ ١٩٥ -

[2] مناقب ابن شهر اشوب : جـ ٤ صـ ٢٨٤ -

الرحمان إلا عرفه صالح هو أم طالح ، لأنَّ فيه آية للمتوسمين وهي بسبيل مقيم][1] . وفي نفس هذا المعنى ، وببيان إرشادي ، يجمع بين هذه الصفة بأصل وجودها ومدلولها على نحوٍ وظيفي ، روى عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام ، لا يحتاج إلى بيِّنة ، يُلهِمُهُ اللهُ تعالى فيحكم بعلمه ، ويخبر كلَّ قومٍ بما استبطنوه ، ويعرف وليّه من عدوِّه بالتوسم . قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥/١٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾][2] .

تأكيدٌ هام جداً على المدلول القرآني في فترةِ زمن الظهور . أي من بابِ المصداق الذي يمتدُّ إليه النص وينطبق عليه ، بل هو مرادٌ منه ، وهو جزء من معناه العميق ، ومعنى أصلي مِن مراداتِهِ . وفي طائفةٍ أخرى يؤكِّد النصُّ أنَّهم عليهم السلام مصداق عميق من مصاديق المثاني . وهي إشارة إلى انَّهم أهل العلم ومفتاح القرآن ، ففي رواية يونس بن عبد الرحمن عمَّن ذكره – رفعه – قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [انَّ الائمة عليهم السلام هم تأويل السبع المثاني][3] .

أي : هُم القرينُ الذي لا ينفكُّ عنه القرآن ، هم سفينة نوح ، هم الثقل الذي لا ينفصل عنه القرآن إلى يوم القيامة ، هم الراسخون في العلم ، هم أهل التأويل ، هم الأئمّة المُؤتَمَنُون على شرع الله ودينه ، هم البيوت التي أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه .

---

[1] كمال الدين : صـ ٦٧١ بـ ٥٨ حـ ٢٠ –

[2] الارشاد : صـ ٣٦٥ –

[3] العياشي : جـ ٢ صـ ٢٥٠ حـ ٣٩ –

وقد ورد الكثير من النصوص التي تؤكِّد انَّ المهدي عليه السلام هو أمر الله ، أي هو المصداق الأعظم في تلك الفترة الزمنيَّة من آخر الزمان . ففي رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام : [إنَّ أوَّلَ مَن يبايع القائمَ عليه السلام جبرئيلُ عليه السلام .. ثم يضع رجلاً على البيت الحرام ورجلاً على البيت المقدس ، ثم ينادي بصوت رفيع يسمع الخلائق : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾][1] ..

يُراد من لسان النصِّ في الجمع بين البيت الحرام وبيت المقدس بيان ظهور مَن تقوم به أُولى وثاني القبلتين : مسجد الأقصى والمسجد الحرام . على انَّ أمر الله تعالى ، هو النبيُّ صلى الله عليه وآله ، والأئمّة عليهم السلام ، فهم دعاتُه ، وخلفاءُهُ المنصوبون بأمره تعالى ، وهم الخيرة الذين بِهم يُؤتى اللهُ تعالى . ففي رواية عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، في قوله عزوجل : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [هو أمرنا ، أمرُ الله عزوجل : ألا نستعجل به حتى يؤيده (الله) بثلاثة (أجناد) : الملائكة ، والمؤمنين ، والرعب ، وخروجُهُ كخروجِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، وذلك قوله عزوجل : ﴿ كما أخرجك ربُّك مِن بيتك بالحق ﴾][2] .

يشيرُ النصُ إلى أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام هم حجج الله ، هم أمرُ الله ودعاته . ثم يؤكِّد على طابع ظهور المهدي عليه السلام ، وانّه يُنصر بالملائكة والمؤمنين والرعب ، فيتم أمر الله ويقيم دولة العدل الإلهي ويقود البشر تحت ظلِّ دين الإسلام .

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ٢٥٤ حـ ٣ –

[2] النعماني : صـ ١٩٨ بـ ١١ حـ ٩ ، وصـ ٢٤٣ بـ ١٣ حـ ٤٣ –

تعاظم الحق يوم قيام القائم ويوم الرجعة (نموذج قرآني)

تتّفق الروايات على انَّ الدولة الإلهيَّة تتحقَّق بشكلٍ عظيمٍ زمن المهدي (عليه السلام) بعد جولاتٍ وملاحم وإعلانات حرب متتالية من قبل جبهات أهل الباطل على المهدي (عليه السلام) . كما تتّفق النصوص على نحوٍ آخر من قيام أمر الله تعالى ، عبر نموذج الرجعة الذي يتمُّ فيه إنتصار نخبة أهل الحقِّ من نخبة أهل الباطل .

وفي طائفة من النصوص : انَّ الغيب ، أي مفردات ومصداق الغيب : يوم القائم ويوم الرجعة ويوم القيامة . وفي رواية أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول في قوله تعالى : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ : [يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق][1] . هذا من باب بيان أحد معاني هذا اللفظ الشريف ، على انَّ المعنى الأعظم يكمن في الآخرة المقابلة للأولى . وقد شاع وذاعَ عند كلِّ علماء المسلمين أنَّ المخزون القرآني أعمق من مدلولِه الأوَّلي أو الظاهري ، وبالتالي هو شامل لمخزون من المعاني لا يعرفها إلا الراسخون في العلم الذين قرنَ اللهُ بهم القرآن وانّهما لا يفترقان إلى يوم الدِّين .

---

[1] المصادر : * : القمي : ج ١ صـ ٣٨٣ –

وفي رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام : [(في بيان) قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ، من العذاب والموت وخروج القائم عليه السلام ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ ، من العذاب في الرجعة ..][1] .

النصُّ كما ترى : ناظرٌ إلى بعض المصاديق التي شكَّلت مخزون المدلول القرآني ، وفيه تأكيد على خروج القائم عليه السلام وما يعنيه من انتصارات وإقامة كبرى لدولة الحق الإلهي . كما يُؤكِّد على عذاب يوم الرجعة لأئمَّة أهل الفساد والطغيان .

وهكذا يبرزُ لنا أهلُ البيت عليهم السلام من التأويل القرآني ما يأخذ بمجامع القلوب ، حول الرجعة وقيام القائم وشبه ذلك ، على انَّ ذلك من القرآن ، ومركونٌ إليه ، وقائمٌ في مدلوله . وفي بعضها بيان المصداق الزمني الأبرز ، لعالم آخر الزمان مثلاً ، أو ليوم الرجعة ، ففي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ قال عليه السلام : [ما يقولون فيها ؟ قلت : يزعمون أنَّ المشركين كانوا يحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ اللهَ لا يبعث الموتى . قال عليه السلام : تبَّاً لمَن قال هذا . ويلهم ، هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزَّى ؟ قلت : جُعِلتُ فداك ، فأوجدنيه أعرفه ؟ قال عليه السلام : لو قد قام قائمنا عليه السلام بعث اللهُ

---

[1] القمي : ج ١ صـ ٣٨٤ – وعن الفضيل قال : قلت لأبي عبد الله : أعلمني آية كتابك قال : [أكتب بعلامة كذا وكذا ، وقل : (وقرأ) آية من القرآن . قلت لفضيل : وما تلك الآية ؟ قال : ما حدَّثتُ أحداً بها غير بريد العجلي . قال زرارة : أنا أحدِّثُك بها وأقسموا بالله جهد أيمانهم إلى آخر الآية قال : فسكت الفضيل ولم يقل لا ولا نعم] . [العياشي : ج ٢ صـ ٢٦٠ حـ ٢٩] –

إليه قوماً مِن شيعتنا قبايع سيوفهم على عواتقهم ، فيبلغ ذلك قوماً مِن شيعتنا لم يموتوا ، فيقولون : بُعِثَ فلان وفلان من قبورهم مع القائم عليه السلام ، فيبلغ ذلك قوماً مِن أعدائنا فيقولون : يا معشر الشيعة ما أكذبكم ، هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها ، لا واللهِ ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة . فحكى الله قولهم فقال : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾][1] .

وفي لفظٍ آخر ورد في القمي عند قوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله مَن يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، فإنه حدَّثني أبي ، عن بعض رجاله ، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : [ما يقول الناس فيها ؟ قال : يقولون نزلت في الكفَّار ، قال عليه السلام : إنَّ الكفار كانوا لا يحلفون باللهِ ، وإنما نزلت في قوم من أمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله ، قيل لهم : ترجعون بعد الموت قبل القيامة ، فحلفوا أنهم لا يرجعون ، فردَّ اللهُ عليهم ، فقال : ﴿ ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ ، يعني في الرجعة يردُّهُم فيقتلهم ويشفي صدور المؤمنين فيهم][2] . تأكيداً على يوم الرجعة الذي يشكِّل نموذج انتقام أهل الحقِّ من أهل الباطل . ووراثة أهل الحق للأرض .

وفي رواية سيرين قال : كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال : [ما يقول الناس في هذه الآية : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾ ؟ قال : يقولون لا قيامة ولا بعث ولا نشور . فقال عليه السلام : كذبوا ، واللهِ إنَّمَا ذلك إذا قام القائم عليه السلام وكرَّ معه المُكرِّوُن ، فقال أهل خلافكم : قد

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ٢٥٩ حـ ٢٦ –

[2] القمي : ج ١ صـ ٣٨٥ – وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [ليس من مؤمن إلا وله قتلة وموتة ، إنه من قتل نشر حتى يموت ، ومن مات نشر حتى يقتل . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٧] .

ظهرت دولتُكُم يا معشر الشيعة وهذا من كذبكم ، تقولون رجع فلان وفلان وفلان ، لا والله لا يبعث اللهُ مَن يموت ؟ ألا ترى أنهم قالوا : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ ! كانت المشركون أشدَّ تعظيماً باللات والعزَّى من أن يقسموا بغيرها ، فقال اللهُ : ﴿ وَعْدًا عَلَيْه حَقًّا ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨/١٦﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي يَخْتَلفُونَ فيه ، وَلِيَعْلَمَ الَّذينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذبينَ ﴿٣٩/١٦﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * ﴾][1] ..

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ٢٥٩ حـ ٢٨ – وفي بعضها انّ الحسين ﷺ يخرج زمن القائم ﷺ ، على انّ بعض متنها وارد من باب بيان مصداق الشمول الذي يشمله اللفظ لا سبب النزول ، بل في بعض بيانها بيان مصداق من بين المصاديق التي لا تتساوى في وضوح الشمول الأولي بحيث يحتاج إلى تأويل وبيان مخصوص ، ففي الرواية عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفسدنَّ في الارض مرتين ﴾ : [قتل علي ، وطعن الحسن . ولتعلنَّ علواً كبيراً : قتلُ الحسين . ﴿ فإذا جاء وعدُ أولاهما ﴾ : إذا جاء نصرُ دم الحسين ، ﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ﴾ : قومٌ يبعثهم اللهُ قبل خروج القائم لا يدعون وتراً لآل محمد إلا حرقوه . ﴿ وكان وعداً مفعولاً ﴾ : قبل قيام القائم . ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ : خروج الحسين في الكرة في سبعين رجلاً من أصحابه الذين قُتلوا معه ، عليهم البيض المذهب ، لكلٍّ بيضة وجهان ، المؤدي إلى الناس أنَّ الحسين قد خرج في أصحابه حتى لا يشك فيه المؤمنون وأنه ليس بدجال ولا شيطان ، الامام الذي بين أظهر الناس يومئذ . فإذا استقر عند المؤمن أنه الحسين لا يشكون فيه ، وبلغ عن الحسين الحجة القائم بين أظهر الناس ، وصدَّقهُ المؤمنون بذلك ، جاء الحجة الموت فيكون الذي (يلي) غسله ، وكفنه وحنوطه وإيلاجه في حفرته الحسينُ ، ولا يلي الوصي إلا الوصي . وزاد إبراهيم في حديثه : ثم يملكهم الحسينُ حتى يقع حاجباه على عينيه] إشارة على قيامه فيهم العمر الطويل . [العياشي : ج ٢ صـ ٢٨١ حـ ٢٠] * وفي رواية حمران بن أعين قال : قال أبو جعفر ﷺ لنا : [ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي ﷺ ألفاً فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر] [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٢] . وفي رواية رفاعة بن موسى قال : قال أبو عبد الله ﷺ : [إنَّ أوَّل مَن يكرُّ إلى الدنيا الحسين بن علي ﷺ وأصحابه ، ويزيد بن معاوية وأصحابه ، فيقتلهم حذو القذة بالقذة ، ثم قال أبو عبد الله ﷺ : ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾] . [العياشي : ج ٢ ، صـ ٢٨٢ ، حـ ٢٣ –] . وعن المعلى بن خنيس قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ : [أوَّل مَن يرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ﷺ فيملك حتى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر . قال : فقال : أبو عبد الله ﷺ في قول الله عزوجل : ﴿ إنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد ﴾ ، قال نبيكم ﷺ

إذن : اللفظ ناظر إلى معنى عميق ، مؤكِّداً على يومِ الرجعة بما يعنيه من تعاظم ليوم أهل الحق . وفي رواية إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول[1] : [.. وأمَّا الرد على مَن أنكر الرجعة فقول الله عزوجل : ﴿ ويوم نحشر من كلِّ أمَّةٍ فوجاً ممَّن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ ، أي إلى الدنيا وأما معنى حشر الآخرة فقوله عزوجل : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ في الرجعة . فأمَّا في القيامة فإنهم يرجعون . ومثل قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ اللهُ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم لَتُؤمننَّ به ولتنصرنه ﴾ ، وهذا لا يكون إلا في الرجعة . ومثله ما خاطب الله تعالى به الائمة ، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ ، وهذا

راجع إليكم] [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٨] . وفي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تسمَّى المخزون - جاء في بعضها - : [.. ثم يخرج عن الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق حتى يضربوا دمشق لا يصدهم عنها صاد ، وهي إرم ذات العماد ، وتقبل رايات شرق الارض ليست بقطن ولا كتان ولا حرير مختمة في رؤوس القنا بخاتم السيد الاكبر يسوقها رجل من آل محمَّد صلى الله عليه وآله يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الاذفر ، يسير الرعب أمامها شهراً ، ويخلف أبناء سعد السقاء بالكوفة ، طالبين بدماء آبائهم ، وهم أبناء الفسقة حتى تهجم عليهم خيلُ الحسين عليه السلام .. إلى أن قال : ويخلف من بني الاشهب الزاجر اللحظ في أناسٍ من غير أبيه هراباً حتى يأتوا سبطرى عوذاً بالشجر ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون ﴾ ، ومساكنهم الكنوز التي غلبوا عليها من أموال المسلمين] [مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٥ والمتن في صـ ٢٠٠] .

[1] - في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن يبلغ نحو ١٢٨ صفحة روى فيه الامام الصادق عليه السلام مجموعة أسئلة لامير المؤمنين عليه السلام عن آيات القرآن وأحكامه ،

إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا . ومثل قوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد ﴾ ، أي رجعة الدنيا . ومثله قوله : ﴿ ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ وقوله عزوجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعينَ رجلاً لميقاتنا ﴾ ، فردهم الله تعالى بعد الموت إلى الدنيا][1] .

فهذا القرآن شديد العمق في بيان أمر الرجعة ووضوحها . وبذلك يتحقَّق في آخر الزمان أضخم حدثان وجوديَّان : الأوَّل ظهور قائم آل محمَّد الذي يقود قيام أضخم دولة إلهيَّة على الأرض آنذاك . الثاني : تحقُّق الرجعة بما تعنيه من وراثة الأرض للمُتَّقين ، للصفوة ، لأئمّة العدل والحق الإلهي ، مقابل هزيمة أئمَّة أهل الباطل والجور الشيطاني .

وفي رواية بريد بن معاوية العجلي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يا بن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًّا ﴾ ، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، فإنَّ الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم ؟ فقال عليه السلام : [إنَّ إسماعيل مات قبل إبراهيم ، وإنَّ إبراهيم كان حجَّةً لله قائماً صاحب شريعة ، فإلى مَن أُرسِلَ إسماعيلُ إذن ؟ فقلت : جُعِلتُ فداك : فمَن كان ؟ قال عليه السلام : ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي عليه السلام بعثه الله إلى قومه فكذَّبُوه فقتلوه وسلخوا وجهه ، فغضب اللهُ له عليهم . فوجَّه إليه إسطاطائيل ملك العذاب فقال له : يا إسماعيل أنا إسطاطائيل ملك العذاب ، وجهني إليك

---

[1] تفسير النعماني : على ما في المحكم والمتشابه . * : المحكم والمتشابه : صـ ٣ والمتن في صـ ٥٧ –

ربُّ العزَّةِ لِأُعذِّبَ قومك بـأنواع العـذاب إنْ شـئت ، فقـال لـه إسـماعيل : لا حاجة لي في ذلك . فأوحى اللهُ إليه فما حاجتك يا إسماعيل ؟ فقال : يـا ربِّ إنَّـك أخـذت الميثـاق لنفسـك بالربوبيـة ، ولمحمَّـد بـالنبوة ، ولأوصـيائه بالولاية ، وأخبرتَ خيرَ خلقك بما تفعل أمَّتُهُ بالحسين بن علي عليه السلام مِن بعد نبيها ، وإنَّك وعدتَ الحسينَ عليه السلام أن تُكرَّهُ إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممَّن فعل ذلك به . فحاجتي إليك يا ربِّ أن تُكرِّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممَّن فعل ذلك بي كما تُكرَّ الحسينَ عليه السلام . فوعد اللهُ إسماعيل بن حزقيـل ذلـك ، فهـو يكرُّ مع الحسين عليه السلام][1] .

تأكيداً على الرجعة وحتمها[2] ، وانّها واقعةٌ لا محالة ، وفيهـا ينتصـر أهلُ الصفوةِ العظام مِن أهـل الطغيـان الظلمـة . وبهـذا تتحقَّـق الودجوديَّـة العظمى ، وتكتمل سلسلة الأحداث الضخمة ، ويكون البشر على موعـدٍ مـع عالم العظمة الإلهيّة في ظل أعظم حديثين في ذلك الزمـان : ظهـور المهـدي وقيام دولة الإسلام ، وتحقّق الرجعة . على أنَّ بداية الأحـداث الكبـرى تبـدأ بشكلٍ متتالي منذ إعلان جبرائيل عليه السلام ظهور قـائم أهـل محمَّـد عليهم السلام . وفـي رواية إبراهيم بن عمر ، عمَّن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول :

[إنَّ عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين عليه السلام ثم صار عند محمد بن علي عليه السلام ، ثم يفعل اللهُ ما يشاء ، فالزم هؤلاء ، فإذا خرج رجلٌ منهم معه

---

[1] كامل الزيارات : صـ ٦٥ بـ ١٩ حـ ٣ – وفي رواية معاوية بن عمار قال : قلـت لأبـي عبـد الله عليه السلام عـن قـول الله : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ ؟ قال عليه السلام : [هي والله النصـاب ، قـال : جُعلـت فـداك قـد رأينـاهم دهـرهم الاطول ، في كفاية حتى ماتوا ، قال : ذلك والله في الرجعة ، يأكلون العذرة] [القمي : جـ ٢ صـ ٦٥ –] .

[2] وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : [. . وقوله : ﴿ حتى إذا فتحنـا عليهم باباً ذا عـذاب شديد ﴾ ، هو علي بن أبي طالب صلوات الله عليه إذا رجع في الرجعة] .

ثلاثمائة رجل ومعه رايةُ رسول الله ﷺ عامداً إلى المدينة حتى يمر بالبيداء ، فيقول : هذا مكان القوم الذين خسف اللهُ بهم ، وهي الآية التي قال الله : ﴿ أفأمِنَ الذين مكروا السيئات أن يخسف اللهُ بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ﴾][1] . أي الأمرُ نازلٌ بأهل البيت عليهم السلام الذين عدَّهم النبيُّ إثني عشر إماماً ، وسمَّاهم بأسماءِهم ، وحدَّد صفاتهم . وعناهم القرآنُ بكثيرٍ من آياتِه .

على أنَّ بعض مصاديق قوله تعالى : ﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ﴾ وَرَدَ في القائم عليه السلام وأصحابِه ، ففي رواية حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان يقرأ : ﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد ﴾ ، ثم قال : [هو القائم وأصحابه ، أولي بأس شديد][2] .

وهذا أمرٌ ردَّدته الرواياتُ وأكَّدت عليه . وهو معنىً مُراد من قوله تعالى . على انّه لا يستوعب تمام المصاديق ، فيجوز أن يكون لفظاً مُختَزِناً لغيرِه من المعاني . وهذا ما امتاز بهِ القرآن ، حيث الآية تشكِّل خزَّان معاني واسعة ، شديدة الترابط بين اللفظ ومعناه . ومجموع الآيات هنا جاءت على النحو التالي : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤/١٧﴾ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥/١٧﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦/١٧﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ

---

[1] العياشي : ج ٢ ، ص ٢٦١ ، ح ٣٤ –

[2] العياشي : ج ٢ ص ٢٨١ ح ٢١ –

الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧/١٧﴾ وهناك طوائف ، منها ما يشيرُ إلى قومٍ ينادون بأمر القائم عليه السلام قبل خروجِهِ ، ولا يُسَلِّمون الراية إلا لأهلها . أيضاً وردت في القائمِ عليه السلام وأصحابِهِ . ما يؤكِّد استيعابها لمصاديق متنوِّعة ذات ارتباط شديد بدلالة اللفظ المخزون . نعم بعض مصاديقها له أكمل الشرف في المدلول .

ويبدو من بعض النصوص أنَّ القتل والأذى والجور والفساد والحيف يطال أقطار المسلمين بشكلٍ عنيف ، حتى ينادي الناسُ بالمهدي عليه السلام ، في حين بعضهم يقول : لو كان موجوداً لظهر . من شدّة ما يصيب الناس ، وهناك يقول القائل : هلك ، في أيِّ وادٍ سلك . إشارة إلى اليأس والبؤس والتهاوي العنيف الذي يصيب الناس وهم في زحمة الرعب والتداعي والخوف تحت شدّة السيف وقراصنة الإبادة . ففي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تسمَّى المخزون جاء في بعضها :

[. . ألا يا أيها الناس ، سلوني قبل أن تشرع برجلها فتنةٌ شرقيَّةٌ ، وتطأ في خطامها بعد موتٍ وحياة ، أو تشبّ نارٌ بالحطب الجزل غربي الارض ورافعة ذيلها تدعو يا ويلها بذحلة أو مثلها ،

فإذا استدار الفلك قلتم : ماتَ أو هلك ، بأيِّ وادٍ سلك ، فيومئذٍ تأويل هذه الآية : ﴿ ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾ ،

ولذلك آياتٌ وعلاماتٌ ، أوَّلُهُنَّ : إحصارُ الكوفة بالرصد والخندق ، وتحريق الزوايا في سكك الكوفة ، وتعطيل المساجد أربعين ليلة ، وتخفق راياتٌ ثلاثٌ حول المسجد الاكبر يُشبَّهنَ

بالهدى ، ألقاتل والمقتول في النَّار ، وقتلٌ كثير ، وموت ذريع ، وقتل النِّفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين ، والمذبوح بين الركن والمقام ، وقتل الاسبع المظفر صبراً في بيعة الاصنام مع كثير من شياطين الانس ، وخروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب أميرها رجلٌ مِن كلب واثني عشر ألف عنان مِن خيل يحمل السفياني متوجِّهاً إلى مكة والمدينة أميرها أحدٌ من بني أمية يقال له خزيمة ، أطمس العين الشمال ، على عينه طرفة تميل بالدنيا فلا ترد له راية حتى ينزل المدينة فيَجمَع رجالاً ونساءً مِن آل محمد صلى الله عليه وآله ، فيحبسهم في دار بالمدينة يُقال لها دار أبي الحسن الاموي . .][1] .

إشارة منه عليه السلام إلى علاماتٍ وعلامات ، منها ما تكون على نحوٍ من قتلٍ وصدام عسكري ، ومنها ما تكون على اساس أمني وحكم بالحديد والنَّار ، ومنها ما يكون على نحو انقلابات ونزول إلى الشارع والمتاريس للقتال والإحتلال وشبه ذلك . وصولاً إلى الجوع والوجع والخوف والفزع وشبه ذلك ، وبضميمة طائفة ثانية من النصوص يبدو انَّ أقطار المسلمين ينالها نوعٌ من جورٍ ورعبٍ وتداعٍ خطير ، فلا يجدون من ينصرهم ، فيطالهم اليأس ، ويسيطر عليهم الخوف ، إلا من أمَّةٍ مؤمنةٍ تنادي بالمهدي ، وتعني النصوص بها أهل خراسان أصحاب الرايات السود الذين يجهرون بمواثيق الإسلام ، وينادون بالمهديِّ عليه السلام ويصرُّون في الثبات على هدى آل محمّد ، فينالهم من آثار ذلك العالَم ما ينالهم من جهدٍ وتعبٍ وعناءٍ متنوِّع الآثار . لكنّهم يصمدون ويثبتون . وفي بعض المحطّات يضعون سيوفهم على

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٩ –

عواتقهم لإثبات حقوقِهم وحمايتِها بعد أن يُمنَعُون منها ، إلى أن يتمّ لهم ما أرادوا بالسيف ، أي بالقوّة ، ويكونون وقتئذ على نحوٍ واضحٍ من امتلاك أدوات الحماية والردع بل المنازلة لحماية حقوقِهم التي ينادون بها . على انَّ شيعة آل محمّد يكونون هدفاً لمجموع حملاتٍ عسكريَّة أمنيَّة عنيفة ، منها ما يقوم به السفياني المنتصِّر في الكوفة والمدينة من القتل والإبادة وسفك الدماء لأتباع آل محمَّد عليهم السلام ،

ويبدو من النصوص أنَّ السفياني يكون من وكلاء الغرب السياسيين الذين يقبض على عرش الحكم عبر انقلاب ما ، بدعمٍ من الروم ، فيخوض مجموع معارك ينتصر فيها ، ويحتلّ الكور الخمس ، ويحرِّك جحافل جيشِه للقضاء على أتباع المهدي عليه السلام وعلى المهدي نفسه . فتقع بجيشِه أولى الخسائر على يد الجيش الخراساني في العراق . ثم الخسارة الأعظم في البيداء التي يُخسفُ فيها بجيشِه بعدما يخوض أعظم مذبحة بأتباع آل محمَّد في المدينة المنوَّرة . ويتمّ الخسف في البيداء بين مكَّة والمدينة ، ثم تقع معركة ضخمة ، وملحة قاسية جداً بين جيش السفياني وجيش المهدي ينتصر فيها جيش المهدي عليه السلام ويُقتل فيها السفياني ، وتبدأ اولى مراحل العالم الجديد الذي يقوده المهدي عليه السلام . وعبره يحكم دنيا الإنسان على عدلٍ عظيم في ظل كينونة وجوديَّة ترفع البشر إلى مصافي الكمال الممكن نحو ركب الآخرة .

ويؤكِّد النصُّ جملة من معالم ذلك اليوم الرهيب ، اليوم الذي تتمنّاه نفوس البشر بأصل فطرتِها ، اليوم الذي ننامُ ونستيقظ ونفوسنا ملتهبة للطلعة الرشيدة . ففي ذلك اليوم تتجلّى علاماتٌ وعلامات ، في ظل توحُّش أممي ، وأباطرة يُصِرُّون على متابعة المسير بالبشر نحو محارق الغريزة ،

بما تعنيه من توحُّشٍ واستنزافٍ وإبادةٍ وتسليع للبشر ، إلى ان أذن اللهُ تعالى للمهدي عليه السلام بالظهور ، فإذا ظهر نادى بالحق والعدل الإلهي وقاد الأمم إلى ضرورات تعاظُمِها ، وفي رواية تصف بعض مظاهر ذلك الظهور يروي علي بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي قال : خرجتُ في بعض السنين حاجّاً إذ دخلتُ المدينة وأقمتُ بها أياماً أسأل وأستبحث عن صاحب الزمان - في حديثٍ طويلٍ عن تشرُّفِه بلقائه عليه السلام - جاء فيه : ثم قال :

[.. يا ابن المهزيار - ومدَّ يدَهُ - ألَا أُنبئك الخبر ؟ إذا قعد الصبي ، وتحرَّك المغربي ، وسار العماني ، وبُويِع السفياني ، ويُؤذَنُ لوليِّ اللهِ فأخْرُج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فأجيئُ الكوفةَ وأهدمُ مسجدها وأبنيه على بنائه الأوَّل ، وأهدم ما حوله مِن بناء الجبابرة ، وأحجُّ بالناسِ حجة الاسلام .. قلت : يا سيدي ، ما يكون بعد ذلك ؟ قال الكرة الكرة ، الرجعة الرجعة ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾][1] .

ففي هذا النص تأكيدٌ على بعض هويَّة ما قبل الظهور وما يصحبه حال الظهور ، ثمَّ ما يؤول إليه الأمر بعد ذلك من الرجعة وما فيها من عظمة دولة آل محمد عليهم السلام التي تبدأ مع دولة المهدي عليه السلام وتستمر مع الرجعة وتعاظم أمر الإسلام .

على انَّ موعدهم وعدُ الآخرة : ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤/١٧﴾ ، وذلك بظهور القائم عليه السلام الذي يشكِّل أعظم تحوُّل تاريخي للبشر آنذاك ، والذي تتحقّق على يده دولة آل محمّد العالميّة ، بل الكونيّة .

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٩٦ -

وعن القمي : عند قوله تعالى : ﴿ إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإنْ أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ..﴾ قال عليه السلام : يعني القائم صلوات الله عليه وأصحابه][1] .

وفي بعض الطوائف أنَّ المهدي عليه السلام هو وليُّ الثأر لدم الحسين عليه السلام . وبتعبيرٍ آخر : هو مَن ينهض لإقامة أمر الله تعالى ويتنصر ، متابعةً لخروج الحسين عليه السلام الذي بذل مهجته من أجل الإسلام . وفي رواية الفضيل بن الزبير قال : سمعت زيد بن علي يقول : [هذا المنتظر مِن وُلدِ الحسين بن علي في ذريَّة الحسين وفي عقب الحسين عليه السلام . وهو المظلوم الذي قال الله تعالى : ﴿ ومَن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ﴾ ، قال : وليُّهُ رجلٌ مِن ذريَّتِهِ مِن عقبه ، ثم قرأ : ﴿ وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه ﴾ . سلطاناً ، فلا يسرف في القتل : قال : سلطانه حجَّتُهُ على جميع مَن خلق الله تعالى ، حتى يكون له الحجة على الناس ، ولا يكون لأحد عليه حجة][2] . فإذا ظهر المهدي عليه السلام انتشر سلطانُهُ ، وشاع ذكرهُ ، وأقام الحجّة على الناس ، ودعاهم إلى الله تعالى ، حتى يقيم فيهم العدل الإلهي ويبطل الباطل ويدحض الجور والفساد .

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ١٤ – مرسلا . * : البرهان : ج ٢ صـ ٤٠٩ حـ ١ – وفي رواية حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلتُ له : يا ابن رسول الله زعم ولد الحسن عليه السلام أنَّ القائم منهم ، وأنهم أصحاب الامر ، ويزعم ولد ابن الحنفية مثل ذلك فقال : [نحن والله أصحابُ الامر ، وفينا القائم .. وقد قال الله : ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا ، نحن أولياء الحسين بن علي عليه السلام وعلى دينه] العياشي : ج ٢ صـ ٢٩١ حـ ٦٩ – وفي بعضها : هو الحسين بن علي عليه السلام قُتِلَ مظلوماً ونحن أوليـاؤه ، والقائم منَّا إذا قام (منَّا) طلب بثأر الحسين . فيقتل حتى يُقال قد أسرف في القتل . وقال : . . المقتول : الحسين عليه السلام ووليّه القائم . والاسراف في القتل : أن يقتل غير قاتله . إنَّه كان منصوراً : فإنه لا يذهب من الدنيا حتى ينتصر برجل مِن آل رسول الله صلى الله عليه وآله ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً] [العياشي : ج ٢ صـ ٢٩٠ حـ ٦٧]

[2] غيبة الطوسي : صـ ١١٥ –

وقد ركّزت النصوصُ على ضرورة انتظار أمرهم ، والتزام الشريعة ، والثبات على الإسلام ، واتّباع أهل البيت عليهم السلام ، والوقوف وقفةَ الحقِّ حتى يأذن اللهُ للمهدي عليه السلام بالظهور . وفي رواية الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يوم ندعو كلَّ أُناس بإمامهم ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [يا فضيل اعرف إمامك ، فإنَّك إذا عرفت إمامك لم يضرّك تقدّم هذا الامر أو تأخر . ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الامر ، كان بمنزلة مَن كان قاعداً في عسكره ، لا بل بمنزلة مَن قعد تحت لوائه . قال : وقال بعض أصحابه : بمنزلة مَن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

تأكيداً على عظيم هذا الأمر ، وإكباراً للثابتين المنادين بأمر المهدي عليه السلام ، على انّ الأرض لا تخلو من الحجّة ، وانّه لولا الحجَّة لساخت الأرض بأهلها ، وانَّ المهدي عليه السلام هو الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام الذي تجب معرفتُهُ والتزام مواثيق الإسلام التي يدعو إليها في غيبتِهِ وظهوره . ففي رواية عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ﴿ يوم ندعو كلَّ أناس بإمامهم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إمامهم الذي بين أظهرهم وهو قائم أهل زمانه][2] .

أي لكلِّ أمَّة إمام ، على انّ الإمامة لا تزيد عن إثني عشر إماماً ، أوَّلهم عليٌّ عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه الذي يخرج في آخر الزمان ، وله غيبةٌ طويلة وعمرٌ مديد ، فإذا ظهر ملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : الكافي : ج ١ ص ٣٧١ ح ٢ –

[2] الكافي : ج ١ ص ٥٣٦ ح ٣ –

فإذا ظهر المهدي (عليه السلام) جاءت دولة الحق وذهبت دولة الباطل . وفي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) ، في قوله عزوجل : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [**إذا قام القائم (عليه السلام) ذهبت دولة الباطل**][1] .

ومع قيام دولة المهدي (عليه السلام) يزول حكم الجبابرة ، ويبطل نفوذ أهل الفساد وأئمة الجور والإضطهاد ، وتأمن الأرض ، وتكثر الخيرات ، ويُعلنُ الإسلام دستور الأمّة البشريّة الواحدة . ففي رواية المفضل قال : سألته عن قوله : ﴿ فإذا جاء وعدُ ربِّي جعله دكاء ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [رفع التقية عند الكشف ، فينتقم من أعداء الله][2] .

على أنَّ لظهور القائم المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان علامات ، منها ما هو وصفٌ لذلك العالَم ، ومنها ما هو شرطٌ إعلاني عن قرب الظهور . وفي بعضها إعلان كامل عن أصل الظهور وتحقّقه .

ففي رواية داود الدجاجي ، عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قال : سُئِلَ أميرُ المؤمنين (عليه السلام) عن قوله تعالى : ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ﴾ ؟ فقال (عليه السلام) : [انتظروا الفرجَ مِن ثلاث . فقيل : يا أمير المؤمنين وما هن ؟ فقال (عليه السلام) : اختلاف أهل الشام بينهم ، والرايات السود من خراسان ، والفزعة في شهر رمضان . فقيل : وما الفزعة في شهر رمضان ؟ فقال (عليه السلام) : أو ما سمعتم قول الله عزوجل في القرآن : ﴿ إن نشأ ننزل عليهم

---

[1] الكافي : ج ٨ ، صـ ٢٨٧ ، حـ ٤٣٢ –

[2] العياشي : ج ٢ صـ ٣٥١ حـ ٨٦ – عن العياشي وقال : " كان هذا كلام على سبيل التمثيل والتشبيه ، أي جعل الله التقية لكم سدا لرفع ضرر المخالفين عنكم إلى قيام القائم عليه السلام ورفع التقية ، كما أن ذا القرنين وضع السد لرفع فتنة يأجوج ومأجوج إلى أن يأذن الله لرفعها " .

من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ، هي آية تُخرِجُ الفتاة مِن خدرها ، وتُوقِظُ النائم ، وتفزع اليقظان][1] .

وتؤكِّد أكثر من طائفة موضوعَ اختلاف أهل الشام ، ثم يلي ذلك خروج ثلاث رايات ، فإذا خرج السفياني كان ذلك علامةً على بداية معالم العالم الجديد . وفي رواية جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام يقول : [. . وإنَّ أهل الشام يختلفون عند ذلك عن ثلاث رايات : الاصهب ، والابقع ، والسفياني مع بني ذنب الحمار ، حتى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيئ قط . ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومَن معه قتلاً لم يقتله شيئ قط ، وهو من بني ذنب الحمار ، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ ، ويظهر السفياني ومن معه][2] .

وتؤكِّد أكثر من مرويَّة انتصار السفياني الذي يجتاح الكور الخمس ، ويعلن أحكاماً قاسية - أحكام عرفيّة - ويقتل شيعة أهل البيت على التهمة والظنّة ، ويصرُّ على التفرُّد بالحكم ، على انه يكون أوَّل أمرهِ مُتَنَصِّراً ، تدعمه الروم ، أي هو مسلم في الأصل ، يعمل وكيلاً للغرب الرومي المسيحي ، فتدعمه الروم حتى تخوض بهِ حرباً في الشام ينتصر بها فيحكم بقاعاً مهمَّة عبّرت عنها الروايات بالكور الخمس ، لكنّه ينقلب على الروم بسبب خلاف على ثروةٍ شديدة الأهميّة ينكشف عنها الفرات ، أي ناحية العراق ، فيقتتل القوم على راياتٍ ثلاث أيضاً فينتصر السفياني . لكنّه

---

[1] النعماني : صـ ٢٥١ بـ ١٤ حـ ٨ -

[2] العياشي : جـ ١ صـ ٦٤ حـ ١١٧ -

يتعرَّض لأضخم إنتكاسة بخسف البيداء بجنده المتوجِّه نحو مكّة ، ثمّ يخوض معركة عنيفة في وجه جيش المهدي عليه السلام تقع أحداثُها عند بحرية طبريّة ، ينتصر فيها المهدي عليه السلام ويُقتَلُ السفياني ، وبذلك تبدأ أولى معالم انتشار دولة المهدي عليه السلام على بقاعٍ واسعة من هذه الأرض الأوسطيّة .

وبذلك تحتلُّ جبهةُ المهدي عليه السلام الجبهةَ الأصعب والأعظم التي تُعيدُ بناء التاريخ الجديد بشكلٍ لا مثيلَ له من قبل . ففي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ حتى إذا رأوا ما يُوعَدُون ﴾ ، هو خروج القائم عليه السلام ، وهو الساعة ، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه ، فذلك قوله : ﴿ مَن هو شرّ مكاناً ﴾ ، يعني عند القائم ، وأضعف جنداً . قلت : قوله : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ ؟ قال عليه السلام : يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم عليه السلام حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه][1] .

فهذا النصُّ يشيرُ إلى واحدٍ من مصاديق قول الله تعالى ، حيث يشكِّل المهدي عليه السلام مصداق ما وُعدوا ، وما به يُحقِّقُ اللهُ تعالى قيام الدولة الإلهيّة على وجه الأرض . وتعبير الساعة هنا يُراد به ساعة الظهور وقيام دولة الحق على يد المهدي عليه السلام ، وليس الساعة بمعنى القيامة . فهذا من مخزون الآية وواحد من مصاديق دلالتها كما في النص . ومجموع الآيات هو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ، إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ، فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥/١٩﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٤٣١ ح ٩٠ –

ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦/١٩﴾ ، ولا شك أنّ هذا من معاجز القرآن الخالدة ، ومخزونِهِ الذي تخشع أمامه العقول .

وفي القمّي عند قوله تعالى : ﴿ عنت الوجوهُ للحي القيوم ﴾ قال : أي ذلّت . وأما قوله : ﴿ أو يُحدث لهم ذكراً ﴾ ، يعني ما يحدثُ مِن أمر القائم عليه السلام والسفياني][1] .

إشارة إلى المعركة الضارية التي تقع بين جبهة المهدي عليه السلام وجبهة السفياني عند بحيرة طبريّة والتي يُقتلُ على أثرها السفياني بعد أعنف ملحمة . فيكون المهدي عليه السلام هو الذي ينتصر اللهُ بِهِ لدينه في آخر الزمان – والله على كلِّ شيءٍ قدير – وفي رواية حمران عن أبي جعفر عليه السلام – في حديث قال فيه – : [ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال : ألستُ بربِّكُم ؟ ثم قال : وإنَّ هذا محمدٌ رسولُ الله ، وإن هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى . فثبتت بهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم : ألا إنِّي ربُّكُم ، ومحمد رسولي ، وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده وُلَاةُ أمري وخزّان علمي ، وإنَّ المهدي أنتَصِرُ به لديني وأظهر بِهِ دولتي ، وأنتقم به مِن أعدائي ، وأُعبَدُ به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا وشهدنا يا رب ..][2] .

تأكيداً لعظيم أمر النبوة الكبرى الخاتمة والأوصياء الخاتمين ، وتخصيصاً لأمر المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . وفي بعضها تأكيدٌ قرآني مِن مخزون علم الله تعالى على مقام الإمامة وضرورة الثبات عليها وعدم تجاوزها ، ففي

---

[1] القمي : ج ٢ ، صـ ٦٥ –

[2] بصائر الدرجات : صـ ٧٠ ، ب ٧ ح ٢ –

رواية علي بن عبد الله قال : سأله رجلٌ عن قول الله عزوجل : ﴿ فمن اتَّبَعَ هداي فلا يضلّ ولا يشقى ﴾ ؟ قال عليه السلام : [مَن قال بالائمّة واتَّبعَ أمرهم ولم يَجُز طاعتهم][1] . أي لم يتجاوز طاعتهم فثبت عليها ، ووقف عند أمرهم ونهيهم . فهم عليهم السلام أصحاب الصراط السوي ، وهم حججُ الله ، وهم بيِّناتُهُ ، وهم الدعاةُ إليه ، لا تخلو الأرض من واحدٍ منهم ، فإذا قام قائمهم دعا النَّاس إلى الله ودين الإسلام فمن آمن فقد اهتدى . وفي رواية عيسى بن داود النجار ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : سألتُ أبي عن قول الله عزوجل : ﴿ فستعلمون مَن أصحابُ الصراط السوي ومَن اهتدى ﴾ ؟ قال عليه السلام : [الصراط السوي هو القائم عليه السلام ، والهدى من اهتدى إلى طاعته . ومثلها في كتاب الله عزوجل : ﴿ وإني لغفَّارٌ لمَن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ ، قال عليه السلام : إلى ولايتنا][2] . هذا مِن باب كشف مخزون علم الله تعالى في مدلولِ قرآنِهِ ومشمولِ برهانه ، وبيان سرِّ العظمة التي امتاز بها أهلُ البيت عليهم السلام الذين نصبهم اللهُ تعالى حججاً ودعاةً إلى دينه .

وتحدِّثُنا بعض الروايات عن واقعة يبدو انّها بعد معركة المهدي عليه السلام مع السفياني التي ينتصر بها المهدي عليه السلام على السفياني ، فيهرب على الأثر جماعة من بني أميّة إلى الروم ويتنصَّروا ، وتخشى الروم تعاظم أمر المهدي عليه السلام فتنزل عند مطلب المهدي عليه السلام بتسليم مَن هرب . ففي رواية بدر بن الخليل الاسدي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله عزوجل : ﴿ فلمَّا أحسُّوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا ، وارجعوا إلى ما أُترِفتُم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إذا قام القائم وبعث

---

[1] بصائر الدرجات : صـ ١٤ ، بـ ٨ حـ ٢ –

[2] تأويل الآيات : جـ ١ صـ ٣٢٣ حـ ٢٦ –

إلى بني أمية بالشام ، فهربوا إلى الروم ، فيقول لهم الروم : لا نُدخلنَّكُم حتى تتنصَّروا ، فيُعلِّقُون في أعناقهم الصلبان ، فيدخلونهم . فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم عليه السلام طلبوا الامان والصلح ، فيقول أصحاب القائم : لا نفعل حتى تدفعوا إلينا مَن قبلكم منَّا . قال : فيدفعونهم إليهم ، فذلك قوله : ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون ﴾ قال : يسألهم عن الكنوز وهو أعلم بها . قال : فيقولون : ﴿ يا ويلنا ، إنَّا كُنَّا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ﴾ بالسيف][1] .

أي بذلك يتحقَّق أمرُ الله تعالى ، ويظهر بعض مصاديق هذهِ الآية حيث تنهدم دولة السفياني وتتساقط بشكلٍ عظيم . وفي بعضها بيان تفصيلي أكثر ، إشارة إلى موقعيّة الأحداث ، ففي رواية عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

[لكأني أنظر إليهم يعني : القائم عليه السلام وأصحابه مصعدين من نجف الكوفة ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً كأنَّ قلوبهم زبر الحديد ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، يسير الرعبُ أمامه شهراً وخلفه شهراً ، أمدَّهُ الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . حتى إذا صعد النجف قال لأصحابه : تعبَّدُوا ليلتكم هذه ، فيبيتون بين راكعٍ وساجد ، يتضرَّعُون إلى الله ، حتى إذا أصبح قال : خذوا بنا طريق النخيلة ، وعلى الكوفة جندٌ مجنَّد ، قلت : جند مجند ؟ قال : إي واللهِ حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنخيلة ، فيصلِّي فيه ركعتين ، فيخرج إليه مَن كان بالكوفة مِن مرجئها وغيرهم مِن جيش السفياني ، فيقول لأصحابه : استطردوا لهم ، ثم يقول

---

[1] الكافي : ج ٨ ص ٥١ ح ١٥ –

كرُّوا عليهم . قال أبو جعفر عليه السلام : ولا يجوز والله الخندق منهم مُخبِر ، ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمنٌ إلا كان فيها أو حنَّ إليها ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأصحابه : سيروا إلى هذه الطاغية ، فيدعوه إلى كتاب الله وسنَّة نبيه صلى الله عليه وآله فيعطيه السفياني من البيعة سلماً ، فيقول له كلب وهم أخواله : هذا ما صنعت ! والله ما نبايعك على هذا أبداً ، فيقول ما أصنع ؟ فيقولون استقبله فيستقبله ، ثم يقول له القائم : خذ حذرك فإنني أدَّيتُ إليك ، وأنا مقاتِلُك ، فيصبح فيقتلهم فيمنحُهُ اللهُ أكتافهم . ويأخذ السفياني أسيراً فينطلق به يذبحه بيده . ثم يُرسل جريدة خيلٍ إلى الروم فيستحضرون بقيّة بني أمية ، فإذا انتهوا إلى الروم قالوا : أخرجوا إلينا أهل ملّتنا عندكم فيأبون ، ويقولون : والله لا نفعل فيقول الجريدة : والله لو أُمرنا لقاتلناكم ، ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه فيقول : انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم ، فإنَّ هؤلاء قد أتوا بسلطان [عظيم] ، وهو قول الله : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما أُترِفتُم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألُون ﴾ ، قال : يعني الكنوز التي كنتم تكنزون . قالوا ﴿ يا ويلنا ، إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ : لا يبقى منهم مخبر][1] .

وكنَّا قد أشرنا إلى انَّ بعض النصوص تضمّنت انّ السفياني بعد الخسف الذي يصيب جنده في البيداء يجزع ويفزع فإذا زحف جيشُ المهدي عليه السلام بايع المهدي عليه السلام لكنّه يعود فيتنكَّر بدعمٍ من فصيلٍ من الأمويين فيخوض معركة ضارية مع جيش الإمام المهدي عليه السلام فيُقتل السفياني على أثرها ويهرب قوم من قادة جبهتِهِ القَتَلَة إلى الروم فيطلبهم

---

[1] العياشي : ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠ ح ٤٩ -

المهدي عليه السلام ويكون له ذلك . وهكذا في لسان أكثر من نصٍّ تأكيدٌ على بيان المصداق الأبرز لمدلول هذهِ الآية آخر الزمان في قيام القائم عليه السلام وتمام نصرتِهِ . ففي رواية علي بن جعفر الحضرمي ، عن جابر قال : سألت أبا جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ فلما أحسُّوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ ؟ قال عليه السلام : [ذلك عند قيام القائم ، عجل الله فرجه][1] .

وفي رواية إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في قول الله عزوجل - : ﴿ فلما أحسُّوا بأسنا ﴾ ؟ قال عليه السلام : ذلك عند قيام القائم عليه السلام ، ﴿ إذا هم منها يركضون ﴾ ؟ قال عليه السلام : الكنوز التي كانوا يكنزون ، ﴿ قالوا يا ويلنا إنَّا كُنَّا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ ، بالسيف ، لا تبقى منهم عين تطرف][2] .

مشيراً إلى تلك المعركة العنيفة التي تقع بين جيش المهدي عليه السلام وجيش السفياني عند بحرية طبريَّة ، والتي تؤكِّد النصوص ضراوتها وانتصار المهدي عليه السلام العظيم فيها وسط إبادة عنيفة تطال جيش السفياني . بل السفياني نفسه الذي يُقتل في تلك المعركة . وبذلك تنتهي جبهة السفياني بشكلٍ مطلق . حتى انَّ قوماً من بني أميّة ومن القادة القَتَلَة يهربون إلى الروم ، فتلقاهم الروم وتأمرهم بالتنصُّر فيفعلون ، فيوجِّه إليهم المهدي عليه السلام إنذاراً بتسليمهم فتخشاه الروم وتفعل فتسلّمهم . ففي رواية المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ﴿ فلما رأوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون ﴾ :

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ ص ٣٢٦ ح ٦ -

[2] تأويل الآيات : ج ١ ص ٣٢٦ ح ٧ -

يعني القائم عليه السلام يسأل بني فلان كنوز بني أمية][1] . وفي القمّي : يعني الكنوز التي كنزوها . وقال : فيدخل بنو أمية إلى الروم إذا طلبهم القائم عليه السلام ثم يخرجهم من الروم ، ويطالبهم بالكنوز التي كنزوها فيقولون كما حكى الله : ﴿ يا ويلنا إنَّا كُنَّا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ ، قال بالسيف وتحت ظلال السيوف ، وهذا كلّه مما لفظه ماضٍ ومعناهُ مستقبل ، وهو ما ذكرناه مما تأويله بعد تنزيله][2] .

وفي طائفة من النصوص إشارة إلى بعض مشاهد الصدم العنيف الذي يقوم به السفياني قتلاً وسفكاً ونهباً وهتكاً للأعراض وجبروتاً مذهلاً حتى يقتصَّ منه القائم عليه السلام اقتصاصاً عظيماً . ففي خطبة المخزون للإمام علي عليه السلام :

[. . ويبعث السفياني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى عليهما السلام بالقادسية ، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة ، موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة ، فيهجموا عليه يوم زينة وأمير الناس جبَّار عنيد ، يقال له الكاهن الساحر ، فيخرج من مدينةٍ يُقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة ، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الاجسام ويسبي من الكوفة أبكاراً لا يكشف عنها كف ولا قناع حتى يُوضعنَ في المحامل يزلف بهنَّ الثوية وهي الغريين ، ثم يخرج عن الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق حتى يضربوا دمشق لا يصدهم عنها صاد وهي إرم ذات العماد ، وتقبلُ

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٥٠ –

[2] القمي : جـ ٢ صـ ٦٨ –

راياتٌ شرقي الارض ليست بقطن ولا كتان ولا حرير مختمة في رؤوس القنا بخاتم السيد الاكبر يسوقها رجل من آل محمد ﷺ يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الاذفر يسير الرعب أمامها شهراً ويخلف أبناء سعد السقاء بالكوفة طالبين بدماء آبائهم وهم أبناء الفسقة حتى تهجم عليهم خيل الحسين يستبقان كأنهما فرسا رهان شعث غبر أصحاب بواكي وفوارح إذ يضرب أحدهم برجله باكية يقول لا خير في مجلسٍ بعد يومنا هذا ، أللهم فإنَّا التائبون الخاشعون الراكعون الساجدون فهم الابدال الذين وصفهم الله عزوجل : ﴿ إنَّ اللهَ يُحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ، والمطهرون نظراؤهم مِن آل محمد ﷺ ويخرج رجلٌ مِن أهل نجران راهب مستجيب للامام ، فيكون أول النصارى إجابةً ويهدم صومعته ، ويدق صليبها ، ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيل فيسيرون إلى النخيلة بأعلام هدى فيكون مجتمع الناس جميعاً مِن الارض كلها بالفاروق ، وهي محجَّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي ما بين البرس والفرات ، فيقتل يومئذ فيما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف من اليهود والنصارى يقتل بعضهم بعضاً فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ بالسيف وتحت ظل السيف . .][1] .

إشارة إلى الذبح والقتل الهائل الذي يقوم بهِ السفياني في طلب آل محمَّد وأتباعهم ، فإذا خرج المهدي عليه السلام أصرَّ السفياني على قتل المهدي عليه السلام

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٩ - ٢٠٠ - يقول صاحب مختصر بصائر الدرجات : ووقفت على كتاب خطب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعليه خط السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ما صورته هذا الكتاب ذكر كاتبه رجلين بعد الصادق عليه السلام فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد المائتين من الهجرة لانه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة وقد روى بعض ما فيه عن أبي روح فرج بن فروة ، عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد عليه السلام وبعض ما فيه ، عن غيرهما ذكر في الكتاب المشار إليه خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تسمى المخزون ..

وأتباعه ، فيتواجه الجيشان في معركةٍ هي الأعنف وملحمةٍ هي الأصعب ، فينهزم فيها السفياني وجيشه شرَّ هزيمة : قتلاً وإبادةً وموتاً وأشلاءاً . فهذا تأويل قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ .

فإذا تحقَّق هذا الوعد ، تابع المهديُّ عليه السلام إنتصاراته على الأمم الفاسدة التي يبدو انَّ بعضها يسارع إلى إعلانِ الحرب عليه عليه السلام ، فلا يترك ما هو فيهِ حتى يتم اللهُ على يده قيام دولة الإسلام التي تقود البشر بأعظم مواثيق في ذلك الزمان . وفي رواية عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : [منَّا إثنا عشر مهديَّاً ، أوَّلُهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع مِن وُلدي ، وهو الامام القائم بالحق ، يُحيي اللهُ به الارض بعد موتها ، ويُظهِرُ به دينَ الحق على الدِّين كُلِّه ولو كره المشركون ، له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدِّين آخرون ، فيُؤذَون ويقال لهم : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ، أمَا إنَّ الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

يُؤكِّد النصُّ أنَّ ذلك يكون من القائم المهدي عليه السلام بعد طول غيبة ، يبدو انَّ كثيرين من الناس يهزأ منها سواء كانوا من بعض المسلمين أم من غيرهم ، فإذا تحقّقت العلامات وتمّت الشروط أذن اللهُ له بالخروج فإذا خرج حوَّل العالم بشكلٍ مذهلٍ وأقام فيهِ دولة العدل الإلهي . وفي كثيرٍ من النصوصِ تقرأ عجباً من التركيزِ على أمر المهدي المنتظر عجل الله فرجه الذي يخرجُ

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣١٧ حـ ٣ -

في آخر الزمان ، حتى انَّ النبيَّ ﷺ كان يفتتح الحديث ابتداءاً مع الأصحاب بخصوص المهدي عليه السلام فضلاً عن موضوع الأئمّة عليهم السلام ..

بل كان النبيُّ ﷺ في بعض الأوقات يضع وديعةً بين يدي أصحابِه بخصوص واحدٍ من الأئمّة مثلاً ، ثم يجوز من ذلك إلى موضوع المهدي الذي هو الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام الذي يخرج في آخر الزمان فيحقِّق اللهُ على يده دولة الحقّ الإلهي . النصوص كثيرة في هذا المعنى ، منها ما رواه زيد بن علي عليه السلام قال : كنتُ عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الانصاري ، فبينما هو يحدِّثُهُ إذ خرج أخي محمّد مِن بعضِ الحجر ، فأشخص جابرٌ ببصره نحوه ثم قام إليه فقال : يا غلام ، أقبِل ، فأقبل عليه السلام ، ثم قال : أدبر ، فأدبر عليه السلام ، فقال (جابر) : شمائلٌ كشمائل رسولِ اللهِ ﷺ ، ما اسمُك يا غلام ؟ قال : محمَّد . قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابنُ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قال (جابر) : أنتَ إذاً الباقر . قال : فانكبَّ عليه وقبَّلَ رأسه ويديه ثم قال : يا محمَّد ، إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقرِئُكَ السلام . قال عليه السلام : على رسولِ اللهِ أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام . ثم عاد إلى مصلَّاهُ ، فأقبل يحدِّثُ أبي ويقول : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال لي يوماً : [يا جابر ، إذا أدركتَ وَلَدِي الباقر فأقرئه منِّي السلام ، فإنه سميِّي وأشبَهُ الناس بي ، علمُهُ علمي وحكمُهُ حكمي ، سبعةٌ مِن وُلدِهِ أمناء معصومون أئمّة أبرار ، والسابعُ مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً . ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وجعلناهم أئمَّةً يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعلَ الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾][1] . وهذا إضافة إلى إضافة ، وتفريع عن أصل في خصوص ما ورد

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٩٧ –

بالأئمة (عليهم السلام) عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله) ، فضلاً عمّا ورد بحقهم في مخزون القرآن الكريم وظاهر لفظه . وما شاع وذاع منه في أمر المهدي (عليه السلام) صاحب الدولة الكبرى آخر الزمان ..

تحقيق وعد الله بالقائم المهدي عليه السلام (نموذج قرآني)

تؤكّد المتون المُفَسِّرة لجملةٍ من آياتِ القرآن أنَّ الله تعالى أعدَّ المهديَّ عليه السلام ليومٍ عظيم ، يعني بذلك اليوم حركة المهدي عليه السلام في آخر الزمان التي يقود عبرها أعظم تحوُّل عالمي . وأنَّه عليه السلام لا بدَّ منصور ، ودولته لا بدَّ ستتحقّق ، وأنّه يقود البشر إلى أعظم تكامل وجودي في مواثيق الشريعة وسط موائمة ضخمة بين المفهوم الكوني والمنطق التشريعي في ركب الوجود .

وعليه : المهدي عليه السلام هو القائم بأمر الله ، هو الثاني عشر من الأئمّة ، هو المُعَدُّ لإقامة دولة العدل الإلهي على وجه الأرض وما تصله يد البشر . وهو الموعود بالنصر الإلهي المؤزَّر . ففي رواية عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظُلِمُوا وإنَّ الله على نصرهم لقدير ﴾ قال عليه السلام : [هي في القائم عليه السلام وأصحابه][1] .

أي تجري في القائم عليه السلام وأصحابِهِ وجبهتِهِ ، وأنّه المنصور من الله ، والمقيم دولة الإسلام في شرق الأرض وغربها . بل في بعض النصوص تأكيد على انَّ ذكر المهدي ، ومعالم آخر الزمان ، وما يحدث من

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ ص ٣٣٨ ح ١٦ -

تحوُّل هائل على يد القائم من آل محمَّد عليه السلام شكَّل عنواناً بارزاً في متون كثيرٍ من صحف النبيين وغيرها . وفي القمِّي عند قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ، وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥/٢٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦/٢٧﴾ قال : [أعطى داود وسليمان ما لم يعط أحدا من أنبياء الله من الآيات ، علَّمهما منطق الطير ، وألَانَ لهما الحديد والصفر من غير نار ، وجعلت الجبال يسبِّحنَ مع داود ، وانزل اللهُ عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء وأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، والائمة عليهم السلام ، ومن ذريتهما عليهم السلام ، وأخبار الرجعة ، والقائم عليه السلام ، لقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾][1] .

بحيث شكَّل يومُ القائم عليه السلام عنواناً مركزيَّاً في كثيرٍ من النصوص والبشارات ، وانه الذي به ينتصر اللهُ به فيقيم دولة الحق الإلهي في آخر الزمن ، فيملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ظلماً . وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ قال عليه السلام : [هي في القائم عليه السلام وأصحابه][2] .

أي المهدي عليه السلام ينصره الله فيقيم دول العدل الكبرى ، ويعلن راية الإسلام في طول مسيرة البشر على كل مساحة موكب الحضور البشري وصناعة التاريخ الجديد .

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ١٢٦ –

[2] النعماني : صـ ٢٤١ ب ١٣ حـ ٣٨ –

وفي بعض المتون تأكيدٌ انَّ المهدي (عليه السلام) هو الطالب بثأر الحسين ، وهي متون أخرى أنَّ المهدي (عليه السلام) هو الذي يحقّق غايات خروج الحسين (عليه السلام) من طلب الإصلاح والسير بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) . بالإضافة إلى معانيها التي تُؤكِّد طابع حرب عنيفة مع قومٍ يصرون على معاداة أهل بيت النبي (عليهم السلام) وإعلان الحرب عليهم وعلى أتباعهم ، وقد جسَّدت الروايات نموذجاً فعليَّاً لدولة يقودها السفياني تريد أن تستأصل قيادة المهدي (عليه السلام) وأتباعه وجبهتهم ، بل يعمل السفياني منذ أولى لحظات قيادته جبهة السفيانيين على إعلان الحرب بوجه أتباع آل الرسول في أيٍّ منطقةٍ ضمن محور نفوذهِ في الشام والحجاز والعراق وشبهه .

وفي تفسير قوله تعالى ورد عنه (عليه السلام) : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ ﴾ : يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ : يعني حسيناً أرادوا أن يقتلوه . ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ : يعني بالقائم من ولده (عليه السلام)][1] . وعليه : بعض النصوص التي تحدَّثت عن أخذ الثأر للحسين أشارت إلى أكثر من عنوان مركزي ، منه إتمام مشروع الإصلاح الذي بدأه الحسينُ (عليه السلام) على يدِ المهدي (عليه السلام) ، ومنه تدمير قوَّة السفياني التي تخوض في منطقة الشام والكور الخمس فساداً وقتلاً وسفكاً للدماء خاصّةً في دماء الشيعة وأتباع آل الرسول . وفي رواية ابن مسكان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، في قوله : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [إنَّ العامة يقولون نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمَّا أخرجته قريشٌ من مكة ، وإنما هي للقائم (عليه السلام) إذا خرج

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٨٧ –

يطلب بدم الحسين (عليه السلام) ، وهو قوله (عليه السلام) : نحن أولياء الدم وطلاب الدية][1] . فإذا خرج المهدي (عليه السلام) تمكَّنَ من قادة الفساد في شتَّى البلاد ، وأعلن منظومة الوجود بعنوان الإسلام ودليل القرآن والعترة . وخاض في الأرض داعياً منادياً بعودة البشر إلى الرُّشد ، فتُعلن أممٌ سياسيَّة عديدة الحربَ عليه ، فتتساقط واحدةً تلو الأخرى ضمن ظروف دوليَّة ومواصفات شديدة التنوُّع والتعقيد ، وينصر اللهُ المهدي بنصرهِ حتى يقيم دولة الإسلام الشريف على كافة ربوع الأرض . ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١/٢٢﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [وهذه الآية لآل محمد (عليهم السلام) إلى آخر الآية . والمهدي وأصحابه يملِّكُهُم اللهُ مشارق الارض ومغاربها ، ويظهر الدِّين ويُميت اللهُ به وأصحابه البدعَ والباطلَ ، كما أمات السفَّهُ الحقَّ ، حتى لا يُرَى أثر للظلم][2] . ذيلُ النصِّ يُقرِّر بشكلٍ دقيق أنَّ انتصار المهدي (عليه السلام) يتجسد على نحوٍ لا يبقى معه أثرٌ لظالم . وهذا يعني إعادة هيكلة ضخمة للجماعة البشرية ومكوِّناتها ، لا يوجد معها إلا الإسلام في الإعتقاد والسلوك والعمل والنظام والإنتظام والمواثيق والتعامل وشبه ذلك .

بتعبير آخر : المهديُّ (عليه السلام) هو الذي يُمكِّنُهُ اللهُ تعالى في الأرض فيقيم دولة الإسلام على نحوٍ مطلق . وفي رواية زيد بن علي (عليه السلام) قال : [.. إذا قام القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) يقول : يا أيها الناس ، نحن الذين وعدكم الله في كتابه : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٨٤ –

[2] القمي : ج ٢ ، صـ ٨٧ –

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾][1] . تأكيداً على النحو الخاص والمطلق في إعلان الإسلام وتطبيقه وقيادة الأمّة البشريّة كافّة على هديه ومواثيقه . وعن قوله تعالى : ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ قال : القمي : [هو مثل لآل محمد عليهم السلام ، قوله : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ ، هي التي لا يستسقى منها ، وهو الامام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم ، و« القصر المشيد » هو المرتفع وهو مثل لأمير المؤمنين عليه السلام ، والائمة وفضائلهم المشرفة على الدنيا وهو قوله ﴿ ليظهره على الدِّين كله ﴾ . وقال الشاعر في ذلك : بئرٌ معطلة وقصر مشرف * مثل لآل محمد مستطرف . فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى * والبئر علمهم الذي لا ينزف][2] .

وبذلك يتمُّ إعلان الإسلام دينَ البشرِ والدولة العالميّة ومشروع الأمم في طول مركبها التكاملي واستعمار الأرض بنحوٍ مقدَّسٍ يقوم على العبوديَّة الصافية لله تعالى ، عبر بيوتٍ أذن اللهُ أن تُرفع ويذكر فيها اسمه . وذلك على يدي الثاني عشر من الأئمَّة المنصوبين المعدودين الموصوفين بأمر الله وبنصِ رسولِ الله وبدلالة القرآن وظاهرِ آياتِه .

وقد حدَّثَ التاريخ عن شهادة القريب والبعيد ، عن متونٍ شديدة الدفق والإقرار بما لمقام الإمامة من قداسة ، وقد أشرنا إلى النصوص الكثيرة فيما مضى .. بل تواتر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : إنِّي تاركٌ فيكم إثني عشر خليفة كلّهم من قريش .

---

[1] فرات الكوفي : صـ ١٠٠ –

[2] القمي : جـ ٢ صـ ٨٥ –

على انّ العالم آنذاك يشهد حدثين ضخمين : الأوّل يتحقّق بظهور المهدي وقيام دولة الحق الإلهي الكبرى على طول الأرض وأين تصله يدُ الإنسان . والثاني يكمن في تحقّق الرجعة التي تجسِّد المعنى الثاني من استخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض[1] . وفي رواية كعب الاحبار قال في الخلفاء : [هم إثنا عشر ، فإذا كان عند انقضائهم وأتى طبقة صالحة مدَّ الله لهم في العمر ، كذلك وعد اللهُ هذه الامة ، ثم قرأ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قال : وكذلك فعل اللهُ ببني اسرائيل ، وليست بعزيز أن تجمع هذه الامة يوماً أو نصف يوم ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾][2] .. على أنَّ موضوع استخلاف الله تعالى للذين آمنوا وبالأحرى

---

[1] وعن إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول . . في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن يبلغ نحو ١٢٨ صفحة روى فيه الامام الصادق ﷺ مجموعة أسئلة لامير المؤمنين ﷺ ، عن آيات القرآن وأحكامه ، جاء فيها : [وأما الرد على من أنكر الرجعة فقول الله عزوجل : ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ ، أي إلى الدنيا ، وأما معنى حشر الآخرة فقوله عزوجل : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ ، في الرجعة ، فأما في القيامة فإنهم يرجعون . ومثل قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ ، وهذا لا يكون إلا في الرجعة . ومثله ما خاطب الله به الائمة ، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - إلى قوله - لا يشركون بي شيئا ﴾ ، وهذا إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا . ومثله قوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، أي رجعة الدنيا ﴾ . ومثله قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ ، وقوله عزوجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ﴾ ، فردهم الله تعالى بعد الموت إلى الدنيا] . [المحكم والمتشابه (نقلا عن تفسير النعماني) : صـ ٣ والمتن في صـ ١١٢ - ١١٣ -]

[2] الخصال : ج ٢ صـ ٤٧٤ - ٤٧٥ ح ٣٥ -

للصفوة الذين آمنوا من الأمور اليقينية التامّة ، والحتم الذي لا بدّ منه . ويشكّل الإمام المهدي عليه السلام أضخم حدث كوني لحظة ظهورِهِ ومتابعته بناء التاريخ الجديد وقيام دولة آل محمد العالميّة التي تستوعب شوط البشر في شتّى أنحاء وجودهم . على انَّ الإمام المهدي عليه السلام يُنتفَعُ بغيبتِهِ كما يُنتَفَعُ بالشمس عندما تحجبها الغيوم .

وأنّهم عليهم السلام حججُ الله وبيّناتُهُ وآياتُهُ المنصوبة للخلق ، وقائمهم المهدي عليه السلام هو الذي يقيم العدل العالمي في هذه الدنيا ويشكّل أعظم مفصل تحوُّلي في دنيا الإنسان في الحقبة الأخيرة من حياة البشر . وفي رواية سليمان بن مهران الاعمش عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال :

[نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغرِّ المحجَّلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمانٌ لأهل الارض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء ، ونحن الذين بنا يمسك اللهُ السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه ، وبنا يمسك الارض أن تميد بأهلها ، وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة ، وتخرج بركات الارض ، ولولا ما في الارض منَّا لساخت بأهلها . ثم قال : ولم تخلُ الارضُ منذ خلقَ اللهُ آدمَ من حجَّةِ الله فيها ، ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يُعبد الله . قال سليمان : فقلتُ للصادق عليه السلام : فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟ قال عليه السلام : كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب][1] .

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٠٧ ب ٢١ ح ٢٢ – هناك رواية تُروى عن الامام الكاظم عليه السلام بقوله : إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الارواح قبل الابدان بألفي عام ، ثم خلق الابدان بعد ذلك ، فما تعارف منها في السماء تعارف

بحيث يُشَكِّل المهديُّ عليه السلام قطب النور والهداية وضمان الأرض وكفالة السماء . وفي الحديث يقول عجل الله فرجه : لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها .

ومهما دار الزمن ، فالقرآنُ وأهلُ البيت عليهم السلام بدءاً من النبيِّ وانتهاءاً بالثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام يُشكِّلون أهم وأعظم حجج الله وبيِّناته والنور الذي به يُهتدى . ففي رواية إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يروي[1] مجموعة أسئلة لأمير المؤمنين عليه السلام ، عن آيات القرآن وأحكامه ، جاء فيها : وسألوه صلوات الله عليه ، عن أقسام النور في القرآن ؟ فقال عليه السلام :

[النور : القرآن ، والنور اسمٌ مِن أسماء الله تعالى ، والنور النورية ، والنور ضوء القمر ، والنور ضوء المؤمن وهو الموالات التي يلبس لها نوراً يوم القيامة ، والنور في مواضع من التوراة والانجيل والقرآن حجَّةُ اللهِ على عباده ، وهو المعصوم . . قال تعالى : ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ ، فالنور في هذا الموضع هو القرآن ، ومثله في سورة التغابن قوله تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ ، يعني سبحانه القرآن وجميع الاوصياء المعصومين ، من حملة كتاب الله تعالى ، وخزانه ، وتراجمته ، الذين نعتهم الله في كتابه فقال : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ، فهم المنعوتون الذين

في الارض وما تناكر منها في السماء تناكر في الارض ، فإذا قام القائم ورث الاخ في الدين ، ولم يورث الاخ في الولادة ، وذلك قول الله عزوجل في كتابه : ﴿ قد أفلح المؤمنون . . فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون ﴾ [دلائل الامامة : صـ ٢٦٠] .

[1] في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن يبلغ نحو ١٢٨ صفحة ،

أنار اللهُ بهم البلاد ، وهدى بهم العباد ، قال الله تعالى في سورة النور ﴿ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة كأنها كوكب دري . . ﴾ ، فالمشكاة رسولُ الله ﷺ والمصباح الوصي ، والاوصياء عليهم السلام والزجاجة فاطمة ، والشجرة المباركة رسول الله ﷺ والكوكب الدري القائم المنتظر عليه السلام الذي يملأ الارض عدلاً][1] .

وعليه : هؤلاءِ أهل الطاعة ، ومُفتَرَضِي الإمامة على كلِّ الخلائق ، وهم نور السماء ، والدعاة إلى موكب المجد ، وبهم تتمُّ الطاعة ، ومنهم تُؤخَذُ معاني الشريعة ، فهم المُؤتَمَنُون على مخزون علم القرآن ، وما يحتاجُهُ العباد إلى قيام يوم الدِّين . وقائمهم المهديُّ عليه السلام صاحبُ الأمر والزمان ، وله مقاليد الأمر والنهي ، وهو حجّة اللهِ على الخلق ، وهو المُعَدُّ لإقامة دولة الحقِّ الرباني ، وهو الذي يقود الأمم ، وهو المفترض الطاعة ، وبه يتمُّ التكليف وطاعة الرب .

بل في طائفة من النصوص تأكيد على أنَّ أتباع آل محمَّد يكونون على نحوٍ وثيقٍ من إعلان الطاعة ، فيما يكون الأمر عند غيرهم مأرجحاً بين منكرٍ ومُقرٍّ ، على انّ كثيراً من الأمم السياسيّة تعلن حربها على الإمام ، فيما تشيرُ طائفة من النصوص إلى إعلانات ولاء من قبل طوائف من الشعوب .

نعم ، أتباع أهل البيت والبقيّة الباقية على موعدِ الإنتظار وساعة الفرج تكون على موقعٍ رفيعٍ وثابتٍ جداً من الطاعة وتوابعها ، ففي رواية عبد الله بن عجلان قال : ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : كيف لنا أن نعلم ذلك ؟ فقال : [يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة

---

[1] تفسير النعماني : - على ما في المحكم والمتشابه . * : المحكم والمتشابه : صـ ٤ والمتن في صـ ٢٥ -

عليها مكتوب : طاعة معروفة][1] . تأكيداً على طاعة هذه الجماعة وانصياعها العفوي الإبتدائي التتابعي لسلطان وإمامة آل محمّد عليهم السلام ..

ثمَّ حجَّة أهلِ البيت عليهم السلام عنوانٌ ظاهر ، وصفةٌ مشهورة ، وخبرٌ متواتر ، حتى اليهود والنصارى حدَّثت عن كتبها بما لهؤلاءِ الأوصياء من نورٍ وعظمةٍ وحجّةٍ على الناس وكرامة عند الله تعالى . ففي رواية جابر بن عبد الله الانصاري قال : دخل جندب بن جنادة اليهودي من خيبَر على رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث طويل - [.. فقال جندب - وذلك بعدما أعلن إسلامه ممَّا سمع من النبيِّ صلى الله عليه وآله في صفة النبي نفسه والأوصياء عليهم السلام من بعده ممّا يطابق ما هو موجودٌ في كتبهم - : يا رسول الله ، قد وجدنا ذكرهم في التوراة ، وقد بشَّرنَا موسى بن عمران بِكَ وبالأوصياء بعدك مِن ذريَّتك .. ثم تلا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهُم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ ، فقال جندب : يا رسول الله ، فما خوفهم ؟ قال صلى الله عليه وآله : يا جندب في زمنِ كلِّ واحدٍ منهم سلطانٌ يعتريه ويؤذيه . فإذا عجَّلَ اللهُ خروجَ قائمنا يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً . ثم قال صلى الله عليه وآله : طوبى للصابرين في غيبته ، طوبى للمتقين على محجّتهم ، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال : ﴿ والذين يؤمنون بالغيب ﴾ ، وقال : ﴿ أولئك حزب الله ، ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون ﴾][2] . وعليه : المهديُّ عليه السلام يُشَكِّل قطب الإنتصار ، وباب الدولة الكبرى التي تعلن الإسلام قيمومة الوجود ووثيقة الكون والحياة .

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ، صـ ٦٥٤ ، ب ٥٧ ح ٢٢ -

[2] كفاية الاثر : صـ ٥٦ -

ومن يتبعه يكون من حزب الله الذين يُشكِّلون صفة الطاعة والإيمان والرضوان وقاعدة الموكب البشري تحت ظلِّ قيادة المهدي عليه السلام . وتؤكِّد النصوص طاعةَ الأمم والشعوب للمهدي عليه السلام في آنٍ متأخِّرٍ ، فيما تؤكِّد طائفةٌ أخرى طاعة بعض الشعوب بعد إعلان الظهور . فإذا قامت الدولة المباركة أعلنت الأممُ مبايعتها وبعثت بطاعة المهدي عليه السلام ، في وقتٍ تكون فيهِ جبهة المهدي قد بلغت الآفاق وغرست الإسلام والسلام والأمن والأمان في النفوس والبقاع المختلفة .

وتتَّفق النصوص كاملةً على انَّ المهدي عليه السلام هو الذي يظهرُ دينَ اللهِ تعالى ، فلا دين فوقه ، ويتمّ نعمته على العبادة باتّباع الإسلام ، ونشر قيم الشريعة ، ومفاهيم القرآن . ويتحقّق ذلك على يدِ المهدي عليه السلام بعد صعابٍ وصعاب ، وملاحم وفتن تصيب الناس ما قبل وبعد الظهور المبارك . فإذا ظهر عليه السلام أقام الدِّين ، وأظهر الإسلام ، وأعلنه دين الشعوب والأمم تحت ظل دولةٍ واحدة وقيادة واحدة . ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : [. . كلٌّ ذلك لِتتُمَّ النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوِّه إبليس ، إلى أن يبلغ الكتابُ أجله ، ويحقّ القول على الكافرين ويقترب الوعد الحق ، الذي بيَّنَهُ في كتابه بقوله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلَفَ الذين مِن قبلهم ﴾ ، وذلك إذا لم يبقَ مِن الاسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، وغاب صاحبُ الامر بإيضاح الغدر له في ذلك ، لاشتمال الفتنة على القلوب ، حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له . وعند ذلك يؤيّده الله بجنود لم تروها ، ويظهر دين نبيِّه صلى الله عليه وآله على يديه ﴿ على الدِّين كله ولو كره المشركون ﴾][1] .

---

[1] الاحتجاج : ج ١ ص ٢٥٦ -

وفي بعض النصوص يصف الإمام علي (عليه السلام) زمرةً من أولئك الذين يبعثهم اللهُ تعالى لنصرة المولى المهدي من بعد موتِهم . وهل هذا النص ناظر إلى تحقّق الرجعة ، أم انّه ناظر إلى تلك الطائفة التي تشير انَّ قوماً من أنصاره (عليه السلام) يبعثهم اللهُ لنصرة المهدي (عليه السلام) . نعم يبدو من طائفة من الروايات انّ الرجعة تتحقّق زمن المهدي (عليه السلام) أي في شطرٍ من حياتِه .

وبعض النصوص صريحة في أنَّ الله تعالى يبْعث من بعد الموت قوماً مهمّتُهُم نصرة المهدي (عليه السلام) . ففي رواية أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين : [فيا عجباه ، وكيف لا أعجب مِن أمواتٍ يبعثهم اللهُ أحياءً يُلبُّون زمرةً زمرةً بالتلبية : لبيك لبيك يا داعيَ اللهِ ، قد أطلّوا بسكك الكوفة ، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ، ليضربون بها هامَ الكفرة وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الاولين والآخرين حتى ينجز اللهُ ما وعدهم في قوله عزوجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهُم في الارض كما استخلفَ الذين مِن قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنَّهُم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ . أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً في عبادي ليس عندهم تقيّة ، وإنَّ لي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة ، وأنا صاحب الرجعات والكرات ، وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات ، وأنا قرن من حديد ، وأنا عبد الله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله)][1] . ففي هذا النص إشارة إلى العنوانين : عنوان الفئة التي يبعثها اللهُ من بعد الموت لنصرة المهدي (عليه السلام) ، بالإضافة إلى موضوع الرجعة وتحقُّق مظهرها برجعة الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيتِه (عليهم السلام) ..

---

[1] كتاب الواحدة : على ما في مختصر بصائر الدرجات : مختصر بصائر الدرجات : صـ ٣٢ - ٣٣ -

وانَّ وراثة الأرض حتمٌ قرآني لا بدَّ منه للذين آمنوا ، لصفوتِهم ، لأئمَّة أهل الحق ، لأهل البيت عليهم السلام .. على أن أُوْلَى معالم وراثة الأرض تتحقَّق على يدِ المهدي عليه السلام الذي يُقيم دولة الإسلام في كافّة ربوع الأرض وما تصله يدُ الإنسان . فهذا من المصاديق الساطعة من وراثة الأرض التي وعد اللهُ بها الذين آمنوا . فقد روى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم مِن بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ ، فقال : [هم شيعتنا أهل البيت ، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا ، وهو مهدي هذه الامة ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل اللهُ ذلك اليوم حتى يلي رجلٌ مِن عترتي اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً][1] .

أي يتحقِّق هذا المظهر الضخم من وراثة الأرض للذين آمنوا على يدِ المهدي عليه السلام الذي يُقيم القسط والعدل في كون الإنسان ، ويبطل الظلم والفساد ويلغي الإضطهاد من المواثيق والسلوك وقيم وأعراف الجماعة البشريّة . على انَّ هناك مظهراً آخر هو مظهر الرجعة التي يتجسَّد فيها المظهر الثاني من وراثة الأرض للذين آمنوا ، وبها يتحقَّق نموذج من النماذج التي يذلُّ اللهُ فيها أئمة أهل الفساد على يدِ أئمَّة أهل الهدى والرسالة . ففي رواية عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلَّ جلاله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في

---

[1] مجمع البيان : ج ٧ صـ ١٥٢ -

الارض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [هم الائمة عليهم السلام][1] . أي يتحقَّق ذلك في مظهرٍ آخر من مظاهر الوراثة عبر الرجعة وما تعنيه من علو كلمة الحقِّ وعظمة دولة الإسلام تحت ظلِّ حكومة الأئمّة عليهم السلام ، على انَّ سبق دولة الإمام المهدي عليه السلام على ذلك يعني تشكُّل المظهر الأوَّل من مظاهر الوراثة ، وكلُّ هذا يشكِّل مضمون طائفة واسعة من النصوص الواردة في هذا المجال . وفي رواية صفوان عن أبي عبد الله عليه السلام - ذكر حديثاً يقول فيه - : [أللهم أنجز لنا ما وعدتنا ، إنك لا تخلف الميعاد . قلت : يا سيدي فأين وعدُ الله ؟ قال : قول الله عزوجل : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهُم في الارض ﴾][2] . أي لا بدَّ من استخلافِهم ، وقيام دولتِهم ، وتحقّق سلطنتِهم عليهم السلام ..

وفي بعض المتون إشارةٌ واضحة إلى مظهرٍ خاص ، يتحقَّق في زمنٍ محدَّد ، يكون علامة على التحوُّل المظهري في كون الإنسان ، وبداية تامة لموضوع الوراثة للذين آمنوا . ففي رواية يونس بن ظبيان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إذا كان ليلة الجمعة - في وقتٍ محدَّدٍ من آخر الزمان - أهبط الربُّ تعالى ملكاً إلى السماء الدنيا ، فإذا طلع الفجر جلس ذلك الملك على العرش فوق البيت المعمور ، ونصب لمحمَّد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام منابر من نور ، فيصعدون عليها ، وتجمع لهم الملائكة والنبيون و المؤمنون ، وتُفتَحُ أبوابُ السماء ، فإذا زالت الشمسُ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا ربِّ ميعادك الذي وعدتَ به في كتابك ، وهو هذه الآية : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلف

---

[1] الكافي : ج ١ ، صـ ١٩٣ - ١٩٤ ، حـ ٣ -

[2] إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٨١ بـ ٣٢ فـ ٥٩ حـ ٧٦٤ -

الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ ، ثم يقول الملائكة والنبيون مثل ذلك ، ثم يخرُّ محمَّدٌ وعليٌّ والحسن والحسين سُجَّداً ، ثم يقولون : يا ربِّ اغضب ، فإنه قد هتك حريمك ، وقتل أصفياؤك ، وأُذِلَّ عبادك الصالحون . فيفعل الله ما يشاء ، وذلك يوم معلوم][1] .

لا شكَّ أنَّ هذا وصف أكثر تفصيلاً ، يشيرُ إلى هذهِ العلامة التي تتحقَّق في آخر الزمان ، فيطَّلع عليها اهل السماء ، وتكون بداية لعالمٍ جديد ، وتحوُّل ضخم ، تبدأ معه مرحلة الوراثة المحقَّقة للذين آمنوا ، أي دولة المهدي عليه السلام وما يتبعها من رجعة ..

فإذا حان حينُها ، تزاحمت العلامات ، وتكاثرت البيّنات ، وسطع نور الإمامة فأشرق بين الناس ، ومعه يتحقَّق لدينِ الإسلامِ في وراثة الذين آمنوا للأرض ما لم يتحقَّق من قبل على هذا النحو . فقد روى زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ ؟ أنه قال عليه السلام :

[لم يجئ تأويل هذه الآية . ولو قام قائمنا بعد ، سيرى مَن يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية ، وليبلغنَّ دينُ محمَّد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل ، حتى لا يكون مشركٌ على ظهر الارض ، كما قال الله تعالى : ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾][2] .

---

[1] النعماني : صـ ٢٧٦ بـ ١٤ حـ ٥٦ –

[2] مجمع البيان : جـ ٢ صـ ٥٤٣ –

إشارة إلى وراثة المهدي (عليه السلام) وإقامتهِ دولة الإسلام في شتَّى ربوع الأرض ، وأين يصلهُ ابن آدم على الإطلاق . من هنا ومن غيرهِ جاء التعبير عن الدولة العالميّة ، والدولة الكونيّة ومواكبة الكون والحياة لمفهوم الوارثة والمعنى الوجودي المتحقِّق منه ذلك . وفي كثيرٍ من النصوص أيضاً أنَّ هذهِ الآية : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ أنها في المهدي من آل محمد . وفي « القمي » قال : [نزلت في القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله)][1] .

أي على يدهِ تتحقَّق الوراثة هذه بهذا النحو ، وبدولتهِ تقوم مواثيق الإسلام لتحكم كون الإنسان ، ويبلغ الإسلامُ في زمنه ما يبلغه الليلُ والنهار ، إشارة إلى عظمة نفوذهِ وتوسّعه وشمولهِ لبني البشر أين حلّوا أو رحلوا . بل في طائفة من النصوص إبراز مفهوم الساعة وفق مخزون خاص من علم القرآن . أيّ هذا يكون ممَّا يجري عليهِ مدلول الآية ، فيما تحفظ الآية المعنى الظاهر منها أي ساعة القيامة . وهذا سرٌّ مخزون القرآن ودليلٌ على العمق الهائل ، والشمول المذهل الذي ضمَّنه اللهُ للقرآن ، وقرن الكشف عن مخزونهِ الخاص بالراسخين بالعلم ؛ أي النبيّ وأهل بيتهِ (عليهم السلام) ..

---

[1] القمي : ج ١ صـ ١٤ - وقوله * (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض . .) . * : مجمع البيان : ج ٤ صـ ١٥٢ - * عن عمرو البكائي ، عن كعب الاحبار ، قال في الخلفاء : [هم إثنا عشر فإذا كان عند انقضائهم وأتى طبقة صالحة . مدَّ الله لهم في العمر ، كذلك وعد الله هذه الامة ، ثم قرأ : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ ، قال : وكذلك فعل الله ببني إسرائيل وليس بعزيز أن تجمع هذه الامة يوما أو نصف يوم . وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون] . [الخصال : ج ٢ ، صـ ٤٧٤ ، ح ٣٥ -]

ففي رواية المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما معنى قول الله عزوجل : ﴿ بل كذَّبوا بالساعة ، وأعتدنا لمن كذَّب بالساعة سعيراً ﴾ ؟ فقال لي : [إنَّ اللهَ خلق السنة اثني عشر شهراً ، وجعل الليل اثنتي عشرة ساعةً ، وجعل النهار اثنتي عشرة ساعة ، ومنَّا اثني عشر محدثاً ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام من تلك الساعات][1] . أي هذا المعنى ممَّا يجري في مضمون الآية ومخزون دلالتها . نعم قيمة النصِّ فيها تأكيدٌ عميقٌ على النص المتواتر الوارد عن لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله : إني تاركٌ فيكم إثني عشر خليفة كلّهم من قريش . وما هو في معناه بشكلٍ تام .

وفي رواية أبي الصامت قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [إنَّ الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة ، وإنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام أشرف ساعة من اثنتي عشرة ساعة . وهو قول الله تعالى : ﴿ بل كذَّبوا بالساعة ، وأعتدنا لمن كذَّب بالساعة سعيراً ﴾][2] . تأكيداً على قيمة الإمامة وعظمة موقعها في الإسلام ، وضرورة قيامها وحفظ حكومتِها ، وإلا وقع المسلمون في محظورٍ خطير . لقد شبَّهها اللهُ تعالى بالساعة لما تعنيهِ من حتمٍ وموقعٍ لا بدَّ للبشرِ من وروده وإلا هلكوا . ونماذج الهلاك شديدة التنوُّع في الدنيا وخطيرة جداً في الآخرة .

وبتعبيرٍ آخر : الإمامة ضمانة ربانيَّة ، وكفالة وجوديَّة ، وشرط أساسي للنهضة البشريَّة ، وأمر رئيسي لصحَّة الإستخلاف البشري على ارض الله تعالى .

---

[1] النعماني : صـ ٨٤ بـ ٤ حـ ١٣ –

[2] القمي : جـ ٢ صـ ١١٢ –

فإذا قام أمرُ الإمامة تحقَّقت الدولة الكبرى التي تقود البشر إلى أعظم سعادتها ، وأنبل وجوداتِها وأكملها . وفي النصوص المتواترة عند كلِّ المسلمين انّ المهدي عليه السلام الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام هو الذي تتحقّق على يدهِ الدولة المباركة ، التي يُعبدُ اللهُ فيها العبادة العظمى ، وتكون دولتُهُ ذات شمولٍ هائل ، أينما حلَّ البشر ووصلوا .

وفي النص عن علي بن أسباط قال : روَى أصحابنا في قول الله عزوجل : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ ، قال : [إنَّ الملك للرحمن اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم ، ولكن إذا قام القائم عليه السلام لم يُعبَد إلا الله عزَّ وجلَّ بالطاعة][1] . وعن ابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر ، والبراء ، وأنس ، وأم سلمة والسدي ، وابن سيرين ، والباقر عليهم السلام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ؟ قالوا : [هو محمَّدٌ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . وعن ذيل الآية : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ ؟ قالوا : القائم عليه السلام في آخر الزمان ، لأنه لم يجتمع نسبٌ وسببٌ في الصحابة والقرابة إلا له ، فلأجل ذلك استحق الميراث بالنسب والسبب][2] . تصريحاً منهم بعظمة المهدي عليه السلام وانّه الذي يقيم الحقَّ ويملأ الدنيا عدلاً ونعمةً وبركات وأمناً وأماناً وسلماً وسلاماً ، تحت ظلِّ راية الإسلام . وانّه الذي يقيم المُلك على كرسيِّ الشريعة ، وينادي بالقرآن والعترة مجتمعَين ، ويقود البشر على هدي مواثيق الإسلام الشريف حتى يتعاظم أمر الجماعة والإجتماع العالمي على نحوٍ لم ترهُ البشريّة من قبل . كما في تأكيدات كثيرة من النصوص الواردة بالتفصيل في هذا المجال .

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ صـ ٣٧٢ حـ ٤ –

[2] مناقب ابن شهر اشوب : ج ٢ ، صـ ١٨١ –

ذهول البشر من الآية التي تظهر في السماء
(نموذج قرآني)

تشكِّل الآية السماويَّة مفصلاً رئيسيَّاً في أحداث آخر الزمن ، ففيها مظهر جلي من علامات العالم الجديد وأُولى شرفات الهيكل الجديد . وقد ورد في بعض النصوص إشارة إلى مصاديق زمنيَّة من مخزون علم القرآن تتجلَّى زمن الظهور أو قُبَيلَه أو أثناءهُ وما بعده ، فيها تأكيد على الرسم الأعظم للأحداث وما يقع فيها . ففي الرواية عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : سُئِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ فاختلف الاحزابُ مِن بينهم ﴾ ؟ فقال عليه السلام :

[انتظروا الفرجَ مِن ثلاثٍ . فقيل : يا أمير المؤمنين وما هُنَّ ؟ فقال عليه السلام : اختلافُ أهل الشام بينهم ، والرايـاتُ السود مِن خراسان ، والفزعةُ في شهر رمضان . فقيل : وما الفزعة في شهر رمضان ؟ فقال عليه السلام : أو ما سمعتم قول الله عزوجل في القرآن : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيةً فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ، هي آيةٌ تُخرِجُ الفتاة مِن خدرها وتُوقِظُ النائمَ ، وتُفزِعُ اليقظان][1] .

هذهِ الآية لها مصاديق متعدِّدة ، منها ، زمن الظهور الشريف ما يحصل في شهر رمضان من نداء جبرائيل بظهور المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف ..

---

[1] النعماني : صـ ٢٥١ بـ ١٤ حـ ٨ –

ويبدو انَّ هذهِ الآية يكون لها وقعُهَا الخاص والعالمي بوصفٍ استثنائي ضخم ، فلا تجد ناس ذلك الزمان إلا وهم يتحدَّثون بالمهدي (عليه السلام) . وفي رواية حنان بن سدير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [نزلت في قائم آل محمد ، صلوات الله عليهم ، يُنادَى باسمه مِن السماء][1] .

وقد نقلت طائفة مِن النصوص فحوى النداء الذي ينادي بهِ جبرائيل (عليه السلام) في السماء فيعمّ كون الإنسان ، على انَّ النداء يكون باسم المهدي وإسم أبيه بالإضافة إلى مواصفاتٍ وإضافاتٍ متنوِّعة تكفَّلت النصوصُ ببيانِها ، وقد أشرنا إليها فيما سبق ، واللافت في النصوص تأكيدها على انّ نداء جبرائيل (عليه السلام) بإسم المهدي (عجل الله فرجه) يكون بإسمه وإسم أبيه (عليهما السلام) . وفي رواية أبي الورد ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : [النداء من السماء باسم رجل وأبيه][2] .

وفي بعضها إشارة إلى ظهور آية سماويَّة زمن ظهور دولة أو راية السفيانيين التي تُشكِّل امتداداً ثقافيَّاً وفكريَّاً وتراثيَّاً لبني أميّة الذي ظلموا واضطهدوا وأسرفوا في سفك الدماء والطغيان ، وانَّ هذهِ الدولة السفيانيّة تقود وجودها وامتدادها وتوسُّعها وحماية عرشها على نوعٍ مذهلٍ من القتل والسفك والإبادة . ففي رواية أبي بصير قال : سمعتُ أبا جعفر (عليه السلام) يقول في قوله تعالى شأنه : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ ص ٣٨٦ ح ٢ –

[2] الرجعة : على ما في البرهان . * : البرهان : ج ٣ ص ١٨١ ح ١٢ –

خاضعين ﴾ ؟ قال ﷺ : [سيفعل اللهُ ذلك لهم . قلت ومَن هُم ؟ قال : بنو أمية وشيعتهم (دولة السفيانيين ورايتهم) ، قلت : وما الآية ؟ قال ﷺ : ركود الشمسِ ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر ، وخروج صدر رجل ووجه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه . وذلك في زمان السفياني ، وعندها يكون بواره وبوار قومه][1] .

حيث تبدأ أولى معالم المظهر الوجودي الجديد بظهور قائم آل محمَّد المهدي . وتخوض الأمم فيما بينها صراعاتٌ صِدَاميَّة ضارية ، وتعلن أممٌ كثيرة حربها على المهدي ﷺ فيما تعلن أممٌ أخرى طاعتها للمهدي ﷺ . وتبدأ مرحلة شديدة الخصام على مستوى البيئة الدوليّة ، تباعاً للمرحلة الصارخة من الصَّدم والعنف والفوضى والطغيان الدولي الذي كان مسيطراً مِن قبل ظهور القائم . فإذا خرجَ القائم أعلن موازين العدل والقيم الوجوديَّة ، وسار في الأمم ، لا تأخذهُ في الله لومة لائم حتى يُقيم الحقَّ في كلِّ أرجاء دنيا الإنسان .

بل في طائفة إشارة إلى انَّ بعض العامّة كانوا يُعيِّرون الشيعةَ بأنّهم يتحدَّثون عن آيةٍ تظهر في السماء .! هذا الكلام كان بعض العامَّة يُشنِّع فيه على الشيعة منذ ما قبل ١٤٨ للهجرة ، أي زمن الصادق ﷺ ، ما يعني شياع عظيم لمثلِ هذهِ النصوص منذ ذلك الزمن ، بل من قبله . والنصوص الواردة عن النبيِّ ﷺ في هذا المجال كثيرة . ففي رواية عبد الله بن سنان قال : [كنت عند أبي عبد الله ﷺ فسمعتُ رجلاً مِن همدان يقول له : إنَّ هؤلاء العامَّة يُعيِّرونَنَا ويقولون لنا : إنَّكم تزعمونَ أنَّ منادياً ينادي مِن

---

[1] الارشاد للمفيد : صـ ٣٥٩ –

السماء باسم صاحب هذا الامر . وكان عليه السلام مُتَّكِئاً ، فغضبَ وجلس ، ثم قال : لا تروُهُ عنِّي وارووه عن أبي ، ولا حرج عليكم في ذلك ، (إشارة إلى الحصار الهائل والمنع الذي كان مضروباً على الإمام عليه السلام لمنعهِ من الرواية وإلا اصابه اضطهاد السجن والقتل) . وقال عليه السلام : أشهدُ أني قد سمعت أبي عليه السلام يقول :

[والله ، إنَّ ذلك في كتابِ الله عزَّوجلَّ لَبَيِّنٌ حيث يقول : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم مِن السماء آيةً فظلَّت أعناقُهُم لها خاضعين ﴾ ، فلا يبقى في الارض يومئذ أحدٌ إلا خضع وذلَّت رقبته لها ، فيؤمن أهلُ الارض إذا سمعوا الصوتَ مِن السماء : ألا إنَّ الحقَّ في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته . قال : فإذا كان مِن الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الارض ، ثم ينادي : ألَا إنَّ الحقَّ في عثمان بن عفان وشيعته فإنه قُتِلَ مظلوماً فاطلبوا بدمه . قال : فيثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت على الحقِّ وهو النداء الاول ، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض . والمرض والله عداوتنا . فعند ذلك يتبرؤون منَّا ويتناولوننا فيقولون : إنَّ المنادي الاول سحر من سحر أهل (هذا) البيت . ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عزوجل : ﴿ وإن يروا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾][1] .

وكنتُ قد اشرتُ بشيئٍ من التفصيل إلى موضوع الندائين ، وردَّات الفعل العالميَّة التي تحدث آنذاك ، والتي ينقسم العالم معها إلى قسمين ، الأوَّل يصرُّ على أمر المهدي ، ويشرب حبَّ المهدي عليه السلام فيما الثاني يصرُّ على تدمير آثار النداء ، ويعمل على إبطاله ، ويكون مدعوماً من الروم ،

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٠ ، ب ١٤ ، ح ١٩ –

وتكون دولة السفياني أُولى أدواتِهِ التي تعمل على إبادة أنصار وأتباع وشيعة آل محمّد ..

أمَّا مقابلة النداء الأوَّل بصيغة النداء الثاني كما هو وارد أعلاهُ إنَّما هو للإشارة إلى دعوة السفياني وإعلانِهِ حربه الهائلة على شيعة وأتباع آل محمَّد مدعوماً من الروم التي يأتي منها متنصِّراً ومدعوماً حتى يثبت على المُلك . ويمكن أن يكون الصوت الثاني مباشرةً من ابليس كما يمكن أن يكون من امبراطوريَّات الأبالسة البشر .

وفي رواية عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام - وقد سأله عمارة الهمداني - قائلاً له : أصلحك اللهُ ، إنَّ ناساً يُعيِّروننا ويقولون : إنَّكُم تزعمون أنه سيكون صوتٌ مِن السماء ؟ فقال عليه السلام له : [لا ترو عنِّي واروهِ عن أبي ، كان أبي يقول : هو في كتاب الله : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيةً فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ، فيؤمن أهل الارض جميعاً للصوت الاول . فإذا كان مِن الغد صعد إبليس اللعين حتى يتوارى مِن الارض في جو السماء ، ثم ينادي : ألَا إنَّ عثمان قُتِلَ مظلوماً فاطلبوا بدمه . فيرجع مَن أراد الله عزوجل به سوءاً ، ويقولون هذا سحر الشيعة وحتى يتناولونا ويقولون هو مَن سحرهم ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾][1] .

بحيث تعمل قوى ضخمة على محاولة إبطال مفهوم الصوت السماوي الأوَّل بغية تثبيت دولة السفيانيين ومتابعة شوط توسُّعها وإبادتها وتحقيق أهدافِها في قتل أتباع أهل البيت والسيطرة على الشام

---

[1] النعماني : صـ ٢٦١ ، ب ١٤ ، ح ٢٠ -

والحجاز بدعمٍ هائلٍ من الروم .. على أنَّ الروم وغيرها تكون من امبراطوريات الشر الكبرى التي تعمل على إجهاض آثار الصوت الأوَّل .

ويبدو أنَّ النداء السماوي بإسم المهدي يزلزل بُنى السفيانيين النفسيَّة ، فيجدون انّه من الضروري مقابلة ذلك بتشويشٍ ضخم مدعوم من قوى الروم الضخمة التي يبدو انّها تكون على نحوٍ مُتَطَوِّرٍ في مجال الدعاية الإعلاميَّة وتوابعها . ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ روى ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [تُخضِع رقابهم - يعني بني أمية - وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الامر عليه السلام][1] .

ومع عظيمِ هذه الآية يُصرُّون على جُحدِهِم وظلامِهم ، فيقودون أكبر جبهة في هذه المنطقة لقتال قائم آل محمّد المهدي عليه السلام .. ومع أنّهم يعلمون علمَ اليقين انَّ النداء هو سماوي وإعجازي ، إلا انهم يكابرون ، ويرفضون الهداية ، فيتابعون شوط جبروتِهم بدعمٍ روميٍّ كما تشير طائفة من النصوص في ظل دعم إعلامي ضخم يعمل على محاولة إبطال آثار الصوت الأوَّل . ويبدو أنّه يحقِّق بعض النجاحات ، رغم وضوح الآية السماويَّة إلا انّ معسكر الجاحدين يبدو انّه لا يكترث لمثلِ هذهِ الآيات فيظلّ متابعاً شوط الجحودِ بشتّى معانيه .

نعم الصوت السماوي يشكِّل إحراجاً قاسياً للسفيانيين ومَن يدعمهم ، خاصّةً انَّ الجمْعَ يومئذٍ منهم يبدو عليهِ التحرُّج الواضح . ففي رواية فضيل بن محمد مولى محمد بن راشد البجلي ، عن أبي عبد الله عليه السلام

---

[1] القمي : ج ٢ ، صـ ١١٨ -

أنه قال : [أمَا إنَّ النداء مِن السماء باسم القائم في كتاب الله لَبيِّن ، فقلت : فأين هو أصلحك اللهُ ؟ فقال عليه السلام : في ﴿ طسم * تلك آيات الكتاب المبين ﴾ قوله : ﴿ إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيةً فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ . قال عليه السلام : إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنَّما على رؤوسهم الطير][1] .

مع التأكيد على انَّ النداء السماوي يكون عالميَّاً ، أي يُحيط بجميع أسماع البشر أينما كانوا أو حلُّوا ، فيسمعه الجميع ، كلٌّ بلغتِهِ . وعليه : تكون سمة التعجُّب والذهول عالميَّة وليست مشرقيَّةً فحسب . ففي رواية المثنى الحنَّاط عن الحسن بن زياد الصيقل قال : سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول :

[إنَّ القائم عليه السلام لا يقوم حتى ينادي منادٍ مِن السماء يُسمِعُ الفتاة في خدرها ويُسمِعُ أهل المشرق والمغرب ، وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيةً فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾][2] . أي لا يحجب هذا الصوتَ شيئٌ ، وهو يصل إلى كافَّة أصناف البشر بلغاتِهم ويستغرق الجميع فلا يخفى على أحد .. بل في بعض النصوص لفت الإنتباه إلى انَّ مخزون هذهِ الآية شديد الصلة بأمرٍ عظيمٍ يحدثُ آخر الزمان ، ويشكِّل عمقاً آخر من تطوُّرات الحدث الضخم في تلك الفترة الهائلة بالأحداث . ففي رواية عمر بن حنظلة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [خمس علامات قبل قيام القائم : الصيحة ، والسفياني ، والخسف ، وقتل النفس الزكية ، واليماني . فقلت : جُعِلتُ فداك ، إنْ خرج أحدٌ مِن أهل بيتك قبل هذه

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٣ بـ ١٤ حـ ٢٣ –

[2] غيبة الطوسي : صـ ١١٠ – ١١١ –

العلامات أنخرج معه ؟ قال : لا ، (لما ورد في طائفة من النصوص من إدِّعاء المهدويَّة من قِبَل البعض تشبُّهاً للإستفادة من نصرة البعض) . يقول : فلمَّا كان من الغد تلوت هذه الآية : ﴿ إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيةً فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ ، فقلت له : أهي الصيحة ؟ فقال عليه السلام : أما لو كانت خضعت أعناق أعداء الله عزوجل][1] .

تأكيداً منه عليه السلام أنَّ المقصود بهذه الآية أمرٌ آخر ، هو نداء السماء من قِبَل جبرائيل عليه السلام بإسم المهدي عجل الله فرجه . في حين الصيحة لو تمَّت لخضعت لها أعناقُ الأعداء وانهاروا أمامها . إذن المطلوب في هذه الآية غير هذه الصحية ، وهو أمرٌ عظيم يحدث في آخر الزمن يشيرُ إلى أولى علامات إشراق الأرض بنور الإمامة الغائبة حيث يحقِّقُ اللهُ ظهور قائم آل محمّد الذي يغيِّر مجرى التاريخ ويعيد صناعة قيم الكون ومسيرة البشر على نحوٍ كاملٍ من مواثيق الإسلام الشريف . وفي طائفة أخرى تأكيد على أنَّ قيام دولة الإسلام العظمى التي يتمُّ معها نوع هائل من الإكرام الوجودي والإتمام النِّعَمي يكون على أثر حادثٍ سماوي ضخم ، هو تعبير عن نداءٍ عظيم ، يعلن للبشر ظهور خاتم الأئمَّة وقائم آل محمَّد ووارث النبيين والوصيين المهدي المنتظر عجل الله فرجه .

ففي رواية الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ إنْ نشأ ننزِّل عليهم من السماء آية فظلَّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ قال عليه السلام : لا دين لمن لا ورع له ، ولا إيمان لمن لا تقية له . إنَّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، فقيل له : يا ابن رسول الله ، إلى متى ؟ قال : إلى يوم

---

[1] الكافي : جـ ٨ ، صـ ٣١٠ ، حـ ٤٨٣ -

الوقت المعلوم ، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت . فمَن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منَّا . فقيل له : يا ابن رسول الله ، ومَن القائمُ منكم أهلَ البيت ؟ قال عليه السلام : الرابعُ مِن وُلدِي ابن سيدة الاماء ، يطهِّرُ اللهُ بِهِ الارضَ مِن كلِّ جور ، ويقدسها من كل ظلم . (وهو) الذي يشكُّ الناسُ في ولادته ، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه . فإذا خرج عليه السلام أشرقت الارض بنوره ، ووُضِعَ ميزان العدلِ بين الناس فلا يظلمُ أحدٌ أحداً . وهو الذي تُطوَى له الارضُ ولا يكون له ظل . وهو الذي يُنادي منادٍ مِن السماء يسمعه جميعُ أهلِ الارض بالدعاء إليه يقول : « ألَا إنَّ حُجَّةَ اللهِ قد ظهر عند بيت الله فاتَّبِعُوه ، فإنَّ الحقَّ معه وفيه . وهو قول الله عزوجل : ﴿ إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾][1] .

أحبُّ أن أُلفت هنا إلى انَّ موضوع التمسُّك بالتقيَّة – وفق نصوص أهل البيت عليهم السلام – يكون بحسبِهِ وشرطِهِ . وبالتالي النصُّ في هذا المجال يكونُ ناظراً إلى ضرورات التقيَّة وشروطِها أينما تحقَّقت . فإذا لم تتحقَّق في بقعةٍ ما من الأرض لا يصحُّ التمسُّك بها .

وقد مارس الحكَّام الأمويُّون والعباسيُّون – بأوقاتٍ مختلفةٍ وواسعة – أبشع أساليب العنف والقمع بل والإبادة بحقِّ الشيعة إنْ هم أظهروا ولاءهم لأهل البيت عليهم السلام أو مارسوا إقامة الشعائر ، حتى إقامة مجالس العزاء على الحسين ابن بنت رسولِ الله صلى الله عليه وآله .! فإنْ مارَسَ أحدهم إعلانَ الولاية مثلاً كان يُنكَّل به . والتاريخ مليئ بأمثلة مخيفة من فعل الأمويين والعباسيين . هذا حجر بن عديٍّ الكندي ، مع أنّه صاحب

---

[1] كمال الدين : صـ ٣٧١ بـ ٣٥ حـ ٥ –

النبيِّ ﷺ وصاحب الإمام علي عليه السلام ، ومع ذلك قُتِل مع اصحابِهِ لأنّه أصرَّ على إعلان تولِّيه للإمام علي عليه السلام .

ولو أردنا أن نفتح صفحات التاريخ في هذا المجال لانذهل القارئ ممّا يقرأ . حتى انَّ العسس والجواسيس في أوقاتٍ عديدةٍ كانت تندسُّ بين الناس وفي البيوت وتفتِّش النواحي بحثاً عن الشيعة لمنعهم من إقامة شعائر مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ووصل الوقت إلى درجة أنَّ الرجل يتمنَّى ان يكون يهوديَّاً أو نصرانيَّاً ولا يكون شيعيَّاً لشدّة العذاب والتنكيل الذي يصيبه . فكان الشيعة يتّقون ، أي لا يظهرون شعائرهم حفظاً لأنفسهم التي أمر اللهُ بها أن تحفظ لما يعنيه هذا الأمر من حفظ المذهب وشعائر آل بيت محمّد عليهم السلام ..

والتقيّة امر إنساني مُجمَعٌ عليه . تمارسه البشريّة من كافَّة أنواع طيفها ، وقوانين أهل الدنيا تقرُّهُ وتعتبرهُ نوعاً ضرورياً من حماية أمن الجماعة والإجتماع ومقاصدها والقيم والمصالح الواجبة الحفظ . وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ ، إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ، وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨/٣﴾ وعليه : النص الوارد أعلاه شديد الصراحة في أنَّ الآية السماويَّة تُشَكِّل المفصل الضخم في سلسلة أحداث آخر الزمان .

وعن هذه الآية : ﴿ إنْ نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين ﴾ قال ابن عباس : [هذه نزلت فينا وفي بني أمية . تكون لنا دولة تذلّ أعناقهم لنا بعد صعوبة وهوان بعد عز][1] .

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ ص ٣٨٦ ح ١ -

وذكر « أبو حمزة الثمالي » في هذه الآية : [أنَّها صوتٌ يُسمع مِن « السماء » في النصف من شهر رمضان ، وتخرج له العواتق من البيوت][1] .

إشارة إلى عظمة هذهِ الآية وضخامة آثارها على كون البشر في تلك الفترة التي تتراكم فيها الأحداث العالميّة المتسارعة .

---

[1] مجمع البيان : ج ٤ صـ ١٨٤ –

حكومة القائم المهدي عليه السلام (نموذج قرآني)

تقطع النصوص المتواترة بضرورة حكومة المهدي عليه السلام في آخر الزمان . وفي القرآن إضافة إلى النصوص المتواترة مدلولٌ وافر جداً على مثل هذه المعاني من حكومة المهدي عليه السلام الذي يملأ لأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً . ففي رواية المفضل بن عمر قال : سمعته يقول - يعني أبا عبد الله عليه السلام - : قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : [إذا قام القائم عليه السلام قال : ﴿ ففررتُ منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربِّي حكماً وجعلني من المرسلين ﴾][1] .

وفي لفظٍ مشابهٍ رواه المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [إذا قام القائم عليه السلام تلا هذه الآية : ﴿ ففررتُ منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربِّي حكماً وجعلني من المرسلين ﴾][2] .

إشارة إلى المُلك العالمي الضخم الذي تتَّصفُ بهِ حكومة المهدي عليه السلام بعد ظهورِه الشريف .

---

[1] النعماني : صـ ١٧٤ - ١٧٥ بـ ١٠ حـ ١٢ -

[2] النعماني : صـ ١٧٤ بـ ١٠ حـ ١١ -

وهذا يقوم على قيادة البشر والموارد والموقعيَّة في كون الإنسان على نحوٍ من عدالةٍ وقيم ومبادئ ومُثل شديدة الصلة بضرورات البشر التكامليَّة من منطق الكون والسماء . وفي بعضِ متون ما رواهُ المفضل بن عمر في هذا الخصوص تأكيد على أمرِ الغيبة التي تسبق الظهور المهدوي . لفتاً للغيبة التي تكاثرت فيها النصوص مؤكِّداً انّ للقائم المهدي عليه السلام وهو الثاني عشر غيبةً طويلة ، يخرجُ على أثرها فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد طولِ جورٍ وظلم . فقد روى المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : [إنَّ لصاحب هذا الامر غيبةً يقول فيها : ﴿ ففررت منكم لمّا خفتكم ، فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين ﴾][1] .

بحيث يشيرُ الإمام الصادق عليه السلام في بيان هذهِ الآية إلى نوعين من تفسيراتِها ، نوعين متوائمين ، كلٌّ يكمِّل الآخر : ففي صدر الآية إشارة إلى الغيبة التي تقع في أمر المهدي عليه السلام . وفي الذيل الآخر إشارة إلى الظهور وقيادة البشر تحت ظل أعظم دولة تقود البشر وفق العدل الرباني الأعظم بعد طول ظلم وجورٍ وفساد . نعم بعض الروايات تشيرُ إلى أولى معالم انتصار المهدي عليه السلام بعد ظهورهِ ، وهذا يعني ضرورة إشارتِها إلى حدثٍ عسكري ضخم يقع بين السفياني الأموي ، وبين المهدي عليه السلام على اعتبار انَّ أوَّل جبهة كبيرة تُعلن حربها على الإمام المهدي عليه السلام هي جبهة السفياني .

ففي رواية معلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ أفرأيت إنْ متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يُوعدون ﴾ ؟ قال عليه السلام : [خروج القائم عليه السلام . وعن قوله تعالى : ﴿ ما أغنى عنهم ما كانوا

---

[1] النعماني : صـ ١٧٤ بـ ١٠ حـ ١٠ –

يمتعون ﴾ ؟ قال عليه السلام : هم بنو أمية الذين مُتِّعُوا في دنياهم][1] . إشارة إلى غلبة المهدي عليه السلام على دولة السفياني التي تسارع إلى إعلان حربها على المهدي عليه السلام . بل في بعض النصوص تأكيد على انّ أمر وراثة المهدي عليه السلام وحكومته الكبرى ، وقيادة البشر كلّهم تحت راية الإسلام كانت من ضمن البشارات التي أخبر اللهُ بها الأنبياء السابقين . فقد ورد في القمّي عند قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ قال عليه السلام : [أعطى داود وسليمان ما لم يعط أحداً مِن أنبياء اللهِ من الآيات ، علَّمَهُمَا منطقَ الطير ، وألَانَ لهما الحديد والصفر من غير نار ، وجُعِلَت الجبالُ يسبِّحنَ مع داود ، وأنزل اللهُ عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء وأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، والائمة عليهم السلام مِن ذرِّيتهما عليهم السلام ، وأخبار الرجعة ، والقائم عليه السلام ، لقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور مِن بعد الذكر أنَّ الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾][2] .

وفي مناقب إبن شهر اشوب عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ﴾ ، قال - راوياً - : [هم أهلُ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، علي بن أبي طالب وفاطمة ، والحسن والحسين وأولادهم عليهم السلام إلى يوم القيامة ، هم صفوة الله وخيرته من خلقه][3] .

إشارة إلى وراثة أهل البيت عليهم السلام للأرض ، وتأكيداً على قيام حكومة المهدي الشاملة التي تستوعب بقاع الأرض وأين تصله يدُ الإنسان ، تحت ظل قيادة الدولة الإلهيَّة التي يكون على رأسها المهدي عليه السلام .

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ صـ ٣٩٢ حـ ١٨ -

[2] القمي : ج ٢ صـ ١٢٦ -

[3] مناقب ابن شهر اشوب : ج ٣ صـ ٣٨٠ -

بل في النص السابق تأكيد على عمق ارتكاز وحضور المهدي (عليه السلام) في الصحف السابقة ، حيث تشيرُ بعض المتون في فقراتٍ خاصَّة إلى أمر المهدي (عليه السلام) وما ينتج عن ظهورِهِ الشريف ، وما تعنيه حكومتُهُ ودولتُه العالميَّة التي تنشر الأمن والأمان والعدل والسلام في شتَّى ربوع الأرض . والأهم من ذلك انّها تقود البشر اينما كانوا على نحوٍ من قيمومة الإسلام . وفي متونٍ متعدِّدة يصفُ المعصومُ المهديَّ (عليه السلام) بأنّه المضطر في كتاب الله الذي يورثُهُ اللهُ الأرض ، إشارة إلى أمرين : الأوَّل الظروف الصعبة التي تحيط بالإمام (عليه السلام) منذ ولادتِهِ وصولاً إلى غيبتِهِ الطويلة . ثمّ إلى ظهورِهِ ووراثتِهِ للأرض وإقامة حكم الإسلام المطلق . ففي رواية عبد الاعلى الجبلي (الحلبي) قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) :

[يكون لصاحب هذا الامر غيبة في بعض هذه الشعاب ، ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى ، حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين ، انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقى بعض أصحابه ، فيقول : كم أنتم ها هنا ؟ فيقولون : نحو من أربعين رجلاً ، فيقول : كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم ؟ فيقولون : والله لو يأوي بنا الجبال لأويناها معه . ثم يأتيهم من القابلة (القابل) ، فيقول لهم : أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخياركم عشيرة . فيشيرون له إليهم ، فينطلق بهم حتى يأتوا صاحبهم ، ويعدهم إلى الليلة التي تليها .

ثم قال أبو جعفر : والله لَكَأنِّي أنظرُ إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر ، ثم ينشد الله حقّه ، ثم يقول : يا أيها الناس مَن يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله ، ومَن يحاجني في آدم (عليه السلام) فأنا أولى الناس بآدم .

يا أيها الناس مَن يحاجني في نوحٍ عليه السلام فأنا أولى الناس بنوح . يا أيها الناس من يحاجني في إبراهيم عليه السلام فأنا أولى بإبراهيم .

يا أيها الناس مَن يحاجني في موسى عليه السلام فأنا أولى الناس بموسى . يا أيها الناس مَن يحاجني في عيسى عليه السلام فأنا أولى الناس بعيسى .

يا أيها الناس مَن يحاجني في محمد صلى الله عليه وآله فأنا أولى الناس بمحمد ، يا أيها الناس مَن يحاجني في كتاب الله ، فأنا أولى الناس بكتاب الله .

ثم ينتهي إلى المقام فيصلي (عنده) ركعتين ، ثم ينشد الله حقّه .

قال أبو جعفر عليه السلام : هو واللهِ المضطر في كتاب الله ، وهو قول الله : ﴿ أمَّن يجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ ، وجبرئيل على الميزاب .. فيكون أوَّل خلق الله يبايعه جبرئيل عليه السلام ، ويبايعه الثاثمائة والبضعة العشر رجلاً][1] .

على انَّ أولى معالم الظهور وبداية الإعلان تشيرُ إلى نوعٍ عنيفٍ من الإضطراب العالمي وإعلانات مجموعة من القوى حربها على المهدي عليه السلام . بل في بعضها أنَّ المهدي عليه السلام يخرجُ متخفِّياً من المدينة إلى مكّة . وأيضاً منها إلى الطائف في ظل إصرار سفياني على قتله وأهل بيتِهِ واتباعِهِ . بل يبدو من النصوص أنَّ المهدي عليه السلام يظلُّ في وضع المضطر إلى ما بعد خسف البيداء . فإذا تمَّ خسفُ البيداء في جيش السفياني المتوجِّه لفتح مكَّة ، بدأت أولى معالم الإنفراج العظيم ، وسارع الناسُ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ للتجنُّد في جيش الإمام المهدي عليه السلام فيخرجُ ويخوض معركة عنيفة عند

---

[1] العياشي : ج ٢ صـ ٥٦ حـ ٤٩ -

بحرية طبريّة مع السفياني ينتصر بها المهدي عليه السلام ويُقتل السفياني . وبذلك تنتهي دولة السفيانيين .

وفي بعض الطوائف تفسير لبعض جوانب ومضامين هذا الحدث العظيم المخزون في مضامين القرآن الكريم . فقد روى محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجيب المضطرَّ إذا دعاه .. ﴾ قال عليه السلام : [نزلت في القائم عليه السلام وكان (يكون) جبرئيل عليه السلام على الميزاب ، فيكون أوَّلَ خلق الله مبايعة له - أعني جبرئيل - ويبايعه الناس الثلاثمائة وثلاثة عشر ، فمن كان ابتلي بالمسير وافى في تلك الساعة ، ومن (لم يبتل بالمسير) فُقِدَ من فراشه ، وهو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام : « المفقودون من فرشهم » ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ﴾ ، قال : الخيرات الولاية لنا أهل البيت][1] .

بحيث يشير النصُّ هنا إلى وصف اجتماع رموز القيادة ألـ : ٣١٣ ، وهم الخُلَّص الذين يأتي اللهُ بهم من بقاعٍ مختلفةٍ من الأرض ، ويشكِّلون نواة القيادة تحت راية المهدي عليه السلام .. ومع بداية الإعلان الأعظم تبدأ أولى معالم تحقّق وراثة آل محمَّد إلى أن تشمل كون الإنسان .

وعن قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ ﴾ روى صالح بن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [نزلت في القائم من آل محمد عليهم السلام ، هو والله المضطرُّ إذا صلى في المقام ركعتين ودعا اللهَ فأجابه ويكشف السوء ، ويجعله خليفةً في الارض][2] .

---

[1] النعماني : صـ ٣١٤ بـ ٢٠ حـ ٦ -

[2] القمي : جـ ٢ صـ ١٢٩ -

تعبير شديد السطوح يؤكّد على طابع الوراثة العظمى ، في حين يشيرُ إلى وصفين : الأوّل وصف الضرورة والإضطرار الذي يحيط أوّلاً بالمهدي عليه السلام ، والثاني وصف الإنتصار وقيام دولة الإسلام التي يقود المهدي عبرها أهل الأرض وبني الإنسان أينما كانوا أو حلّوا . وقد قال « محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم » - في كتاب علل الاشياء - عند قوله تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ﴾ ، قال الصادق عليه السلام : [هو واللهِ القائم إذا قام في الكعبة وصلّى ركعتين ودعا الله ، فهذا ممّا لم يكن بعد ، وسيكون إن شاء الله][1] .

أي مخزون دلالة هذهِ الآية ناظرٌ إلى آخر الزمن ، ليسجّل أعظم تحوّل وأضخم إعلان آنذاك حيث تظهر العلامة السماويَّة التي تُعلن أولى ساعات ظهور المهدي عليه السلام ، ومعها يظهر القائم المهدي عليه السلام عند الكعبة ، يحيط به نواةُ قيادتهِ المباركة ، التي تتألّف من ٣١٣ من الصفوة الخالصة من أهل الإيمان ، والناسُ يبايعونَهُ في ظل ظروف شديدة التعقيد ووسط أمم متناثرة في الشرق والغرب تعمل ليلها ونهارها لهزيمة جبهة المهدي عليه السلام ، إلا انّ اللهُ تعالى يحيط المهدي عليه السلام بعظمة الإنتصار حتى يحكم الأرض ومَن عليها بحكم الإسلام ودولة أهل الإيمان .

وفي طائفة من المتون تأكيد على نوعٍ من الإضطرار الذي يحيط بالمهدي عليه السلام أوّل ظهوره . بالإضافة إلى احتجاجٍ منه عليه السلام يشيرُ إلى انّه الوارث الأعظم للنبوّات والوصاية ، وانّه خليفة اللهُ ووصيّهُ في أرضه .

---

[1] كتاب علل الاشياء ، لمحمد بن علي بن إبراهيم : - على ما في إثبات الهداة . إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٧٦ ب ٣٢ ف ٥١ ح ٧٣٠ -

فقد روى إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبـي عبـد الله عليه السلام قـال : [إنَّ القائم عليه السلام إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل الكعبـة ، ويجعـل ظهـره إلى المقام ، ثم يصلِّي ركعتين ، ثم يقوم فيقـول : يـا أيهـا النـاس أنـا أولـى الناس بآدم عليه السلام ، يا أيها النـاس أنـا أولـى النـاس بـإبراهيم عليه السلام ، يـا أيهـا الناس ، أنا أولى الناس بإسـماعيل عليه السلام ، يـا أيهـا النـاس أنـا أولـى النـاس بمحمد صلى الله عليه وآله ، ثم يرفع يديه إلى السماء ، فيدعوا ويتضـرَّع حتـى يقـع علـى وجهه ، وهو قوله عزوجل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾][1] .

تأكيداً على الظرف الصعب آنذاك ، وصـولاً إلـى حـدوث مجريـاتٍ متعدّدة أشرنا إلى بعضها فيما سبق ، من حروبٍ وإعلانات حرب ، وجبهات تعلن المهديَّ خصماً وتعمل على إخماد جبهتِه وإضعاف أمرهِ وصولاً إلـى مطمعها في قتله ، لكنّها تفشل . وتتصاعد عظمـة جبهـة المهـدي عليه السلام الـذي يقود الأرض تحت ظلِّ الإسلام الشريف .

وعن حتم الإنتصار والحكومة والمُلك الذي يعلن الإسـلامَ قيمومـة الوجود الكامل روى عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علـي بـن أبي طالب عليه السلام : [.. منَّا اثنا عشر مهديًّاً ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب ، وآخرهم التاسع مِن وُلدي ، وهو الامام القائم بالحق ، يُحيـي اللهُ بـه الارض بعـد موتهـا ، ويظهـر بـه ديـنَ الحـقِّ علـى الـدِّين كلِّـه ولـو كـره المشركون . له غيبة يرتـدُّ فيهـا أقـوامٌ ويثبـت فيهـا علـى الـدِّين آخـرون ، فيؤذون ويقال لهم : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ، أمَا إنَّ الصابر فـي

---

[1] تأويل الآيات : ج ١ ص ٤٠٢ ح ٥ -

غيبته على الاذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

بحيث تضمَّن هذا النص عناصر شديدة الوضوح في متونٍ كثيرة من النصوص ، منها الغيبة الطويلة ، ومنها عالم العصف الإعلامي الدعائي الثقافي المخالف بشدّة لأمر المهدي عليه السلام ومفهوم غيبتِهِ ، ومنها الظهور الأعظم ، ثم الإنتصار الأكبر ونشر دولة الإسلام على ربوع المجد الأرضي وأينما تصله يدُ الإنسان .

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣١٧ حـ ٣ -

وراثة الذين استُضعفُوا للأرض في زمن المهدي ﷺ وما بعده
(نموذج قرآني)

أجمعت الروايات على انَّ العالم سيشهد أعظم مرحلة في تاريخ تلك الحقبة الأخيرة من زمن البشر ، مع ظهورِ المهدي عليه السلام . وأنّه الذي يقود الأمم لتشكّل جماعة بشريّة واحدة تحت لواء حكومة الحق الإلهي ، في ظل أعظم حقوق وأكملها ، وعلى نحوٍ شديد التميُّز والخصائص . وبذلك تتمُّ أولى مراسم الوراثة للذين استُضعفوا في الأرض ، تحت رئاسة الحكم الإمامي الذي يمثّله المهدي المنتظر ﷺ خليفةُ اللهِ في أرضه . ففي رواية سلمان قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله :

[إنَّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً - عدّهم صلى الله عليه وآله واحداً واحداً إلى أن قال - : ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي عليه السلام القائم بأمر الله . ثم قال يا سلمان . . وذلك تأويل هذه الآية : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥/٢٨﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ، قال سلمان : فقمت من بين يديه وما أبالي لقيت الموتَ أو لقيني][1] .

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٣٧ -

في هذا نصٌّ على الحتم المُحقَّق في الزمن الواقع من تلك الفترة ، وانَّ تاريخ العالم وصناعة أمجاده وقيادة القيم والمواثيق تكون على يدِ المهدي عليه السلام بقيمومة الإسلام المتّكئة على ركيزة القرآن والعترة . فإذا تحقّق ذلك فقد تحقّقت أولى خصائص الوراثة ، أي الحكومة العالميَّة الإلهيّة بقيادة المهدي عليه السلام . وفي الحديث عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [لَتعطفنَّ علينا الدنيا بعد شماسها ، عطفَ الضروسِ على ولدها . ثم قرأ عليه السلام : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكِّن لهم في الارض ﴾][1] .

على انَّ طائفة من النصوص جاء متنُها ليؤكِّد الطابع الأشمل من مفهوم الإستخلاف ، أي سطوع نور الإمامة ، إمامة الإثني عشر ، في كلِّ زمانٍ ، وعلى نحوٍ استيعابي لحقبات الزمن ، وصولاً إلى القائم المهدي عليه السلام الذي يُقيم دولة الحق وينشر العدل ويقود الأمم على نحوٍ من مواثيق الوجوديّة الكبرى التي يمثّلها الإسلام . ففي رواية المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نظَرَ إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال : أنتم المستضعفون بعدي . قال المفضل : فقلت له : ما معنى ذلك يا بن رسول الله ؟ قال عليه السلام : معناه أنَّكم الائمة بعدي . إنَّ الله عزوجل يقول : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ، فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة][2] . وعليه : كلُّ واحدٍ من الأئمَّة قائم ، وحجَّة على الخلائق ، في حين الذي يقود الأمم

---

[1] العياشي : على ما في شواهد التنزيل . * : خصائص الائمة : صـ ٧٠ –

[2] معاني الاخبار : صـ ٧٩ ، حـ ١ –

ويُقيم فيهم دولة الإسلام العالميَّة هو المهدي . وبذلك تتحقَّق فيهِ معانٍ متجلِّية ذات مفهوم تطبيقي من معنى الوراثة التي يمنُّ اللهُ فيها على المستضعفين .

ثم هناك وصفٌ آخر ، ومصداق بارز من مصاديق الوراثة ، أشارت له النصوص ، وتضمَّنَهُ القرآن في مخزون علمه ، ألَا هو وصف الرجعة بما تعنيهِ من سلطنة الصفوة المنصوبة من قبل الله تعالى على الأصناف الشريرة من أئمَّة أهل الضلال ، وفق نموذج يتمُّ اللهُ فيه نصرة أهل الحقِّ على أهل الباطل . ففي رواية عمرو بن شمر قال : ذُكِرَ عند أبي جعفر عليه السلام جابر فقال : [رحم الله جابراً ، لقد بلغ مِن علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية : ﴿ إنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد ﴾ ، يعني الرجعة][1] .

وفي لفظٍ أكثر تشريحاً لحقيقة ما يجري من مشخّصات في ذلك الزمن الأعظم من يوم الرجعة روى أبو مروان فقال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد ﴾ ؟ فقال لي : [لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب ، حتى يجتمع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام بالثوية ، فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجداً ، له إثنا عشر ألف باب . يعني موضعاً بالكوفة][2] . إشارة إلى مشهد تطبيقي من ظاهرة الرجعة التي لا بدّ أن تتحقَّق ، وانّها العنوان الأبرز من عناوين وراثة الذين

---

[1] القمي : ج ١ صـ ٢٥ –

[2] تأويل ما نزل من القرآن : لمحمد بن العباس – على ما في مختصر بصائر الدرجات . : مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢١٠ –

استضعفوا للأرض ، بعد تحقُّق العنوان الضخم من ظهور المهدي وإقامته دولة أهل الحق .

وفي رواية علي بن إبراهيم في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ قال عليه السلام : [الارض الخراب ، وهو مثل ضربَهُ اللهُ في الرجعة والقائم عليه السلام ، فلما أخبرهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله بخبر الرجعة ، قالوا : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾][1] .

أي أنَّ هذا الأمر كان شديد الوضوح في زمن النبي ومن بعده ، وان الرجعة من الأمور التي انطوى عليها القرآن وشملها مخزون علمه . بل في بعض الآيات وضوح شديد من ظاهر الآية نفسها . وقد أشرنا إلى جملةٍ واسعة من تلك الآيات . نعم لا نعرف الكثير عن ظروف ووصف مشهديَّة أولى تلك المعالم من الرجعة ، سوى ما أشارت إليه بعض النصوص . نعم النصوص التي أشارت وأكَّدت على الرجعة وضرورة تحقُّقِها كثيرة وكثيرة جداً .

أمَّا نصوص الظهور المبارك للمهدي عليه السلام فقد بدا واضحاً غناها في الإشارة إلى كثيرٍ من الصفات والحوادث ولو على نحو الإجمال في توصيف الحادث . انّه غنىً عميق في تنويع المشاهد والأحداث ولو بلسان الإجمال . فقد حدَّثتنا النصوص عن علاماتٍ وعلامات ، تكون قبل الظهور ، وتنوَّعت النصوص في إفرادها وبيانها ، منها ما رواه أحمد بن محمد بن أبي نصر . . قال : [.. إنَّ قدام هذا الامر علامات ، حدثٌ يكون بين

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ١٧١ –

الحرمين ، قلت : ما الحدث ؟ قال : عصبة تكون ، ويقتُلُ فلانٌ مِن آلِ فلان خمسةَ عشر رجلاً][1] .

وفي لفظ آخر أيضاً عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : [لا يكون ما تمدنَّ إليه أعناقكم حتى تميزوا ، وتمحصوا ، فلا يبقى منكم إلا القليل ، ثم قرأ : ﴿ ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتَنُون ﴾ ، ثم قال عليه السلام : إنَّ مِن علامات الفرج حدثاً بين المسجدين ، ويقتل فلانٌ مِن وُلدِ فلان خمسة عشر كبشاً مِن العرب][2] .

على أنَّ المهدي عليه السلام إذا خرج أتمَّ اللهُ نصره ، وأحاطه بهالةٍ من العظمة والمجد الذي يقيمهُ سلطاناً وجوديَّاً عظيماً . وفي « القمي » قال : قوله ﴿ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ يعني : القائم عليه السلام ، ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾][3] . فإذا ظهر المهدي عليه السلام أعلن دولتَهُ على نحوٍ من حكومة الإسلام القائم على ركني القرآن والعترة من أهل البيت عليهم السلام . وفي رواية عبد العزيز العبدي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن قول الله عزوجل : ﴿ بل هو آيات بيِّنات في صدور الذين أُوتوا العلم ﴾ ؟ قال : [هم الائمة مِن آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، باقية دائمة في كل حين][4] . فالآياتُ البيِّنات عبارة عن متون القرآن ، والذين أُوتوا العلم هم

---

[1] قرب الاسناد : صـ ١٥٤ والمتن في ١٦٤ -

[2] قرب الاسناد : صـ ١٥٤ والمتن في ١٦٤ -

[3] القمي : جـ ٢ صـ ١٤٩ -

[4] تأويل الآيات : جـ ١ ، صـ ٤٣٢ ، حـ ١٤ -

الأئمّة عليهم السلام . وفي رواية ابن أسباط قال : سألَ رجلٌ أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية : ﴿ هو آياتٌ بيّنات ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [بل هي آياتٌ بيِّنات في صدور الذين أُوتوا العلم . نحن هم ، فقال الرجلُ : جُعِلتُ فداك متى يقوم القائم عليه السلام ؟ فقال عليه السلام : كُلُّنا قائم بأمر الله . واحد بعد واحد ، حتى يجيئ صاحبُ السيف (أي المهدي عليه السلام) ، فإذا جاء كان الامر غير هذا][1] . أي مع مجيئ المهدي عليه السلام تتحقَّق دولة آل محمَّد التي تشمل العالم ، ويكون ميثاقُها الإسلام في شتَّى معاني السلوك البشري العام والخاص .

وفي بعض النصوص إبراز لمصاديق تكون في آخر الزمان ، هي مضامين المدلول القرآني وخزائنه ، مثل انهيار دولة السفياني الأمويَّة وتبدُّدِها على يدِ المهدي عليه السلام ، بما تعنيه من محطّة جدّاً رئيسيّة ، بحيث تتمُّ سيطرة جبهة المهدي بعد هزيمة السفياني على الشام بالإضافة إلى الحجاز والعراق . ففي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن تفسير : ﴿ ألم * غُلِبَت الروم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [هم بنو أمية (إشارة إلى هزيمة السفياني على يدِ المهدي عليه السلام) وعن قوله تعالى : ﴿ ويومئذ يفرحُ المؤمنون ﴾ قال عليه السلام : بنصر الله عند قيام القائم عليه السلام][2] .

وفي تفسيرِ متونٍ أخرى من آيِ القرآن إشارة شديدة العمق إلى أمر المهدي عليه السلام وحدث آخر الزمان الضخم الذي يتجلَّى بظهورِه المبارك وتتحقّق دولة العدل الإلهي . ففي رواية أبي أحمد محمد بن زياد الازدي قال : سألتُ سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ وأسبغ

---

[1] التنزيل والتحريف : صـ ٤٣ -

[2] تأويل الآيات : جـ ١ صـ ٤٣٤ حـ ٢ -

عليكم نعمَهُ ظاهرة وباطنة ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [النعمةُ الظاهرةُ الامامُ الظاهرُ ، والباطنةُ الامامُ الغائب . فقلت له : ويكون في الائمة مَن يغيب ؟ قال عليه السلام : نعم ، يغيبُ عن أبصار الناس شخصُهُ ، ولا يغيبُ عن قلوب المؤمنين ذكرُهُ . وهو الثاني عشر منَّا ، يُسهِّلُ اللهُ له كلَّ عسير ، ويُذلِّلُ له كلَّ صعب ، ويُظهِرُ له كنوزَ الارض ، ويقرِّب له كلَّ بعيد ، ويبير به كلَّ جبَّارٍ عنيد ، ويُهلِكُ على يده كلَّ شيطانٍ مريد . ذلك ابنُ سيِّدة الاماء ، الذي تخفى على الناس ولادتُهُ .. حتى يُظهِره اللهُ عزَّ وجلَّ فيملأ الارضَ قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئَت جوراً وظلماً][1] .

وتُصابُ الأمم آنذاك ، أي زمن الفتن الكبرى ، بفتنٍ وصدامات وخلافاتٍ وإعلانات حرب ، وتشتُّت ، ودعايات عنيفة ، بالإضافة إلى الجوع وأزمات الأمن الغذائي ، والتهديد العسكري ، والإضطراب السياسي ، في ظلِ فوضى عارمة تجتاح المسرح الدولي بأشكالٍ متنوِّعة . وفي الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام : [إنَّ العذاب الادنى الدابة والدجال][2] .

إشارة إلى نماذج ممَّا يجري في تلك الحقبة من الزمن . وفي تفسير النقاش مرسلاً عن الصادق عليه السلام : [الادنى غلاء السعر ، والاكبر المهدي بالسيف][3] . إشارة إلى المِحَن والبلاءات الهائلة ، ثم الخلاص الأعظم الذي يكون على يد المهدي المنتظر عجل الله فرجه .. وفي لفظٍ آخر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنى الآية : [إنَّ الادنى القحط والجدب . والاكبر : خروج

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٦٨ بـ ٣٤ حـ ٦ –

[2] مجمع البيان : ج ٤ ، صـ ٣٣٢ –

[3] تفسير النقاش : – على ما في الصراط المستقيم . * : الصراط المستقيم : ج ٢ ، صـ ٢٦٢ بـ ١١ ف ١٣

القائم المهدي عليه السلام بالسيف في آخر الزمان][1] . وفي القمي قال : [العذاب الادنى عذاب الرجعة بالسيف ومعنى قوله : ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ ، يعني : إنهم يرجعون في الرجعة حتى يعذبوا][2] .

بحيث تؤكِّد النصوص على نماذج من هذه العناوين في الأدنى تصف الإشتراك والتنوُّع بالأزمات ، في حين الأكبر يعني قيام القائم وحركته الكبرى التي تغيِّر وجهَ التاريخ وتعيد صناعة كون الإنسان على نحوٍ من رحابة وعدل وقيم الإسلام ومواثيقه . وفي رواية ابن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴾ : قال عليه السلام : يومُ الفتحِ يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام ، لا ينفع أحداً تقرُّب بالايمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً ، فذلك الذي ينفعه إيمانه ، ويعظم عند الله قدره وشأنه ، وتزخرف له يوم البعث جنانه ، وتحجب عنه نيرانه ، وهذا أجرُ الموالين لأمير المؤمنين وذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين][3] .

تأكيداً لمفهوم النصرة وتحقُّقِه وانتشار قيمة الإسلام ودستور أهل الإيمان ، وحكومة الشريعة لكافّة مرافق أهل الأرض قاطبةً . فإذا تم قيامُ الدولة الإلهيَّة ، أخرجت الأرض بركاتِها ، وأنزلت السماء نعمتها ، وروى علي بن إبراهيم في قوله : ﴿ أو لم يروا أنَّا نسوق الماء إلى الارض الجرز ﴾ قال عليه السلام : [الارض الخراب ، وهو مثل ضربَهُ اللهُ في الرجعة والقائم عليه السلام ، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخبر الرجعة ، قالوا : ﴿ متى هذا الفتح إن كنتم

---

[1] كشف البيان للشيباني : - على ما في المحجة . * : المحجة : صـ ١٧٣ -

[2] القمي : جـ ٢ ، ١٧٠ -

[3] تأويل الآيات : جـ ٢ صـ ٤٤٥ حـ ٩ -

صادقين ﴾][1] . ومع قيام دولة المهدي ﷺ يعمُّ الإسلامُ أهل الأرض قاطبةً ، وفضلاً عن أنَّه يشكِّل عقيدة الدولة العالميَّة ، فإنّه يشكِّل عقيدة البشر التي تعلن ولاءها للإسلام ، وتسير في ركبه طلباً للكمال الممكن للبشر في سعيهم نحو الوجوديَّة العظمى . وفي خطبة المخزون لأمير المؤمنين ﷺ قال ﷺ :

[. . وتخرج لهم الارض كنوزها ، ويقول القائمُ ﷺ : ﴿ كُلُوا (وَاشْرَبُوا) هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ، فالمسلمون يومئذ أهلُ صواب للدين ، أُذِنَ لهم في الكلام فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ وجاء ربُّك والملك صفًّا صفًّا ﴾ ، فلا يقبل اللهُ يومئذ إلا دينه الحق ، ألَا لله الدِّينُ الخالص ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧/٣٢﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨/٣٢﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩/٣٢﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾][2] .

بحيث يعمّ الإسلام أنحاء البشر في حلِّهم وترحالهم ، ويشكِّل الميثاق الأوحد على الإطلاق في الحقلين الخاص والعام وبكافّة أطيافه وشعابه الذي تعتمده البشريّة في الزمن الأخير . ويكون ذلك بعد عالمٍ صعب (عالم الغيبة وحكومة أهل الفساد) ، في جوٍّ كبيرٍ من الفتنِ والباطل المشهور ، والمواثيق شديدة الجور والإنحراف ، فلا ترى في جنب الناس إلا باكياً نفسه وحقّه ، وصراخاً من جور البلاد والعباد ، بأشكالٍ وأنماطٍ

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ١٧١ –

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٥ والمتن في صـ ٢٠١ –

مختلفة . إلى أن يأذن اللهُ للمهدي بالخروج ، فإذا خرج خاض غمار تغيير العالم وإصلاحه إلى أن يُتمَّ اللهُ له ذلك . فقد جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له : لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم : فقال له عليه السلام - في حديث طويل جليل - جاء في ذيله :

[.. أما إنَّه سيأتي على النَّاس زمانٌ يكون الحق فيه مستوراً ، والباطلُ ظاهراً مشهوراً ، وذلك إذا كان أولى الناس بهم أعداهم له ، واقترب الوعد الحق ، وعظم الالحاد وظهر الفساد ، هنالك ابتلي المؤمنون وزُلزِلُوا زلزالاً شديداً . ونحلهم الكفار أسماء الاشرار [كالإرهاب مثلاً] ، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه . ثم يتيح الفرج لأوليائه ، ويظهر صاحب الامر على أعدائه][1] . تأكيداً على خطورة زمن ما قبل الظهور ، والبلاء العميق والواسع الذي يصيب البشر على يدِ الأباطرة الذين يجوبون الأرض طلباً لإشباع غرائزهم التي تستوعب شتّى نشاطات وقيم ومواد الحياة . إلى أن يمنَّ اللهُ على البشريّة بالآية السماويّة التي تعلن ظهور المهدي عليه السلام .

فإذا ظهر المهدي عليه السلام وحكم صلحت الأرض ، وأهطلت السماءُ بركاتِها وأنزلت خيراتِها ، وواكب الكونُ مسير البشر على نحوٍ مذهلٍ من قيم الشراكة النوعيَّة بين منطق الكون ولغة البشر التي تجد في المهدي ضمانها الإرشادي الوجودي وكفالتها المطلقة بإذن الله تعالى . وفي المرسل في خطبةٍ مشهورة للإمام علي عليه السلام خطبها بعد انقضاء أمر النهروان[2] جاء

---

[1] الاحتجاج : ج ١ صـ ٢٤٠ والمتن في صـ ٢٥١ -

[2] قال : وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير ، وهي متداولة منقولة مستفيضة ، خطب بها علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي رحمه الله .

فيها : [.. فانظروا أهل بيت نبيكم ، فإنْ لبدوا فالبدوا ، وإنْ استنصروكم فانصروهم ، فَلَيُفرِّجنَّ اللهُ الفتنة برجلٍ منَّا أهل البيت (يعني المهدي) ، بأبي ابن خيرة الاماء لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً ، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر ، حتى تقول قريش : لو كان هذا من وُلد فاطمة لرحمنا ، يغريه اللهُ ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ، ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلاً ، سنَّةُ اللهِ في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا][1] .

تثبيتاً منه عليه السلام لحتمِ انتصار المهدي عجل الله فرجه وظهورِه على أعدائِه وإعلانِه دولة الإسلام الكبرى على نحوٍ شاملٍ وكامل .. فإذا حكم المهدي عليه السلام عمَّ الأمن والأمان والسِّلمُ والسلام جميع أرجاء المعمورة . وفي رواية أبي زهير بن شبيب بن أنس ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث عن محاجته عليه السلام أبا حنيفة ، جاء فيه : فقال أبو بكر الحضرمي ، جُعِلتُ فداك ، الجواب في المسألتين الاوليين ؟ فقال : [يا أبا بكر : ﴿ سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ : مع قائمنا أهل البيت . وأما قوله : ﴿ فمَن دخله كان آمناً ﴾ : فمَن بايعه ودخل معه ومسح على يده ، ودخل في عقد أصحابه كان آمناً][2] .

وفي لفظٍ آخر حول مضمونٍ آخر يؤكِّد عليه السلام طابع المرجع الأعظم للإمامة في الأرض بعد نبوَّة خاتم النبيين وأعظم المرسلين محمَّد صلى الله عليه وآله ، فقال عليه السلام : [ويحكم أما تقرءُون ما قال عزوجل : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرة ﴾ : نحن واللهِ القرى التي بارك الله فيها وأنتم

---

[1] ابن أبي الحديد : ج ٧ صـ ٥٨ -

[2] علل الشرائع : صـ ٨٩ المتن في صـ ٩١ ب ٨١ ، حـ ٥ -

القرى الظاهرة][1] . وفي رواية محمد بن صالح الهمداني قال : كتبتُ إلى صاحب الزمان عليه السلام : إن أهل بيتي يؤذونني ويقرعونني بالحديث الذي رُوِي عن آبائك عليهم السلام أنهم قالوا : قوامنا وخدامنا شرار خلق الله . فكتب عليه السلام : [ويحكم أما تقرءون ما قال عزوجل : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ﴾ ونحن والله القرى التي بارك الله فيها ، وأنتم القرى الظاهرة][2] .

إشارة إلى المركز الضخم الذي أولاهُ اللهُ للإمامة وقرنَهُ بها ، وهو مركز الولاية بعد النبوّة الخاتمة التي تشكِّل أعظم سلسلة وأقدسها وأختمها في بعثة النبيين . وفي بعضها تأكيد على عظمة النبيِّ صلى الله عليه وآله وتجلّي كرامة الله فيه عبر الرجعة التي يبدو فيها النبيُّ الأعظم سلطان الهدى ، والنموذج الذي يخشع أمامه الكون والعقول . وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ قال عليه السلام : [يعني بذلك محمَّداً صلى الله عليه وآله وقيامه في الرجعة ينذر فيها . وفي قوله : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ ، يعني محمَّداً صلى الله عليه وآله ، ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ في الرجعة . وفي قوله : ﴿ إنَّا أرسلناك كافة للناس ﴾ : في الرجعة][3] . أي هذا ممَّا ينطبق عليه مدلول الآية أيضاً . فالنبيُّ صلى الله عليه وآله الذي بعثه اللهُ للعالمين جميعاً ، وللناس كافّة ، لم يحكم

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٣ بـ ٤٥ حـ ٢ –

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٨٣ بـ ٤٥ حـ ٢ –

[3] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٦ – وفي رواية عبد الرحمن بن سليط قال : قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : [منا إثنا عشر مهديا ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من ولدي . وهو الامام القائم بالحق ، يحيي الله به الارض بعد موتها ، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون . له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون ، فيؤذون ويقال لهم : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، أما إن الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله] [كمال الدين : جـ ١ صـ ٣١٧ حـ ٣٠ –] .

دنيا الإنسان ليقود البشر كافَّة في حين رسالتُهُ إنما هي للعالمين . وعليه : يتحقّق الأمر على يدِ المهدي عليه السلام أوّل الأمر ، كما يتحقَّق على يدِ النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله يوم الرجعة ، بحيث يتطابق المفهوم النظري مع المجرى العملي لحكومة الإسلام والعترة .

وفي متن بعض الآيات مدلول جليل وعميق لمظاهر آخر الزمان ، حول بعض الأحداث وما يبرز من وقائع ضخام زمن ظهور المهدي عليه السلام كاشفاً عن بعض هويَّة أحداث ذلك الزمن وبعض جبهاته ، ففي رواية ربعي بن حراش قال : سمعتُ حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخذُوا من مكان قريب ﴾ : [.. وذكر صلى الله عليه وآله فتنةً بين أهل المشرق والمغرب ، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني مِن الوادي اليابس في فوره ذلك ، حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين : جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة ، فيقتلون أكثر مِن ثلاثة آلاف ، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ، ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بني العباس . ثم ينحدرون إلى الكوفة ، فيخرِّبُون ما حولها ، ثم يخرجون متوجِّهين إلى الشام ، فتخرج رايةُ هدىً مِن الكوفة ، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين ، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ، ويستنقذون ما في أيديهم مِن السبى والغنائم . ويخلى جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم يخرجون متوجِّهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء ، بعث اللهُ سبحانه جيرئيل عليه السلام فيقول : يا جبرائيل اذهب فأبدهم ، فيضربها برجله ضربة يخسفُ اللهُ بهم ، فذلك قوله عزوجل في سورة سبأ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ فلا ينفلت منهم إلا رجلانِ : أحدهما بشيرٌ والآخر نذير ، وهما مِن جهينة ،

فلذلك جاء القول : فعند جهينة الخبرُ اليقين][1] . إشارة إلى فتنةٍ تقع بين أهل المشرق والمغرب ، ثم أحداث الشام المشهورة ، وظهرو السفياني ، وإعلانِه حرباً واسعة في ارض الشام والعراق والحجاز ، ومحاولته السيطرة على ما أمكن من المنطقة التي نسميها اليوم منطقة الشرق الأوسط .

وفي رواية أبي رومان ، عن علي عليه السلام قال : [إذا نزل جيشٌ في طلب الذين خرجوا إلى مكة ، فنزلوا البيداء خسف بهم ويباد بهم ، وهو قوله عزوجل : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ، وأُخِذُوا من مكان قريب ﴾ من تحت أقدامهم ، ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة له ، ثم يرجع إلى الناس ، فلا يجد منهم أحداً ، ولا يحسُّ بهم . وهو الذي يحدث الناس بخبرهم][2] .

يعني ما يصيب جيش السفياني الذي يعيث في المدينة فساداً ثم ينطلق نحو مكَّة ليقتحمها ويقتل المهدي وأتباعه فيها ، فيُخشف بهم في البيداء ، ومنذ تلك الساعة تبدأ جبهة المهدي عليه السلام زحفها ، وتتقاتل مع السفياني في معركةٍ وصفتها النصوص بأوصافٍ تشيرُ إلى ضراوتها ، يُقتلُ على أثرها السفياني ويسيطر المهدي عليه السلام على الشام بالإضافة إلى الحجاز .

وفي خطبة المخزون لأمير المؤمنين قال عليه السلام : [. . وخروج السفياني براية خضراء ، وصليب من ذهب ، أميرها رجلٌ مِن كلب ، واثني عشر ألف عنان من خيل يحمل السفياني متوجها إلى مكة والمدينة أميرها أحد من بني أمية يُقال له خزيمة أطمس العين الشمال على عينه طرفة تميل

---

[1] تفسير الطبري : ج ٢٢ صـ ٧٢ –

[2] ابن حماد : صـ ٩٠ –

بالدنيا فلا ترد له راية حتى ينزل المدينة فيجمع رجالاً ونساءً من آل محمد ﷺ فيحبسهم في دار بالمدينة يقال لها دار أبي الحسن الاموي ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد ﷺ قد اجتمع إليه رجالٌ مِن المستضعفين بمكَّة أميرهُم رجلٌ مِن غطفان حتى إذا توسَّطُوا الصفايح البيض بالبيداء يُخسَفُ بهم ، فلا ينجو منهم أحد إلا رجل واحد يحوِّلُ اللهُ وجهه في قفاه ، لينذرهم ، وليكون آيةً لِمَن خلفه ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريب ﴾][1] .

بحيث يكون الخسف المشهور الذي يقع في تلك الفترة الهائلة بالأحداث من أبرز مصاديق دلالة هذه الآية في الحقبة الأخيرة من تاريخ البشر . ويترتب على أثرهِ التصاعد الضخم لجبهة المهدي عليه السلام .. وفي رواية الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : [المهديُّ أقبل ، جعد ، بخدِّهِ خالٌ ، يكون مبدؤُهُ مِن قبل المشرق (من مكَّة) ، وإذا كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر ، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق ، يعصمهم الله مِن الخروج معه . ويأتى المدينةَ بجيشٍ جرَّار ، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسفَ اللهُ به وذلك قول الله عزوجل في كتابه : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخِذُوا من مكان قريب ﴾][2] . وقد تعدَّدت النصوص التي تشيرُ إلى أمر السفياني وجبهته ، وفتكه وسفكه للدماء وهتكه للأعراض ونهبه للثروات وأثره الخطير آنذاك ، ثم انتصار المهدي عليه السلام عليه ، وأعتقد انَّ هذهِ المرحلة تُعتبر من أخطر المراحل وأكثرها تعقيداً ، وعلى أثرها تصبح جبهة المهدي عليه السلام

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : صـ ١٩٩ –

[2] النعماني : صـ ٣٠٤ ، بـ ١٨ حـ ١٤ –

ذات مساحة ضخمة وأثر نافذٍ جداً . وفي رواية أبان عن سليم - في حديث طويل في كتاب علي عليه السلام إلى معاوية - جاء فيه عنه عليه السلام :

[.. يا معاوية ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبرني .. سيُخَضِّبون لحيتي من دم رأسي ، وأني مُستشهِدٌ ، وستلي الأمَّة مِن بعدي ، وأنك ستقتل ابني الحسن غدراً بالسم ، وأنَّ ابنك يزيد سيقتُل ابني الحسين ، يلي ذلك منه ابنُ زانيةٍ . وأنَّ الامَّة سيليها مِن بعدك سبعة من وُلدِ أبي العاص ووُلدِ مروان بن الحكم وخمسة مِن وُلدِهِ ، تكملة اثني عشر إماماً قد رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله يتواثبون على منبره تواثُبَ القردة ، يردُّونَ أمَّتَهُ عن دين الله على أدبارهم القهقري . وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة . وأن الله سيخرج الخلافة منهم برايات سود تُقبِلُ مِن الشرق يذلُّهم اللهُ بهم ، ويقتلهم تحت كلِّ حجر . وأنَّ رجلاً مِن وُلدِكَ مشوم ملعون ، جلف جاف ، منكوس القلب ، فظّ غليظ ، قد نزع اللهُ مِن قلبه الرأفة والرحمة ، أخواله مِن كلب ، كأني أنظر إليه ، ولو شئتُ لسمّيته ووصفته وابن كم هو (أي عمره) ، فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها ، فيسرفون فيها في القتل والفواحش ، ويهرب منهم رجلٌ مِن وُلدِي ، زكي نقي ، الذي يملأ الارض عدلاً وقسطاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً ، وإني لأعرف اسمه وابن كم هو يومئذ وعلامته ، وهو مِن وُلدِ ابني الحسين عليه السلام الذي يقتله ابنُك يزيد ، وهو الثائر بدم أبيه فيهرب إلى مكة . ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً مِن وُلدِي زكيَّاً بريَّاً عند أحجار الزيت ، ثم يسير ذلك الجيشُ إلى مكة ، وإني لأعلم اسم أميرهم وأسمائهم وسمات خيولهم ، فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الارضُ خسفَ اللهُ بهم . قال الله عزوجل : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ . قال عليه السلام : مِن تحت أقدامهم ، فلا يبقى من ذلك الجيش أحدٌ غير رجلٍ واحد ، يقلبُ اللهُ

وجهَهُ مِن قِبَل قفاه . ويبعثُ اللهُ للمهدي أقواماً يُجمَعُون مِن الارض قزعاً كقزع الخريف ، واللهِ إني لأعرف أسماءهم واسم أميرهم ومناخَ ركابهم ، فيدخل المهديُّ عليه السلام الكعبةَ ويبكي ويتضرَّع][1] . يصفُ فيه عليه السلام مجموع عناوين ذات وصف حدثي ، ويحدِّث عليه السلام بجملة قضايا تتَّصل بتلك الفترة من ظهور السفياني ومفاعيلها ، ثمَّ انتصار المهدي عليه السلام وزوال دولة الأمويين . وبداية مرحلة جديدة من معالم أولى أزمان الظهور المبارك .

وهناك نصٌّ مروي عن الإمام علي عليه السلام في ذكر الفتن بالشام ، وما يؤول إليه الأمر من خروج السفياني وأفعاله الهائلة في القتل والإبادة والظلم والفساد ، إلى أن يقول عليه السلام : [. . فإذا كان ذلك ، خرج ابنُ آكلة الاكباد على أثره ليستولي على منبر دمشق ، فإذا كان ذلك فانتظروا خروجَ المهدي عليه السلام ..][2] .

وقد قال بعض الناس : إنَّ هذا قد مضى ، وذلك زمن خروج زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بحلب وبيَّضُوا ثيابهم وأعلامهم وادعوا الخلافة ، فبعث أبو العباس عبد الله (بن محمد) بن علي بن عبد الله بن عباس أبا جعفر إليهم فاصطلموهم عن آخرهم . ويزعم آخرون أنَّ لهذا الموعود شاباً وصفه لم يوجد لزياد بن عبد الله ، ثم ذكروا أنه مِن وُلدِ يزيد بن معاوية عليهما اللعنة بوجهه آثار الجدري ، وبعينه نكتة بياض ، يخرج من ناحية دمشق ، ويثيب خيله وسراياه في البر والبحر ، فيبقرون بطون الحبالى وينشرون الناسَ بالمناشير ، ويطبخونهم في القدور ، ويبعث جيشاً له إلى المدينة فيقتلون ويأسرون ويحرقون ثم

---

[1] كتاب سليم بن قيس : صـ ١٩٧ –

[2] البدء والتاريخ : جـ ٢ صـ ١٧٧ –

ينبشون عن (قبر) النبي ﷺ وقبر فاطمة عليها السلام ، ثم يقتلون كلَّ مَن اسمُهُ محمَّد وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد فعند ذلك يشتد غضبُ الله عليهم فيخسف بهم الارض ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ، وأُخذُوا من مكان قريب ﴾ أي مِن تحت أقدامهم . وفي خبر آخر أنهم يخربون المدينة حتى لا يبقى رائح ولا سارح[1] .

وعن مدلول هذهِ الآية قال أبو حمزة الثمالي : سمعتُ علي بن الحسين عليه السلام والحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يقولان : [هو جيش البيداء ، يُؤخذونَ مِن تحت أقدامهم][2] . وفي بعض النصوص إشارة إلى انَّ جيش المهدي عليه السلام يكون قد سار ووصل إلى البيداء ، فيما يسير جيشان للسفياني . ثم يقع الخسف في الجيش المتوجّه نحو مكّة . ففي رواية أبي خالد الكابلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

[يخرج القائمُ عليه السلام فيسير حتى يمر بمر ، فيبلغه أنَّ عامله قد قُتِلَ ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ، ولا يزيد على ذلك شيئاً . ثم ينطلق عليه السلام فيدعوا النَّاس حتى ينتهى إلى البيداء ، فيخرج جيشانِ للسفياني ، فيأمر اللهُ عزَّوجلَّ الارضَ أن تأخذ بأقدامهم ، وهو قوله عزوجل : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخذُوا من مكان قريب ﴾ ، ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ يعني بقيام القائم – ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ يعني بقيام (قائم) آل محمد عليه السلام ، ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ من مَّكَانٍ بَعِيد ﴿٥٣/٣٤﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾][3] .

---

[1] البدء والتاريخ : ج ٢ صـ ١٧٧ –

[2] مجمع البيان : ج ٤ صـ ٣٩٧ –

[3] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٤٧٨ ح ١٢ –

وكما ترى المتون شديدة التماسك والإتِّفاق ، وكلّها تصبُّ في معنى هلاك جيش السفياني عبر الخسف الذي يطاله في البيداء ، وانَّ هذا هو مدلول هذه الآية المختزنة لهذا الحادث التاريخي الكبير الذي تبدأ على أثره أُولى التحوّلات الضخمة على يد الإمام المهدي عليه السلام . وفي نصٍّ آخر يتضمَّن هذا التفسير وهذه الإشارة رواه أبو خالد الكابلي قال : قال أبو جعفر عليه السلام - في حديث جاء فيه - : ﴿ ولئن أخَّرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴾ ؟ قال عليه السلام : هم والله أصحاب القائم عليه السلام ، يجتمعون والله إليه في ساعةٍ واحدةٍ ، فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله الارض فتأخذ أقدامهم وهو قوله : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخِذُوا من مكان قريب وقالوا آمنَّا به ﴾ يعني بالقائم من آل محمد عليهم السلام . وأنَّى لهم التناوش من مكان بعيد ، إلى قوله ﴿ وحِيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ يعني أن لا يُعذَّبُوا (كما فعل بأشياعهم) يعني مَن كان قبلهم من المكذبين هلكوا من قبل ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾][1] .

وأيضاً هو المروي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخِذُوا من مكان قريب ﴾ قال : [هو جيشُ السفياني . قال : من أين أُخذ ؟ قال : مِن تحت أرجلهم][2] . ومع هلاك جيش السفياني تبدأ أولى مراحل التحوُّل الضخم في ميزان القوى العالميّة ، وتبرز جبهة المهدي عليه السلام كعنوانٍ له قيمة كبيرة في مسرح العالم آنذاك ، ثمَّ تتوالى مراحل العظمة لدولة الإمام المهدي عليه السلام حتى تحكم دنيا الإنسان .

---

[1] القمي : جـ ٢ ، صـ ٢٠٥ -

[2] الطبري - على ما في الدر المنثور ، الدر المنثور : جـ ٥ صـ ٢٤٠ -

المهدي عليه السلام ضمانة الأرض والعدل الذي يتحقّق في آخر الزمان بإذن الله
(نموذج قرآني)

المتون التي أوردناه أكدت أنّه لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها . وفي طائفةٍ ثانية : ان أهل البيت أمان لأهل الأرض ، كما النجوم أمان لأهل السماء . بحيث تشيرُ إلى أمن وضمانة وكفالة وجوديّة قرنها اللهُ تعالى بأهل البيت عليهم السلام .. وفي الجانب الآخر أكَّدت النصوص ان المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان هو الذي يقيم العدل العالمي ، ويقود البشر تحت ظلِ دولة الإسلام بأعظم منظومة وأشرف تطبيق .

والمهدي عليه السلام هو الثاني عشر من أهل البيت أعدّه الله ليومٍ مشهودٍ في آخر الزمان . ليكون حجّته العظمى ، كما أهل بيتِه الذين يشكِّلون حجج الله وخلفاءهُ في أرضهِ ، والأوصياء العظام بعد الرسول صلى الله عليه وآله خاتم المرسلين وأعظم النبيين . وفي رواية إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الرضا عليه السلام : [نحن حُجَجُ اللهِ في خلقه ، وخلفاؤه في عباده ، وأمناؤه على سرِّه ، ونحن كلمة التقوى ، والعروة الوثقى ، ونحن شهداءُ اللهِ وأعلامُهُ في بريَّتِه ، بنا يمسك اللهُ السموات والارض أن تزولا (إشارة إلى انّ أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض) ، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة ، ولا تخلو الارض مِن قائمٍ منا ظاهر أو خافٍ ، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت

بأهلها كما يموج البحر بأهله][1] . بحيث يؤكِّد هذا النص طابع الضمانة التي قرنها اللهُ تعالى بأهل البيت عليهم السلام ، وانّهم حجج الله ، وأنّهم أمان لأهل الأرض ، وما فيها من استقرارٍ وخيرٍ ونِعَمٍ وبركات وشبه ذلك ، ممّا ينطقُ به النص أو يتبطّنه .

وتؤكِّد النصوصَ ضرورةَ وجود الحجَّة ، وأنّ بقاء الأرض ، وثبات الخلق فيها ، وكفالة استمرارها قد قرنَهُ اللهُ تعالى بوجود الحجَّة سواء كان ظاهراً مشهوراً أم غائباً مستوراً . ففي رواية المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : [خبرٌ تدريه خيرٌ من عشرٍ ترويه . إنَّ لكل حقٍّ حقيقةً ، ولكلِّ صوابٍ نوراً . ثم قال : إنَّا واللهِ لا نعدُّ الرجلَ من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له فيعرف اللحن . إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة : إنَّ من ورائكم فتَناً مظلمةً عمياء منكسفة لا ينجو منها إلا النومة . قيل يا أمير المؤمنين وما النومة ؟ قال : الذي يعرف الناس ولا يعرفونه . واعلموا أنَّ الارض لا تخلو من حجَّةٍ لله عزَّوجلَّ . ولكن اللهَ سيعمي خلقَهُ عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم ، ولو خلت الارضُ ساعةً واحدةً من حجَّةِ اللهِ لساخت بأهلها ، ولكن الحجةَ يعرفُ الناسَ ولا يعرفونه ، كما كان يوسف عليه السلام يعرفُ الناسَ وهم له منكرون ، ثم تلا : ﴿ يا حسرةً على العباد ، ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزؤن ﴾][2] . في هذا النص يستعرض الإمام عليه السلام العناصر التالية : لا بدّ من إمامٍ حجّة ، وأنّ آخر الزمان يكون على نحوٍ خطيرٍ بسبب انزلاق البشر في فتنٍ ومواثيق فاسدة وقيم منجرفة وأباطيل متنوِّعة ، بحيث يكون العالم آنذاك على نحوٍ شديدٍ من الفساد والضلال

---

[1] كمال الدين : ج ١ ص ٢٠٢ ب ٢١ ح ٦ –

[2] النعماني : ص ١٤١ ب ١٠ ح ٢ –

الذي يتعارض بشدّة مع ضرورة البناء البشري السعيد والضمانة الآمنة في مسيرة الوجود . ثمّ يؤكّد انّه لا يمكن أن يستمر وجود الأرض بدون حجّة لله تعالى ، أي أنَّ الله قرن بقاءها ببقاء الحجّة ، وأنّ هذا الحجّة هو المهدي الثاني عشر من أئمّة آل محمّد عليهم السلام الذي تطول غيبتُهُ وينتفع به الناس كانتفاعهم بالشمس التي تحجبها الغيوم ، ثم يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . على انّه عليه السلام إذا خرج بدأت مرحلة متصاعدة من إعلانات الحروب عليه عليه السلام ، فيثبت معه الذين آمنوا ، وفي طائفة من النصوص أنَّ طوائف من الشعوب والأمم - حتى غير المسلمة - تعلن ولاءها الطوعي له ، لما ترى من عظيم الدلالة والإعجاز في تمثيله لله تعالى ، وانّه المهدي الموعود ابن بنت رسولِ الله صلى الله عليه وآله .

وتشير طائفة من النصوص أنَّ قوماً في المدينة يعلنون الحرب على المهدي عليه السلام ، فينتصر عليهم المهدي عليه السلام ، وحين تقع مجاعة في المدينة ، ينبت اللهُ لهم الخيرات في الأرض الميتة ، أي في أرض جافّة أو المتصحرة ، يبدو انّها لا تصلح للزراعة أو انّها تكون على نحوٍ من أزمة تشيرُ إلى فقدان الغذاء وتوابعه بشكلٍ ملحوظ ، أي أزمة أمن غذائي . ففي رواية الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال : [يقتل القائم عليه السلام من أهل المدينة حتى ينتهي إلى الاجفر ، ويصيبهم مجاعةٌ شديدة قال : فيضجّون وقد نبتت لهم ثمرة يأكلون منها ويتزودون منها ، وهو قوله تعالى شأنه : ﴿ وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون ﴾ . ثم يسير حتى ينتهي إلى القادسية وقد اجتمع الناس بالكوفة وبايعوا السفياني][1] . أقول : يبدو من طائفة أنَّ الكوفة تكون هدفاً عسكريّاً للسفياني ، فيقتُل بها شيعة آل محمَّد ،

---

[1] الغيبة ، للسيد علي بن الحميد - على ما في البحار . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٨٥ بـ ٣٢ ف ٥٩ ح ٧٩٣ -

بحيث يشير ذيلُ النصِّ هنا إلى مشهد دخول السفياني إلى الكوفة وقتله أتباع آل محمّد ، ثم إجبار الناس على بيعتِهِ في ظرفٍ ووقتٍ محدّد .

وتؤكّد بعض المتون الأزمة التي تختصر معاناة الشيعة على طول التاريخ ، بما فيها معاناة الشيعة زمن السفياني وإعلانِه حربه المفتوحة على اتباع آل محمّد أينما حلُّوا ضمن منطقة نفوذِه وإمكاناتِه . فإذا ظهر المهدي عليه السلام وضع حداً لذلك بعد أحداثٍ مشهودة . ففي رواية الحسن بن شاذان الواسطي قال : كتبتُ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم علي وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني ، فوقع بخطه : [إنَّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل ، فاصبر لحكم ربك ، فلو قد قام سيِّدُ الخلق لقالوا : ﴿ يا ويلنا ، مَن بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾][1] .

إشارة إلى الذلِّ والهوان الذي يصيب أعداء آل محمّد على يدِ المهدي عليه السلام . بالإضافة إلى تحقّق النصر المؤزَّر وانفلاش دولة المهدي عليه السلام إلى مستوياتٍ عظيمة ، على انّ بطن بعض معانيها كأنّه يشيرُ إلى الرجعة التي يُبعثُ فيها قومٌ من أئمة الضلال والفساد ، بالإضافة إلى بعْثِ الله تعالى أئمّة الهدى وقادة البشر ، فينتقم اللهُ من الظالمين ويسحقهم ، ليُتِمَّ وراثة الأرض بنحوٍ آخر للذين استُضعِفوا فيجعلهم الأئمّة ويجلعهم الوارثين . وهناك طوائف كثيرة تؤكِّد عظمة الأئمة عليهم السلام ، والإصطفاء الإلهي لهم ، وانّهم خلقٌ عظيم ، وباب من أبواب الله العظمى ، وخلفاء من خلفاء الله الذين يُؤتى اللهُ من قبلهم ، وانّهم أهلُ بيوتٍ أذِن اللهُ أن ترفع ويُذكَر فيها

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٢٤٧ حـ ٣٤٦ -

إسمه . وقد ورد في نصٍّ مرفوعٍ إلى عبد الله بن أبي وقاص ، عن رسول الله ﷺ قال : [لمَّا خلقَ اللهُ إبراهيم الخليل عليه السلام كشف له عن بصره فنظر في جانب العرش نوراً ، فقال : إلهي وسيدي ما هذا النور قال : يا إبراهيم هذا محمَّد صفيي ، فقال عليه السلام : إلهي وسيدي إني أرى بجانبه نوراً آخر ، قال : يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني ، قال عليه السلام : إلهي وسيدي إني أرى بجانبهما نوراً آخر ثالثاً يلي النورين ، قال : يا إبراهيم هذه فاطمة تلي أباها وبعلها فطمتُ محبِّيها مِن النار ، قال عليه السلام : إلهي وسيدي إني أرى نورين يليان الانوار الثلاثة ، قال : يا إبراهيم هذان الحسن والحسين ، يليان أباهما وأمهما وجدهما ، قال عليه السلام : إلهي وسيدي إني أرى تسعة أنوار قد أحدقوا بالخمسة الانوار ، قال : يا إبراهيم هؤلاء الائمة مِن وُلدِهم ، قال عليه السلام : إلهي وسيدي وبمَن يُعرفون قال : يا إبراهيم أوَّلُهُم علي بن الحسين ومحمد ولد علي وجعفر ولد محمد وموسى ولد جعفر وعلي ولد موسى ومحمد ولد علي وعلي ولد محمد والحسن ولد علي ومحمَّد ولد الحسن القائم المهدي قال عليه السلام : إلهي وسيدي وأرى عدة أنوار حولهم لا يحصي عدَّتَهُم إلا أنت قال : يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم ومحبوهم . قال عليه السلام : إلهي وسيدي بِمَ يُعرَفُ شيعتهم ومحبُّوهم ؟ قال : يا إبراهيم بصلاة الاحدى والخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والقنوت قبل الركوع ، وسجدتي الشكر ، والتختم باليمين . قال إبراهيم : اجعلني إلهي مِن شيعتهم ومحبيهم . قال : قد جعلتك منهم فأنزل تعالى فيه : ﴿ وإنَّ مِن شيعته لَإبراهيم ، إذ جاء ربَّهُ بقلب سليم ﴾ . قال المفضل بن عمر : إنَّ إبراهيم عليه السلام لما أحسَّ بالممات روى هذا الخبر وسجد فقبض في سجدته][1] .

---

[1] الفضائل : صـ ١٥٨ –

أقول : مضامين هذا الحديث بالإجمال وردت في غيرهِ من النصوص ، وهي تؤكِّد على الخصوصيَّة الرفيعة لأهل هذا البيت العظيم ، بل في طائفةٍ من النصوص أنَّ الله تعالى يؤكّد طابع العظمة الخاصَّة لأهل هذا البيت على جمعٍ متتابعٍ من الأنبياء .

وفي رواية أخرى سأل جابر بن يزيد الجعفي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية : ﴿ وإنَّ من شيعته لابراهيم ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [إنَّ الله سبحانه لما خلق إبراهيم عليه السلام كشف له عن بصره فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش ، فقال : إلهي ما هذا النور ؟ فقيل له : هذا نور محمّد صفوتي مِن خلقي . ورأى نوراً إلى جنبه ، فقال : إلهي وما هذا النور ؟ فقيل له : هذا نور علي بن أبي طالب ناصر ديني . ورأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار فقال : إلهي ما هذه الانوار ؟ فقيل له : هذا نور فاطمة فطمتُ محبّيها من النار ، ونور ولديها الحسن والحسين . ورأى تسعة أنوار قد حفُّوا بهم فقال : إلهي وما هذه الانوار التسعة ؟ قيل : يا إبراهيم هؤلاء الائمة من ولد علي وفاطمة . فقال إبراهيم : إلهي بحق هؤلاء الخمسة إلا عرفتني مَن التسعة ؟ قيل : يا إبراهيم أولهم علي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه علي وابنه محمد وابنه علي وابنه الحسن والحجة القائم ابنه . فقال إبراهيم : إلهي وسيدي أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم إلا أنت قيل : يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . فقال إبراهيم : وبِمَ تُعرف شيعته ؟ قال : بصلاة إحدى وخمسين ، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، والقنوت قبل الركوع ، والتختم في اليمين ، فعند ذلك قال إبراهيم : أللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين ، قال : فأخبر اللهُ في كتابه فقال : ﴿ وإنَّ من شيعته

لابراهيم ﴾][1] . وهذا كما ترى يؤكِّد طابع الخصوصيّة لهؤلاء العظام عليهم السلام . وينصبهم خلفاء من نوعٍ رفيعٍ في أرضهِ ، ويُلْزِم بالإنصياع إليهم ، والطاعة لهم ، والنزول عند أمرهم ونهيتهم . ويذكر النصُّ المهديَّ عليه السلام ويشيرُ إليه . وفي طائفةٍ أخرى يؤكِّد أنّه به ينتقم من الظالمين ، ويقيم دولة الحق والعدل الإلهي الشامل بعد أن يبدِّد قدرة الظالمين ويفتك بجبهات أهل الباطل التي تعلن الحرب عليه عليه السلام .

ففي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اصبر على ما يقولون يا محمد مِن تكذيبهم إيَّاك . فإني منتقمٌ منهم بِرَجُلٍ منك ، وهو قائمي الذي سلَّطته على دماء الظلمة : ﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيدِ إنه أوَّاب ﴾][2] .

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٤٩٦ ح ٩ – وفي رواية الحسين بن خالد قال : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام : [لا دين لمن لا ورع له ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، إن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، فقيل له : يا ابن رسول الله إلى متى ؟ قال : إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا . فقيل له : يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت ؟ قال الرابع من وُلدي ، ابن سيدة الاماء ، يطهر الله به الارض من كل جور ، ويقدسها من كل ظلم . (وهو) الذي يشك الناس في ولادته ، وهو صاحب الغيبة قبل خروجه ، فإذا خرج أشرقت الارض بنوره ، ووضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحد أحدا . وهو الذي تطوي له الارض ، ولا يكون له ظل . وهو الذي ينادي مناد من السماء يسمعه جميع أهل الارض بالدعاء إليه يقول : ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه ، فإن الحق معه وفيه ، وهو قول الله عزوجل : ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾] . [كمال الدين : ج ٢ صـ ٣٧١ بـ ٣٥ ح ٥] .

[2] التنزيل والتحريف : صـ ٤٩ – وفي رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال : سمعتُ أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول : [معنى « الرجيم » أنه مرجوم باللعن ، مطرود من مواضع الخير ، لا يذكره مؤمن إلا لعنه ، وإنَّ في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوما باللعن] [معاني الاخبار : صـ ١٣٩ ح ١] . وهناك رواية ضعيفة السند رواها محمد بن يونس ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فأنظرني إلى

تأكيداً منه (عليه السلام) أنَّ هذهِ الآية تجري في مصداقٍ آخر من مصاديق آخر الزمن ، ويكون لها مثال الحدث الضخم ، حيث ينتصر اللهُ تعالى بالمهدي (عليه السلام) ويقيم العدل الإلهي الذي يستوعب كافَّة شؤون الحياة والوجود الذي يتقاطعه البشر في تلك الحقبة الأخيرة من الزمن . واللافت في بعض النصوص إشارة إلى مظاهر تؤكِّد طابع تطوُّر هائل ، يكون على أثره تكيُّف البشر والإستفادة من قوانين استغلال الطبيعة ونواميس الأشياء على نحوٍ بسطه النصُّ في متنه على نحو الإشارة والرموز . ففي رواية المفضل بن عمر الجعفي قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : [إنَّ قائمنا إذا قام أشرقت الارضُ بنور ربِّها ، واستغنى العبادُ عن ضوء الشمس ، وصار الليل والنهار واحداً ، وذهبت الظلمة ، وعاش الرجل في زمانه ألف سنة ، يولد في كلِّ سنة غلام لا يولد له جارية ، يكسوه الثوب فيطول عليه كلما طال ، ويتلون عليه أي لون شاء][1] .

يورد هذا النص رموزاً ، يؤكِّد عبرها طابع المعرفة والتقنيَّة الثوريَّة زمن حكومة المهدي (عليه السلام) ، وكأنّه يشيرُ إلى نوعٍ رفيعٍ من التحكّم بمصادر الطاقة ، بالإضافة إلى قوانين الطب وغيرها التي تنعكس على صحَّة البشر والإستفادة من منافعه وفوائده فيما حلَّل اللهُ تعالى في شتّى الميدانين ، وصولاً إلى تقنيَّة انتاج اللباس والألوان ، كإشارة إلى ثورة هائلة من العلم تحدث ويظهرها اللهُ في شتّى المجالات ، وقد أشرتُ إلى هذا الموضوع بشيءٍ من التفصيل من قبل ، وإيراد هذهِ العناوين إنّما ورد للتمثيل والبيان

يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ ، قال : [يوم الوقت المعلوم : يوم يذبحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الصخرة التي في بيت المقدس] [القمي : ج ٢ صـ ٢٤٥] .

[1] الفضل بن شاذان - على ما في البحار . * : دلائل الامامة : صـ ٢٤١

المصداقي لا الحصري . أي أورد النص إشاراتٍ تؤكّد طابع الثورة التقنية الضخمة التي تشكّل مفترق طُرق مع الماضي السابق . وهذه تكون على يدِ المهدي عليه السلام الذي ينشر من العلم ٢٥ جزءاً إضافة إلى الجزئين الماضيين . .

وفي رواية المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله : ﴿ وأشرقت الارض بنور ربها ﴾ : [ربُّ الارضِ يعني إمام الارض . فقلت : فإذا خرج يكون ماذا ؟ قال عليه السلام : إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ، ويجتزؤن بنور الامام][1] . إي بما يكشف عليه السلام لهم من علومٍ في ميادين مختلفة شديدة العمق والإنتشار والنفع للبشر .

وعليه : في النص إشارة إلى العلم الهائل الذي يكشفُ عنه الإمام عليه السلام .. وكنتُ قد أشرت إلى انّه إذا ظهر الإمام المهدي عليه السلام وقاد الناسَ إلى أعظم دولة يقيمها على نهج الإسلام ، أظهر من العلومِ أعظمها وأكثرها ، بحيث يشكّل ذلك مفصلاً ضخماً . وفي بعض النصوص تأكيد على أنَّ عدوَّ أهل البيت عليهم السلام يلقى أزماتٍ هائلة ، ويبوء بالخسران . وانّهم عليهم السلام يشكّلون الحجّة والباب والصراط الذي قرنه اللهُ بالقرآن ، والذي يشكّل الثقل الآخر الذي لا يفترق عن القرآن إلى يوم الدِّين .

وفي طائفة أخرى تأكيد على نوعٍ من الخسران جاءت معانيه كرموزٍ واضحة تشيرُ إلى خطورة فكّ الإرتباط بأهل بيت النبيِّ عليهم السلام . ففي خبر رواهُ النعماني في « كتاب التسلي » عن الصادق عليه السلام أنه قال : [إذا احتضر الكافر حضرَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو إليه علي عليه السلام فيقول : يا رسول الله إنَّ هذا كان يبغضنا أهل البيت

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٢٥٣ –

فابغضه ، فيقول رسول الله ﷺ : يا جبرئيل إنَّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه فيقول جبرئيل لملك الموت : إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فابغضه واعنف به ، فيدنو منه ملك الموت فيقول : يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك ، أخذت أمان براءتك تمسكت بالعصمة الكبرى في دار الحياة الدنيا ؟ فيقول : وما هي فيقول : ولاية علي بن أبي طالب ، فيقول ما أعرفها ولا أعتقد بها ، فيقول له جبرئيل : يا عدو الله وما كنت تعتقد ! أبشر يا عدوَّ الله بسخط الله وعذابه في النار ، أما ما كنت ترجو فقد فاتك ، وأمَّا الذي كنت تخاف فقد نزل بك ، ثم يسل نفسه سلَّاً عنيفاً ثم يوكل بروحه مائة شيطان كلهم يبصق في وجهه ، ويتأذى بريحه ، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار ، يدخل إليه من فوح ريحها ولهبها . ثم إنه يؤتى بروحه إلى جبال برهوت ثم إنه يصير في المركبات بعد أن يجري في كل سنخ مسخوط عليه حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، فيبعثه الله فيضرب عنقه (إشارة إلى الرجعة) ، وذلك قوله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ والله لقد أتي بعمر بن سعد بعدما قتل ، وإنه لفي صورة قرد في عنقه سلسلة ، فجعل يعرف أهل الدار ، وهم لا يعرفونه ، والله لا يذهب الايام حتى يمسخ عدونا مسخاً ظاهراً حتى أنَّ الرجل منهم ليمسخ في حياته قرداً أو خنزيراً ، ومن ورائهم عذاب غليظ ، ومن ورائهم جهنم وساءت مصيراً][1] .

أقول : أصل بعض هذه المعاني وارد في طائفة من النصوص ، كما انَّ ما ورد في الإشارة إلى المسخ وارد أيضاً بطائفة من النصوص تشير إلى انَّ بعض المسخ يقع في آخر الزمان . نعم تفاصيل ذلك غير موجودة

---

[1] كتاب التسلي للنعماني : – على ما في البحار . * : البحار : ج ٤٥ صـ ٣١٢ بـ ٤٦ –

لدينا على اعتبار أنّ ما ورد فيها جاء يشير إلى أصل الوقوع ببعض النظر عن التوصيفات الأخرى . ففي رواية أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عزوجل : ﴿ عذاب الخزي في الحياة الدنيا ﴾ ما هو عذاب خزي الدنيا ؟ فقال عليه السلام : [وأي خزي أخزى يا أبا بصير مِن أن يكون الرجل في بيته وحجاله وعلى إخوانه وسط عياله ، إذ شق أهله الجيوب عليه وصرخوا ، فيقول الناس : ما هذا ؟ فيقال : مُسِخَ فلانٌ الساعة ، فقلت : قبل قيام القائم عليه السلام أو بعده ؟ قال عليه السلام : لا بل قبله][1] .

إشارة إلى أصل وقوع هذا الأمر مِن المسخ . بل طائفة تشير إلى حدٍّ وصفي تقريبي من حيث الزمن . المهم أصل وقوع هذا الأمر كُرِّرَ في أكثر من نص . وهو أمر وقع في الأمم السابقة ، وسيقع في الأمم الباقية في زمنٍ شديد التداعي والخطورة والإنحراف وسط تآكل بشري وتوحُّش مذهل بين أبناء هذا النوع . وما يجري في هذا العالم مِن استعمال تقنيَّات شديدة الخطورة في إعادة تركيب الجينات خيرُ مثالٍ تقريبي على معالم الزمن الذي ينتظرها ، وصورة تشبيهيَّة لما يمكن ان يقع ولو دون تدخُّل بشري ، أو عبر تكوينات بشريّة غير مباشرة وهذه لها معانٍ كثيرة ، أو عقاب ربَّاني . أمَّا خصوص أنَّه يقتل المرَّة الثانية فهو إشارة إلى فريقٍ يبعثون من الموت زمن الرجعة ، فيقتلون على يدِ صفوة الله والأئمّة الكرام . ففي الرجعة ينتصر صفوةُ الله من أعداء الله ، كعقابٍ من الله تعالى ينزله على أعداء الله بيدِ أولياء الله . والرجعة أمرٌ قطعيٌّ واقعٌ . وهو النموذج الثاني من وراثة الذين استُضعِفوا للأرض . وكثيرٌ من آيات القرآن تشيرُ إليها . ففي رواية جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّا

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٩ بـ ١٤ حـ ٤١ –

لَننصُر رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ﴾ ؟ قال عليه السلام : [ذلك والله في الرجعة . أما علمتَ أنَّ أنبياء كثيرةً لم يُنصَرُوا في الدنيا وقُتِلوا ، والائمة بعدهم قُتِلُوا ولم يُنصَرُوا . ذلك في الرجعة][1] .

تأكيداً لأمر الرجعة وحتم وقوعها . الإمام عليه السلام هنا يشيرُ إلى ظاهرِ الآية بشدَّةٍ وضوحِها . وبذلك يشكِّل مركز الإمامة العنوان الأعظم بعد رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، والناس مدعوُّون إلى النزول عند طاعتهم وامتثال أمرهم . فهم المنصوبون من قِبَلِ الله تعالى ، ومن ابوابِهم يُطاعُ اللهُ ويُعبد . وفي رواية محمد بن مسلم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا ﴾ ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : [إستقاموا على الائمة واحداً بعد واحدٍ ﴿ تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾][2] . أي أعلَنُوا الولاءَ لهم ، ونزَلُوا عند ولايتِهم ، واتّبعوا مواثيقهم ، وأخذوا بالقرآن والعترة ، فجمعوا بينهما حتى يردا الحوض على رسولِ الله صلى الله عليه وآله .

وفي بعض المتون تأكيد على انَّ أمر المهدي عليه السلام مفصلي ، وأنّه الذي يقاتل أهل الباطل ويسقط ممالكهم ، ويبدّد قواهم ويهزمهم ، ولا يقبل عقيدةً للدولة وقيادة الأمة البشريّة إلا الإسلام . ففي رواية سورة بن كليب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ إدفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ قال رسول الله : أُمِرت بالتقية ، فسار بها عشراً حتى أُمِر أن يصدع بما أُمر . ثم أُمر بها

---

[1] القمي : ج ٢ ، صـ ٢٥٨ –

[2] ويأتي في الاحقاف – ١٣ . ١٨٢٤ – المصادر : * : الكافي : ج ١ صـ ٤٢٠ حـ ٤٠ –

عليٌّ عليه السلام ، فسار بها حتى أُمر أن يصدع بها ، ثم أمر الائمةُ بعضُهُم بعضاً فساروا بها . فإذا قامَ قائمنا سقطت التقية وجرَّدَ السيف ، ولم يأخذ من الناس ، ولم يعطهم إلا بالسيف][1] . أي يقاتل الذين يعلنون العداء له ، أو أولئك الذين يرفضون قيام دولة الله على الأرض . ومعلوم انَّ قسماً من الجماعة البشريَّة يعلنون الحرب إبتداءاً على المهدي عليه السلام لما يرون في ظهورِهِ من خطورة شديدة على امتيازاتِهم السوقيّة وربوبيّتهم للأشياء وتعظيمهم للمفهوم الغريزي كمعيار في الدفع والتوثيق والتوصيف .

فإذا ظهر المهدي عليه السلام ضاقت الآفاقُ على الذين كفروا ، وظهرت آياتُ اللهِ تعالى . ففي رواية أبي بصير قال : سُئل أبو جعفر الباقر عليه السلام عن تفسير قول الله عزوجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنّه الحق ﴾ فقال عليه السلام : [يريهم في أنفسهم المسخ ، ويريهم في الآفاق انتقاص الآفاق عليهم ، فيرون قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق ، وقوله : ﴿ حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحق ﴾ ، يعني بذلك خروج القائم هو من الله عزوجل يراه هذا الخلق لا بد منه][2] .

تأكيداً على الوصف البيئي العالمي من جهة ، والفعل الملحمي الذي يكتنف العالم آنذاك من جهةٍ أخرى ، فضلاً عن عناوين ذات صفة خصوصيَّة تُؤكِّد طابع التحوُّل الخصوصي . وفي رواية إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ ، قال : [في الآفاق : انتقاص الاطراف عليهم . وفي

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ح ١٣ -

[2] النعماني : ص ٢٦٩ ب ١٤ ح ٤٠ -

أنفسهم : بالمسخ . حتى يتبيَّن لهم أنه الحق : أي أنه القائم عليه السلام][1] . لسان هذا النص يشيرُ إلى ارتكاز مجموع عناصر مثل العذاب ، والضيق ، والشدَّة التي تشكِّل عنواناً من عناوين ذلك الزمن بالإضافة إلى الفتن والملاحم . نعم الضيق واليأس على الأمم الجائرة أيضاً يكون واحداً من سمات عالم الظهور .

وقد تكرَّرت هذهِ الإشارة الوصفيَّة للمعنى الواقع في ذلك الزمن بأكثر من نصٍّ ولسان . ففي رواية الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ ؟ قال عليه السلام : [خسف وقذف . قلت : ﴿ حتى يتبيَّنَ لهم ﴾ ؟ قال عليه السلام : دع ذا ، ذاك قيام القائم][2] .

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ ؟ قال : عليه السلام : [يريهم في أنفسهم المسخ ، ويريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم ، فيرون قدرةَ اللهِ عزَّوجلَّ في أنفسهم وفي الآفاق . قلت له : ﴿ حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحق ﴾ ؟ قال عليه السلام : خروج القائم عليه السلام هو الحق من عند الله عزوجل ، يراهُ الخلق لا بد منه][3] . وفي بعض المتون تأكيد على لونٍ من ألوان الفتن والملاحم ، وتوصيف لما يقع في ذلك الزمان من أحداثٍ يختزنها تعبير الفتن الوارد في متن النص . ففي رواية علي بن أبي حمزة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، في قوله عزوجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٥٤١ حـ ١٧ –

[2] الكافي : ج ٨ صـ ١٦٦ حـ ١٨١ –

[3] الكافي : ج ٨ صـ ٣٨١ حـ ٥٧٥ –

وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ﴾ ؟ قال ﷺ : [ألفِتَنُ في الآفاق ، والمسخُ في أعداء الحق][1] .

وعلى أثر الفِتَن تضيقُ الأرضُ على الناسِ بما رحبت ، وتكثر الشكوى ، وتزيد الأزمات والخطورة ، وتظهر أمورٌ تهتزُّ منها نفوس الناس ، في حين يكون الطغيان على نحوٍ شرسٍ إلى أن يأذن اللهُ للمهديِّ بالظهور . فإذا ظهر قائم آل محمَّد بدأت أولى التحوُّلات الكبرى التي تضيق معها الآفاق على أئمَّة الجور وقادة الطغيان ، وأباطرة التسليع السوقي وتجّار القيم ومخادعي الأمم .. ومهما يكن من أمر فإنَّ العالَم يشهد مرحلةً متصاعدةً من الضيق واليأس والإحباط ، سببهُ الملاحمُ والفتن والجشع الأممي وافتراس القوى وتوحُّشها بمستويات عنيفة ، وقد اشرنا إلى طوائف عديدة تشير إلى هذا النحو القاسي من العناء الذي يصيب البشر وعلى يدِ طغاة البشر وأباطرة القوى الظالمة .

وفي رواية مرفوعة إلى محمد بن جمهور ، عن السكوني ، عن أبي جعفر ﷺ قال : ﴿ حم ﴾ : حتمٌ ، و﴿ عين ﴾ : عذابٌ ، و﴿ سين ﴾ سنون كسِني يوسف ﷺ ، و﴿ قاف ﴾ : قذفٌ وخسفٌ ومسخٌ يكون في آخر الزمان بالسفياني وأصحابه ، وناسٌ مِن كلب ثلاثونَ ألف ألف يخرجون معه . وذلك حين يخرج القائم ﷺ بمكة ، وهو مهديُّ هذه الامة][2] . تأكيداً على هذا النحو الوارد أعلاه ، بالإضافة إلى الطائفة التي أشارت إلى تكاثر الفتن وتفشِّي المرض ، وتوسُّع رقعة الجوع ، وتنامي الأزمات ، وتداعي

---

[1] الارشاد : صـ ٣٥٩ –

[2] تأويل الآيات : جـ ٢ صـ ٥٤٢ حـ ٣ –

ضوابط الأمان في الأرض والإعتماد بشكلٍ متصاعدٍ على الفتك بالسلاح وفضّ النزاعات وتحقيق الأطماع بالإعتماد على الوسائل الحربيَّة .

وعليه : أكَّد لسان طائفة من النصوص أنَّ الناس يضيقون ممَّا هم فيه ، وينتظرون الفرجَ وتهتزُّ نفوسهم ممَّا يرون ، فإذا نادى المنادي في السماء بإسم المهدي عليه السلام لم يكن للناس حديث إلا بالمهدي عليه السلام ، إلا ان أباطرة الطغيان وزعامات الإضطهاد السياسي السوقي الإقتصادي العسكري وغيره يرون ضرورة حرف الناس عن النداء ، فيعمدون إلى استعمال كل طاقتهم الإعلاميَّة للتشويش على الصوت الأوَّل ومحاولة حرفِهِ ودسّ دعاية تشيرُ إلى السحر وشبه ذلك .

ثم يبدءُون بإعلانات الحرب في أوقاتٍ متنوّعة ، ويطبّقون سياسات واسعة للقضاء على جبهة المهدي عليه السلام في مهدها ، لكنّهم يصابون بفشلٍ ذريع . حيث تتابع دولة المهدي قيامها وثبوتها وتناميها ، وتوسُّع قطرها حتى تشمل الأرض قاطبةً . وفي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام : في قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ : [معرفة أمير المؤمنين عليه السلام والائمة ، ﴿ نزد له في حرثه ﴾ قال عليه السلام : نزيده منها ، قال : يستوفي نصيبه من دولتهم ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتِهِ منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ قال عليه السلام : ليس له في دولة الحق مع القائم عليه السلام نصيب][1] .

تأكيداً على الحتم الكامل لدولة المهدي عليه السلام التي تشمل مهد الإنسان أينما كان أو حلّ .

---

[1] الكافي : ج ١ ، صـ ٤٣٥ - ٤٣٦ ، حـ ٩٢ -

والنصوص شديدة الإتّفاق والكثرة والتواتر على انَّ الحكومة الإلهيَّة لا بدَّ أن تتجلَّى على يدِ المهدي عليه السلام في آخر الزمان . وانّ حكومة المهدي عليه السلام هي من مصاديق إتمام كلمة الله ، وإحقاق الحق بكلماته الواردة في نصٍّ القرآن . ففي رواية محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : في قول الله عزوجل : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى ﴾ : يعني في أهل بيته ، قال عليه السلام :

[جاءت الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : إنَّا قد آوينا ونصرنا ، فخُذ طائفةً من أموالنا فاستعِن بها على ما نابك . فأنزل الله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً ﴾ ، يعني على النبوة ، ﴿ إلا المودَّة في القربى ﴾ ، يعني في أهل بيته . ثم قال : ألَا ترى أنَّ الرجل يكون له صديق وفي نفس ذلك الرجل شيئ على أهل بيته فلا يسلم صدره ، فأراد اللهُ أن لا يكون في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله شيئ على (أمته) ، ففرض عليهم المودة في القربى ، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً ، وإنْ تركوا تركوا مفروضاً . قال : فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول : عرضنا عليه أموالنا فقال : قاتلوا عن أهل بيتي من بعدي . وقالت طائفة : ما قال هذا رسول الله ، وجحدوه وقالوا كما حكى الله : ﴿ أم يقولون افترى على الله كذباً ﴾ ، فقال الله : ﴿ فإنْ يشأ اللهُ يختم على قلبك ﴾ ، قال : لو افتريت ، ﴿ ويمحو اللهُ الباطل ﴾ ، يعني : يبطله ، ﴿ ويحقّ الحق بكلماته ﴾ ، يعني بالنبي وبالائمة والقائم من آل محمد ، ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾][1] . تأكيد مطلق على تحقُّقِ دولة المهدي وقيام أمر الله تعالى ، وقيمومة دولة الإسلام على يدِ المهدي عليه السلام . وبهذا يحق الحق بكلماته . وذيل النص شديد الوضوح ، بل فيهِ تأكيد على خصوصيَّة تسمية

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٢٧٥ –

المهدي (عليه السلام) بالقائم . إشارة إلى قيامه بدولة الحق وإظهار العدل وقيادة الأمَّة البشريَّة نحو كمالها المطلوب وفق منظومة السماء .

وفي كثيرٍ من المسموعات عن النبي وآله (عليهم السلام) تأكيد على انَّ المهدي (عليه السلام) آخذٌ بثأر الحسين ، منادٍ بالإسلام ، قائمٌ بأمر الله تعالى ، داعيةٌ للحق ، لا يقبل دون استقامة الأمم على العدل الرباني ، يعيد للبشريَّة وحدتها ويقودها إلى خير كمالاتها في ظل أعظم مسير وجودي .

وانَّهُ (عليه السلام) الذي ينتصر من المكذِّبين ، والظالمين والطغاة ، والمفسدين ، وأوَّل معركة تقع بينه وبين جبهة واسعة تكون بينه وبين السفياني الذي يرفع لواء بني أميّة ويعتقدهم تراثاً لرايته ، في حين يشكِّل أكبر راية تابعة للغرب الرومي في هذه المنطقة من أرض الشام التاريخيَّة . وفي رواية جابر ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِه ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [القائم (عليه السلام) وأصحابه . وعن قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ قال (عليه السلام) : القائم (عليه السلام) إذا قام انتصر من بني أمية والمكذِّبين والنصَّاب ، وهو قوله : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾][1] . أي هذا ممَّا تجري فيه هذه الآية ، ويكون من أبرز مصاديقها زمنيّاً يوم ظهور القائم وتوالي إنتصاراته التاريخيَّة الكبرى .

بحيث تعيش الأمم الظالمة والقوى المُفسِدَة مرحلةً من اليأس والذلِّ بعد إعلاناتها الحرب على المهديِّ وتداعي قواها . وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : [قوله عزوجل : ﴿ خاشعين من الذلِّ ينظرون

---

[1] فرات الكوفي : صـ ١٥٠ –

من طرف خفي ﴾ ، يعني إلى القائم عجَّلَ اللهُ فرجه][1] . تأكيداً لانتصاره ﷺ الذي يُذِلُّ الظالمين ، فضلاً عن عظمة دولتِهِ ، وشموخ أمرهِ وحكمه ، وانقياد العالم إليه ﷺ .. بل في كثيرٍ من المتون المنقولة تأكيدٌ على مركز الإمامة العظمى ومرجعيّتها الكبرى في الأمم البشريّة وضرورة ذلك ولزومه ، ثمّ بيان خاص في المهدي ﷺ الذي يقود حركة التغيير والإصلاح والتطبيق الكامل حتى تعم دولة الحق الإلهي جميع أرجاء المعمورة وأينما تصله يدُ الإنسان .

وأنَّ لأهل البيت ﷺ مركزاً حسَّاساً ، فلا يدخل مُبغِضُهُم الذي قامت الحجَّةُ عليه الجنّةَ وهو مبغضٌ لهم . وانّهم حججُ الله وأوصياءُهُ وبابُهُ الذي منه يُؤتى . وانّ المهدي خليفة الله في آخر الزمان يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً . ففي رواية أبي هريرة قال : سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن قوله عزوجل : ﴿ وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه ﴾ ؟ قال ﷺ :

[جعلَ الامامةً في عقب الحسين ﷺ ، يخرج من صلبه تسعةٌ من الائمة ، ومنهم مهديُّ هذه الامة . ثم قال ﷺ : لو أنَّ رجلاً ضعن بين الركن والمقام ثم لقي الله مبغضاً لاهل بيتي دخل النار][2] . تركيزاً على مقام الإمامة وتأكيداً على شرطِها في طاعة الله والخروج من تكاليفِهِ جنباً إلى جنبٍ مع القرآن الكريم . وقد تراكمت الآيات التي تختزنُ الدلالة على مقامِ الإمامة وعظمتِها ، وانها في الإثني عشر ﷺ ، وانّ التسعة من هؤلاءِ الإثني عشر من عقب الحسين ، وان المهدي ﷺ آخرهم ، خاتم الإمامة الذي يقيم دولة

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٥٥٠ ح ٣٠ –

[2] كفاية الاثر : صـ ٨٦ –

العدل الإلهي على الأرض . ففي رواية ثابت الثمالي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

[فينا نزلت هذه الآية : ﴿ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ . وعن قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : (هي) الامامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يوم القيامة . وإنَّ للقائم منَّا غيبتين ، إحداهما أطول من الاخرى .. وأمَّا الاخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الامر أكثرُ مَن يقولُ به ، فلا يثبت عليه إلا مَن قوي يقينُهُ وصحَّت معرفته ولم يجد في نفسه حرجاً ممَّا قضينا ، وسلم لنا أهل البيت][1] .

وعليه : الأمن الوجودي ، وتمام الصحّة ، وشرط الكفالة في الدنيا والآخرة ، للخروج من عهدة الخطاب الرباني يكمن في الإلتزام بأهل البيت عليهم السلام ، قرين القرآن ، وهما لا يفترقان حتى يردا الحوض على النبيِّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة . ثم يؤكِّد ذيل النص على أمر المهدي عليه السلام الذي له غيبتان ، واحدة تقع سبتاً من الزمن أي مدة غير محدّدة من الزمن ، والثانية تطول ، إلى أن يأذن اللهُ له بالخروج ، فإذا خرج عليه السلام أعلن أعظم حركة إصلاحيّة وفق معالم وقيم ومنظومة الإسلام ، فلا يتوفّاهُ اللهُ حتى يقيم دولة العدل الإلهي على كافّة أنحاء الأرض وأين تصل يدُ الإنسان .

وفي بعضها يشير الراوي إلى لغطٍ بين طبقةٍ من الناس ، يحاولون أن يشوِّشُوا موضوع سلالة الإمامة من خلال الخلط بين الحسين والحسين ، فيجيبهم الإمام بدليل القرآن ومفادِهِ ، وهم الراسخونَ في العالم

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣٢٣ بـ ٣١ حـ ٨ –

والأمناء على بيان مخزونه . ففي رواية جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : قلت له : يا ابن رسول الله ، إنَّ قوماً يقولون إنَّ الله تبارك وتعالى جعل الامامة في عقب الحسن والحسين ؟ قال عليه السلام :

[كذبوا والله ، أوَ لم يسمعوا اللهَ تعالى ذكره يقول : ﴿ وجعلها كلمةً باقية في عقبه ﴾ فهل جعلها إلا في عقب الحسين ! ثم قال : يا جابر ، إنَّ الائمة هم الذين نصَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله (عليهم) بالامامة . وهم الائمة الذين قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء وجدتُ أساميهم مكتوبةً على ساق العرش بالنور ، إثنا عشر إسماً منهم علي وسبطاهُ ، وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة القائم . فهذه الائمة من أهل بيت الصفوة والطهارة ، والله ما يدّعيه أحد غيرنا إلا حشرهُ اللهُ تعالى مع إبليس وجنوده . ثم تنفَّسَ عليه السلام وقال : لا رعى اللهُ هذه الامة ، فإنها لم ترعَ حقَّ نبيها ، أما والله لو تركوا الحقَّ على أهله لما اختلف في الله تعالى إثنان . . إلى أن قال : يا جابر مَثَلُ الامامِ مثل الكعبة إذ يُؤتَى ولا يأتي][1] .

أهميَّة هذا النص كغيرهِ من النصوص انّه يؤكِّد على طابع التسمية والإصطفاء والتعيين من قبل الله تعالى للأئمة ، ويحدِّد أسماءهم ، وبالتالي يدُ البشر مكفوفة عن تعيين أو تحديد مَن يكون الإمام . وإنّما الأمر لله تعالى الذي عيَّنَ الأئمّة الإثني عشر وحدَّدهم وبيَّن نسبهم ومَن يكونون . وهكذا فعل النبيُّ صلى الله عليه وآله فأخبر عن اللهِ تعالى مَن يكونون عليهم السلام ..

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٤٦ -

وفي رواية أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه ﴾ ؟ قال عليه السلام : [(هي) في عقب الحسين عليه السلام . فلم يزل هذا الامر منذ أفضى إلى الحسين عليه السلام ينتقل من والد إلى ولد ، لا يرجع إلى أخ ، ولا إلى عم ، ولا يعلم أنَّ أحداً منهم إلا وله ولد][1] . أي أمرُ الإمامة ومَن هو الإمام عنوانٌ معروف ، وصفةٌ مسبوقة ، وإسمٌ منصوب ، وشخصيَّة مشهورة في السماء قبل أن تكون مشهورة في الأرض ، فهم الإثنا عشر المنصوبون من الله تعالى ، بداءاً بعليٍّ وانتهاءاً بالمهدي عليه السلام . لا تغيير فيهم أو تبديل . وأنَّ الإمامة بعد الحسين في عقبه ، منهم يخرج تسع أئمة آخرهم المهدي عليه السلام ..

والنصوص التي تؤكِّد أنَّ الإمامة في عقب الحسين لا الحسن عليه السلام كثيرة جداً . وواردة عن طريق الفريقين . وعليه : المهدي عليه السلام هو من وُلد الحسين لا من وُلد الحسن عليه السلام . وهذا الأمر شديدُ الشهرة في لسان الصحابة والطبقات والرواة ، وأمر لا يحتاجُ إلى كثيرِ تفصيل . بل نقرأ في لسان بعض الرواة سؤالاً مفادهُ : لماذا جعلها اللهُ في عقب الحسين ولم يجعلها في عقب الحسن ، تأكيداً للمفروغيَّة الكاملة والإنطباع التام في ذهن الصحابة والرواة أنَّ الإمامة مجعولةٌ في عقب الحسين عليه السلام ..

ففي رواية المفضل بن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ما هذه الكلمات ؟ قال عليه السلام : [هي الكلمات التي تلقَّاها آدم عليه السلام من ربِّهِ فتاب اللهُ عليه ، وهو أنه قال : أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن

---

[1] الامامة والتبصرة : صـ ٤٩ بـ ٥ حـ ٣٢ –

والحسين إلا تُبتَ عليَّ . فتاب اللهُ عليه إنه هو التواب الرحيم . فقلت له يا ابن رسول الله ، فما يعني عزوجل بقوله فأتمهنَّ ؟ قال : فأتمهن إلى القائم اثني عشر إماماً ، تسعة من وُلدِ الحسين عليه السلام ، قال المفضل فقلت : يا ابن رسول الله ، فأخبرني عن قول الله عزوجل : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : يعني بذلك الامامة ، جعلها اللهُ تعالى في عقب الحسين إلى يوم القيامة . فقلت له : يا ابن رسول الله ، فكيف صارت الامامة في وُلدِ الحسين دون وُلدِ الحسن عليه السلام ، وهما جميعاً وَلَدَا رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسبطاهُ وسيِّدا شباب أهل الجنة ؟ فقال عليه السلام : إنَّ موسى وهارون كانا نبيَّينِ مُرسلين وأخوين ، فجعل اللهُ عزوجل النبوَّة في صلب هارون دون صلبِ موسى عليه السلام . ولم يكن لأحد أن يقول لِمَ فعل اللهُ ذلك ؟ وإنَّ الامامة خلافةُ اللهِ عزَّوجلَّ في أرضه ، وليس لأحد أن يقول : لِمَ جعله (جعلها) اللهُ في صلب الحسين دون صلب الحسن عليه السلام ، لأنَّ الله تبارك وتعالى هو الحكيم في أفعاله ، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون][1] .

وعليه : ما ورد عن بعض العامَّة من أنَّ المهدي عليه السلام من وُلد الحسن عليه السلام ويعنون به الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام واضح الإشتباه . بل عن طرقهم جاءت نصوص متنوِّعة ومتون متكاملة تؤكِّد أنَّ الإمامة في عقب الحسين لا الحسن عليه السلام . والنص الوحيد الذي ورد عند بعض العامَّة ويشير إلى انه مِن وُلد الحسن مع انه ضعيف السند لا بدَّ مِن حملهِ بوضوح على أبيه الحسن العسكري عليه السلام لا عمِّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . هذا ما يقتضيه قانون العلم التام . وعليه : فإنَّ موضوع أنَّ المهدي عليه السلام مِن وُلد الحسين بن علي ، وانه تاسعُ الأئمة مِن وُلد الحسين ،

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٥٨ بـ ٣٣ حـ ٥٧ –

أمرٌ تام وكامل ومتواتر . ثم تؤكِّد النصوص المُفَسِّرة أنَّ المهديَّ عليه السلام هو علامة الساعة ، أي قرينةُ قربها . وقد قال مقاتل بن سليمان ، ومن شايعه من المفسرين في تفسير قوله عزوجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال : [هو المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان . وبعد خروجه يكون قيامُ الساعة وأماراتها][1] .

أي يكون قريباً من الساعة ، أمَّا تحديدها زمنيَّاً فلا علم فيه إلا لله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ، لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧/٧﴾

نعم أشارت طائفة من النصوص أن بعثة النبيِّ صلى الله عليه وآله دليلُ قرب الساعة ، كذلك دون تحديد زمني ، وعلى هذا النسق أكَّدت طائفة من النصوص أنَّ خروج المهدي عليه السلام دليلُ قربِ الساعة ، وهذا يكون بالأولى ، ما دام انَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله دليلٌ على قربِ الساعة . وهو القائل صلى الله عليه وآله : بُعثتُ أنا والساعة كهاتين . أي يكون على نحوٍ متقاربٍ مع قيام الساعة . دون تحديد زمني .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال مجاهد : يعني نزول عيسى بن مريم قبل يوم القيامة][2] . أي يكون نزوله آية للساعة . وهذا ما نقله ابن أبي نجيح ، عن مجاهد عند قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾[1] .

---

[1] البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام : صـ ٥٢٨ بـ ٢٥ –

[2] تفسير مجاهد : جـ ٢ صـ ٥٨٣ –

وقد وردت مضامين هذه الرواية في أكثر من مصدرٍ ومتن . ففي رواية أبي يحيى مولى ابن عقيل الانصاري ، قال : قال ابن عباس : لقد علمتُ آيةً مِن القرآن ما سألني عنها رجلٌ قط ، فما أدري أعلمها الناسُ فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها ، ثم طفق يحدِّثُنا ، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناهُ عنها ، فقلت : أنا لها إذا راحَ غداً ، فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس ، ذكرتَ أمس أنَّ آيةً مِن القرآن لم يسألك عنها رجلٌ قط ، فلا تدري أعلمها الناسُ فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها ، فقلت أخبرني عنها ، وعن اللاتي قرأتَ قبلها ، قال :

نعم ، إنَّ رسولَ الله ﷺ قال لقريش : يا معشر قريش ، إنه ليس أحدٌ يُعبَدُ مِن دون الله فيه خيرٌ ، وقد عَلِمَت قريشٌ أنَّ النصارى تُعبُد عيسى بن مريم وما تقول في محمد ، فقالوا : يا محمَّد ، ألستَ تزعم أنَّ عيسى كان نبيَّاً وعبداً مِن عباد الله صالحاً ، فلئن كنتَ صادقاً فإنَّ آلهتهم لكما تقولون ، قال : فأنزل الله عزوجل : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ، قال : قلت : ما يصدُّون ؟ قال : يضجُّون . وعن قوله ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ ؟ قال : هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة][2] .

أقول : الإشارة إلى المسيح عيسى بن مريم هي من بابِ الإشارة إلى لازِم نزولِه ، وهو خروج المهدي عليه السلام أوّلاً ، ثم نزول المسيح ثانياً . تأكيداً على قربِ الساعة ، وانّ المهدي علامة وآية للساعة ، كما هي الحالُ في بعثة النبيِّ أنّه علامة عليها ، فباللأولى أن يكون المهدي وعيسى بن

---

[1] عبد الرزاق : - على ما في الدر المنثور ، مسند أحمد : ج ١ صـ ٣١٧ -

[2] جامع البيان : ج ٢٥ صـ ٥٤ -

مريم علامةً على ذلك . نعم أهميَّة ما ورد في هـذهِ المتـون يكمـن بالتأكيـد على عظمة المهدي عليه السلام الذي يتضمنه القرآنُ وتختزنُهُ معانيـه ، بـل بعـض الآيات لا يأتي تأويلها إلا في زمنه . وهذا من معاجز القرآن العظيم .

وفي رواية زرارة بن أعين قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عـن قـول الله عزوجل : ﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ ؟ قال عليه السلام : [هـي سـاعةُ القائم عليه السلام تأتيهم بغتةً][1] .

أي ظهور المهديِّ من أبرز العلامات على قـرب السـاعة . فـي حـين يشكِّل ظهور المهدي واحداً من مصاديق الساعة الموعودة بمفهوم الغيـب . أي مما يقع . في حين ساعة القيامة تشكل المصداق الأبرز والأعمـق للآيـة بمعنى القيامة .

---

[1] تأويل الآيات : جـ ٢ ، صـ ٥٧١ ، حـ ٤٦ –

ظهور الفتن قبل ظهور القائم المهدي عليه السلام
(نموذج قرآني)

أشارت النصوص المتعدّدة إلى انَّ زمن ما قبل الظهور تكثر فيه الفتن وتجتاحُهُ الأزمات ، ويكون المشرح الدولي عرضة لاهتزازات عنيفة مختلفة ، وفي بعضها إشارة إلى الجوع الأغبر ، والموت الأحمر ، تركيزاً منها على حروبٍ وفتنٍ وأزماتٍ متنوِّعة تنتقل من مكانٍ إلى آخر . وفي نصوص أخرى : تركيز على اليأس والإحباط الذي يصيب البشر ، بالإضافة إلى الجوى المحترق لحصول فعل استثنائي يكون من شأنه تحويل العالم عن سكَّته التوحشيَّة الخطيرة التي تقودها عربات كاسرة ، وأنياب قاتلة من أباطرة لا يهمُّهم إلا جمع الثروات ونهب الموارد واحتلال البقاع المختلفة وتسليع كل شيئ .

وتظلُّ الفتن تزحف بأشكالٍ مختلفة ، والجيوش تتشكَّل على نحوٍ يوائم فكرة الغزو والقتل والإبادة والإحتلال وشبه ذلك ، إلى أن يحصل في ذلك الزمن نحو من تطورٍ موصوف ، في نزول الجيوش أرض الجزيرة وقلب الشام ومنطقة العراق وشبه ذلك ، بحيث يبدأ معه ارتسام معالم الفصل الخاص ما قبيل الظهور . ففي رواية جابر الجعفي ، عن أبي جعفر قال عليه السلام :

[.. إلزم الارض ، لا تحرِّكنَّ يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علاماتٍ أذكرها لك في سنة . وترى مناديا ينادي بدمشق ، وخسف بقريةٍ من قراها ، ويسقط طائفةٌ من مسجدها ، فإذا رأيت الترك جازوها ، فأقبلت

التركُ حتى نزلت الجزيرة ، وأقبلت الروم حتى نزلت الرملة ، وهي سنة اختلاف في كلِّ أرضٍ مِن أرض العرب . وإنَّ أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : الاصهب والابقع والسفياني ، مع بني ذنب الحمار مضر ، ومع السفياني أخواله من كلب ، فيظهر السفياني ومَن معه على بني ذنب الحمار ، حتى يقتلوا قتلاً لم يقتله شيئ قط . ويحضر رجلٌ بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيئ قط ، وهو من بني ذنب الحمار ، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾][1] .

هذا النص يستحضر مشهداً فظيعاً من التطوُّرات السريعة التي يبدو أنّها تتسارع بشكلٍ مثيرٍ وتقع في سنةٍ واحدة أو وقت قصير ، وتتنوَّع فيها الجيوش ، وتتكاثرُ فيها القوى ، من شرقٍ وغرب ، ويكون مهدها بلاد الشام ونواحيها ، في ظلِّ اختلافٍ يطال كلَّ أرض العرب ، في حين تجوب جيوش الغزو والإحتلال مناطق واسعة من الأرض التي نصطلح على تسميتها اليوم بـ « منطقة الشرق الأوسط » ونواحيها ،

ويبدو مِن بطن ألفاظ هذا النص وغيره أنَّ فوضىً عارمة وصداماً قاسياً يبعث الأمم السياسيّة أو بعضها من موازين القوى القادرة آنذاك على تشكيل أحلاف حرب ، تترجمها من خلال بعث جيوشها إلى هذهِ المنطقة ، على انّ نزول الروم أو الترك بالإضافة إلى الجيوش الأخرى يعني صراعاً عسكريَّاً فظيعاً في منطقة الأوسط وبالأخص في منطقة الشام التاريخيَّة .

---

[1] العياشي : ج ١ ، صـ ٦٤ ، ح ١١٧ –

ينتج عن رسم هذا الوجود الجديد ولادة دولة السفياني المدعومة من الروم بشدّة ، فإذا قامت دولة السفياني اجتاحت الكور الخمس وسيطرت عليها . في ظل أسوأ وأخطر الإبادات والعنف والإعتماد على وسائل الحرب التدميريّة بالإضافة إلى إعلانات صارخة للإنتقام من أتباع آل رسول الله . إلا انَّ الروايات تشيرُ إلى خلافٍ يقع بين الروم والسفياني يجد السفاني نفسه في موقع يصرُّ فيهِ على مصالِحِهِ مقابل مصالح الروم ، بحيث يمتنع من ممارسة دور العميل أو الوكيل السياسي ويتعامل مع الروم من باب أنّه زعيم سياسي لهذه المنطقة ، ويختلف مع الروم على ثروةٍ في بطن الأرض مِن هذه المنطقة ، فيخوض معركة في منطقة قرقيسيا تتقاتل فيها ثلاث رايات ، تُهزمُ فيها الروم الموجودة هناك كما تُهزمُ الترك وينتصر السفياني . وهذا يعني تبدُّلات سريعة في موازين القوى الإقليميّة على الأقل .

على انَّ الآية التي تظهر في السماء ، بصوت جبرائيل الصارخ في السماء بظهور المهدي (عليه السلام) تُشكِّل الحلقة الإستثنائيَّة جداً التي يطرأ على أثرها تحوُّل جبّار . فالحجاز تكون في وضعٍ هش على أثر انقسام كبير ، لخلاف سياسي أو لموت خليفة أو لأسبابٍ أخرى . ينقسم الناس هناك ويصل الأمر إلى حدّ التهديد ثم الإنقسام العسكري . وتبدو منطقة الحجاز شديدة الإضطراب والهشاشة والإختلاف . ما يدفع السفياني للسيطرة على هذه المنطقة ، لكنّه يتفاجأ بالتحوُّل الهائل الذي يطرأ بعد الخسف الذي يطال جيشه الكبير في البيداء بعد أن ينتهي من غزو وفتح المدينة مُتَّجِهاً في البيداء نحو فتح مكَّة للقضاء على أولى نواة جبهة المهدي (عليه السلام) . ومنذ تلك اللحظة تبدأ معالم جبهة آل محمَّد التي تفتح المدن وتسير في ركب الأرض حتى تقيم العدل الأعظم .

المهدي عليه السلام أمين الله تعالى
(نموذج قرآني)

تفيد طائفة واسعة من النصوص رفعَةَ مقام المهدي عليه السلام على نحوٍ من أنحاء الوصف الخاص الذي يُحلّ المهدي عليه السلام محلّاً يدلُّ على خلافتِه الكبرى لله على أرضه تعالى ، كما هي حالُ آباءِه ، وهم أوصياءُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله .. ففي رواية عبد الله بن مسكان ، عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله ، وأبي الحسن عليهم السلام في قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ؟ قالوا عليهم السلام : يعني القرآن . ﴿ في ليلة مباركة إنَّا كُنَّا منذرين ﴾ ؟ : هي ليلة القدر ، أنزل اللهُ القرآنَ فيها إلى البيت المعمور جملةً واحدةً . ثم نزل من البيت المعمور على رسولِ الله صلى الله عليه وآله في طول (ثلاث و) عشرين سنة . ﴿ فيها يُفرَقُ ﴾ ؟ : في ليلة القدر . ﴿ كلُّ أمرٍ حكيم ﴾ : أي يقدِّرُ اللهُ كلَّ أمرٍ مِن الحقِّ ومن الباطل وما يكون في تلك السنة ، وله فيه البداء والمشيَّة ، يقدِّم ما يشاء ، ويؤخِّرُ ما يشاء مِن الآجال والارزاق والبلايا والاعراض والامراض ، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء ، ويلقيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ويلقيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الائمة عليهم السلام ، حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان عليه السلام ، ويشترط له ما فيه البداء والمشية والتقديم والتأخير][1] .

---

[1] القمي : ج ٢ ، صـ ٢٩٠ –

هذا متن مُشبَع بالإشارة إلى القداسة وعلو الرتبة ، والدور الرفيع الذي امتاز بهِ أهل البيت . والمهدي عليه السلام منهم . بحيث يشكِّل المهديُّ عليه السلام العنوانَ الأبرزَ من معاني خليفة الله يوم ظهورِهِ ، لما تعنيه إمامتُهُ ، بل يشكِّل المعنى التحقُّقي لدولة العدل الإلهي الأعظم . وفي رواية مثنى الحناط قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : [أيَّام الله عزوجل ثلاثة : يومَ يقومُ القائم ، ويوم الكرَّة ، ويوم القيامة][1] .

أي هذه من أيَّام الله تعالى الموصوفة ، الأيّام التي بها يتحقّق النحو العظيم من مظاهر الحقِّ الأكبر ، يوم قيام المهدي وتحقق دولة الإسلام الكبرى ذات الشمول العالمي ، ويوم الرجعة بما تعنيه من إعادة تجسيد انتصار أئمة الحق على أئمّة الطغيان والفساد . بالإضافة إلى يوم القيامة ، يوم الحقّ الأعظم ، يوم الفصل الذي يشكِّل أكبر وأعظم مفصل في تاريخ الإنسان .

فإذا قام المهديُّ حقَّقَ قيامَ أعظم دولة ، تضمن الأمن والأمان والسِّلم والسلام وقيادة البشر على نحوٍ مذهلٍ من ضمانات وكفالة الوجود . وفي قول مجاهد ، في قوله عزوجل : ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ : [يعني حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيُسلِم كلُّ يهودي وكلُّ نصراني وكلُّ صاحب ملة ، وتأمن الشاة الذئب ، ولا تقرض فأرة جراباً ، وتذهب العداوة من الاشياء كلها ، وذلك ظهور الاسلام على الدِّين كله][2] . أقول : ما أشار إليه مجاهد إذا كان المقصود بهِ فترة ما من الزمن بعد

---

[1] الخصال : صـ ١٠٨ حـ ٧٥ –

[2] السنن الكبرى للبيهقي : جـ ٩ ، صـ ١٨٠ –

انتصار المهدي (عليه السلام) فهذا صحيح ، نعم قبله يؤمن طوائف من النصارى واليهود ، لكنّ الروم المسيحيّة والدجّال اليهودي يخوضان معارك عنيفة مع جبهة المهدي (عليه السلام) تنتهي بانتصار ساحق لجبهة المهدي (عليه السلام) ..

أمَّا ما اشار إليه مجاهد من موضوع نزول عيسى بن مريم (عليه السلام) ، فهو صحيح أيضاً ، لكنَّ نزول عيسى يكون بعد ظهور المهدي (عليه السلام) ، وكان الأولى به أن يشير إلى ذلك لما تواتر فيه النصُّ عند كلِّ علماء المسلمين ، لكن يبدو ان البعض آثر أن ينقل بعض المتون المقطوعة التي تشير إلى عيسى دون أن تشير إلى الأصل وهو ظهور قائم آل محمَّد المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ..!

ومهما يكن من أمر فإنَّ دولة الحق الإلهي وحكومة العدل الإلهي تتجلَّى على يدِ المهدي (عليه السلام) باتِّفاق كل علماء المسلمين بجميع فرقهم . وأنّه الأصل الذي تتبعهُ الأمور الأخرى من نزول المسيح (عليه السلام) الذي يُصلِّي خلف المهدي (عليه السلام) ويكون منه في موقع وزير دفاع جبهة المهدي (عليه السلام) .

على انَّ ظهور مولانا المهدي (عليه السلام) قائمٌ على شروطٍ ومواصفاتٍ لا بدَّ أن تتحقَّق ، وهي حتمٌ واقعٌ بأمر الله تعالى ، فإذا ظهر قَتَلَ الطغاة والمفسدين وأقام شريعة الحقِّ والدِّين . وفي رواية عبد الله بن الحسين ، عن بعض أصحابه ، عن فلان الكرخي : قال : قال رجل لأبي عبد الله (عليه السلام) : ألم يكن عليٌّ قويَّاً في بدنه ، قويَّاً في أمر الله ؟ قال له أبو عبد الله (عليه السلام) : بلى ، قال له : فما منعه أن يدفع أو يمتنع ؟ قال (عليه السلام) : [قد سألتَ فافهم الجواب : منع عليَّاً من ذلك آيةٌ من كتابِ الله ، فقال : وأيُّ آية ؟ فقرأ (عليه السلام) : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ إنه كان لله ودايع مؤمنون في أصلابِ

قومٍ كافرينَ ومنافقين[1] ، فلم يكن عليٌّ عليه السلام لِيَقتُلَ الآباء حتى تخرجَ الودايعُ ، فلما خرجَ ظهرَ على مَن ظهر وقتله ، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبداً حتى تخرج ودايعُ الله . فإذا خرجت يظهر على مَن يظهر فيقتله][2] . إشارة إلى واحدةٍ من الشروطِ المنتَظرة ، على انّ هذهِ واحدة من الشروط التي لا بدَّ أن تتحقَّق .

وفي رواية محمد بن أبي عمير ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له : ما بالُ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الاول ؟ قال عليه السلام : [لآيةٍ في كتاب الله تعالى : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ، قلت : وما يعني بتزايلهم ؟ قال عليه السلام : ودائعُ مؤمنونَ في أصلابِ قومٍ كافرين ، وكذلك القائم عليه السلام لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائعُ اللهِ عزوجل ، فإذا خرجت ، ظهر على مَن ظهر من أعداء الله عزوجل فقتلهم][3] . تأكيداً لحتم الظهور الأعظم ، وضرورة تحقُّقِ الشرط ، والشرطُ للظهورِ متنوِّعٌ بين خاص وعام ، وكلّه يقع ويكون الظهور المبارك .

وفي طائفة واسعة من النصوص تأكيد على انّ المهدي عليه السلام من نور الله تعالى ، وانّه حجّتُهُ على الخلق ، وخليفتُهُ الذي يعذِّب به الظالمين ، وانّه الإمام الذي يقود دنيا الإنسان إلى أعظم كمالاتها وفق المفهوم الوجودي العظيم .

---

[1] مجموع الآية كذلك : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥/٤٨﴾

[2] القمي : ج ٢ صـ ٣١٦ –

[3] كمال الدين : ج ٢ ، صـ ٦٤١ ، حـ ٥٤ –

وفي غيرها ما تهتزُّ منه النفوس ، وما يؤكِّد طابع العظمة الأكبر في مخزون القرآن الكريم ، وما يعنيه من مصاديق انطباقيَّة في محطّات الزمن ، ففي رواية محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ يُرِيدُون لِيُطفِئُوا نورَ الله بأفواههم ﴾ ؟ قال عليه السلام :

[يُريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم . قلت : ﴿ والله مُتمٌّ نوره ﴾ ؟ قال عليه السلام : واللهُ مُتمٌّ الامامة لقوله عزوجل : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ ، فالنور هو الامام . قلت : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ﴾ ؟ قال عليه السلام : هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيِّه ، والولايةُ هي دينُ الحقِّ . قلت : ﴿ لِيُظهِرَهُ على الدِّين كلِّه ﴾ ؟ قال عليه السلام : يظهره على جميع الاديان عند قيام القائم عليه السلام ، يقول الله : ﴿ واللهُ مُتمُّ نوره ﴾ ، (أي) : ولاية القائم ، ﴿ ولو كَرِهَ الكافرون ﴾ بولاية عليٍّ عليه السلام ..][1] .

هذه المصاديق الرفيعة تشكِّل معنىً من معاني المخزون القرآني الذي مثَّلَ العمق الإعجازي المذهل في القرآن الكريم . هذه المصاديق تشيرُ إلى طابع الإرتباط النهائي الضخم بين القرآن والعترة عليهم السلام .. وهي كما تراها شديدة الظهور والوضوح في لسان مصاديقها ودلالتِها عليهم . وفي بعض التفسيرات الصادرة عن لسان أهل البيت عليهم السلام الراسخين في العلم ، بل عن النبيِّ صلى الله عليه وآله ومكنون ما ورد عن صحف النبيين السابقين عليهم السلام ما يؤكِّد طابع الرفعة المذهلة لمخزون آيات القرآن وما تنطبق عليهِ من أعماقٍ ودلالات ، حتى انَّ ظاهر الآية يختزن من المعاني التي لها شواهد مذهلة ما تهتزُّ منه النفوس . حتى انّ الآية تبدو في السطح غنيَّة في كليّاتِها وتحتاجُ إلى مفاتيح

---

[1] الكافي : ج ١ ، ص ٤٣٢ ، ح ٩١ –

بياناتِها وأعماقها ، وهذا امرٌ توقيفي على أهل الرسوخ في العلم الذين قرن اللهُ بهم القرآن وجعلهم ادلّة على أعماقه ، تجدها عبر النصِّ شديدة الإعجاز في ورودها بمصاديق الزمن ومحطّات الأيّام والحوادث العظيمة ، منها ما رواه ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ ؟ قال : [هو خروج المهدي عليه السلام][1] .

أي يُشَكِّلُ المهديُّ عليه السلام زرقَ الأمة البشريَّة الأعمق والأهم آنذاك فهو الذي ينقذها من الضلالةِ إلى الهدى ، ومن الظلامِ إلى النور ، ومن الإنزلاقِ إلى الجادّة ، ومن الهاويةِ إلى محطّات الوجود العظمى والأكمل في طول مسيرة التتابع الوجودي الذي يأمن معه ركبُ البشر وصولاً إلى القيامة وما يتبعها من مفترقٍ للأمم . فإذا قام المهديُّ عليه السلام أَمِنَ الناسُ ، وعمَّت مواثيقُ الهدى ، وسار الموكبُ الوجودي على نحوٍ متناسقٍ مذهلٍ مع أُفق البشر نحو الكمالات الأخلاقيَّة والنظم الإنسانية في ظل وئام طبيعي كوني يشكِّل المفصل الأعظم في تلك الحقبة من الزمن .

وعن قيام القائم عليه السلام من آل محمَّد قال إبن عبَّاس : فيه نزلت : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ قال : نزلت في المهدي عليه السلام][2] .

وعمَّا تجري فيه هذه الآية : ﴿ أينما تكونوا يأتِ بكم اللهُ جميعاً ﴾ - أي ممَّا رُوِي من مصاديقها ودلالة معانيها - قال ابن عباس : قيام

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٠٩ -

[2] غيبة الطوسي : صـ ١١٠ - .

القائم عليه السلام . وأيضاً من معانيها كما قال : [أصحاب القائمِ عليه السلام ، يجمعهم الله في يوم واحد][1] .

وفي غيرها من الآيات إشارةٌ إلى التنوُّع المصداقي اللازِم المتَّصل بدلالتِها ، الحامل لأعظم معاني الإعجاز في طيَّات هذا القرآن ممَّا يكون في الزمن من الأحداث العظام ، ففي رواية محمد بن علي الهمداني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [أللية التي يقوم فيها قائم آل محمد ينزل رسولُ اللهِ وأمير المؤمنين وجبرئيل على حراء ، فيقول له جبرئيل : أجب ، فيخرج رسولُ اللهِ رقَّاً مِن حجزة إزارِهِ فيدفعه إلى علي عليه السلام فيقول له أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا عهدٌ مِن اللهِ ورسوله ومِن علي بن أبي طالب لفلان بن فلان باسمه واسم أبيه (أي للمهدي عليه السلام) وذلك قول الله عزوجل في كتابه : ﴿ وَالطُّورِ ﴿١/٥٢﴾ وكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢/٥٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣/٥٢﴾ ، وهو الكتاب الذي كتبه علي بن أبي طالب ، والرق المنشور : الذي أخرجه رسولُ اللهِ من حجزة إزاره ، قلت : والبيت المعمور ، وهو رسولُ الله ؟ قال : نعم ، المُملي رسولُ الله ، والكاتبُ عليٌّ][2] .

إشارة إلى واقعةٍ جليلة تحصل ، يكون عناصرُها جبرائيل عليه السلام والنبيُّ محمّد صلى الله عليه وآله ، والإمام علي عليه السلام ، بأمرٍ من اللهِ تعالى ، يُجسِّدون واحدةً كبرى من مصاديق قول الله تعالى حول الرقِّ المنشور في آخر الزمان ، ليكون واحداً من علامات الرعاية الربانيَّة لظهور المهدي عليه السلام .. وتشيرُ بعضُ النصوص إلى بقاعٍ محدّدة - دون حصر - يبدو من لسانِها

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١١٠ -

[2] دلائل الامامة : صـ ٢٥٦ -

الشمول قياساً على الوضع اللغوي ، فيما تبدو منصرفة عن الشمول بقانون الإستعمال والإنصراف بدلالة الوارد من النصوص التي تؤكّد على انصراف العذاب أو اللعن إلى الطغاة والظالمين أو إلى قائدٍ ظالمٍ حاكمٍ طاغٍ أو جماعة محتلّة أو تنظيم منحرف أو ما هو متّصف بعنوان من عناوين خارجة على حدِّ الشريعة . فقد ورد في القمّي : وقوله : ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ ؟ قال : المؤتفكة البصرة ، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : [يا أهل البصرة ، ويا أهل المؤتفكة ، يا جندَ المرأة وأتباع البهيمة ، رغا فأجبتم ، وعقرَ فهربتم ، ماؤُكم زعاق ، وأحلامكم رقاق ، وفيكم ختم النفاق ، ولُعنتُم على لسان سبعين نبيّاً . إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنَّ جبرئيل عليه السلام ، أخبره أنه طُوِيَ له الارض فرأى البصرةَ أقرب الارضين من الماء ، وأبعدها من السماء وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال ، المقيم فيها مذنب ، والخارج منها (متدارك) برحمة ، وقد ائتفكت بأهلها مرتين ، وعلى اللهِ تمامُ الثالثة وتمام الثالثة في الرجعة][1] .

إشارة إلى خصوص الظالمين سواء كانوا كثرةً أم قلّة . وبالتالي هي منصرفة عن أهل الحق والإلتزام بالشريعة أينما سكنوا وحلّوا . وواضح من لسانها أنّها ناظرة إلى فئةٍ محدّدة تكون على نحوٍ معاندٍ لأهل الحقِّ والإمامةِ ، وفي التاريخ أمثلة عن الذين أعلنوا العداء لأهل البيت من هذهِ المنطقة ، فالمتن ناظرٌ إلى مثل هذه الصفات .

على أنَّ ما قبل زمن الظهور تتلاحمُ الأمم على شهوة البطن والفرج والسلطان والثروات وأشباهها . وسط عالمٍ مفترسٍ وأممٍ كاسرة ، وأباطرة

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٣٣٩ –

لا يهمّهم إلا إشباع النَّهم الفظيع الذي لا ينقطع بضغط الغريزة وشهوة سفك الدماء ونهب الثروات .. وفي طائفة من النصوص إشارة إلى ملاحم الدم وإبادة الأمم وافتراس البشر بشكلٍ تهتزُّ منه النفوس ، نزولاً عند مواثيق وقيم جشعة استنزافيّة بالمطلق ، تسلِّع كلَّ شيئ ، شديدة العمى عن مفهوم الوجود وشراكة الكون في مسيرة الإنسان .

وعليه : لا يكون همّ أباطرة العرش السياسي أو السوقي إلا اعتماد أدوات الإستنزاف والنهب والقتل لتحقيق غايات لا تعدوا المقصد الغريزي الهابط على ركامٍ هائلٍ من جثث البشر وأشلاء الأمم . وفي بعضها وصفٌ لما يجري في العراق والأطراف من قتلٍ وإبادة واصطلامٍ واصطدام ، وما يصيبُ أرض الشام وغيرها من هول الجيوش وأشباهها ، والجهات التي تزحفُ منها جحافل القتل والقتال من النواحي القريبة والبعيدة . ففي رواية علي بن إبراهيم بن مهزيار[1] - في حديث طويل يقصُّ مشاهدته صاحبَ الزمانِ عليه السلام في غيبته - فيقول عليه السلام :

[.. يا ابن مهزيار ، كيف خلفت إخوانك في العراق ؟ قلت : في ضنكِ عيشٍ وهناةٍ ، قد تواترت عليهم سيوفُ بني الشيصبان . فقال عليه السلام : قاتلهم اللهُ أنَّى يؤفكون ، كأني بالقوم قد قُتِلُوا في ديارهم ، وأخذهم أمرُ ربهم ليلاً ونهاراً ، فقلت : متى يكون ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال عليه السلام : إذا حِيلَ بينكم وبين سبيلِ الكعبة بأقوام لا خلاقَ لهم ، واللهُ ورسولُهُ منهم براء ، وظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً ، فيها أعمدةٌ كأعمدةِ اللجين تتلألأ نوراً ، ويخرج

---

[1] أصل السند هكذا : قال في كمال الدين : وجدت في كتاب أبي رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن أحمد الطوال ، عن أبيه ، عن الحسن بن علي الطبري ، عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن مهزيار قال : سمعتُ أبي يقول : سمعت جدي :

السروسي (الشروسي) مِن أرمنية وآذربيجان يريدُ وراءَ الري الجبل الاسود المتلاحم بالجبل الاحمر ، لزيق جبل طالقان ، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية ، يشيبُ فيها الصغير ، ويهرم منها الكبير ، ويظهر القتلُ بينهما . فعندها توقّعوا خروجه إلى الزوراء ، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات ، ثم يوافي واسط العراق ، فيقيم بها سنة أو دونها ، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعةٌ مِن النجف إلى الحيرة إلى الغري ، وقعة شديدة تُذهَلُ منها العقول ، فعندها يكون بوارُ الفئتين ، وعلى الله حصاد الباقين . ثم تلا قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ ، فقلت : سيِّدي يا ابن رسول الله ، ما الامرُ ؟ قال عليه السلام : نحنُ أمرُ الله وجنودُهُ . قلتُ : سيِّدي يا ابن رسولِ الله ، حانَ الوقتُ ؟ قال عليه السلام : ﴿ اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمر ﴾][1] .

وكُنَّا قد عرضنا طائفة مِن النصوص تشيرُ إلى انَّ المهدي عليه السلام من علامات الساعة ، وطائفة نزَّلت ظهور المهدي منزلة مصداق الساعة ، أي الآية والدليل على قربها . نعم هو واحد من مصاديق الساعة الموعودة بالمعنى الأعم . وقد رُوِي في قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قال عليه السلام : [خروج القائم عليه السلام][2] .

أمَّا المتن العام من النص فهو يشيرُ إلى ظاهرة الفلتان الدولي ، والفوضى العالميَّة ، وتداعي الأمم ومراكز القوى المتنوِّعة إلى الحرب والفتن الحمراء ، فضلاً عمَّا يتضمّنه من ملازمة الجوع الأغبر ومعانيه التي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٦٥ ب ٤٣ حـ ٢٣ -

[2] القمي : ج ٢ صـ ٣٤٠ -

تلازِم حرب الأمم وانقباضات الأمن الغذائي وكارثة الحرب المتنوِّعة التي يبدو انَّها تكون جزءاً من مفهوم الحرب الشاملة بالمعنى الذي يستغرق استعمال مجموعة واسعة من الأدوات القذرة لتحقيق غايات قذرة .

على انَّ زحف الجيوش إلى الحرب يشيرُ إلى تنوُّع الجهات ، وبضميمة طائفة أخرى من النصوص تؤكّد على طابع الزحف من الشرق والغرب ، ما يعني الإشارة إلى مفاد طائفة من المتون التي زخرت في الإشارة إلى حربٍ ضارية تخوضها قوى الشرق والغرب .

على انّ منطقة الشرق الأوسط وبالأخص منطقة الشام والعراق والأطراف وبلاد العرب تعيش مرحلةً فظيعةً من ضغط الحرب والفتن ونماذجها .. كل ذلك يكون في عالمٍ طاغٍ ، واستبدادٍ متصاعد ، وأباطرة يُنكِرُون حتى بديهيَّات الحقيقة في أصل المواثيق وضرورات النُّظُم وأشباهها . وقد ورد في القمي : قوله : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ ، قال : [الامامُ عليه السلام إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون][1] .

أي يُنكِرُه أباطرةُ القوى وأكاسرة المسرح الدولي وغيرهم الذين يسخرون من مواثيق الكون والسماء ، ويُصرِّونَ في وجه المهدي عليه السلام على ضرورة تسليع وتذويب كلِّ شيئ ، وتحويل القيم إلى مادَّة سباق وقتل وإبادة وحمم تكون القوَّة ميزانها شرعنتها وإعطاءها أوصافها التي تستحق ، وهذا أسوأ ما في الأمر .. عندها يعلنُ المهديُّ عليه السلام مواثيقَ السماء ، ويبدأ مرحلة التغيير الجبَّار ، ويسير بحركة الإصلاح الأعظم التي

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٣٤١ –

لا تتوقّف إلا وكون الإنسان خاشعٌ من عظمة الإمامة الخاتمة التي تقود الإنسان في أكبر ركبٍ متكاملٍ يجمع بين منطق السماء والأرض .

وفي طائفة أخرى تأكيد على طابع الخصوصيَّة المعرفيَّة التي أعطاها اللهُ للمهدي عليه السلام . وتكون واحدةً من الوظائف التي تميِّزُ المهديَّ عليه السلام في تلك الفترة من الزمن ، التي يتوقّف العدلُ الكوني فيها على ظهور القائم وقيادته للأمم إلى مستويات رفيعة من أمجاد الإسلام وحقيقة مواثيقه . فقد روى معاوية الدهني ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ؟ فقال :

[يا معاوية ما يقولون في هذا ؟ قال : قلت : يزعمون أنَّ الله تبارك وتعالى يعرف المجرمين بسيماهم يوم القيامة فيأمر بهم فيُؤخَذُ بنواصيهم وأقدامهم ويُلقون في النار . فقال لي : وكيف يحتاجُ الجبَّارُ تبارك وتعالى إلى معرفة خلقٍ أنشأهم وهو خَلَقَهُم ؟ فقلت : فما ذاك ، جُعلتُ فداك ؟ قال عليه السلام : ذلك لو قد قام قائمنا عليه السلام ، أعطاهُ اللهُ السيما ، فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ، ثم يخبط بالسيف خبطاً][1] .

هذا يؤكِّد خصوصيَّة موصوفة للمهدي عليه السلام . بالإضافة إلى بيان حقيقة نصرة المهدي عليه السلام وانهيار أركان الباطل ، وتبدُّد جمعِ الظالمين ، والخسارة العالميَّة لأباطرة الطغيان الذين يشكِّلون ميزان القوى ما قبل ظهور القائم عليه السلام .. ذيلُ النصِّ شديدُ الصراحة في الإنهيار الهائل الذي يصيب الظلمة والمفسدين ، وانّهم يُقتَلُون ، ويُذَلّون على يدِ المهدي الذي يقود الأمم إلى أعظم معالي العدل الإلهي . وفي رواية أبي بصير ، عن أبي

---

[1] بصائر الدرجات : صـ ٣٥٦ بـ ١٧ حـ ٨

عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [أللهُ يعرفهم ، ولكن نزلت في القائم عليه السلام يعرفهم بسيماهم ، فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً][1] .

بحيث يُشَكِّل هذا المتن بياناً تأكيديَّاً لوصف وجودي مستقبلي سيقع حتماً على يدِ المهدي عليه السلام في مواجهة قوى الطغيان الأممي وأشباهها الذين يُشكِّلون قبل الظهور مسار القوى ومعالم انحرافها الأخلاقي والقيمي والمعرفي في قيادة أمور البشر وإدارة شؤون الأرض بشكلٍ استبدادي عنيف .. وتشير النصوص انّ المهدي عليه السلام حين يظهر يبدو على فِرق العالم أنَّ قلوبها قست حين طال عليها الأمد ، فيدعوهم إلى دين الله ومواثيق السماء فيرفض الكثير منهم ويُعلن الحرب على المهدي ، فيأخذهم اللهُ بعذابٍ أليمٍ على يدِ القائم عليه السلام . وفي رواية أحمد بن الحسن الميثمي عن سماعة وغيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [نزلت هذه الآية في القائم عليه السلام : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾][2] .

يدعوهم المهديُّ عليه السلام فيرفض كثيرٌ منهم لقساوة قلوبهم وتحوُّل قيمهم وتساقطها وانغماسهم في نفق المادّة وشهوة البطن والفرج وحوافز التسليع الذي أعدَمَ فيهم قيمة النظر إلى الأفق ومعالم السماء . وأصل الآية في القرآن هو كالتالي : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

---

[1] النعماني : صـ ٢٤٢ بـ ١٣ حـ ٣٩ –

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٦٦٨ بـ ٥٨ حـ ١٢ –

قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، ورغم الآيات المعجزات ، والبراهين الساطعات التي تمتلأ سماء كون الإنسان قبيل الظهور تصرُّ فرقٌ كثيرة من البشر على الرفض ، بل تعلن بعضُها الحروب الضارية في وجه المهدي عليه السلام ، فيسحقها عليه السلام ويُسقط أمرها ويبدأ أعظم هيكلة للوجود وفق قيم الإسلام ومنطق الشريعة ..

وبذلك تشهد الأرض أعظم مظاهر الحياة في تلك الحقبة من الزمن . وهذا مورد مدلول القرآن الذي تبطّن الإشارة إلى موت الأرض بموت العدل والحقِّ فيها ، وإلى حياة الأرض بحياة العدل السماوي فيها . ففي رواية مؤمن الطاق ، عن سلام بن المستنير ، عن أبي جعفر عليه السلام ، في قول الله عزوجل : ﴿ إعلموا أنَّ الله يُحيي الارضَ بعد موتها ﴾ ؟ قال عليه السلام : [يحييها اللهُ عزوجل بالقائم عليه السلام ، بعد موتها ، بموتها : كفر أهلها ، والكافر ميت][1] .

فما أعظم هذا التعبير وأدقَّه .. النصُ يؤكِّد على مظهرٍ هائل من مظاهر الحياة الذي يعني المشاركة بين الكون والإنسان ، بين الطبيعة والبشر ، بحيث تتم مواكبة الكون ومعالم الوجود لدنيا الإنسان الذي ينقاد لأعظم دولة وأكبر سلطان إمامي في تلك الفترة التاريخيَّة جداً من زمن الإنسان . وفي متنٍ شامل يؤكِّد طابع قساوة القلوب زمن الغيبة ، ثمَّ حياة الأرض بظهور قائم آل محمَّد عليه السلام ، بحيث تشعر معه عظمة المرحلة التحوُّليَّة الضخمة زمن الظهور الشريف . فقد روى الحسن بن محمد بن سماعة عن أحمد بن الحسن الميثمي عن رجلٍ مِن أصحاب أبي عبد الله

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٦٦٨ ب ٥٨ ح ١٣ -

جعفر بن محمد ﷺ أنه قال : سمعته يقول : [نزلت هذه الآية : ﴿ ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾ ، في أهل زمان الغيبة . ثم قال عزوجل : ﴿ إنَّ اللهَ يُحيي الارضَ بعد موتها ، قد بيَّنا لكم الآيات لعلَّكم تعقلون ﴾ . وقال : إنَّما الامد أمد الغيبة ، فإنه أراد عزوجل : يا أمَّة محمد أو يا معشر الشيعة ، لا تكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد ، فتأويل هذه الآية جاء في أهل زمان الغيبة وأيامها دون غيرهم من أهل الازمنة . وإن الله تعالى نهى الشيعة عن الشك في حجَّة الله تعالى ، أو أن يظنوا أن الله تعالى يُخلِّي أرضه منها طرفة عين ، كما قال أمير المؤمنين ﷺ في كلامه لكميل بن زياد : « بلى أللهم لا تخلو الارض من حجة الله ، إما ظاهر معلوم أو خائف مغمور ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته » ، وحذرهم من أن يشكُّوا ويرتابوا ، فيطول عليهم الامد فتقسو قلوبهم . ثم قال ﷺ : ألَا تسمع قوله تعالى في الآية التالية لهذه الآية : ﴿ إعلموا أنَّ اللهَ يُحيي الارضَ بعد موتها ، قد بيَّنا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ ، أي يحييها اللهُ بعدل القائم ﷺ عند ظهوره بعد موتها بجور أئمَّة الضلال][1] .

بحيث يُشكِّل قيامُ القائم ﷺ المرحلة الأهم في حياة البشر ، والعنوان المركزي في التحوُّلات الكبرى ، والعلامة على فرج الوجود ، وبداية المسير الأكبر نحو الساحِ الأعظم . ولقد كان إبن عباس يقول في قوله تعالى : ﴿ إعلموا أنَّ الله يُحيي الارضَ بعد موتها ﴾ : [يعني يُصلِحُ (اللهُ)

---

[1] النعماني : صـ ٢٤ –

الارضَ بقائمِ آل محمد (عليه السلام) من بعد موتها . يعني مِن بعد جور أهلِ مملكتها . ﴿ قد بيَّنَّا لكم الآيات ﴾ : بقائم آل محمد ، ﴿ لعلكم تعقلون ﴾][1] .

بحيث يُشكِّل قيامُ المهدي (عليه السلام) الضرورة الحتمية لإقامة العدل الإلهي وصلاح الأرض بإذن الله تعالى . وعليه : يصبح لِعالَمِ الغيبة ومفهوم الإنتظار أعظم جدوى ، وأكبر صفة لا بدَّ فيها من إعلان الولاء للإسلام ، والعمل لإقامة ما أمكن من مواثيقِه ، وتطبيق ما أمكن من قوانينه ، وتهيئة النفوس والظروف لتلك اللحظة العظيمة . وفي رواية الحرث بن المغيرة قال : كُنَّا عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال :

[العارف منكم هذا الامر ، المنتظر له ، المحتسب فيه الخير ، كمَن جاهد - واللهِ - مع قائم آل محمد (عليه السلام) بسيفه . ثم قال الثالثة : بل واللهِ كمَن استشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فسطاطه . وفيكم آية من كتاب الله . قلت : وأي آية جُعلتُ فداك ؟ قال : قول الله عزوجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ، ثم قال : صرتم واللهِ صادقين شهداء عند ربكم][2] . إشارة إلى عظيم أمر الغيبة للصابر فيها ، القائم على أمر الإسلام ، المُضحِّي لتثبيت قوام الشريعة ، الباذل ما أمكن لتهيئة ظروف ثباتِها وقيامها واستمرارها ، وصولاً إلى يوم الظهور الأعظم .

فمن انتظر الفرج ، وعمل بفقه الإسلام وقيم الشريعة ، وبذل ما أمكن لإقامة حكم الله ، وجاهد نفسه في البقاء على مواثيق الهدى ، ورفض الضلال ، كان كمَن قُتِل بين يدي رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) والقائم المهدي (عليه السلام) . ففي

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١٠٩ - ١١٠ -

[2] مجمع البيان : جـ ٩ صـ ٢٣٨ -

رواية الحسين بن أبي حمزة ، عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جُعلت فداك ، قد كبُرَ سنِّي ، ودقَّ عظمي ، واقترب أجلي ، وقد خفتُ أن يدركني قبل هذا الامر الموتُ . فقال لي : يا أبا حمزة ، أوَ ترى الشهيد إلا مَن قتل ؟ قلت : نعم جعلت فداك ، فقال لي : [يا أبا حمزة ، مَن آمن بنا وصدَّقَ حديثنا وانتظر (أمرنا) كان كمَن قُتِلَ تحت راية القائم ، بل واللهِ تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

تأكيداً على ضرورة الإلتزام العميق بمواثيق الهدى ومنظومة السماء ، وإعلان الإسلام قيمومةَ النَّفس والأهل والمال والولد والجماعة والإجتماع ما أمكن . والصبر على أذى الجرف الهائلِ من أهل الباطل زمن الغيبة ومواثيق الإنحراف التي تصرُّ على استئصال مفهوم الكون من جوهر الإنسان ، وتبتر صلة الوجود بين كائنات الوجود ، وتكسر عامل الموائمة بين نماذج الخلق ، وتفصل الوجود البشري عن سائر الوجودات الطبيعيَّة الكونيَّة لتحيله أكلةً للغريزة وموقداً للشهوات ، مجرد مادَّة ثقيلة ، وطينة عمياء ..

والواجب : إقامة النفس والأهل والمال والولد والجماعة والإجتماع على نهج وقيم الإسلام ، والوقوف على شاطئ الوجوديَّة الكبرى ومعاني رسالة السماء التي تكفل مواكبة الكون للإنسان . وفي متون شديدة السطوح تأكيد مطلق على انّ نور الله يكمن في النبوَّة ، في الإمامة ، في إقامة الحق والعدل الإلهيين ، في قيادة البشر على نحوٍ من منظومة السماء ، أي تقع هذهِ المعاني منها موقع المصداق المشمول بدلالة الذكر الحكيم ، بدليل

---

[1] البشارات : على ما في تأويل الآيات . * : تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٦٦٥ - ٦٦٦ حـ ٢١ -

الراسخين في العلم المُوكَل إليهم بيان مخزون علم القرآن بنصٍّ النبيِّ ﷺ والسماء . وفي رواية محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ يريدون ليُطفئُوا نورَ الله بأفواههم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم (إشارة إلى مصداق عظيم مقصود لهذه الآية) ، قلت : ﴿ والله مُتمٌّ نوره ﴾ ؟ قال عليه السلام : والله مُتمٌّ الامامة ، لقوله عزوجل : ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ ، فالنور هو الامام . قلت : ﴿ هو الذي أرسل رسولَهُ بالهدي ودين الحقِّ ﴾ ؟ قال عليه السلام : هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيِّه هي دين الحق . قلت : ﴿ ليظهره على الدِّين كلِّه ﴾ ؟ قال عليه السلام : يظهره على جميع الاديان عند قيام القائم عليه السلام . يقول الله : ﴿ والله مُتمٌّ نوره ﴾ ، ولاية القائم ، ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ بولاية علي][1] .. وفي القمِّي قال : وردت (هذه الآية) بالقائم مِن آل محمد حتى إذا خرج يظهرهُ اللهُ على الدِّين كلِّه حتى لا يُعبَد غيرُ اللهِ ، وهو قوله : « يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً »[2] .

وعن قوله تعالى : ﴿ وأخرى تُحبّونها نصرٌ من الله وفتح قريب ﴾ ؟ ورد في القمِّي : [يعني في الدنيا بفتح القائم عليه السلام . وأيضا قال : فتح مكة . ولعل معناهُ سبب نزولها فتح مكة ، وتأويلها فتح العالم على يد المهدي عليه السلام][3] . أي لسان الآية يشمل فتح مكَّة ، كما يشمل مصداقاً بارزاً جدَّاً مقصوداً فيها هو فتح القائم المهدي عليه السلام للدنيا وإقامة العدل الإلهي فيها . وهذا نمط شائع وفيه تكمن أسرارُ الإعجاز القرآني التي تخشعُ أمامها العقول . فالآية نفسها

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٤٣٢ حـ ٩١ –

[2] القمي : ج ٢ صـ ٣٦٥ –

[3] القمي : ج ٢ صـ ٣٦٦ – .

تكون خزّاناً للعلم وبياناً لمصاديق كثيرة ، منها ما يكون سبباً للنزول ، ومنها ما تشملُهُ بدلالتِها في أزمانٍ كثيرةٍ إلى يوم القيامة . وهذا سرُّ إعجاز القرآن . نعم بيانُها المخزون في المضمون غير الظاهر لا يكون إلا على يدِ أهل العلم الراسخين الذين قرنهم اللهُ بالقرآن ، وهو الثقل الذي لا يفترق عن القرآن إلى قيام يوم الدِّين بنص النبيِّ ﷺ واتّفاق جميع مِلَل المسلمين . بل لم يخرج النبيُّ ﷺ من الدنيا حتى ألزم رقاب أهل الدنيا حقَّ طاعة أهل البيت عليهم السلام الذين يُشكِّلون العمق لأكبر من مفهوم الإستخلاف وقيادة الأمم إلى موكب النور الأعظم بعد وفاة النبيِّ ﷺ ..

وفي رواية الحسين بن نعيم الصحاف قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام - إلى أن قال - : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [. . أمَا واللهِ ما هلك مَن كان قبلكم ، وما هلك مَن هلك حتى يقوم قائمنا عليه السلام ، إلا في ترك ولايتنا وجحود حقِّنا . وما خرج رسولُ الله ﷺ مِن الدنيا حتى ألزم رقاب هذه الأمة حقَّنا : ﴿ والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم ﴾][1] .

بل عدَّد النبيُّ ﷺ على الأمَّة أسماءَ الأئمَّة الإثني عشر عليهم السلام الذين يُشكِّلون الحججَ الكبار التي لا تخلو الأرض مِن واحدٍ منهم . وانَّ الثاني عشر هو المهدي عليه السلام الذي له غيبة طويلة ، يظهر على أثرها فيُقيم العدل الإلهي ويقود البشر إلى أعظم غايات الكمال الدنيوي والمسير الوجودي نحو مهد الساح المشهود . وفي رواية عبد الرحمن بن سليط قال : قال

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٤٢٦ حـ ٧٤ -

الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : [منَّا إثنا عشر مهديَّاً ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع مِن ولدي . وهو الامام القائم بالحق ، يُحيي اللهُ به الارض بعد موتها ، ويُظهِر به دينَ الحق على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . له غيبةٌ يرتد فيها أقوامٌ ويثبت فيها على الدِّين آخرون ، فيؤذون ويقال لهم : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ، أما إنَّ الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله][1] .

حتى في أحلك الظروف كانَ النبيُّ صلى الله عليه وآله يلتفتُ إلى اصحابِهِ يبشِّرهم بواحدةً من أعمق وقعات التاريخ ، ومظهرٍ من أعظم مظاهر التحوُّل الوجودي مؤكِّداً على طابع الإمامة الكبرى ، وسلسلة الإثني عشر ، وما يكون من امر المهدي عليه السلام الذي يقيم الحقَّ الإلهي في الأرض بعد جورٍ وظلمٍ وفسادٍ واضطهادٍ ، وبعد فِتَنٍ تُصيب الأمَّة البشريَّة ، يكون على أثرها اجتياحٌ هائلٌ للقيم ، وتساقطٌ مذهل لضوابط الأمن الوجود ، على ايدي جماعاتٍ تلتهم الدماء جشعاً لغريزتها ، وتقاتل الأرض بهدف نهب ثرواتها ، في ظلِّ جماعةٍ يتسافحون ، ويتسافدون كما تتسافد البعير ، لواطاً وسحاقاً واغتصاباً وتعرِّياً وسكراً وجشعاً للأرواح والثروات دون مانعٍ من ميثاق ، أو نورٍ من هداية ، أو مرشدٍ من قيم ..

في أحلك الظروف ، وفي مواقع تشير إلى تاريخيّة المواقف ، وجوهرِ لفتِ الأممِ إلى المستقبل الإفتراضي الحتمي الواقع كان النبيُّ صلى الله عليه وآله ومن دون سؤال يشيرُ إلى عالم الظهور وما يعنيه من قيام دولة العدل

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢١٧ بـ ٣٠ حـ ٣ -

الإلهي العملاقة التي تحكم دنيا الإنسان على نحوٍ مذهلٍ من ضوابط الأمن الوجودي الكامل .

يروي أبو عبيدة بن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن جدِّه عمار قال : كُنتُ مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، وقد قَتَلَ عليٌّ عليه السلام أصحابَ الألوية ، وفرَّقَ جمعهم ، وقَتَل عمرو بن عبد الله الجمحي ، وقَتَل شيبة بن نافع ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت له : يا رسولَ الله ، صلَّى الله عليك ، إنَّ عليَّاً قد جاهدَ في الله حقَّ جهاده . فقال ﷺ - في حديث طويل ورد في فضل علي عليه السلام - :

[.. يا عمَّار ، إنَّ الله تبارك وتعالى عهد إليَّ أنه يخرجُ من صلب الحسينِ تسعةٌ ، والتاسعُ من وُلده (المهدي عليه السلام) يغيبُ عنهم ، وذلك قوله عزوجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ﴾ . يكون له غيبة طويلة يرجِعُ عنها قومٌ ويثبتُ عليها آخرون .

وأضاف ﷺ : فإذا كان في آخر الزمان ، يخرجُ فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، ويقاتِلُ على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل ، وهو سَمِيِّي وأشبهُ الناس بي . يا عمَّار ، سيكون بعدي فتنةٌ ، فإذا كان ذلك فاتَّبِع عليَّاً وحزبه][1] .

إشارة إلى الحقّانيّة الكبرى التي يمثِّلُها الإمام علي عليه السلام ، الذي منه تكون الإمامة وفي وُلدِه ، وعبر ولده الحسين يكون الأئمّة التسعة الذين آخرهم المهدي صانع الحركة التصحيحيَّة الكبرى في آخر الزمان ، الذي

---

[1] كفاية الاثر : صـ ١٢٠ -

يشكِّل المرجع الأخلاقي الأعظم ، والنموذج القيادي الربَّاني الذي تطيعُهُ الأرض ومعالم الكون ، والإمام الذي قرنَ اللهُ بهِ إتمام الدّين وإكمال النعمة وقيادة البشر إلى أعظم الكمالات في ظلِّ تأييد المولى عزَّ وجل .

بل في بعض النصوص تأكيدٌ على انّ المهدي عليه السلام هو ابرز معاني آيات قرآنيَّة لم يجئ تأويلها بعد . وهي تشيرُ إلى العمق المذهل في مفهوم القرآن ودلالتِهِ الإعجازيَّة الكبرى . ففي رواية أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ﴾ ؟ قال عليه السلام :

[هذه نزلت في القائم عليه السلام ، يقول : إنْ أصبح إمامكم غائباً لا تدرون أين هو ، فمن يأتيكم بإمامٍ ظاهرٍ يأتيكم بأخبار السماء والأرض ، وحلال الله عزَّوجلَّ وحرامه . ثم قال عليه السلام : واللهِ ما جاء تأويل هذه الآية ، ولا بدَّ أن يجيئ تأويلها][1] .

قيمة هذا الحديث في دلالتِهِ . وأبهى دلالتِهِ في تأكيده انَّ المهدي عليه السلام يُشَكِّل المقام الأرفع الذي يصل بين الأرض والسماء ، فهو الذي يأتي بأخبار السماء والأرض ، ويكفي فيهِ انّه من اهل البيتِ المنصوبين من قبل اللهِ تعالى ، المقرونين بالقرآن ، الذين يُشَكِّلون القرآنَ الناطق المُفَسِّر المبيِّن لمخزون القرآن وأحكام الشريعة . وهم الثقل المقرون بثقل القرآن لا ينفصلان ولا يفتقران حتى يردا الحوض على النبيِّ صلى الله عليه وآله يوم الدِّين . وفي رواية الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام : ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إنْ غاب عنكم إمامكم فمَن يأتيكم بإمام

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣٢٥ بـ ٣٢ حـ ٣ -

جديد][1] . إشارة إلى ضرورة الإمامة وشرطها الوجودي الآمن للبشر في معلم الهداية وطريق المسير . وكذا ورد في رواية علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ﴾ ؟ قال عليه السلام : [إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد][2] .

تركيزاً على موضوع الغيبة وصعوبتها على الأمَّة مع التأكيد على ضرورة الإمامة وعظيم أمرها للبشر والكون .. ثم يخرج عليه السلام على أثر تلك الغيبة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . على انَّ قيادته الأمم على العدل تكون بنحوٍ شمولي استغراقي ، بخلاف الفسق والجور والفساد الذي يشكِّل مظهر الأرض ما قبل الظهور لكنّه لا يكون شمولياً إستغراقياً كاملاً . حيث النصوص أكَّدت بقاء طوائف وأمَّة ، وبعض الألوية التي تنادي بالحق السماوي وبه تلتزم . والمتون في هذا الأمر شديدة الوضوح .

وتشيرُ بعض المتون إلى تكذيب قومٍ للإمام عليه السلام وإنكارهم له أن يكون من وُلدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله .! رغم الآياتِ والبيِّنات الكبرى . جحوداً من عند أنفسهم ، وإصراراً على الإرتباط بالطواغيت وأباطرة الزمان . إلا انَّ اللهَ يُتِمُّ نورهُ ولو كرهوا .

ففي رواية عبد الله بن بكير - رفعه - إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل : ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ﴾ ؟ قال عليه السلام : [يعني

---

[1] التحريف والتنزيل : صـ ٦٢ -

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٣٣٩ حـ ١٤ -

تكذيبه بالقائم عليه السلام إذ يقول له لسنا نعرفك ، ولستَ مِن وُلد فاطمة عليها السلام ، كما قال المشركون لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله][1] .

مع التأكيد على انَّ العالم بعد الصيحة من السماء بإسم المهدي عليه السلام يُدرك حقيقة الإعجاز السماوي المدهش ، والنصوص شديدة الوضوح في هذا المجال . فلا يبقى للناس حديثٌ إلا في المهدي عليه السلام ، وعلى الأثر تعمل القوى الجبَّارة للتشويش على هذا الصوت في اليوم التالي ، فتُجيِّش إعلامَها وأدواتِها المُضلِّلة بهدف إعداد العدَّة لإعلان الحرب على المهدي عليه السلام الذي نادت السماءُ به ، وفعلاً تتمُّ سلسلة إعلانات حرب على المهدي تبدأ بجبهة السفياني .

وفي بعض المتون إشارة إلى بعض مظاهر المواجهة التي تقع بين جبهة آل محمَّد وأعداءهم وقدرة جبهة المهدي عليه السلام على إنزال العقاب بالظالمين . فعند تفسير أبي جعفر عليه السلام لقوله تعالى ﴿ سأل سائلٌ بعذاب واقع ﴾ قال عليه السلام : إنَّما هي نارٌ تقع في الثوية ، ثم تمضي إلى كناسة بني أسد ، ثم تمضي إلى ثقيف ، فلا تدع وتراً لآل محمد إلا أحرقته][2] . إشارة إلى العذاب الواقع على يدِ المهدي عليه السلام ، بحيث تكون هذهِ واحدة من مفرداتِها المصداقيَّة في زمن التحوّلات العظمى على أيّام قائم آل محمّد عليه السلام .

وفي متنٍ آخر سُئِل أبو جعفر عليه السلام عن معنى قوله تعالى : ﴿ سأل سائلٌ بعذابٍ واقع ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [نارٌ تخرج من المغرب ، وملك يسوقها

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ ص ٧٧١ -٧٧٢ ح ١ –

[2] النعماني : ص ٢٧٢ ب ١٤ ح ٤٩ –

من خلفها حتى تأتي دار بني سعد بن همام عند مسجدهم ، فلا تدع داراً لبني أمية إلا أحرقتها وأهلها ، ولا دار فيها وتر لآل محمد إلا أحرقتها . وذلك المهدي (عليه السلام)][1] . هذه بطبيعة الحال تتضمَّنُ الإشارةَ إلى الحروب التي تقع بين جبهة المهدي وجبهات الظالمين . والتي أشرنا إليها فيما سبق .

ويخوض المهدي (عليه السلام) معارك ضارية في وجه الطغاة المستبدِّين الذين يتَوَالَون في سلسلة إعلانات الحرب على جبهة المهدي (عليه السلام) بهدف إجهاضِها في مهدها ومناطق وجودها الأولى ، لكنّهم يفشلون في ذلك . ويحقّق المهدي (عليه السلام) إنتصاراتٍ سريعة وواسعة ، تشكِّل أضخم تحوُّل في ميزان القوى آنذاك ، على أن يُتمَّ اللهُ له النصر فلا تجد الأعداءَ إلا أذلّةً خاسئين . وفي رواية ميسر عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عزوجل : ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، ذلك اليوم الذي كانوا يُوعَدُون ﴾ ؟ قال (عليه السلام) : [يعني يوم خروج القائم (عليه السلام)][2] .

حيث تتوالى الإنتصارات وتنهزم راياتُ الضلالة ، وتتشكَّل قيم الجماعة والإجتماع على نحوٍ من رفعة دينِ الإسلام .

وبذلك تتجلَّى دولة الإيمان ، أي دولة القرآن والعترة ، دولة الثقلين ، التي تشكِّل المصداق الأبرز من الطريقة التي تعبَّد اللهُ بها الناس . أي من بابِ النبوَّة والإمامة التي تقود البشر على هدي القرآن ومنظومة الإسلام . ففي رواية يونس بن يعقوب ، عمَّن ذكره ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ وأنْ لو استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهم ماءً غَدَقاً ﴾ ، قال (عليه السلام) :

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٣٨٥ - .

[2] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٢٦ ح ٧ -

[لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والاوصياء من وُلدِهِ عليهم السلام ، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم ﴿ لأسقيناهم ماءً غَدَقا ﴾ ؟ قال عليه السلام : لأشربنا قلوبهم الايمان ، والطريقة هي الايمان بولاية علي والاوصياء][1] .

تثبيتاً للوصف الضروري حول مفهوم دولة الإسلام والطاعة الربانيَّة وما يكون بهِ إكمال الدِّين وإتمام النعمة وحياة الأرض ومواكبة الكون لمسيرة الإنسان الوجوديَّة ، من باب قيادة الأمَّة البشريَّة آنذاك بهدي النبوّة والإمامة والقرآن . والموعد الأعظم يكمن في قيام القائم الذي يشكِّل التحوّل العالمي الأكبر . الذي يقود الأمم على نحوٍ من وجوديّةٍ تذهل الناظرين .

هناك يبطل الباطل ، ويعلو الحق ، وتتعاظم شعائرُ الإسلام . وتنهار دولة الظالمين ، وتتفسَّخ عروشُ الأباطرة ، أباطرة الشهوةِ والنزوةِ والنهب للثروات . هناك يرون مَن هو شر مكاناً وأضعف جنداً . ففي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ، إما العذاب وإما الساعة ، فسيعلمون مَن هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً ﴾ ؟ قال عليه السلام :

[أما قوله ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ ، فهو خروج القائم عليه السلام وهو الساعة . فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم مِن الله على يدي قائمه ، فذلك قوله ﴿ مَن هو شرٌّ مكاناً ﴾ : (يعني عند القائم) ﴿ وأضعف جنداً ﴾ . قلت : قوله : ﴿ ويزيد اللهُ الذين اهتدوا هدىً ﴾ ؟ قال عليه السلام : يزيدهم ذلك

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٢٢٠ حـ ٢ -

اليوم هدىً على هدى باتِّبَاعهم القائم عليه السلام حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه][1] . انّها شمس الهداية تحت ظلِّ القائم وما يتمُّ من تحقيق نتائج قيامِه وإعلان دولتِهِ التي تستوعب الأرض وما تصلهُ يدُ الإنسان . في ظل أعنف واضخم عزيمة تطال الجيوش الطاغية والأباطرة المستبدّة .

وفي بعضها إشارة إلى تحقّق أعظم الحدثين معاً وإن بتعاقب زمني ، أي ظهور القائم المهدي عليه السلام وتجسُّد دولة الإسلام العالميَّة على يدهِ ، ثمَّ تحقُّق الرجعة ومظاهرها التي تُشكِّل نموذج العظمة في وعد الله للمستضعفين الذين يرثون الأرض . ففي كتاب علي بن إبراهيم عن قوله تعالى : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ ، قال عليه السلام : [القائم وأمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة . وعن قوله تعالى : ﴿ فسيعلمون مَن أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً ﴾ ؟ قال عليه السلام : هو قول أمير المؤمنين لزفر : والله يا ابن صهاك : لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق ، لعلمتَ أيّنا أضعف ناصراً وأقل عدداً . قال : فلما أخبرهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله ما يكون من الرجعة ، قالوا : متى يكون هذا ؟ قال الله : قل - يا محمد - ﴿ إنْ أدري أقريبٌ ما تُوعَدُون أم يجعل له ربِّي أمداً ﴾][2] . فيه إتمامٌ للمظهرين الضخمين اللذين يُشكِّلانِ أعظم تحوُّل على الإطلاق في تلك الفترة من الزمن الهائلة بالأحداث والآيات .

أيضاً في كتاب علي بن إبراهيم : قوله : ﴿ عالمُ الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً .. ﴾ ؟ قال : يُخبِرُ اللهُ رسولَهُ صلى الله عليه وآله الذي يرتضيه بما كان قبله من الاخبار ، وما يكون بعده من أخبار القائم عليه السلام ، والرجعة ، والقيامة][3] .

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٤٣١ ح ٩٠ -

[2] القمي : ج ٢ ص ٣٩١ -

[3] القمي : ج ٢ ص ٣٩١ -

من ذلك الغيب : ما يؤول إليهِ الأمر في سلسلة انطباع الأحداث الكبرى على ظهرِ هذهِ المعمورة التي منها بطبيعة الحال الحَدَثَانِ الضخمانِ الهائلان : قيام القائم وإعلان دولة الإسلام الكاملة على وجهِ الأرض وما تصله يدُ الإنسان ، والرجعة . وفي رواية جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : [إنَّ المدثر هو كائن عند الرجعة ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، أحياةٌ قبل القيامةِ ثم موتٌ ؟ فقال عليه السلام له عند ذلك : نعم واللهِ لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشدّ من كفرات قبلها][1] . وفي تلك الرجعة يقتلُ اللهُ الذين كفروا وظلموا بالذين آمنوا واتَّقَوا . يقتلُ أئمة الكفر والظَلَمَة بصفوةِ أهل الإيمان والتقوى .

على انّ يوم القتال الأعظم يكون عند قيام القائمِ عليه السلام حيث تعلن مجموعة من الأمم الكبرى ذات الثقل العسكري حربها عليه بشكلٍ متوالي ، تصرُّ عبر هذا الشكل الحفاظ على عظمة أمجادها الخوالي عبر إجهاض جبهة المهدي عليه السلام ومنعها تحقيق مواثيق العدل الإلهي في الأرض التي تختلف بشدّة مع منظومات الأباطرة التي تقيم معاييرها على مفهوم الأرض والغريزة والإشباعات الترابيَّة وما تعنيه من ثرواتٍ ونزواتٍ وتراكمٍ وثراء شديد العناد مع أفق الكون ومعالم السماء .

ومع الصيحة السماويَّة تبدأ أولى التحوُّلات ، وبعدها يبدأ المهدي عليه السلام مرحلةَ تحرير البشر من طغيان الأباطرة الذين يعيثون في الأرض فساداً . وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قوله

---

[1] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٦ – وفي تفسير قوله : يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، قال : [أنذر الرسولُ صلى الله عليه وآله ، فالمدثر يعنى المدثر بثوبه ، قم فأنذر ، قال : هو قيامه في الرجعة ينذر فيها] القمي : ج ٢ صـ ٣٩٣ –

عزوجل : ﴿ فإذا نُقِرَ في الناقور ﴾ ؟ قال عليه السلام : [الناقور هو النداء من السماء : ألَا إنَّ وليّكم فلان (بن فلان) القائم بالحق . ينادي به جبرئيل عليه السلام في ثلاث ساعات من ذلك اليوم . فذلك ﴿ يومٌ عسيرٌ على الكافرين غير يسير ﴾ ..][1] .

هناك طائفة من النصوص تشير مباشرةً إلى نموذج التعدُّد في الصوت السماوي بالمهدي عليه السلام ، وطائفة أخرى يُستفاد منها ذلك ضمناً . وعليه : معنى هذا أنَّ جبرائيل عليه السلام له أكثر من صيحة في السماء وهو يعلن للعالم ظهور المهدي عليه السلام . ثمَّ لا تضع الحربُ أوزارها إلا ودولة المهديِّ تجوب أرجاء كون الإنسان أينما حلَّ أو ارتحل . وتؤكِّد المتونُ المفسِّرةُ أنَّ الأئمة عليهم السلام الذين يشكِّلون الولايةَ والبابَ إلى النبوَّة ، لهم دولةٌ عظمى قبل قيام الساعة ، تكون في آخر الزمن ، يقودها الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، يمهِّد اللهُ لقيامها ، فتتلاشى أيّامُ الظالمين وتخمد جذوتُهم وتنهار دولتهم . وتكون القياد الكبرى للمهدي عليه السلام الذي يقود الأمم على نحوٍ شديد الضمانة في طول مسيرة الأمّة البشريّة نحو غاياتِها الضروريّة .

وفي رواية جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل : ﴿ ذرني ومَن خلقتُ وحيداً ﴾ ؟ قال عليه السلام : [يعني بهذه الآية إبليس اللعين ، خلقَهُ وحيداً من غير أب ولا أم . وقوله : ﴿ وجعلتُ له مالاً ممدوداً ﴾ ؟ يعني هذه الدولة إلى يوم الوقت المعلوم . يوم يقوم القائم عليه السلام ، ﴿ وبنينَ شهوداً ومهَّدتُ له تمهيداً ، ثم يطمعُ أن أزيدَ ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾ ؟ يقول : معانداً للائمة . يدعو إلى غير سبيلها ويصدُّ الناس عنها ، وهي آيات الله][2] .

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٣٢ حـ ٣ – وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا نقر في أذن الامام القائم ، أذن له في القيام] . [تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٣٢] . –

[2] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٣٤ حـ ٥ –

وعليه : لا بدَّ من تحقُّقِ ذلك اليوم على يدِ الثاني عشر من أهلِ البيت ﷺ ، بحيث يشهد الكونُ قيامَ دولة القرآن والعترة النبويَّة التي تجسِّد الإسلام بأعظم وأبهى مظاهره الشريفة . ثمَّ في المتن تفريق بين الوقت المعلوم ويوم القيامة . النص واضح في أنَّ الوقت المعلوم هو يوم يقوم القائم . وللشُرَّاح نحوين من التفسير : حقيقي ومجازي . ويبدو أنّ المجازي هنا أرجح . وعليه : يكون المُراد العام منه قمع الظلم والفساد وقطع دابر الكافرين والأباطرة المنحرفين وشبه ذلك ، ما يكون معه قطع دابر إبليس وإسقاط دولته وجنده ، وصولاً إلى النهاية الحقيقيَّة لإبليس الذي ينال الموت الهائل والعقاب الأليم .

وفي رواية جعفر بن محمد الفزاري بسنده عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ، ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نَكُ من المصلين ولم نكُ نطعم المسكين ، وكنَّا نخوض مع الخائضين ، وكُنَّا نكذِّب بيوم الدِّين ﴾ قال ﷺ : فذلك يومُ القائم ﷺ وهو يومُ الدِّين . (واحد من ابرز مصاديقه الكبرى في تلك الفترة من الزمن) . ﴿ حتى أتانا اليقين ﴾ : أيَّام القائم ﷺ . ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ : فما تنفعهم شفاعة لمخلوق ولن يشفع فيهم رسول الله ﷺ يوم القيامة][1] . المتنُ في وارد في مقام التأكيد الحتمي على يوم القائم ودولتِهِ ﷺ . وانّه إذا ظهر خسئ الذين ظلموا وكفروا واضطهدوا ، وباءوا بحسرةٍ وفشلٍ وتداعٍ هائل ، فمنهم من يُقتل بالحرب ، ومنهم مَن يستسلهم ، ومنهم من يموت بحسرتِهِ . ويكون ظهورُ المهديِّ ﷺ بعد غيبةٍ طويلة ، وجورٍ واسعٍ سيطالُ الأرض ، فإذا ظهرَ ظهر كالشمس المتوقّدة عظمةً وآياتٍ وأمجاداً . وفي رواية أم هاني

---

[1] فرات الكوفي : صـ ١٩٤ –

قالت : سألتُ أبا جعفر محمَّد بن علي عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنَّس الجوار الكُنَّس ﴾ ؟ فقال عليه السلام : [.. إمام يخنس سنة ستين ومائتين ، ثم يظهر كالشهاب يتوقَّد في الليلة الظلماء ، فإن أدركتِ زمانه قرَّت عينُك][1] . يُراد من المتن انّه لو أتحف الزمانُ أهلَ الأرض زمنَ ظهورِه لقرُّوا عيناً بما يقيمُهُ من دولة الحق والعدل الإلهي الأعظم . نعم قيمةُ المتنِ تكمنُ في الإشارةِ إلى الوهجِ المُذهِلِ الذي يُحيط بظهورِ مولانا المهدي عجل الله فرجه آنذاك ..

ورغم ذلك يقف مَن يصرُّ في إنكارِه أن يكون هذا المهدي عليه السلام فيعلن الحرب ويجيِّش الجيوش الظالمة في مواجهة قائم آل محمَّد وهو يرى من الآياتِ المعجزاتِ ما يؤكِّد حقيقة مولانا المهدي في نفسه . ففي رواية عبد الله بن بكير - يرفعه - إلى أبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿ وإذا تُتلى عليه آياتنا قال : أساطيرُ الاوّلين ﴾ قال عليه السلام : [يعني تكذيبه بالقائم عليه السلام إذ يقول له : لسنا نعرفك ، ولستَ مِن وُلدِ فاطمة عليها السلام كما قال المشركون لمحمَّد صلى الله عليه وآله][2] .

على قاعدة : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ : ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، فلا يُمهَلون ، رغم طاقاتهم وإمكاناتهم آنذاك ، فيخوضون حروبهم في وجه المهدي عليه السلام فيُهزَمُون ويُقتَلُون شرَّ قتلة . وإذا

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٤١ حـ ٢٢ - عن الاصبغ بن نباتة قال : سمعتُ ابن عباس يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : إلى أن قال : أتقدر يا ابن عباس أن الله يقسم بالسماء ذات البروج ويعني به السماء وبروجها ؟ قلت يا رسول الله فما ذاك ؟ قال : " أما السماء فأنا وأما البروج فالائمة بعدي ، أولهم علي وآخرهم المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين) " الاختصاص : صـ ٢٢٣ -

[2] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٧١ - ٧٧٢ حـ ١ -

سار المهدي (عليه السلام) سارَ الرعبُ بين يديه ، وإذا دخل بلداً كما في النصوص دخله الأمن والأمان والعدلُ والسلام . فسلامُ اللهِ عليك يا إمام الإنس والجان وجعلنا اللهُ من أنصارك وأعوانك والذَّابين عنك والمستشهدين بين يديك والمقتولين على ولايتك وولاية أهل بيتك (عليهم السلام) .

ويبدو من النصوص التوصيف الإستثنائي للظرف المحيط بمولانا المهدي (عليه السلام) ، بحيث تشعر أنَّك أمام قراءة كونيَّة شديدة الدفع لك لأن تقرأ كتاب الوجود بشكلٍ أفضل ، أو بتعبيرٍ آخر : تشكِّل الغيبةُ للمهدي (عليه السلام) عمقاً آخر من اللازِم أن يدفع البشر ليفكِّروا بشكلٍ دقيق بأحرف الوجود ومعاني الحياة ، وما عليهِ توحُّش البشر وشبه ذلك ..

لكنَّ الناسَ غارقون في ظلمةِ الشهوة وأنياب الغريزة وأنفاقِ الظلام الثقيل ..! هذه هي الخطورة .. يرون الآيات المُعجِزات ، يقرءُون القصورَ المخيفَ في سلوك البشر ، يُلاحِظُون التوحُّش المثير في فعل الأباطرة وأتباعِهم ، وهم يُقِرُّون انَّ هذا شديد الإختلاف مع حكمة الخلق والكون والوجود ومعاني الإعجاز المرصوفة في سماء الآيات المذهلات ، ومع ذلك يلهثون وراء الشهوة والنزوة والقتل والإبادة والسفك والنهب للثروات دون وازعٍ أو مانعٍ أو قَيِّمٍ مرشِد ..

وكأنَّ اللهَ يعطي الأمم زمن الغيبة مهلةً لأن يعودوا إلى رشدِهم ، لأن يقرءوا كتابَ الكون ومنظومة الوجود بشكلٍ صحيح ، لأن يسيروا في ركب الآثار ، آثار الأمم فيتَّعِظُون ..

وتطول غيبة المهدي (عليه السلام) الذي يشكِّل العلامة الألمع على قرب القيامة . وتتحقَّق بهِ (عليه السلام) سننُ الأنبياء ، ومع كل هذا الناسُ عن آياتِ الله

ساهون غارقون في ظلمة الثقل الترابي وقتل النَّفَس الروحي الضروري ..!
ففي رواية حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

[إنَّ للقائم عليه السلام منَّا غيبةً يطول أمدها . فقلت له : يا ابن رسول الله ، ولِمَ ذلك ؟ قال عليه السلام : لأنَّ اللهَ عزَّوجلَّ أبى إلا أن تجري فيه سنن الانبياء عليهم السلام في غيباتهم ، وإنه لا بدَّ له - يا سدير - من استيفاء مُدَد غيباتهم . قال الله تعالى : ﴿ لَتَركَبُنَّ طبقاً عن طبق ﴾ أي : سُنَن مَن كان قبلكم][1] .

وتؤكِّد طائفة واسعة الإنهيارَ الأخلاقي والتفسُّخ القيمي والإنحدار الهائل في منطق العقول التي لا ترى إلا الشهوة والنهب للثروات وانتقام الغرائز والتوحش في الأسواق الذي يصل إلى درجة تسليع القيم ونسف المبادئ ومحو كتاب الأبجديَّة الكوني .

وفي حديثٍ يشيرُ إلى المهلة التي يُعطيها اللهُ للظالمين حتى يتوبوا ويرجعوا إلى رشدهم ، يؤكِّد بطابع نموذجي له ابعادُهُ انَّ وقت المهلة الإنذاري ينتهي مع المهدي عليه السلام الذي يناديهم بدخول عالم الهداية ، فيُعلنون عليهِ الحرب فيقتلهم شرَّ قتلة ، ويقود الأمم إلى أعظم كمالاتِها في آخر الزمن . ففي رواية أبي بصير في قوله : ﴿ فما له مِن قوَّةٍ ولا ناصر ﴾ ؟ قال عليه السلام : [.. ما له قوة يقوى بها على خالقه ولا ناصر من الله ينصره إنْ أراد به سوءاً . قلت : إنهم يكيدون كيداً ؟ قال : كادوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وكادوا عليَّاً عليه السلام ، وكادوا فاطمة عليها السلام ، فقال اللهُ : يا محمَّد ، إنهم يكيدون كيداً ، وأكيدُ كيداً ، فمهِّل الكافرين - يا محمَّد - أمهلهم رويداً - لوقت بعثِ

---

[1] كمال الدين : صـ ٤٨٠ بـ ٤٤ حـ ٦ -

القائم ﷺ فينتقم لي من الجبارين والطواغيت من قريش وبني أمية وسائر الناس][1] .

فإذا قام المهدي ﷺ بدأت مرحلةٌ شديدةُ التحوُّل لا تنتهي إلا بقيام دولة العدل الإلهي الأعظم .

فيدعو المهديُّ ﷺ الأممَ إلى الهداية ودين الله ونور السماء والأرض ، فمَن آمن دخل مجدَ الإنسانِ في شتَّى معانيه وفق موكب النور والوجود . ومن رفض تجمَّع مع زُمرٍ شديدة الحنق والحقد والعداء ، هذه الزُّمَر تعلن الحرب على المهدي ﷺ بتعاقب زمني . وكنت قد أشرت إلى انَّ كثيراً من القوى آنذاك تُعلن حرباً ابتدائيَّة عفويَّةً على المهدي ﷺ ، بعدما يظهر ﷺ . ويكون أوَّلُهَا جبهة السفياني المدعوم من الروم الغربيَّة المسيحيَّة .

وتؤكِّد النصوص العزمَ الأعظم الذي تمتازُ بهِ جبهة المهدي ﷺ التي تجتاح مسرح العالم الظالم وتبيد أباطرة الجور والفساد والطغيان ، حتى تبدو أُمم الجور متلاشيةً متناثرة مهزومةً شرَّ هزيمةٍ يائسة بائسة ، مقطّعةً أشلاءاً . ففي رواية سهل ، عن محمد ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : قلت : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ ؟ قال ﷺ :

[يغشاهم القائمُ ﷺ بالسيف . قلت : ﴿ وجوهٌ يومئذ خاشعة ﴾ ؟ قال ﷺ : خاضعة لا تطيق الامتناع . قلت : ﴿ عاملة ﴾ ؟ قال ﷺ : عملت بغيرِ ما أنزل اللهُ . قلت : ﴿ ناصبة ﴾ ؟ قال ﷺ : نصبت غير ولاةِ الامر .

---

[1] القمي : ج ٢ ص ٤١٦ -

قلت : ﴿ تصلى ناراً حامية ﴾ ؟ قال ﷺ : تصلى نارَ الحرب في الدنيا على عهد القائم ﷺ ، وفي الآخرة نار جهنم][1] .

في هذا النص تثبيت كامل للتحوُّل الهائل ، وتأكيد على انهيار النظام الدولي السابق الذي يكون محكوماً مِن قوى مثل الروم والترك واليأجوجيين وغيرهم مِن قوى الصف الأول والثاني الذين يعيثُون في الأرض فساداً ويقودون الأمم ضمن أسوأ مفاهيم وقيم وأعراف .

ويطرأ تحوُّل في الموازين قبيل الظهور ، ثمَّ مع الظهور تبدأ أعظم معالِم التحوُّلات . وتبدأ رحلة الوتر الموعود ، أي المهدي ﷺ . وفي رواية جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر ﷺ في تفسير قوله : ﴿ والفجر وليالٍ عشر ﴾ ؟ قال ﷺ : [يا جابر ، الفجر جدِّي ، وليالٍ عشر ، أئمة (أي عشر أئمَّة من الحسن المجتبى إلى الحسن العسكري) ، والشفع أمير المؤمنين ﷺ ، والوتر اسمُ القائم ﷺ][2] .

مع الإشارة إلى انَّ تعبير الوتر ، قد يُراد بهِ أكثر من معنى ، أي الإشارة إلى مصاديق ، نعم أشرف الوتر هو اللهُ تعالى الواحد الذي لا شريك له ، خالق الخلق ، الحيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم . أمّا إشارة بعض النصوص إلى انَّ الوتر المهدي إنّما هو من بابِ الإشارة إلى خليفة اللهِ تعالى الذي يقيم عدل اللهِ في الأرض . أي هذا ممَّا يجري فيهِ التأويل . في حين الوتر الغنيُّ المطلق السرمديُّ الأبديُّ الأزليُّ واجب الوجود الحيُّ القيُّوم الذي لا يموت الذي ترشَّح عنه الوجود هو اللهُ تعالى .

---

[1] الكافي : ج ٨ صـ ٥٠ حـ ١٣ –

[2] مناقب ابن شهر اشوب : ج ١ صـ ٢٨١ –

ففي رواية جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قوله عزوجل : ﴿ والفجر ﴾ : هو القائم عليه السلام ، ﴿ وليالٍ عشر ﴾ : الائمة عليهم السلام من الحسن إلى الحسن . ﴿ والشفع ﴾ : أميرُ المؤمنين وفاطمة عليهما السلام ، ﴿ والوتر ﴾ : هو اللهُ وحده لا شريك له . ﴿ الليل إذا يسرِ ﴾ ؟ هي دولة حبتر ، فهي تسري إلى قيام القائم عليه السلام][1] .

كلُّ هذا يختزن تعظيمَ يومِ القائمِ عليه السلام ، وتثبيت تلك الطلعة البهيَّة التي تقود أرض الإنسان إلى أكبر فتحٍ وجودي . فإذا قام القائم أقام الحق والعدل الإلهيين ، وقاد الأمم على هدي الله وميثاق رسولِ اللهِ والعترة النبويَّة ، وأعلن القرآن مرجع الأمم في ظل قيادة الخلافة المحمولة بيد الإمامة لتبدأ الأرض رحلة الطاعة الوجوديَّة كما بدأت . فإذا قامت دولة المهدي الكونيَّة سبَّح الوجود ، وتألّقت الأفق ، وأخرجت الأرض كنوزها . وقد ورد في خطبة أمير المؤمنين المخزون قال عليه السلام :

[.. وتُخرِجُ لهم الارضُ كنوزها . ويقول القائم عليه السلام : كُلُوا هنيئاً بما أسلفتم في الايام الخالية . فالمسلمون يومئذ أهلُ صوابٍ للدِّين ، أُذِنَ لهم في الكلام ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ وجاء ربُّكَ والملك صفاً صفاً ﴾][2] . أي ظهر حكمُ اللهُ بدولته العالميَّة . وبذلك تتمُّ النعمة ، ويُعَظَّم دينُ الإسلام ، وتواكبُ دولةَ المهديِّ عليه السلام معطياتٌ ذات سخاء وجودي في الأرض والسماء . وبذلك تتجلَّى دولةُ أهل الحق ، وتنطمسُ أعلامُ الباطل ، وتُعلَنُ راياتُ الهدى ، ويكون الكون على نحوٍ من وجوديّةٍ خاشعةٍ تسبِّح باسم

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٧٩٢ حـ ١ –

[2] مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٠١ –

ربِّها . وفي بعض المتون إشارة إلى مصاديق ذات دلالة في المفهوم التشريعي والدور الوظيفي للنبوَّة والإمامة ، هي مِن مخزون دلالة القرآن في آياتِهِ المعجزَة ، ففي رواية سليمان الديلمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألتُهُ عن قول الله عزوجل : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ؟ قال عليه السلام :

[الشمسُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ، أوضَحَ للناسِ دينَهُم . قلتُ : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ؟ قال عليه السلام : ذاك أمير المؤمنين تَلَا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله . قلتُ : ﴿ والنهار إذا جلَّاها ﴾ ؟ قال عليه السلام : ذاك الامام (المهديُّ عليه السلام) مِن ذريَّة فاطمة (نسل رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلي ظلام الجور والظلم) ، فحكى اللهُ سبحانه عنه فقال : ﴿ والنهار إذا جلَّاها ﴾ ، يعني به القائم عليه السلام][1] .

فبالمهدي عليه السلام يُقيمُ اللهُ الحقانيَّة الكبرى التي تشمل دنيا الإنسان أينما حلَّ أو رحل . وتشكِّل هذه الفترة مفصلاً وجوديَّاً متألِّقاً متمايزاً شديدة الخصوصيَّة . وفي لسانٍ آخر عن أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة الخراساني ، بسنده عن جعفر بن محمد عليه السلام ، في قول الله عزوجل : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ : قال عليه السلام : [يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ ؟ قال : يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ﴿ والنهار إذا جلَّاها ﴾ ؟ : يعني الائمة منَّا أهل البيت ، يملكون الارض في آخر الزمان ، فيملؤونها قسطاً وعدلاً ، المعينُ لهم كمُعين موسى على فرعون ، والمُعين عليهم كمُعين فرعون على موسى عليه السلام][2] . تأكيداً لحكومة أهل البيت عليهم السلام التي تتجلَّى بالإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمن وضرورة نصرتِهم والنزول

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٨٠٥ حـ ٣ –

[2] تفسير فرات : صـ ٢١٢ –

تحت ولايتهم مطلقاً . وتعتبر مخزونات القرآن من أعظم المعجزات التي تؤكّد طابع الإستمرار الأعظم لهذا الكتاب في كلِّ القرون وكلِّ الأمم بجميع ملَلِهَا ومعتقداتها . ومن يقرأ مجموع ما ورد من إعجازٍ في هذا القرآن سواء الغيبي منه أو المستقبلي أو العلمي أو غيره فإنّه لا يملك إلا أن يردِّد قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴿٨٢/٤﴾ إشارة إلى الإعجاز المذهل الذي أحاطَ اللهُ به قرآنه ، القرآن الذي يدور مدار الليل والنهار ، ويجري مجرى الشمس والقمر .

حتى انَّك تقرأ الآية فتجد تحتها من المصاديق المُرادة ما تنذهل منه العقول خاصّةً تلك المخزونات المتعلّقة بأحداث آخر الزمن . وهذا من الإعجاز العظيم الذي لا يصل إليهِ إلا الراسخون بالعلم الذين اطّلعوا على هذا العمق بسببٍ من الله ، أي عبر باب النبوَّة أو الإمامة . حتى انَّ الآية تقرأُها فيكون ظاهرها في شيئ ، وتأويلها في حدثٍ عظيمٍ يكون في آخر الزمان . ففي رواية محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ؟ قال عليه السلام : [الليل في هذا الموضع فلان . غشي أمير المؤمنين في دولته التي جرت له عليه ، وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر في دولتهم حتى تنقضي . قال : ﴿ والنهار إذا تجلَّى ﴾ ؟ قال عليه السلام : النهار هو القائم عليه السلام منَّا أهل البيت ، إذا قام غلبَ دولته الباطلَ . والقرآن ضربٌ فيه الامثالُ للناس ، وخاطب اللهُ نبيَّهُ به ونحن ، فليس يعلمه غيرنا][1] .

ففيه إشارة إلى دولة آل محمَّد التي تقوم قائمتُها الكبرى على يدِ المهدي عليه السلام . ومعلوم في التاريخ أن أهل البيتِ عليهم السلام ظُلِموا ، واضطُهِدوا ،

---

[1] القمي : جـ ٢ صـ ٤٢٥ –

وسُفكت دماءُهم ، ومنعوا من قيادة الأمَّة نحو ركاب الوجود الضروري الآمن بنصِّ الأرض والسماء . وهكذا في متونٍ كثيرة تأكيد على إبراز مصاديق لها صلة شديدة بمضامين وأمثال وتأويلات هي شكل عميق من أشكال الدلالة المختزنة في طيَّات القرآن ومضامينه . بحيث تشعر أنّك أمام كتابٍ مذهلٍ لا يسعه إلا قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨/١٧﴾ حتى انّ الآية يكون لسانُها الظاهرُ في شيءٍ ومخزونُها العميق في شيءٍ آخر على نحوٍ من تنوُّع المصداق وارتباطه بأصل الدلالة المقصودة في أصل اللفظ ، ولكن يحتاجُ إلى سببٍ عظيمٍ للإطِّلاع عليه ، وهذا السبب هو باب النبوَّة أو الإمامة .

من هنا اتَّفق المُفَسِّرون على القول بأنَّ أصل ظاهر اللفظ القرآني المُحكم حجَّة على الخلائق أجمعين ، أمَّا المخزون القرآني والعمق الدلالي المغمور يحتاجُ إلى سببٍ ارتباطي غيبي . أي لا بدَّ من سببٍ مُتَّصلٍ بأمر الله تعالى ، وهو بطبيعة الحال : بابُ النبوَّة وباب الإمامة . وأينما يقع بصرُك من تفسير المضامين تجد نفسك أمام ذهولٍ يتبعه ذهول . بحيث تجد آية تشيرُ إلى حدثٍ أو وصفٍ عملاق له مدلول عقائدي أو تاريخي مذهل في حقبة النبي أو الإمام علي عليه السلام ، في حين تشيرُ الآية اللاحقة إلى وصفٍ أو حدثٍ خاص بمدلولٍ مذهلٍ يقع في آخر الزمان . ففي رواية عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ؟ قال عليه السلام : [دولة إبليس إلى يوم القيامة ، وهو (يوم) قيام القائم . ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ؟ قال عليه السلام : هو القائم عليه السلام إذا قام . وقوله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ ؟ أي أعطى نفسه الحق واتَّقى الباطل . ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ

لِلْيُسْرَى ﴾ ؟ : أي الجنة . ﴿ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ ؟ : يعني بنفسه عن الحق ، واستغنى بالباطل عن الحق . ﴿ وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ : بولاية علي بن أبي طالب والائمة من بعده صلوات الله عليهم . ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ : يعني النَّار . وأما قوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ : يعني أنَّ عليّاً هو الهدى ، ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ : قال : هو القائم إذا قام بالغضب .. ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ ؟ قال : هو عدوُّ آل محمد ، ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ ؟ قال : ذاك أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته][1] .

بحيث لا تملك أمام هذا التفسير إلا الخشوع العلمي ..

ومعه تشعر بوجود هويَّة عقائديَّة وجوديَّة عملاقة وراء هذه الآيات الربانيَّة ، هذه الهويَّة تطير بكَ من يوم النبيِّ صلى الله عليه وآله إلى يوم قيام القائم وقرب زفاف الساعة ضمن معايير ومعاني وصفات تؤكِّد الطابع العقائدي المعرفي مرَّة والأحداث الكبرى مرَّةً أخرى فضلاً عن معالم الضبط الوجودي .. ومن متون كثير من الآيات ومعانيها تجد القرآن نزل مؤكِّداً هويَّة الإعتقاد الوجودي وقيادة النبوَّة والإمامة لمسير البشر إلى قيام يوم الدِّين . وإنَّما يؤخذُ الإسلام من مدينة النبوَّة وبابها ، أي من النبوَّة والإمامة . والثابت عند علماء المسلمين كلّهم أنَّ النبيِّ صلى الله عليه وآله قال : أنا مدينة العلمِ وعليٌّ بابُها . تأكيداً لهذه الهويَّة التي اختزنتها آياتُ القرآن بطريقةٍ لا نملك معها إلا الخشوع

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ صـ ٨٠٧ ح ١ – وفي رواية المفضل بن عمر قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عزوجل : ﴿ والعصر إن الانسان لفي خسر ﴾ ؟ قال عليه السلام : العصر : عصر خروج القائم عليه السلام . ﴿ إن الانسان لفي خسر ﴾ ؟ قال عليه السلام : يعني أعداءنا . ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ ؟ : يعني بآياتنا . ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ : يعني بمواساة الاخوان . ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ : يعني بالامامة . ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ : يعني في الفترة] . [كمال الدين : ج ٢ صـ ٦٥٦ ب ٥٨ ح ١] .

العظيم . ففي رواية أبي يحيى الصنعاني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال لي أبو محمد : قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ وعنده الحسن والحسين عليهما السلام فقال له الحسين عليه السلام : يا أبتاه كأنَّ بها مِن فيك حلاوة ؟ فقال له :

يا بنَ رسولِ اللهِ وابني .. إنَّها لمَّا نزلت بعثَ إليَّ جدُّكَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فقرأها عليَّ ، ثم ضرب على كتفي الايمن وقال : يا أخي ووصيِّي ووليِّ أُمَّتي بعدي وحرب أعدائي إلى يوم يُبعثون : هذه السورة لك مِن بعدي ، ولولدك مِن بعدك ، إنَّ جبرئيل أخي مِن الملائكة حدَّثَ إليَّ أحداثَ أمتي في سنتها . وإنه لَيُحدِّث ذلك إليك كأحداث النبوة . ولها نورٌ ساطع في قلبك وقلوب أوصيائك إلى مطلع فجر القائم عليه السلام][1] .

إشارة مذهلة إلى مقام الإمامة المُتَّصِل بباب الله تعالى ، والقائم بعد النبوَّة إلى قيام يوم الدِّين . وانّهم بابُ الله ، ومكنونُ علمِه ، وصلةُ الأرض بالسماء ، والخلفاء على دينِه وشرعِه وأحكامه . وانَّ الأمر كذلك إلى قيام محمَّد المهدي عليه السلام الذي يُقيم العدل الإلهي ويسوق الناس إلى أعظم النِّعم ، وأكمل السعادة ، وأوفر البركات .

ولسانُ هذه المتون يؤكِّد طابعَ الإئتمان الضخم الذي قرنَهُ اللهُ تعالى بالإمامة بعد النبوّة وصولاً إلى مولانا المهدي عليه السلام . وهذا مفاد قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥/٩﴾ ، فقد وردت النصوص في أنَّ المؤمنين في هذه الآية هم خصوصُ أهل البيت عليهم السلام ، أي الأئمّة الإثنا

---

[1] تأويل الآيات : ج ٢ ص ٨٢٠ ح ٩ -

عشر بدءاً بعليٍّ ﷺ وانتهاءاً بالمهدي ﷺ . وهذا كما ترى إشراقُ رباني هائلٌ على مقامِ الإمامة المقدّسة التي نصبها اللهُ أمينةً على دينِهِ ، حافظةً لشرعِه ، مبيِّنةً لأحكامِه إلى قيام يوم الساعة ، استخلافاً لها بعد رسولِ الله ﷺ .

وفي كتاب علي بن إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناهُ في ليلة القدر ﴾ ؟ قال : [.. هو القرآن أُنزِلَ إلى البيت المعمور في ليلة القدر جملةً واحدةً ، وعلى رسول الله ﷺ في طول ثلاث وعشرين سنة . ﴿ وما أدراكَ ما ليلةُ القدر ﴾ : معنى ليلة القدر أنَّ اللهَ يقدِّر فيها الآجال والارزاق وكلَّ أمر يحدُثُ من موت ، أو حياة ، أو خصب ، أو جدب ، أو خير ، أو شر ، كما قال الله . ﴿ فيها يُفرَقُ كلُّ أمر حكيم ﴾ ، إلى سنة . قوله : ﴿ تنزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها ﴾ قال : تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ﷺ ، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الامور][1] .

بحيث تُشارِكُ الإمامةُ النبوّةَ في حمل أثقال الإستخلاف الإلهي ، وهذهِ مفردةٌ خصوصيّةٌ تجلَّت في الأئمّة الإثني عشر المعدودين بلسان خاتم النبيين وأعظم المرسلين محمّد ، وهم وُلْدُهُ من ابنتهِ المعصومة فاطمة الزهراء ﷺ . وتكفي قراءة الكثير من المتون الواردة في هذهِ المعاني لتشير إلى العمق الأعظم لمقام الإمامة في أسفار السماء .

وهي النعمة التي تُسأل عنها أمَّة محمّد ، ويُسأل عنها بنو آدم ممَّن قامت عليهِ الحجّة - من بعد بعثة النبيِّ ﷺ - إلى قيام يوم الدِّين . وفي رواية عمر بن عبد العزيز ، عن أبي عبد الله بن نجيح اليماني قال : قلت :

---

[1] القمي : ج ٢ صـ ٤٣١ -

لأبي عبد الله عليه السلام : قوله تعالى ﴿ لَتُسألنَّ يومئذ عن النعيم ﴾ ؟ قال عليه السلام : [النعيمُ الذي أنعمَ اللهُ عليكم : محمَّد وآل محمد عليهم السلام . وعن قوله عزوجل : ﴿ عينُ اليقين ﴾ ؟ قال عليه السلام : المعاينة . وقوله تعالى : ﴿ كلَّا سوف تعلمون ، ثم كلَّا سوف تعلمون ﴾ ؟ قال عليه السلام : مرة في (الكرَّة) ومرة في القيامة][1] .

إشارة مركَّزة إلى عظيم تجلِّيات مقام الإمامة الذين يكون لها المظهر الأعظم في الرجعة والقيامة . قطعاً النص في وارد الإشارة إلى لازِم الظهور للمهدي عليه السلام الذي يُقيم دولة العدل الإلهي ، والذي عبره تتجلَّى عظمةُ دولة آل محمَّد التي تُجسِّد أعظم وأكبر نعمة إلهيَّة في مسيرة البشر نحو كمالات الوجود ..

---

[1] التنزيل والتحريف : صـ ٧٠ –

رايات الهدى في عصر الظهور

ممَّا تتّفق عليهِ الروايات أنَّ العالم والكيانات تكون على نحوٍ من انحلالٍ في القيم ومفاسد في العمل وانهيار في التاريخ الإخلاقي والميثاق الوجودي وانكسار مُذل في حقل ضوابط العدل ومفهوم الحق بحيث يصحُّ معه انطباق وصف « مُلِئت ظلماً وجوراً » .

إلا انَّ ذلك لا يستوعب كافّة الأنشطة أو كلّ الكيانات ، أو كلّ الطوائف ، فتبقى بعض الكيانات والطوائف التي تنادي بالحق والميثاق الوجودي وتنتصر لقيم السماء . كلٌّ بحسبِهِ . الروايات تؤكِّد – في عصر الظهور – بقاء دولة خراسان – الإماميَّة التي تنادي بآل محمَّد – على نهج وقيم الميثاق الوجودي ومنظومة الأخلاقيَّات الأصيلة وإعلان الإسلام ميثاقاً للحكم ونمطاً للحياة والوجود . كما تظهر حركات قليلة لكنَّها بارزة وساطعة في حقل الوجود الشرقي ، تنتصر لآل محمَّد ، وتعلن الإسلام قيمةً مطلقة للحياة والإجتماع والوجود . ومن مجمل ما ورد في متون الروايات يتحصَّل لنا الظاهر منها زهو التالي :

١. دولة خراسان وهي الموطّئة للمهدي (عليه السلام) سلطانه ، تكون في إيران . يكون وجودها قبل ظهور السفياني وبعده . بل يبدو من مجموع مضامين أنّها تكون موجودة بأزمانٍ سابقةٍ جداً . وهي

التي تبني نفسها بشكلٍ عسكري تقني عملاق ، وتجتاح كيانات عدّة تفتح على أثرها بيت المقدس .. وتظلُّ قوية متينة ، قائمة على دينها وولاءها لأهل البيت عليهم السلام حتى ظهور المهدي ، بحيث تسلِّم الراية لقائم آل محمَّد عليه السلام . ثم تخوض الملاحم بين يديه ضد الروم والدجَّال وغيره ..

٢. راية أبدال الشام . هؤلاءِ أيضاً يكونون قبل السفياني ويصمدون في وجهه . ويكونون كما في مفهوم النصوص على ولاية الخراسانيين في دعوتهم وانقيادهم للمهدي عليه السلام . بعض المتون صريحة في أنَّهم بلبنان . وأنَّهم يناهضون اليهود .

٣. راية عصائب العراق المجاهدين . يكون هؤلاء أيضاً قبل السفياني . يتعرَّض هؤلاءِ لصعابٍ كبيرة ولتقلُّبات الدول .

٤. راية النجباء في مصر . الثائرون الإماميُّون في مصر يكادون أن يستلموا الحكم . لكنَّ الروم والراية المغربيَّة ثم السفياني يحولون دون ذلك . وتكون الوقعة الهائلة عليهم على يد السفياني .

٥. راية المناصرين للمهدي عليه السلام في اليمن . لا تحدّثنا الروايات عن شهرة دولة اليمن بالتشيُّع . نعم يستفاد منها انقلاب سريع فيهم وإعلان للتشيُّع بفترة قريبة جداً من الظهور . وعلى أثرها تتحرَّك هذه الراية .

راية الموطِّئين للمهدي عليه السلام
(دولة خراسان) :

هي راية دولة خراسان ، يكون لها جذور ووجود متعاظم في منطقة إيران . تعلن الإسلام دين الدولة والجماعة والإجتماع . تكون مشهورةً بولاءِها لآل محمَّد . مشروعها يركِّز جداً على توطئة الأمر للمهدي عليه السلام .

هي نُبُوءَةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله حين أخبر سلمان الفارسي وأصحابه بأنَّ أصحاب سلمان من الفرس يضربون العرب على الإسلام [على التأويل] ، كما ضربهم العربُ على التنزيل . والنصوص في هذا المجال أكثر من أن تُحصى . وراية الخراسانيين في عصر الظهور هي أوَّل رايات الهدى خروجاً . لها موقع عظيم عند الله . ومدح كبير في لسان النصوص الصادرة عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام . يتحقَّق وجود هذه الدولة في لحظةٍ ما من آخر الزمن . أي في عصر الغيبة . ويكون لها وجود متعاظم وفاعل . وفي مئات الأحاديث - عن طريق السنة والشيعة - بشَّر النبيُّ صلى الله عليه وآله بهذه الدولة الإماميَّة على مسمع أصحابِهِ وجمعِ المسلمين . وفي الحديث الشهير عن النبي صلى الله عليه وآله : [يخرج قومٌ من الشرق ، يُوطِّئون للمهدي عليه السلام سلطانه][1] .

---

[1] (مجمع الزوائد ٣١٨/٧ ، سنن إبن ماجة ٢/ حديث ٤٠٨٨) .

تصرُّ هذه الراية الإماميَّة على إعلان الإسلام ميثاق وجود وطريقة حياة ، ونمط عيش ، ومصدر قيم . وتجاهر بولاءها لآل البيت عليهم السلام ، وتُصَرِّح بإعدادِها مجتمعها ليكون نموذجاً عن أصالة الإسلام انتظاراً للفرج وقيام القائم المهدي عليه السلام . يقود هذه الراية كما في متون النصوص قادة من قريش من بني هاشم ، إماميُّون ، فقهاء ، علماء بارزون ، بالإضافة إلى القيادة العسكريَّة . والمذكرون منها أربعة : قائد ثورتهم المؤسِّس لدولتهم ، والسيد الخراساني ، والسيد الحسني ، وشعيب بن صالح التميمي ، وكلّهم من ذرية أهل البيت عليهم السلام ، باستثناء شعيب فإنه من قبيلة بني تميم القرشيَّة .

ويبدو مِن النصوص الكثيرة أنَّ هذه الراية رغم الإضطهاد الدولي وأنماط الضغط التي تواجهها - فضلاً عن الحروب - تشكِّل قوَّة متفوِّقة في المجال الإقليمي . بل تكون على نحوٍ بارزٍ من الثبات في وجه قوى ذات وزن عالمي ، كما أشرنا سابقاً وسنشير إلى ذلك لاحقاً . تُواجِهُ هذه الدولة اضطهاداً متنوِّعاً ، من جيرانها وقوى أخرى ذات نفوذ عالمي . وتعاني بسبب عقيدتها الإماميَّة . فيُمارس عليها أنواع من الضغوط منها ، الحصار الإعلامي والضغط الدبلوماسي وأُمور أخرى مختلفة . لكنّها وضمن جهد هائلٍ تتفوَّق بشكلٍ مدهش على ميزان القوى الأوسطي ، وتشكِّل عنصراً ملحوظاً في ميزان القوى البارزة على مستوى العالم .

وفي النص عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [إذا ظهرت راية الحق ، لعنها أهل المشرق والمغرب . ثم قال عليه السلام : أتدري لمَ ذلك ؟ فقال الراوي : لا . فقال عليه السلام : للذين يلقى الناس من أهل بيتِه قبل خروجه][1] .

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٩٩) .

أي يكون له منعة وصَدم واضح ..

ويبدو واضحاً من المتون انَّ قادة هذه الراية الخراسانيَّة هاشميُّون ، ينتصرون للحق في ظل عالم فاسد ، ويكون لهم سطوة واضحة بحيث يلقى الناس من سيف الحقِّ بيدهم ما يعزز تفوُّقهم الإقليمي وسط حقد هائل عليهم من قوى ذات لون إقليمي وأخرى ذات لون عالمي .

وفي لفظٍ آخر عن الإمام الباقر عليه السلام قال : [إذا رُفِعَت رايةُ الحقِّ لعنها أهلُ المشرق والمغرب ! قيل له : ممَّ ذلك ؟ قال عليه السلام : ممَّا يلقون مِن بني هاشم قبله][1] . تأكيداً لقوَّتهم ومنعتِهم وعصمتِهم من الطغيان الضخم الذي يتوزَّع في دنيا الكيانات السياسيَّة آنذاك . بالإضافة إلى تصريحهِ بأنَّهم من بني هاشم .

ويكون النَّظْمُ التعدُّدي والفرقة السياسيّة أو شرذمة قوى الصفِّ الأول والثاني وغيره ، والتنافس بين هذه القوى أداة حؤول نسبي لكثيرٍ من جماعات الأرض الضعفاء من بعض الظلم بسبب « نظام القِوَى » المتنافس ، لا القوّة الواحدة .

وهذا ما تستفيد منه راية أهل خراسان كما غيرها من قوى العالم الأخرى .

قيمة هذه الدولة أنَّها الدولة الوحيدة البارزة التي تدعو إلى شريعة الإسلام والعترة النبويَّة وتعلنها عقيدةً للدولة والمجتمع ، وتجاهر بولاءها الأعظم لأهل البيت عليهم السلام ، وتبشِّر الأمم بلزومِ وضرورة ظهور آل محمَّد

---

[1] (المصدر السابق) .

المهدي (عليه السلام) وتمهّد له . أمّا أبرز ما فيها ، فهو أنَّ قادتها يُشَكِّلون قيمةً ضخمةً مِن الفقه والدِّين وحفظ الشريعة ، وإعلان علوم الإسلام والتمسُّك الضخم والتضحية الهائلة لأجل الإسلام المحمدي الأصيل . ما يُعطي هذه الدولة قيمة إضافيَّة في تحقيق غاياتِها المشروعة ، حتى انَّ قائد ثورة هذه الدولة يمتاز بالإرادة المدهشة التي تذهل القوى بالإضافة إلى القوَّة التي يمتلكها عسكره . وفي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

[.. فإذا انقرض ملكهم ، أتاحَ اللهُ لأمّة محمَّد برجلٍ منَّا أهل البيت يشير بالتقى ، ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حكمِهِ الرّشا ، والله إني لأعرفه بإسمه وإسم أبيه ثم يأتينا .. القائد العادل الحافظ لِمَا استُودِعَ ، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملأها الفجَّار ظلماً وجوراً][1] .

في هذا النص يؤكِّد (عليه السلام) أنَّ قيام دولة الموطّئين للمهدي في ناحية خراسان إنّما يكون بعد زوال دولة بني العباس ، دون أن يحدِّد مدَّة زمنية لأصل قيام هذه الدولة ، أو للخط الفاصل بين دولة العباسيين ودولة الموطّئين . المهم أنَّ هذه الدولة تكون بعد زوال مُلك بني العباس في طول الزمن . ويكون حضورها – كما في الروايات الكثيرة – في آخر الزمن ، في عالمٍ للروم فيه غلبة واضحة ، ولليهود وجود كياني في فلسطين ، وللترك دور كبير أو سيكبر ، ولغيرهم من الدول .

وفي نص آخر قال (عليه السلام) :

[.. ولَيكوننَّ مَن يخلفني مِن أهل بيتي ، رجلٌ يأمر بأمر الله ، قويٌّ يحكُم بحكم الله ، وذلك بعد زمانٍ مُكلحٍ مُفضح ، يشتدُّ فيه البلاء ، وينقطع

---

[1] (البحار ٢٦٩/٥٢) .

فيه الرجاء ، ويقبل فيه الرشاء ، فعند ذلك يبعث اللهُ رجلاً مِن شاطئ دجلة لأمر حزبه ، يحمله الحقد على سفك الدماء ، قد كان في سترٍ وغطاء][1] .

يؤكِّد النص خروجَ قائد ثورة خراسان في آخر الزمان الذي يقود أمَّته على نحوٍ عظيمٍ من دعوة الدِّين وحقانيَّة الشريعة ويوظِّف طاقات أمّته لحماية هذا الخيار العظيم . وفي ذيل النص تأكيد على خارجٍ آخر يخرج مِن شاطئ دجلة ، أي من العراق ، يعلن الحرب على الداعي إلى آل محمَّد وصاحب راية أهل خراسان ، وهذا الطاغية الذي يخرج مِن ناحية الشط ، موصوفٌ بالخبث وسفك للدماء والكراهية الشديدة والعداء المتعاظم للمؤمنين الموالين ، فجأةً يظهر ، عبر انقلاب أو غير ذلك ، أو كان يقود الأجهزة بسترٍ ، أو انّه كان يتحيَّن الفرصة . النص مفتوح على جميع هذه المعاني . فإذا تمكَّن مِن سلطان العراق قاد بلادهُ إلى حربِ أهل خراسان وذلك يكون بعد نجاح ثورة السيِّد المحمَّدي . فيعلن الحربَ على أهل خراسان ويسفك الدماء ويجهر ببغضِهِ لأهل خراسان ، ويقتل أتباع آل محمَّد . يحمله الحقد على سفك الدماء وقبل ذلك : كان في سترٍ وغطاء .!

هذا تأكيد نهائي على ضرورة قيام راية الموطّئين المجاهرين بالإسلام والولاء لأهل البيت عليهم السلام ، الذين يعانون منذ أولى قيام ثورتِهم ، حيث تُعلَنُ الحربُ عليهم من قبل جارهم العراقي . وهناك حديث أعتقد أنه متمِّم معنوي لهذا الحديث السابق . ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام قال : [يخرج رجلٌ قبل المهدي عليه السلام مِن أهل بيته بالمشرق ، يحملُ السيفَ على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتُل ويمثِّل به ، ويتوجَّه إلى بيت المقدس ، فلا يبلغه

---

[1] (كنز العمال ١٤/ ٣٩٦٨٠) .

حتى يموت][1] . قيمة هذا النص أنَّه يُؤكِّد على طابع الحرب ، في معرض وصفِهِ لقائد الثورة الخراسانيَّة الموالية ، وبضميمة النص السابق نتأكَّد انَّ الحرب التي تقع تكون بإعلانٍ من قبل جارهِ العراقي . النص واضح في أنَّ الذي يُعلِنُ الحربَ إبتداءاً هو رجلٌ من جانب شاطئ دجلة ، يبدو انه يقوم بانقلاب ، لأن النص يؤكِّد انّه قبل ذلك كان في سترٍ وغطاء ، فإذا تمكَّن من زمام الحكم في العراق أعلن حربه على الثائر المحمَّدي الذي نجح في الوصول إلى سدة الحكم وقيادة البلاد في أرض خراسان . يبقى تفسير ما ورد في النص مِن أنّه : « يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر » . وهذه تحتمل أمور : إمَّا أن يكون المقصود فيها الإشارة إلى الثمانية كعدد . أو هناك تصحيف من قبل الراوي . أي أورد الشهر مكان السنة مثلاً . أو أنَّ ما ورد في المتن هو هو لا تبديل فيهِ ولا تغير ومعناه هو المقصود .؟ يمكن أن كلمة سنة مقصودة لما سيأتي من النص بمفاد انَّ هذه الحرب تطول . ومع ذلك لا يملُّ الخراسانيّون هذه الحرب .. أقول : هذا محاولة ترجيح غير كاملة . لأنَّ الأصل يكمن في الإلتزام بظاهر النص إلا ان يثبت ما يُضيِّق أو يُوسِّع أو يغيِّر بقرينة علميَّة من برهان لفظي أو دليلٍ عقلي أو شاهد حال .

فقط أحببت ان ألفت إلى هذهِ النقطة لقرآئن عصفت في فكري لها شواهد أو ما هو قريب منها في متن أكثر من نص . خاصَّةً أن الثائر المحمَّدي يكون من أصل إعلاناتِه الكبرى أنّه يصلِّي في القدس . لكنّه يموت قبل ذلك ، ومع ذلك لا تنتهي دولتُهُ بل تتابع مسيرها بشكلٍ عظيم على هدي الله ورسولِهِ والأئمة عليهم السلام ..

---

[1] (كنز العمال ٣٩٦٦٩/١٤) .

ويؤكِّد قيمة هذا الثائر المحمَّدي - الفقيه المجاهر بقيادة دولة خراسان على هدي القرآن والعترة في آخر الزمان - ما ورد في حديث الإمام الكاظم عليه السلام : [يخرج رجلٌ مِن قم ، يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قومٌ ، قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح والعواصف ، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكّلون ، والعاقبة للمتّقين][1] .

تعبير « العاقبة للمتَّقين » يعني : تكون نتيجة الحرب في النهاية لصالح الخراسانيين . أما شكل هذه النتيجة فقد يكون مباشراً وقد يكون غير مباشر ، في وقتٍ يطول أم لا . واضح انَّ النص استيعابي ومرن ومفتوح على الزمن . ثمَّ في هذا النص تأكيد على طابع الحرب أو الحروب التي تقوم بين دولة خراسان ودولة أخرى أو دول . منها معركة تقع بعدما يُعلن العراقي - الذي كان قبلاً في سترٍ وغطاء - حربَهُ على ثورة السيد المحمَّدي . شاهِدُنَا على ذلك النصُّ الذي أكَّد وقوع أوَّل حرب عدوانيَّة ضد هذه الثورة التي تقود الدولة في خراسان .

أهميَّة في هذا المتن أنّه يشير إلى حربٍ طويلة ، طويلة إلى حد تبعث في أصل طُولِها على الملل - حسب المجرى العادي للأمور - فلا يملُّ أصحاب هذا السيد المحمدي . كما فيها تعبير آخر ضمني مفادهُ أنَّ هذه الحرب تكون على نحوٍ يبدو فيه عدم التكافئ بين القوَّتين من جهة الأدوات العسكريَّة لصالح القوَّة الأخرى ، ومع ذلك لا يجبن الخراسانيُّون ، بل يُقدِّمون أعظم الملاحم في سبيل الإسلام . كما هو مفتوحٌ على الإشارة إلى ظروف قاسية تواجه هذه الراية الخراسانيَّة : شبَّهها النص بالريح

---

[1] (البحار ٦٠/٢١٦) .

والعواصف . إشارة إلى ضخامة ما تلاقي هذهِ الراية المحمَّديَّة التي تكون النهاية في صالحها بشهادة قوله في ذيل النص : والعاقبة للمتّقين . أي تكون النتائج في صالحهم .

وضخامة ما تلاقيه هذه الراية ليس محصوراً بحربٍ واحدة ، بل هو مفتوح على الزمن والمستقبل . كما انَّ كلّ الوصف التعظيمي للخراسانيين مفتوح أيضاً للزمن . وهذا دليل عافية وقدرة وثبات وتنامي لقوَّة هذه الراية . وتُركِّز طوائف أخرى مِن النصِّ على إرادة هؤلاءِ الخراسانيين . ووجوب نصرتهم ، وإعلان بيعتهم والنزول تحت رايتهم وتحقيق حاجتهم . ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال : [تجيئ الراياتُ السود مِن قبل المشرق ، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد ، فمن سَمِعَ بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج][1] .

تأكيداً على حقَّانيَّة هذهِ الراية وتعظيمها ، ووجوب نصرتِها ، وحرمة إضعافِها . بل في طائفة من النصوص : مَن نصرها نصرَهُ الله ومَن خذلها خذله الله .

وهذه المتون الواردة أعلاه كلّها تختزنُ مداليل مترابطة ، وصفات جديرة بالإنتباه والملاحظة . وقد لفتت نظر المؤرِّخ المقدسي المتوفِّي عام ٣٥٥ هجريَّة فقال - في كتابه « البدء والتاريخ » معلِّقاً على بعض أحاديث الرايات السود - : [قال قومٌ قد نُجِّزَت بخروجِ أبي مسلم الخراساني .. وقال آخرون : بل هذه تأتي بعد . وإنَّ أوَّل الكوائن ملك يخرج من الصين ، من ناحية يُقال لها ختن ، بها طائفةٌ مِن وُلد فاطمة عليها السلام ، مِن ظهر الحسين بن

---

[1] (عقد الدرر ١٢٩ / الحاوي للفتاوي ٦٤/٢) .

علي رضي الله عنهم ، ويكون على مقدّمته رجلٌ كوسج مِن تميم ، يُقال لـه « شعيب بن صالح » ، مولده بالطالقان ، مع حكايات كثيـرة وأخبـار عجيبـة ، من القتل والأسر والله أعلم][1] . ثم انَّ محقِّق كتاب « البـدء والتـاريخ » ذكـر في هامش الكتاب كلمتين مصحَّفتين لكلمـة « خـتن » وهمـا خـنن وختـين ، واحتمل أن تكون إحداهما صحيحة . في حين لا يبعد أبداً أن يكـون المـراد « خمين » حيث يمكن جـدّاً أن تصـحَّف كلمـة خـتن منهـا ، وخمـين مدينـة إيرانية ، قريبة من مدينة « قم المقدّسة » فيها وُلِد الإمام الخميني قائد الثورة الإسلاميّة الإماميَّة في أرض إيران الخراسانيَّة .

أقول : كلُّ ما ورد من المتون كان فـي مقـام التركيـز الشـديد علـى السيِّد المحمَّدي الذي يقود ثورةً إماميَّةً ضخمة يصل عبرها إلى إعلان قيام دولة خراسان التي تقود شعبها على هدي القرآن وعترة أهل البيت عليهم السلام ..

ثـم تشـيرُ النصـوص إلـى قيـاديٍّ آخـر فـي هـذه الدولـة الإماميَّـة الخراسانيَّة هو السيِّد الخراساني . وانّه يقـود هـذه الدولـة إلـى انتصـاراتٍ وتعاظم وثباتٍ كبير . مع الإلتفات إلى انَّ طائفة مِن المتون أكَّـدت أنَّ السـيِّد المحمَّدي صاحب الثورة يموت قبل أن يصل إلى بيت المقـدس . فـي حـين أشارت إلى أنَّ السيِّد الخراساني يفـتح بيـت المقـدس فـي حـرب ضـخمة . وبالتالي النصوص في مجملها العام تؤكِّد طابع التصـاعد فـي قـوَّة ومتانـة هذه الدولة التي تبقى حتى الظهور ثمَّ تقـود مجمـوع فتوحـاتٍ عظيمـة بـين يدي المهدي عليه السلام . ورغم الجُهد الذي يُصيبها زمن السفياني وتحالفـه مـع الروم والترك وبعض الرايات في هذه المنطقة ، فإنها تثبت . ثمَّ تأخذ زمـام

---

[1] (البدء والتاريخ ٢/٢٧٥)

المبادرة وتوقع في جيش السفياني قتلاً عظيماً . ثمَّ يكون لها وقعات هائلة ذات عظمةٍ لافتة بين يدي المهدي عليه السلام . النصوص صريحة في ذلك . وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام قال : [تخرج الرايات السود ، تقاتل السفياني ، فيهم شابٌّ مِن بني هاشم في كتفه اليسرى خال ، على مقدِّمته رجلٌ مِن تميم ، يُدعى شعيب بن صالح ، فيهزم اصحَابَهُ (أي أصحاب السفياني)][1] .

النص يشيرُ إلى شخصيَّتين كبيرتين في دولة خراسان الإماميَّة يكونان في آخر الزمن : السيِّد الخراساني القائم على رأس الحكم في دولة خراسان الذي يكون بين يديه قائد عسكري تميمي تصفه النصوص بأوصاف تؤكِّد على تفوُّقه وثباتِه الكبير وقدرتِه المتعاظمة في قيادة وإدارة الحروب التي منها حرب تحرير القدس . ويرشد النص إلى أمرٍ وصفي في القائد الخراساني الذي يكون على رأس الحكم في بلاد خراسان فيؤكِّد أنَّ بيدِه اليسرى خال . أي علامة . في حين نصٌّ آخر وغيره يشير بوضوح إلى علامةٍ تكون في يده اليمنى . وربّما وقْع خلطٌ من الراوي في التعبير عن اليمنى باليسرى . وقد يكون الوصف للعلامتين معاً . وإنْ استقربنا أنَّ العلامة تكون في اليدِ اليمنى بسبب كثرة النص الوارد في علامة اليدِ اليمنى .

والخال في كفِّه اليمنى يعني : علامة . النصُّ شديدُ الوضوح في أنَّ هذا السيِّد الخراساني الذي يقود دولة خراسان الإماميَّة يكون في يدِه علامة تشيرُ إلى وصفٍ خاصٍّ فيها . فلَاحِظ .

---

[1] (كنز العمال ١٤ حديث : ٣٩٦٦٦ / الحاوي للفتاوي ٦٩/٢) .

وفي نصٍّ آخر عن الإمام الباقر ﷺ قال : [يخرج شابٌّ مِن بني هاشم ، بكفِّهِ اليُمنَى خال (أي علامة) ، مِن خراسان ، برايات سود ، بين يديه شعيب بن صالح (قائد عسكري) ، يُقاتِلُ أصحاب السفياني فيهزمهم][1] .

مع الإشارة إلى انَّ هذه المتون تشيرُ إلى حرب الخراساني مع السفياني وأنَّ شعيب بن صالح ينتصر على جيش السفياني في تلك الحرب . ومعلوم أنَّ أكثر من معركة تقع بين جيش الخراساني والسفياني ، وانَّ الجيش الخراساني يفتح بيت المقدس . ثم بعد ذلك يقع انقلاب في دمشق – مدعوم من الروم – يقود السفياني إلى الحكم . فتقع سلسلة معارك بين جيشي الخراساني والسفياني ، بدءاً من فلسطين ، وصولاً إلى العراق ، ثمَّ معركة اصطخر الإيرانيَّة الضارية التي ينتصر فيها الجيش الخراساني على الجيش السفياني بشكلٍ هائل . ثم المعركة الفاصلة في دمشق التي تتلاحم فيها الجيوش وينهزم فيها السفياني هزيمةً نكراء .

وفي وصفٍ إخباري عمَّا يقع عبر قيادة الخراساني من نصرٍ وفتحٍ مؤزَّر بإذن الله تعالى تقول الرواية : [تقبل الراياتُ السود من خراسان ، على جمعِ الناس شابٌّ من بني هاشم ، بكفِّه اليُمنَى خال (علامة في كفِّهِ اليمنى) ، يُسهِّل اللهُ له أمره وطريقه][2] .

تأكيداً منه ﷺ لعلوِّ شأن هذهِ الراية وخلاصها مِن الصعاب رغم جهدها ، وتعاظم أمرها رغم تعدّد الرايات المناوئة لها ، بل تتواطئ القوى

---

[1] (عقد الدرر ١٢٨ / الحاوي للفتاوي ٦٢) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٩/٢) .

الكبرى لإسقاطها لكنّها تثبت وتتعالى أركانها ويتوسَّع وجودها ، فلا تسلّم الراية إلا للمهدي عليه السلام[1] . وفي بعض المتون استعمالٌ دقيق لعبارات يُراد منها وصف الواقع المستقبلي والمشهد الإفتراضي الذي سيتحقّق ، بحيث تجد استعمال العبارات جاء بعنايةٍ خاصَّة لوصف شريط الأحداث المستقبليَّة التي تحيط بأصحاب وقادة هذه الراية .

ففي رواية عبد الله بن عمر قال : [يخرج رجلٌ من وُلدِ الحسين عليه السلام من قِبَل المشرق ، لو استقبلتهُ الجبالُ الرواسي لهدَّمَهَا ، واتّخذ فيها طرقاً][2] .

ومن استعراض المتون المتعدِّدة حول وظيفة هذه الراية الخراسانيَّة وما تواجهه في عالم الأحداث الضخمة ، نجد أنَّ صيغة وتعابير هذا النص جاءت لتحكي قصَّة العقبات والصعاب التي تحيط بهذه الراية والمنطقة التي تكون فيها ، لتؤكِّد الطابع الصلب والحكيم لقائد هذه الراية ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم . النص يريد أن يُشبع ذهن القارئ بشكلٍ عميق حول شخصيَّة هذا الحسيني الخراساني الذي يشكِّل وجودهُ ضرورةً على رأس الحكم في دولة خراسان في أعقد الظروف وأكثرها تشابكاً وسط قوى تتزاحم للنيل من هذه الدولة ، لكنّ الله يعصمها بما تبذل من جهدٍ وطاقاتٍ وتتمسَّك بالقيم ، وتحيط نفسها بتقنيَّة الصمود والردع وأدوات الممانعة وشبه ذلك . تريدُ النصوص أن تلفت النظر إلى هذه الشخصية العملاقة في عالم الحكم والإدارة والفقه والثبات الذي يمثّله هذا القائد الخراساني الفذّ .

---

[1] يواجه الخراساني عقبات يسهِّل الله أمره وطريقه . إشارة إلى أزمات وعقبات وصدامات متنوّعة .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٢/٢) .

في نفس الوقت الذي تركّز فيه على وصف البيئة آنذاك على نحوٍ من عقباتٍ هائلة ، مثل سدود الجبال وأثقالها .. ثمَّ الروايات حول الخراساني عن طريق الفريقين كثيرة وصحيحة . وكلُّها تمدحه وتشير إلى مزايا ذات خصوصيَّةٍ لافتة في مقامِهِ القيادي الدِّيني لدولة دينيَّة إماميّة مُحاطة بقوة إقليمية وعالميّة تعمل على إسقاطها وإجهاض مشروعها . وتؤكِّد النصوص انّه من نسل الإمام الحسين (عليه السلام) ، ثائر ، مجاهر بدعوتِهِ إلى الإسلام ، مفاخر بانتماءهِ وانتماء دولتِهِ إلى أهل البيت (عليهم السلام) وقيمهم . وهو ينتسب إلى خراسان إمَّا بالمنشأ أو المولد أو السكن أو الإقامة أو لميزةٍ أخرى ، منها تغليب صفة الجغرافيا والتاريخ عليه في الإنتساب . أي بما هو معروف من دولة خراسان فيقال : الخراساني . ومن صفاته أنه يظهر شاباً . لكن لا يُدرى هذا الوصف ينطبق عليه في أوَّل الثورة أم في زمنها المتمادي أو عند قيادتِهِ أمرها على النحو الذي أشرت إليه . أم أن مفهوم الشباب قياساً على القيادة مأخوذ فيه عدم الشيخوخة المانعة . كلُّ هذه المعاني ممكنة ..

ويشكِّل الخراساني قطباً رئيسيَّاً في عالم الروايات ، تتّفق المتون على انّه الشخصيَّة الأبرز بين سائر القيادات في زمنِ الظلام القيمي والإنحراف المواثيقي والهزيمة الأعنف التي تُصيب التاريخ الأخلاقي للأُمم .

ثم تشير طائفة إلى شخصيَّة رفيعة ، ذات مزايا لها وصف خصوصي ، ودور وظيفي يرفعها إلى مصافي العظمة الإستثنائيَّة . أعني بذلك السيِّد الحسني أو الحسيني . أعني بذلك الشخص الذي يخرج في طالقان بظرفٍ استثنائي جداً . لا نعرف تفاصيل عن ماضي هذه الشخصيَّة المهمّة ، لكنّ النصوص تعرَّضت لبيان مرحلة شديدة الخطورة على قيادة الخراساني ودولتِهِ . يخرج على أثرها الحسني فيشكِّل درعاً حصينة لحكم

الخراساني . ففي ظرفٍ حرج يقع انقلابٌ مُدبَّر داخل خراسان ، يُراد منه الإطاحة بعاصمة العلم والفقه وصناعة رجال الحكم في دولة خراسان . أعني بذلك مدينة قم المقدَّسة ، ويتوسَّع هذا الإنقلاب ليشمل عدّة مناطق ، وعلى الأثر تختلط الأمور ، وتبدو النتائج شديدة الخطورة ، وبذلك تنقلب الحرب إلى الداخل ، وتتحوَّل جهود الحرب إلى عمق الكيان الخراساني ونواحيه . وسط بيئة دوليَّة معادية للخراساني ، وضغط شديد لإسقاط حكمه وإبطال مشروعه الإسلامي الإمامي .

لا نعرف الكثير عن وجه وهويَّة هذا الإنقلاب الخطير جداً . لكنَّ الظاهر منه يُؤكِّد الوصف الكارثي ، لأنَّ المشكلة الأصعب تقع في قم . وتتمدَّد في أكثر من منطقة بخراسان . بطن النصوص تشير إلى محنةٍ شديدة تصيب السيّد الخراساني ، وتثير أعاصير قاسية في الداخل الإيراني . بحيث يبدو أنَّ الأمور تزداد تعقيداً وقساوة ، إلى أن يفرِّج اللهُ على قيادة خراسان بظهور كنوز طالقان . ويكون السيِّد الحسني أحد أبرز كنوز طالقان ، كما يكون فيما بعد من أبرز أصحاب المهدي عليه السلام .

تُؤكِّد الروايات أنَّه يخرجُ مِن منطقة « طبرستان » . وذلك في أحرج الأوقات وأصعبها على السيِّد الخراساني ودولته المحمديَّة . فيُعلِنُ بجهرٍ كامل وجهدٍ عظيم مناصرتَهُ للسيد الخراساني . ويقود حركةً عسكريَّةً مضادّةً بوجه الإنقلابيين بالداخل الإيراني . كما يقف بقوَّة في وجه الفتنة الداخليَّة التي يتزعمها جماعة مِن المنحرفين في الداخل الإيراني للإطاحة بالنهج الذي يمثِّله السيد الخراساني . الروايات تصف لنا رهبةً عظيمة ، وموقفاً حرجاً شديد الخصوصية ، تجد معها أنَّ الأنفاس تُحبَس ، لأنَّ الظروف كما تُحيطُنا بها الألفاظ الواردة في الروايات تُؤكِّد طابعَ انحسار

رقعة السيطرة للسيِّد الخراساني في الداخل أمام زحف وتوسُّع الإنقلابيين الذين يُحاولون تلبُّس شعارات ومواقع من شأنها التأثير على الوصف الوظيفي للنهج الذي يقوده السيد الخراساني . إنَّها أعقد مشكلة تواجهها دولة الخراساني . ففي رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :

[.. ثم يخرج الحسني ، الفتى الصبيح ، الذي مِن نحو الديلم ، فيصيح بصوتٍ فصيح : يا آل محمَّد ، أجيبوا الملهوف ، والمنادي حول الضريح ، فتجيبه كنوزُ الله بالطالقان ، كنوزٌ لا مِن ذهبٍ ولا مِن فضَّة ، بل رجالٌ كزبر الحديد ، لكأنِّي أنظر إليهم على البراذين الشُّهب ، بأيديهم الحراب ، يتعاوون شوقاً إلى الحرب ، كما تتعاوى الذئاب ، أميرُهُم رجلٌ مِن تميم ، يُقال له « شعيب بن صالح » ، فيُقبِلُ الحسني فيهم ، ووجهه كدائرةِ القمر ، فيأتي على الظلمة فيقتلهم ، حتى يرد الكوفة][1] .

باعتقادي أنَّ الأنفاس تُحتَبس أمام هول الأزمة . وفي ألفاظ النص ما يكفي للتركيز العميق على الخطورة البالغة والإجتياح العنيف الذي مِن شأنها ان يطال مقام ورقعة الحكم والدولة وسدَّة القيادة في الدولة الخراسانيّة .. المتن يركز على عباراتٍ من مثل « أجيبوا الملهوف » . الإستجارة بالضريح .! تأكيداً على تعاظُم الخطورة وحيطتها . واللجوء إلى الضريح المقدَّس فيه كثيرٌ من التركزي على هول الأزمة وضعف الأدوات المانعة أو محدوديّتها أو هو في مقام التعبير عن كارثة الإنجراف الفكري التي تخرج في وجه السيِّد الخراساني .. ومع ظهور الطالقانيين تبدأ رحلة النصرة للسيِّد الخراساني في ظل أعقد الفترات وأحرجها بالنسبة إلى دولة

---

[1] (الأنوار النعمانيّة ٨٧/٢) .

خراسان . يبدو واضحاً من النصوص أنَّ الطالقانيين يملكون من أدوات النصرة والغلبة ما يعطيهم الأرجحيَّة الواضحة في تحطيم أركان تلك الفتنة .

يكشف النص عن اكبر تحوُّل مع ظهور هذه الجماعة التي يصفها بالكنوز ، الكنوز التي لا تُقَدَّر بمال ، كنوز تكون على نحوٍ متفانٍ لِمَا ترى من شللٍ وانحرافٍ ودمار وانهيار يضرب بدولة الخراساني ، فيقود الحسني أكبر ثورة تصحيحيَّة . ينجح فيها نجاحاً ضخماً . ثمَّ فيما بعد يسير حتى يدخل العراق فاتحاً . فإذا دخل المهديُّ عليه السلام الكوفة أتاهُ الحسني والخراساني فسلَّماه الراية . وهذا يعني مرحلةً متقدِّمة من زمن الظهور .

نعم يُستفاد من لحن طائفة أنَّ دخول المهدي عليه السلام يكون سابقاً على دخول الحسني والخراساني إلى الكوفة . على انَّ المعركة الأعنف لفتح العراق تقع من ناحية زحف الخراسانيين .

ومهما يكن مِن أمر ، فإنَّ الفتى الصبيح يُشَكِّل أكبر ضرورة زمن الفتنة الداخليَّة التي تضرب إيران . وفي رواية بحار الأنوار عن المفضل بن عمر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : [ثم يخرج الحسنيُّ ، الفتى الصبيح ، الذي نحو الديلم ، يصيح بصوت بصوتٍ فصيح : يا آل محمّد أجيبوا الملهوف ، والمنادي من حول الضريح ، فتجيبه كنوز الطالقان ، كنوزٌ وأي كنوز ، ليست من فضة ولا من ذهب ، بل هي رجال كزبر الحديد ، على البراذين الشهب بأيديهم الحراب ، ولم يزل يقتل الظَلَمَة حتى يرد الكوفة ، فيتّصل به وبأصحابِهِ خبرُ المهدي عليه السلام ويقولون : يا ابن رسول الله ، ما هذا الذي قد نزل بساحتنا ، فيقول : أخرجوا بنا إليه حتى

ننظر مَن هو ، وما يريد . وهو واللهِ يعلم أنَّه المهدي عليه السلام ، وإنّه ليعرفه ، ولم يُرِد بذلك الأمر إلا ليُعرِّف أصحابه مَن هو . فيخرج الحسني فيقول : إنْ كُنتَ مهدي آل محمَّد فأين هراوة جدِّك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخاتمه ، وبردته ودرعه الفضال ، وعمامته السحاب ، وفرسه اليربوع ، وناقته العذباء ، وبغلتُهُ الدلول ، وحماره اليعفور ، ونجيبه البراق ، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فيُخرِجُ له ذلك ، ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد وتُورِق ، ولم يُرِد ذلك إلا أن يرى أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يبايعوه . فيقول الحسني : الله أكبر ، مُدَّ يدك يا ابن رسولِ الله حتى نبايعك ، فيمدّ يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني ..][1] .

لا توجد بين أيدينا تفاصيل كثيرة . لكنَّ طائفة مِن النصوص تلفت انتباهنا إلى أزمةٍ عميقة تطال الداخل الخراساني ، وتتمادى حتى تؤثِّر بشكلٍ قاسٍ على السيّد الخراساني . فيبعث اللهُ السيِّد الحسني وبين يديه القائد المشهور « شعيب بن صالح » الذي يخوض أعنف المعارك مع الإنقلابيين في قم واصفهان وغيرها من المدن الإيرانيّة إلى أن يقضي على هؤلاءِ المنحرفين ويثبِّت من جديد كلمة التوحيد ورايةَ آل بيت محمَّد عليهم السلام ..

وبين يديَّ متنٌ مروي عن الإمام علي عليه السلام يشير إلى بعض خريطة الجهد الحربي والطريق الجهادي الذي يبذله الحسني في عملية التصحيح التي يقودها في وجه الإنقلابيين . ففي خطبة للإمام علي عليه السلام في الملاحم خطبها بالبصرة بعد وقعة الجمل قال عليه السلام : [.. يخرج الحسني صاحب

---

[1] (البحار ١٥/٥٣) .

طبرستان ، مع جمعٍ كثير من خيله ورجاله ، حتى يأتي نيسابور ، فيفتحها ويقسِّم أموالها ، ثم يأتي أصبهان ، ثمَّ يأتي إلى قم ، فيقع بينه وبين أهل قم وقعةٌ عظيمة ، يقتل فيها خلقٌ كثير ، فينهزم أهل قم .. ويخرِّب دورهم ، فيفزع أهل قم إلى جبل يُقَال له « ورارد ها » فيقيم الحسني ببلديهم أربعين يوماً ، ويقتل منهم عشرينَ رجلاً ، ويصلب منهم رجلين ويرحل عنهم][1] .

لا تفاصيل كثيرة حول أوصاف تلك الجماعة الإنقلابيَّة إلا انَّ ألفاظ النصوص تتضمَّن ما يؤكِّد أعظم الخطورة والجرائم التي يقترفونها . ولا أدري ما إذا كان لهم مددٌ خارجي أو عون أجنبي . لكنَّ طبيعة الجزاء الذي يقع على يدي الحسني يعني أنّهم أصحاب أخطر الجرائم وأقبحها . على أنَّ قم مصدر الشرعيَّة لحكم دولة الموطّئين . النصوص ترفعها إلى مرتبةً عظمى . من هنا يكون مخطّط الإنقلابيين إسقاطها ، ما يعني أضخم ضربة وأعظمها على دولة الموطِّئين للمهدي (عليه السلام) . فإذا خان البعض وثبت أمرُ الإنقلابيين بهذه المنطقة بعث اللهُ عليهم الحسني فنكَّل بهم تنكيلاً ، وذلك بهدف إنقاذ عاصمة المرجعيَّة ومهد صناعة رجال الحكم والقيادة في دولة الموطِّئين للمهدي (عليه السلام) . وفي الرواية عن الإمام علي (عليه السلام) قال : [تربة قم مقدّسة ، وأهلها منَّا ، ونحن منهم ، لا يريدهم جبَّار بسوءٍ إلا عُجِّلت عقوبتُهُ ، ما لم يخونوا إخوانهم][2] .

والحاصل العام أنَّ الحسني يطال الإنقلابيين فيها وينقذها مِن قبضات هؤلاء المنحرفين الذين خططوا جيّداً لإسقاط أهم معقل في دولة خراسان . لكنّهم يفشلون بإذن الله تعالى ..

---

[1] (البحار ٢٢٥/٦٠) .

[2] (البحار ٢١٨/٦٠) .

ثم يتابع الحسني طريق فتوحاتِه فيما بعد إلى أن يصل إلى الكوفة ، أي يفتح العراق . ويكون المهدي (عليه السلام) قد دخلها قبله . وهذا يعني أنَّ الخراسانيين يعانون من هذه الفتنة الداخليَّة في فترةٍ متأخِّرةٍ عن حروبِهم التي يخوضونها في أكثر من منطقةٍ ضد اليهود والترك والسفياني ..

نعم النصوص تشيرُ إلى وصفٍ يرصد لنا حركة الجيوش الداخلة إلى العراق . وكأنَّ هذا الحدث بين السيِّد الحسني والإمام المهدي (عليه السلام) يكون في أوَّل الفترة الزمنيَّة التي تدخل فيها جيوش المهدي (عليه السلام) إلى الكوفة . ففي الرواية عن أمير المؤمنين قال : [وتسير الجيوش - أي جيوش الإمام المهدي (عليه السلام) - حتى تصير بوادي القرى ، في هدوءٍ ورفق ، ويلحقه ابنُ عمِّه الحسني في اثني عشر ألف فارس ، فيقول له الحسني : يا ابن عمٍّ أنا أحقُّ بهذا الجيش منك ، وأنا المهدي (يريد بذلك أن يعرِّف أصحابه بكرامة المهدي (عليه السلام)) ، فيقول المهدي (عليه السلام) : بل أنا المهدي (عليه السلام) . فيقول الحسني : هل لك مِن آية فنبايعك ؟ فيومئ المهدي (عليه السلام) إلى الطير فتسقط على يده ، ويغرس قضيباً في بقعةٍ مِن الأرض فيخضرّ ويُورِق ، فيقول له الحسني : يا ابن عمٍّ هي لك ، ويسلِّم إليه جيشه ، ويكون على مقدّمته واسمه على إسمه][1] .

على أنَّ هناك طائفة تشيرُ إلىَّ الحسني والحسيني ، أي سيِّد طالقان وسيِّد خراسان يدخلان مسجد الكوفة والمهدي (عليه السلام) يخطب على المنبر فلا يُسمَعُ صوتُهُ من شدّة بكاء الناس . فيسلِّمانه الراية . أقول هذا مشهد آخر من مشاهد البيعة والتسليم . في حين تلك الطائفة من مشهد الحسني مع

---

[1] (عقد الدرر ٩٠) .

المهدي (عليه السلام) تشيرُ إلى موقعةٍ تكون بين الحسني والمهدي (عليه السلام) أثناء الدخول . يريد منها الحسني إظهار الكرامات الكبرى والولاية التكوينية التي أحاط اللهُ به مولانا المهدي (عليه السلام) . لكن قبل دخول الجيوش تقع معارك طاحنة مع دولة العباسيين في العراق . بحيث يقود الحسني طرفاً من الجبهة والخراساني يقودُ طرفاً آخر في عمليَّة فتح ضخم للعراق .

ففي وصفٍ مختصر لكنَّه غنيٌّ بالتعابير حول زحف جيش الحسني نحو العراق للإلتحام بجيش العباسيين يقول الإمام علي (عليه السلام) : [إنَّ لبني العباس يوماً كيوم الطّموح ، ولهم فيها صرخة كصرخة الحبلى . الويل لشيعة وُلدِ العباس مِن الحرب التي تفتح بين نهاوند والدينور ، تلك حرب صعاليك شيعة علي (عليه السلام) ، يقدمهم رجلٌ مِن همدان اسمه على اسم النبيِّ (صلى الله عليه وآله) ، منعوت ، موصوف باعتدال الخَلق وحُسن الخلق ، ونضارة اللون ، له في صوته ضجاج ، وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطح ، أفرق الشعر ، مفلج الثنايا ، على فرسه كبدر تمام ، إذا تجلَّى عند الظلام ، يسير بعصابة خير عصابة آوَت وتقرَّبت ودانَت لله بدينِ تلك الأبطالِ مِن العرب ، الذين يلحقون حرب الكريهة ، والدائرة يومئذ على الأعداء . إنَّ للعدوِّ يوم ذاك الصليم والإستئصال][1] .

يؤكِّد النص وقوع حرب عنيفة ، شديدة القسوة ، ينتصر فيها الشيعةُ الموطِّئون بشكلٍ عملاق . وهناك تدور الدائرة على أعداءهم . ويبدو من بعض أوصاف النصِّ أنّ تلك الحرب عنيفة إلى درجة وصفِها بالكريهة لما يقع فيها من قتلٍ وصدمٍ وعنفٍ والتحام ..

---

[1] (الغيبة للنعماني ١٤٧) .

وفي مقطوعةٍ تاريخيَّة روائيَّة أخرى تصف لنا الشكل الأوسع من زحف جيش الموطِّئين الذي يستوعب جيوش السيِّد الخراساني والسيِّد الحسني ، واليماني في يوم الفتح الأكبر هناك . يقول أمير المؤمنين عليه السلام : - في وصف ذلك - : [.. تقبل راياتٌ مِن شرقي الأرض غير معلَّمة ، ليس بقطن ولا كتَّان ولا حرير ، مختومٌ في رأس القناة بخاتم السيِّد الأكبر ، يسوقها رجلٌ من آل محمَّد ، تظهر بالمشرق وتوجد ريحها بالمغرب ، كالمسك الأذفر ، يسير الرعبُ أمامها بشهر ، حتى تنزل الكوفة طالبين بدماء آبائهم ، بينما هم على ذلك ، إذا أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقانِ كأنّهما فرسا رهان ، شعث غبر جعد ..][1] .

ففي هذه الرواية تأكيد مكثَّف على قوَّة الجيش الزاحف ونواحيه . فتعبير : « تظهر بالمشرق وتوجد ريحها بالمغرب » يعني قوَّة الجيش ونفوذه الضخم وأدواته التي من شأنها التأثير في نواحي الأفق الآخر ، ومكانته التي من شأنِها أن تؤثِّر بشكلٍ ضخم في ميزان القوى الجديدة بعد هذا الإنتصار الضخم في العراق . التعبير يريد الإشارة إلى وصف الأداة الحربيّة العملاقة والجيش الكبير من جهة ، ومن جهةٍ أخرى يريد التأكيد على أن هذا الموقع الجديد لجيش الموطِّئين سيترك آثاراً ضخمةً في الجهة الأخرى من قوى الغرب التي تتربص بالمهدي وجيوشه التابعة له .

ثمَّ ذيل النص يشير إلى جيوشٍ ثلاثة - هي جيوش للمهدي عليه السلام - : جيش الحسني ، وجيش الخراساني ، وجيش اليماني ، التي تدخل العراق كلٌّ من جهة فتفتحه . وفي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال : [يدخل المهديُّ عليه السلام

---

[1] (البحار ٥٢/٨١) .

الكوفةَ ، وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها فتصفو له ، فيدخل حتى يأتي المنبر فيخطب ، ولا يدري الناس ما يقول عليه السلام من البكاء ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله : كأنّي بالحسني والحسيني وقد قاداها فيسلّماها إلى الحسيني فيبايعانِه][1] .

وهذا يكون على اثر انتصار الحسني الكبير على الإنقلابيين في الداخل الخراساني . ثمَّ قيادة الخراساني جيشاً ضخماً لمتابعة فتوحاتِه التي تتمُّ في العراق ، وبها يلتقي الخراساني والحسني الطالقاني مع قائم آل محمَّد عليه السلام في العراق . على انَّ اليماني يكون من جهةٍ ثالثةٍ أيضاً قد دخل العراق . وبذلك يتمُّ اجتماع التشكيل العسكري الأوَّلي من جيش خراسان وطالقان واليمن بالإضافة إلى الألوية والرايات التي تُرفع باسم المهدي عليه السلام في الأصقاع المختلفة من الأرض . فضلاً عن جيش المهدي الأعظم .

قيمة هذه النصوص أنَّها تعطي موقعاً بارزاً جدَّاً للسيِّد الخراساني الذي يكرِّس حياتَهُ ومقدّرات دولتِه من أجل سلطان المهدي عليه السلام . ويكون لدولة الموطّئين تاريخ عريق وقدرة ومناعة موصوفة ومدهشة . في حين لا تحدِّثنا النصوص عن دولة يمنيَّة شيعيَّة قبل تاريخ ظهور اليمني ، بل تحدِّثنا النصوص عن تحوُّل هائل وسريع يكشفُ عنه ظهور اليمني وإعلان أهل اليمن الولاء للمهدي وآل محمّد عليهم السلام .

بتعبير آخر : النصوص تحدِّثنا عن رايةٍ عملاقة ، عن دولةٍ راسخة ، عن كيان ضخم تُعبِّر عنه رايةُ خراسان بقيادة السيِّد الخراساني الذي يشكِّل رمز أهل الولاية والعترة في عصر الظهور ، والدولة العملاقة الوحيدة

---

[1] (الغيبة للطوسي ٢٨٠) .

التي تصمد بشكلٍ مدهشٍ أمام رياح السحق والصعق الغربيَّة الشرقيَّة . ثم فيما بعد تحدِّثنا - بعد كمٍّ هائلٍ من الأحداث التي تصنعها أو تؤثِّر فيها أو تتموقع فيها دولة خراسان - عن تطوُّرات عظيمة ، منها الفتنة الخطيرة في أرض خراسان ، بتأييدٍ ونصرةٍ من رايات غربيَّة شرقيَّة ، تعمل على إجهاض مشروع السيِّد الخراساني - ارواحنا فداه - ورغم التأييد العالمي ، يصمد السيّد الخراساني بشكلٍ مذهل ، وفي حالةٍ حرجةٍ صعبة يُخرجُ اللهُ كنوزهُ من طالقان ، ويكون القائد على رأس هذه الراية السيِّد الحسني ، وبين يديه القائد العسكري شعيب بن صالح ، فيحقّق أعظم الإنتصارات بمشاركة السيِّد الخراساني . ومن أرض خراسان يجتاز إلى أرض العراق ، وهناك تقع المعركة الأعنف بين جيش الخراساني والطالقاني من جهة وجيش العباسيين المدعومين من غيرهم من جهةٍ أخرى . وتنتهي المعركة الضارية بفتح العراق أمام جيوش آل محمَّد عليهم السلام ..

تتحدَّث الروايات عن انَّ اسم السيد الحسني كإسم المهدي عليه السلام ، أي اسمه محمَّد ، يكون في طالقان ، يبدو انّه غير معروف مِن قبل ، لم يكن له شهيرة سابقة ، يظهرهُ الله تعالى في أدقّ فترة تحتاجُهُ فيها دولة خراسان لنصرة السيِّد الخراساني العظيم . ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام قال : [.. ويكون على مقدّمته - أي مقدمة جيش المهدي عليه السلام واسمه على إسمه][1] . وفي نص آخر عن الإمام على عليه السلام قال : [.. يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله (أي محمَّد)][2] . وتؤكِّد النصوص أنَّ الحسني شابٌّ مِن آل محمّد ، جميل الوجه حسن المنظر ، مضحٌّ في الله ،

---

[1] م . س .

[2] م . س .

شديد الإيمان والتقى ، لا تأخذه في الله لومةُ لائم . كما الروايات صريحة في أنَّ الحسني هو القائد الأعلى لكنوز الطالقان ، وفي طليعتهم شعيب بن صالح التميمي . وهو الوجه الأبرز في الحدث الطالقاني الأضخم ، والمفصل الرئيسي لتاريخ الأحداث الداخليَّة زمن الفتنة الذي يقضي على الإنقلابيين الظالمين .

المتون صريحة جداً في انَّ كنوز الطالقان لا تظهر إلا على اثر انقلاب دموي يستهدف القضاء على ثورة الموطّئين وعلى حكم السيِّد الخراساني . وأنَّ هذه الجماعة الطالقانيّة تلقى مِن الخذل ما تلقى في ظل أحرج موقف ، وأشدّ محنة ، وأصعب مرحلة . وفي الحديث النبوي قال ﷺ : [لا تزال طائفة من أمّتي .. يقاتلون على أبواب الطالقان ، لا يبالون مَن خذلهم ، ولا مَن نصرهم ، حتى يخرج الله كنزه من الطالقان ، فيحيي بهم دينه ، كما أُميت من قبل][1] .

ألفاظ النصِّ صريحةٌ في المحنة الشديدة ، في الخذل وعدم النصرة ، في التشويش والإضعاف ، لكنَّ هذه الجماعة لا يهمُّها إلا أن تقوم بواجبها الإلهي . النص شديد الصراحة في أنَّ هؤلاءِ لا يهمُّهم مَن خذلهم أو ترك نصرهم . وهذا يبطِّن إشارة إلى أنَّ هناك مَن يخذلهم ، ويتركهم ، ويدع نصرتهم في لهوات الحرب الداخليَّة وضنك المحنة ، فلا يبالون . وعلى الله يتوكَّلون . إلى أن يُتِمَّ اللهُ لهم النصر ، بجهد وتضحيات جيش الطالقاني والخراساني . النصوص تشير إلى أنَّ السيِّد الحسني يخرج في ظرف محنة وضيقٍ هائل ، عبَّرت عنه النصوص بالملهوف ، إشارة إلى تلك

---

[1] (كنز العمال ١٢ / حديث ٣٥٠٥٥) .

الصفة الصعبة جداً من الضيق والصعاب التي يخرج فيها ليقف درعاً منيعاً مدافعاً عن الخراساني ومشروعهِ الموطِّئ للمهدي عليه السلام .

النصوص تُعبِّر عنه بـ « المهلوف » ، أي المُضطَهَد والمُحَاصَر . وفي الرواية : [يخرج الحسني .. فيصيح بصوت له فصيح : يا آل محمّد أجيبوا الملهوف .. فتجيبه كنوز الطالقان .. بأيدهم الحراب ، ولم يزل يقتل الظلمة][1] . وعلى الأثر يتوجَّه الثائر الحسني بجيشه نحو المدن الإيرانيَّة التي يحتلها الإنقلابيُّون ، وخاصة مدينة اصفهان وقم .. وهاتان المدينتان تنطلق منهما حركة الموطِّئين للمهدي عليه السلام بدلالة الروايات التي تمدح اهل قم . لذلك يكون مشروع المتمرِّدين القضاء على أهم مركز لثورة الموطّئين . ما يعني أعنف ضربة وأقساها لمشروع السيِّد الخراساني ، فينهض إليهم الحسني ويخوض معهم معركةً عنيفة ينتصر بها عليهم ، بعد ملاحم من القتال .

ليس بين يدينا تفاصيل كثيرة حول هويَّة وخريطة ومشروع دعم هؤلاءِ المتمرِّدين في الداخل الإيراني . لكن مِن النصوص وقراءة تواريخ الأحداث والفوضى العالميَّة والإنقسامات السياسيّة وإعلانات الحروب على دولة خراسان من قبل الروم والترك وبعض الأنظمة العربيَّة وغيرها في أوقاتٍ مختلفة وظروفٍ معقدّة ندرك أنَّ انقلاب الداخل يأتي إتماماً لهذا المشروع التدميري الذي يريد إسقاط نظام الخراساني وإبطال مشروع دولة الموطّئين للمهدي عليه السلام . لكنَّه يفشل بفضل الله تعالى ، وصمود الخراساني ونصرة الطالقاني .

---

[1] م . س .

وبعد القضاء على الإنقلابيين في بلاد خراسان يتحرَّك السيد الحسني بجيشه نحو العراق الذي يكون محكوماً من قيادة بني العباس الجديدة في عصر الظهور . فيخوض معهم معركة عنيفة ينتصر بها على العباسيين ويفتح العراق . في حين تقع حرب سابقة بين الدولتين الخراسانيَّة والعراقية ، حيث يشنُّ طاغية العراق وهو رجل من جانب دجلة حرباً على دولة خراسان ، على الفقيه الهاشمي الذي يحقِّق قيام دولة خراسان . فيقتل المزيد من أبنائِها ، لكنَّ العاقبة تكون للمتَّقين . عندها يخوض الحسني حرب الفتح العظيم طالباً بدماء أبنائِهم الذين قُتِلوا ظلماً على يد مجرم العراق الذي يشنُّ حرباً عدوانيَّة ابتدائيَّة على أرض خراسان سابقاً . وهذا معنى قول الإمام علي عليه السلام :

[.. تُقبل راياتٌ مِن شرقي الأرض .. يسوقها رجلٌ مِن آل محمّد ، تظهر بالمشرق ، وتوجد ريحها بالمغرب (إشارة إلى قوّتها ومنعتها وتأثيرها العالمي) .. حتى تنزل الكوفة طالبين بدماء آبائهم ..][1] .

على أنَّ جيوشاً ثلاثةً تدخل العراق : جيش الحسني ، وجيش الخراساني ، وجيش اليماني . وكلّها من جيوش المهدي عليه السلام . نعم الروايات تُصرِّح بأنَّ قوات الحسني تدخل العراق قبل جيش الخراساني . لكن بعد أن يهزم السيد الخراساني جيوش الأعداء تتلاحم القوات الخراسانية مع القوات الطالقانيَّة داخل الأراضي العراقية ، وتسير راية الحسيني الخراساني والحسني الطالقاني فإذا وصلا إلى حيث المهدي عليه السلام في الكوفة سلَّما راية الموطِّئين له عليه السلام ، وهو معنى حديث النبي صلى الله عليه وآله : [وكأني بالحسني

---

[1] م . س .

والحسيني وقد قاداها فيسلّماها إلى الحسيني (المهدي) فيبايعونه][1] . وبذلك يشكّل السيِّد الحسني أهم حدث مفصلي في زمن الفتنة الداخليَّة في بلاد خراسان وما يتبعها ، على انّ السيِّد الخراساني يظهر كنجمٍ عملاق له تاريخ ومواقف مدهشة ومعارك ضخمة في طول الأحداث الكبرى بعصر الظهور وصولاً إلى لحظة تسليم الراية للمهدي عليه السلام .

ويبدو أنَّ للسيِّد الحسني - وموقعة قتاله العباسيين في آخر الزمان وانتصاره الجليل في الفتنة الداخليَّة ببلاد خراسان ثم فتحِه أرض العراق - شهرةً ظاهرةً في أزمانٍ متنوِّعة اشتهرت على لسان الرواة ورجال الدولة زمن بني العباس في دولتهم الأولى . وهناك شهادات تاريخيَّة عميقة لهذا الموقع . ففي كتاب المأمون المطوَّل - الذي كتبه للعباسيِّين بعدما اعترضوا على تنصيبه الإمام الرضا عليه السلام وليّاً للعهد ، مطالبين بعزله وتصيب ولده العباس لولاية العهد مكانه - جاء في بعض فقراتِه :

[.. فأمَّا إنْ أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العصا ، فإنَّ الرشيد أخبرني عن آباءه وعمّا وجد في كتاب الدولة .. : ما لكم إلا السيف ، يأتيكم الحسني الثائر فيحصدكم حصداً ، والسفياني المرغم ، والقائم المهدي عليه السلام ، وعند القائم تُحقن دماؤُكم إلا بحقِّها][2] .

ففيه يحكي المأمون قصّةً إخباريّةً لا بدَّ واقعة في آخر الزمن ، زمن وجود السفياني ودولة بني العباس الثانية ، زمن ظهور المهدي عليه السلام ، في ظل أحداثٍ جسام ، يكون منها خروج الحسني الذي يقتل بني العباس قتلاً

---

[1] م . س .

[2] (غاية المرام ١٩٩) .

بالحق فيحصدهم حصداً . إلى هذا المستوى كان هذا الموقعُ المستقبلي مشهوراً في متون الرواية وصدور الرجال حول الصِّدَام العباسي مع الثائر الحسني الذي ينتهي بنصر الحسني الكبير . بل في علامات الظهور القريبة لقائم آل محمَّد ﷺ ، ورد عن إبن عباس - في حديث المعراج عن رسول الله ﷺ - : [.. وخروج رجل مِن وُلد الحسن .. وظهور السفياني][1] .

إشارة إلى الفتى الحسني الطالقاني الذي يشكِّل خروجُهُ أكبر مفصل في تحوُّل الأحداث وعلامة شديدة القرب على ظهور المهدي عليه السلام .

شعيب بن صالح

تكاثَرَ ذكر « شعيب بن صالح » التميمي في متون الروايات التي تؤكِّد على الطابع العملاق في القيادة العسكريّة التي يقودها وقوَّة التأثير والإختراق لجيوش الأعداء وإطفاء الفتنة التي تحدثُ في بلاد خراسان . وهو يعتبر مِن أبرز القادة العسكريين في دولة الموطّئين ، بحيث يشكِّل حضورهُ علامةً لافتةً في قدرة وقوّة التأثير على الجيوش المعادية . لا يخشى الموت ، شديد العشق لأمر آل محمّد عليهم السلام .. صفتُهُ أنّه شاب ، مربوع القامة ، كوسج اللحية أو خفيف الشعر ، عربي الأصل ، يعود نسبه إلى قبيلة تميم ، أصفر اللون من شدَّة العبادة ، قوي في دينه ، صلب في يقينه ، لا يرى للحقِّ بديلاً ، رابط الجأش ، مقدام ، شديد على الأعداء ، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدَّها واتّخذ منها طُرُقاً . إشارة إلى عقباتٍ شديدة تقف في وجههِ

---

[1] (كمال الدِّين ٢٥٠) .

فيتغلَّب عليها . يقود العسكر وينتصر للمهدي عليه السلام ويدعو إليه . وفي الرواية : [.. فعليكم بالفتى التميمي ، فإنّه يُقبل مِن قبل المشرق ، وهو صاحب راية المهدي عليه السلام][1] .

تأكيداً على صفته المشرقيَّة ، ومناداته بالمهدي الثاني عشر مِن آل محمَّد عليهم السلام في آخر الزمن ، وإثباتاً لدوره الجهادي الضخم . وفي رواية أخرى - ناظرة إلى وصفه - : [.. غلام حديث السن ، خفيف اللحية ، أصفر ..][2] .

وعن صفته في الفتوحات ، وقدرته في مواصلة الجهاد جاء في الرواية في وصفه : [.. يخرج بالري ، ربعة اسمر ، مولى لبني تميم ، كوسج ، يُقال له شعيب بن صالح ، لا يلقاه أحدٌ إلا قتله][3] .

وعن ملاقاته الأمور الصعاب ، والأحداث الضخمة والحروب القاسية التي يتَّخذ منها طريقاً وانتصاراً جاء في الرواية : [.. لو قاتل الجبال لهدَّها ، حتى ينزل إيلياء (يعني بيت المقدس)][4] .

على أنَّ ظهورَ هذا القائد العملاق - الذي يحقِّق انتصارات عظيمة ، ويكون أصلُ وجوده دافعاً نفسيَّاً كبيراً وميزة قوَّة ضخمة للجيش الخراساني - يكون ظهوره فجأة في بلاد خراسان ، فلا يكون قبل ذلك معروفاً أو مشهوراً . وقد شبَّه الإمام علي عليه السلام خروجه في أرض خراسان

---

[1] (مجمع الزوائد ٣١٧/١ / الحاوي للفتاوي ٦٢/٢) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٨/٢) .

[3] (الفتاوي الحديثيّة ٤١/ عقد الدرر ٣٠) .

[4] (البرهان للمتّقي الهندي ٢١٧) .

بالنبع . إشارة إلى الفجأة التي يظهر فيها . فقال ﷺ : [.. وتحرّكت عساكر خراسان ، ونبع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان][1] .

فهو طالقاني ، ومِن الثلّة الممدوحةِ بشكلٍ عظيم في لسان النصوص الواردة في الثناء على الطالقانيين لما يقومون به من دورٍ عملاقٍ هائل آنذاك . وبتعبيرٍ آخر : هو واحدٌ من الكنوز الخفيَّة البارزة التي تظهر في آخر الزمان ، في أدق ظرف وأصعب محنة ، ليشكِّل القائد العسكري الذي يشتهر ويذيع صيتُهُ بشكلٍ مدهش آنذاك ، لما يقع على يديه في تلك الفترة التي تُعتبر من أدقّ فترات الخطورة في بلاد خراسان . وفي الرواية : [وإنَّ لآل محمَّد بالطالقان لكنزاً ، سيظهرهُ اللهُ إذا شاء ، دعاة حقٍّ يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله][2] .

يُشكِّل خروج هذه الجماعة الطالقانيَّة ضرورة الضرورة آنذاك في وجه الإنقلابيين الدمويين الذين يعملون بكلِّ ما بقوَّتهم لإسقاط مشروع دولة السيِّد الخراساني ويحتلون بعض المدن في بلاد خراسان . في هذهِ الجماعة التي يقودها السيِّد الحسني ، يكون شعيب بن صالح القائد العسكري الأبرز الذي ينتصر بشكلٍ كبيرٍ على هؤلاءِ المنحرفين الذين يتقاطع مشروعهم مع الروم والترك وبعض الأنظمة التي في ما نسمِّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط خاصّة السفياني بالإضافة إلى دولة بني العباس المتجدّدة في عصر الظهور . ثم على اثر الإنتظار الباهر في بلاد خراسان يخرج الحسني وبين يديه القائد العسكري شعيب بن صالح ليقود

---

[1] (مشارق البرسي ١٦٦) .

[2] (شرح نهج البلاغة ٤٨/٧) .

أضرى معركة في وجه العباسيين ويفتح العراق . وهناك يتمُّ تسليم الرايـة للمهدي عليه السلام ثم يكون على مقدِّمة جيش المهدي عليه السلام .

هويّة الراية الخراسانيّة

تُشَكِّل راية الموطِّئين الخراسانيين صفة ظاهرة في عصر الظهور ، وهذه الدولة يكون لها الوصف الراسخ في الدعوة إلى آل محمَّد عليهم السلام وضرورة تطبيق دولة وفقه القرآن والعترة .

لا يحدِّثنا التاريخ عن دولةٍ إيمانيَّة عملاقة - بحدود حماية نفسها والتأثير في الساحة الإقليميَّة الواسعة ، والضغط في الميزان الدولي ، وصناعة جزء رئيسي من تاريخ منطقة الشرق الأوسط بل الأوسع منها - مثلما يحدِّثُنا عن دولة أهل خراسان ، الذين يحملون راية أهل المشرق ويثبتون على حكومة القرآن والسنّة ، ويدعون للمهدي عليه السلام في زمن الغيبة .

إنّهم صفة استثنائيَّة في زمنٍ انعدمَ فيهِ التاريخ الأخلاقي للبشر ، وانهارت دعائم الميثاق الوجودي في مدارس الأمم ، وبدا على نحوٍ كاسحٍ مستفيضٍ في بناء قيم سيِّئة تجتاح عالم الإنسان التعدُّدي الصدامي آنذاك .

تتحدَّث الروايات عن طوائف من أهل الثبات على القرآن والسنَّة والولاية ، طوائف تنادي بالمهدي عليه السلام . نعم راية الأبدال الشاميَّة يبدو من النصوصِ أنّها لها رسوخاً واضحاً ، يكون لها صلة بالخراساني ، ونزول

على ولايتِهِ ، وقتال لليهود في بلاد الشام ، ومناداة بالمهدي ، وانتظار للفرج . وهذا يعني أنَّ لها قدماً ووجوداً سابقاً على الراية المصريَّة .

ويكون للعراق حظٌّ وافر من الشيعة الذين ينادون بالإسلام المحمَّدي الأصيل ، الإسلام الذي يقوم على ركني القرآن والعترة . ويبدو من متن طائفة من النصوص أنّهم يذوقون الويلات والعذابات في ظروفٍ وعهودٍ مختلفة ، على انَّ بعض النصوص صريحة في أنَّ شيعة العراق يكون لهم صلة وثيقة بالخراساني . بل بطن النصوص صريحة في أنّ الأبدال والعصائب والنجباء يكونون على نحوٍ تام من إعلان الولاية للخراساني .

والذي يقرأ النصوص حول العراق ، « قد » يصل إلى نقطة يستظهر منها وجود دولتين أو كيانين أو صيغتين سياسيَّتين في العراق ، واحدة شيعية موالية لآل محمَّد تنادي بالمهدي ﷺ وعلى صلة وثيقة بالخراساني . والثانية يحكمها الظالمون الطغاة الذين منهم العباسيُّون الذين يتجدَّد حكمهم في آخر الزمن . القدر المُتيقَّن أنَّ هناك حضوراً واضحاً بارزاً للشيعة في ناحية الكوفة . ما يعني الإشارة إلى جنوب العراق .

هؤلاءِ الشيعة يذوقون الويلات في أزمانٍ مختلفة .

كثيرة هي النصوص التي تشيرُ إلى عذابات شيعة العراق ، والقتل والسفك الذي يطالهم بأوقاتٍ مختلفة . حتى السفياني يجد مِن أُولى مهمّاتِهِ بعد إخراج الخراسانيين من فلسطين مهاجمة العراق بخصوص شيعتِهِ . فضلاً عن طمعهِ باجتياح النظام السياسي القائم هناك .

والجامع العام بين الخراسانيين والعراقيين وأبدال الشام ونجباء مصر أنّهم يدعون إلى قائم آل محمّد . ويدينون اللهَ بولاية آل بيت محمّد ﷺ .. ويشكّل القرآن والعترة المعلَم الأضخم في دولة هؤلاءِ ، بل العماد الأكبر في دولة الخراسانيين . وفي رواية جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال : [ما مِن قومٍ احب إلى الله تعالى مِن قومٍ حملوا القرآن وركبوا التجارة التي ذكرها الله : ﴿ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقرأوا القرآن ، وشهروا السيوف ، يسكنون بلدةً يُقال لها قزوين ، يأتون يوم القيامة وأوداجهم تقطرُ دماً ، يحبُّهم اللهُ ويحبّونه ، تفتح لهم ثمانية أبواب الجنّة ، فيُقَال لهم ادخلوها من أيِّها شئتم][1] .

تأكيداً على الوصف العظيم الحتمي في هذه الدولة وشعارها ومشروعها . والنضال الذي تخوضُهُ من أجل حماية قيمها ذات البعد الوئامي مع كون الإستخلاف وعظمة الوجود وأصالة العبوديَّة . هذا يعني أنَّ الخراسانيين يشكّلون قطب تلك الرايات ، والمعلم الأكبر في الدعوة إلى الله والقرآن والعترة النبويّة الطاهرة ، بل يصلون إلى مستوى الريادة الكبرى في تعليم الناس الإسلام الذي نزل على النبيِّ المصطفى محمّد ﷺ . وفي رواية الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام قال : [كأنّي بالعجم في فساطيطهم ، في مسجد الكوفة ، يُعلِّمون الناس القرآن كما أُنزِل][2] .

هذا القرآن الذي قرنَهُ النبيُّ ﷺ بأمرٍ مِن الله بأهل البيت عليهم السلام الذين لا يفترقون عن القرآن ولا يفترق القرآنُ عنهم إلى يوم القيامة . وهم أهل الوصيَّة والإمامة والضمانة لأهل الدنيا والآخرة . وعليه : يكون شعار دولة

---

[1] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥١٠٥) .

[2] (الغيبة للنعماني ٣١٨) .

بلاد خراسان الدعوة إلى الإسلام بركني القرآن والعترة النبويّة . وفي الرواية : [.. فتى من قبل المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي[1] ﷺ .. يُوطِّئ أو يمكِّن لآل محمّد[2] .. وإنَّ لآل محمَّد بالطالقان لكنزاً ، سيظهره الله إذا شاء ، ودعاةُ حقٍّ يقومون بإذن الله ، فيدعون إلى دين الله][3] .

هذا النص يؤكد طابع ثورة الخراسانيين وتوابعهم ، من الطالقانيين أو الذين يرتبطون بهم مثل أبدال بلاد الشام وشبه ذلك الذين يدعُون للمهدي ، ويقيمون أمرهم على دين الله ودين رسولِه وولاية أهل بيتهِ عليهم السلام .. وانّهم يظلّون على هذا الأمر حتى يسلّموا الراية للقائم المهدي .

إذن مشروعهم السياسي إقامة حكم القرآن في الأرض . وجرّاء هذا المشروع الإلهي ينالهم الضغط والعناء والجهد البالغ ويُهاجَمُون ، فيخوضون المعارك لحماية خيارهم الفريد في كون الإنسان الذي انحرف وسقط بأيدي الأباطرة المتوحِّشين في مستنقع غرائزي سوقي انتحاري في مجال القيم والمفاهيم ..

وتحدِّثنا النصوص عن هويَّة محدَّدة من الأحداث ، تشير إلى « فساد اليهود » وحضورهم البارز في منطقة الشرق الأوسط ، وكيانهم الكائن في ناحية فلسطين . وعن مخطّطات الروم ، وقوى أخرى بارزة لها حضور عالمي ، في ظل تهاوٍ عربي ، واختلال عنيف في موازين القوى لصالح الروم وأتباعهم .

---

[1] (كنز العمال ١٤ / حديث : ٣٩٦٨٠) .

[2] (سنن أبي داود ٤ / حديث ٣٢٩٠) .

[3] (شرح نهج البلاغة ٤٨/٧) .

تحدّثنا عن مزيدٍ من الفوضى ، والظلم ، والإستبداد ، ونظام دولي لا يعترف بالحقوق الكونيّة لمعاني الوجود .. تحدّثُنا عن ظلم يهودي واستبدادٍ متنامٍ ، عن استنزاف للمسلمين ، عن ضعفٍ مثيرٍ في جانب القادة المحسوبين على الإسلام . وفي خضم تلك الأحداث تخبرنا عن إعلان مركزي تدعو إليه جبهة الخراسانيين يكمن في فتح بيت المقدس وتحريره . وفي فترة ما من الأحداث الضخمة والفتن الحربيَّة والفوضى التي يبدو انّها تعمُّ منطقة الشرق الأوسط ، بالإضافة إلى طغيان واضح للروم والترك وغيرهم ، يتحوّل الأمر إلى هجوم كاسح من قبل الخراسانيين نحو القدس ، لا يتوقَّف حتى ينصبوا رايات الفتح في بيت المقدس . وفي الرواية : [تخرج من خراسان رايات سود ، فلا يردّها شيئ حتى تنصب بإيلياء ..][1] . إشارة إلى زحفٍ خراساني يتحقَّق على أثرهِ انتصار ضخم يتجلَّى بفتح بيت المقدس .

ويبدو أنَّ ذلك الزحف الخراساني يلاقي صعاباً هائلة في طريق تحرير القدس فيتجاوزها ، وينصب رايات الفتح في تلك المنطقة التي تشكِّل واحدةً من الإعلانات الكبيرة في مشروع السيِّد الخراساني . ففي رواية تصف قائدهم تقول : [لو قاتل الجبال لهدَّها حتى ينزل بإيلياء][2] .

وفي تعبيرٍ آخر يشيرُ إلى مفصليَّة هذا الحدث ، والدعوة إلى المهدي عليه السلام والتوطئة للظهور الشريف تقول الرواية : [.. حتى ينزل بيت المقدس . يوطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانه][3] .

---

[1] (كنز العمال ١٤/ حديث ٣٨٦٥٢) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٨/٢) .

[3] (الفتاوي الحديثيّة ٤٢) .

هذا الحدث الهائل يصنعه الخراسانيُّون الذين يملكون من أدوات القتال ما يحقِّق لهم هذا المقصد الضخم ، رغم حشود الروم ، وصراخ القوى الموالية لليهود والأنظمة الإقليميَّة التي تدعمهم آنذاك . وحين كان الإمام الصادق عليه السلام يقرأ الآيات التي وردت في مطلع سورة الإسراء : ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ سأله بعض أصحابه عن هؤلاء الذين سيبعثهم اللهُ تعالى لقتال بني إسرائيل ؟ فقال عليه السلام له : ثلاث مرات : [هُم والله أهل قم ، هُم واللهِ أهلُ قم ، هم والله أهل قم][1] .

تأكيداً على هويَّة أصحاب هذا الحدث الكبير ، فضلاً عن الإشارة إلى كثافة حضورهم الكمِّي - النوعي في منطقة الشرق الأوسط ، وامتلاكهم زمام المبادرة في أزمانٍ متنوِّعة . وإبَّان هذا الحدث ، وقبله أيضاً تدور بين بعض حكَّام العرب وبين هؤلاءِ الخراسانيين معارك وحروب ، وفي الحديث المستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله قال - في هؤلاء الخراسانيين - : [ليضرُبَنَّكم على الدِّين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً][2] .

يبدو مِن متن النص أنّه قتالٌ محورهُ حماية الدِّين الإسلامي وحفظه وثباتُهُ وإعلان ولايته . ورغم المعوّقات المختلفة ، يجتاح الجيش الخراساني مناطق الحرب والقتال حتى ينصب راياتِهِ في إيلياء [بيت المقدس] . وفي الرواية - التي تصف جهد الجيش الخراساني الكبير وجهد قائده العملاق - : [لو قاتل الجبال لهدَّها واتّخذ منها طرقاً ، حتى ينزل بيت

---

[1] (البحار ٦٠/٢١٦) .

[2] (كنز العمال ١٤ / حديث ١١٧٧٢ . المطالب العالية ٤٢٢٧/٤ رواه المتّقي الهندي عن ابن جرير وصححه وقال صاحب المطالب العالية سنده صحيح) .

المقدس][1] . فينزل فلسطين فاتحاً ، وقد تعدَّدت الروايات التي تؤكِّد ذلك وهي على نوعين ، واحدة عامة ، وثانية خاصّة . ففي الحديثِ عن النبي ﷺ قال : [إذا وقعت الملاحم بعث اللهُ بعثاً مِن الموالي .. يؤيّد الله بهم الدِّين][2] . وفي رواية أخرى : [فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يحبهم ويحبّونه ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم][3] .

وعن هويّة هؤلاءِ ؟ يقول النبيُّ ﷺ : [هم أصحابُ الرايات السود ، المستضعفون ، فيعزّهم اللهُ وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحدٌ إلا هزموه][4] . وفي رواية أخرى : [سقى اللهُ بلادَ شعيب بالراية السوداء المهديّة بنصر الله وكلمته ، حتى يبايع المهدي عليه السلام بين الركن والمقام][5] .

تأكيداً على هويَّة هؤلاء ، وعلى الزمن الذي يخرجون فيه ، وأنَّه آخر الزمان ، وأنّهم كيان وراية تدعو إلى المهدي عليه السلام ، وأمة تنادي بالإسلام ديناً للدولة والجماعة والإجتماع . وأنَّهم قومٌ لهم مِن القدرة والمنعة ما يخوِّلُهُم فتح بيت المقدس وتحريره من أيدي الطغاة الظالمين . ففي الرواية التي تصف خروجهم إلى بيت المقدس تقول : [تخرج الرايات السود من خراسان معها قومٌ ضعفاء يجتمعون فيؤيّدهم الله بنصره][6] . ومعنى ذلك أنَّ الدِّين يتعزَّز حضوره التطبيقي بهم وبجهدهم التضحوي .

---

[1] م . س .

[2] (مستدرك الصحيحين ٥٤٨/٤ / عقد الدرر ١٢٢) .

[3] (البحار ٢١٦/٦٠) .

[4] (كنز العمال ١٤/حديث ٣٩٦٨٠) .

[5] (الملاحم والفتن لإبن طاووس ١٣٧) .

[6] (الفتن لإبن حماد ١٨٩) .

ففي الرواية : [.. يؤيِّد اللهُ بهم الدِّين][1] . إنّها راية تدعو إلى الإسلام القائم على ركني القرآنِ والعترة النبويَّة ، من ينصرها ينصره الله ، إشارة إلى النصرة المقرونة بها ، ومن يخذلها يخذله الله ، إشارة إلى خذلان أعدائها . وأنّها واجبة الطاعة والنصرة والمآزرة والدعم . ففي الرواية التي تتحدَّث عن الخراسانيين الذين يخرجون في آخر الزمان ويقودون دولة القرآن تقول : [يبعث اللهُ رايةً سوداء مِن المشرق ، مَن نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله الله ، حتى يأتوا رجلاً اسمه كإسمي ، فيولّونه أمرهم ، فيؤيّده اللهُ بنصره][2] .

وفي لفظٍ آخر : [.. راية تجيئ مِن المشرق ، مَن يهزّها يُهَزُّ ، ومَن شاقَّها يُشقّ][3] . دلالةً على منعتِها ، وشرعيّتها الهائلة ، وثباتِها المدهش ، وحقانيّتِها الكبرى ، بل تحقُّق نصرها وفتحها بيت المقدس ، وأنها إلى خير ، والعاقبة لها ، مهما مالت الظروف ، وتعقَّدت الأحوال ، وإنْ خسروا بعض المعارك الإستثنائيّة ، لكنَّ بناء التاريخ لهم في النهاية . فهم الذين يخوضون معركة ضارية في وجه السفياني بمنطقة اصخطر فيُبدِّدون ذلك الجيش بشكلٍ هائل ، وهم الذين يخوضون معركة فتح العراق مع الخراساني والطالقاني فيفتحونه ، وهم الذين يتوجّهون نحو دمشق في معركةٍ فاصلةٍ مع السفياني ويخوضون في الشام أضرى المعارك ضد السفياني ، ومِن الجهة الأخرى يكون جيش اليماني وجيش المهدي عليه السلام ويكون القتال في جهة الخراسانيين عنيفاً جدّاً بوصف الروايات إلى أن يتم القضاء نهائيّاً على

---

[1] (مستدرك الصحيحين ٥٤٨/٤) .

[2] (عقد الدرر ١٣٠) .

[3] (دلائل الإمامة ٢٣٥) .

جيش السفياني في معركة طبريَّة الفاصلة بقيادة المهدي عليه السلام . وبذلك تتمُّ السيطرةُ المطلقة على أرض الشام والحجاز والعراق بما في ذلك منطقة الخليج . بالإضافة إلى اليمن وخراسان ..

وفي الوعد الإلهي : تلك الراية الخراسانيّة مؤيَّدة بالنصر . وأنّها تشكِّل الطرف الأكثر وجوداً وتعاظماً في فترةٍ تاريخيَّة رغم الظروف المختلفة في عصر الظهور . وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : [هم أصحاب الرايات السود ، المستضعفون ، فيعزّهم الله ، وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحد إلا هزموه][1] . وفي حديث آخر : [فلا يلقاهم أحدٌ إلا هزموه وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب راياتُهم بيت المقدس][2] . وفي نصٍّ ثالث : [تخرج مِن خراسان راياتٌ سود ، فلا يردّها شيئ حتى تنصب بإيلياء][3] .

تأكيداً على هذا الحدث التاريخي الذي يغيِّر - في فترة ما - جزءاً بارزاً من خريطة الشرق الأوسط وميزان القوى فيها . وتشير طائفة مِن النصوص بمضامين ألفاظها أنَّ هذه الراية الإيمانيَّة تتعرَّض للخذلان ، فلا يهمّها ذلك ، وتتوكَّل على الله ، وتنصب نفسها داعيةً إلى قيم الكون والسماء ، فلا تردّ سيوفها حتى تنزل بيت المقدس . وقد ورد في الرواية : [.. مَن نصرها نصرهُ الله ، ومَن خذلها خذله الله ، حتى يأتوا رجلاً إسمه كإسمي ، فيولّونه أمرهم ، فيؤيِّده اللهُ بنصره][4] .

---

[1] (كنز العمال ١٤/حديث ٣٩٦٨٠) .

[2] (ابراز الوهم المكنون ١٠١) .

[3] (كنز العمال ١٤/ حديث ٣٨٦٥٢) .

[4] (عقد الدرر ١٣٠) .

على أنَّ الأحداث في تلك الفترة وقبلها وبعدها تكون شديدة التعقيد والتسارع ، تتداخل فيها قوى كبرى وقوى إقليميَّة ، وولاءات متنوِّعة ، يكون الطابع العام فيها أنظمة جائرة ، ورجالات استبداديَّة ، وطغيان واضح للروم واليهود وغيرهم . وبحدثٍ مفاجئ تزحف جنود خراسان حتى تنزل بيت المقدس في فلسطين . ومنذ تلك اللحظة تضطرب قوى العالم ، وتعلن بأشكالٍ مختلفة تحالفات وولاءات لإخراج الجيش الخراساني من فلسطين .

القيمة الرفيعة لأهل قم في التراث :

لأهل قم قيمة محترمة ، بل فائقة في متون كثيرٍ من النصوص ، يُلاحَظُ فيها أنّها ناظرة إلى آخر الزمن وما يقع على أيديهم في عصر ظهور المهدي عليه السلام . وهي نصوص توأميَّة مع ما مضى مِن مدح أهل خراسان المُوطِّئين لظهور المهدي عليه السلام . بل في بعضها تأكيد على القيمة الريادِيَّة في العلم الإلهي ونشره وإعلانه حجَّة على الخلق ، وصولاً إلى قيام السيِّد الهاشمي الكبير الذي يحقِّق قيام دولة خراسان ورايتها . ويموت - رضوان الله عليه - قبل أن تحرير بيت المقدس .

إلى الكثير من الطوائف التي تتقاطع مع « أهل قم » بأوصافٍ مِن جهاتٍ مختلفة ، كلّها تصبُّ في مدح الراية الخراسانيّة التي تكون في عصر الظهور الشريف .

والواضح مِن بعضها أنَّ قم تكون مصدر قيام هذه الثورة ، أي رجالاتُها وفقهاءُها وبالأخص شخصيّة هاشميّة عملاقة تكون وراء تحقُّق قيام دولة خراسان . وفي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : [(يخرج) رجلٌ مِن قم ، يدعو النَّاس إلى الحق ، يجتمع مع قومٍ قلوبهم كزبر الحديد ، لا يتزلُّهُم الرياح والعواصف ، لا يملّون مِن الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله

يتوكّلون][1] . إشارة إلى معالم تلك الثورة التي تقوم على أثرها راية أهل المشرق ، فتتأسَّس دولة بلاد خراسان .

والأهم في النص تلك الشخصيَّة العملاقة المحمّديَّة الهاشميَّة ، الفقيه العارف الذي يخرج منادياً بإقامة أمر الله ورسوله والولاية العلويَّة وتوطئة أمر المهدي وتنظيم أمر الجماعة انتظاراً للفرج العظيم ، إلى أن يتحقَّق له إقامة دولة خراسان . فيعلن رجلٌ مِن جانب شاطئ دجلة حرباً عدوانيّةً ابتدائيَّة عليه فيسفك فيها الدماء ولا يراعي حرمة . واللافت أنَّ تلك الشخصيَّة العظيمة تموت قبل تحرير بيت المقدس .

ثم يكون على رأس الحكم في تلك الدولة الإماميَّة زمن الظهور شخصيَّة مرموقة في نصوص أهل البيت عليهم السلام ، هذه الشخصيَّة يمثِّلها السيِّد الخراساني الذي يتابع طريق قائد ثورة خراسان المحمديَّة العلويَّة . ويكون الجامع الأكبر في مشروع هذه الدولة الإماميَّة الخراسانيَّة الدعوة إلى قائم آل محمَّد المهدي عليه السلام ونصرة الإسلام والثبات عليه إلى أن يتحقّق الظهور الشريف فيبايعونه ويضحَّون بين يديه بشكلٍ مدهش .

وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [إنّما سمِّي قم ، لأنَّ أهله يجتمعون مع قائم آل محمّد عليه السلام ، ويقومون معه ، ويستقيمون عليه وينصرونه][2] . هذا سرٌّ مدحهم وفضلهم ، وهو أمرٌ عظيم ، أمر يشكِّلون

---

[1] (البحار ٦٠- ٢١٦) . نصوص ثورة الموطّئين ذكرت بلدان مثل قزوين وطالقان وغيرها من مدن إيران فيما التركيز كان على منطقة قم وخراسان . إشارة إلى عاصمة الموطّئين السياسيّة والدينيّة . لا على بداية انطلاقتها الجهاديّة .

[2] (البحار ٦٠ – ٢١٦) .

معه كياناً قويَّاً ، وأمَّة عقائديَّة تعلن المهديَّ عليه السلام بين الأمم السياسيَّة كافَّة سلطانَ الوجود وخاتم الوصيين . وتقيم دولتها وامَّتها على نهج الإسلام . بهذا شكَّل القميُّون أو الخراسانيُّون - لأن النصوص الواردة في أهل قم ، واردة في نخبة دولة خراسان - شكَّلوا المدلول الأوفى في مدح أهل البيت عليهم السلام . وفي رواية صفوان بن يحيى قال : كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر أهل قم وميلهم إلى المهدي عليه السلام فترحَّم عليهم وقال : [رضي الله عنهم .. إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب ، واحدة منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا مِن بين سائر البلاد ، خَمَرَ اللهُ تعالى ولايتنا في طينتهم][1] .

تعظيماً لأمرهم ، وما يكون منهم في آخر الزمان . وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عنهم : [أما انَّهم أنصارُ قائمنا ، ودعاةُ حقِّنا . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم اعصمهم مِن كلِّ فتنة ، ونجِّهم مِن كلِّ هلكة][2] .

والنصوص صريحة في أنَّ أهل البيت عليهم السلام يمدحون عموم أهل خراسان مِن أهل الثبات والحق ، ويخصُّون بالمدح أهل قم لِمَا يشكِّلون نموذجاً عملاقاً في هذه الأمَّة وقيادتها ومصدر عقيدتها . بل نزَّل الأئمَّة عليهم السلام أهل ناحية خراسان منزلة أهل قم في المدح تأكيداً لعظمة قم ونواحيها وما يكون من الخراسانيين في آخر الزمن ، في عصر الظهور . فقد ورد جماعةٌ

---

[1] (البحار ٦٠ - ٢١٦) .

[2] (البحار ٦٠ - ٢١٨) . وحين كان الإمام الصادق عليه السلام يقرأ الآيات التي وردت في مطلع سورة الإسراء : ﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ فسأله بعض أصحابه عن هؤلاء الذين سيبعثهم الله تعالى لقتال بني إسرائيل ؟ فقال له عليه السلام : ثلاث مرات : هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم ، هم والله أهل قم » (البحار ٦٠/٢١٦) .

مِن أهل الري على الإمام الصادق عليه السلام .. وقالوا : نحن من أهل الري . فقال عليه السلام : مرحباً بإخواننا مِن أهل قم . فقالوا : نحن من أهل الري . فقال عليه السلام : مرحباً بإخواننا من أهل قم . فقالوا نحن من أهل الري . فأعاد الكلام عليه السلام كذلك - كانوا يقولون ذلك فيجيبهم عليه السلام بمثل ما أجاب به أوّلاً مِن مدح أهل قم - ثم قال : [إنَّ لله حرماً هو مكّة ، وإنَّ للرسول حرماً وهو المدينة ، وإنَّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم][1] .

تنزيلاً لأهل الري منزلة أهل قم ، ولفت الإنتباه إلى تنزيله ذلك لعموم بلاد خراسان بما يشمل راية الموطِّئين في عصر الظهور ونطاق وجودهم . ولما سيمثِّل أهل قم مِن موقعٍ عقائدي وثوري وإنتاجي لرجالات دولة خرسان في آخر الزمان . بالإضافة إلى الموقع العملاق ، موقع العلم الذي تنشره قم في أنحاء بقاع الأرض . ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [ستخلوا كوفة مِن المؤمنين ، ويأرز عنها العلم كما تأرز الحيّة في جحرها ، ثم يظهر العلمُ ببلدة يُقال لها « قم » ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستَضعَفٌ في الدِّين حتى المخدَّرات في الحجال ، وذلك عند قرب ظهور قائمنا عليه السلام ، فيجعل اللهُ « قم » وأهله قائمين مقام الحجَّة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، ولم يبقَ في الأرض حجَّة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد مِن المشرق والمغرب ، فتَتُم حجَّةُ الله على الخلق ، حتى لا يبقى أحدٌ لم يبلغ إليه الدِّينُ والعلمُ . ثم يظهر القائم عليه السلام ويصير سبباً لنقمةِ اللهِ وسخطه على العباد ، لأنَّ اللهَ لا ينتقم من العباد إلا

---

[1] (البحار ٦٠ - ٢١٦)

بعد إنكارهم الحجَّة][1] . هذا الحديث الجليل يُعطي قم موقعاً رفيعاً في مقامات العظمة ، وهو صادر زمن الإمام الصادق عليه السلام ، أي في النصف الأول من القرن الهجري الثاني . يتحدَّث عن قم وموقعها العلمي الهائل ، وطاقتها الكبيرة في الإحتجاج على أهل المشرق والمغرب . فما أعظم هذا الحديث ، وما أكرم نبوأته ، ومَن يشاهد قم اليوم يخشع امام عطائها العلمي العظيم الذي يفيض في اتِّجاه المشرق والمغرب .

وإنِّي أذكر لمَّا دخلتُ « قم » في أول يوم لبعثتي العلمية هناك ، ذهلني ما شاهدتُ في حضرة السيِّدة فاطمة المعصومة ، حيث العلماء والأساتذة وطلبة العلم حلقات حلقات ، يملؤون المساحة الكبيرة يتباحثون بفقه أهل البيت عليهم السلام والعلوم الأخرى ، بشكلٍ ملأ قلبي عظمةً وفخراً وإشباعاً ودهشة . لقد ذهلني ذلك المنظر وأفعم قلبي بعشق « قم » وأهلها وفي كلِّ يومٍ وليلة يزدادُ عشقي لهذا البلد العظيم ، رزقني اللهُ زيارته بمحمّد وآل محمّد عليهم السلام ..

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام - يشيرُ فيه إلى المقام الذي تبلغه قم من الإحتجاج والعلم والرفعة في الرلاء والعطاء على العالمين - يقول عليه السلام : [إنَّ الله احتجَّ بالكوفة على سائر البلاد ، وبالمؤمنين مِن أهلها على غيرهم مِن أهل البلاد . واحتج ببلدة قم على سائر البلاد ، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب مِن الجن والانس . ولم يدع اللهُ قم وأهله مستضعفاً ، بل وفَّقهم وأيدهم .. وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ، ولولا ذلك

---

[1] (البحار ٦٠ - ٢١٦) .

لساخت الارض بأهلها ، وإنَّ الملائكة لتدفع البلايا عن قم وأهله ، وما قصده جبَّار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين وشغله عنهم بداهية أو مصيبة أو عدو ، وينسي اللهُ الجبارين في دولتهم ذكرَ قم وأهله كما نسوا ذكر الله][1] .

في هذا الحديث تأكيد لافت جداً حول قم وعظمتها لما يعنيه موقعها العلمي ، وتصديرها للفقهاء الذين يقُودُون الدولة الخراسانيَّة زمن الظهور الشريف ، ولثباتها على الحق ، وتعاظم أمرها . وفي درء الفتن عنها . حتى انَّ الفتنة الداخليّة التي تصيب أرض خراسان يعمل فيها الإنقلابيُّون على الإطاحة بقم ، على اعتبار أن قم تشكِّل المهد الأعظم في دولة إيران التي تقوم في الأصل على المفهوم العقيدي والمنظور المرجعي . لكنَّ الله يبعث على هؤلاءِ الإنقلابيين المنحرفين كنوزَ طالقان الذين يقودهم السيِّد الحسني والقائد شعيب بن صالح فيطهِّرون الأرض من هؤلاءِ المتمرِّدين الذين تتقاطع مصالحهم مع الروم والترك والسفياني وغيره ..

وبذلك أحضر أهلُ البيتِ عليهم السلام إخباراً واقعاً لا محالة لراية محمّديَّةٍ علويَّة إماميَّة عظيمة تقوم في أرض خراسان ، يقودها فقيه من أرض قم ، في آخر الزمن ، تدعو إلى آل محمَّد ، وتقيم دولة خراسان على هديهم عليهم السلام ..

كان هذا ردّاً على العباسيين الذين حاولوا جاهدين إيهام الناس بأنهم اصحاب الرايات السود ، حتى انهم طبّقوا هذه الروايات على ثالث خلفاءهم محمد بن عبد الله الذي لقبوه بالمهدي ، وذلك بعد أن أسقطوا دولة

---

[1] (البحار ٦٠ – ٢١٣) .

الأمويين في العام ١٣٢ هجريّة . عندها ركَّز أهلُ البيت عليهم السلام على عناوين أخرى لأصحاب الرايات السود الذين يخرجون في آخر الزمن ، زمن الغيبة والظهور الشريف ، منها التركيز على أنَّ انطلاقة هذه الثورة تكون من قم ، ومن مدن خراسانيَّة أخرى ، ترفع رايةً محمديَّة علويَّة ثابتة وتامَّة ، دون ذكر الرايات السود حتى لا يستغلها العباسيُّون .

وفي المتون بشارة صريحة بأصحاب الرايات السود القصار من خراسان الذين تكون حركتهم من قم في آخر الزمن . وانَّ هؤلاء يعتقدون بإمامة أهل البيت عليهم السلام ، وينادون بهم ، ويقيمون أمر دولتهم على أُسس الإسلام بركني القرآن والعترة النبويَّة . وأنَّهم يقاتلون السفياني الذي يظهر زمن ظهور المهدي عليه السلام . وفي الرواية : [.. فيبعث عليه - أي إلى السفياني - فتىً مِن المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله ، هم أصحاب الرايات السود المستضعفون ، فيعزّهم اللهُ وينزل عليهم النصر][1] .

وتكون هذه الرايات الخراسانيَّة في عصر الظهور ، وهي بالتالي غير تلك التي خرج بها بنو العباس ، لتكريس سلطانهم الظالم الذي قتل وتشفّى من أهل البيت عليهم السلام .. وفي حديث آخر : [إنها راياتُ هدىً ، يدفعونها إلى رجلٍ من أهل بيتي][2] . تأكيداً على خطِّها الإمامي ، وأنّها تظلُّ على ثباتِها الرشيد حتى تسلِّم الراية للقائم المهدي عليه السلام .

وأنَّ أهلها هم خيرةُ أهلِ الأرض إيماناً وثباتاً على الولاية والإسلام مقابل الأمم الفاسدة الظالمة الجائرة . وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام

---

[1] (كنزل العمال ١٤ / حديث : ٣٩٦٨٠) .

[2] (مستدرك الصحيحين ٤٦٤/٤) .

قال : [هم خيار شيعتنا ، مِن بين سائر البلاد ، خَمَر اللهُ تعالى ولايتنا في طينتهم][1] . وميزةُ هؤلاءِ أنَّهم الدعاة للمهدي عليه السلام ، وسيكونون أبرز أنصاره يوم الظهورِ أيضاً . ففي الرواية : [.. أما انهم أنصار قائمنا ودعاة حقّنا][2] .

وهم الذين يبذلون أنفسهم وما يملكون في سبيلِ إعلاء كلمة الإسلام وتطبيق الشريعة ، والمحافظة على التاريخ الإنساني الأخلاقي للبشر ، كضرورة لمواصلة موكب الإنسان في عالم الوجود . صرَّحت بذلك عشرات الروايات التي بشَّرت بثورة الموطِّئين وتشدُّدِهم بالحق ، وإصرارهم عليه . وفي الحديث النبوي الذي يصف حالهم قال صلى الله عليه وآله : [لا يُبالون مَن خذلهم ولا مَن نصرهم ، حتى يُخرِجَ اللهُ كنزَهُ مِن الطالقان ، فيُحي اللهُ به دينه كما أُميت مِن قبل][3] .

بحيث يكون ثباتُهم على الحق الرباني والتزامُهم به مِن أكبر ميزاتِهم التي يُعرفون بها . والتي بسببها يُلاقون ألواناً من الضغط والجهد والبلاء . وفي الحديث النبوي الذي يصف استقامتهم يقول صلى الله عليه وآله : [.. دعاةٌ حقٌّ ، يقومون بإذن الله ، فيدعون إلى دين الله][4] .

ويبدو أنَّ الدولة الخراسانيَّة تعاني جداً مِن اختلاف ميثاقها عن ميثاق الأمم السياسية التي تُكَوِّن دنيا التعدُّد السياسي ويكون هذا سبباً لحروب سياسيَّة - دبلوماسيّة ، وخلافات عميقة بالعلاقات ، ومحاولات

---

[1] (البحار ٦٠ - ٢١٨) .

[2] (البحار ٦٠ - ٢١٨) .

[3] (عقد الدرر ١٢٢) .

[4] (شرح مهج البلاغة ٤٨/٧) .

مختلفة لإجهاض مشروعها الدِّيني القيمي القائم على نهج الإسلام المحمّدي الأصيل . حتى انه مع أولى قيامها يعلن واحدٌ من حُكَّام العرب ، من جانب دجلة الحرب عليها ظلماً وعدواناً ، وفي زمنٍ ما نجد قسماً من حُكَّام العرب يتواطئُون مع اليهود والروم في حروب ومعارك وقطع علاقات دوليَّة وضغوط مختلفة بوجه الخراسانيين ، إلى درجة أنَّ السفياني العربي يقود جيشاً جرَّاراً ليخرج الخراسانيين من فلسطين ثم يتبعهم إلى العراق وغيرها بهدف تحقيق غاية الروم ، فضلاً عن مشاريعه الخاصَّة بالتوسُّع والضلال ..

إلا أنَّ هؤلاءِ الخراسانيين يتابعون شوط جهادهم وثباتِهم والتزامهم بالإسلام المحمَّدي العلوي . إلى ان يحقّقوا أكبر النجاحات ، ثم يتابعون الفتح الأعظم تحت راية قائم آل محمَّد المهدي عليه السلام .

راية اليماني

هي راية ممدوحة بالنصوص ، ذات قيمة رفيعة واضحة ، تناصرُ المهديَّ عليه السلام وتدعو إليه ، وتقاتل بين يديه فتبذل المُهَج . ولهذا تُسمَّى راية المناصرين للمهدي عليه السلام . لا تحدّثنا الروايات بتفصيلٍ عن أهل اليمن ، لا نعرف الكثير عنهم قبل ظهور المهدي عليه السلام . لا توجد بين يدينا رواية تقول بأنَّ اليمن تكون شيعيَّة . نعم النصوص صريحة جدَّاً في تحوُّل اليمنيين وإعلانِهم الولاء لأهل البيت قريباً من ظهور المهدي عليه السلام ، ثم بذلهم الأرواح بين يديه . أمَّا اليماني ، فهو شخصيَّة عملاقة . النصوص تمدحه ، له دور وريادة واضحة . يكون موالياً لأهل البيت وباذلاً نفسه أمامهم . ومع أنَّ أكثر من نظام ودولة عربيَّة تقاتل الخراسانيين زمن الغيبة نجد أنَّ اليمن تنأى عن ذلك .

ومع الإضطراب السياسي الذي يعمُّ منطقة الحجاز ، ومع الفوضى العارمة التي تصيب منطقة الشام والعراق ، وصولاً إلى الآفاق ، ومع ظهور السفياني ، ومواجهاتِه الشرسة للموطِّئن الخراسانيين تلفت النصوص نظرنا إلى حدثٍ مفاجئ ، مفادهُ ظهور اليماني في صنعاء من أرض اليمن . دون ان نعرف تفاصيل عن الوضع السياسي والنسيج العام ، والوضع القائم في اليمن . وهذهِ صفة البشارات في نقل النتائج المستقبليّة باختصار .

أهميَّة دور اليماني أنَّه يدعو للمهدي ويناصره . والنصرة ملحوظ فيها الدور والوظيفة التي تقوم بها راية اليماني في نصرة المهدي عليه السلام . وقد أشار النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى اليماني بقوله : [.. قومٌ رقيقةٌ قلوبهم ، راسخٌ إيمانُهم ، ومنهم المنصور ، يخرج في سبعين ألف ينصر خَلَفِي وخَلَف وصيِّي (يعني المهدي عليه السلام) ..][1] .

وفي التراث المنقول طوائف تؤكِّد هذا الطابع المهم في هذه الراية التي تناصر المهدي عليه السلام وتجاهر في ذلك ، وبوقتٍ قصير جداً ما قبل ظهور المهدي عليه السلام . وتشير أنهم القومُ الذين يقاتلون على الحق مرَّتين : مرَّة مع النبيِّ صلى الله عليه وآله . ومرّة مع المهدي عليه السلام . فقد قال صلى الله عليه وآله لمعاذ بن جبل - حينما أرسله على أهل اليمن والياً - : [.. بعثتُك إلى قومٍ رقيقةٌ قلوبُهُم ، يقاتلون على الحق مرَّتين][2] . وفي نصٍّ آخر أوضح النبيُّ صلى الله عليه وآله قتالهم على الحق مرَّتين فقال : [.. وَلله في اليمنِ كنزانِ ، جاء بأحدهما يوم تبوك[3] ، كانت الأزد يومئذ ثلث الناس . ويجيئ بالآخر يوم الملحمة العظمى ، سبعون ألفاً حمائل سيوفهم المسد][4] . والملحمة العظمى وصفٌ لما يحدثُ في آخر الزمن في عصر الظهور ، وهذا لفظٍ تكاثرت النصوص في نقله وتكراره للإشارة إلى ما يقع في آخر الزمن . والأزد من العشائر اليمانيَّة المشهورة ، كان لها الثقل الأكبر عدداً وعدَّةً في غزوة تبوك بوجه الروم بقيادة رسولِ

---

[1] (الغيبة للنعماني ٣٩) .

[2] (مجمع الزوائد ٥٥/١٠) .

[3] (في الأصل المروي قال « اليرموك » وهو خطأ واضح من الراوي . لأن اليرموك معركة وقعت بين المسلمين والروم على حدود بلاد الشام أواخر خلافة أبي بكر . أما تبوك فهي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وآله وهي التي شاركت فيها اليمن) .

[4] (عقد الدرر ٢١٥) .

الله ﷺ . وسيكون لهم الثقل الكبير يوم الملحمة العظمى ، أي يوم نصرة المهدي عليه السلام حفيد النبي بوجه الروم أيضاً في آخر الزمن .

بل في طائفة من النصوص أنَّ بعض العرب تخشى قتال الروم في وقعة الشام الهائلة وتحاول التملُّصَ من ذلك ، فيبعث المهديُّ عليه السلام إلى اليمنيين وأهل المشرق الذين يخوضون حرباً ضارية ويبذلون – حسب الروايات – أنفساً كثيرة جدّاً لتحقيق النصر الإلهي العظيم .

ولا تقدِّم النصوص لنا الكثير عن اليماني قبل ظهوره ، نعم النصوص كثيرة في التركيز على نهضتِهِ وثورتِهِ ومناصرتِهِ للمهدي عليه السلام . بل يستفاد من بعضها أنَّ اليماني ينهض بجيشهِ بناءً على تخطيط وتنظيم وإرشاد من قبل المهدي عليه السلام نفسه . وقد اختلفت الروايات في تحديد إسم اليماني . وهذا يكون أحياناً شكلاً من أشكال الكناية وإيجاز القانون في بيان رمز تلك الشخصيَّة الأساسيّة زمن الظهور . نعم هناك رواية ذكرت اسمه مردَّداً بين حسن وحسين ، فقالت : [يخرج ملك من صنعاء ، إسمه حسين أو حسن ، فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركاً زاكياً ، فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء][1] . وفي رواية أخرى وصفته بـ « نصر » ، وهي واضحة في أنَّها بمقام التوصيف . وفي متنٍ آخر أشارت إلى وصفه بالنصر ثم لفتت إلى انَّ اسمه سعيد . وكأنَّها في كلا الأمرين تشير إلى كنايةٍ ووصفٍ ما ، مأخوذ من انتصاراتِهِ وبطولاتِهِ وموقعه الظافر . ففي الرواية : [.. إنَّما سُمِّي نصر ، لنصر الله له] . وفي رواية أخرجها إبن عساكر عن النبي ﷺ قال : [صاحب الأعماق الذي يهزمُ اللهُ

---

[1] (البحار ٥٢ / ١٦٢) .

العدوَّ على يديه [إسمه] نصر ، ثم قال : إنما سُمِّي نصر ، لنصر الله إيَّاهُ فأمَّا اسمه فسعيد][1] . تأكيداً في المتون لوصفٍ وظيفي في إطلاقِ هذه الألفاظ . على أنَّ هذه الصيغة مِن التعامل الرمزي هي جزء من قانون البشارات التي تُطلق للمستقبل .

ومعركة الأعماق تقع بالإجمال في منطقة الجزيرة العربيَّة ونواحيها . والذي يبدو من النصوص أنَّ موقعها أو منشأها يكون في حلب ونواحيها ، تقع بين الروم وجيش المهدي عليه السلام . وهي المعبّر عنها بمعركة الملحمة في أكثر الروايات . وبذلك تتجلَّى في عالم الظهور المعركة الثانية التي يخوضها أهلُ اليمن بين يدي المهدي . وهذه بشارة النبيِّ التي تكرّرت بتكرُّر المواقف . أمَّا المعركة الأولى فقد خاضوها بين يدي النبيِّ وكان لهم الدور المميَّز جداً .

وتكاد تتفق روايات أهل البيت عليهم السلام على تكرار لفظ المنصور اليماني على هذا القائد اليماني . منها ما قال أبو جعفر عليه السلام : [إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم[2] فيظهر عليهم السفياني][3] . لكن يبدو أنَّ إطلاق هذا اللفظ أيضاً قريب من القانون المجازي في الإستعمالات .

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام : [إذا ظهر السفياني على الأبقع وعلى المنصور الكندي والترك والروم خرج وسار إلى العراق][4] .

---

[1] (كنزل العمّال ١١ – حديث ٣١٤٤٣)

[2] إشارة على معركة تقع بين السفياني والترك والروم . وقد أشرنا إلى ذلك في السابق .

[3] (كنز العمال ١١ – حديث ٣١٥٠٩) .

[4] (كنز العمال ١١ – حديث : ٣١٥١١) .

وفي رواية ثالثة عن الإمام الباقر عليه السلام - في وصف معارك السفياني - قال : [ثم يسير المنصور اليماني من صنعاء بجنوده .. ثم يظهر الأخوص السفياني عليه][1] .

بحيث تشعر أنَّ إطلاق منصور عليه ناظر إلى الدور الذي يقوم به . وممكن أن يكون إسماً حقيقيَّاً له . ويُشَكِّل حضور اليماني حدثاً مفاجئاً ، يُعيد خلط موازين القوى ، ويؤثِّر بشكلٍ واضحٍ على مجريات العمل العسكري في تلك المنطقة من العالم . كما يبدو من بعض النصوص أنّه يشكِّل عاملاً مساعداً لنصرة الخراسانيين في بعض المعارك ضد السفياني .

ولا خلاف على انّه دوره الموقعي كبير ، ووظيفتُهُ مؤثِّرة جداً في إعادة رصد وتكوين قوى تلك المنطقة ، وتأثيرات هذا التكوين على القوى العالميّة فيما بعد . ويبدو اليماني قائداً قويَّاً ، يجاهرُ بولاءِهِ لآل محمّد . ينهض بجيشٍ همُّهُ نصرة المهدي عليه السلام . ولا تحدّثنا الروايات عن نسبه ، وحين تطلق عليه بعض الروايات لقب الفتى اليماني ، أو الكندي أو القحطاني فإنّها تشير إلى مكان انطلاق ثورتِهِ ، أو تموضعه ، أو تشير إلى القبائل اليمانيَّة التي تُشَكِّل غالب جنده ، وشبه ذلك مِن الملاحظات الممكنة في إطلاق مثل هذا التوصيف .

نعم روايات السنَّة اختلفت حول نسب اليماني ، فهناك روايات تقول انه قحطاني كما جاء في رواية صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله : [لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه][1] .

---

[1] (الفتن ١٧٤) .

وفي رواية أخرى أيضاً عن النبي ﷺ : [ما القحطاني بدون المهدي عليه السلام][2] . في حين هناك روايات أخرى تقول انَّه « قرشي » ، ففي حوار لعبد الله بن عمرو بن العاص مع جماعة مِن أهل اليمن - ذكروا نسب اليماني عنده - فقال لهم : [يا معشر اليمن ، يقولون انَّ المنصور منكم . والذي نفسي بيده انَّه لقرشيٌّ أبوهُ . ولو اشاء أن اسمِّيه إلى أقصى جدٍّ لفعلت][3] . وعلى هذا يكون « المنصور » كنيةً لليماني وليس إسماً له . ويبدو من طائفة أخرى أنَّ اليماني يكون من نسل أهل البيت مِن وُلد الحسين عليه السلام .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ ظهور اليماني مِن الأمور المقطوعة . يخرج في لحظةٍ حاسمة . يعلن ولاءَهُ للمهدي عليه السلام ويجاهر بالإنتصار له .

يبدو مِن ظاهر بعض النصوص أنَّ زمن انطلاق ثورة اليماني - المناصرة للمهدي عليه السلام - يكون قبل انقلاب السفياني ونجاحه في السيطرة على حكم دمشق . وذلك بأشهر قليلة أو أسابيع معدودة . في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [يخرج قبل السفياني مصريٌّ ويماني][4] .

تأكيداً على سبق خروج اليماني قبل انقلاب السفياني وسيطرته على عرش دمشق . وفي رواية أخرى للإمام الصادق عليه السلام ، قيل له : انَّ السفياني قد خرج . فقال عليه السلام :

---

[1] (صحيح البخاري ٢٢٣/٤) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٧٩/٢) .

[3] (الفتن لابن حماد ٢٣٧) .

[4] (البحار ٢١٠/٥٢) .

[أنَّى يخرج ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء][1] . إشارة إلى أنَّ خروج اليماني لا بدَّ أن يكون قبله . إضافة إلى انَّ اليماني هو الذي يكسر شوكته ويذآه .

وهناك طائفة تشير إلى انَّ خروج اليماني يكون علامةً على ظهور المهدي عليه السلام . ففي الرواية : [وما القحطاني (أي اليماني) بدون المهدي عليه السلام][2] .

تأكيداً على قرب ظهور المهدي عليه السلام أو انَّ ظهور المهدي الخاص يكون قد تحقَّق . بل يستفاد من لحن بعض النصوص أنَّ اليماني يكون على اتِّصال بالمهدي عليه السلام في الظهور الخاص . ومعلوم أنَّ ظهور المهدي الخاص يكون أوَّلاً في المدينة . ويدوم هذا الظهور الخاص لأشهر . وراية اليماني ممدوحة جداً . ففي الرواية المعتبرة : [.. وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية حقٍّ لأنَّه يدعو إلى صاحبكم][3] .

هذا من ضمن الأدلَّة التي تؤكِّد أنَّ اليماني يكون على اتِّصالٍ بالمهدي عليه السلام . فهو يدعو له . ما يعني نوعاً من مباشرةٍ وإعداد تحت نظر المهدي عليه السلام . بتعبير آخر : يريد المتن الوارد أعلاه لفت الأنظار إلى انَّ اليماني يدعو باسم المهدي عليه السلام المستتر في الظهور الخاص ومأمور مِن قِبَله . ويبدو واضحاً أنَّ تعبير « أهدى » الوارد في هذا المتن ، إنّما ورد للإشارة إلى انَّ القائد الرئيسي لهذه الراية إنَّما هو المهدي عليه السلام الذي تمَّ

---

[1] (البحار ٢٤٥/٥٢) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٧٩/٢) .

[3] (الغيبة للنعماني / ٢٥٣) .

ظهوره الظهور الخاص . فيما اليماني يكون القائد الظاهري في أولى تلك الفترات التي يتحقَّق بها الظهور الخاص للمهدي لا الظهور العام . هذا ما يُستفاد من مضمون طائفة من النصوص تشير إلى طابع توجيه هذه الراية من قبل المهدي عليه السلام مباشرةً بل يمكن استفادته حتى من متن هذه الرواية نفسها .

وعليه : هذه الرواية - وهي معتبرة - تؤكّد أنَّ اليماني يظهر مع المهدي عليه السلام ، ويدعو إليه . مع التأكيد على انَّ للمهدي عليه السلام ظهورين في آخر الزمن : واحد خاص ، وآخر عام . في فترة الظهور الخاص يكون اليماني القائد الظاهري للراية التي تدعو للمهدي . من هنا جاء تعبير « أهدى » لأنَّ الدعوة إلى المهدي عليه السلام . وهل في الكون آنذاك أعظم من المهدي عليه السلام . فيما دعوة أهل خراسان تكون أيضاً للمهدي عليه السلام لكن من دون اتِّصال مباشر به في تلك اللحظات ، فإذا اتَّصلت به كان قائد جيوش المهدي من خراسان وهو شعيب بن صالح . وكان الموقع العظيم لأهل خراسان الذي لفتنا إليه في مجموعة من النصوص . بل في المعارك الحادّة يستدعيهم المهدي عليه السلام لخوضها كما في معركة الأعماق ضدَّ الروم .

ثم هناك بعض النصوص يستفاد منها ظهور السفياني والمهدي في وقت واحد . وكذا الحال في ظهور اليماني والسفياني . وهي بكلِّ حال تشير إلى الترابط الشديد للأحداث آنذاك ، وربَّما تشير إلى الظهور الخاص للمهدي عليه السلام .. نعم السفياني واليماني من العلامات القريبة جداً لظهور المهدي عليه السلام ، أو إشارة إليه لكنَّه عليه السلام يكون في فترة الظهور الخاص . وفي رسالة الإمام المنتظر عليه السلام لعلي بن محمَّد السمري نائبه الرابع قال : [.. وسيأتي على شيعتي مَن يدَّعِي المشاهدة ، ألَا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل

خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ][1] . نعم يستفاد مِن مضمون طائفة أنَّ المهدي عليه السلام يخرج بعد ظهور السفياني بسنة ، لكنَّ تلك الطائفة تعني الظهور العام . وبهذا نحصل على النتيجة التالية : يظهر المهدي عليه السلام الظهور الخاص بين اصحابه وبعض أنصاره والمخلصين من شيعتِه خلال هذه السنة . ويستفاد من بطن طائفة من النصوص أنَّ انطلاق الثورة اليمانية يكون بتخطيط وإشراف وتوجيه الإمام المهدي عليه السلام في فترة ظهوره الخاص قبل ظهور السفياني بفترةٍ قصيرة . على أنَّ اليماني - كما أشرتُ أعلاه - يكون له ظهور سابق بقليل على ظهور السفياني . وبذلك تنطلق الثورة اليمانيَّة .

ومعلوم أنَّ منطقة الحجاز تشهد اضطراباً سياسيّاً متفاقماً ، ومشكلة في إدارة الحكم ، لأسبابٍ مختلفة ، ويظهر المهدي عليه السلام الظهور الخاص في وضعٍ مضطربٍ لمنطقة الحجاز ، وإعلانات روميَّة تصرُّ على قلب الوضع في أكثر من بقعةٍ في هذه المنطقة التي نطلق عليها اليوم إسم منطقة الشرق الأوسط . خاصَّةً منطقة الشام .

ظهور المهدي الخاص يكون أوَّلاً في المدينة ، ثمَّ ينتقل إلى مكَّة ، ويبدو من بعض النصوص أنَّه يذهب إلى الطائف في وضعٍ حرج اثر طلب السفياني له ولأصحابه . وهناك رواية - غير تامَّة سنداً - تشير إلى انَّ المهدي عليه السلام حينما يظهر في مكَّة ينطلق في البداية - أو في واحدةٍ من محطات الظهور الخاص - مِن قرية يمنيَّة اسمها قرعة أو كرعة ، كما في الحديث النبوي : [يخرج المهدي عليه السلام من قرية باليمن يقال لها « كرعة »][2] .

---

[1] (كمال الدين ٥١٦) .

[2] (الحاوي للفتاوي ٦٦/٢) .

وفي رواية أخرى - أيضاً غير تامّة سنداً - : [ما المهدي عليه السلام إلا من قريش ، وما الخلافة إلا فيهم ، غير أنَّ له أصلاً ونسباً في اليمن][1] . وكأنَّ لسان النص يشير إلى مصاهرة تقع بين المهدي عليه السلام وبين واحدة من أهل اليمن فيكون له زوجة وأسرة . لكنَّ الحكم يتوقَّف على صحّة السند .

بالإجمال العام يبدو أنَّ بعض الناس مِن اليمنيين يتّصلون بالمهدي عليه السلام في الظهور الخاص ، وهو حال اليماني .

نعم النصوص التي تؤكِّد ظهوره الخاص في المدينة واضحة التعدُّد وتامَّة الدلالة . ولا يمنع ذلك من أن يكون له تردُّداً إلى اليمن . خاصَّةً أنَّ ظاهر النصوص يشيرُ بوضوح إلى تنقُّلٍ المهدي عليه السلام بين المدينة ومكَّة وأيضاً الطائف في ظلِّ ظرفٍ مضطرب في بلاد الحجاز . أما موقع ثورة اليماني الجغرافي ؟ فقد صرَّحت الروايات بانطلاق ثورة اليماني تارةً من صنعاء ، وأخرى من عدن ، وبعضها ذكرت كندة ، ومنطقة ابينّ . جاء لسان النصوصِ متعدداً . لكن روايات صنعاء مستفيضة ومرويَّة من طرق الفريقين . ولعلَّها تشير إلى المكان البارز ، أو عاصمة الثورة ، أو مهد الإنطلاق ، أو لأمرٍ ما له خصوصيَّة في الوصف والبيان ، فيما تشيرُ تلك المتون إلى وصفٍ آخر له لحاظٌ محدَّد في النسبة . ومن غير البعيد أن تكون صنعاء عاصمة الثورة اليمانيَّة لا بداية انطلاقتِها .

فإذا قامت هذه الثورة تلتها أحداث دامية في الشام ، حيث تدبِّر الروم انقلاباً دمويَّاً للإطاحة بعرش دمشق ، فيخرج السفياني من الوادي

---

[1] م . س .

اليابس في الأردن . وتدعمه الروم حتى ينزل دمشق ، فيخوض معارك ضارية في وجه الرايات فينتصر عليها . ويثبت له حكم دمشق ، ويمتد حكمه إلى الكور الخمس .

يبدو واضحاً أنَّ ثورة اليماني تخرج في الوقت القريب جداً من ظهور المهدي عليه السلام . وهي تكون على نحوٍ من وئامٍ تام مع راية الخراسانيين . وتشكِّل معها حلفاً عسكرياً للنهوض والمناداة بحقِّ آل محمّد عليهم السلام ونصرة دولة المهدي عليه السلام .

وقد صرَّحَ الإمام علي عليه السلام بطاعة اهل اليمن للمهدي عليه السلام وإعلانهم الولاء له ولآباءه عليهم السلام ، وذلك حين كان عليه السلام يتحدَّث عن العلامات التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام بقوله : [.. ويفتح اللهُ عزَّ وجل خراسان وتطيعه أهل اليمن][1] .

أي كلٌّ منهم يُعلنُ الطاعة المطلقة للمهدي القائم عليه السلام والنزول على مواثيقه الربانيّة . وتؤكِّد النصوص أنَّ راية اليماني راية حقّ وصدق وإيمان . تدعو إلى القائم عليه السلام وتناصره وتبذل المُهَجَ بين يديه . وكما أشرنا : يستفاد من بعض النصوص أنَّ لها ارتباطاً وصلةً مباشرةً بالمهدي عليه السلام في الظهور الخاص . بل يبدو انَّ المهدي عليه السلام يكون القائد الفعلي لهذه الراية . من هنا تكون أهدى . وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [.. وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإنَّ رايته راية هدى ، ولا يحلُّ لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ،

---

[1] (عقد الدرر ٩٩) .

لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم][1] . وعلى الفور تعلن راية اليماني دعوتها إلى المهدي القائم عليه السلام وبيعته . وتشكِّل مع راية الخراساني قطباً ثنائيّاً في هذه المنطقة من العالم .

بالإضافة إلى راية الأبدال في بلاد الشام التي تثبت في وجه السفياني وتعتصم بأمر الله ومنعه . فتسقط الكور الخمس إلا منطقة الأبدال . وتكون على اتِّصالٍ تام مع الخراسانيين ، وبمجرَّد أن تسمع بظهور المهدي عليه السلام حتى تُعلن ولاءها المطلق له والبيعة التامَّة .

مع تأكيدي على أنَّ الراية الخراسانيَّة تبحر في العذابات ، وتبذل الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ، وتطبيق شرعه ، وإقامة نظام الإسلام بركني القرآن والعترة النبويَّة . ويكون لها من الفضل والعظمة وإقامة الحق ما دفع أهل البيت عليهم السلام للدعوة إلى نصرتها ومآزرتِها ، وتحريم خذلانها ، وتكريم أهلها وتعظيمِهم .

ومع أولى ساعات ظهور المهدي عليه السلام تتصفَّح عيناه الكريمتان رايتي الحق في خراسان واليمن ، بالإضافة إلى راية الأبدال ونجباء مصر وعصائب أهل العراق . نعم الروايات الخاصة بحركة اليماني قليلة . لكن في هذه القلَّة ما يشير إلى عظمة أمر اليماني وتقدير واضح لشأنِه الكبير . وفي الرواية : [.. ويفتح الله عز وجل له - أي للمهدي عليه السلام - خراسان وتطيعه أهل اليمن][2] . أي تكون رايتا الخراسانيين واليمنيين على نحوٍ تام من إعلان الطاعة والولاء المطلق للمهدي عليه السلام .

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٥٣) .

[2] (عقد الدرر / ٩٠) .

وحين سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن علامات الفرج القريبة قال : [تريد الإكثار أم أجمل ؟ قال الرجل : بل تجمل . قال عليه السلام : إذا أدركت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان][1] . تأكيداً على التحالف التام بين الخراساني واليماني ووحدة الدعوة إلى القائم المهدي عليه السلام والإنتصار له والتضامن بين رايتي خراسان واليمن لتحقيق الإنتصارات العسكريَّة في وجه العتاة والطغاة .

على أنَّ السفياني يدخل مصر ليسحق راية النجباء الإماميَّة فيها ، فينجح في ذلك ، ويفشل في سحق راية الأبدال . وينال من قسمٍ وفيرٍ من شيعة العراق . وينهزم جيش السفياني بشدَّة أمام الخراسانيين في معركةٍ ضارية تقع في منطقة اصطخر الإيرانيَّة . نعم بعض المتون تشيرُ إلى معركة تقع بين اليماني والسفياني لا يتكلَّل فيها النصر لليماني ، لكنّها تكون معركة أولى بينه وبينه السفياني[2] .

ففي الرواية : [ثم يسير المنصور اليماني من صنعاء بجنوده .. ثم يظهر الأخوص السفياني عليه][3] . وفي متنٍ آخر : [إذا ظهر السفياني على الأبقع وعلى المنصور الكندي والترك والروم خرج وسار إلى العراق][4] .

وفي لفظٍ شبيه قال : [إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الترك والروم[5] فيظهر عليهم السفياني][1] .

---

[1] (اعلام الورى ٤٢٩)

[2] لكن متن روايات كثيرة يصف اليماني بكاسر عين السفياني . أي الذي يكسر شوكته ومنعته .

[3] (الفتن ١٧٤) .

[4] (كنز العمال ١١ – حديث : ٣١٥١١) .

[5] إشارة على معركة تقع بين السفياني والترك والروم . وقد أشرنا إلى ذلك في السابق .

أقول : في هذا المتن اختصار . وهو يشير إلى وقعتين اثنتين . الأولى يظهر فيها السفياني على الأبقع والمنصور ، ثم يخرج ويسير إلى العراق . وهناك تقع معركة بينه وبين الترك والروم وألوية تابعة متنوِّعة حول كنز الفرات ، فيظهر عليهما السفياني . في معركة وصفتها النصوص بالملحمة . لكنَّ النصوص تصف اليماني بكاسر عين السفياني ، أي قاهره ومذلُّه . وهي تؤكِّد طابع غلبة اليماني . وهذه ناظرة بشكلٍ واضحٍ إلى معارك تكون الغلبة فيها لليماني على السفياني . ربَّما منها المعركة التي يخوضها السفياني ضد الخراسانيين في اصطخر والتي يبدو من لحن بعض النصوص انَّ اليماني يساهم فيها بنصرة الخراسانيين . كما يشكِّل اليماني قوَّة كبيرة في حربه على السفياني في الشام ومعركة طبريَّة التي ينهار فيها جيش السفياني بشكلٍ مطلق وتنتهي بذبح السفياني نفسه .

ويبدو واضحاً أنَّ اليماني يستطيع أن يُوسِّع من دائرة جيشه وبقعة أرضه ، وفي لحن بعض المتون ينهض لمساعدة الخراسانيين في وقعةٍ رئيسيَّة مع السفياني . ففي الرواية قال عليه السلام : [إذا أدركت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان][2] . ومعلوم أنَّ صراعاً تاريخيَّاً وقع بين أكبر حزبين عربيين آنذاك : الحزب القيسي والحزب القحطاني اليمني . شكَّل دائرة أحداث التاريخ لفترة طويلة .

يبدو من النص أنَّ القوات اليمانيَّة الحليفة للخراساني ترابط على الحدود الخراسانيَّة لمواجهة أعداء الموطِّئين كالسفياني والروم مثلاً . وكذا الترك الذين يدخلون قسماً من بلاد إيران من جهة حدودها الشرقيَّة

---

[1] (كنز العمال ١١ – حديث ٣١٥٠٩) .

[2] م . س .

بتحالف وتأييد من الروم . مع التأكيد على أنَّ النصوص تصرُّ في وصف الخراسانيين بالقوّة الضخمة التي تهزُمُ عداءها ، والقادرة على إعادة صناعة جزء رئيسي من تاريخ هذه المنطقة التي تتواجد فيها القوى الكبرى بشكلٍ جبَّار . ويكون لظاهرة اليماني أثر ممتاز على خطّ تطهير المنطقة من وجود الأعداء والظلمة وأباطرة الجور العالمي والإقليمي .

وفي نص الإمام علي عليه السلام - الخاص بوصف مشاركة القائد اليماني مع القائد الخراساني في معركة فتح دمشق وتحريرها من حكم السفياني - يشير بدقّة إلى التحالف الكبير بين هاتين الرايتين فيقول عليه السلام : [.. ويعمل - أي السفياني - عملَ الجبابرة الأولى ، فيغضب اللهُ مِن السماء على عمله ، فيبعث عليه فتىً مِن المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله . هم اصحابُ الرايات السود المستضعفون ، فيعزّهم اللهُ وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحدٌ إلا هزموه ، ويسير الجيش القحطاني .. وفتىً في اليمن في نحر حماز الجزيرة ، حتى ينزلوا دمشق فيفتحوها أسرع من التِمَاعِ البحر][1]

هذا النص مُشبَع بدلالتِه الصريحة على قدرة الخراسانيين وصناعتِهم لتاريخ وبناء معلم المنطقة من جديد . فلا يلقاهم عدوٌّ إلا هزموه . تأكيداً على قدرتهم القتاليّة في منطقةٍ تعجُّ فيها القوى وتتلاحم أدوات الحرب . وينزل بجنبهم اليماني ، من الجهة الأخرى ، ليقود جانباً آخر من الإنتصارات . بحيث يصف هذا الحديث آخر « مواجهة عسكريّة » على الحدود السوريَّة بين الخراساني والسفياني ، ويشير إلى القدرة

---

[1] (كنز العمال ١٤ / حديث : ٣٩٦٨٠) .

المتماسكة لدى الخراسانيين والجهوزيَّة الحربيَّة والإرادة الإيمانيَّة التي تدفعهم لشنّ أعنف حرب على السفياني في عقر سلطانه فيهتزّ مُلكُه على ايديهم . وبعد ذلك يدخل الجيش القحطاني بقيادة اليماني في ميدان المعركة لمناصرة الخراسانيين وإنزال الهزيمة الكبرى بجيش السفياني المُعبَّر عنه بـ « حماز الجزيرة » باعتباره أكبر قائد عربي مناهض لثورة المهدي عليه السلام في جزيرة العرب .

نعم ما يميِّز راية اليماني أنَّها راية بقودها المهدي حسبما يُستفاد من مضامين بعض المتون . لذلك جاءت كلمة أهدى لتشير إلى حقيقة أنَّ المهدي عليه السلام هو القائد الحقيقي لها . فيما اليماني هو القائد الميداني فيها . ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [خروج السفياني واليماني والخراساني في سنةٍ واحدة ، في شهرٍ واحدٍ ، في يومٍ واحد ، نظام كنظام الخرز يتبع بعضُهُ بعضاً .. ويلٌ لمَن ناواهم وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية حقٍّ لأنّه يدعو إلى صاحبكم ..][1] . تعبير أهدى أشار إليه الذيل بتعبير « انّه يدعو إلى صاحبكم » أي إلى المهدي عليه السلام . أي هي الراية التي يكون خلفها قائم آل محمَّد . يريد النص لفت نظرنا إلى هذا الأمر وهو ليس أبداً في مقام الإنتقاص من راية الخراسانيين . فقد فاق مدح على لسان الآئمّة عليهم السلام كلَّ الحدود . حتى حينما كانوا يذكرون راية اليماني كانوا يركِّزون على حقَّانيَّة الخراساني العظيمة ويوجبون نصرته وحفظ أمر ، واتّباعه ويعظّمون من شأنِه وشبه ذلك . ومعلوم أنَّ راية أهل خراسان قد اتّفقت النصوص على وجوب نصرتها والثبات عندها والحبو إليها ، وحرمة الإنشقاق عليها ، وانَّ قتلاها شهداء ، وانّها تدعو

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٥٣) .

للمهدي عليه السلام ، ومؤيَّدة بأمر الله ، وانّ مَن نصرها نصره الله ، ومَن خذلها خذله الله ، وهي الحق العظيم في آخر الزمان ، بحيث لا يختلف اليماني عن الخراساني بشيئ ، إلا انَّ اليماني يكون قائداً لجيش المهدي عليه السلام في تلك اللحظات . أي يدعو لجيش المهدي الذي يقوده ويخطط له المهدي عجل الله فرجه . أي هناك اتصال مباشرة بين اليماني والمهدي في الظهور الخاص . من هنا جاء التفضيل بلحاظ لفت النظر إلى وجود المهدي عليه السلام وراء هذه الراية ، ما يعني أعظم حقَّانيَّة وأقدسها .

ومن يتصفَّح نصوص أهل البيت عليهم السلام في مدح الراية الخراسانيَّة حتى آخر لحظات ظهور المهدي عليه السلام والتفاني بين يديه يدرك عظمة هذه الراية . وقد ثبت في النصوص الكثيرة أنَّ هذه الراية تُشكِّل نوعاً ظاهراً من حجَّة الله على أهل الشرق والغرب . ففي رواية سلمان : أهل خراسان يشكِّلون في آخر الزمان الحجّة على العالمين . وهم الذين يفتحون بيت المقدس ، ويقوُدُون معارك التحرير وقهر الظالمين ، ويُوطِّئون للمهدي عليه السلام سلطانه . ومن أبرزهم السيد الخراساني والسيد الحسني وشعيب بن صالح . وقد دعا النبيُّ صلى الله عليه وآله لهم ، وأمر بنصرتهم ، حتى قال صلى الله عليه وآله : [سيُصيب أهل بيتي قتل وتطريد وتشريد في البلاد ، حتى يتيح الله لنا راية تجيئ من المشرق مَن يهزّها يُهزُّ ومَن يشاقّها يُشاقّ][1] .

وأنَّ هذه الراية منصورة بنصر الله ، مَن خذلها يخذله الله . تأكيداً على مشروعيّتها وضرورتها وعظمتها ، ودورها الوظيفي الكبير القائم على تثبيت أمر الإسلام . فقد قال صلى الله عليه وآله : [.. بلاءٌ يلقاهُ أهل بيتي حتى يبعث الله

---

[1] (دلائل الإمامة ٢٣٥) .

راية من المشرق سوداء مَن نصرها نصرَهُ اللهُ ، ومَن خذلها خذله الله][1] . وتتعرَّض راية الخراساني لبعض المنقلبين ولفتنة بعض « فقهاء الضلال في عصر الظهور » ، لكن الله ينصرها على هؤلاء نصراً عظيماً ، ويبعث لها كنوز طالقان بقيادة السيِّد محمَّد الحسني والقائد شعيب بن صالح .

وكذا اليماني ، رجلٌ من الخُلَّص الكبار ، له قدرٌ وقيمة شديدة الإحترام في النصوص ، رجلٌ يُشَكِّل خروجُهُ مرحلةً شديدةَ التعظيم لأمر الدِّين وظهور حجَّة رسول ربِّ العالمين . روايات أهل البيت تشيرُ إلى قدره العظيم ، إلى يقينه ودينه وتضحياته وبذله ، داعيةً إلى الإلتحاق به ، لما يشكِّل من عمدة كبرى لنصرة الحق . وقد قال الإمام الصادق عليه السلام - في وصف الراية اليمانية - : [.. وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإنَّ رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى صراط مستقيم][2] .

لا نعرف الكثير عن راية اليماني . لكنّنا نعرف عناوين ونتائج ، منها النصرة الكبيرة التي تقع على يد اليماني . النصوص تؤكِّد انّه يملك قدرةً حربيَّةً وجيشاً متعاظماً قادراً على كسر عين السفياني ، أي قهره وذلّه وإضعافه . فضلاً عن تحريك نشاطها العسكري على طول الخط مع الخراسانيين في تحالف كبير يستطيعان من خلاله تنظيف هذه المنطقة الأوسطيَّة كخطوةٍ أولى من جيوش الظلمة . بل زمن الملحمة مع الروم يبعثُ المهديُّ عليه السلام إلى اليمنيين وأهل المشرق فيأتونه ويخوضون بين يديه أعظم معركة . النصوص صريحة في ذلك .

---

[1] (عقد الدرر ١٣٠) .

[2] (الغيبة للنعماني ٢٥٣) .

وعليه : راية اليماني هي ثورةٌ مناصرةٌ للمهدي عليه السلام وداعية للإلتحاق به . وفي الرواية : [انه يدعو إلى صاحبكم] . ولا يفصل بين ثورة اليماني وبين ظهور المهدي عليه السلام الظهور العام سوى أشهر معدودة ، بل يظهر من بطن بعض النصوص انَّ المهدي عليه السلام هو المخطِّط الحقيقي لها والقائد الفعلي . وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله : [ما القحطاني بدون المهدي صلى الله عليه وآله][1] .

ما يعني أنَّ ظهور اليماني والسفياني يشكِّل أقرب العلامات على الظهور الشريف . أو إشارة إلى ذلك . مع التأكيد على أنَّ للمهدي عليه السلام ظهورين : خاص وعام . يفصل بينهم أشهر أو سنة .

---

[1] (الحاوي للفتاوي ٧٩/٢) .

العصائب والأبدال والنجباء:

تؤكِّد روايات عصر الغيبة على رايات ثلاث ، تقوم على ولاء آل بيت محمّد والدعوة للمهدي (عليه السلام) . تعلن الإسلام عقيدتها وميثاق حياتها ، ويُشكِّل حضورها عنصراً تاريخيّاً لافتاً في بعض النواحي . واحدة تكون في بلاد الشام ، في لبنان[1] ، تتّصف بقتالها ومناهضتِها لليهود . وثانية تكون في العراق ، وثالثة تكون مصر . الأولى سمَّتها النصوص بالأبدال ، أبدال الشام ، والثانية سمَّتها بعصائب العراق ، والثالثة سمَّتها بنجباء مصر . وكلّها موالية لآل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وتدعو للمهدي (عليه السلام) . وهم جميعاً من أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) باتفاق روايات الفريقين . ويبدو من طائفة روائيَّة أنَّ للأبدال حضوراً بارزاً مدّته أطول ، حيث يكون وجودهم قبل ظهور مولانا المهدي (عليه السلام) ، كما يكون حضور بارز ومتعاظم لعصائب

---

[1] وقد سُئل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم (عليه السلام) ، وفي حال غيبتِه ، ومَن أولياءُهُ وشيعتُهُ الممتثلين أمر أئمّتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم ؟ قال (عليه السلام) : [بلدة بالشام ، قيل يا ابن رسولِ الله ، إنَّ أعمال الشام متّسعة ؟ قال (عليه السلام) : بلدة بأعمال « الشقيف أرنون » ، وبيوت وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . قيل : يا بن رسولِ الله هؤلاءِ شيعتكم ؟ قال (عليه السلام) : هؤلاء شيعتنا حقّاً ، وهم أنصارنا وإخوانُنا والمواسون لغربتنا والحافظون لسرِنا ، والليّنة قلوبهم لنا ، والقاسية قلوبهم على أعدائنا ، وهم كسكّان السفينة في حال غيبتنا ، تمحل البلاد دون بلادهم ، ولا يُصابون بالصواعق ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفون حقوق الله ، ويساوون بين إخوانِهم ، أولئك المرحومون المغفور لحيِّهم وميتهم ، وذكرهم وإناثهم ، ولأسودهم وأبيضهم وحرّهم وعبدهم ، وإنَّ فيهم رجالاً ينتظرون ، والله يحبُّ المنتظرين] .

العراق رغم العذاب والتنكيل الذي يصيبهم ، أمَّا النجباء المصريُّون فيشكِّل حضورهم - ربَّما المفاجئ - أمراً عظيماً تضطرب منه قوى ذات نفوذ عالمي ، مثل الروم ، التي تعلن الحرب على النجباء وتخوض ملحمة الإسكندريَّة ، لكنَّها تفشل في القضاء عليهم ، إلى أن تدعم السفياني فيسيطر على عرش دمشق ، ومنها يشنُّ هجوماً عسكريَّاً هائلاً ، يقتل على أثره الرجال والنساء والأطفال ويقوم بأفعالٍ فظيعة تهتزُّ منها السماء ، بهدف القضاء على راية النجباء العظيمة . لكن السحق الكامل لهذه الراية لا يُصيبُها بدلالة بعض النصوص التي تذكر أنَّ هؤلاءِ النجباء يبايعون المهديَّ عليه السلام حال ظهوره .

ثمَّ قيمة قيادة هذه الرايات أنَّ أصحابها من أصحاب المهدي عليه السلام . وفي رواية حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [عند خروج القائم عليه السلام ينادي منادٍ من السماء ، أيّها الناس ، قطع [اللهُ] عنكم مدَّة الجبَّارين ، ووُلِّي الأمرَ [عليكم] خيرُ أمَّة محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فالحقوهُ بمكَّة (إشارة إلى المهدي) ، فيخرج النجباءُ مِن مصر ، والأبدالُ من الشام ، وعصائبُ العراق ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار ، كأنَّ قلوبهم زبرُ الحديد . فيبايعونَهُ بين الركن والمقام][1] .

النص يؤكِّد أنَّ قيادة الأبدال والنجباء والعصائب تظلُّ موجودة إلى ظهور المهدي عليه السلام . وحين يتم الإعلان عن ظهورِهِ الشريف يخرجون إليه فيبايعونه . كما يُؤكِّد على قوَّة وعظمة إرادة هؤلاءِ . وأنَّ قلوبهم كزبر الحديد . إشارة إلى وصف الإرادة من جهة وثبات الموقفِ والتضحية من

---

[1] (الإختصاص ٢٠٨) .

جهةٍ أخرى . ويلفت إلى صفة عباديَّـةٍ جهاديَّـة بهـؤلاء ، فهـم رهبـان الليـل عبادةً وتلاوةً وصـلاةً وذكـراً فـي محـرابهم ، وأسـود النهـار قـوّةً ومنعـةً وجهاداً واستقامة ومواجهة ..

وبمجرَّد النداء بالمهدي (عليه السلام) يخرجون إليه فيبايعونه ، وهم بالأصل يُقيمون بناء رايتهم للـدعوة إليـه والـولاء لأهـل بيتِـهِ وآبـاءِهِ الكـرام (عليهم السلام) ، ويتَّخـذون الإسـلام دينـاً وشـريعة فـي الفكـر والفقـه والمفـاهيم والعمـل . قد انتظـروا الفَـرَجَ وحفظـوه أعظـم الحفـظ ، بمـا قدَّسـوا الإسـلام وعملـوا بأحكامه .

وبسـبب القيمـة المحترمـة والوصـف العظـيم لهـؤلاء لفتـت إلـيهم النصوص كقادة ثورة ، وأصحاب رايات تنادي بالقائم من آل محمَّـد (عليه السلام) ، يثبتون على الدِّين والعترة النبويّة رغم البلاء الهائل الذي يُحيط بهم من كـلِّ ناحية . وأوَّل شيئ يقومون بهِ إذا ظهر المهـديُّ (عليه السلام) أنَّهـم يخرجـون حتـى يلاقوه فيعلنون أمام العالم مبايعتهم له ، وبذل الأنفس والأهل والمـال وكـلّ نفيس في سبيل أمره (عليه السلام) . ففي الحـديث عـن الإمـام علـي (عليه السلام) قـال : قـال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : [.. يا علي عشر خصالٍ قبل يوم القيامة .. ورجلٌ منَّا أهـل البيت ، يبايع له بين زمزم والمقام ، يركب إليه عصائب أهل العراق ، وأبدال [أهل] الشام ، ونجباء أهل مصر ، ونصير أهل اليمن][1] .

تأكيداً على هذا الثبات وتوصـيفاً للحـدث الفعلـي آنـذاك ، وإظهـاراً للطاعة والتضحية ، وإشارة إلى انَّ قيادة هذه الثـورات تبقـى حتـى ظهـور المهدي (عليه السلام) .

---

[1] (دلائل الإمامة ٢٤٨) .

وتؤكّد النصوص أنّهم مِن الفئة الخاصّة ، ومن المركز الخاص في أصحاب المهدي عليه السلام ، وأنّ لهم عند الله شأناً عظيماً . وفي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال : [.. يبايع القائم عليه السلام بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف رجل ، عدّة أهل بدر ، منهم مِن النجباء مِن أهل مصر ، والأبدال مِن أهل الشام ، والأخيار من أهل العراق][1] . هذه الروايات بمضامينها واردة عن السنّة[2] والشيعة . وشديدة الوضوح والوصف الرفيع جداً لمقام هؤلاء الكرام على الله تعالى . مع التأكيد على أنّ هؤلاءِ يُشَكِّلون قادة ثورات في هذه المناطق التي أشارت لها الروايات . وأنّ عددهم يختلف بين رايةٍ ورايةٍ ، وهم نخبة الثروات وقادتها . والمعتبر من الروايات أنّ عدد النجباء ثلاثون رجلاً ، والأبدال أربعون رجلاً ، وعصائب العراق خمسون رجلاً[3] . أي هذا الرقم يخصُّ هؤلاءِ ذوي الصفة الخاصّة في اصحاب المهدي عليه السلام . أمّا عدد جندهم وأتباعهم في كلٍّ من العراق وبلاد الشام ومصر ، فكثير . وهو يختلف من بلدٍ إلى آخر . وعليه : النصوص تشير إلى مَن هم الأبدال والعصائب والنجباء الذين يقوُدُون الثورات في هذه المناطق العربيَّة .

---

[1] (البحار ٥٢/ ٣٣٤) .

[2] وقد أخرجها الحاكم في مستدرك الصحيحين وابن أبي شيبة في مصنّفه ، وعبد الرزاق الصنعاني في مصنّفه الكبير وغيرهم . (راجع المصنف للصنعاني ٣٧١/١١ والمصنف لإبن أبي شيبة ٤٥/١٥ ومستدرك الصحيحين ٥٥٣/٤) .

[3] اختلفت الروايات في تحديد عدد الأبدال والنجباء والعصائب والأرجح أنّ عدد نجباء مصر ثلاثون رجلاً ، وأبدال الشام أربعون رجلاً ، وعصائب العراق خمسون رجلاً . ودليل هذا الترجيح كثرة طرق روايته مع وجود بعض الأسانيد المعتبرة . وتحديد عدد الأبدال بأربعين رجلاً يكاد يكون موضع اتفاق روايات الفريقين ، أمّا العصائب فقد جاء النص على عددهم في رويات من طرق أهل البيت عليهم السلام كرواية الإمام زين العابدين : [ومنهم – يعني أصحاب المهدي عليه السلام – خمسون من اهل الكوفة ، وسائرهم من افناء الناس ، لا يعرفون بعضهم بعضاً] (البحار ٣٠٦/٥٢) .

ويكون لأصحاب هذه الرايات دور بارز في عصر الظهور . بعضها يُشكِّل مصدر شدَّة ومبعث فزع في وجه اليهود المحتلِّين لبيت المقدس وأنحاءه كما هو الحال مع راية الأبدال . في حين تُشكِّل راية النجباء نموذجاً هائلاً عن الثبات والمنعة والجهاد في وجه الروم الذين يحاولون إنقاذ الحاكم المصري الذي يحكم تلك البلاد المصريَّة التي يثورون فيها . ويظلُّون على نوعٍ من الصمود والثبات في وجه الروم إلى أن يخرج إليهم السفياني .

أمَّا عصائب العراق ، فيبدو من بطون الروايات أنّهم يُشكِّلون نفوذاً بارزاً ، إلى درجة تسترعيك مجموعة من الدلالات حول : هل العراق يكون في عصر الظهور دولة أم دولتين ، أم دولة بشكل فيدرالي مثلاً ، بحيث تجد في بطن طائفة مِن النصوص نفوذاً كبيراً للشيعة في العراق ، فبغداد في بعض النصوص تسقط عفواً ، أي دون قتال ، في حين تعتصم الكوفة ، والكوفة إسم يشير إلى ناحيتها وهي منطقة واسعة ، تشير إلى منطقة الجنوب العراقي . عندها يُعلن الحربُ على الكوفة لفتحها . ما يُؤكِّد طابع قوَّة ومنعة وتنامي ثورة هذهِ الرايات المحمَّديَّة العلويَّة التي تنادي بإسم المهدي أرواحُنا فداه .

وستعمل القوى – وبعضها كبرى – على إضعاف أمر هؤلاء ، عن طريق الضغط الإقتصادي وأنماطِهِ مثل الحصار والعزل وشبه ذلك ، بالإضافة إلى الحلول العسكريَّة وما من شأنِهِ أن يساهم في إضعاف هذه الرايات الإماميَّة ، وربَّما بعض النصوص في فحواها ناظرة إليها . ففي الحديث النبوي قال ﷺ : [.. منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشام مدها ودينارها ، ومنعت مصر اردبها ودينارها ، وعُدتم مِن حيث بدأتم ،

وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم][1] . وكأنَّ مضمون هذا الحديث - في واحدٍ من مصاديقه - يعكس لنا صفة العقاب الذي يقع في وجه هذه المناطق للتنكيل والإضعاف وإلحاق الهزائم فيها .

لا أدري بالضبط إذا كان هذا النص حصريًّاً في الإشارة إلى تنامي ضغط القوى الخارجيَّة على هذه المناطق التي تبرز فيها هذه الرايات الإماميَّة . مع علمنا - الروائي - انَّ هذه الرايات تتعرَّض لقتالٍ وضغطٍ وأهوال مختلفة . نعم ما يصيب هذه المناطق من جبروت القوى أوسع من فكرة قيام هذه الثورات فيها . ومع قيام هذه الثورات يزداد ضغط القوى وأهل الجبروت العالمي آنذاك ، بهدف إضعاف أصحاب هذه الرايات وإبطال أمرهم . لكنَّ النصوص تؤكّد ثباتهم وصبرهم ، وتنامي قوَّتهم . كما يمكن أن يتضمَّن هذا النص إشارة ضمنيَّة إلى آثار حرب وجهد عسكري باتِّجاههم لكنَّهم يثبتون . النصوص في إعلان الحروب عليهم واضحة . سواء من قبل الروم أو الراية المغربيَّة أو السفياني أو غيره .

وفي الحاصل العام للمتن إشارة إلى التعب الإقتصادي النقدي المعيشي والعناء اللازم جرَّاء هذا الفعل الذي ينال من مصر والعراق وبلاد الشام . وأبرز مقاصده ومصاديقه إضعاف أصحاب هذه الرايات في هذه المناطق العربيَّة الثلاث .

على أنَّ بعض الطوائف تشيرُ إلى جُهدٍ عسكري باتِّجاه هذه الرايات . بل واضح من بعض النصوص أنَّ الروم تخوض معركة عسكريَّة عنيفة في وجه النجباء لكنَّها تفشل في قمعها بشكلٍ نهائي .

---

[1] (صحيح مسلم ٢/٤ ٠ . مسند أحمد ٢٦٢/٢) .

وبصورةٍ عامَّة النصوص شديدة الصراحة في أنَّ كل واحدة من هذه الرايات تلاقي عدوّاً ، وتواجهُ فعلاً عسكريّاً عدوانيّاً ، فتثبت أمامه بإذن الله تعالى . نعم النجباء في مصر والعصائب في العراق في وقتٍ متأخِّر يُعانون بشكلٍ هائلٍ من بطش السفياني المدعوم من الروم المسيحيَّة مباشرةً . فيما تثبت راية الأبدال وتصمد ، بل تمنعه من التقدُّم باتِّجاهها ، وتقدِّم نماذج هائلة من الثبات والتضحية . بحيث يسيطر السفياني على الكور الخمس ما عدا منطقة الأبدال في بلاد الشام .

وأبدال الشام هم الممدوحون بلسان النص بشكلٍ عظيم . فقد سُئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام : كيف يكون حال الناس في حال قيام القائم عليه السلام ، وفي حال غيبتِهِ ، ومَن أولياءُهُ وشيعتُهُ الممتثلين أمر أئمَّتهم والمقتفين لآثارهم والآخذين بأقوالهم ؟ قال عليه السلام :

[بلدة بالشام . قيل يا ابن رسولِ الله ، إنَّ أعمال الشام متَّسعة ؟ قال عليه السلام : بلدة بأعمال « الشقيف أرنون » ، وبيوت وربوع تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . قيل : يا بن رسولِ الله هؤلاءِ شيعتكم ؟ قال عليه السلام : هؤلاء شيعتنا حقّاً ، وهم أنصارنا وإخوانُنا والمواسون لغربتنا والحافظون لسرِنا ، والليّنة قلوبهم لنا ، والقاسية قلوبهم على أعدائنا ، وهم كسكّان السفينة في حال غيبتنا ، تمحل البلاد دون بلادهم ، ولا يُصابون بالصواعق ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفون حقوق الله ، ويساوون بين إخوانِهم ، أولئك المرحومون المغفور لحيِّهم وميتهم ، وذكرهم وإناثهم ، ولأسودهم وأبيضهم وحرّهم

وعبـــدهم ، وإنَّ فـــيهم رجـــالاً ينتظـــرون ، والله يحـــبُّ المنتظرين][1] .

تصريح مطلق وعظيم بحضور هؤلاءِ فـي « لبنـان » . إنّـه « مـوطن أبدال الشام » الذين أشـارت طائفـة مِـن النصـوص إلـيهم فـي مناهضـتهم لليهود أيضاً . واللافت جداً أنَّ هذه الرايات تكون على علاقة تامَّة مع مركـز خراسان ، مع السيِّد الخراساني العظيم ، وكلّهـا تعلـن الـولاء لآل محمـد ، وتنادي بالمهدي عليه السلام ، وتتّخذ الإسـلام دينهـا ويقينهـا . أمّـا شـعارها فهـو كراهـــة أبـــاطرة الفســـاد والإنحـــراف ، واليهـــود المحتلِّـــين ، والظلمـــة والإستبداديين من الروم وغيرهم .

فـي حـين يبـدو - روائيّـاً - أنَّ بعـض الأنظمـة فـي هـذه المنطقـة ينصرون الروم واليهود . مـا يعنـي بـدء قـوى هـذه الـبلاد تنفيـذ مشـاريع تطهيريَّة في وجه هذه الرايات . لكنّها تبوء بالفشل . بل تشكِّل رايـة الأبـدال قوَّةً ظاهرةً في وجه اليهود الذين يحتلُّون بيت المقدس ، وعاملَ تهديد وقلق لهم . وتعتبر جماعة الأبدال المقاومين لليهود في بلاد الشام أكثـر نشـاطاً ، كما أنَّ ثورة نجباء مصر تكاد أن تنجح في استلام الحكم ولكنها تمنـع مـن ذلك على يد القوات الروميَّة الموالية لحُكَّام مصـر التـي تتـدخَّل عسـكريَّاً لمنعها من تحقيق هذا الأمر . ومع ذلك لا تستطيع الروم القضاء علـى رايـة النجباء . ثم تُسحق عبر السـفياني المـدعوم مـن الـروم لكـن لـيس بشـكلٍ مطلق . الروايات واضحة في أنَّ نجباء مصر يكونون في الوفـد الأوَّل الـذي يبايع المهدي عليه السلام ساعة الظهور العام أمام الكون والإنسان . أمّا العصـائب

---

[1] محمد الحر العاملي ، أمل الآمل ، مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ الجزء الأول ص : ١٦/١٥ .

المجاهدة في العراق فيكون لها وجود وشأن يختلف في أحواله بسبب ما يزل عليها من عذابٍ وانتقامٍ من قبل القوى الجبَّارة ، إلا أنَّ موقع العصائب النافذ يظلُّ سمة بارزة في كثيرٍ من النصوص ، رغم الإضطهاد والقوى التي تعمل على قمعهم واستئصالهم .

بطنُ النصوص وسطحها واضح في أنَّ الأبدال يكونون في لبنان . ثمَّ الروايات التي تحدَّثت عن سيطرة السفياني على الكور الخمس لم تتحدَّث عن سقوط لبنان بيده ، بل تحدَّثت عن صمود ومنعة الأبدال ومنع السفياني من أرضها . كما تحدَّثت عن ثبات الأبدال في وجه اليهود ومناهضتم . وفيها وردت النصوص التي تدعو إلى احترام هذه الأمة الموالية التي تقوم قيامتُها في آخر الزمان . وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام قال : [ستكون فتنةٌ يحصل الناسُ فيها كما يحصل الذهب من المعدن . فلا تسبُّوا أهل الشام وسبُّوا ظلمتهم . فإنَّ فيهم الأبدال ..][1] .

أمَّا عصر وجودهم .؟ فهم قطعاً يُوجدون في زمن الغيبة ، دون أن تحدِّد النصوص زمناً محدَّداً من تلك الفترة ، لكنَّ وجودهم يستمرُّ حتى ظهور المهدي عليه السلام . فيكون الأبدال والعصائب والنجباء من صفِّ القيادة الرئيسيَّة بجبهة المهدي عليه السلام .

وقد حضَّت النصوص على احترامهم ونصرتِهم ومنع التهيشم بهم . وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [تكون قبل المهدي عليه السلام فتنة [في الشام] تحصر الناس حصراً ، فلا تسبُّوا أهل الشام . بل سبُّوا ظلمتهم ، فإنَّ فيهم

---

[1] (كنز العمال ٥٨٦/١٤) .

الأبدال ..][1] . تأكيداً لقيمة هؤلاءِ الأبدال الإماميين الشيعة الموالين لآل بيت محمَّد ﷺ . هؤلاءِ الذين ينفردون في رفع راية قويَّة تدعو إلى آل محمَّد ﷺ في هذه المنطقة .

ثمَّ هؤلاءِ القادة الأبدال الأربعين يبقون على عددهم ، كلَّما مات منهم واحد أبدل اللهُ محلَّهُ آخر . إذا مات أحدهم استُبدِل بغيره ممَّن يكون من أنصار وخصوص أصحاب المهدي ﷺ . أي من صفوة الموالين لأهل البيت ﷺ . وفي رواية أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال : [يُبايع لرجلٍ بين الركن والمقام ، كعدَّة أهل بدر ، فتأتيه عصائبُ العراق وأبدال الشام ..][2] .

فهم من صفوة الشيعة ، بالإضافة إلى عددٍ يتمِّمُ الصفوة الخاصَّة المذكورة في النصوص بـ ٣١٣ رجلاً هم خصوص أصحاب المهدي ﷺ وصفوته . النصوص شديدة التأكيد إلى انَّ هؤلاءِ شيعة ، وثورتُهم شيعيَّة موالية ، وأتباعهم كذلك ، ينادون بحقِّ آل محمّد ، ويتَّخذون الإسلام ديناً ، لا يفرِّقون بين الكتاب والعترة النبويَّة أبداً ، بعضهم قرينُ بعضٍ لا يفترقان حتى قيام الساعة . هؤلاءِ الأبدال يكون بداية ظهورهم في بلاد الشام ، يقودون حركة جهاديَّة يبدو - من النصوص - أنّها تصل إلى مستوى مهم ، له تأثير واضح وحضور بارز في هذا الجزء من العالم .

ثمَّ قيمةُ هؤلاءِ الأبدال أنَّهم عبادٌ لله بحقٍّ ويقين ، يصلون إلى درجة القرب من الله تعالى ، وهم مع ذلك غير معروفين بهذا الوصف بين الناس ،

---

[1] (مستدرك الصحيحين ٥٥٣/٢ ، مجمع الزوائد ٣١٧/٧ ، كنز العمال ١٤ / حديث : ٣٩٦٦١) .

[2] (مستدرك الصحيحين ٥٥٣/٤ ، وقال صحيح الإسناد) .

في حين هم أوتاد الأرض ، وثقلها الإيماني بالإضافة إلى باقي مَن لهم هذه الصفات ، وبالأولى : السيِّد الخراساني ومَن هو في حال العظمة التكريميَّة من الله تعالى .

وجود هؤلاءِ الأبدال يكون ببلاد الشام ، بواحدةٍ من نواحيها ، أي في لبنان ، في فترةٍ ما من عصر الغيبة ، كلَّما مات رجلٌ منهم أبدله الله برجلٍ آخر في صفاتِه الملحوظة بالأبدال ووصفهم . ما يعني أنَّ الحفاظ على رقم الأربعين إنّما هو ناظر إلى عدد الحاضرين في كلِّ جيلٍ وأمَّة . فمن مات أبدل الله غيره مكانه ، تأكيداً على ثباتِهم وحضورهم وقيادتهم أطروحة الحق حتى ظهور المهدي عليه السلام . ويُعرفُ الأبدال بهذا الوصف بعد الإعلان عن ظهور المهدي عليه السلام . ويبدو من طائفة أنهم يعرفون بهذا الوصف عند الظهور العام للمهدي عليه السلام .

ومعلوم أنَّ المهدي عليه السلام يظهر أوَّلاً الظهور الخاص لأولياءِه وخاصَّة شيعتِه ، وبالتالي يكون الأبدال منهم . في حين يكون الظهور العام بين الركن والمقام ويكون للناس جميعاً . وهنا يتم الكشف عن الوصف الخاص بهؤلاء الكرام والمنزلة الرفيعة التي هي لهم في قيادة جبهة المهدي عليه السلام .

على انّهم في السابق يُكَوِّنون حركةً جهاديَّة نافذة يقودونها دون أن يكون لهم أي وصف سوى أنّهم قومٌ كِرَام يصرُّون على إقامة دين الله واحترام قوانين الشريعة ومنع الإنحراف من أن يطال أمَّتهم . والأبدال منهم يشتهرون بمناهضتهم اليهود .

حضور هذه الرايات يلازِمُهُ حضورُ الإسلام في شتَّى أفعال الجماعة والأفراد وضمن نطاق نفوذها وموقعها العام . ويبدو أن بعضها

يصل إلى مستوى رفيع في مجال الإجتماع السياسي . بل النجباء يكادون يسيطرون على الحكم في مصر . والعصائب يكون لهم نفوذ شديد الوضوح في النصوص . والأبدال ربَّما يكون الإجتماع السياسي بيدهم . بل يستفاد مِن عصمتهم من السفياني وثباتِهم بوجهه ومناهضتهم له أنَّهم يقودون دولة .

ويظهر الخط الجهادي للأبدال والدور القيادي لهم في أعقاب « فتنة داخليَّة » تدوم ثماني عشرة سنة في بلاد الشام ، فتنة موصوفة لها آثار مختلفة . عبَّرت عنها الروايات بـ « فتنة الأحزاب » ، هذه الفتنة تتلاحم فيها القوى ، وتتلاطم فيها وسائل القتل والقتال ، ومع ذلك تكون نهايتها عذاباً للكافرين والمشركين ونقمةً على المنافقين ورحمةً للمؤمنين . وحين سُئل الإمام علي عليه السلام عن تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧/١٩﴾ قال عليه السلام : [انتظروا الفرج في ثلاث : اختلاف أهل الشام فيما بينهم ، والرايات السود من خراسان ، والفزعة في شهر رمضان][1] . إشارة إلى فتنة الشام .

النص يشير إلى وقوع ثلاث علامات رئيسيَّة تبشِّر بقرب الظهور ، منها : فتنة في بلاد الشام . هذه الفتنة لها وصف خاص ، كما لها نتائج خاصّة . وفي أعقاب هذه الفتنة يتمخَّض خطٌّ جهادي يدعو إلى آل محمَّد عليهم السلام وقداسة الشريعة وتبنِّي الإسلام كخيار عملي وميثاق وهويَّة . وتبدو النصوص واضحة في أنَّ هذا الخط نظيف ، إلى درجة انّه لا يشارك في جريمةٍ أو باطل أو يدعو إلى آثام .

---

[1] (البحار ٢٢٩/٥٢) .

ولا تحدِّثُنا الرواياتُ عن تفاصيل كثيرة حول هذه الفتنة . نعم هي تشير إلى وصفها التحقُّقي وواقعها الإخباري العام . ويبدو أنَّ هذه الفتنة تكشف الهشاشة في تلك المنطقة من الأرض ، حتى ان فتنةً تطلُّ برأسها وكأنَّها لا قيمة لها ، ثم يتعاظم أمرها دون أن تجد لها مانعاً . هذا يشيرُ إلى ضعف المُكَوِّن العام في هذه الأرض وهشاشة القوى الحاكمة ، أو يشيرُ إلى تدخُّل قوى بارزة في العالم تقود هذه الفتنة الداخليَّة . فقد ورد في الرواية : [تكون فتنة بالشام ، كأنَّ أوَّلها لعب الصبيان ، ثم لا يستقيم أمرهم على شيئ ، ولا يكون لهم جماعة][1] .

أي تبدأ هذه الفتنة وكأنَّها أمر عبثي بسيط ، لا قيمة له ، ولا إمكان لدواعيه في التفاعل حسب المجرى العادي للأمور ، ثم تتمادى وتتعاظم حتى تتبلور على شكل كارثة تعمُّ البلاد ، فلا يستقيم أمرهم على شيئ ، ولا يتّفقون على حاكم . وتدخل الفئات في حربٍ وتلاحم وفوضى عارمة .

على أنَّ يد القوى الخارجيَّة تكون في جزءٍ رئيسيٍّ وراءها . خاصَّة أنَّ بعض النصوص عبَّرت عن بعض القوى الأخرى بالكافرة . ما يعني تدخُّل قوى الكفر أو بعضها في سبيل إثارة فوضى في بلاد الشام لغاياتٍ سياسيَّة أو تحقيق مطالب متنوِّعة ، على أنَّ المتون واضحة إلى أنَّ العاقبة تكون للمتَّقين . فقد ورد في الرواية :

[اذا اختلف رمحانِ في الشام .. يجعلها اللهُ رحمةً للمؤمنين وعذاباً للكافرين][2] .

---

[1] (الحاوي للفتاوي ٧٥/٢) .

[2] (البحار ٥٢/ ٢٥٣) .

إذن طبيعة الصراع والتذابح هناك تنتهي عند حدٍّ يكون فيه هرم الباطلِ ورموزه متداعياً ، خاوياً ، ضعيفاً . وعليه : في أعقاب هذه الفتنة التي يخسر بها الكفرة ويرتاح المؤمنون ، يظهر الخط الجهادي الإمامي للأبدال في الشام . ويتعملق شيئاً فشيئاً في الحياة السياسيّة وغيرها إلى درجة تعجز عن منازلته القوى الكبرى لعقبات متنوِّعة وأسبابٍ مختلفة . النصوص صريحة في فشل بعض الحملات العسكريَّة الكبيرة على هذه الراية ، كتلك التي يقودها السفياني ، رغم دعمه من الروم وغيرها . بحيث يتمدَّد ويسيطر على الكور الخمس إلا منطقة الأبدال الذين يصدُّون جيشه ويمنعونه بإذن الله تعالى . وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام التي يصف فيها حركة السفياني وسيطرتها على بلاد الشام يقول عليه السلام : [.. فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق ، يعصمهم الله من الخروج معه][1] .

بحيث يسيطر على الكُوَر ويحكم قوَّة الحديد والنار . إلا منطقة الأبدال ، تُعصم منه بإذن الله ، تُعصم بمنعتِها وتضحياتِها في سبيل الله تعالى ، حيث يواجهون غزو السفياني الذي يفشل في فتح هذه المنطقة .

ثم قيمةُ هؤلاءِ الأبدال أنَّهم لا يُساوِمُون على الحق ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم . جماعة باعوا أنفسهم لله تعالى ، فلا يرون الحياة إلا في رضاه ، كما لا يرون الموت إلا في رضاه . وقد وصفهم النبيُّ صلى الله عليه وآله واهل لبيته عليهم السلام بصفات عالية ، وتعابير محترمة ، وكرَّرت النصوص التذكير بقيمتهم وسلامة صدورهم ونقاوة أنفسهم .

---

[1] (البحار ٥٢/٢٥٢) .

وفي مواقف إبتدائيَّة ، شديدة الإفتراق عن زمن الأمس كان النبيُّ ﷺ أو الإمام يلفت أنظار الناس إلى أنَّ بلاد الشام يظهر فيها قومٌ مِن الأبدال ، الموالين لآل محمَّد ، الذين يكون لهم أثر عظيم في زمن الظهور . فقد ذكر جماعةٌ أهلَ الشام عند الإمام علي عليه السلام فقالوا : إلعنهم يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : لا إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : [الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلَّما مات رجلٌ أبدل اللهُ مكانه رجلاً ، يُسقى بهم الغيث ، ويُنتَصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب][1] .

هذا النص يُؤكِّد طابع المنعة عندهم ، وقوَّة الموقف والمواجهة والإختراق ، والكرامة العظيمة على الله تعالى . النص يؤكِّد أنَّ هؤلاءِ يُنتصَر بهم على الأعداء . وهو في مقام الإخبار عمَّا يقع . أي يقول لنا : انَّ هؤلاءِ يقودون حركةً جهاديّةً إيمانيّةً ، يشكِّلون عبرها جبهةً متنامية ذات شوكةٍ وثبات ومنعة في وجه أعداء ما ، منهم - كما اشارات النصوص - اليهود ، والسفياني ..

وكما في المتون : قيمةُ هؤلاءِ أنَّهم سليمو الصدور ، أصحاب اعتقاد عظيم ، ويقين مطلق وتضحيةٍ متفانية في سبيل الإسلام . ففي الرواية عن النبي ﷺ - وهو يعدِّد دعائم أمَّته - قال : [.. وأربعون رجلاً مِن الأبدال بالشام ، كلَّما مات رجلٌ منهم أبدل الله مكانه ، أما أنَّهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكنَّهُ بسخاوة الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصيحة للمسلمين][2] .

---

[1] (مسند أحمد ١١٢/١) .

[2] (الفردوس للديلمي ٢٢١/٢) .

يركِّز النص على تضحياتهم وبذلهم الكبير ، في سبيل الإسلام والمسلمين ، وأنَّ ذلك يجري مِن صدورٍ سليمة ، واعتقادٍ نظيف ، ودينٍ ويقينٍ وموالاةٍ مدهشة ، وخصوصيّةٍ لافتةٍ في اعتقادهم ونظافة تديُّنهم .

هم جماعة كرامٌ في التضحية ، كرامٌ في العطاء ، يمتازون بسخاوة الأنفس .. وهذا صادر عن صدورٍ سليمة في دينها ويقينها .. تعبير جدير بالإنتباه والإلتفات .. وقد تكرَّرت الإشارة إلى هذهِ الصفات الجليلة ، ففي رواية أخرى وصفهم عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ بأنهم : [ليسوا بالمتماوتين ، ولا المتهالكين ، والمتناوشين ، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صومٍ ولا صلاة ، وإنّما بلغوا ذلك بالسخاء وصحَّة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين][1] .

ويكفي ما ورد فيهِ من ذيل النص للتأكيد على عظيم هذا السخاء ، سخاءٌ – عن نظافة الصدر – في الأنفس والمال والجهد وكلٍّ ما ينطبق عليه هذا اللفظ أمام جميع المسلمين . النص وارد على النحو الوصفي للوقائع المستقبليّة ، أي أنّه يريد الإشارة إلى ذلك بدقّة وإمعان . ومِن كرامتهم على الله تعالى يفيضُ اللهُ تعالى على العباد الخير بسببهم ويؤيّدهم بالنصر . ففي الرواية عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : [لا تسبّوا أهل الشام .. فإنَّ فيهم الأبدال بهم تُنصرون وبهم تُرزَقون][2] .

وفي لفظٍ آخر عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – يدلُّ على عظمتهم وكرامتهم عند الله ودخالة وجودهم في بعض النتائج بأمر الله تعالى – قال : [والبدلاء بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجلٌ .. أبدل اللهُ مكانه ، ويستسقى بهم

---

[1] م . س .

[2] (المعجم الكبير للطبراني ٦٥/١٨) .

الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب][1] . وعليه : هم اصحاب مشروع ديني أخلاقي سياسي اجتماعي يعملون على تطبيقه وتحقيقه ، ينصرون الحق ، ويواجهون الظالمين ، ويقفون في وجه اليهود سدّاً منيعاً . بالإضافة إلى أممٍ أخرى ذات فسادٍ وظلمٍ وانجراف .

بل يبدو من النصوص أنَّ لهم حضوراً بارزاً في بلاد الشام ، أعني لبنان ، صفتُهم وحركتهم وشعاراتُها شديدة الإختلاف عن البيئة الدوليَّة ، فهم جماعة يدعون إلى ضرورة إرساء ضمانات الموكب الوجودي للبشر . يعلنون الإسلام ديناً لهم ، يقرنون بين الكتاب والسنَّة . ينادون بالمهدي عليه السلام القائم من آل محمَّد ، يمارسون انتظار الفرج من بابِ الحفاظ على الإسلام في الإعتقاد والقول والعمل وقيادة أمر الجماعة والإجتماع . قبل الظهور وبعد الظهور يكون لهم وجود مهم ولافت . قبل الظهور يشاركون الخراساني في فتح بيت المقدس . يتزعَّمون حركة سياسيَّة جهادية يكون لها ثقلها في بلاد الشام ومواجهة اليهود . وصمود لافت جدّاً في وجه السفياني . هم كنز الله في بلاد الشام . بهم أوصت النصوص ، وعليهم ركَّزت الروايات ، ودعت إلى مآزرتهم وتقويتهم والحفاظ عليهم ، وعدم الخروج على نهجهم وخَطِّهم . وقد اخذ اللهُ تعالى على نفسه أخفاء أولياءه في عباده إلى يوم ظهور وليِّه الأعظم عليه السلام .

هؤلاءِ معروفون في السماء ، مجهولون في الأرض . رغم قيادتِهم الناس . إلى أن يظهر القائم عليه السلام الظهورَ العام بين الركن والمقام فيكشف

---

[1] (مجمع الزوائد ٦٣/١٠ قال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) .

عن صفتهم العزيزة ذات الخصوصيّة الرفيعة عند الله تعالى . يقودون جبهة سياسيَّة ثوريَّة ضمن حركة مسلَّحة في وجه الباطل ومعالم الإنحراف والفساد ، خاصَّةً في وجه اليهود ، ثم السفياني فيما بعد ، ينادون بأمر المهدي عليه السلام ، ويثبتون عليه ، فإذا ظهر أعلنوا البيعة له وخرجوا إليه يلتمسون العظمة بين يديه . وتبقى حركتهم ذات شوكةٍ ومنعة إلى يوم الظهور ، ثمَّ ينخرطون في جيش المهدي عليه السلام ، ويُضحُّون أعظم التضحيات .. واللافت في النصوص تركيزها على أنَّ هؤلاءِ الأبدال لهم حضورُهُم الخاص المميَّز قبل الظهور الشريف نواحي بيت المقدس ، أي في أكنافه . وهُم الموالون الذين يقاتلون اليهود ويثبتون على الحق ويدعون الأمم إلى قتالهم وإخراجهم من بيت المقدس . وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

- [لا تزال عصابةٌ مِن أُمَّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرُّهم خذلانُ مَن خذلهم ، ظاهرينَ على الحق ، إلى أن تقوم الساعة][1] .

- [لا تزال طائفة من أُمَّتي على الدِّين ، ظاهرين لعدوِّهم ، لا يضرُّهُم مَن جابههم .. حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم كذلك . قالوا يا رسول الله ، واين هم ؟ قال صلى الله عليه وآله : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس][2] .

- [لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي تقاتل على الحقِّ حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر في بيت المقدس ، ينزل على المهدي عليه السلام فيقول :

---

[1] (مجمع الزوائد ٦٠/١٠ وقال : رجاله ثقات) .

[2] (مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ وقال رجاله ثقات) .

تقدَّم يا نبي الله ، فصلِّ بنا ، فيقول عليه السلام : هذه الأمّة امراء بعضُهم على بعض][1] .

هذه النصوص وغيرها تحدِّد لنا صفتهم على أنّهم مقاومون ، ثوار ، وفق المعنى الجهادي في الإسلام ، يقاتلون على الحق ، الحق بما تعنيه الشريعة من إسلامٍ وإيمان ، لهم ميزة الجهاد وبها يُعرفون . يدعون إلى الإسلام ، يقيمون أمرهم على الدِّين . يناهضون أعداء الله ، ومنهم اليهود والذين يهزمهم الخراساني أوَّل مرَّة بمشاركة الأبدال ، ثم يقضي عليهم المهدي عليه السلام في المرَّة الثانية والنهائيَّة .

تُؤكِّد الروايات في وصفهم أنَّهم شديدو الإصرار على النهوض بأمر الله وإقامة حكمه ، وحفظ الشريعة والمناداة بأمرِ آل محمَّد ، ومناهضة الظالمين ، ومقاومة الغاصبين خاصَّة اليهود ، لا يخشون موتاً أو قتلاً ، لا تأخذهم في الله لومةُ لائم ، رغم الجُهد والعناء الذي يُصيبهم ، يثبتون على الحقِّ فلا يحيدُون عنه ، يتحقَّق لهم النصر ، في أكثر مِن وقعةٍ ومعركةٍ وحرب ، جبهتُهم متماسكة ، معاركهم موصوفة ، ينادون بالمهدي عليه السلام إماماً ويقيمون على ذلك حتى يخرج عليه السلام ، فيركب قادتهم لمبايعته ، ويضعون ثورتهم وجندهم في سبيله العظيم . ثم يتابعون باب الجهاد والفتوحات إلى أن يمنَّ اللهُ عليهم بالصلاة خلف المهدي عليه السلام في المسجد الأقصى ، مع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام في الفتح المشهود .. تكرِّر النصوص أنَّهم يقاتلون على الحق . معيارهم الوحيد الحق أبداً . وفي

---

[1] (الحاوي للفتاوي ٨٣/٧ . عقد الدرر /٢٢٠ – صحيح مسلم ١٧٣/١ لكنه لم يذكر لفظ المهدي عليه السلام وإنما قال : فيقول إمامهم ..) .

الرواية عن النبي ﷺ قال : [انّهم يقاتلون على الحق . وأنّهم لا يبالون مَن خالفهم ولا يضرُّهم مَن خذلهم][1] .

إشارةً إلى انَّ هناك مَن يخذلهم ، ويقف عقبةً في وجههم ، ويحول دون حركتهم ، ومع ذلك لا يخشون شيئاً ما دام أنَّهم على الحق ومنهج الدِّين وشريعة سيّد المرسلين . يُردِّدون قول علي الأكبر ابن الحسين عليه السلام : [لا نبالي وقعنا على الموت ، أم وقع الموت علينا] . فإذا وقعوا في فجيعة ردَّدوا قول الحسين : [هوَّن ما نزل بي ، أنّه في عين الله] .

الشهادة عنوانٌ مقدَّسٌ عندهم ، يخرجون في ظرفٍ وعالمٍ صعبٍ وعسير ، البيئة الدوليَّة تكون شديدة العداء لهم ، فيُقَال فيهم ، ويُقرنُون بالتَّهم ، فلا يهمُّهم ذلك ، ويصبرون ، ويتابعون طريقهم ، وعلى الله يتوكَّلون .

وقد أشرتُ إلى طائفة من النصوص التي تؤكِّد ظهور وشياع دعاية دوليَّة اتّجاه أهل الإيمان وصفوة الإسلام تصفهم بِصِيَغ وعبارات تعتبر مِن أسوأ الجرائم في العرف الدولي آنذاك - مثل الإرهاب - فلا يهمُّهم أبداً مَن خذلهم ، أو خالفهم ، وعلى اللهِ يتوكَّلون .. إلى أن يُتمَّ اللهُ أمره . واللهُ بالغٌ أمره . وتكرِّر النصوص صفةً إخباريَّةً للحدث المستقبلي الواقع ، مفادُهُ أنَّ هؤلاءِ الأبدال منصورُون ، يُكتَبُ لهم النصر ، دون تحديد مطلق للعناوين والأنواع التي يصل إليها مستوى نصرهم . يكفي فيها أنَّ جيش السفياني الجرار لا يستطيع أن يفتح ثغورهم ولا أن يحتل منطقتهم رغم سيطرته على الكور الخمس .! كما تؤكِّد مضامين الروايات تكبيدهم لليهود الخسارة

---

[1] م . س .

ومواجهتهم في أكناف بيت المقدس . وصفتهم الإستمرار في مواجهة اليهود وإعلان العداوة لهذه الفرقة المغتصبة . بل يكفي لوصف حضورهم البارز أنَّهم يشاركون الخراساني في دخول بيت المقدس .

وفي وصف النبي ﷺ لهم : [انَّهم ظاهرون على من ناوأهم ، قاهرين لعدوِّهم] . بحيث يظل هذا الوصفُ قائماً لهم - كما يبدو من النصوص - حتى ظهور القائم المهدي عليه السلام . ما يعني انّهم رغم الجهد الذي يصيبهم يُسجِّلون انتصاراتٍ لافتةً ومميَّزة في مواجهتهم مع اليهود الغاصبين . ولا يبعد جداً أن يكون لبنان دولةً لهم . بل لحن النصوص يُستفاد منه ذلك .

فإذا ظهر السفياني اجتاح بلاد الشام وقتل وابادَ وسيطر بشكلٍ ضخم ، إلا منطقة الأبدال الذين يصمدون بقوَّةٍ لافتة وحاضرة . حيث يقاتلون السفياني ويحمُون جبهتهم ، ويقودون حركة سياسيَّة جهاديَّة تعمل على إضعاف السفياني . تكون لهم صلة ولاء واضح بالسيِّد الخراساني . وفي شعاراتِهم أنَّهم ينتصرون للمهدي عليه السلام . فيعمل السفياني ما أمكن لاحتلال أرضهم فيفشل ، رغم قوَّة السفياني . لا ندري مجموع العقبات ، لكنَّ النصَّ واضحٌ في عصمتِهم ومِنعَتِهم . وفي الرواية :

[.. فينقاد له - أي للسفياني - أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق ، يعصمهم الله من الخروج معه][1] . المتنُ صريحٌ في أنَّ هؤلاءِ الأبدال يملكون مِن أدوات القوَّة والممانعة ما يصمدون فيهِ بوجه جيش السفياني الكبير الذي يجتاح الكُوَر الخمس ويسيطر عليها إلا منطقتهم .

---

[1] (البحار ٥٢/٢٥٢) .

ثمَّ ميزةُ هؤلاءِ الأبدال أنَّ علاقتهم بالخراساني عظيمة ، ينزلون على أمره ، يضعون أنفسهم بين يديه ، يُعلنون تأييدهم لرايتِهِ ، وينادون بالمهدي عليه السلام . والمستفاد أنَّ أبدال بلاد الشام ، وعصائب العراق ، ونجباء مصر يكونون مع الخراساني على نهجٍ عقائدي واحد وولاءٍ تام . انهم أتباع آل محمَّد الإثني عشر ، الذين آخرهم المهدي عليه السلام . ويكون للخراساني الصفة العليا في قيادة أمر الأمَّة الموالية لما فيهِ تحقيق أمر الله وأهل بيتِهِ عليهم السلام ..

لقد عبَّرت النصوص عن الموطِّئين للمهدي عليه السلام بالكنوز . كما عبَّرت أيضاً عن اليمانيين الذين ينهضون لنصرة المهدي عليه السلام بالكنوز . لتشير إلى الوصف العام في كلِّ هذهِ الرايات التي تنادي بأمر المهدي عليه السلام زمن الغيبة[1] . وفي رواية تشير إلى شدَّة الترابط والوحدة والتماسك بين الأبدال وأهل خراسان قال النبي صلى الله عليه وآله : [لا تزال طائفة مِن أُمَّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ، ظاهرين على الحق ، لا يبالون من خذلهم ، ولا من نصرهم ، حتى يخرج الله كنزه من الطالقان ، فيُحيي اللهُ به دينه كما أُميت من قبل][2] . في العديد مِن النصوص بيان واضح لهذا التلاحم والترابط بين الأبدال والخراسانيين أو الطالقانيين ، وبصورةٍ عامَّة الموطِّئين للمهدي عليه السلام .

---

[1] في حديث الإمام علي عليه السلام : « وإن لآل محمّد لكنزاً سيظهره الله إذا شاء ، دعاة حق يقومون بإذن الله فيدعون على دين الله » (شرح نهج البلاغة ٤٨/٧) . وأيضاً عبّرت عن أنصار المهدي عليه السلام من اهل اليمن بالكنوز . ففي حديث النبي صلى الله عليه وآله : « ولله في اليمن كنزان ، جاء بأحدهما يوم تبوك .. ويجيئ بالآخر يوم الملحمة العظمى » (عقد الدرر ٢١٥) . وهي الملحمة التي يقودها المهدي عليه السلام ضد الروم في هذه المعركة .

[2] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥٠٥٥) .

والأبدال هم الذين يضعون أنفسهم ومُهَجَهُم بين يدي الموطِّئين لتحرير بيت المقدس من اليهود . وتذكر بعض الروايات هذا التلاحم التام بين كنوز خراسان - الطالقان الموطِّئين وأبدال الشام في معارك تحرير بيت المقدس تحت قيادة راية واحدة ، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ : [تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج مِن خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود ، وثيابهم بيض ، على مقدّمهم رجلٌ يُقال له « شعيب بن صالح » مِن تميم ، يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس ، يُوطّئ للمهدي عليه السلام سلطانه ، يمدّ إليه ثلاثمائة من أهل الشام][1] .

أي يشارك معه جند الأبدال الشاميين الموالين ، وتعبير « الثلثمائة » إمَّا يشير إلى مهمَّة خاصَّة في معارك التحرير ، أو طليعة استشهاديَّة أو صيغة عسكريَّة محدَّدة ، أو في مقام الإشارة إلىَّ أنَّ هؤلاءِ الثوار الجهاديين من الأبدال أقل عدداً من الجيش الخراساني الجرَّار [الوصف النسبي في البشارة] . وهذا هو الأميز في الإستظهار . أي أنَّ صفة الخراسانيين كبيرة ، فيما صفةُ جند الأبدال أقل قياساً إلى جيش الخراسانيين . أهمية النص تشير إلى مشاركة الأبدال في معارك تحرير بيت المقدس مع الخراسانيين . بل تحت رايتهم . والطالقانيُّون ، جندٌ من خراسان ، ينصرون الخراساني ويُحصِّنون حكمه في وجه الإنقلابيين . بتعبيرٍ آخر : تكون هذه الراية راية خراسان في فتح بيت المقدس .

بل في طائفةٍ أخرى إشارة إلى الدور المركزي المتعاظم الذي يتَّصف بهِ أصحاب جبهة الأبدال في بلاد الشام عبر مشاركتهم مع أهل

---

[1] (الحاوي للفتاوي ٦٧/٢ الفتاوي الحديثيّة ٤٢) .

خراسان بشكلٍ هام وموصوف في تحرير بيت المقدس . ففي الرواية : [إنَّ شعيب بن صالح (القائد العسكري الخراساني) يخرجُ متخفِّياً إلى بيت المقدس ، موطّئاً للمهدي سلطانه][1] .

أي أنَّه يستعين بجند الأبدال وموقعهم وجبهتهم عند أكناف بيت المقدس للتسلُّل إلى بيت المقدس - خاصّةً إذا لاحظنا الرواية السابقة - ولا تحدِّثنا الروايات عن تفاصيل هذا التسلُّل ، وهو يقع وفق أشكال شديدة التنوُّع بالمعنى العسكري . لكنَّه يؤكِّد على الطاعة العظيمة التي يقدِّمُهَا أصحاب جبهة بلاد الشام للخراساني .

وهذا يعني الوحدة التامَّة بين هاتين الرايتين في عصر الظهور الشريف ، بل النزول الكامل على ولاء الخراساني .

---

[1] (عقد الدرر ١٢٨ - الحاوي للفتاوي ٧٠/٢) .

نموذج مختصر عن الأمم السياسيّة ذات الوزن الدولي في عصر الظهور

راية الروم

الروم جبهة ضخمة تكون في عصر الظهور ، تتكوّن من شعوب الغرب المسيحي . على انَّ قسماً من المسيحيين ينادي بالمهدي (عليه السلام) بعد ظهورِهِ ، ويعلن الطاعة له بعد الكرامات العظيمة والأدلّة الدامغة التي تظهر على يد المهدي (عليه السلام) . فيما تشيرُ طائفة إلى إيمان واضح في قسم من المسيحيين واليهود بعد ملحمة الروم وانتصار المهدي (عليه السلام) عليهم ، ونزول المسيح (عليه السلام) فيما بعد .

يبدو واضحاً من النصوص أنَّ الروم تكون دولة عملاقة ، سواء كان دولة بسيطة أو مركَّبة ، أو دولة إتحاديّة أو اتحاد دُول . وسواء كان شكلها فيدرالي أم كونفيدرالي . أو الأمم الدول أو غير ذلك . النصوص شديدة الصراحة في أنَّ الروم هذهِ تكون على نحوٍ كبروي في ميزان قوى العالم ، بل يبدو انَّ لها نفوذاً كبيراً في مناطق العالم .

هذه الروم ترتئي منطقة الشرق الأوسط مصلحةً استراتيجيَّةً لها تحت وطأة وصفٍ ما ، ربّما نصوص وقعة قرقيسيا تضع أيدينا على

نموذج من دوافع التدخُّل الحربي والنزول في هذه البلاد ، حيث تؤكِّد الرواية انَّ كنزاً أو مالاً ينكشف عنه الفرات تتقاتل عليه أهل الشرق والغرب .

على انَّ حروب الروم والترك لها دواعي ودوافع أكبر من المال أيضاً ، مثل نموذج تدخّلهما لمنع انهيار الكيان اليهودي في فلسطين وفتح وبيت المقدس إبان الزحف الخراساني وشبه ذلك . وفي بعض المتون الروائيّة : [تقوم الساعة والروم أكثر الناس][1] . أي يقوم المهدي عليه السلام الذي جُعِلَ علامةً على الساعة كما في أكثر من نصٍّ ورواية والروم قوَّة ضخمة على مستوى الأرض .

هذه الروم يبدو مِن متون النصوص أنَّها قوَّة كبرى ، لها حضور بارز في الأرض ، تقود قيم فاسدة ، وتبطش ، وتغزو ، وتحتل وتنهب الثروات ، وتقود أنظمةً تابعة لها في أكثر من منطقة بالأرض . وتقيم تحالفات ، وتدعم اليهود الموجودين في ناحية فلسطين ، وتكون على نحوٍ واضحٍ من العداء للخراسانيين . هذه الروم تجد من ضرورات مصالحها أن تكون في منطقة الشرق الأوسط . وتسمِّيها أخبار الملاحم والفتن بـ « بني الأصفر » كما تسميها بالروم .

ويبدو بوضوح شديد عداء الروم للدِّين الإسلامي والطوائف أو الكيان الذي ينادي بالإسلام . وفي الحديث : [أشد الناس عليكم الروم . وإنّما هلكتهم مع الساعة][2] . الساعة هنا كناية عن آخر الزمان وقيام

---

[1] (صحيح مسلم ٤/٢٢٢٢) .

[2] (مجمع الزوائد ٦/٢١٢) .

المهدي (عليه السلام) كما ورد في نصوص كثيرة تؤكّد ان الساعة مقصودٌ بها ساعة المهدي (عليه السلام) لا ساعة القيامة . وفي رواية أبي بصير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ ، قال : هو خروج القائم (عليه السلام) ، وهو الساعة .

وفي طائفة من النصوص إبراز مفهوم الساعة وفق مخزون خاص من علم القرآن ، أي هذا ممّا يجري عليهِ مدلول الآية ، فيما تحفظ الآية المعنى الظاهرَ منها ، أي ساعة القيامة . وهذا سرٌّ مخزون القرآن ودليلٌ على العمق الهائل والشمول المذهل الذي ضمّنه اللهُ للقرآن ، وقَرَنَ الكشفَ عن مخزونِهِ الخاص بالراسخين بالعلم ، أي النبيِّ وأهل بيتِهِ (عليهم السلام) .. ففي رواية المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما معنى قول الله عزوجل : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١/٢٥﴾ ؟ فقال لي : [إنَّ اللهَ خلق السنة اثني عشر شهراً ، وجعل الليل اثنتي عشرة ساعةً ، وجعل النهار اثنتي عشرة ساعة ، ومنَّا اثني عشر محدثاً ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) من تلك الساعات][1] .

والمُحَصَّل أنَّ الروم تكون ذات حضور كبير في هرم النظام الدولي آنذاك . ويكون لها جبروت ظالم تطأ به فيما تطأ أرضَ المسلمين والعرب بشكلٍ متفاوت . وفي النص : « أشد الناس عليكم الروم » . إشارة إلى البطش والغزو والظلم والإستبداد الذي يطال المسلمين عموماً ، وبلاد العرب خصوصاً . كما تشير إلى مناوءة الروم للخراسانيين الذين يكونون على نحوٍ من قوّةٍ ومكانةٍ وقدرات حربيَّة وغيرها تمكِّنهم من الصمود

---

[1] النعماني : ص ٨٤ ، ح ١٣ .

والثبات بل وإعلان الحرب . تصرِّح النصوص بقوَّة ومنعة وحضور أهل خراسان بقوَّتي الصَّدم والردع . ومن مظاهر شدَّة الروم احتلالها واستبدادها وإعلانِها الحروب على بلاد العرب كما في أكثر من متن روائي .

وتؤكِّد النصوص وجود الروم في ميزان كبريات قوى العالم . نعم هي لا تشير إلى الإنتشار التفصيلي في منطقة الشرق الأوسط . لكن يُلَاحَظ أنَّ بعض الأنظمة تكون تابعةً لها وتنفّذ سياستها . وبعض المتون صريحة بحضور مباشر للروم . وعلى أثر زحف الجيش الخراساني عبر الأراضي العراقيّة نحو فلسطين لتحريرها من اليهود ، تنزل قوَّات من الروم على سواحل فلسطين لمساعدة الجيش اليهودي في هذه المعركة . وهو ما أشارات إليه رواية عمار بن ياسر : [وتنزل الروم فلسطين][1] .

كما تتدخَّل في بلاد الشام بشكلٍ أوسع فتدعم الأنظمة التي تقاتل الخراسانيين . ومع ذلك يُهزم اليهود ويدخل الجيش الخراساني القدس . لكن قوات الروم تبقى في المنطقة . وتخوض الروم حرباً شرسة ضدَّ الثائر المصري الإمامي الذي يكاد أن يسيطر على الحكم في مصر ، وتقع معركة هائلة تخوضها الروم في الأسكندريَّة تقتل فيها الناسَ قتلاً شديداً . لكنَّها لا تنجح في القضاء على النجباء المصريين . لذلك تُحوِّل وجهها نحو عرش سوريا المناوئ لها - ويبدو انه غير معادٍ للإيرانيين - فتدعم السفياني في انقلاب دموي هائل وذلك في خضم أحداث متسارعة ذات مدلول تاريخي كبير . فتُسخِّر الروم طاقاتِها لإثارة فتنة داخليَّة كبيرة في بلاد الشام حيث

---

[1] (الغيبة للطوسي ٢٧٨) .

تتصارع فيها رايات مختلفة ، ينتج عنها قيادة انقلاب عبر السفياني الذي تدعمه الروم وتمكّنه من عرش دمشق .

وتجهر الروم بتدخُّلها الحربي ، وتستعمل أدواتِها القذرة لإثارة هذه الفتنة . ويبدو من النصوص أنَّ لها وقعاً أليماً على شعوب هذه المنطقة . وفي الحديث : [.. إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام ، فالموت الموت ، حتى يتحرَّك بنو الأصفر ، فيسيرون إلى بلاد العرب ، فتكون بينهم الوقائع[1] . فأوَّل أرض تخرب الشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات ، راية الأصهب ، وراية الأبقع ، وراية السفياني ، ويلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن تبعه ويقتل الأصهب][2] .

ويكون ذلك في ظل فوضى عارمة ، الحروب تجتاح البلاد ، والفتن تزحفُ من القلب إلى الآفاق . على انَّ أصل تمكين السفياني من قِبَل الروم يكون لتجميع قواه في وجه محاربة الخراسانيين في فلسطين وباقي المنطقة ، وصولاً إلى أرض المشرق . كما انَّ الإستيلاء على حكم دمشق دونَهُ « حرب الرايات » ففي حديث سدير الصيرفي عن الصادق عليه السلام : [ثلاث رايات ، راية حسنيَّة ، وراية أمويَّة ، وراية قيسيَّة ، فبينما هم كذلك إذ يخرج السفياني فيحصدهم حصد الزَّرع ما رأيت مثله قط][3] .

إشارة إلى تمكُّن السفياني من هذه الرايات الثلاث ، على انَّ الراية الحسنيَّة ليست هي راية الأبدال . النصوص شديدة الوضوح في أنَّ راية

---

[1] (الفتن لإبن طاووس ١٠٧) .

[2] (البحار ٢١٢/٥٢) .

[3] (البحار ٢٧٠/٥٢) .

الأبدال تبدي بسالةً هائلةً في حربها مع السفياني فيعجز عن اختراقها . وهي التي تشارك في حرب الخراسانيين على فلسطين كما في أكثر من متن روائي . ولا يحدِّثنا التاريخ أو المنقول الروائي عن هذه الراية الحسنيَّة وظروفها . لا نعرف تفاصيل عنها .

وفي النتيجة العامَّة يستطيع السفياني بعد معارك دمويَّة - مدعوماً من الروم - أن يسيطر على سدّة حكم دمشق ، ثمَّ يسيطر على الكور الخمس إلا منطقة الأبدال المنادين بآل محمَّد والنازلين على ولاية الخراسانيين . النص واضح في ذلك .

مع التأكيد على أنَّ السفياني رجل مسلم يتنصَّر ، بمعنى الولاء السياسي أم الأعم منه ، على الأقل يكون عميلاً تابعاً لمشروع الروم للإنقضاض على عرش دمشق . ومدعوماً منها ومعتمداً عليها . وفي الرواية : [يقبل السفياني من بلاد الروم متنصِّراً ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم][1] .

وبذلك تتوسَّع دائرة النفوذ الرومي في المنطقة . ويبدو أنَّ ملف التعاون بين الروم والترك ينتجُ إتفاقاً حول مهاجمة الخراسانيين من قبل الترك الذين يدخلون إلى قسمٍ من الأراضي الإيرانيّة . في حين يقوم السفياني المدعوم من الروم بإعلان حرب شاملة على الخراسانيين في فلسطين والنقاط الأخرى الموجودين فيها . ويقوم السفياني - بالتعاون مع حلفاءه - بإخراج الخراسانيين من فلسطين . وفي الرواية : [فيقاتل

---

[1] (البحار ٢١٧/٥٢) .

(السفياني) أهل المشرق حتى يردَّهم إلى العراق][1] . وعلى لسان راوٍ آخر : [... يقاتل أهل المشرق حتى يردَّهم إلى العراق][2] . ثم تقع بينه وبين الخراسانيين معارك أخرى في العراق خاصَّةً بعد الإقتتال العباسي على المُلك . في تلك المعارك ترجح كفَّةُ السفياني على الخراسانيين أوَّلاً ، الذي يتبعهم إلى داخل الأراضي الإيرانيَّة . وهناك يخوض معهم معركة في منطقة اصطخر تعتبر الأفظع ، فيها يتمزَّق الجيش السفياني تمزيقاً . إلى درجة يندهشُ فيها السفياني من فعل الخراسانيين فلا يستطيع أن ينتقم منهم . وتبدأ مرحلة العد العكسي حيث تخوض دولة خراسان سلسلة هائلة من الفتوحات والمعارك الشرسة التي تفتح على أثرها العراق ، وتتّجه نحو سوريا ، وهكذا ..

ويتَّسِع نطاق حكم السفياني ليشمل بلاد الشام ما عدا منطقة الأبدال . أي تشمل دولته الكبرى منطقة سوريا والأردن وفلسطين أو بعض فلسطين . كما يكون له نفوذ في الحجاز قبل ظهور المهدي العام . بالإضافة إلى نفوذه في العراق وهو يزول بانتصار الإيرانيين . وربَّما نفوذ في مصر .

ولا يطول حكم السفياني . كلُّ حركة السفياني من أوَّلها إلى آخرها لا تتجاوز ١٥ شهراً . منها ٩ أشهر بعد استتباب حكمه على الكور . وهذا بدوره يدلُّ على ضخامة الأحداث وتشابكها والتهاب المنطقة بالفتن وعدم الإستقرار . وفي رواية محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام : [إنَّ

---

[1] (الفتن لإبن حماد ١٧٦) .

[2] (عقد الدرر ٥٣) .

السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل إمرأة][1] . وفي تفسير معنى الكور الخمس ؟ ورد في طائفةٍ من الروايات أنَّها : دمشق ، وفلسطين ، والأردن ، وحمص وحلب . ففي رواية عبد الله بن منصور قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إسم السفياني ؟ فقال عليه السلام : [وما تصنع بإسمه ؟ إذا ملك كور الشام الخمس ، دمشق وحمص ، وفلسطين ، والأردن ، وقنسرين ، فتوقّعوا الفرج ..][2] .

نعم ورد واضحاً في النص أنَّ أبدال الشام يعصمهم اللهُ من السفياني ، ويثبتون . وفي نصٍّ صريحٍ يُحدِّد منطقة أبدال الشام في لبنان . ورغم هذا التوسُّع الكبير للسفياني تضربه سرعة الأحداث وانقلاب التحالفات ونشوب الفتن وتطاول الخراب ، والصِّدام الذي يقع بين السفياني والترك والروم في منطقة قرقيسيا وغيره كالذي يقع بينه وبين أهل خراسان . كل هذا يضرب عمق الميزان الدولي وإنتاجاتِهِ على مستوى إدارة الفتن والحروب وأدوات القتل والدمار في هذه المنطقة .

وبسرعةٍ كبيرة يختلف السفياني مع حلفاءه الذين دعموه وتشتعل الحرب بينهم ويصطدم السفياني بقوات الترك والروم ، في منطقة قرقيسيا خلافاً على مالٍ باطني يُكتشف هناك عند ناحية الفرات . وفي الرواية : [.. خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفياني][3] . وبهذا الإنقلاب السفياني على الروم تصبح منطقة الشام حكراً على السفياني . ما يعني تغيُّراً كبيراً في مفهوم ميزان القوى .

---

[1] (الغيبة للطوسي ٢٧٣) .

[2] (كمال الدِّين / ٦٥١) .

[3] (كنزل العمال ١١ ح : ٣١٥٠٩) .

ففي قرقيسيا تُهزم الترك والروم . وهذا تحوُّل واضح في ميزان حضور هذه القوى هنا . ثمَّ في اصطخر يُهزم السفياني أمام الخراسانيين الذين يخوضون أعنف وأعظم معركة في دفاعهم عن أرضهم . ومع هذا التحوَّل يحاول السفياني السيطرة على منطقة الحجاز . خاصّةً أنَّه يصله خبر ظهور المهدي عليه السلام الظهور الخاص الذي يكون أوَّلاً في المدينة . فيبعث جيشاً إلى المدينة .

أمَّا التغيُّر الأكبر الإستراتيجي في هذه المنطقة فيطرأ بعد زحف الجيش السفياني نحو مكَّة لفتحها بعد فتح المدينة وإبادة أتباع آل محمَّد حيث يقع خسفٌ عظيم يطال جيشاً بأكمله ، فلا يبقى من جيش السفياني الحجازي إلا مبشِّر ومنذر . وعلى الأثر يخرج المهدي عليه السلام من الحجاز إلى العراق . – هذا ظاهر طائفة من النصوص – ثم يزحف نحو بلاد الشام . كما يزحف معه الجيش اليماني من جهة أخرى . ويزحف جيش الخراساني في ناحيةٍ ثالثة ، وتقع أعنف المعارك وأضراها ، خاصَّة تلك التي تقع عند بحريّة طبريّة . وبهذه المعركة يتمُّ القضاء الكامل على الجيش السفياني .

وبهذا تشهد بلاد الشرق أعظم فتح ، وانحساراً هائلاً في دور القوى الأخرى التي منها الروم . وتحاول الروم أن تسترد حضورها في الشرق ، فتأتي بجيشٍ جرَّار – بعض المتون فيها إشارة إلى ٣ ملايين جندي – وتبدأ من الشام حرباً عنيفة . تصف النصوص حربَ الروم مع المهدي عليه السلام بالملحمة . تنهزم الروم في هذه المعركة بعد قتلٍ هائل وثبات في المعسكرين . وتتَّفق النصوص أنَّ نهاية الروم تكون على يدِ المهدي عليه السلام وانّه الذي يقود مباشرةً الحرب عليها ويفتح بلادها . وفي الرواية : [يخرج

المهدي إلى بلاد الروم ، وجيشه مائة ألف فيدعو ملك الروم إلى الايمان فيأبى ، فيقتتلان شهرين فينصر الله تعالى المهدي . ويقتل من أصحابه خلقاً كثيراً .. ويقتل من الروم خلقاً كثيراً ويسلم على يديه خلقٌ كثير][1] . وفي لفظٍ آخر ورد : [المهدي عليه السلام يُبعَثُ بقتالِ الروم ، يحكم بين أهل التوراة بتوارتهم ، وبين اهل الإنجيل بإنجيلهم][2] .

نعم هناك طوائف من الروم يدخلون الإسلام ، يعلنون إيمانهم بالمهدي ، وبعضهم يعلن ذلك قبل انتصار المهدي عليه السلام على الروم . والبعض الآخر يدخل الإسلام بعد الملحمة . وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام : [تسلم الروم (أي قسم من المسيحيين) على يده عليه السلام ، فيبني لهم مسجداً ، ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه ثم ينصرف عليه السلام][3] .

ويبدو مِن بعض المتون أنَّ نزول المسيح عليه السلام يشكِّل عمقاً آخر في الإحتجاج على المسيحيين ، فتؤمن طوائف مختلفة من النصارى بالمسيح والمهدي عليهما السلام وتدخل الإسلام .

---

[1] (العلل المتناهية ٨٥٥/٢) .

[2] (الحاوي للفتاوى ٧٥/٢) .

[3] (البحار ٣٨٥/٥٢) .

دولة الترك :

مَن هم الترك ..؟ هل المقصود بهذا اللفظ المعنى التاريخي ..؟ أم معنى عصري له انطباقاتُهُ في عصر الظهور يكون أعم من التسمية التاريخيَّة .؟ كلا الأمرين مرجّح عند الشُرَّاح والمفسِّرين . نعم بعضهم يميل للقول بأنَّ المقصود بهذه الألفاظ الجنس غير المسلم تسلمياً للإنصراف في الإستعمالات الماضية للنصوص . وبشرح أوَّلي : الترك لفظ كان يُشار به إلى شعوب تحتل منطقة واسعة في جزء مهمٍّ من آسيا الوسطى وصولاً إلى أرمينية ونواحيها ، وتشتمل على أعراقٍ متنوِّعة مثل الطاجيك والأزبِك والأرمنيين والكازاخيين والقرغيزيين وغيرهم . هؤلاء كلّهم من الجنس التركي . ومع ذلك يبقى السؤال : هل اللفظ ناظر إلى هذه المناطق ومناطق أخرى ، أم ناظر إلى أصل العرق أينما كان ، مثل الترك الحاليين ..؟ كلا الأمرين مفتوح على المعنى . وإن كان الأرجحيَّة في مقام الإستعمال التاريخي تنصرف إلى العنصر غير المسلم .

المهم انَّ النصَّ يشيرُ إلى تاريخ مستقبلي حافل بالأحداث ، تكون فيه دولة الترك أو جبهة الترك أو اتّحاد الترك - كلّ هذا ممكن - على نحوٍ من قوّةٍ واضحة في الميزان الدولي . ونفوذ أكبر في الميزان الإقليمي ما وراء منطقة إيران . وهذا ما سنشير إليه مع استعراضنا لجملةٍ من الأحداث التي تقع في عصر الظهور .

يبدو واضحاً من لسان طائفة أنَّ الترك قوَّة لها ثقلها ، لكن لم استفد أنّها قوَّة متكافئة مع الروم . نعم يبدو من بعض النصوص أنَّها تكون ذات قوَّة لها قدرة على التدخّلات الخارجية خاصَّةً في منطقة الشرق الأوسط ، وبالأخص في منطقة العراق . وهناك تنافس الروم على مالٍ يُكتشف في مخزون أو جوف الأرض من ناحية العراق أو ناحية الفرات ، أو في نهر الفرات نفسه كما في النص .

لا نعرف تفاصيل عن القيمة الإنتشاريَّة للترك آنذاك . نعم الروايات أخبرتنا بأنَّ الترك يهاجمون إيران بعد دخول الإيرانيين إلى بيت المقدس . كما يزحفون إلى العراق للحصول على مالٍ جوفي كبير . وفي حوار للإمام الصادق عليه السلام مع جماعةٍ من أهل العراق يرويه سدير الصيرفي قال : كنتُ عند ابي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من اهل الكوفة ، فاقبل عليهم وقال لهم : [حجّوا قبل ان لا تحجُّوا ، قبل ان يمنعوا البرزانية (البرجانية)[1] ، حجُّوا قبل هدم مسجد بالعراق بين نخل وانهار ، حجُّوا قبل ان تقطع سدرة بالزوراء على عروق النخلة التي اجتنت منها مريم عليها السلام رطباً جنيَّاً ، فعند ذلك : تمنعون الحج وينقص الثمار وتجف البلاد وتبتلون بغلاء الاسعار وجور السلطان ، ويظهر فيكم الظلم والعدوان مع البلاء والوباء والجوع وتظلكم الفتن من جميع الآفاق ، فويل لكم يا اهل العراق إذ جاءتكم الرايات مِن خراسان ، فويل لأهل الري مِن الترك . وويل لأهل العراق من اهل الري . وويل لهم ثم ويل لهم من الشطّ[2] . قال سديد : فقلت يا مولاي ، مِن

---

[1] بيان قوله قبل ان يمنع البرجانية اي يكون البر مخوفا لا يمكن قطعه .

[2] قال الفيروز آبادي : الشط : الكوسج أو القليل شعر اللحية أو الحاجبين والمرد جمع الأمرد وهو الذي ليس على بدنه شعر . وفي حديث عن النبي : حجوا قبل أن لا تحجوا قالوا : كيف نحج قبل أن لا نحج ؟

الشط ! قال ﷺ : قوم اذانهم كآذان الغار صفراً ، لباسهم الحديد ، وكلامهم ككلام الشياطين ، صغار الحدق مرد ، جرد ، استعيذوا بالله مِن شرهم ، اولئك يفتح الله على ايديهم الدِّين ويكونون سببا لأمرنا][1] ..

يشير النص إلى قوى وإعلانات حرب ، وغزو ، وتنوُّع في وجهات هذه القوى وأسماءها . وبصورةٍ عامّة يركِّز على فوضى واسعة تعمُّ هذه المنطقة وتتعدَّد بها جبهات القتال . يكون بعضها في آسيا الوسطى وصولاً إلى غرب آسيا . في حين يبدو من صفات متن هذا النص بخصوصِ الشعب الأمرد وباقي الصفات كأنه يشير إلى شعوب مثل الصين أو اليابان وشبه ذلك . أي من ناحية شرق آسيا وتوابع تلك المنطقة بما هو أوسع من شرق آسيا . وهذا يعني أنَّ مساحة الحرب تكون على اتِّساع واضحٍ في طول آسيا من شرقِها إلى غربها .

أمَّا الترك فيكون لهم حضورهم البارز وتأثيرهم الواضح في الأحداث ، خاصَّةً بعد احتلال الخراساني لبيت المقدس .

الروايات تشيرُ إلى جملة من الحروب يشترك فيها الترك في عصر الظهور . منها اجتياحهم لقسمٍ مِن الأراضي الإيرانيَّة . يبدو من المتون أنّ

قال : أن تقعد العرب على بطون الاودية فيمنعون الناس السبيل . وفي رواية هرون عن ابن صدقة عن جعفر عن عن ابيه ﷺ ان رسول الله قال إذا ظهرت القلانس المتركة ظهر الربا .

بيان في بعض النسخ المشركة بالشين ولعله من الشرك اي القلانس التي فيه خطوط وطرايق كما تلبسه البكتاشية أو من الشرك بمعنى الحبالة اي قلانس اهل الشيد فعل الوجهين يناسب نسخة الرياء بالراء المهملة والياء المثناة التحتانية ويحتمل ان يكون من الشرك بالكسر بمعنى الكفر قانس الأجاعم واهل الشرك فيناسب نسخه الزنا بالزاء المعجمة والنون وفي بعض النسخ بالتاء المثناة الفوقانية وقيل انه منسوب الى طائفة الترك .

[1] أمالي الطوسي ٦٣ .

ذلك يتم بتحالف ما مع الروم ومجموعة من أنظمة عربيَّة أهمها السفياني والراية المغربيَّة للضغط على الإيرانيين الذين فتحوا بيت المقدس . أي فلسطين .

لكنَّ تحالف الروم والترك يبدو آنيَّاً حول قضيَّةٍ ما ، ففي العراق يخوضون معركة قاسية بوجهِ بعضهم البعض ، وكذا السفياني بمنطقة قرقيسيا حيث تنهار الأحلاف بسبب خلاف كبير على مالٍ جوفي ينكشف عنه الفرات . وعليه : تخوض دولة الترك حرباً ضد الدولة العباسيَّة التي تحكم العراق في عصر الظهور . ثم تقود حرباً أخرى في منطقة « قرقيسيا » بسبب تنافس شديد على مالٍ ينكشف عنه مخزون الأرض في العراق ، فيتقاتل عليه أهل المشرق والغرب ، وتشترك فيهِ أبرز ثلاث رايات كبيرة ، هي الروم والترك والسفياني ، بالإضافة إلى راياتٍ عدّة أقل حجماً وقوَّة ، يبدو انّها ذات مفهوم تبعي .

ما يعني انَّ معركة كنز العراق تكون بعد فتح الخراسانيين لبيت المقدس ، بل بعد خروجِهم منه .

وهذه تُشكِّل مرحلة افتراق بين السفياني والروم التي دعمته وأقامته في مركز الحكم الدمشقي بعد انقلابٍ ضخم قادته بصورة غير مباشرة لتغيير النظام السياسي هناك .

ويتمُّ اكتشاف هذا المنجم الجوفي في الفرات أو ناحية الفرات . وعلى أثره – لا نعرف زمناً تفصيليَّاً – تقع الحرب بين هذه القوى في مثلث الحدود السوريَّة التركية العراقية . ويكون ذلك على أثر أحداث متزاحمة ، شديدة التسارع في ظل فوضى عارمة تطال الشرق الأوسط ، بسبب أزمة

النظام العالمي الذي يكون قائماً على نحوٍ مخيفٍ من الإضطهاد والظلم والإستبداد خاصة من قبل الروم .

وبسبب الإستبداد اليهودي وأصل عدوانه الإحتلالي ، وما يتبعه من تدخُّل وزعزعة للمنطقة على أيديهم وايدي حلفاءهم خاصَّة الروم ، يخوض الخراسانيون حرباً عنيفة ضد الكيان اليهودي ينتهي بفتح بيت المقدس . وفي الرواية : [تخرج من خراسان رايات سود ، فلا يردها شيئ حتى تنصب بإيلياء][1] . (أي بيت المقدس) .

إشارة إلى الحدث التاريخي الكبير الذي يُؤكِّد طابع القوَّة الضخم لدولة خراسان رغم قوَّة الروم واليهود والقوى التابعة لهما في منطقة الشرق الأوسط كما يستفاد من بطن النصوص .

النصوص شديدة الصراحة في قوَّة دولة خراسان آنذاك . تقول الرواية : [لا يلقاهم أحدٌ إلا هزموه وغلبوا على ما في أيديهم حتى تقرب راياتهم بيت المقدس][2] .

وتتسارع وتيرة الأحداث ، خاصّةً في منطقة العراق ، وتصبح منطقة سوريا – العراق ومحيط هذهِ الدولة أكثر أهميّة لأسبابٍ تتعلَّق بمفهوم النفوذ والصراع بين القوى الكبرى حول المصالح وتوابعها .

وبالإجمال : يبدو الشرق الأوسط على حافَّة انفجار . وأسبابُ الخلافِ فيه شديدة التنوُّع . هناك حرب ضارية تقع لأسبابٍ تتعلَّق بمالٍ

---

[1] (صحيح الترمذي ٤/ ح : ٢٢٦٩)

[2] (ابراز الوهم المكنون /١٠١) .

جوفي هائل في العراق . وحروب تقع لأسبابٍ سياسيَّة يبدو واضحاً من بعض المتون عدم فصلها عن المفهوم العقيدي . كما هناك حروب تقع كردّة فعل على الصِّدام الأممي وموازين القوى ومنطق التقاسم وشبه ذلك .

وقد أشارت طائفة من النصوص إلى البيئة الدوليّة آنذاك بالعبارات التالية : [.. ويتخالف الترك والروم ، وتكثر الحروب في الارض .. تنزل الترك الحيرة ، وتنزل الروم فلسطين][1] .

تصوِّر لنا انفلاشاً هائلاً للقوى ، وفوضى عارمة ، وعدم ضبط للنتائج . هناك متون شديدة الوضوح في انفراط ميزان الضبط للقوى . ما يعني فوضى ذات عنف هائل . مع الإشارة إلى أنَّ تحرير القدس على يد الخراساني من العلامات الثابتة . ويأتي الإعلان بفتح بيت المقدس من ناحية دمشق . وفي الرواية : [يجيئكم صوت من ناحية دمشق بالفتح][2] .

مع لفت الإنتباه إلى أننا نستفيد من بعض المتون ولو بالضمن انَّ الإيرانيين أينما دخلوا - في طريق فتحهم للقدس - تركوا وراءهم نفوذاً وقواعد من شأنِها حفظ مقولة النظام وضمان المفهوم السياسي الجديد .

ثمَّ فتح بيت المقدس على يد الخراساني يخضُّ ميزان القوى بشدَّة في هذه المنطقة . لذلك تعرض علينا الروايات نماذج من تحرُّك الروم والترك وبعض القوى العربيّة لضرب الخراسانيين . فمن العرب تتحرَّك راية لها أهميَّة من المغرب العربي ، بالإضافة إلى راية السفياني بعد انقلابِهِ

---

[1] م . س .

[2] (الحاوي للفتاوى ٦٨/٢) .

على عرش المرواني . وبتطوُّر كبير تُعلن الترك - بالتواطئ مع الروم والقوى الأخرى - حربها على دولة خراسان ، فيما يكون قسم كبير من الجيش الخراساني في فلسطين . وعلى الأثر يحتل الترك جزءاً من أرض إيران . حيث يتمُّ اجتياح الجزء الشمالي من بلاد إيران ، وإنزال دمار واضح بالعاصمة طهران من أعالي الجبال الشرقيَّة الغربيَّة المحيطة بها ، أو من جهتها . ما يعني خوض معركة قاسية جداً لا تنتهي عند هذه الحدود لأنَّ الجيش الإيراني يقرِّر سحب جزء من قواتِهِ إلى إيران . ثمَّ يسحب كلَّ قواتِهِ بعد قتالِهِ مع السفياني وحلفاء اليهود في فلسطين .

وبذلك تتعقد الأمور في منطقة الشرق الأوسط ، وتبدو على نحوٍ متوسِّعٍ ، تؤكِّد طابع الأزمة المنفلشة ، والإضطراب الكبير الذي يقع في هذه البلاد جرّاء الإستبداد الذي يجسّده الطمع الرومي والتركي مع اتباعهما . وفي شهادة تاريخيّة تصف مستقبل الحوادث من هذه الجهة ، تقول الرواية : [خروج الشروسي من بلاد أرمينية إلى أذربيجان ، تسمَّى تبريز الري ، الجبل الأحمر المتلاحم بالجبل الأسود ، لزيق جبال الطالقان ، فتكون بين الشروسي وبين المروزي وقعة صلمانية ، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير][1] .

تأكيداً للحدث الضخم الذي يقع آنذاك . وتضيف الرواية : [ثم ينفتق عليهم فتقٌ من خلفهم ، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان][2] . إشارة إلى ضغط الأحداث ونتائج المخطَّط الذي تقوده الروم والترك في وجه الخراسانيين . على انّ ملاحم الشروسي هي من أقرب

---

[1] (مجمع النورين /٩٩) .

[2] (الحاوي للفتاوى ٦٧/٢) .

علامات الظهور . ويبدو أنَّ جملةً من الأحداث الحربيَّة ونماذجها تكون شديدة الإرتباط ببعضها البعض كسبب للإنفلاش الحربي وتعدُّد القوى والدخول بفوضى الحرب والمعارك .

وعن ترابط الأحداث وتعاقب الأزمات ، وانتشار فتن الحرب والخراب روى كعب قائلاً : [الجزيرة آمنةٌ مِن الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنة مِن الخراب حتى تخرب الجزيرة (أي العراق) ، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة ، ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة ، ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينة الكفر][1] .

بحيث تجوب فِتَنُ الحربِ منطقةَ الشرق الأوسط بالمعنى الواسع ، ثمَّ منه تتوسَّع إلى غيرها من بقاع العالم . وهي تؤكِّد طابع التدخل الهائل من قبل القوى الكبرى التي على رأسها الروم وتليها الترك والقوى الحليفة لها أو ذات الإرتباط النفعي الآني أو ما خصم موقعي وشبه ذلك .

نعم طابع هويَّة حرب الروم والترك ونموذج أكثر تماسكاً من المجتمع الدولي إبّان فتح بيت المقدس يكون متوجِّهَاً ضدَّ إيران التي يدخل الترك إلى قسمٍ من أراضيها .

تذكر الروايات انَّ الخراسانيين يخوضون معارك شرسة موصوفة في وجه الترك رغم انتشار جيشهم الواسع وصولاً إلى فلسطين . هذه المواجهات تؤكد الطابع العالي والإعتقاد الراسخ لدى الخراسانيين الذين

---

[1] الحاكم : ج ٤ صـ ٤٦٢ عن كعب ولم يرفعه .

يصمدون بشكلٍ مذهلٍ أمام كبرى قوى العالم . فيثبتون بشكلٍ مذهل في مواجهة الجيش الشروسي ، ويخوضون أشرس المعارك ضراوةً في تاريخهم ، وأكبر من ضغط القتال العنيف الذي يخوضونه على حدودهم مع دولة العراق ضد احتلال الجيوش العربيَّة لبلادهم في منطقة عبادان .

بحيث تؤكِّد هذه المتون على القوَّة الصلبة والإرادة غير العاديَّة لدى الخراسانيين للحفاظ على مشروع دولتِهم الداعي إلى تطبيق القيم الأخلاقيّة والمواثيق الوجوديَّة في عالمٍ تتعاواه الذئاب والقوى الكبرى .

وتظلُّ جبهة خراسان تعاني من ضغط المجتمع الدولي حتى وقوع حرب قرقيسيا التي تنهار فيها الأحلاف بين القوى البارزة آنذاك . حرب قرقيسيا تُشَكِّل مفصلاً لراحة خراسان بفكِّ التحالف الدولي ضدَّها . ثمَّ معركة اصطخر تشكِّل بداية النهوض الأعظم للخراسانيين لفتح الجبهات . أمَّا قبل ذلك فإنَّ خراسان تعاني بشكلٍ واضحٍ من تواطؤ قوى كبرى عليها بأشكالٍ مختلفة .

ففي إشارة إلى جهود حرب الدفاع الخراسانيّة التي تشكِّل أعمق وصف لقدرات خراسان التضحويَّة في نواحي قزوين وعبادان التي تشكِّل ثغوراً في وجه الأعداء تقول الروايات :

- [بابان مفتوحان في الدنيا للجنّة : عبادان وقزوين][1] .

- [سيكون رباطٌ بقزوين ، يشفع أحدهم من مثل ربيعة ومضر][2] .

---

[1] (كنز العمال ١٢/ حديث ٣٥١١٤)

[2] (كنز العمال ١٢ / حديث ٣٥١٠٠) .

- [إني لأعرف أقواماً يكونون في آخر الزمان ، قد اختلط الإيمان بلحومهم وبدمائهم ، يقاتلون في آخر قزوين ، تشتاق إليهم الجنّة وتحنُّ ، كما تحنُّ الناقةُ على ولدها][1] .

تأكيداً على الأحداث المستجدة التي تظهر في تلك المواقع وتشكِّل حدثاً ضخماً في طبيعة المسار الحربي والمجهود العسكري وما يليه من أحداث ذات أثر كبير على مستوى منطقة الشرق الأوسط الواسعة . مع الإلتفات إلى انَّ ملاحم الشروسي تتّخذ طابع الإنفلاش الدموي ، في ظل تداعيات عالميَّة خطيرة ، ووصف حربي عالمي ، وانزلاق القوى في حرب ذات عنفٍ شرس ، وسعة واضحة في عناصر الحرب وقادة الرايات وجبهات الغزو .

بتعبير آخر : تتوسع دائرة الحروب ، وتعلن أمم كثيرة انخراطها في الحرب ، وفيها تشكِّل منطقة الشرق الأوسط ميداناً بارزاً لجزءٍ ضخمٍ من هذه الحروب . على انَّ ملاحم الشروسي تأخذ أكثر من اتّجاه ، وهي من أقرب علامات الظهور . ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [ويلٌ لأهل الري من الترك .. استعيذوا بالله من شرِّهم .. أولئك يفتح الله على أيديهم الدِّين ويكونون سبباً لأمرنا][2] .

أي حرب الترك تكون من علامات الظهور . النص ليس بوارد مدح الترك ، بل يشيرُ إلى ما بعده ، أي الظهور الشريف . المتون الكثيرة واضحة في ذم الترك . وعليه : متن النص هنا يشيرُ إلى ما بعد مارقة

---

[1] (كنز العمال ١٢ / حديث ٣٥٠٩٢)

[2] [بشارة الإسلام ١٧٣ عن أمالي الصدوق] .

الترك . فقد ورد في الرواية : [ومارقةٌ تمرق من ناحية الترك ويعقبها فرج][1] . إشارة إلى ظهور المهدي عليه السلام الذي يُصبح قريباً . ويكون ظهور المهدي عليه السلام على أثر أحداث جليلة وملاحم ضخمة وظلم يطال البشر بشكلٍ لا سابق له ، وفساد هائل ، واضطراب وجوع ووجع وعدوان يقع في هذه البلاد وغيرها . ومَع زحف الترك ، ودخولهم أخيراً حرب العراق ، والصِّدَام العنيف الذي يقع في قرقيسيا ، وتلاحم رايات الروم والترك ثم السفياني وقوى أخرى في منطقة قرقيسيا تبدأ ملامح الظهور بالتجلّي . إلى أن يتمَّ الإعلان السماوي عن ظهور قائم آل محمد المهدي عليه السلام .

وفي رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام : [لا بدّ من أذربيجان ، لا يقوم لها شيئ .. فإذا تحرَّك متحرِّكُنا ، فاسعوا إليه ولو حبوا ، والله لكأنّي أنظر إليه بين الركن ..][2] .

كلُّ مُطَّلِع يجد في الروايات تركيزاً شديداً على الحرب والفوضى والدمار والقتل ونواحي الحرب الواسعة وكثرة الجيوش واختلاط الإقليمي بالأممي . نعم لا يوجد تفاصيل كاملة بين أيدينا .

ويطرأ في عالم الأحداث أن تتكاتف قوى ومجهود الروم لقلب النظام في دمشق . ويتم لها ذلك ، بحيث ترفع السفياني إلى الحكم الذي يُقاتل - مع حلفاءه - قوات الخراسانيين في فلسطين ويخرجهم منها انتصاراً للروم واليهود . كما يسيطر على الكور الخمس إلا بلاد أبدال الشام الذين يكونون في لبنان بصريح النصوص .

---

[1] (الغيبة للنعماني / ٢٧٩) .

[2] [الغيبة للنعماني / ١٩٤] .

ومع هذا التنامي الضخم في قوَّتِه يدخل السفياني حرب المال أو الثروة الجوفيَّه في وجه حلفاءه : الروم الذين كانوا السبب في إيصاله إلى الحكم في دمشق وكذا في وجه الترك . ويكون دخوله تلك الحرب بعد خوضه حرباً ناجحة في مصر ، وحرباً ناجحة في فلسطين ، فضلاً عن سيطرتِه على الكور الخمس . وهذا بذلك يكون وكيلاً عميلاً للروم بشكلٍ صريح .

النصوص صريحة في أنَّ الروم هي التي تصنع وتقود مخطّط انقلاب وزعزعة نظام دمشق في سوريا من أجل تهيئة ظروف تثبيت السفياني بقوة السلاح .

وفي الرواية : [يقبل السفياني من بلاد الروم متنصِّراً ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم][1] . تأكيداً على تبعيَّتِه الكبيرة للروم ، وانقلابِه على قيم الإسلام ، بحيث يتنصَّر ، أي يكون داعية للنصرانيّة السياسيَّة ، بل للأوسع منها بما يشمل عالم القيم والإعتقاد ، ولكن ضمن ظروف وأنماط متنوِّعة . أهمها أنّه يحقِّق للروم أهم مطلب حيث يشنُّ حربه الأعنف على الخراسانيين ويدخل مصر للقضاء على راية الثائر الإمامي المصري . بعد فشل الروم في تحقيق ذلك .

ويبدو للروم حضورٌ واضح وصريح في منطقة الشرق الأوسط . بل خوض حروب ، وتدخَّل ضمن ظروف مختلفة للحفاظ على مصالحها وثكناتِها وأتباعِها الذين يتقاطعون منافعها الإستراتيجيّة . هذه الروم تتعاون مع الترك لمواجهة إيران في تلك اللحظات التاريخيَّة . الروايات التي

---

[1] (البحار ٥٢ / ٢١٦) .

تحدَّثت عن فتح فلسطين على يد الخراسانيين أشارت إلى الإجتياح التركي لجزءٍ من إيران . في حين تنزل الروم فلسطين بمحاولة لمنع الخراسانيين من اجتياح فلسطين . لكنهم يفشلون في ذلك . ثمَّ تقع الأحداث المتتالية التي تضغط على الخراسانيين . منها حدوث انقلاب دموي ساحق لقلب النظام في دمشق . فبدعم الروم يحقِّق السفياني نصراً عسكريّاً كبيراً على الرايات ويستلم السلطة في دمشق .

وفي الرواية : [.. ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح (فتح بيت المقدس) .. ومارقة تمرق من ناحية الترك (اجتياحها لقسم من الأراضي الإيرانيَّة) ويعقبها فرج (يشير إلى ظهور المهدي عليه السلام فيما بعد) .. وستُقبل مارقةُ الروم حتى ينزلوا الرملة (في فلسطين) .. فأوَّل أرضٍ تخرب أرضُ الشام ، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات ، راية الأصهب ، ورايـة الأبقع ، ورايـة السفياني ، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون ، فيقتله السفياني ومن تبعه . ويقتل الأصهب ، ثم لا يكون له همَّة إلا الإقبال نحو العراق ..][1] .

إذن هناك أحداث شديدة الترابط ، منها قسم رئيسي يضغط باتِّجاه الإيرانيين . أوَّل أمر يقوم به السفياني أنّه يسحق الثورة الإماميَّة في مصر . ثمَّ يخوض مع حلفاءه حرباً ضارية في وجه الخراسانيين بفلسطين . فإذا انتهى من حرب الثبات والتوسُّع وجَّهَ وجهَهُ نحو مال قرقيسيا . ثمَّ بعد معركة قرقيسيا ، على أثر موت الطاغية العراقي عبد الله ينهار تماسك دولة العباسيين . عندها يشنُّ السفياني غزواً واسعاً على العراق ، يريد منه

---

[1] (الغيبة للنعماني ١٩٤) .

السيطرة على العرش والموارد وقتل الشيعة . النصوص صريحة في بيان جملة هذه العناوين . فتزحف قوّات الخراساني إلى العراق من الجهة الأخرى ، وتقع بين الخراساني والسفياني معارك حادّة تكون فيه الأرجحيَّة أوّلاً للسفياني الذي يتبع الخراسانيين إلى الأراضي الإيرانيَّة ، ناك تقع أعنف معركة على الإطلاق يُمزِّقُ الخراسانيُّ فيها جيش السفياني تمزيقاً . ثم تبدأ مرحلة الزحف الخراساني وفتوحاتِهِ .

وأثناء ذلك تتناقل الألسن ظهورَ المهدي عليه السلام - وهو الظهور الخاص له في المدينة المنوَّرة - فيبعث السفياني جيشه إلى المدينة ليقضي على المهدي عليه السلام وأتباعِهِ بعمليَّة يريد عبرها تعويض هزيمته أمام أهل خراسان في منطقة اصطخر من جهة ، وقتل المهدي عليه السلام من جهةٍ أخرى . فيخرج المهدي عليه السلام من المدينة إلى مكَّة . وهناك تقع مذبحة بأتباع آل محمَّد والهاشميين على يد الجيش السفياني .

أما بخصوص الترك ؟ فظاهر الروايات يؤكِّد دخولهم قسم من الأراضي الإيرانيّة ، بحيث يحتلُّون المناطق الشمالية منها بتحالف ودعم جبهة الروم وحلفاءها . وذلك بعد فتح بيت المقدس على يد الجيش الخراساني . لكنَّ هذا التحالف الدولي يتهاوى على أثر اكتشاف مال قرقيسيا . ففي هذا الوقت مِن اشتعال المعارك في قسم من الأراضي الخراسانية يحدث أمرٌ كبير ، وهو اكتشاف منطقة مال جوفي شديدة الأهميَّة ينكشف عنها الفرات أو ناحيته ، فتتداعى إليها الأمم ، منها الروم والترك بالإضافة إلى جيوش متنوِّعة يبدو انّها عربيَّة ، منها بطبيعة الحال جيش السفياني وقبله جيش المرواني والعباسي . وعلى أثر الإصطدام الهائل في قرقيسيا بين هذه القوى ينهار الحلف الدولي أو مبادئ الإتفاق

حول القضايا ، التي منها خراسان . وقرقيسيا حسب كُتُب معاجم البلدان منطقة سوريَّة تقع على مشارف نهر الفرات بالقرب من الحدود العراقيَّة التركيَّة[1] .

آنذاك تزحف القوى الكبرى للسيطرة على هذا المنجم الهام جداً ، وتتمركز في القسم الشمال من العراق على مشارف منطقة قرقيسيا أو تتّخذ أي شكل من أشكال التمركز . ويبدو من النصوص أنَّ قسماً من جيش الترك يزحف نحو العراق من الأراضي الإيرانيَّة . وهذا يعني أنَّ حدث اكتشاف ثروة الفرات يكون على أثر دخول الجيش التركي إلى المناطق الشمالية الإيرانيَّة . ويمكن أن يكون قبلها لكنَّه من ضمن مخطّط الترك .. ومع معركة قرقيسيا التي يكثر فيها الموت إلى حدٍّ مُدهش تتعدَّل الموازين بشكلٍ رهيب وتنهار الأحلاف .

الرايات الثلاث تتقاتل بعضُها ضد بعض . وتبرز المفاجأة بانتصار السفياني على الروم والترك . وبين ايدينا مجموعة من النصوص تشيرُ إلى هذه الملحمة الضخمة ، وما يطرأ من أحداث . ففي الرواية : [.. ويخرج الشروسي مِن إرمنية وآذربيجان ، يريد وراء الري ، الجبل الاسود المتلاحم بالجبل الاحمر لزيق جبل طالقان ، فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية يشيبُ فيها الصغير ويهرم منها الكبير ، ويظهر القتل بينهما . فعندها توقَّعُوا خروجه إلى الزوراء (وهي بغداد) ، فلا يلبث بها حتى يوافي باهات . ثم يوافي واسط العراق ، فيقيم بها سنة أو دونها ، ثم يخرج إلى كوفان فيكون بينهم وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري ،

---

[1] (معجم٤ البلدان /٣٢٨) .

وقعة شديدة تذهل منها العقول ، فعندها يكون بوار الفئتين ، وعلى الله حصاد الباقين . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾][1] .

وفي نصٍّ آخر يقرِّر هذه الشهادة التاريخيَّة الضخمة لزمن الأحداث المستقبليَّة الواسعة ذات الأثر المتعاقب على المسرح الدولي ، وما يصيب منطقة الثقل الحربي ومجهود القوى آنذاك بقوله : [.. وخروج الشروسي من بلاد أرمينية إلى أذربيجان ، تسمَّى تبريز الري .. فتوقّعوا خروجه إلى الزوراء ، وهي بغداد ، وهي أرض مشؤومة ، وهي أرضٌ ملعونة ، ويبعث جيشه على الزوراء مائة وثلاثين ألفاً ، يقتل على جسرها على مدة ثلاثة أيام سبعون ألف نفس ، ويفتض اثني عشر ألف بكر ، وترى ماء دجلة محمرّاً من الدم ومن نتن الأجساد][2] .

إشارة إلى منطقة الحرب الواسعة وتوزُّع القوى ، فيما يشيرُ إلى اختلاطٍ عنيف لمفهوم الوئام الدولي بين فريقٍ يبدو من بطن النصوص أنَّه كان متحالفاً حول بعض ملفّات تهمُّ مصلحة هذا التحالف في مناطق متنوِّعة من العالم أخصّها ملف الشرق الأوسط وموضوع العداء للجيش الخراساني الذي يبدو أنّه يكون على نحوٍ من قوَّة وعصمةٍ ومنعة غير عاديَّة نهائيَّاً .

وفي نصٍ يشيرُ إلى منطقة الحرب في أرض خراسان وبغداد وما يتبع ذلك من اختلاط المعايير والأحلاف روى سدير عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : [ويلٌ لأهل الريِّ من الترك ، وويلٌ لأهل العراق من أهل

---

[1] [مجمع النورين٢٩٧] .

[2] [مجمع النورين٢٩٧] .

الري ، ثم ويلٌ لهم من الشط . قال سدير فقلت يا مولاي من الشط ؟ قال عليه السلام : قوم آذانُهم كآذان الفأر صغر ، لباسهم الحديد ، كلامهم ككلام الشياطين ، صغار الحدق ، مرد جرد ، استعيذوا بالله من شرِّهم ، أولئك يفتح الله على أيديهم الدِّين ويكونون سبباً لأمرنا][1] .

النص يشيرُ إلى ثلاث وقعات ضخمة : معركة الترك مع الخراسانيين . ومعركة أهل الري بعد ذلك في العراق ، إشارة إلى الحرب التي تقع بين الخراسانيين ودولة بني العباس المتجدِّدة زمن الظهور . ثم ويلٌ لأهل العراق من معركة الترك ، زمن الشروسي ، وهي من معارك الظهور . يبقى انَّ نقاشاً أُثير حول تعبير النصِّ حيث ورد : « ويلٌ لهم من الشط » ، الشط يعني : كوسج . إلا أن يُراد به معنىً آخر اصطلاحي أو مجازي . وعليه : وفق المعنى الأوَّل : يهاجمون من جيش لهم صفات خاصَّة ، مرد ، كوسج ، يملكون أدوات حرب واتصال متقدِّمة ، اختلف الشرَّاح في تحديد وصف هؤلاء . قسم قال هذا نص تابع للهجوم التركي ، وقسم قال : ربَّما تشير هذه الصفات الجسديَّة إلى شعب الصين أو اليابان أو هذه الفرق والشعوب الخاصَّة بهذا الوصف الواضح في متن الرواية . نعم من الثابت أن الترك يخوضون معركة في العراق . ويبدو انَّ النص يشيرُ إليها . يبقى أن تعبير الشط ربَّما يُقصد بهِ عنوان آخر ، غير المعنى الحقيقي ، أي استعارة مأخوذة على نحوٍ وظيفي . خاصّةً إذا تابعنا ألفاظ النص إلى الآخر .. وفي متن يؤكِّد طابع الفتن الزاحفة والخراب الداهم والفوضى العارمة والتوحُّش الكبير من قبل قوى العالم البارزة على هذه المنطقة يشير في ذيله إلى أنّه على أثر أحداث الترك في العراق توقّعوا

---

[1] (بشارة الإسلام ١٧٣ عن أمالي الصدوق) .

ظهور قائم آل محمّد (عليه السلام) . ما يعني أنَّ بوادر الظهور قد لاحَت . بل يستفاد من بعض المتون أنَّ اليماني يساعد الخراسانيين في معركة اصطخر رغم صراحة نصوص أخرى بخوض الخراسانيين هذه الحرب منفردة . وفي البعض الآخر انَّ المهدي (عليه السلام) ينزل منطقة جنوب إيران قبل وصوله إلى العراق . ويكون ذلك عبر قباب من نور . سبع قباب من نور لا يُدرى المهديُّ في أيٍّ منها . فيأتيه الإيرانيُّون يبايعونه . ثم ينتقل إلى العراق .

نصوص الظهور تشيرُ إلى أحداث جسام تقع في المنطقة قبل الظهور ، منها ما ورد في الرواية عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال : [إذا علا نجفكم السيلُ والمطر ، وظهرت النَّارُ في الحجاز والمُدُن ، وملَكَت بغدادَ الترك ، فتوقّعوا ظهورَ القائمِ المنتظر (عليه السلام)][1] . وتكاد تتَّفق الروايات على انَّ معارك الترك في إيران ومجازرهم في العراق تعدُّ من أبرز علامات الظهور القريبة . وفي أعقابها يخرج السفياني الذي يسيطر على الحكم في دمشق . كما تظهر بوادر انهيار الحكم في بلاد الحجاز وانقسام واضح هناك . وعلى الأثر يخوض السفياني في وجه الروم والترك معركة عنيفة في منطقة قرقيسيا تصفها الروايات بالملحمة وتعتبرها من أهم علامات الظهور القريبة .

واللافت في النصوص الواردة عن لسان أهل البيت (عليهم السلام) انّها تنهى أهل خراسان عن التورُّط في حرب قرقيسيا . لأنّها حرب باطل وآثام . وعلى أثر هذه المعركة يختلُّ ميزان القوى ، وتكون في صالح أهل خراسان

---

[1] [بشارة الإسلام ١٠٢ عن مجمع النورين] .

الذين يرون القوى الكبرى تتذابَح على هذه الثروة دون طائل . خاصّةً أن الأحلاف السابقة تنهار بسبب مصالح كل فريق وإصرارِهِ على احتكار هذا المال الجوفي . وفي الإصحاح التاسع من سفر الرؤيا ما يؤيد ذلك حيث جاء : [ويصدر الأمر للملائكة الكبار عند نهر الفرات العظيم لكي يقتلوا ثلثي الناس] . إشارة إلى الموت الهائل الذي يصيب الناس هناك .

ويُستفاد من ظاهر بعض النصوص أنَّ أوَّل المعارك يتورَّط بها بعضُ حُكَّام العرب . ففي الرواية : [يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلُّهم ابن خليفة] . إشارة إلى حُكَّام لهم نسب في قريش ، أو هم في حكم الإنتساب إليها . أو اللفظ في وارد تنزيلهم هذه المنزلة لصفةٍ ما في العرش أو المُلك . أو هم عرب أقحاح في الصفة الظاهرة .

ثم يتطوَّر الأمر إلى حرب أعنف ، يبدو - ولو تلميحاً - مِن بطن النصوص أنَّ الرايات العربيَّة المتصارعة تكون ذات تبعيَّة لفرقاء مختلفين ، ما يعني نزول جيوش القوى الكبرى مثل الروم والترك لتدارك ميزان الحرب والمنافع ، فتتلاحم الأمم هناك في أضخم معركة وأعظمها قتلاً وإبادة . النصوص تؤكِّد خسارة بعض العرب أعداداً كثيرة في تلك المعركة . منها ما رواه ميسرة عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله : [.. ويهلك فيها من قيس ولا يدعى لها داعية][1] .

وهذا بالإجمال يُؤكِّد « أزمة الإنهيار » التي تصيب « العرب » ، ويقرُّ بالأزمة المحيطة بهم من الوصف التبعي الضارب عليهم .

---

[1] (روضة الكافي ٨/٢٩٥ / الغيبة للنعماني / ٢٧٨) .

حتى السفياني ما هو إلا عميل للروم ينقلب عليهم لأسباب مصلحيَّة ، ثمَّ تظلُّ مصالِحُهُ تتقاطع مصالحهم .

العرب الذين يتورَّطون في تلك المعركة يخرجون بخسارةٍ فادحة إلا السفياني رغم خسائرهِ فإنّه ينتصر على الروم كما ينتصر على التُرك . ثم النصوص واضحة في أنّه لا يحوز ذلك المال الجوفي .! تشير طائفة من النصوص إلى بعض أسماء القوى العربيَّة - القرشيَّة - التي تشارك في تلك المعركة الشرسة مثل الدولة العباسيَّة في العراق ، والدولة المروانيَّة في سوريا قبل انقلاب السفياني ونجاحه في الوصول إلى حكم دمشق وإزاحة المروانيين عبر وسائل القتال والإنقلاب الدموي . بل من مجموع النصوص نستفيد أنَّ انقلاب السفياني ونجاحه يكون إبان معركة قرقيسيا التي يشارك فيها وينقلب على حلفاءه الروم . وعليه : السفياني يحلُّ محلَّ المرواني في متابعة تلك المعركة . ففي رواية ابن أبي يعفور عن الإمام الباقر عليه السلام قال : [إنّ لولد العباس والمرواني لوقعةً في قرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور][1] . ومع انقلاب السفياني على المرواني تنتقل قيادة الجيش وسلطة الحكم له .

نعم لا تتورَّط العربُ كلُّها في هذه المعركة . مثلاً أهل اليمن يبقون بمنأى عن هذه المعركة . كما انَّ أهل خراسان لا يتورَّطُون فيها أيضاً . ويظهر من رواية جابر أنَّ السفياني هو الطرف الأقوى في هذه المعركة ، ففيها يقول : [.. ويمرُّ جيشه (أي السفياني) بقرقيسيا ، فيقتتلون بها فيقتل بها من الجبارين مائة ألف][2] .

---

[1] (الغيبة للنعماني ٣٠٣) .

[2] (البحار ٢٣٧/٥٢) .

إلا انَّ هذا الإنتصار العسكري للسفياني يختلُّ بشكلٍ ضخم لصالح الخراسانيين الذين لم يتورِّطوا في تلك المعركة[1] . ففي رواية ثوبان عن النبي ﷺ قال : [يقتتل عند كنزكم ثلاثة ، كلّهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحدٍ منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم][2] .

ويبدو من ظاهر المتون انَّ حُكَّام العرب الذين كلٌّ منهم يدَّعي حقّانيَّتَهُ في الحكم والإستخلاف يكونون على الشكل التالي : العباسي في العراق . والمرواني في سوريا . ثمّ السفياني الذي ينقلب على المرواني . وكلٌّ يدَّعي حقَّه في الحكم والسيطرة والنفوذ والسيطرة على المال .

وعلى أثر هذا الإقتتال تتورَّط القوى الكبرى في هذه المعركة . فتشير النصوص إلى تورُّط الروم والترك بالإضافة إلى السفياني الذي يشكِّل محور قوّة ضخمة في منطقة الشرق الأوسط من آسيا . وعلى أثر معركة خراسانية ضخمة مع قوّات السفياني في منطقة اصطخر الخراسانيّة - تنتهي بانتصارٍ هائلٍ للخراسانيين - تبدأ التباشير الكبيرة بظهور المهدي عليه السلام .

كما تبدأ مرحلة الفتوحات لأهل خراسان الذين يخوضون معركة شرسة لفتح العراق ويكون لهم ذلك . ويشارك مِن الناحية الأخرى جيش اليماني ، على انَّ ناحية دخول خراسان يكون عليها الحشد الضخم من

---

[1] بالجمع مع رواية ابن أبي يعفور : إنّ لولد العباس والمرواني لوقعة في قرقيسيا يشيب فيها الغلام الحزور » . والثالث يكون السفياني . ومع ذلك لا يصلون إلى الكنز ، حيث يخرج الجيش الخراساني فيحصدهم جميعاً .

[2] (سنن إبن ماجة ٢/ حديث ٤٠٨٤) .

الجيش ما يؤدِّي إلى نشوب أعنف معركة هناك تنتهي بدخول الخراسانيين إلى العراق . كما تقع معركة ضارية أيضاً بين الخراسانيين والسفيانيين في دمشق نفسها . وهناك طائفة من الروايات تذكر تحالف اليماني مع الخراساني في معركة دمشق ضد السفياني بعد أن يقضي على خصومه في معركة قرقيسيا .

وهناك مَن ناقش في أنَّ الترك والروم هل يكون لهما دور باشر أم غير مباشر في معركة قرقيسيا .. والصحيح أن لهما دوراً عسكرياً واضحاً ومباشراً من خلال قسم من الروايات التي تشير إلى اختلافهما في عصر الظهور ، وبطن بعض النصوص التي تؤكِّد وقوفهما طرفاً في تلك المعركة ، خاصَّةً أنَّ الروم والترك تكونان قوّتين حاضرتين بقوّة في هذه المنطقة الأوسطيَّة الملتهبة . وفي الرواية : [.. غلبة الترك على خراسان ، والروم على الشام ..][1] . تشيرُ إلى الحضور المباشر في هذه المنطقة وما يتبعها ، ما يعني دقّة ملاحظة النصوص ..

وبذلك تقود هاتان القوَّتان مجموع معارك وفتن وخراب ودمار يطال الكثير من القلب والآفاق في هذا المنطقة . ويتوسَّع ليشمل مناطق كبيرة من الأرض . تقول الرواية : [.. نزول الترك الجزيرة ، ونزول الروم الرملة ، واختلاف كثير عند ذلك في كلِّ الأرض][2] . وفي لفظ آخر يشير إلى نشوب الحرب وتوزعها وانفلاش آلتها وآثارها تقول الرواية : [إذا خالف الترك الروم ، وكثر الحرب في الأرض][3] .

---

[1] (الإرشاد ٣٤٨/٢) .

[2] (الإرشاد ٣٤٨/٢) .

[3] (الغيبة للطوسي ٢٦٨) .

وفي تعبير أوسع عن تورُّط هاتين القوَّتين الجبَّارتين في شؤون قوى وكيانات وثروات هذه المنطقة الأوسطيّة ونواحيها الواسعة تقول الرواية : [إذا ظهر الترك بالجزيرة وأذربيجان ، والروم بالعمق من أطرافها ..][1] .

وتؤكِّد النصوصُ ظاهرةَ القتل الصعبة ، والفتنة الرهيبة التي تطال بلاد الشام ، عبر آلة حرب الروم وأتباعها وحلفاءها التي تصرُّ على نماذج القتل والترهيب والإحتلال والغزو في هذه المنطقة من العالم . فقد ورد في الرواية : [إذا رأيت الفتنة في بلاد الشام فالموتَ الموت ، حتى يتحرَّك بنو الأصفر ، فيسيرون إلى بلاد العرب فتكون بينهم الوقائع][2] .

وفي طائفة أخرى إشارة إلى القوَّة الأخرى - الترك - التي تصرُّ أيضاً على التدخُّل العسكري وزعزعة القوى ، واحتلال الكيانات وإشعال الحروب في الدول والمدن ، كثنائي مُتدخِّل بالإضافة إلى الروم ، زيادة على أتباعهما مِن قوى وكيانات هذه المناطق ، فتقول الرواية : [.. ستُقبل إخوانُ الترك حتى ينزلوا الجزيرة ، وستُقبل مارقةُ الروم حتى ينزلوا الرملة . فتلك السنة .. فيها اختلافٌ كثيرٌ في كلِّ الأرض][3] .

وعليه : النصوص صريحة جداً في دخول الروم كقوّة حربيَّة إلى بلاد الشام ودخول الترك بوسائل الحرب أيضاً منطقة الجزيرة وهو موقع قرقيسيا . وما إلى ذلك .

---

[1] (الفتن لإبن حماد ١٢٩) .

[2] (الملاحم والفتن لإبن طاووس ١٠٧) .

[3] (الغيبة للنعماني ٢٧٩ / الغيبة للطوسي ١٠٧) .

ولسان النصوص يوسِّع من دائرة هذه القوى الحربيّة ليصف مسيرها العسكري إلى بلاد العرب . ما يعني اتّساع نطاق الحرب ، وهذا يلاءم ما ورد في ذيل الكثير من النصوص مِن كثرة الحرب في الأرض حينئذ .. كما هناك طائفة صريحة تفيد أنَّ السفياني يصطدم مع قوات الروم والترك فينتصر عليهما . ما يعني اشتراك الروم والترك في معركة قرقسيا كطرفٍ مباشر بالإضافة إلى أتباعهما . ويكون السفياني آنذاك حاكم دمشق بعد أن ينجح في انقلابه على المرواني . وفي الرواية : [إذا ظهر السفياني على الأبقع والمنصور اليماني خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفياني][1] .

النص صريح جدّاً في انتصار السفياني عسكريّاً على الترك والروم . وكذا في لسان أكثر من رواية وضوحٌ شديدٌ في وقوع الحرب بين السفياني والترك والروم كقِوَى مستقلَّة متواجهة متنافرة تجسّدها حرب ينفصل فيها التحالف أو التعاون الدولي بين هذه القوى ، فتتطاحن على تلك الثروة التي ينكشف عنها الفرات أو نواحيه .

مع انَّ الروم والترك تساندان السفياني في محاربة الخراسانيين لإخراجهم من بيت المقدس ، إلا انّهم يرون مصالحهم أهم منه في خصوص المال الذي يكتشف عند الفرات . بل الروم هي التي تأتي بالسفياني وتدعمه وتمدّه بالقوَّة حتى تنصِّبَهُ على عرش دمشق . لكن لغة المصالح وتفوُّق السفياني إقليميّاً بعد سيطرته على الكور الخمس تشكِّل فرصة للإنقضاض على الروم بهدف السيطرة على الثروة الضخمة التي

---

[1] (كنزل العمال ٦٨/٦) .

ينكشف عنها الفرات أو ناحيته . ويرى البعض - باستفادة ضمنيَّة من لحن بعض النصوص - أنَّ ظهور المهدي (عليه السلام) يكون والترك ما زالوا محتلِّين القسم الأكبر من شمال إيران ، أو جزء منه . كما يكون الترك محتلِّين بغداد وشمال العراق . تقول الرواية : [وملكت بغداد الترك ، فتوقّعوا ظهور القائم المنتظر (عليه السلام)][1] . على أنَّ هذا استنتاج غير نهائي . لأنَّ النصوص تؤكِّد هزيمة عنيفة للجيش السفياني على يدِ الخراسانيين في منطقة اصطخر الخراسانيَّة [الإيرانيَّة] ، إلا أن يُقال أنَّ هذه المعركة تقع قبل انتصار السفياني على الترك في وقعة قرقيسيا . في حين نستفيد أنَّ معركة قرقيسيا تكون قبل معركة اصطخر .

نعم يبدو مِن طائفة أنَّ شياع خبر الظهور يتمُّ أثناء أو بعد معركة اصطخر بين الخراسانيين والسفيانيين . وكما تعلم في هذه المعركة ينتصر أهل خراسان انتصاراً هائلاً يُدهشُ السفياني . وعلى الأثر يبعث بجيشٍ إلى الحجاز حين يعلم بظهور المهدي (عليه السلام) . النص صريح في أنَّ هدف جيش السفياني في بعث هذا الجيش إلى الحجاز هو قتل المهدي (عليه السلام) . وعليه : يخرج المهدي من المدينة متستِّراً حتى يدخل مكَّة . ما يعني بالإجمال الممكن أنَّ الترك يكونون على الأقل مهزومين أو منسحبين من الجزء الإيراني . كما يكون السفياني صاحب نفوذ كبير في العراق . وما ورد في الرواية بقوله : « وملكت بغداد الترك » ، أي هذا علامة على قرب الظهور ، فلا يمنع من سيطرة أو نفوذ السفياني بشكلٍ تعاقبي ثم وقوع معاركه مع أهل خراسان ، ثمَّ حصول معركة اصطخر المفصليَّة . إلا أن يُقال أنَّ الترك يكون لهم وجود ما زال نافذاً في قسمٍ من العراق فيبعث إليهم المهديُّ بعثاً

---

[1] (مجمع التنورين / ٣٠٥) .

ليهزمهم . حيث يُستفاد من بعض الروايات أنَّ أوَّل لواء يعقده المهدي عليه السلام يبعثه نحو الترك لقتالهم . ما يعني أنَّهم يُشكِّلون جبهةً محتلَّة في منطقةٍ ما لشيعتِه وأتباعه كما يُستفاد من لحن بعض النصوص . ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : [أوَّل لواء يعقدهُ المهدي عليه السلام يبعثه إلى الترك فيهزمهم ، ويأخذ ما معهم من السبي والأموال . ثم يسير إلى الشام فيفتحها][1] .

وفي الحقيقة لا نملك تفاصيل نهائيَّة حول دقّة الزمان والمكان وطبيعة الأحداث . نعم نملك نتائج ونصوص مختصرة . ما يعطينا إجابات مجملة .

وتؤكد الروايات هزيمةً عنيفةً للترك ، وقضاءاً تامَّاً عليهم من قبل المهدي عليه السلام فيما بعد . وفي الحديث النبوي : [لا تقوم الساعة حتى يملك رجلٌ مِن أهل بيتي ، يفتح القسطنطينيّة وجبل الديلم][2] . وبذلك ينتصر المهدي عليه السلام على الترك . وفي تفاصيل مرويَّة انَّ بعثاً مشتركاً بين دولة المهدي عليه السلام والروم - اثناء الهدنة بينهما بل في أواخرها - يقضي على الترك .

ومع الحجاز وخراسان واليمن والعراق والشام والخليج بالإضافة إلى القضاء على جبهة الترك تصبح جبهة المهدي عليه السلام من كبريات الجبهات في ميزان ذلك العالم ، بطرحٍ وجوديٍّ يُحْي الأرضَ ومعالم الكون .

---

[1] (الحاوي للفتاوى ٧٢/٢) .

[2] (الفردوس ٣٧٢/٣/ سنن ابن ماجة ٩٢٨/٢) .

دولة اليهود :

تُؤكِّد النصوص انّ عصر الظهور يُشكِّل مرحلة شديدة الإزدحام بالأحداث الجسام ، على انَّ أولى التطوُّرات الضخمة التي تجتاح العالم تكون في منطقة الشرق الأوسط التي منها الشام والعراق والحجاز .

ويبدو انَّ وجود كيان اليهود في بيت المقدس أي فلسطين يُشكِّل أداة اضطراب في هذه المنطقة ، ووسيلة للتدخُّل لإعادة رسم محور الولاء في هذه المنطقة بدعمٍ من الروم وبعض القوى البارزة في العالم . وتجدرُ الإشارة إلى انَّ النبيَّ ﷺ كان قد أوصى بإخراج اليهود من جزيرة العرب . محذِّراً من فتنتِهم التي تكون آخر الزمان ، والتي يكون أخطرها زمن الدجَّال .

واللافت في خريطة بعض القوى آنذاك في هذه المنطقة أنّها تكون على نحو ولاءٍ للروم واليهود ، وتؤكّد النصوص دعم الروم لكيان اليهود القائم في فلسطين ، بل تجيير بعض القوى في هذا المنطقة لتشكيل درع حماية لليهود المحتلّين . لذلك يُوَاجِهُ الخراسانيُّون - أصحاب الرايات السود - حرباً من قبل بعض القوى والكيانات الموالية للروم ، وتشتدّ هذه

المواجهة حين تصرُّ هذه القوى على منع اهل خراسان من متابعة مسيرهم لتحرير بيت المقدس . وتؤكِّد الروايات زحف « ثورة الموطئين » نحو بيت المقدس في أعنف المعارك .

كما تؤكِّد الروايات طابع ظهور أكثر من ثورةٍ ورايةٍ تنادي بالمهدي عليه السلام في عصر الظهور . نعم مركز الثقل يكون في خراسان . في حين أبدال الشام أو نجباء مصر أو عصائب العراق يكونون - حسب النصوص ومضامينها - على نحوٍ وثيقٍ من التحالفِ مع مركز الثقل الخراساني .

النصوص صريحة في أنّ الأبدال يكونون في منطقة أكناف بيت المقدس ونواحيها ، أي بالتعبير المعاصر : في منطقة لبنان . ويشتهرون بمقاومتهم لليهود في بلاد الشام . وهذا ما سنشير إليه إن شاء الله .

وتتّفق النصوص على انَّ لليهود كياناً يشكِّل أداة زعزعة واضطراب وظلم وطغيان في هذه النواحي . هؤلاء اليهود يُهزمون على يد الخراساني الذي يشكِّل في فترةٍ ما من عصر الظهور مركز ثقل عسكري ضخم يستطيع أن يزحف إلى بيت المقدس مروراً بأكثر من دولة وكيان حتى ينصب رايته في إيلياء ، أي في بيت المقدس .

إلا انَّ تحالفاً إقليميَّاً - دوليَّاً يستطيع أن يخرج الخراسانيين من فلسطين . بدعم جبهة الروم والترك والسفياني وألوية مختلفة من هذه المنطقة تحارب الخراسانيين لإخراجهم من فلسطين . يبدو من المضامين أنَّ للدور العقيدي والسياسي صفة واضحة في الفرز السياسي للمواقف في

تلك الفترة الحرجة جداً . النصوص غير واضحة في أنَّ اليهود هل يبقى لهم دولة بعد فتح بيت المقدس على يد الخراساني ..!

مع التأكيد على أنَّ فتنة الدجَّال لا تكون من فلسطين ، بل من الخارج ، حيث تزحف نحو فلسطين لفتحِها ..

ثمَّ خروج الدجَّال يكون بعد الملحة الأعظم ، الحرب التي تقع بين المهدي عليه السلام والروم .

تشير النصوص إلى آخر معركة يائسة يشنُّها اليهود ضد المسلمين بقيادة الدجَّال بهدف عودتهم مرّةً ثانية إلى فلسطين بدعم دولي لكنهم يفشلون . حيث تتهاوى فتنة الدجَّال بشكلٍ هائلٍ على يد المهدي عليه السلام في معركة ضارية ، ذات مدلول تاريخي ضخم .

وعليه : تكون دولة اليهود واحد من سمات عصر الظهور . وهذا ما أنبأ به النبيُّ صلى الله عليه وآله وآله الأخيار .

يبقى أنَّ بعض المتون وإنْ كانت غير تامَّة سنداً ، كأنّها تشيرُ إلى بقايا دولة لليهود قبيل خروج الدجَّال . تكون صوب فلسطين أو بينها وبين الأردن ، أو ما هو قريب من هذا الوصف . وكأنَّ فلسطين آنذاك تكون قسمين ..! لكن لا يوجد بين يدينا معطيات روائيَّة تامّة تُؤكِّد مثل هذا الإحتمال .

يأجوج ومأجوج

تعتبر جبهة يأجوج ومأجوج مِن الجبهات الضاربة في الوجود كما يُستفاد ، وهي عبارة عن جبهةٍ ضخمة ذات عددٍ وأدوات حربية فاعلة . وفي النصوص إشارة إلى نوعٍ من القوّة والمنعة التي تحتاجُ إلى جُهدٍ كبيرٍ للإنتصارِ عليهم . بل يُستفاد انَّ هذهِ الجبهة تكون منذ زمنٍ طويلٍ في طور الإعداد لقوّتها ، منطويةً على نفسها ، تعمل على إعداد قوَّتها وسطوتِها ، فإذا انتهت من بناء السدّ – وهو إشارة إلى منعتِها وقوَّتها – خرجت ، وخاضت حرباً عنيفة ، مع جبهةٍ قويَّة ، فتنتصرُ عليها ، فتظنُّ أنَّ بانتصارِها هذا انتصرت على أهلِ الأرض ، عندها تحوِّل أنظارها نحو بلاد الإسلام وجبهة الإمام عليه السلام ، تريد خلالها أن تخوض حرباً معها ، لتقضي عليها وتسيطر على أرجاء الأرض فيكون زوالها على يدِ الإمام عليه السلام ..

ويبدو من النصوصِ أنَّ ليأجوج ومأجوج أثراً على بلاد المسلمين والعرب ، ففي رواية زينب بنت جحش ، قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : [.. ويلٌ للعرب ، من شرٍّ قد اقترب ، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا – وحلق إبهامه بالتي تليها – (إشارة إلى علمٍ أتحفه اللهُ بهِ عن آخر الزمان ، بحيث بيَّن له من أمر الأمَّة التي تمثِّل جبهة يأجوج

ومأجوج وتخوض غمار تلك المعركة الضخمة آنذاك) قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ! قال ﷺ : نعم إذا كثر الخبيث][1] . إشارة إلى أنَّ العرب يتأثَّرون بهذهِ الجبهة ، وهي التي تكون موجودةً قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

وفي تعبيرِهِ « ويلٌ للعرب » إشارة إلى خطرٍ داهمٍ وكوارث تقع عليهم من هذا الباب . وفي الذيل إشارة إلى أنَّ العرب - قبل الظهور - يصلون إلى هذا المستوى مِن السقوط والإنهيار ونزول الشرِّ بسبب خروجهم عن قيم السماء ومعالم الشريعة ، فإذا كان ذلك كذلك طالهم الشرُّ والويل ..

وفي لفتةٍ إلى انشغالهم ببناء قوَّةِ جبروتِهم تلك روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ يأجوج ومأجوج ليحفرن السدَّ كل يوم (إشارة إلى تواصلهم في بناء قوَّتِهم) حتى إذا كان شعاع الشمس قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرون غداً (بناء القوَّة المتتابع) ، فيعودون إليه كأشدّ ما كان ، حتى إذا بلغت مدّتهم (أي وصلوا إلى مستوى صناعة القوَّة التي يُؤثِّرون بها على العالم) وأراد اللهُ عزَّ وجل أن يبعثهم على الناس (أي لم يمنع مسيرتهم الطبيعيَّة في إعداد القوّة واختيارهم الذي سيُسألون عنه لما هم عليهِ من اختيار) حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (إشارة إلى رؤيتِهم نوعاً مهماً مِن تصاعديّة ما لديهم من قوَّة) قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرونه غداً (للمزيد من بناء القوّة التي يفتحون بها المزيد من بقاع العالم ، إشارة إلى فتح السدّ وتجاوز العقبات) .. فيعودون إليه ، وهو

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٦٣ حـ ٢٠٧٤٩

كهيئتِهِ حين تركوه ، فيحفرونه (أي يفتحون ثغرات في سور الأمم) ، ويخرجون على الناس (مُعلنين الحرب بأشكالٍ مختلفة) فينشِّفون المياه (إشارة إلى احتكارِهِم وسيطرتِهم على المزيد من المياه ومنابعها التي يحتاجها الناس) ويتحصَّن الناسُ منهم في حصونهم (إشارة إلى إعلانِهم الحرب على النَّاس والكيانات) ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئةِ الدمِ فيقولون : قهرنا أهل الارض ، وعلونا أهل السماء (إشارة إلى حربٍ عنيفةٍ يخوضونها مع امّةٍ أو أممٍ تُستَعمَلُ فيها أدوات الحرب التي منها أدوات الجوُّ والفضاء ، ويبدو أنَّ مثل هذا التدمير لمناعة الكيانات يحتاج إلى زمنٍ) ، فيبعث اللهُ عليهم نغفاً (قطعة الجلد التي تُتَّخذُ حزاماً ، شبَّهَ بها الدود الذي يُبعث على يأجوج ومأجوج) في أقفائهم ، فيقتلهم بها (إشارة إلى نهاية هؤلاءِ ، وكأنَّ النصَّ يقول بشكلٍ واضحٍ انَّ نهايتَهم تكون بواسطة تدخُّل السماء وتطويع مرض محدَّد أو كائنات محدَّدة تقضي عليهم كما هي الحالُ في تدخُّل السماء عبر طير أبابيل التي رمت أبرهة وقومه بحجارةٍ من سجِّيل فجعلتهم كعصفٍ مأكول) . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسُ محمَّدٍ بيده ، إنَّ دواب الارض لتسمن شكراً (أي تسمن ويكثر لبنُها) من لحومهم ودمائهم][1] ..

وفي لفظ الطبري - يصف قوَّتهم مع تنبيه الأمم لما هم عليهِ من هذهِ القوَّة التي يعمدون عبرها إلى فتح سدود العالم في وجهِهِم - قال : قال كعب : [.. حتى يسمع الذين يلونهم قرع فُؤُسِهِم (إشارة إلى تعاظُم قوَّتِهم التسلُّحيَّة التي يخوضون بها غمار فتح الحدود ومهاجمة الدول) ، فإذا كان الليل قالوا : نجيئ غداً فنخرج ، فيعيدها اللهُ كما كانت (إشارة إلى عقباتٍ

---

[1] عبد الرزاق : على ما في الدر المنثور . * : أحمد : ج ٢ صـ ٥١٠ جامع البيان

تحول دون خروجِهم على العالم) فيجيئون مِن الغد فيجدونه قد أعادهُ اللهُ كما كان (تأكيد على عقباتٍ غير منتظرة أمام هذا المدّ الهائل من جند وأدوات يأجوج ومأجوج) فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرعَ فؤوسهم .. فيحفرون ثم يخرجون (إشارة إلى غزوهم العالم وخروجِهم عليه) ، فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها (إشارة إلى كثرةٍ ضخمة يتشكّلون منها ، فضلاً عن التأكيد على سيطرتِهم على الموارد المائيّة أي نسبةٍ مُلفتةٍ منها ، وهذه التعابير يُرادُ منها لفت النظر إلى كثرتِهم وقدرتِهم وتخريبهم) ، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها (إشارة إلى أثر التخريب وتبديد الموارد كوسيلة مِن وسائل حربِهم تلك) ، ثم تمرُّ الزمرة الثالثة فيقولون : قد كان ههنا مرَّة ماء (تأكيداً على قوَّتِهم وتعبئة لنفوسِهم في مواجهة العالم ، وسيطرة منهم على زمام الأمور حتى الآن) ، وتفرُّ الناسُ منهم ، فلا يقوم لهم شيئ (إشارة إلى انتصاراتٍ متتالية يحقّقونَها منذ لحظة خروجِهم من رواء السدّ ، فلا يقوى الناسُ على الصمودِ بوجهِهم) ، فيدعو عليهم عيسى بن مريم (عليه السلام) (إشارة ختاميَّة ، ببعد النظر عن التفاصيل وما يجري في العالم آنذاك . النصُّ هنا ينقلنا مِن طور قوّتِهم إلى طورِ نهايتِهم) فيقول (عليه السلام) : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئتَ ، فيُسلِّطُ اللهُ عليهم دوداً يُقَالُ له النغف ، فتفرس رقابهم ، ويبعثُ اللهُ عليهم طيراً فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر ، ويبعثُ الله عيناً يُقال لها الحياة تطهِّر الارض منهم ، وتنبتُهَا ، حتى أنَّ الرمانة ليشبع منها السكن ..][1] .

---

[1] الطبري : ج ١٧ صـ ٧١ بسند آخر ، عن أبي الصيف . ولا بدَّ في النهاية مِن الإشارة إلى انَّ هذا النص غير مكتمل السند ، وهو غير مسند إلى النبيِّ أصلاً ومقطوع عند كعب ، لكنَّهُ يعطي صورةً تفسيريّة ذات نفس خاص .

ففي هذا النص إشارة إلى قوم يُعدُّون بالكثير جداً في نسلِهم وتعداد سكَّانِهم ، يَفِدُون على العالم بفرقٍ ثلاث ، يخرِّبون الموارد ، ويتعمَّدون ذلك ، فلا تصمد بين أيديهم القوى وتنهار أمامهم الحصون ، وتتساقط السدود ، إلى أن يبعث اللهُ عليهم سلطاناً من السماء ، أي قوى قاتلة تقتلهم فيطهِّر اللهُ الأرض منهم ..

تكون جبهة يأجوج ومأجوج آخر « أكبر الجبهات » في وجه الإمام المهدي عليه السلام في حين تؤكِّد النصوص على وجود أممٍ أخرى تجتاحهم جيوش يأجوج ومأجوج في عمليَّة فتح الأرض والسيطرة عليها ، وذلك عبر حروبٍ ضارية كما تصوّرها لنا الروايات ، بعضها يكون في الأرض ، والآخر يكون في السماء . إشارة إلى حروب تجري في الفضاء الجوِّي للأرض على الأقل . بما في ذلك أدوات الجوِّ من طيران وصواريخ وقذائف وغير ذلك . وفي النصوص المزيد من الألفاظ شديدة الوضوح حول الشُّهب التي يتقاذف البشر بها ..

فإذا انتهى اليأجوجيُّون مِن بعض الأممِ المهمَّة ، توجَّهوا إلى جبهة المهدي عليه السلام بجيوشهم الجرارة . وفي خلدهم أنَّ القضاء على جبهة المهدي عليه السلام يعني حكمهم المطلق للأرض . إلا أنَّ النصوص تشير إلى هلاكهم على يد المهدي عليه السلام ، لكن عن طريقِ مرضٍ ما . ولا أدري هل ذلك تدمير جرثومي أم هو إعجاز ربَّاني . الروايات صريحة في فناءهم بمرضٍ ما يتفشَّى فيهم فيبيدهم عن آخرهم ..

ففي رواية زيد بن أسلم عن أبيه قال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يفتح يأجوج ومأجوج ، يخرجون على الناس كما قال الله عزَّ وجل : ﴿ مِّن

كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فيغشون الارض (إشارة إلى انتشارهم الكبير في بقاعٍ كثيرة مِن الأرض وفتحهم لها) ، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم (إشارة إلى استعدادهم القتالي في وجه جيش ضخم جرَّار) ، ويضمُّون إليهم مواشيهم (إشارة إلى مشقَّةٍ ما ، تدلُّ عليها هذهِ العبارات ، خشيةً من الجيش اليأجوجي الضخم الذي لم تصمد أمامهُ كثيرٌ من الأمم ، فيجمعون زادهم وموادهم) ، ويشربون (أي جيوش يأجوج ومأجوج) مياهَ الارض (إشارة إلى احتكارهم لها والسيطرة عليها والتخريب والتدمير الذي يُعمِلُونه بها) حتى أنَّ بعضهم لَيَمُرُّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً (إشارة إلى التخريب من جهة والكثرة الكاثرة من جهةٍ أخرى وما يعنيه هذا مِن حاجة) حتى أنَّ مَن بعدهم ليمرُّ بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة (أي كان هنا ماء ذات مرّة ، هذا تعبير واضح عن النهب والخريب ، وكأنَّ هذهِ النصوص تشير إلى ضرورات السيطرة على الماء ونهبها ، أو حروب يكون من ضمن دواعيها الفتح والماء والثروات المختلفة) ، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحدٌ إلا في حصنٍ أو مدينة (إشارة إلى تحصُّن الناس منهم) قال قائلهم : هؤلاءِ أهلُ الارض قد فرغنا منهم ، بقي أهل السماء (تعبير يُراد منه لفت النظر إلى انَّ هذهِ الحرب التي يخوضها جيش يأجوج ومأجوج تتوسَّع إلى أبعد الممكن ، وتُستعمل فيها كلُّ القدرات ، التي منها أدواتُ البرِّ والبحر والفضاء ، نعم في التعبير إشارة إلى اهل السماء .! وكأنَّ هناك مركبات أو محطّات موجودة في الفضاء الخارجي أو شبه ذلك من شأنِها أن تؤثِّر عليهم ، فكان لا بدَّ من خوض « حرب فضاء » لضمان أمن الأرض مِن هؤلاءِ ..!) ، قال : ثم يهزُّ أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء (إشارة إلى بدء حرب الفضاء في تلك المرحلة من الصراع بين هذهِ الأمة الضخمة وتلك الأمم الأخرى) ، فترجع

مختضَّبةً دماً ، للبلاءِ والفتنة (إشارة واضحة إلى انتصارِهم في تلك الحرب) ، فبيناهم على ذلك (من الإنتصار والقوَّة والزحف نحو جبهة المهدي عليه السلام) ، إذ بعثَ اللهُ دوداً في أعناقهم ، كنغف الجرار الذي يخرج في أعناقهم ، فيُصبِحُون موتى ، لا يسمع لهم حسَّاً (أي يموتون بطريقةٍ غير منظورة) فيقول المسلمون ألَا رجلٌ يشري نفسَهُ فينظر ما فعل هذا العدو ؟ قال فيتجرَّد رجلٌ منهم لذلك محتسباً لنفسه ، قد وطَّنَهَا على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى ، بعضهم على بعض ، فينادي : يا معشر المسلمين ، ألَا أبشروا ، فإنَّ اللهَ قد كفاكم عدوَّكُم ، فيخرجون مِن مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي إلا لحومهم ، (إشارة إلى الوهن الأكيد والنهائي الذي يصيب جسم هذا الجيش الجرار ، ويبدو أنَّ السماء تتدخَّل للقضاء عليه)][1] . وفي لفظٍ آخر لعبد الله بن مسعود قال : [.. ثم يخرج يأجوج ومأجوج ، فيموجون في الارض فيفسدوا فيها ، ثم قرأ ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾][2] . إشارة إلى الفساد الذي يرتكبونه حين خروجِهم لفتح سدود العالم وكيانات الدول ..

وفي نصٍّ يُرادُ منه إضفاء نوع من مميزات توضيحيّة على سمات جيش يأجوج ومأجوج وخصائصِهم الجسمانيّة روى ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عاصبٌ إصبعه من لدغة عقرب فقال : [.. إنكم تقولون : لا عدو ، وإنَّكُم لا تزالون تُقاتلون عدواً ، حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب الشعاف (صفر الشعور) ، مِن كلِّ حدبٍ ينسلون ، كأنَّ وجوهم المجان المطرقة (صفة

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٤

[2] ابن حماد : صـ ١٦٤

وردت في احاديث غزو التتار لبلاد المسلمين)][1] . والمجان تعني التروس الغليظة . وكأنها تشير إلى الأقنعة الواقية من الغازات السامَّة أو غيرها . إلا أنّ فيها دلالة على تترُّس قوّات الياجوجيين بنوعيّة متقدّمة من أدوات الحرب .. ما ورد في متن هذه الرواية - رغم السند - إشارة تاريخيَّة على الأقل ولسان توضيحي ومتن مستقبلي ممكن ..

فإذا قُضِي على يأجوج ومأجوج ، عمَّ الأمن والسلام في ربوع الأرض ، وانتشر حكم المهدي عليه السلام . وفي تعبيرٍ يُرادُ منه هذا المعنى روى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [.. لَيُحَجَنَّ البيتُ ، ولَيُعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج][2] . هذا يؤكِّد ما اشرنا إليهِ من حكومة الإمام المهديِّ عليه السلام وانتشار القسط والعدل فيها حتى زوال الدنيا وقيام الساعة ..

لكن متى يخرج يأجوج ومأجوج ؟ لا تفصيل في الأمر . نعم هناك روايات يمكن سياقها على نحوٍ من شهادةٍ تاريخيّة تشير إلى ثلاثين أو أربعين سنة بعد مقتل الدجّال ، على أثرها يخرج جيش يأجوج ومأجوج .. فقد روى ابن عباس الحضرمي - ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - قال : [.. يخرج عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة عند الباب الشرقي .. ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة ، قد حصرها الدجال (إشارة إلى خريطة صراع محدَّدة وردت في أكثر من نص وإنْ اختلف العنوان) فيأمر بفتح الابواب ، ويتبعه حتى يدركه بباب لد ، فيذوب كما يذوب الشمع (التعبير هنا يُراد منه إمّا الإشارة إلى أداة تقتلُهُ ، أو تطويع للناموس يقتله ، أو إشارة إلى سيطرة كاملة على الدجَّال الذي لا يجد فرصةً للهرب أو التفلُّت) ، ويقول

---

[1] أحمد : ج ٥ صـ ٢٧١ - الزمخشري ، الفائق : ج ٢ صـ ٢٤٨ كما في أحمد

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٦٣ حـ ١٩٣٨٩ - الحاكم : ج ٤ صـ ٤٥٣

عيسى عليه السلام : إنَّ لي فيكَ ضربةً ، فيضربه فيقتله اللهُ عزَّ وجل على يديه . فيمكث في المسلمين ثلاثين سنةً أو أربعين سنةً ، أللهُ أعلم أيّ العددين .. فيخرج على أثره يأجوج ومأجوج ، فيهلكهم اللهُ على يديه ولا يبقى منهم عينٌ تطرف . وتُرَدُّ إلى الارضِ بركتُهَا حتى أنَّ العصابة لَيجتمعون على العنقود وعلى الرمانة . وينزع مِن كل ذات حمة حمتها (يعني سمّها) ، حتى أن الحيّة تكون مع الصبي ، والاسد والبقرة ، فلا تضر شيئاً (إشارة إلى تغيُّرٍ في طبيعة الأشياء يصل إلى درجة الأمن والأمان والسلم والسلام المستديم) ..][1] ..

فإذا تمَّ النصرُ على اليأجوجيين أنزلت السماء نِعَمَهَا وأخرجت الأرض بركاتِها . ففي رواية « تبيع » التي تصفُ حال النِّعَم بعد هلاك يأجوج ومأجوج يقول - دون إسناد إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله - : [.. ينصرف عيسى عليه السلام ومَن معه بعد يأجوج ومأجوج إلى بيت المقدس ، فيقولون : ألآن وضعت الحربُ أوزارها ، ثم إنَّ الارض تُخرِجُ زكاتها بإذن الله تعالى على ما كانت في أول الدنيا ..][2] . تأكيداً على النِّعَم التي تهبط مِن السماء وتخرج من الأرض ، ودلالةً على معاني الرحمة الكبرى في عصر المهدي عليه السلام ..

وفي أكثر من نص إشارة إلى أنَّ جيش يأجوج ومأجوج لا يخرج مباشرةً بعد قتل الدجّال ، بل هناك مكثٌ للمسلمينَ ثمَّ خروجٌ لليأجوجيين .. والمعلوم من نصوصٍ كثيرة أنَّ جبهة المهدي عليه السلام في هذهِ الفترة تكون قد حقّقت انتصاراتٍ كبيرة وامتداداً ضخماً ، فماذا تعني فقرة « عصابة من

---

[1] تهذيب ابن عساكر : ج ١ صـ ٤٩

[2] ابن حماد : صـ ١٦٣

المسلمين عصمهم اللهُ بالاسلام » الذين يلجؤون إلى المسيح ..؟ يبدو من النص وغيرهِ أنّهم فئة يتمُّ حصارهم أو حشرهم ، في حين تكون جبهة المهدي ﷺ متمدَّدة في بقاعٍ كثيرة ، خاصّةً أنّ جبهة الإمام ﷺ تخوضُ حرباً ضارية في عقر الغرب المسيحي (الرومي) .

هذهِ الطائفة من النصوص تشير بالضمن إلى أنَّ منطقة الشرق (مقابل الغرب) أو منطقة ما من دنيا الإنسان ، لم تنفتح كلَّها أمام جيش المهدي ﷺ ، أو أنّ قسماً منها طرأ عليهِ تغيُّرات فتحته أمام جحافل يأجوج ومأجوج . والأوّل أقرب لمضامنين ونَفَس النصوص ..

ولا يبدو من النصوص أنَّ حروبهم السابقة حين خروجِهم من السدّ تكون مع المسلمين ، نعم المحطّة التالية مِن حروبهم تكون باتّجاه المسلمين ، وأنَّ خطّ مسيرهم باتّجاه المسلمين يكون فيما يكون ضمن منطقة الشام والعراق . وكما في النص : [يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق ، فيمرون بأنهار الدنيا ، فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية ، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا] . إشارة إلى انتصارٍ مهيبٍ وسلسلة من النجاحات العسكريّة والفتوحات الواسعة تصل بهم إلى بيت المقدس الذي يعلنون منه إنتصارهم على أهل الأرض ، تأكيداً على انتصاراتِهم العظمى .

ولأنَّ انتصاراتِهم في تلك البقاع تكلّلت بنوعٍ واسعٍ من النجاح والتمركز يوجّهون عنان حربهم إلى نوعٍ آخر من معالم الحرب فيقولون : قاتلوا مَن في السماء . إشارة إلى جبهة حرب أخرى . لكن هل هذا الإنتصار يكون في وقعة حرب ، أي في معركة ، أم في مجموع معارك ..؟ النص

أيضاً غير واضح . لكنّ يكون لهم الإنتصار في تلك الحرب الجويّة . وعلى أثرها يقولون : قتلنا مَن في السماء ..

في حين يكون عيسى بن مريم (وزير دفاع جبهة الإمام المهدي عليه السلام) والمسلمون بجبل طور سينين . وحين يدبُّ المرض الذي يحيط بهم عبر دابّة النغف ، تتساقط جثث موتاهم من حاق الشام إلى حاق العراق ، مِن محيط الشام إلى محيط العراق . إي ضمن جزء من منطقة الشرق الأوسط كما في تعبيرنا الحاضر ، بحيث يكون لهم امتداد كبير كما هو واضح من النصوص ..

رايات الضلال في عصر الظهور
(نموذج مختصر عن الكيانات السياسيّة المفسدة في الشرق الأوسط)

رايات الضلال متعدِّدة وكثيرة . النصوص لم تحدِّثنا عن كلِّ الرايات ، ولم تشر بالتفاصيل إلى خطط الحرب ومشاكل السياسة وتعقيدات الدبلوماسيَّة وظروفها وغير ذلك ، بل حدَّثتنا عن بعض التفاصيل ، وعن النتائج الكليَّة في ختام المطاف . بعض تلك الرايات أحزاب وقوى . وبعضها الآخر دُولَ وقوى .

لا يوجد بين أيدينا تفاصيل ذات شمول وصفي للقوى والدول واسماء التعدُّد الكياني الموجود آنذاك . إلا لبعض القوى . هذا هو قانون البشارة ذات التحقُّق المستقبلي .

فَعَن منطقة الشرق الأوسط برزت الإشارة إلى قوى الشام والحجاز والعراق ودولة المغاربة في المغرب العربي ، وصولاً إلى الدولة اليهوديَّة والدولة السفيانيّة في الشام .

وفي عرض حديثها عن هذه القوى في أحداث الفتن والحرب هناك أشارت إلى القوى الأخرى مثل الترك والروم ، نعم هناك فصول مستقلَّة

في الروايات عن القوى العالميَّة ، مثل الروم التي يبدو أنَّها تكون من أعظم هذه القوى في العالم . كما حدَّثتنا عن الترك والدجَّال ويأجوج ومأجوج وغير ذلك .

نعم هناك أحاديث واضحة جداً تشير إلى فتح المهدي ﷺ لبلاد الصين والهند وغيرها . لكن دون تفاصيل .

وبطبيعة الحال يكون العالم - حسبما تشير بطون النصوص - متعدِّد ، فيه ولاءات سياسية مختلفة ومتنافسة ، تعدُّد دول ، تعدُّد جبهات ، لا تشير الروايات إلى عدد الدول ، لا تشير إلى طبيعة الهرم الدولي ووصفه : ثنائي ، تعدُّدي أم منفرد . نعم يبدو من مضامين بعض النصوص أنَّ الروم المسيحيَّة يكون لها ميزة متقدِّمة في الدول الكبرى . نعم النصوص تشير إلى قوَّة متعاظمة لليأجوجيين والمأجوجيين ، تعطيهم بعض الأوصاف التي تنطبق على دول ذات عددٍ ضخم . يخرج للفتوحات في آخر الزمن . .

طبيعة قِيم النظام الدولي كما تشير إليها بعض المتون : ظالمة ، ذات انحرافاتٍ شديدة ، القيم الأخلاقيَّة منهارة ، المرجعية الدوليَّة الضابطة لسلوك الدول معدومة .

النظام السياسي في العالم تقودهُ - كما يبدو واضحاً - دواعي وأسباب تتعلَّق بمنافع البطن والفرج والسوق والإشباعات الكيفيَّة .

يبدو أنَّ الكَلْب يكون ذا قيمة أهم مِن الإنسان كمبدأ احتوائي وقيمة ضامنة للقيم ..!

الوضع الديني في العالم باهت جداً ، إلا مِن قلّة قليلة . الجماعة البشريَّة تصل إلى مرحل متقدِّمة في التعبير عن جشعها الغريزي والسياسي الكياني .

مفهوم الأمّة السياسية يقوم على معايير ذات اتِّصال شديد بميزان القوى من جهة ، ووثيقة العلمنة والنكران للدِّين من جهةٍ أخرى .

التموضع الدولي وإعادة الإنتشار والغزو والقتال وإعلان الحروب سمة بارزة في ذلك العالم .

الظلم الإقتصادي والطغيان المادِّي من ابرز سمة ذلك العالم .

الجشع السوقي أبرز معالم قوى ومحرِّكات ذلك العالم .

الإنسان بِقِيَمِه ومواثيقِه الأصيلة التي تتوائم مع كون الوجود وآفاق السماء ، نادر ، مظلوم ، مُضطَهَد ، قلّة قليلة تنادي بضرورة الدِّين ، فتلاقي العذابات جرَّاء التزامها هذا الأمر .

المسلمون – بصورةٍ عامّة – وجودهم هشٌّ ، كثرتهم محقَّقة لكنَّهم تُبَعٌ أذلة ، ينخرطون في مشاريع التأييد للقوى الكبرى فتستغلّهم إلى حدِّ اليأس والإتعاب المرير . أرضهم تكون مفتوحة على العدوان والغزو وبطش الأباطرة في ذلك العالم . قلّة قليلة جداً مِن المسلمين مَن يُثبِتُون حضورهم في ذلك الزمن ، على رأسهم بل أعظمهم راية الموطِّئين الخراسانيَّة للمهدي عليه السلام التي يتعاظم أمرها ويثبت بشكلٍ مدهش ، وتؤسِّس قوَّة يكون لها ريح الأثر والقوَّة في أنحاء مختلفة من المجال الإقليمي بل الأوسع منه .

هناك رايات تدعو إلى الدِّين والإسلام وآل محمَّد ، أبرزها راية الأبدال ، وراية العراقيين ، وراية المصريين ، ثمَّ راية اليمانيين الممدوحة .

العالم يتهيكل على نحوٍ معاندٍ مع قيم الدِّين وكتاب الكون وضرورات الطبيعة والتاريخ الأخلاقي للبشر .

الجوع والوجع ، اليأسُ والبؤس ، الإفقار ، الإحتكار ، التعرِّي ، الحرام ، الآثام ، الفساد ، الإنحراف ، الشذوذ ، القتل ، النهب ، الطغيان الإباحي ، الجشع الغريزي ، كلّها سمات تكون شديدة الوضوح في ذلك الزمن . النصوص واضحة في الإشارة إليها جدّاً .

معادل حكومة الأقليَّة الرأسماليَّة للأكثريَّة ، وعلى نحوٍ من طغيان ومصادرة الحقائق ، صورة شديدة الوضوح في ذلك العالم .

غلبة الغرب على الشرق ، ربَّما هي واضحة من نصوص غلبة الروم ، وأنَّهم أكثر الناس ، أي أقواهم وشبه ذلك .

البيئة الدوليّة بصورةٍ عامّة ذات سمة فوضويّة مفترِسة .

حلُّ النزاعات بين الدول يبدو بشكلٍ واضحٍ وفاقع أنّه يتم بناءاً على القوّة ومنطقها . النزاع المسلّح عنوان مركزي في ذلك العالم الفوضوي .

تاريخ الأصالة البشريَّة ، التاريخ الأخلاقي ، العدالة الإجتماعيَّة ، الأمن الدولي ، السِّلم الدولي ، عناوين باهتة جدّاً ، تتلاطمها القوَّة والقهر ونماذج الغدر والغزو من جهاتٍ شتَّى .

وعليه : مِن بين الدول التي تكون في منطقة الشرق الأوسط دولة قرشيَّة أي تنتسب إلى قريش ، لا تشير النصوص إلى انَّ اسمها السياسي كذلك . نعم تشير إليها بالأوصاف ، مثل الدولة الحجازيَّة والقرشيَّة وشبه ذلك .

الدولة القرشيَّة

حُكَّام هذه الدولة الحجازيَّة يكونون في عصر الظهور . يحكمون بلاد الحجاز أزماناً ، تكون - حسب المتون - شديدة الحقد على مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم . وهذا يعني اعتقادها بما يعارض هذا الإعتقاد الإمامي على نحوٍ خاص يدفعها إلى الإنتقام والتشفِّي من أتباع أهل البيت عليهم السلام . هي أوَّل الدُّول التي ستُواجِهُ المهديَّ عليه السلام فتسقط وتتهاوى دون ان يقوم لها أمرٌ في وجهه . النصوص تشهد للوصف الإنتقامي الذي يقوم بهِ حُكَّام هذه الدولة مِن أتباع أهل البيت عليهم السلام . ففي الحديث النبوي قال صلى الله عليه وآله : [واللهِ لا تدع ظلمةُ مضرٍ عبداً للهِ مؤمناً ، إلا قتلوه ، أو فتنوه ، حتى يضربهم اللهُ والمؤمنون][1] .

قيمة هذا النص أنّه يشيرُ إلى صفتين : الأولى الإنتقام من أتباع أهل البيت عليهم السلام ، والثانية تركيزها على فتنتهم . وهو وصفٌ يُراد منه إصرارها على تركهم للتديُّن الخاص بمواثيق الشريعة وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام ، كما ينطبق عليها ما هو أعم من ذلك مثل تركهم أصل المذهب . وهذا يعني اعتماد أدوات الترهيب والترغيب لتحقيق واحد من هذين العنوانين .

---

[1] (مستدرك الصحيحين ٤٧٠/٤ قال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . مجمع الزوائد ٣١٣/٧ . رجاله رجال الصحيح) .

المتن شديد الصراحة في الإشارة إلى أدوات الترهيب والترغيب من خلال الإشارة إلى النتائج .. وفي رواية أخرى : [إنَّ هذا الحي مِن مضر لا يزال بكلِّ عبدٍ صالحٍ يقتله ويهلكه ويفنيه حتى يدركهم الله بجنودٍ من عنده فتقتلهم][1] .

والإشارة إلى قتله أو فتنته تعني اعتماد عامل الترهيب مِن قتل وتعذيب وسجن وتعقيدات مختلفة في المجتمع المدني والمواثيق السياسيَّة الجنائيَّة والأمنيَّة وشبه ذلك ، على أنَّ أنواع الترهيب واسعة ، منها ما يكون عقاباً جزائيَّاً أو انتقاميَّاً ، ومنها ما يكون عقبات مانعة مثل منع الوظيفة أو منع الخدمات الإجتماعيَّة والتقديمات والفوائد المجتمعية والصحيَّة والمهنية والتجاريَّة وغيرها . نعم النصوص واضحة في العقاب الأسوأ ، وهو القتل والعذاب والتنكيل وشبه ذلك . أي واردة لبيان الحدّ الأعلى فما دونه ، فيكون ما هو أقل منه من بديهيَّات ما يشيرُ إليه النص . على قاعدة مفهوم الأوْلَى .

وفي الشقِّ الآخر إشارة إلى الترغيب ، وقد يكون بوظيفة أو مال أو جاه ، أو اعادة اعتبار ، أو امتياز سلطوي وغير ذلك مِن الأنواع الكثيرة . فضلاً عن كفّ الأذى والتعامل معه كمواطن من الدرجة الأولى وشبه ذلك .

وأنَّ قيام هذه الدولة يظلُّ حتى ظهور المهدي عليه السلام رغم ما يصيبها من هشاشةٍ أمنيَّة فظيعة أشرنا إليها فيما سبق . فإذا ظهر عليه السلام أدركتهم « جنود لم يعرفهم آباؤهم ولا عشائرهم » . إشارة إلى أنصار المهدي عليه السلام .

---

[1] (مستدرك الصحيحين ٤٧٠/٤ قال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . مجمع الزوائد ٣١٣/٧ . رجاله رجال الصحيح) .

ومع ظهور المهدي عليه السلام تكون هذه الدولة على شفا انهيارها ، تعاني من خللٍ أمني ، من هشاشةٍ في التماسك ، من صراعٍ على المُلك ، من تعبٍ في متابعة وحدتها ، من انهيار في حماية حدودها . من انقسامٍ سياسي بل ربّما أهلي فيها ، المتون العديدة تشير إلى هذه الأوصاف بالضمن أو الصراحة .

يتمُّ القضاء على هذه الدولة بشكلٍ سريع ، ويتمّ إحكام السيطرة عليها عبر المهدي عليه السلام . وفي الحديث : [يبايع المهدي عليه السلام بين الكن والمقام لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً][1] .

بحيث يتمكَّن من السيطرة على مقاليد الحكم في بلاد الجزيرة بوقتٍ قصير . بل في مكَّة يسيطر عليها بليلة واحدة . ويتحرَّك بعضهم للإنقضاض على حكم المهدي عليه السلام وهم مِن الظلمة الطغاة حسب التعابير المتنوِّعة للنصوص فيواجههم المهديُّ عليه السلام وينتصر عليهم . وفي رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [يُبايع لرجلٍ بين الركن والمقام (المهدي) ، ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلُّوه فلا تَسَل عن هلكة العرب][2] .

إشارة إلى انقضاض بعضهم على المهدي عليه السلام واستحلال الحرم . ويبدو من طائفة مِن النصوص أنّهم يجمعون ما أمكنهم للقتل والإبادة ، لكنّهم يفشلون . وفي الحديث : [لو يعلم الناس ما يصنع المهديُّ عليه السلام إذا خرج لأحب أكثرهم ألَّا يروهُ ممَّا يقتل من الناس ، أما انّه لا يبدأ إلا بقريش ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من

---

[1] (عقد الدرر ١٥٦ الحاوي للفتاوي ٧٦/٢) .

[2] (مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٨ وقال : رجاله ثقات / مستدرك الصحيحين ٤٥٢/٤) .

الناس ما هذا من آل محمَّد ولو كان من آل محمّد لرحم][1] . أوَّل شيئ يختزنه النصُّ بشكلٍ واضحٍ مطلق يكمن في طغيان هذه الفئة واقترافها جرائم هائلة تُبَرِّر الفعل العقابي الشرعي مِن المهديِّ عليه السلام لهم . النص يشيرُ إلى عقاب المهدي عليه السلام للظلمة المفسدين والطغاة المستبدِّين ، أمَّا غيرهم فلا يرون مِن المهدي عليه السلام إلا الأمن والأمان والسلم والسلام . وهذا ما تكاثرت فيه النصوص .

ثم تعبير « قريش » ، يريدُ منه الإشارة إلى الظلمة دون غيرهم . والنصوص واضحة جداً في هذا المجال[2] .

وتشير طائفة من النصوص إلى انَّ المهدي عليه السلام يقتل الظلمة والجبابرة من طواغيت قريش . وفي رواية عائشة قالت : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله : [أوَّل مَن يهلك مِن الناس قومُك . قلت : جعلني الله فداك أبنو تيم ؟ قال صلى الله عليه وآله : لا ، ولكن هذا الحي مِن قريش][3] .

إشارة إلى ما يقع عليهم مِن العدل الأكبر زمن ظهور المهدي عليه السلام حيث يعاقبهم بالحقِّ بسبب الظلم الذي يقع على أيديهم . والظلم الذي يقع أشارت إليه بعض النصوص من قتلٍ وإبادة ونهب ومصادرة للأموال والموارد وانحراف خطير وشبه ذلك في إطار قيادتهم للحكم وممانعتهم

---

[1] (البحار ٥١ / ١٣٢ كمال الدين / ٣١٧ الإذاعة /١١٧) .

[2] وفي رواية عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام - وهو يخاطب بشر بن غالب قال عليه السلام : [يا بشر ، ما بقاء قريش إذا قدَّم القائم عليه السلام منهم خمسمائة رجل فضرب أعناقهم صبراً ، ثم قدّم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً ، ثمّ قدّم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً » (البحار ٣٤٩/٥٢) . إشارة إلى الطغاة الظلمة المفسدين لا غيرهم من أهل الإيمان والإسلام والطريقة الحسنة .

[3] (كنز العمال ١٢/ حديث : ٣٥٤٢٢١) .

عن الحق . وقد سأل الهروي الإمام الرضا عليه السلام : بأي شيئ يبدأ القائم عليه السلام منكم إذا قام ؟ فقال عليه السلام : [يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم لأنهم سراق بيت الله عز وجل][1] . وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : [أما انَّ قائمنا عليه السلام لو قام أخذ بني شيبة وقطع أيديهم وطاف بهم وقال هؤلاءِ سراق بيت الله][2] . وفي لفظ آخر قال عليه السلام : [.. وقطع أيدي بني شيبة السراق وعلَّقها على الكعبة][3] .

يريد بذلك انزال العقاب العادل ضمن حدود الشريعة في الظلمة ممَّن يقترف الآثام العظام .

لا تفاصيل بين أيدينا عن المنحنى والتطوُّرات ومجموع التعقيدات . من الذين بين ايدينا أنَّ هشاشة هائلة تقع في الحجاز ، إنقسام بين الناس ، خلاف على مفهوم الحكم ومركزه . ثمَّ نفوذ واضح للسفياني في بلاد الحجاز . ثم خسفٌ في البيداء بجيش السفياني ، ثمّ الظهور العام للمهدي عليه السلام في مكَّة ، ثمَّ بداية فجر العدل الأكبر الذي يعارضه قومٌ يسفكون الدماء ينتهي أمرهم بعدل اللهِ وإنزال العقاب الشرعي بهم .

---

[1] (البحار ٥٢/٣١٣) .

[2] (البحار ٥٢/٣١٣) .

[3] (البحار ٥٢/ ٣٣٢) .

الدولة العباسيُة :

يُراد بها دولة تكون قائمة في عصر الظهور بالعراق . ببعض النظر عن حدود دولتها وحجم مساحتها . وكنتُ فيما سبق لفتٌ وكأنني أقرأ في بعض مضامين النصوص شكلاً من أشكال الدولة الفيدراليَّة أو الكونفيدراليَّة في العراق . يعني دولة بنمط حكم ذاتي محلِّي لأقاليمها ، بالأخص الشيعي . أو دولتين . أو دولة من غير هذه الأصناف ، لكن للشيعة فيها نفوذ واضح في وجه الظلمة .

مَن يُطالِع نصوص آخر الزمن يجد انَّ لشيعة العراق نفوذاً واضحاً . يستدعي مِن السفياني إعلان حرب عليهم في وقتٍ ما .

وفي متنٍ آخر أنَّ بغداد تسقط عفواً - دون حرب - . فيما الكوفة ونواحيها ، أي منطقة الجنوب العراقي تصمد وتتمنع ، فتسقط بعد حربٍ ضروس ..! ثمَّ تحدِّثنا النصوص عن دولةٍ عبَّاسيَّةٍ عراقيَّة ، على عداءٍ مع آل محمَّد . هذه الدولة العباسيَّة تعتبر الثانية بعد زوال ملكهم السابق الذي نشأ على اثر ثورتهم على الأمويين عام ١٣٢ للهجرة .

تشير النصوص أنَّ هذه الدولة العباسيَّة تحكم العراق في فترةٍ ما مِن عصر الغيبة ، دون تحديد لمساحة العراق وحدود الدولة التي يحكمها

هذا الصنف العباسي . ولا نعرف المدَّة التي تعمِّرها هذه الدولة قبل الظهور ، لكنَّ النصوص صريحة في أنَّ الظهور يتحقَّق وفي العراق دولة عباسيَّة .

وتكون هذه الدولة ظالمة ، جائرة ، متعاونة مع بعض قوى الشرك والكفر ، لا تقيم للإسلام وزناً . وتعتبر هذه الدولة من الدُول الخطيرة في بثِّ الضلال والمعادة لقيم الإسلام . تكون على عداء واضحٍ مع دولة المُوطِّئين للمهدي في خراسان .

وقد وردت أحاديث نبويَّة صريحة وواضحة في ظهور رايتين للعباسيين : الأولى تُسقِطُ دولة بني أميَّة . والثانية تكون في آخر الزمان تعمل على اسقاط دولة الموطِّئين للمهدي عليه السلام في خراسان . لكنّها تفشل .

كلا الرايتين لبني العباس - الأولى والثانية - موصوفة بالضلال في صريح النصوص . وقد روى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال صلى الله عليه وآله : [إنَّ لبني العباس رايتين ، أعلاهما كفر ومركزها ضلالة ، إن أدركتها فلا تَضِل][1] . أي ينهاهُ صلى الله عليه وآله أن يكون منهما ، كما يمنعه عن نصرتِها - على قاعدة أُخاطبك يا كنّة واسمعي يا جارة - فإنَّها رايتا فساد وضلال عن الدِّين .

وعن عبد الله الليثي قال : [تخرج لبني العباس رايتان ، احداهما أوَّلها نصر وآخرها وزر ، لا ينصرونَها ، لا نصرها الله ، والأخرى أوَّلها

---

[1] (مجمع الزوائد ٣٤٤/٥ - كنز العمال ١٦٠/١١) .

وزر وآخرها نصر ، لا ينصرونها لا نصرها الله][1] . تأكيداً واضحاً على ضلالِ الرايتينِ وحرمة نصرتهما . وما هو معقود فيهما من آثامٍ وانحرافٍ وخطورة على الدِّين وأهله .

وعن أبي إمامة الباهلي قال : [ستخرج رايتانِ مِن قِبَل المشرق لبني العباس ، أوَّلُها مثبور وآخرها مبتور ، لا تنصروهم لا نصرهم الله . فمَن مشى تحت راية من راياتِهم أدخله الله تعالى يوم القيامة نار جهنَّم ..][2] .

النص شديد الوضوح في بطلان شرعيَّة هاتين الرايتين : الأولى والثانية . الأولى تكون بعد زمن بني أُميَّة . والثانية تكون في عصر الظهور . وانّهما يُوردَانِ النَّار . ويدعوانِ إلى الطغيان والإنحراف والآثام .

وقد سأل ابنُ الفضيل الإمامَ الباقرَ عليه السلام فقال له : جُعِلت فداك ، بلغنا انَّ لآل جعفر رايةً ولآل العباس رايتين ، فهل انتهى إليكَ مِن علم ذلك شيئ ؟ فقال عليه السلام له : [أمَّا آل جعفر فليس بشيئ ، ولا إلى شيئ . وأمّا آل العباس فإنَّ لهم ملكاً مبطئاً يقربون فيه البعيد ويباعدون فيه القريب ، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر][3] .

وكذا في غيرها من النصوص التي تشيرُ بوضوح إلى ضرورة تحقُّق رايتين للعباسيين . الأولى تنتصر على الأمويين ، والثانية تكون زمن الظهور . وكلا الرايتين ظالمة مفسدة ، بعيدة عن الدِّين ومواثيق الشريعة ، مُنغَمِسَة بالآثام وسفك الدماء وفعل الحرام .

---

[1] (الفتن ١٢٠) .

[2] (مجمع الزوائد ٤٤/٥ – كنز العمال ١١/ حديث : ٣١٠٣٥) .

[3] (تفسير العياشي ١٢١/٢) .

بل في طائفة من النصوص تعرُّضٌ لبيان تجدُّد ظهور الراية العباسيَّة الثانية في آخر الزمان . ففي رواية علي بن حمزة عن الإمام الكاظم عليه السلام قال : [مُلكُ بني العباس مكرٌ وخداع ، يذهب حتى لم يبقَ منه شيئ ، ثمَّ يتجدَّد حتى يُقال ما مرَّ به شيئ][1] .

إشارة إلى تجدُّد دولة بني العباس ، وقيام أمرها ، وأنها كالأولى في الظلم والإفساد . وفي رواية ابن مسعود عن النبي قال صلى الله عليه وآله لعمِّه العباس : [لن تذهب الدنيا حتى يملك مِن وُلدِك في آخر الزمان ، عند انقطاع دولتهم ، وهو الثامن عشر ، يكون معه فتنةٌ عمياء صمّاء ، يقتل من كل عشرة آلاف تسعة آلاف وتسعمائة ، لا ينجو منها إلا اليسير ، يكون قتالهم بموضع في العراق . قال : فبكى العباس . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : ولا يهتمون للآخرة][2] .

تدلُّ هذه النصوص على تحقُّق دولتين لبني العباس . وكلتا الدولتان تتساقطان في ظروفٍ مختلفة . الثانية تكون في عصر الغيبة في آخر الزمان ، تنهار على يدِ شيعة عليٍّ عليه السلام الموطِّئين للمهدي عليه السلام بصريح النصوص .

الرواية الثانية صريحة في أنَّ ملكها يكون في آخر الزمان عند انقطاع دولتهم . وهي تشير إلى انَّ الثامن عشر من طواغيت بن العباس الكبار يحكم ويكون جبَّاراً عنيداً ظالماً سفّاكاً للدماء . وانّه تقع في عصره فتنةٌ صمَّاء عمياء ، تعم الأمَّة كلَّها ، ولا ينجو إلا القليل . ويكون مكان هذا

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٠٣) .

[2] (مجمع الزوائد ١٨٨/٥) .

القتال في هذه الفتنة الضخمة بموضع في العراق - هو حسب روايات أهل البيت عليهم السلام - بين الحيرة والكوفة . وانَّ بني العباس في الدولة الثانية يكونون على نحوٍ لا صلة لهم فيه مع الدِّين والآخرة ، فهم طواغيت ظَلَمَة مفسدون . كباقي الأمم الجائرة التي تلهث وراء قيم الغريزة والطغيان الإباحي والإنجراف الدموي وشبه ذلك .

ثمَّ تحقُّق دولة العباسيين الثانية مِن المحتوم المبرم . المتون صريحة في حتمها وضرورة تحقُّقِها . ومن العلامات المحتومة التي تقع في سنة الظهور الإختلاف الدموي على الحكم بين أركان الدولة العباسيَّة ، على أثر موت خليفتهم الطاغي عبد الله وضمن ظروف معقّدة . هذا ما صرَّحت به أكثر مِن خمس عشرة رواية . منها ما رواه الحلبي قال سمعتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : [اختلاف بني العباس من المحتوم ، والنداء من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم][1] .

تأكيداً منه عليه السلام للإختلاف الذي يقع في الدولة العباسيَّة الثانية التي تكون في عصر الظهور . ففي النص تأكيد على اختلاف بين العباس والنداء من السماء بإسم المهدي عليه السلام وخروج المهدي عليه السلام وكلٌّ هذا من المحتوم .

واختلافُهم يأتي ضمن ظرف مُعَقَّد مِن الخلافات والفوضى والحروب التي تعمُّ الشرق الأوسط . على أنَّ دولتهم تكون ذات قوَّةٍ ومنعة زمن الطاغية عبد الله . فإذا ماتَ تسلَّل الوهنُ إليهم ، وبدا الإنقسام هائلاً ، وتطوَّر إلى صدامٍ عسكري في سعيٍ للسيطرة على المُلك . وفي رواية أبي

---

[1] (روضة الكافي ٣١ . البحار ٣٠٥/٥٢)

حمزة الثمالي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنَّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول : [إنَّ خروج السفياني مِن الأمر المحتوم . فقال عليه السلام : نعم واختلاف وُلد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكيّة من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام مِن المحتوم][1] .

في هذا النص يضيف عليه السلام أنَّ السفياني مِن المحتوم . بالإضافة إلى دولة بني العباس والنداء من السماء والنفس الزكيَّة وظهور القائم المهدي عليه السلام .

وعليه : تتحقَّق في عصر الظهور قوىً ذات مدلول وامتداد تاريخي ، مثل دولة العباسيين في العراق ، ودولة السفيانيين في الشام . في حين تكون دولة الموالين لأهل البيت عليهم السلام في بلاد خراسان . ورايات موالية هنا وهناك ، كراية الأبدال في الشام ، وراية العصائب في العراق ، وراية النجباء في مصر .

النصوص شديدة الصراحة في ذلك .

وفي زمن الحاكم العباسي الطاغي الذي يقود الدولة العباسيَّة فيسفك الدماء ويقوم بأفعالٍ فظيعة تكون دولتُهم متماسكة . ومع موتِهِ يحدث اضطراب وخلاف على الحكم . فيقع صراع عباسي ـ عباسي على السلطة ، وذلك في عصر الظهور ، عندها تدخل القوات السفيانيَّة من جهة والخراسانيَّة من جهةٍ أخرى ضمن مواصفات وظروف لا تشير النصوص إلى الكثير منها . وتصطدم الجيوش داخل الأراضي العراقيَّة . ممَّا يؤكِّد انَّ

---

[1] (كمال الدّين ٦٥٢) .

الإختلاف من علامات سنة الظهور . أُؤكِّد انَّ هذا الإختلاف يكون في زمن الظهور . والنصوص شديدة الوضوح فيه وفي أطرافِه . نعم قبل موت خليفتهم الطاغي المستبِدّ يقوم هذا الحاكم بأفعالٍ فظيعة مِن قتلٍ وظلمٍ وفساد واهراق دماء . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام التي يصف فيها اخلاق قائد الثورة العباسيَّة في عصر الظهور يقول عليه السلام : [لا تقوم القيامة حتى تفقأ عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء ، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض ، حتى تظهر فيهم عصابةٌ لا خلاق لهم ، تظهر في سواد الكوفة ، يقدمهم رجلٌ أسود اللون والقلب ، رثّ الدِّين لا خلاق له ، مهجن زنيم عتلّ ، تداولته أيدي العواهر من الأمّهات ..][1] .

إشارة إلى الظلم والإستبداد والفساد والقتل الذي يقومُ بهِ هذا الطاغي ودولتُهُ الظالمة . على أنَّ الشيعة أتباع آل محمَّد ينالهم القسط الأعظم مِن هذا الظلم . في الدولتين العباسيَّة والسفيانيَّة .

النصوص صريحة في الإعتداء الهائل على الشيعة زمن العباسيين والسفيانيين . ومِن هذه وتلك تجد وكأنَّ الشيعة في العراق يصمدون ويثبتون رغم القتل والإبادة ، وينهضمون في كلِّ أزمة ، صابرين محتسبين ، وكأنَّ لديهم جهوزيَّة الصبر والثبات بأشكالٍ تتناسب مع كلِّ وقعة .. رغم القتل على التهمة والتنكيل والعذاب الهائل وإعلانات الحروب عليهم . ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [كأنِّي بالسفياني أو بصاحب السفياني ، قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة ، فنادى مناديه : مَن جاء برأس شيعة عليٍّ فله الف درهم ، فيثب الجارُ على جاره ويقول : هذا

---

[1] (الغيبة للنعماني ١٤٧) .

منهم . فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم . أما انّ امارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا ، كأنّي انظر إلى صاحب البرقع ، فقالوا له : ومَن صاحب البرقع ؟ فقال ﷺ : رجل منكم ، يقول بقولكم ، يليبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلاً رجلاً ، اما انّه لا يكون إلا ابن بغي][1] .

السفياني أو صاحب السفياني . كلا الحاكمين الظالمين يجرِّد سيفَهُ في شيعة آل محمَّد ، وكلا الحاكمين يعلن مِن أولى مشاريعه اضطهاد وظلم وتنكيل وتعذيب وقتل أتباع آل محمَّد بأشكال مختلفة كمَّاً وكيفاً .

ولا تكتفي القوى بذلك ، بل تعمل على دعم جهود السفياني لخوض معركة عنيفة اتِّجاه الجنوب العراقي لفتحه ..!

بل نستفيد مِن طائفة روائيَّة أنَّ السفياني يقوم أوَّلاً بإعلان حرب على الشيعة العراقيين كمقدِّمة لقفزة حربيَّة اتّجاه الداخل الإيراني ، لمقاتلة الشيعة أينما حلُّوا أو وُجِدوا .

غريب أمر السفياني .! فرغم مدَّة حكمه القصيرة ، يتمدَّد صوب الحجاز ، مصر ، فلسطين ، الأردن ، سوريا ، العراق ، ثمَّ يتَّجِه نحو أراضي خراسان .! ويفرِّق جندَهُ في هذه الأرض يميناً وشمالاً ، وهو يُعلن مع كلِّ طالعة يوم ضرورةَ اجتثاث الشيعة أينما حلُّوا .! ولا يبدو أنَّ للعباسيين علاقات طيِّبة مع السفيانين في دمشق . بخلاف بعض المتون التي يُستفاد منها بعض النفوذ الظاهر للعباسيين في دمشق قبل حكم السفياني .

---

[1] (الغيبة للطوسي ٢٧٣) .

نعم بعض النصوص تشير أنَّ دولة بني العباس في ظلِّ ملكهم الطاغي تكون قويَّةً فتَّاكةً ظالمةً مفسدةً ، ليس من السَّهل إسقاطُها . بل هي التي تعلن الحرب . ومن سمات هذه الدولة العباسيَّة أنَّها تعادي شيعة أهل البيت عليهم السلام بشدَّة .

كما تشير بعض النصوص إلى معارك تخوضها هذه الدولة العباسيَّة في وجه أهل خراسان ، ما يعني انّها تكون في فلك القوى النافذة المعادية لدولة خراسان التي منها الروم مثلاً . دون أن نعرف الصيغة والشكل الذي تتمُّ بهِ هذه العلاقات : استراتيجيَّة أم آنيَّة ، تحالفات مصالح أم غير ذلك .. لكن واضح انَّ للروم في الشرق هيمنةً بارزة . ورغم الأزمات التي تطال دولة العباسيين لا تسقط بسهولة ما دام طاغيتُهم عبد اللهِ حيَّاً . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام : [مُلك بني العباس عسر لا يسر فيه ، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر والطيلسان لن يزيلوه ، ولا يزالون في غضارة من ملكهم حتى يشذ عنهم مواليهم وأصحاب دولتهم ، ويسلّط اللهُ عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع له راية إلا هدَّها ، ولا نعمة إلا أزالها . ألويلُ لِمَن ناواهُ ، فلا يزال كذلك حتى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به][1] .

يقرِّر هذا الحديث صعوبةَ إسقاط مُلك بني العباس ، ويذهب هذا المُلك فترةً مِن الزمن ، ثم يعود ويتجدَّد . إشارة إلى دولتين ، بزمنين مختلفين ، أطرافُهُ مختلفة . هذا المُلك الأخير يزول مِن الوجود على أيدي

---

[1] النعماني : صـ ٢٤٩ بـ ١٤ حـ ٤ - عقد الدرر : صـ ٤٧ بـ ٤ فـ ١ -

أهل خراسان الإماميين الذين يُطَالِبُون بدماءِ آباءهم . وكانت دولة بني العباس الأولى قد قامت على يد الخراسانيين بقيادة الخراساني أبي مسلم . إلا أنَّ العباسيين تخلَّصُوا منهم شيئاً فشيئاً ، بمن فيهم أبو مسلم الخراساني . وقد عمدوا إلى تشييد عاصمة لهم منفصلة وهي بغداد ، تمَّ الإنتهاء منها في العام ١٤٦ للهجرة ، بأمرٍ من المنصور العباسي .

كل ذلك ليصفو المُلك لهم . وقد أثاروا الحروب وسارعوا في سفك الدماء وهتك الأعراض وهتك الحرمات . وفي حكمهم نشأت فِتنٌ مختلفة . وكان النبيُّ ﷺ والإمام علي عليه السلام والعترة قد أشاروا إلى نصوصٍ عديدة تذمّهم وتشيرُ إلى ملكهم الأوَّل والثاني . وأنّ المُلكَ الثاني يكون في آخر الزمان . وتكون لهم معارك مع أهل خراسان الذين يقيمون دولةً إماميَّةً في آخر الزمن توطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانه . وأنَّ هذه الراية الخراسانيَّة يقودها فقيه ينادي بآل محمَّد ، يخرج مِن قم ، معه قومٌ كزبر الحديد ، يموت قبل أن يفتح بيت المقدس ، وأنَّ السيِّد الخراساني الذي يخلفه يخوض معارك من اجل ذلك ويكون بين يديه الطالقانيُّون الذين يقدِّمون التضحيات الجليلة حتى يتمَّ الله وعده .

النصوص التي تتحدَّث عن آخر الزمان ودولة بني العباس الثانية تؤكِّد أنَّ سقوط دولة بني العباس هذه تكون على يدِ الخراسانيين الموطِّئين للمهدي عليه السلام .

النصوص تتحدَّث عن ثلاث رايات تدخل العراق زمن هزيمة العباسيين : راية الحسني وهو من بلاد خراسان . وراية السيِّد الخراساني ، وراية اليماني . لكن المعركة الكبيرة تقع بين السيِّد الحسني الطالقاني وبين

العباسيين فيقضي عليهم ويدخل العراق فاتحاً هو والخراساني فيسلّمان الراية للمهدي عليه السلام . وتؤكّد النصوص على عظمة أهل فارس في اتّباع العلم والحق والدعوة للمهدي وتوطئة الأمر له وتمكينه من سلطانه . وأنّهم يشكّلون الحجّة البارزة في العلم الرباني على أهل الشرق والغرب حتى قال صلى الله عليه وآله : [لو كان العلم منوطاً بالثريّا لتناوله رجالٌ من فارس][1] .

يخوض أهل خراسان معارك حاسمة مع دولة العباسيين ، فضلاً عن معاركهم مع الترك واليهود وبعض الأنظمة العربيَّة الموالية للروم أو اليهود . في ظل فوضى وعنف وافتراس أممي عنيف ، وفي الرواية : [إنَّ القائم عليه السلام من وُلد علي عليه السلام ، له غيبة كغيبة يوسف ، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الاحمر ، وخراب الزوراء وهي الري ، وخسف المزورة وهي بغداد ، وخروج السفياني ، وحرب وُلد العباس مع فتيان أرمينية وآذربيجان ، تلك حربٌ يقتل فيه ألوف وألوف ، كلٌّ يقبض على سيفٍ محلّى تخفق عليه رايات سود . تلك حربٌ يشوبها الموت الاحمر والطاعون الاغبر][2] .

إشارة مُركّزة إلى المهدي عليه السلام وغيبتِه ، وفجأة ظهوره الشريف . وإلى طلوع النجم الاحمر ، وخراب الزوراء وهي الري في متن التفسير الوارد ، وخسف المزورة وهي بغداد في المتن أيضاً . وخروج السفياني ، وحرب وُلد العباس في تلك الحرب التي يُقتل فيها الألوف بكثرةٍ فظيعة في ظل حرب يختلط فيها موتُ السلاح بموت الأمراض .

---

[1] (البحار ١٩٥/١ حديث : ١٦ عن قرب الإسناد) .

[2] النعماني : صـ ١٤٦ بـ ١٠ حـ ٤

وفي خطبة الإمام علي عليه السلام - يصف فيها مشاهد وأحداث وفِتن آخر الزمان - فيقول :

[.. فِتَن كقطع الليل المظلم ، لا تقوم لها قائمة ، ولا ترد لها راية ، تأتيكم مزمومة مرحولة ، يحفزها قائدها ، ويجهدها راكبها ، أهلها قوم شديد كَلَبُهُم ، قليل سلبهم ، يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلة عند المتكبرين ، في الارض مجهولون ، وفي السماء معروفون ، فويل لك يا بصرة عند ذلك ، من جيش من نقم الله ، لا رهج له ، ولا حس ، وسيبتلى أهلك بالموت الاحمر ، والجوع الاغبر][1] .

كلا الروايتين تُخبر عن معركةٍ واحدة ممتدَّة على طول الحدود العراقيَّة الإيرانيَّة من الشمال إلى الجنوب ، وتكون على وصفٍ هائل : موت بأدوات الحرب وجوع أغبر يحلُّ بجيوش بني العباس الظَلَمَة الذين يُعلنون شعاراتِهم على نحوٍ حاقد من العداء لأتباع آل محمَّد ويُنكِّلون بالشيعة في العراق ، ثم يريدون التنكيل بدولة خراسان الموطِّئة للمهدي عليه السلام .

وهناك رواية مُفصَّلة تحاول إعطاء المعالم العامَّة للدولة العباسيَّة المتجدِّدة في عصر الظهور منذ انطلاقتها من بلاد العراق ودخولها حرباً عدوانيَّةً ضد دولة أهل خراسان وحتى سقوطها نهائيَّاً على يدِ الخراسانيين من شيعة أهل البيت عليهم السلام ، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام قال :

---

[1] نهج البلاغة - صالح : صـ ١٤٨ خطبة ١٠٢ - عبدة : صـ ١٩٦ خطبة ٩٨ ، ابن أبي الحديد : جـ ٧ صـ ١٠٢ خطبة ١٠١ -

[لا تقوم الساعة حتى تفقأ عين الدنيا ، وتظهر الحمرة في السماء ، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض ، حتى تظهر عصابة لا خلاق لهم ..

أيُّ يومٍ للمخبتين بين الأنبار وهيت ، وذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراة ، وخراب دار الفراعنة ومسكن الجبابرة ، ومأوى الولاة الظلمة وأم البلاء واخت العاد [العار] ، تلك وربِّ عليٍّ يا عمر بن سعد بغداد ..

إنَّ لبني العباس يوماً كيوم الطموح ، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلى ، الويل لشيعة وُلدِ العباس يوماً مِن الحرب التي تفتح بين نهاوند والدينور ، تلك حرب صعاليك شيعة علي ، يقدمهم رجلٌ من همدان اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وآله منعوت موصوف باعتدال الخَلق وحُسن الخُلُق ونضارة اللون ، له في صوته ضجاج ، وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطح ، أفرق الشعر ، مفلج الثنايا ، على فرسه كبدر تمام إذا تجلَّى عند الظلام ، يسير بعصابة خير عصابة أوَت وتقرَّبَت ودانَت لله بدين تلك الأبطال مِن العرب ، الذين يلحقون حرب الكريهة والدبرة يومئذ على الأعداء ، إنَّ للعدوِّ يوم ذاك الصيلم والإستئصال][1] .

هذا الحديث يدلُّ بشدة على عودة دولة العباسيين في آخر الزمن ، ثم على انكسارهم الهائل على يد الموطئين الخراسانيين للمهدي عليه السلام ، وعلى بسالة السيِّد الحسني والقائد العسكري شعيب بن صالح ، هؤلاء العباسيين الذين تكون عاصمتهم بغداد . ومن علامات هذه الدولة أنها تقود

---

[1] (الغيبة للنعماني ١٤٧) .

حرباً عدوانيَّةً على دولة أهل خراسان . وفي لحظةٍ تاريخيَّةٍ دقيقة يقود الثائر الحسني المناصر للسيِّد الخرساني جيشاً عظيماً لفتح العراق من ناحية ، والخراساني من ناحية أخرى ، واليماني من ناحيةٍ ثالثة . والسيِّد الحسني هو الذي يبذل كلَّ غالٍ ونفيس للدفاع عن السيِّد الخراساني صاحب راية خراسان بعد أحداث الفتنة الداخليّة الدامية التي يُراد منها الإطاحة بالسيّد الخراساني ومشروع دولته .

ذيل الحديث يشير إلى الزوال الهائل لدولة بني العباس على يد الموطِّئين بقيادة الخراساني والسيد الحسني اللذين يدخلان العراق سويَّاً بعد سقوط الدولة العباسيَّة لمبايعة الإمام المهدي عليه السلام وتسليمه راية الموطِّئين وقيادتهم . وفي الحديث النبوي : [كأني بالحسني والحسيني وقد قاداها فيسلِّماها إلى الحسيني فيبايعونه][1] . وتقوم دولة العباسيين قبل قيام دولة السفياني ، وحين تقوم دولة السفياني تعمل على إسقاط دولتهم وقتل قياداتهم .

ومعلوم أنَّ السفياني يتوسَّع بنشاط ضخم في الكور الخمس ويسيطر عليها . والعراق ليس من الكور . لكنّ السفياني يحاول بشدة السيطرة على العراق . لكنَّ الدولة العباسيَّة قبل موت الطاغية عبد الله تكون قويَّة ، حتى وإن خسرت معركة في وجه السفياني أو المرواني أو الروم أو الترك في موضوع معركة قرقيسيا . وفي سؤال الحسن بن الجهم للإمام الرضا عليه السلام قال : أصلحك اللهُ ، إنهم يتحدَّثُون أنَّ السفياني يقوم وقد ذهب سلطانُ بني العباس ؟ فقال عليه السلام : [كذبوا ، إنَّه ليقوم ، وإنَّ سلطانهم

---

[1] (الغيبة للطوسي / ٢٨٠) .

لقائم][1] . أي تكون دولة العباسي الثانية قائمةً قبل قيام دولة السفياني . ولا يستطيع السفياني أن يسيطر على دولتِهم . نعم يبدو من بعض النصوص أنّه يدخل إلى بعض المناطق في العراق ، ويخوض معارك ويبسط النفوذ . لكنه لا يستطيع إسقاط نظام الحكم العباسي . وإنّما الذي يسقط النظام العباسي هم المُوطِّئون للمهدي من بلاد خراسان .

وفي طائفة أخرى تأكيد على أنَّ السفياني لا يظهر قبل ظهور العباسي الذي تُعبِّر عنه بعض النصوص بـ « الشيصباني » . أي لا بدَّ أوَّلاً مِن تحقُّق دولة بني العباس .

وفي رواية جابر الجعفي قال سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني ؟ فقال عليه السلام : [وأنَّى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني . يخرج في أرض كوفان . ينبع كما ينبع الماء ، فيقتل وفدكم ، فتوقَّعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم عليه السلام][2] . أي لا بدَّ أوَّلاً مِن قيام أمر العباسيين ، والشيصباني يكون صاحب هذه الدولة العباسيّة . وقد استخدم الإمام عليه السلام هذا اللفظ للكناية بسبب وجود العباسيين آنذاك .

هذا الشيصباني يقومُ أمرُهُ فجأةً . يُراد من تعبير « ينبع » إشارة تؤكِّد قيامه بانقلاب مثلاً ، أو ما هو يؤدِّي معنى الفجأة والظهور مِن الستر . لأنَّ أمره يقوم فجأة وخلافاً للمجرى العادي للأمور . ويمكن ان يكون من غير انقلاب . أو انقلاب مِن داخل النظام مثلاً وشبه ذلك . معنى النص لَيِّن وقابل للإتِّساع المصداقي .

---

[1] (الغيبة للنعماني (٣٠٣) .

[2] (الغيبة للنعماني ٣٠٢) ،

وعلى كلٍّ حال : هاتان الروايتان صريحتان في وجود الحكم العباسي قبل السفياني ومعاصرته له . كما يدلُّ على وجود هشاشة ما في منطقة العراق ، ويؤكِّد طابع الدعم لقيام هذه الدولة المفاجئة من جهةٍ ما ، داخليَّة وخارجيَّة ، بطبيعة الحال هي معادية لشيعة وأتباع آل محمَّد ، لأنّه بمجرَّد ان يقوم يُعلن شعاره الإنتقامي من أتباع آل محمّد ﷺ ، كما يخوض معركة عنيفة في وجه الموطّئين الخراسانيين .

وهل لفظ كوفان يتَّسع لمعنى كُلِّي يشمل العراق أم أخصّ من ذلك ..؟ على هذا يتوقَّف معنى جديد وضروري أيضاً . نعم يعجز العباسي عن تحقيق مكاسب في موضوع الكنز الذي ينكشف عنه الفرات أو ناحيتُهُ ، مع أنّه يخوض معركةً عنيفة جداً ، معركة تصل في أوصافها إلى حدِّ الملحمة . وفي الرواية عن عبد الله بن أبي يعفور قال : قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام : [إنَّ لولد العباس والمرواني (حاكم سوريا قبل انقلاب السفياني) لَوقعةٌ في قرقيسيا ، يشيبُ فيها الغلام الحزور ، ويرفع اللهُ عنهم النَّصر ، ويُوحي إلى طير السماء وسباع الأرض [أنْ] اشبَعي مِن لحوم الجبَّارين ، ثم يخرج السفياني][1] .

النص مليئ بالتعابير التي تشير إلى الظلم والقتل والإبادة والحقد والباطل والحرام وكثرة الموت والفناء وكثافة الإعتماد على أدوات القتل والإبادة في هذه المعركة . وأنَّ الإثنين يخسران .

مع التذكير بأنَّ معركة قرقيسيا لا تجري بين ثلاث رايات فقط . نعم يبدو أنَّها تبدأ بين طرفين ، ثمَّ تتوسَّع لطرفٍ ثالث ، ثمَّ تتكاثر فيها الرايات ،

---

[1] (الغيبة للنعماني ٣٠٣) .

حيث يكون الحضور البارز للروم والترك كطرفين مباشرين وغير حليفين في هذه المعركة لطلب هذا المال الجوفي الضخم ، ومع نجاح السفياني في الإنقلاب يزحف إلى قرقيسيا ويتابع تلك الحرب التي بدأها المرواني ، ما يعني أنَّ الحرب هذهِ تدوم وتكبر . وتكون على نحوٍ مذهلٍ من القتل والإبادة ، يموت فيها من كل ١٠ : ٩ ، ومن كلٍّ ١٠٠ : ٩٩ حسب بعض تعابير النصوص[١] . وكلٌّ فيها ظالم . النصوص تنهَى أهل خراسان والمؤمنين مِن الإشتراك فيها . ثمَّ لا يكون هذا المال الجوفي المهمّ لأحد ، بل لأهل خراسان الذين يربحون حرب فتح العراق ويبايعون المهديَّ عليه السلام هناك . وقرقيسيا منطقة سوريَّة على مقربة من الحدود العراقيَّة التركيَّة ، فيها تقع أكبر ملاحم ومعارك عصر الظهور .

النصوص الكثيرة وصفت هذه المعركة بالضارية ، ذات الإبادة الضخمة ، ذات التلاحم العنيف بين الرايات ، ذات الإفتراق الكبير بين الأحلاف السابقة ، قتالاً على المال الجوفي الذي يظهر . وفي الحديث : « لا تقوم الساعة حتى يتقاتل أهل الشرق والغرب على مالٍ ينكشف عنه الفرات » . وتبدأ هذه المعركة أوَّلاً بين الدولة العباسيّة في العراق والدولة المراونيَّة في سوريا ، ثم بعد انقلاب السفياني وإسقاطه دولة المرواني تستمر هذه المعركة بين قوات السفياني والقوات العباسيَّة ، كما تشترك فيها أطراف دوليَّة مثل الترك والروم ومحليَّة أخرى مثل بعض الأنظمة

---

[١] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، فيقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مئة تسعون أو قال : تسعة وتسعون . كلهم يرى أنه ينجو . [عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٨٢ حـ ٢٠٨٠٤] ابن حماد : (صـ ٩٢) قال أبو عبد الله نعيم حدثني غير واحد ، عن ابن عياش ، عن يحيى بن أبي عمرو ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : وفيه « .. من ذهب وفضة فيقتل عليه من كل تسعة سبعة ، فإن أدركتموه فلا تقربوه » .

العربيَّة كالراية المغربيَّة ، حتى تصبح فيها لحوم الجبارين والطواغيت مائدةً لسباع الأرض وطيور السماء .

وتؤكِّد النصوص قوَّة وثبات الدولة العباسيَّة ما دام الشيصباني العباسي على رأس الحكم فيها . فإذا مات ضعفت في مركزها السياسي وبدأ التفسُّخ يصيب أركانها ، ومعها تعيش واحدة من هشاشتِها السياسيَّة لأسبابٍ مختلفة منها ، ما هو أساسي في زوالها . نعم تنتهي دولة بني العباس في عصر الظهور .

ويؤثِّر في هشاشة عرشها السياسي عاملان أساسيَّان : الأوَّل : هلاك طاغيتهم العباسي عبد الله . يكون هلاكه مِن اهم علامات ضعف دولتهم الظالمة ، شديدة العداء لآل محمَّد وأتباعهم . الثاني : وقوع صراع عباسي ـ عباسي على السلطة بعد موت طاغيتهم عبد الله . ويكون هذا الصراع بقيادة أكبر تجمُّعين مواليين لبني العباس . فإذا تحقَّق هذان الأمران ضرب الضعف فيهم ، لكن دولتهم تثبت وتصمد وتبقى قائمة ، ولا تزول إلا بحربٍ شرسة تقع بينهم وبين الموطِّئين على يدِ السيِّد الحسني والقائد شعيب بن صالح من ناحية . والسيِّد الخراساني من ناحيةٍ ثانية . وفي ناحيةٍ ثالثة يكون زحف اليماني . والروايات شديدة الوضوح أنَّ موت العباسي من علامات الظهور القريبة . ففي رواية محمَّد بن الصلت قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : [ما علامة بين يدي هذا الأمر ؟ فقال عليه السلام : بلى ، قلت ما هي : قال : هلاك العباسي ، وخروج السفياني ، وقتل النفس الزكيّة ، والخسف في البيداء ، والصوت من السماء][1] . إشارة إلى العلامات القريبة

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٦٧) .

من ظهور المهدي (عليه السلام) : هلاك العباسي أي حاكم العراق العباسي . وخروج السفياني الذي يأتي مدعوماً مِن الروم ويخرج من الوادي اليابس في الأردن ، وينقلب بدعم الروم على عرش دمشق . وقتل النفس الزكية ، شخصيَّة شديدة العظمة والإحترام من آل محمَّد حسنيَّة النسب ، يُذبح صاحبها بين الركن والمقام وهو شديد القرب من الإمام المهدي (عليه السلام) يحزن المؤمنون عليه حزناً شديداً ، بعدهُ بأيَّام يظهر المهدي (عليه السلام) . أمَّا خسف البيداء فيكون بجيش السفياني ، وهو مرحلة فاصلة . والصوت من السماء يعني صوتُ جبرائيل يخبر أهل الأرض بظهور قائم آل محمَّد المهدي (عليه السلام) .

وعن سبب موت عبد الله العباسي ؟ بالحرب أم بالإغتيال أم بالمرض أم بغير ذلك . النص يشيرُ إلى قتلِه على يدِ خصيٍّ يلوط بهِ ، فيذبحه . ففي رواية عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : [يموت سفيه مِن آل العباس بالسرِّ ، يكون سببُ موتِه أنَّه ينكح خصيَّاً فيذبحه ، ويُكتَمُ موتُهُ أربعين يوماً ، فإذا سارت الركبانُ في طلب الخصيِّ لم يرجع أوَّل مَن يخرج إلى آخر مَن يخرج حتى يذهب ملكهم][1] .

يبدو من النصِّ أنَّ هناك أزمة واضحة تحيط الإنتقال السلمي للسلطة . بسبب هشاشة كبيرة في تركيبة السلطة العباسيَّة وما يكتنفها ، مثل صراع البيت الحاكم . النص واضح جداً في أزمةٍ مستفحلة تستدعي التكتُّم على موت عبد الله مدَّة أربعين يوماً ، وسرعان ما ينتهي حكمهم بعدها ، لضعف في السلطة ، وخلاف على المُلك واقتتال عنيف في طلب

---

[1] (كمال الدّين ٢٦٧) .

الرئاسة ، يمهِّد لزوال سلطان بني العباس المتجدِّد . على أنَّ نهاية حكمهم تكون على يدِ الخراسانيين بمعركةٍ عنيفة . فإذا دخل الحسني والحسيني سلَّما الراية للمهدي عليه السلام ، وهذا يعني أنَّ موت عبد الله العباسي من العلامات القريبة جداً لظهور المهدي عليه السلام . وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

[بينما النَّاسُ بعرفات إذا أتاهم راكبٌ على ناقة ذعلبةٍ ، يخبرهم بموتِ خليفة ، يكونُ عند موتِهِ فرجُ آل محمَّد صلى الله عليه وآله ، وفرجُ النَّاس جميعاً][1] .

اختلف الشُرَّاحُ في مفاد هذا النص ، منهم مَن فسَّرهُ على موت خليفة حجازي ، ومنهم مَن فسَّرهُ وفق طائفة النصوص التي تشيرُ إلى الفرج بموت عبد الله العباسي . واستفاد البعض مِن المتون التي تشيرُ إلى القتل الذي يقع في منى ، والإنقسام في الحجاز وشبه ذلك . وهي روايات عديدة . ففي رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال : [يكون صوت في رمضان ، ومعمعة في شوال ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل وعامئذ ينتهب الحاج وتكون ملحمة عظيمة بمنى تكثر فيها القتلى وتسيل فيها الدماء ، وهم على عقبة الجمرة][2] .

أقول : لا يمنع وجود أزمة انقسام في الحجاز ، ووقوع قتل وهشاشة وسفك دماء من عطف النصوص على بعضها البعض . والقدر المتيقَّن أنَّ موت عبد الله العباسي من العلامات القريبة . ولا يمنع ذلك مِن

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٦٧) .

[2] ابن حماد : صـ ٥٩

موت خليفة حجازي . نعم المتون صريحة في أزمةٍ عنيفة تجتاح الحجاز ، وانقسام واضح ، وخلل أمني كبير ، واضطراب شامل . بل لعلَّ الإنقسام الأهلي أو السياسي هناك لسبب موت خليفة أو خلاف على شرعيَّة المُلك أو طبيعة الحكم وشبه ذلك .

وبعطف النص الوارد أعلاه على موت الخليفة العباسي عبد الله يكون لنبأ قتلِه أثر في منطقة الحجاز . على أنَّني أميل - بدليل المتون - إلى انَّ أزمة الحجار ذات حضور سابق على موت عبد الله ، ومَن يقرأ متون ملحمة منى يُدرك ذلك . ولا يستبعد أبداً أن يكون الخلاف والإنقسام على المُلك . نعم على أثر موت عبد الله العباسي يكون خروج القائم عليه السلام كما أشرنا إلى ذلك سابقاً وفق المنقول في النصوص . وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : [مَن يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم عليه السلام . ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناسُ بعدهُ على أحد . ولم يتناهَ هذا الأمر دون صاحبكم إنْ شاء الله ويذهب مُلك السنين ويصير ملك الشهور والأيَّام][1] .

بحيث يبدو أنَّ المدة الفاصلة بين بقاء قيام دولة بني العباس وموت عبد الله شهور أو أقل حسب هذا المتن . وفي هذه الفترة يقع الإقتتال العباسي - وروايات اختلاف بني العباس على السلطة في العراق كثيرة ، وبعضها صحيح السند - ثمَّ تقع المعركة التاريخيَّة الفاصلة بين الخراسانيين والعباسيين التي تنتهي بنصرة الخراسانيين وزحف اليماني أيضاً نحو العراق ودخول المهدي عليه السلام إلى الكوفة في سبع قباب ، لا يُدرى

---

[1] (الغيبة للطوسي ٢٧١) .

المهديُّ (عليه السلام) في أيٍّ منها ، فيُقبل الحسني والحسيني فيسلِّمانه الراية . ومِن مجموع النصوص : يبدو أنَّ دولة العباسيين تكون قويَّة حتى موت عبد الله ، فإذا مات بدأ الوهن يدبُّ فيهم عبر الإختلاف على مَن يرث عرشه ، إمّا بسبب انعدام الآليَّات أو بسبب مطامع وتوازنات في العائلة المالكة وشبه ذلك أو لأسبابٍ مختلفة . المهم النص يوضح بشدة أنَّ موت عبد الله العباسي يؤدِّي إلى شل مركز القرار في هذه الدولة . فإذا شاع الخلاف بينهم كان ذلك علامة الظهور القريب للمهدي (عليه السلام) . وفي رواية اسحاق بن عمَّار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : [لا ترون ما تحبُّون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم ، فإذا اختلفوا طمع الناس فيهم وتفرَّقت الكلمة وخرج السفياني][1] .

واضح أنَّه يشير إلى أحداث العراق على أثر موت الطاغية العباسي في عصر الظهور . ويعني المعصوم (عليه السلام) بـ « بني فلان » : بني العباس . كان المعصوم (عليه السلام) لا يصرِّح بإسمهم أحياناً ضمن ظروف محدَّدة تمنعه من التصريح في زمن دولتهم الظالمة .

وفي رواية أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) كان ابو جعفر (عليه السلام) يقول : [لقائم آلِ مُحمَّد غيبتان ، إحداهما أطول من الأخرى ، فقال (عليه السلام) : نعم ، ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان ، وتضيق الحلقة ، ويظهر السفياني ، ويشتد البلاء ، ويشمل الناس موتٌ وقتل ، يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله (صلى الله عليه وآله)][2] .

---

[1] (روضة الكافي ٢٢٤) .

[2] (الغيبة للنعماني ١٧٢) .

أيضاً النص صريح في اختلاف بني العباس ، اختلاف يصل إلى حدّ اللجوء إلى السلاح . والإختلاف المقصود هنا اختلافُهم في آخر الزمن ، أي أثناء دولتهم الثانية ، زمن السفياني ، وعصر الظهور . النص شديد الصراحة بذلك .

وفي رواية يعقوب السراج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : متى فرج شيعتِكم ؟ قال عليه السلام : [إذا اختلف وُلد العباس ، ووهَى سلطانُهم ، وطمح فيهم مَن لم يكن يطمح فيهم][1] .

يبدو أنَّ اختلاف بني العباس المُسَلَّح يرهقهم ويتعبهم بشكلٍ كبير . تذكر متون بعض الروايات وقوع اختلاف واقتتال بين الحزبين العباسيين على السلطة في عصر الظهور ، ويكون محور قتالهم بين « الكوفة والحيرة » ، وقد صرَّح بذلك الإمام زين العابدين في حديثه لجابر فقال : [يا جابر ، لا يظهر القائمُ عليه السلام حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ، ويكون قتالٌ بين الكوفة والحيرة ، قتلاهُم على سواء ، (حتى) ينادي منادٍ من السماء ..][2] .

تقع فتنة الإقتتال بين الحزبين العراقيين الموالين لبني العباس بعد موت عبد الله العباسي ، وعلى الأثر يستغل السفياني الفرصة للسيطرة على العراق ، ومنها يجهِّز جيوشه ثانيةً لاقتحام بلاد خرسان الإماميَّة . وهو يكون في الأصل قد خاض مجموع معارك مع الخراسانيين ، لذلك يبدأ زحفه نحو العراق على أعقاب الفتنة المسلّحة التي تقع بين الحزبين

---

[1] (روضة الكافي ٢٤٤) .

[2] (الغيبة للنعماني ٢٧٩) .

العباسيين للسيطرة على العراق . في حين يزحف جيش بلاد خراسان نحو العراق بالوقت المناسب من المشرق . وجيش السيفاني من المغرب . فيما الهمُّ الأكبر للخراسانيين حماية الشيعة ومنع الظالمين مِن التنكيل بهم .

ومعه تصبح العراق مسرحاً لحرب طاحنةٍ بين السفياني والموطِّئين الخراسانيين في ظلِّ قوَّة العباسيين الثالثة .

ثمَّ يبقى التاريخ مفتوحاً أمام أعنف المعارك بين الخراسانيين والسفيانيين .

لا تفاصيل كاملة بين أيدينا . هناك بعض حلقات مفقودة . في جملة مِن الأحداث نحتاج إلى حلقات . نعم لدينا نتائج . بعض الأحيان نعاني مِن سرد تعاقب الأحداث ، والسببُ فيهِ إجمال النص واقتضابه .

نعم مع دخول السفياني والخراساني إلى العراق يتحوَّل العراق إلى أضخم مسرح للتلاحم العسكري العنيف . وفي رواية أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : [لا بدَّ أن يملك بنو العباس ، فإذا ملكوا واختلفوا وتشتَّت أمرهم ، خرج عليهم الخراساني والسفياني ، هذا مِن المشرق ، وهذا مِن المغرب ، يستبقانِ على الكوفة كفرسي رهان ، هذا مِن ها هنا ، وهذا مِن ها هنا ، حتى يكون هلاكهم – العباسيين – على ايديهما أما انّهما لا يبقون منهم أحداً أبداً][1] . المتن يؤكِّد نهاية المُلك العباسي على ايدي الدولتين ، هذه مِن الشرق وهذه مِن الغرب ، على انّ معركة موصوفة تقع بين العباسيين والخراسانيين يكون النصر فيها للخراسانيين .

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٥٩) .

وفي متون مستقلَّة إشارة إلى معارك تقع بين الخراسانيين والسفيانيين تكون الأرجحيَّة النسبيَّةُ فيها للجيش السفياني أوَّلاً ، ثمَّ تقع معركة اصطخر الفاصلة والأضخم ، التي يُمَزِّق الخراسانيُّون فيها جيشَ السفياني تمزيقاً ، ومعها تبدأ سلسلة الفتوحات العظمى لأهل خراسان .

نعم النصوص تؤكِّد ضرورة مُلك العباسيين في العراق زمن الظهور وأنّه مِن المحتوم ، ثم زوال دولتهم على أثر موت خليفتهم الطاغية ونشوب الإختلاف المسلَّح بينهم ، ثم زحف قوَّة السفياني من جهة وأهل خراسان من جهة ثانية . وفي رواية أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : [ثم يتملَّك بنو العباس ، فلا يزالون في عنفوان من المُلك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم ، فإذا اختلفوا ذهب مُلكُهُم ، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب][1] .

إنّها مرحلة شديدة الدقّة والإتِّصال بقرب الظهور . مع العلم بأنَّ النصوص ظاهرة في أنَّ بعض القوى خاصَّة الروم يكون لها مصلحة كبيرة في دعم السفياني بوجه الخراسانيين ، رغم أنَّهم يخوضون معه معركة ملحميّة بعدما ينصِّبوه على عرش دمشق وذلك في منطقة قرقيسيا .

ورغم جيش السفياني الذي يشكِّل واحداً من القوى الإقليميَّة الكبيرة في ميزان منطقة الشرق الأوسط ، فإنّه لا يستطيع إحكام سيطرته على منطقة الشرق الأوسط بل يظل يعاني من قوَّة الخراسانيين العملاقة التي يظهر أنّها تفوق التصنيف الإقليمي . إلى أن تقع بينها وبين السفياني المعركة الفاصلة التي تهزمه فيها شرَّ هزيمة . وهذا ما أشرنا إليه سابقاً ..

---

[1] (الغيبة للنعماني ٢٦٢ – البحار ٢٣٥/٥٢) .

الدولة المغربيَّة في عصر الظهور :

لا تحدِّثنا الروايات كثيراً عن الدولة المغربيَّة ، عن نموذج الحكم فيها ، عن الإعتقاد العام ، عن الهيكل الذي تحتلّه ، عن النفوذ الذي تشكِّله قبل الأحداث الأخيرة . لكنها تشير في بعض العناوين إلى دور وظيفي تؤدِّيه إلى جانب القوى التي تقاتل الخراسانيين وتنهض لقتالهم أيضاً في فلسطين إلى جنب قوات السفياني .

ويبدو أنَّ نظامَها حليف أو بالأحرى تابع للروم . فهو ينهض لمساعدة الروم زمن خلع الحاكم المصري على أيدي النجباء المصريين .

هذه الدولة تظهر في المغرب العربي ، دون أن تُحدِّد الروايات موقعها الجغرافي وهيكلها السياسي بشكلٍ دقيق . يبدو مِن النصوص أنَّ هذه الدولة تكون قبل ظهور السفياني . وفي رواية عمَّار بن ياسر قال : [يخرج أهلُ المغرب ، فينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياني . ويخرج قبل ذلك مَن يدعو لآل محمَّد][1] .

النص يشيرُ إلى زحف المغاربة نحو مصر ، فإذا دخلوا قام أمرُ السفياني ، أمَّا الذيل فيشيرُ إلى راية آل محمَّد التي تقوم في مصر والتي

---

[1] (عقد الدرر ٤٦) .

تكاد تستلم الحكم هناك لولا الحملة العسكريَّة التي تقودها الروم والتي تفشل في القضاء على النجباء المصريين فتستعين بالراية المغربيَّة التي تفشل أيضاً ، فيكون الأمر للسفياني الذي يقترف أفعالاً فظيعة للقضاء على الراية المحمَّديَّة هناك .

وعليه : هدف دخول المغاربة إلى مصر محاولة تصفية قادة الثورة الإماميَّة ، هذه الثورة تعمُّ مصر عصر الظهور . هذه الراية المغربيَّة تدعم الروم والحكم المصري في وجه الثوَّار المصريين . سواء كان ذلك لتحالف أو لنصرة ، خشيةً من النجباء المصريين .

لا ندري التفاصيل حول ظهور راية النجباء ، لكنّ النصوص تتبطَّن قراءة واضحة حول تعاظم أمرهم ونفوذهم في المجتمع المصري ، بل والتفاف المصريين حولهم .. وباعتقادي أنَّ راية النجباء تستفيد مِن الزحف الخراساني الذي يتكلَّل بفتح بيت المقدس . ويبدو مِن بعض النصوص أنَّ الخراسانيين يكونون قد أنهوا فتحهم لبيت المقدس قبل الزحف المغربي إلى مصر .

لا نعرف التفاصيل عن التاريخ الدقيق لزحفهم نحو مصر ، لكنَّهم يكونون قريبين جدَّاً من زمن الأحداث المستفحلة خاصَّة بين تاريخي فتح بيت المقدس على يد الخراسانيين ، فإذا دخلوا مصر تبعهم قيام الإنقلاب السفياني ونشوب معاركه الدمويَّة مع الرايات . وعليه : إذا دخل المغاربة مصر خرج السفياني بثورته في بلاد الشام .

وتذكر بعضُ الروايات أنَّ قائد الدولة المغربيَّة اسمه « عبد الله بن عبد الرحمن » ، يُلَقِّب نفسه بأمير المؤمنين .

يحاول هذا الحاكم إخضاع الدول العربيَّة كلّها لنفوذه السياسي لسببٍ ما ، ربّما بسبب تحالفه مع الروم . ويرفع جيشه ألويةً صفراء . ويبدو واضحاً من طبيعة دورهِ ومجريات أمره أنه يكون على ارتباط مع الروم ، أي مع القوى الغربيَّة المسيحية ذات الوفرة النافذة في النظام العالمي آنذاك . وأصل مناصرتِه للسفياني لإخراج الخراسانيين من فلسطين[1] يعني أنّه متعاطف مع اليهود وحلفاءهم . فضلاً عن زجّ جيشهِ بحرب في وجه المصريين من أجل إنقاذ حملة الروم وحاكم مصر المخلوع التابع للروم .

واللافت أنَّ دولة المغاربة هي مِن الدُّول العربيَّة التي تشارك وتتضامن مع القوى المُحَارِبة للخراسانيين والتي تنهض مِن بلادها للإشتراك بالحرب في وجه الرايات السود .

على أنَّ القوى البارزة ذات المصلحة والنفوذ في هذه المنطقة ، خاصّة الروم المسيحيَّة الغربيَّة ذات الدعم البارز لليهود تُحرِّك كلَّ ما أمكنها من الأنظمة في هذه المنطقة للوقوف في وجه الخراسانيين الموطِّئين .

ومع ذلك يجتاح الخرساني كلَّ هذه الحشود ويحرِّر بيتَ المقدس ، برغم الفوضى والتحالفات الدوليَّة التي تثار في وجهه - رضوان الله عليه - وفي الرواية : [إذا أقبلت الراياتُ السود مِن المشرق ، والرايات الصفر مِن المغرب ، حتى يلتقوا في سرَّة الشام - يعني دمشق - فهنالك البلاء ، هنالك

---

[1] تحرير بيت المقدس هو أبرز أهداف دولة الموطئين للمهدي ﷺ . ويتحقّق ذلك على أيديهم . برغم الفوضى والتحالفات الدوليّة التي تثار في وجههم .

البلاء][1] . النص في وارد التأكيد على زحف الراية المغربية للوقوف في وجه الخراسانيين إلى جانب حلفاءِه أو مَن هم على خُطى ونهجٍ واحد أو لمصلحةٍ مشتركة لمنع الزحف الخراساني نحو بيت المقدس . وفي نصٍ آخر قال عليه السلام : [.. انَّ صاحب المغرب وبني مروان وقضاعة تجتمع على الرايات السود في بطن الشام][2] .

هذه الراوية تؤكِّد اجتماع ثلاثة رايات في وجه الخراسانيين المُوطِّئين للمهدي عليه السلام : راية المغاربة الصفراء الحليفة لدمشق ، وراية المروانيين الحُكَّام الفعليين آنذاك لسوريا قبل انقلاب السفياني . وراية القضاعيين الذين ينتظرون ويدعمون السفياني في انقلابِهِ ولعلَّ هؤلاءِ يقاتلون مع الرايتين الأُولَيين كمُحازبين أو ميليشيات أو حراس دعم أو قوى شعبيَّة وغير ذلك .

مع التأكيد على أنَّ قضاعة سيكون لها دور انقلابي على الحكَّام المروانيين في الوقت الذي يكون فيه الخراسانيُّون في بيت المقدس ، وذلك عبر مشاركتهم القتال مع السفياني للسيطرة على حكم دمشق . وقضاعة هي مِن قبائل عرب الجنوب الكبيرة ، وأشهر فروعها جهينة وكلب المناصرتان للسفياني . وفي قول المأمون العباسي : « وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه »[3] .

---

[1] (كنز العمال ١١/ حديث : ٣١٤٢٢) .

[2] (الفتن لإبن حماد /١٨٥) .

[3] وعن قضاعة جاءت إليك بعض الروايات : عن أبي وهب الكلاعي ، قال : ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله : [تفترق الناس والعرب في بربر على أربع رايات ، فتكون الغلبة لقضاعة وعليهم رجل من وُلد أبي سفيان ، قال الوليد : ثم يستقبل السفياني فيقاتل بني هاشم وكل من نازعه من الرايات الثلاث وغيرها فيظهر عليهم جميعا ، ثم يسير إلى الكوفة ويخرج بني هاشم إلى العراق ، ثم يرجع من الكوفة فيموت في أدنى

ومهما يكن من أمر فإنَّ هذه الرايات تجتمع في وجه الخراساني وتصمِّم على مقاتلتِهِ ومنعه من زحفه . ويقع صدام عنيف في معركةٍ طاحنة حتى يقول القائل : ها هنا كانت مدينة تُدعى دمشق . ومع ذلك يخترقهم الخراساني ثمَّ بعد ذلك يخوض معارك ضارية لتحرير بيت المقدس .

وتُعتبر معركة بطن الشام بين هذه الرايات من أعنف المعارك . وفي الرواية : [إذا أقبلت فتنة من المشرق ، وفتنة من المغرب ، فالتقوا ببطن الشام فبطن الأرض يومئذ خيرٌ من ظهرها][1] .

إشارة إلى فظاعة الصِّدام العسكري العنيف الذي يقع بين هذه الرايات المتحالفة من جهة ، وراية الخراسانيين التي تصرُّ على تحرير بيت المقدس من جهةٍ أخرى .. أمَّا الرايات السود المشرقيَّة المنادية بالولاء لآل محمَّد والداعية للمهدي عليه السلام ، فهي المعنية بالحديث النبوي : [إنها رايات هدى .. فمَن سمع بها فليأتها ولو حبواً على الثلج][2] .

وتكون « قوَّات المغاربة » أكثرها حقداً وضغينةً وعداءاً على الخراسانيين واشدها شراسة عليهم . ومع تلك المعركة الموصوفة يقع الجزع الأكبر والموت والأحمر . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام قال :

الشام ، ويستخلف رجلا آخر من ولد أبي سفيان ، تكون الغلبة له ، ويظهر على الناس وهو السفياني * ابن حماد : صـ ٧٨ ** وهن الوليد بن مسلم قال : ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : [إذا غلبت قضاعة وظهرت على المغرب ، فأتى صاحبهم بني العباس فيدخل ابن أختهم الكوفة مع من معه فيخربها ، ثم تصيبه بها قرحة ويخرج منها يريد الشام فيهلك بين العراق والشام ، ثم يولون عليهم رجلا من أهل بيته فهو الذي يفعل بالناس الافاعيل ، ويظهر أمره ، وهو السفياني ثم تجتمع العرب عليه بأرض الشام فيكون بينهم قتال حتى يتحول القتال إلى المدينة ، فتكون الملحمة ببقيع الغرقد] .

[1] (الفتن لإبن حماد ١٥٨) .

[2] م . س .

[.. فانظروا إلى أصحاب البراذين الشّهب المحذوفة ، والرايات الصفر تُقبل مِن المغرب حتى تحلّ بالشام ، وعند ذلك الجزع الأكبر والموت الأحمر .. فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي عليه السلام][1] . أي يكون هذا الأمر من العلامات المُلوِّحة بقرب بظهور المهدي عليه السلام ..

وما يلفت الإنتباه أنَّ الخراساني مع كلِّ هذه القوى التي تُواجِهُهُ يخترقها بشكلٍ قويٍّ ، ويتابع زحفه نحو بيت المقدس ، ويخوض أعتى المعارك حتى يفتحه . ما يؤكِّد الطابع القوي جداً للخراسانيين في العدَّة والعدد . بحيث تتضمَّن النصوص بنتائجها تأكيداً مطلقاً على أنّ الخراسانيين يكونون على نحوٍ ضخم من التسلُّح والطاقة الحربيَّة والتعبئة الجهاديّة .

يكفي فيهم أنَّهم لا يهمُّهم مَن خذلهم أو مَن ترك نصرتهم . ولا يملُّون مِن الحرب ، وعلى الله يتوكَّلون . من هنا فإنَّ النصوص أردفت تقول في حقّهم : والعاقبة للمتّقين .

وفوق هذا وذاك ، فهم - أي الخراسانيين - يملكون مِن أدوات الحرب ، سواء في الردع أو الفتح والصَّدم ما يرفعهم إلى مصافي قوى « صانعة التاريخ » في هذا الجزء الهائل والتاريخي من زمن الأحداث . وفي الرواية التي تشير إلى تعاظم أمرهم وثباتِهم وانتصاراتِهم وقوَّة طاقتهم الحربيَّة وتعبئتهم الجهاديّة يقول عليه السلام : [فلا يلقاهم أحدٌ إلا هزموه ، وغلبوا على ما في أيديهم ، حتى تقرب راياتُهم من بيت المقدس][2] .

---

[1] (عقد الدرر ٥٣) .

[2] م . س .

وفي رواية ثانية تشير إلى هذا الزحف الجبّار الموفّق بإذن الله تعالى يقول ﷺ : [فلا يردَّها شيئ حتى تنصب بإيلياء (بيت المقدس)][1] .
وفي لفظ ثالث قال ﷺ - وهو يصف قائد الخراسانيين الذي يقود جبهة الفتح - : [لو قاتل الجبال لهدّها واتّخذ منها طرقاً حتى ينزل بإيلياء (بيت المقدس)][2] .

واللافت أنَّ القوى العربيَّة تصرُّ على مقاتلة الخراسانيين حتى في الداخل الفلسطيني .! ما يعني أنّ القوى هذهِ تكون على نحوٍ لَيِّنٍ تابع بيد الروم الحليف الأكبر لليهود . هناك رواية تشير إلى استمرار القتال بين القوات العربيّة والقوات الخراسانيّة سبعة أشهر داخل فلسطين .!

وبمجموع أسباب أشرنا إليها فيما سبق تنتهي معركة فلسطين بأرجحيَّة القوات المتحالفة في وجه الخرساني ، منها القوّات العربيَّة ، وكلّها مدعومة من الروم . لكنَّ قسماً من الجيش الخراساني لا ينسحب من فلسطين ، ثم يقع الإختلاف بين الجيوش العربيَّة ، وعلى أثره يظهر السفياني في دمشق ، ويعلن ثورته ثمَّ يبسط نفوذه على بلاد الشام كلِّها إلا منطقة تواجد الأبدال عند أكناف بيت المقدس (لبنان) ، ويكون همّ السفياني - بعد ملك عرش دمشق - مقاتلة الخراسانيين وإخراخهم من فلسطين ، وفي الرواية : [إذا اختلف اصحاب الرايات السود فيما بينهم ، أتاهم أصحاب الرايات الصفر ، فيجتمعون في قنطرةٍ أهل مصر ، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعاً ، ثم تكون الدبرة على اهل المشرق ، حتى ينزلوا الرملة ، فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيئ ، [إختلاف] ،

---

[1] م . س .
[2] م . س .

فيغضب أهل المغرب فيقولون : إننا جئنا لننصركم ، ثم تفعلون ما تفعلون [بنا] .! واللهِ لَنُخَلِّينَّ بينكم وبين أهل المشرق فينهبونكم . لقلّة أهل الشام يومئذ في أعينهم . ثم يخرج السفياني ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهلَ المشرق][1] .

ظاهرُ النصِّ أنَّ قوىً مختلفةً تجتمع على الخراسانيين لإخراجهم مِن فلسطين التي يبدو أنَّ الخراسانيين يُحرِّرُون أرضٍ واسعة منها . لا ندري حجمها بالتفصيل لكنّها كبيرة ، فهم يقاتلون العرب المغاربة على قناة السويس « قنطرة أهل مصر » ، وهو الطريق الذي تسلكه قوات الراية المغربيَّة للدخول إلى فلسطين ، وتارة يقاتلون في عمق فلسطين في منطقة الرملة التي تقع شمال شرقي القدس . ما يعني أنَّ امتدادهم في فلسطين كبير ونافذ . ثمَّ مقاتلة القوات العربيَّة وحلفاءها لهم كلَّ هذه الأشهر دليل كبير على قوَّة الخراسانيين وتعاظم أمرهم وثباتهم الضخم .

ومعلوم أنَّ الخراسانيين يعيشون أزمةً حين تهاجم الترك أراضيهم في إيران بدعمٍ مِن الروم وبتحالفٍ من قوى النظام العالمي آنذاك لإضعافهم في فلسطين . كما يحدث أمر آخر هو انقلاب السفياني المدعوم من الروم بشكلٍ ضخم ، فينتصر على الرايات في دمشق ، ثم يُقدَّم له قدرات تسلُّحيَّة كبيرة ، يستعملها في السيطرة على الكور الخمس وقمع ثورة مصر وعلى حرب الخراسانيين في فلسطين .

واللافت أنّه يقع اختلاف بين الجيوش العربيَّة الشامية مع جيوش المغاربة الحليفة لها . يشير النص إلى كثرة المغاربة ونفوذهم ، وقلَّة أهل

---

[1] (الفتن لإبن حماد ١٧٢) .

الشام ، وإمكان تخلِّيهم عن نصرة الشامين أمام حشد القوات الخراسانيّة الكبير والضخم في فلسطين وغيرها . وتؤكِّد النصوص القدرة القتاليَّة للخراسانيين وتسلُّحهم المتفوِّق الكبير والنوعي جداً . وفي الرواية عن النبي ﷺ قال : [إذا وقعت الملاحم بعثَ اللهُ بعثاً من الموالي - أهل خراسان - هم أكرم [مِن] العرب فرساً وأجود سلاحاً ، يؤيِّدُ اللهُ بهم الدِّين][1] .

تأكيداً لقدرات الخراسانيين الهائلة وتفوّقهم بالسِّلاح والتقنيَّة والعدد . النص استعمل كلمة أجود سلاحاً .! كلُّ ذلك فضلاً عن التعبئة والإعتقاد . وفي لفظ آخر قال : [إذا وقعت الملاحم خرج بعثٌ مِن الموالي مِن دمشق ..][2] . إشارة إلى زحف الخراسانيين مروراً بدمشق نحو بيت المقدس .

ثم مع نجاح السفياني في انقلابِهِ على المرواني بدعمٍ من الروم ، ثمّ مهاجمة الترك لأرض إيران واحتلا جزء منها يبدأ الميزان العسكري بالإختلال في فلسطين ، ويقرِّر الخراسانيُّون الإنسحاب مِن فلسطين بعد مقاتلة عنيفة مع السفياني والقوى العربيَّة الأخرى ودعم هائل من الروم وحلفاء اليهود بما في ذلك الترك وغيرهم . ويعود الخراسانيُّون إلى أرضهم فيخوضون أعنف المعارك مع الترك . ومع أنَّ القوى الكبرى والقوى الإقليميّة تعمل جاهدةً لإسقاط حكمهم ، لكنَّ أهل خراسان يصمدون ويثبتون ويسطِّرون الملاحم التي تنتهي بخروج الترك فيما بعد . ثم تقع معركة قرقيسيا بين الترك والروم والسفياني ، تنتهي بقتلٍ ذريع بين هذه

---

[1] (سنن إبن ماجة ٢/ حديث ٤٠٩٠) .

[2] (مستدرك الصحيحين ٤/ ٥٤٨)

القـوى ، وتنتهـي الفتنـة الداخليَّـة فـي بـلاد خراسـان لصـالح الخراسـاني والسيّد الحسني الطالقاني ، وبعد ذلك يزحـف الخراسـانيُّون نحـو العـراق فيفتحونه .

اللافت جدَّاً أنَّ دولة خراسان رغـم تحـالف التـرك والـروم وقـوى وأنظمة عربيَّة مختلفة عليها بشكلٍ هائل تصمد وتثبـت بنحـوٍ غريـب .! بـل تتابع خطَّ فتوحاتِها . ثمَّ تعود إلى أرض خراسان وتخوض معركة ضارية . وتثبت ، وتظلُّ عنيدة جدَّاً في مبادئهـا السياسـيَّة الإعتقاديَّـة ، ثـمَّ تبـدأ مِـن جديد خـطَّ فتوحاتِهـا بشـكلٍ مـدهش . رغـم مـا اصـابها مـن جُهْـدٍ وبـلاءٍ وتضـحياتٍ عظام ..!

الدولة السفيانيّة في عصر الظهور :
(راية السفياني)

لهذه الدولة خطرٌ كبير . وهي ذات عقيدة دمويَّة وتوسُّع سريع . تكون عاصمتها دمشق . تسيطر على الكور الخمس لتشمل بلاد الشام كلّها ما عدا منطقة الأبدال في لبنان . تحكم سوريا - أي دمشق وحمص وحلب - وفلسطين والأردن . في حين متون الروايات أكَّدت عصمة الأبدال ومناعتهم وثباتهم وقدرتهم في وجه السفياني ومنعه مِن التقدُّم إلى أرضهم ، ما يعني أنَّ لبنان يبقى تحت سيطرة الأبدال ، عاصياً على السفياني وجيشه .. هذا الأمر تؤكِّده الروايات دون أي خلاف . يصل السفياني إلى الحكم في دمشق عبر انقلاب تدعمه الروم ، فيطيح بحكم المروانيين وينتصر على راية الأبقع والأصهب ، ويبدو أنَّ هناك مقاتِلة غير هذه الرايات ينتصر عليهم . ويحكم الكور الخمس من دمشق .

والسفياني صفةٌ لنسبِهِ . فهو من نسل أبي سفيان . وعليه : هو رجلٌ أمويُّ النَّسب ، سفياني الصلة . اختلفت الروايات في اسمه الأصغر ، ولعلَّ الإختلاف بهِ لسبب الكنية أو الوصف أو الإستعارة أو أمر آخر . أو لأنَّ إلقاء بطاقة التعريف المستقبلي تحتاج إلى هذه الإحاطة بخصوص هذا

الرجل .. كلٌّ هذه الإحتمالات ممكنة . لذلك قيل هو : حرب بن عنبسة[1] . وقيل : معاوية بن عتبة[2] . وقيل : عروة بن محمَّد السفياني[3] . وقيل : عتبة بن هند[4] . وقيل : عبد الله بن يزيد[5] . وقيل : عثمان وأبوه عيينة[6] . وقيل : عثمان بن عنبسة[7] . أمَّا أشهر أسماءه بين الناس فهو عثمان بن عنبسة . على أنَّ هذه الشهرة مصدرها لسان الناس لا في الروايات .

والسفياني رجلٌ حاقد ، لئيم ، سفّاح ، شديد العداء لأهل البيت ، لا يمتُّ للدِّين بصلة . يأتي مِن الروم متنصِّراً ، تدعمه الروم ، يخرج مِن الوادي اليابس بالأردن ، يأتي إلى دمشق ، يستغل فرصة الفوضى والأزمات وتعدُّد الرايات إلى ان يسيطر عبر انقلاب دموي هائل على عرش دمشق . وعن صفاتِه الخُلُقيَّة : هو رجلُ سفَّاك ، قتَّال ، شديد الإجرام ، مسرف في القتل والعدوان . متنصِّر ، أهم برنامجه قتل وإبادة أتباع أهل البيت عليهم السلام . يكون أوَّل أمرهِ مدعوماً من الروم ، هم الذين ينصِّبوه . ثم ينقلب عليهم بسبب الكنز الذي يُكتشف في منطقة الفرات .. أمَّا صفاتُهُ الجسديّة فهو : رجل مربوع القامة ، دقيق الوجه ، طويل الأنف ، أخوص العين ، مَن يراه يحسبه أعور ، جهوري الصوت ، بعينه اليمنى نكتة بيضاء ، ضخم الهامة ، بوجهه آثار جدري . وهو المشهوَّه الملعون الذي وصفه

---

[1] [عقد الدرر/٩٩]

[2] [عقد الدرر/٨٩] ،

[3] [التذكرة /٦١٠]

[4] [التذكرة / ٦١٠] ،

[5] [الفتن لابن حماد ١٦٥]

[6] [البحار ١٦٥/٥٢] ،

[7] [كمال الدين ٦٥١] ،

الإمام علي عليه السلام في رسالةٍ بعثها إلى معاوية بقوله : [إنَّ رجلاً مِن وُلدِك ، مشؤوم ملعون ، جلف جافٌ ، منكوس القلب ، فظّ غليظ ، قد نزع اللهُ من قلبه الرحمة والرأفة ، أخواله من كلب ، كأنِّي انظر إليه ولو شئتُ لسمّيتُهُ ووصفتُهُ][1] .

أوَّل خروجِهِ يستغل الخلافات التاريخيَّة فيتحدَّث عن أمجاد بني أميَّة ، وعن جدِّهِ أبي سفيان ومعاوية ويزيد بن معاوة وهذا الخطّ ..! ويدَّعي أنّه وريث هذا البيت وهذا العرش الدمشقي . تطلق عليه بعض الروايات صفة إبن آكلة الأكباد ، نسبةً إلى جدَّتِهِ هند زوجة أبي سفيان التي لاكَت كبد حمزة عمِّ النبي صلى الله عليه وآله بعد شهادتِهِ في معركة أُحد وأبدت من لؤمها وقتئذ ما أبدت .

يُجسِّد آخر الزمان فكراً دمويَّاً فظيعاً ، يغضبُ عليه أهلُ السماء والأرض . وتهتزُّ منه العروق لشدّةِ قتلِهِ وسفكه ، رغم أنَّ عمر حكومته تسعة أشهر . لكنّه مسرف بالدم والقتل والإبادة والإغتصاب وهتك الحُرُمات ونهب الثروات .

وإذا بسط نفوذه على بلاد الشام لم يستطع السيطرة على بلاد الأبدال الذين يكونون على هدي المهدي وينادون بإسمه ، ويبذلون المُهَج لأجل ذلك . وعلى ولاءٍ مطلق للسيِّد الخراساني .

وعليه : يمتد نفوذه إلى فلسطين والأردن وسوريا وولاياتها . في حين يبقى لبنان بيدِ الأبدال . وفي حديث الإمام علي عليه السلام : [.. فإذا كان

---

[1] [مصباح البلاغة ٢٣٦/ خطبة رقم ٢٢٦] .

ذلك ، خرجَ إبن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق][1] . وقتئذ يصبح الحاكمَ الدمشقيَّ الذي يحكمُ الكور الخمس بوقتٍ قصير جداً ويخوض في الدماء دون قيدٍ أو حلٍّ أو رادع .

لا تحدِّثنا النصوص عن تاريخ ولادته ، وأين ، وعن محلِّ سكنه وثقافته وطبيعة بيئته . لكنَّ مضامينها تشير إلى أنَّه يكون رجلاً مُسلماً في الأصل والظاهر . يأتي من الروم متنصِّراً . وهذا وصف له قيمتُهُ ودلالتُهُ .!

ثم تنقلنا إلى محطَّة تاريخيَّة تتعلَّق بالأحداث ، مفادها أنّه يأتي من الوادي اليابس ، أي في الأردن ، وهل ذلك موطنه الأصلي أم محطَّة انتقاليَّة .؟ كلا الأمرين ممكن . أو أنَّه معارض لحكم المرواني في سوريا وكان منفيَّاً أو هارباً ثمَّ عاد إلى الأردن ، ومنها تمَّ إعداد أمر انقلابه على المرواني عبر الروم والقوى العربيَّة الموالية للروم ..؟ أيضاً هذا الأمر ممكن . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : [.. فبينما هم كذلك إذا خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق][2] .

على أنَّ قيام أمرهِ وتسميته - في وقتٍ متأخِّرٍ عمَّا أشرتُ إليه - يكون في اجتماع . وهل هو اجتماع معارضة صافٍ من العرب ، أو اجتماع دولي مدعوم من الروم يريد أن يُعوِّم المعارضة الأمويَّة في دمشق التي من شأنها أن تقاتل الخراسانيين ، أو شكل من هذه الأشكال القريبة أو

---

[1] [كنز العمال ١١ / حديث ٣١٥٣٥ / عقد الدرر / ٨١] .

[2] [عقد الدرر ٥٣] .

البعيدة ..؟ كل هذا ممكن وله إشارات في المتون . وقد وصف الإمام علي عليه السلام جانباً مِن مخطَّط حركة السفياني فقال عليه السلام :

[.. فتجتمع رؤساء الشام وفلسطين فيقولون : اطلبوا مُلك الأوَّل . فيطلبونه - يعني السفياني - فيوافونَهُ في دمشق ، بموضع يُقال له « حرستا » ، فإذا أحسَّ بهم هرَبَ إلى أخوالِه « كلب » . وذلك ادّعاء منه . ويكون بالوادي اليابس عدَّة عديدة .. (..!) ، فما يبرح حتى يجتمع الناسُ إليه ، وتتلاحق به أهلُ الضغائن فيكون في خمسين ألفاً . ثم يبعث إلى قبائل كلب فيأتيه منهم مثل السيل][1] .

وتتَّفق الروايات على انَّ أكثريَّة واضحة من جيش السفياني تتألَّف مِن عشيرة كلب ذات الأصول النصرانيَّة . أو أنَّهم الأبرز وفي مركز القيادة وشبه ذلك . بالإضافة إلى جندٍ كثيرٍ يكون مِن العرب ينزلون تحت أمرتِه ويقاتلون تحت شعارات يبدو مِن متون الروايات أنَّ لها شيئاً من المذهبيَّة في أوَّل الأمر . مع أنَّ السفياني رجل يتنصَّر .! ويكون شديد التبعيَّة للروم .! بل اصل انقلابِه تدعمه اليوم وتقيمه له حتى يصل إلى عرش دمشق .! وفي رواية الشيخ الطوسي : [يقبل السفياني مِن بلاد الروم متنصِّراً ، في عنقه صليب ، وهو صاحب القوم][2] .

---

[1] [عقد الدرر ٩٩] .

[2] [الغيبة للطوسي ٢٧٨] . وفي نهاية مطاف حركة السفياني يبدو انّ التنصّر عنوان داعميه وشرط رئيسي ، ففي رواية عن الإمام الباق عليه السلام قال : « إذا قام القائم عليه السلام وبعث إلى بني أميّة بالشام هربوا إلى الروم ، فيقول لهم الروم لا ندخلكم حتى تتنصَّروا ، فيعلّقون في أعناقهم الصلبان ويدخلونهم ، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم ، طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم عليه السلام: لا نفعل ، حتى تدفعوا إلينا مَن هرب قِبَلَكم منّا ، قال : فيدفعونهم إليم » [البحار ٣٧٧/٥٢] .

أما هويَّة برنامجه القتالي بعد السيطرة على مساحة دولته فيبدأ بسحق ثورة الإماميين المصرين . وسحق راية حسنيَّة - ليست أبداً راية الأبدال . النصوص واضحة في ذلك - ثمَّ يشنّ حرباً عنيفة واسعة مع القوى العربيَّة الأخرى بدعم الروم وتحالفات أخرى على الخراسانيين في فلسطين حتى يخرجوا منها . وعليه : يعمل السفياني على سحق الثورة الإماميّة في مصر ، كما يحاول إبادة أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق خاصّةً . أيضاً يحاول إسقاط دولة الموطئين في خراسان ، كما يحاول القضاء على ثورة المهدي عليه السلام في مكَّة . ويتصادم مع الأبدال في بلاد الشام فيفشل عن إخضاعهم أو احتلال بلادهم . حيث يصمدون في وجههِ ويظلّون على هذه القوَّة والمنعة حتى ظهور المهدي عليه السلام .

غريب أمر السفياني .! بسرعةٍ هائلة ينتشر في هذه الأرض انتشار الهواء ، فهو يسيطرُ على الكور الخمس ، أي على الشام التاريخيَّة باستثناء منطقة الأبدال . ثمَّ يزحف نحو مصر التي يخوض فيها معركةً هائلة من الفظاعة وهتك الأعراض وسفك الدماء .! ثمَّ يزحف نحو فلسطين ، فيخوض حرباً ضارية مع أهل خراسان يساعدهُ في ذلك تحالف ضخم من العرب والروم وشبه ذلك حتى يَخْرُجَ الخرسانيُّون مِن فلسطين . ثمَّ يعطف نظرهُ نحو العراق فيخوض معارك شديدة ينتصر فيها على الترك والروم .! ثمَّ يعطف نظرهُ نحو أهل خراسان فيخوض معركةً جبَّارة في منطقة اصطخر الإيرانيَّة تنتهي بهزيمةٍ مدهشة لجيش السفياني . ومع ذلك يأمر جيشهُ بدخول الحجاز ، فيدخل المدينة ويخوض فيها بالدماء والقتل والتنكيل في وجه شيعة وأتباع آل محمَّد والهاشميين ، ثمَّ يأمر جيشهُ بالتوجُّه نحو مكَّة لقتل المهدي عليه السلام فيقع بهِ الخسف المشهور .

واضح مِن مخطَّط السفياني أنّه يريد إنهاء وجود أتباع آل محمَّد في هذه المنطقة ، من فلسطين إلى مصر ، إلى بلاد الشام ، إلى العراق ، إلى خراسان . إلى الحجاز . لكنَّ نهايته الساحقة تكون على يدِ أتباع آل محمَّد وجيش المهدي عليه السلام .

ويهمّني هنا أن أشير إلى أنَّ ثورة مصريّةً إماميّة تنهض في مصر بقوَّة ، فتجتاحها كلّها ، وهم نجباء مصر الممدوحون بلسان نصوصٍ كثيرة . الأخبار تتحدَّث عن ثائر مصري يدعو لآل محمَّد ، يخرج قبل السفياني . يريد أن يعيد الأمور إلى نصابها ، في حين يبدو أنَّ مصر تكون في مرحلة تبعيَّة قاسية للروم . النصوص واضحة في أنَّ الروم تعمل ما أمكنها وتتدخَّل عسكريَّاً للحفاظ على عرش الحاكم المصري المخلوع في وجه الثوار المصريين الإماميين الذين يدعون لآل محمّد .

أمَّا مِن حيث زمن خروج المصري ، فيبدو من بعض النصوص أنَّه قد يكون معاصراً لليماني أو قبله بقليل نسبيَّاً . وهذا يعني أنَّ الزمن شديد القرب من ظهور المهدي عليه السلام . وفي الرواية : [يخرج قبل السفياني مصريٌّ ويماني][1] .

يبدو مِن المتن وكأنَّ خروج المصري الإمامي قبل اليماني المشهور ، دون تحديد زمني لذلك . لا أدري النص في ذيله هل هو في مقام بيان التعاقب الزمني أم بيان أصل الخروج . على كلٍّ حال : خروجُ المصريٍّ يكون قريباً نسبيَّاً مِن خروج اليماني . وإلا انتفى أصلُ الإشارة والقرن بين الإثنين في ذيل النص .

---

[1] [البحار ٥٢/٢١٠] .

أمام هذا النجاح الكبير للثائر المصري الذي يلتفّ حوله المصريُّون تزحف الروم لمنع الثوّار من استلام الحكم . وتخوض معركة قاسية في الأسكندريَّة لمنع الثوار من تحقيق السيطرة السياسيَّة . وزيادة على نجدة الروم تزحف راية المغاربة لنصرة المصري المخلوع التابع للروم لتخوض معركة بوجه الثوار المصريين الإماميين . وعلى أثر دخول المغاربة يتمُّ انقلاب السفياني المدعوم من الروم في دمشق .

غريب النفوذ الرومي (الغربي المسيحي) في هذه المنطقة .! لا نتحدَّث عن شيئ إلا ونتحدَّث فيه عن الروم بالإجمال ..!

الأخبار صريحة في أنَّ الحكم المصري آنذاك يكون شديد التبعيَّة للروم . إلى درجة أنَّ الروم تخوض حرباً لمنع الثوار المصريين من استلام الحكم هناك . ففي رواية : [سيكون في مصر رجلٌ من قريش أخنس يلي سلطاناً ، ثم يُغلَب عليه أو يُنزَع منه ، فيفرُّ إلى الروم ، فيأتي الاسكندريَّة ، فيقاتل أهل الإسلام ، وذلك أوَّلُ الملاحم][1] .

واضح أنَّ الثوار يصلون إلى مرحل يكادون معها أن يستلموا الحكم في مصر . لكنَّ الروم تمنعهم من ذلك عبر حرب عبرت عنها النصوص بأولى الملاحم . لكنَّ الروم لا تقضي على الثورة المصريَّة . ويتمُّ ذلك على يد السفياني الطاغي في القتل والإبادة وسفك الدماء .

هناك طوائف تتحدَّث عن هذهِ المضامين تؤكّد هذا الطابع من قيام الثورة المصريَّة الإماميّة التي تبلغ مرحلة كبيرة من النصر والظفر وتعاظم

---

[1] [فيض القدير للمناوي ١٣١/٤] .

الأمر ، تطيح بطاغية مصر ، وتحاول إسقاط نظامه السياسي وتكاد تصل إلى قيادة الحكم لولا التدخُّل الرومي (الغرب المسيحي) .

وعليه : تذكر الروايات أنَّ طاغية مصر المخلوع يلجأ إلى الروم الجبابرة ، فيحتمي بهم ويستنجدهم لينصروه ويعيدوه إلى ممارسة دوره في قيادة الدولة المصريَّة على النحو التبعي الذي كان يُؤدِّيه لهم ، فتأتي الرومُ بجيشٍ يقاتل أهل الإسلام على سواحل الإسكندريّة ، وهذهِ أوَّل الملاحم الدامية كما في لسان الرواية ، وذلك في عصر الظهور .

لكنَّ هذه الجيش الرومي يبدو أنَّه لا يحقِّق هزيمة فاعلة للثوار بسبب صمودهم ومقاومتهم . عند ذلك تعمل الروم على تحريك انقلاب في دمشق ، ينجح فيأمرونه بدخول مصر بكلِّ قوَّتِهِ وعتاده . وفي رواية حذيفة بن اليمان - المتخصِّص بأخبار الملاحم والفتن - يقول : [إذا دخل السفياني أرضَ مصر ، أقام فيها أربعة أشهر ، يقتل ويسبي أهلها ، فيومئذ تقوم النائحات : باكية تبكي على استحلال فرجها ، وباكية تبكي على قتل أولادها ، وباكية تبكي على ذلِّها بعد عزِّها ، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها][1] .

ظاهر النصِّ يشيرُ إلى فظاعةٍ مذهلةٍ مِن قتل السفياني وإبادته وطغيانِهِ مع الرجل والمرأة والشيخ والطفل . ويدوم قتله وقتاله أربعة أشهر يقتل ويسبي أتباع آل محمَّد . وألفاظ النص مِن باكية تبكي فرجها ، وأخرى تبكي قتل أولادها ، وثالثة تبكي ذلَّها ، ورابعة تبكي شوقاً إلى قبورها ، تؤكِّد زلزال الدم الهائل الذي يفتحه السفياني عدوُّ الله وعدوُّ رسوله وأهل

---

[1] [الملاحم والفتن لإبن طاووس ٥٠] .

بيته . لا يمكن مع هذا المتن إلا تأكيد الدهشة من سفك الدماء وذبح الرجال في ظل إبادة اعنف بكثير مِن أوصاف جرائم حرب وجرائم ضدَّ الإنسانيّة . كلُّ ذلك في ظل دعم رومي مع الحلفاء الدوليين للقضاء على ثورة النجباء الإماميَّة ، التي تعمل على الإطاحة بالنظام التابع لروم الذي رَهَنَ البلادَ والعباد لمصالح الروم وحلفاءها ..

وفي رواية محمَّد بن الحنفيَّة - عمَّا يقترفه السفياني من جرائم مذهلة - يقول : [إذا ظهر السفياني على الأبقع ودخل مصر ، فعند ذلك خراب مصر][1] .

النصوص تشير إلى قتل وذبح وإبادة وخراب هائل يحيطُ بمصر جرَّاء دخول السفياني ، الذي لا يفرِّقُ بين رجلٍ وطفلٍ وامرأة . مجموع النصوص يُؤكِّد زلزالاً دمويَّاً هائلاً يقوم به السفياني في مصر . على أنَّ الخراساني ينتصر للمصريِّ الإمامي في وقتٍ آخر . وهذا يؤكِّد طابع الحروب العقائديَّة أو التحالفيَّة بشكلٍ عام . على أنَّ الترابط العقائدي بين الرايات الإمامية وراية الخراساني أمرٌ مطلق ونهائي . في حين لا ترابط عقائدي بين الأمم الكبرى الظالمة والأمم التابعة لها في هذه المنطقة مِن بلاد العرب وغيرها . بل مجرَّد توظيف مصلحي ودعم منفعي لغايات ذات ارتباط رئيسي لمنافع الأرض والثروة والموارد والمواقع الإستراتيجيَّة وشبهها تصرُّ الروم وقوى العالم على حكرتها وسط ذُلٍّ يضرب العرب والعالم الإسلامي بصورةٍ عامَّة . وتؤكِّد النصوص تشابك الأحداث ، والنموذج المعقَّد ، بل ثبات المبادرة بأوقاتٍ مختلفة بيدِ الخرسانيين . ففي

---

[1] [الفتن لإبن حماد ١٧٤] .

الرواية يقول ﷺ : [إذا ملك رجلٌ أهل الشام (السفياني) ، وآخر مصر (الإمامي) ، فاقتتل الشامي والمصري ، وسبى أهلُ الشام قبائل مِن مصر ، وأقبل رجلٌ من المشرق برايات سودٍ صغار ، قبل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدِّي الطاعة إلى المهدي ﷺ][1] .

هذه الرواية تُؤكِّد مرحلة شديدة التعقيد : السفياني ينهض بانقلاب عبر دعمٍ رومي ، فيتّجه نحو مصر للقضاء بكافّة أشكال الحرب الممكنة على ثورة المصري الإمامي ، كما يدفع بمجهوده الحربي وبشكلٍ تراكمي ضخم مع بعض القوى العربيَّة الأخرى بدعمٍ من الروم ، وبمساندةٍ من تحالف دولي كما يبدو مِن مجموع طوائف هذا الباب ليقاتل الخراسانيين في بيت فلسطين .

إلا أنَّ شيئاً مِن أطراف الحرب لا ينتهي ، ويكون الموعد في زمن لاحقٍ : معركة ضخمة بين الخرساني - الذي يؤدِّي الطاعةَ للمهدي ﷺ - والسفياني في دمشق . معركة فاصلة تعتبر من أضخم المعارك ، ينتصر فيها الخراساني على السفياني .

قيمة الرواية الواردة أعلاه أنَّها صريحة في بقاء الثائر المصري حيَّاً على رأس ثورته في مصر حتى ظهور السفياني ، وانَّ القوات الكبيرة مِن الروم وغيرها لا تستطيع القضاء عليه . فإذا ظهر السفياني وحكم دمشق جهَّز جيشاً ضخماً ودخل مصر فاتحاً بمجهودٍ حربي هائل وفظاعةٍ لا قوانين لها ، وذلك لسحق الثورة الإماميَّة المصريّة .

---

[1] [الحاوي للفتاوي ٦٨/٢ * الفتاوي الحديثيّة ٤٣] .

كلُّ هذه الأحداث تزدحم في عصر الظهور في وقت تكون الراية الخراسانيَّة الراية النافذة الوحيدة التي تقاتل النظام الدولي المتمثِّل بقوى شريرة مباشرة وأخرى تابعة في هذه المنطقة . وينتصر الخراساني للمصريِّ فيخوض معركة ضخمة بوجه السفياني في دمشق . تأكيداً لقدرة الخراسانيين اختراق الجغرافيا السياسيَّة وتطويعها ثم خوض معركة فاصلة مع السفياني . وفي الرواية : [.. وأقبل رجلٌ مِن المشرق برايات سُودٍ صغار ، قِبَل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدِّي الطاعة إلى المهدي عليه السلام][1] .

فأصحاب هذه الراية الموطّئون الخراسانيُّون هم الذين يخوضون معركةً ضارية وفاصلة في وجه السفياني .

لكن قبل هذه المعركة الفاصلة بين الخراساني والسفياني تكون هناك وقعات ومعارك ضارية . ويكون أكبر همِّ السفياني القضاء على المخزون الضخم مِن الشيعة في كلٍّ من بلاد خرسان والعراق .

ويظهر بوضوح مِن المتون أنَّ أكبر وجود أتباع أهل البيت عليهم السلام في عصر الظهور يكون في إيران والعراق . وحضور بارز جداً في لبنان – أكثريَّة حاكمة – يبدو مِن لحن طائفة مِن النصوص انّ شيعة لبنان يقودُون الإجتماع السياسي ويحكمون الدولة آنذاك . ويكون لقم والكوفة وضع ظاهر بارز وعظيم ، له قيمة عظيمة ذات بُعد عقائدي وعلمي ووظيفي وإنتاجي على مستوى القيادات ، واحتجاجي رفيع .

---

[1] [البحار ٥٢/٢١٥] .

وتؤكِّد طائفة مِن النصوص ثقل الوجود الشيعي في الكوفة وناحيتها ، كإشارة إلى تمركز الشيعة في هذه الناحية وتكوينها وحدة متلاحمة وفق المعنى العقائدي . وفي الخبر الوارد بمصادر الشيعة والسنّة أنَّ الكوفة تكون عاصمة دولة الإمام المهدي عليه السلام العالمية . وانّ أسعد الناس بثورة الإمام المهدي عليه السلام هم أهل الكوفة .

وكذا ورد في حقِّ أهل خراسان . ويكفي ما ورد أيضاً في أهل قم الذين يُشكِّلون عصب الراية الإماميَّة الضخمة التي تقودها دولة خراسان .

من هنا ، فإنَّ مراكز القوى الكبرى تعمل مباشرةً بأشكالٍ مختلفة وبالتعاون مع القوة الإقليميَّة للقضاء على هذهِ المخزونات الضخمة للشيعة في كلٍّ من إيران والعراق .

ويكون السفياني أداةً طيِّعةً وقوَّة جبّارة تعمل على تنفيذ مخطّطات الروم وحلفاءها .

فيخوض معركة هائلة مع الثائر المصري ، ومع الجيش الخراساني الموجود في فلسطين ، ثمَّ يهيِّئ جيشاً جرَّاراً فيبعثه إلى العراق ، ويكون أكبر همِّه في القضاء على أهل المشرق الخراسانيين والعراقيين من أتباع آل محمّد عليهم السلام . وفي الرواية : [ليس له همّة إلا أهل المشرق][1] . فما يدخل بقعةً مِن أرض العراق أو غيرها إلا قتل وأباد وفظَّع في التنكيل والتعذيب على المذهب .. أي يريد استئصال الشيعةِ أينما حلّوا . وفي الرواية المعتبرة عن

---

[1] [الفتن /١٧٦] .

الإمام الصادق ﷺ قال : [كأنّي بالسفياني قد طرح رحله في رحبتكم في الكوفة ، فنادي مناديه : مَن جاء برأس شيعة عليٍّ فله ألف درهم ، فيثبُ الجار على جاره ويقول هذا منهم ، فيضرب عنقه ، ويأخذ ألف درهم . أما إنَّ إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا ، وكأنّي أنظرُ إلى صاحب البرقع . قلت : ومَن صاحبُ البرقع ؟ فقال : رجلٌ منكم يقول بقولكم ، يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ، ولا تعرفونه ، فيغمز بكم رجلاً رجلا ، أما (إنه) لا يكون إلا ابن بغي][1] .

ويكون له فتحٌ واضحٌ في العراق ، يقتل ويفظّع فيه بأتباع آل محمّد ، وألفاظ النصِّ شديدة الدلالة على الإبادة والقتل على المذهب ..

ثم مِن هناك - من العراق - يشنُّ حرباً على أتباع أهل البيت ﷺ في إيران [بلاد خراسان] . ومِن العراق نفسها - كما يبدو من طائفة[2] - يبعث جيشاً جراراً إلى بلاد الحجاز لقتل أتباع أهل البيت ﷺ في المدينة والحجاز ، فيقوم بقتل أتباع أهل البيت ﷺ هناك قتلاً رهيباً ، لا فرق عنده بين ذكرٍ أو أنثى ، أو كبير أو صغير .

وفي نص آخر تعبير غني بالإشارة إلى ما يحصل بالمدينة على يد الجيش السفياني « بعدما يعركها عرك الاديم » : خراب وقتل وتعذب وتنكيل وإبادة .. وفي الرواية عن الإمام علي ﷺ قال : [يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله ، بعدما يعركها عرك الاديم ، يأمرهُ بالسير إلى الحجاز ،

---

[1] [البحار ٢١٥/٥٢] .

[2] بعض النصوص الأخرى ربّما يستفاد منها بعث الجيش إلى الحجاز من قبل الشام . نعم النصوص عموميّة وقابلة للجمع والترتيب .

فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش ، فيقتل منهم ومن الانصار أربع مائة رجل ، ويبقر البطون ويقتل الولدان . ويقتل أخوين من قريش ، رجل وأخته يقال لهما : محمد وفاطمة ، ويصلبهما على باب المسجد بالمدينة][1] .

وكما ترى : فظاعة كبيرة وخسارة فادحة تلحق بالشيعة في العراق على يد السفياني بعد تلك التي تلحق بالشيعة في مصر والخراسانيين في فلسطين . ومع ذلك يثبُتُون ويصبرون ويقدِّمون ألواناً مِن التضحية والثبات مذهلة ..!

ثمَّ يتَّجه جيشهُ نحو ارض خراسان ، وهناك تقع المعركة المشهورة التي يتناثر فيها جيش السفياني أشلاءاً أمام جيش الخراساني .

أمَّا في بلاد الشام ، أعني بذلك لبنان الذي يحتضن راية الأبدال وحركتهم العسكريَّة البارزة ، ذات القوَّة والمنعة والصبر والتضحية والصمود ، فإنّ السفياني يفشل في فتح هذه المنطقة مِن بلاد الشام ، ورغم الجهد الذي يُصيب ثورة الأبدال وحركتهم الفذّة ، إلا أنّهم يصمدون بشكلٍ عظيم ومدهش ، بل يُشكِّلون عقبةً رئيسيّةً في وجه تمدُّد السفياني . وفي الروايات المعتبرة انَّ السفياني يسيطر على بلاد الشام كلِّها إلا منطقة الأبدال من الشام . وفي صريح الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : [فينقاد له أهلُ الشام إلا طوائف من المقيمين على الحقِّ يعصمهم اللهُ مِن الخروج معه][2] .

---

[1] [الفتن لإبن حماد ١٩٩] .

[2] [البحار ٢٥٢/٥٢].

وذلك بما يملكون من قوّة صمود ، وعدّة سلاح ، وتعبئة جهاديَّة ، وعقيدة فذَّة ، وإخلاص كامل ، يدفعهم لمواجهة التمدُّد السفياني بصبرٍ وتضحيةٍ وأناة .

ومعلوم أنَّ الأبدال يكونون مشهورينَ بتحالفهم مع أهل خراسان ونازلين على ولاء السيِّد الخرساني . مع التأكيد على انَّ وصفَ الحقِّ يعني اتباعه . والموطِّئون للمهدي (عليه السلام) موصوفون بذلك ، ففي الرواية : [انهم دعاةُ حقٍّ يقومون بإذن الله فيدعون إلى دين الله][1] .

وعليه : الراية الواجبة الإتِّباع هي راية الحق ، العاملة به ، المنادية بمواثيقه وشروطه . وفي وصف الإمام الصادق (عليه السلام) لراية اليماني وضرورة اتّباعها قال (عليه السلام) : [لا يحلُّ لمسلم أن يلتوي عليه .. لأنّه يدعو إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم][2] .

ومعلوم أنَّ رايات الإماميَّة في عصر الظهور تكون على نهجٍ واضحٍ من الحق ، وعلى ولاءٍ تام لراية خراسان التي تُوطِّئ للمهدي سلطانه . فسلامٌ على خراسان وأهلها وقادتها وفقهاءها وعظماءها بهم نتولَّى ومِن أعداءهم نتبرَّى ..

نعم هناك رواية معتبرة تشير إلى وجود راية شيعيَّة تتزعَّم حركة منظَّمة نافذة يقودها سيِّد حسني من أحفاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ، فإذا خرج السفياني اصطدم بها فيسحقها . ويقضي عليها ، وهي المعنيَّة في

---

[1] [شرح نهج البلاغة ٤٨/٧] .

[2] [الغيبة للنعماني ٢٥٣] .

قول الإمام (عليه السلام) مع سدير : [يا سدير ، الزم بيتك ، واسكن ما سكن الليل والنهار ، فإذا [بلغك] أنَّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ، ولو على رجلك . قلت : جعلت فداك ، هل قبل ذلك شيئ ؟ قال (عليه السلام) : نعم ، وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال : ثلاث رايات ، راية حسنيَّة ، وراية أمويَّة ، وراية قيسيَّة ، فبينما هم على ذلك خرج السفياني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط][1] .

مع تأكيدي على أنَّ هذه الراية هي غير راية الأبدال ، راية الأبدال تصمد وتثبت ، بل تواجه السفياني بثباتٍ مانعٍ ، تمنعه من اختراق أرضها ومنطقتها . فيسيطر السفياني على الكور الخمس إلا منطقة الأبدال . النصوص صريحة في ذلك .

نعم لا نعرف الكثير عن هذه الراية الحسنيَّة ، لكنها قطعاً ليست راية الأبدال . ربَّما تكون راية في دمشق تدافع عن الشيعة أو تقف في وجه الظلم السفياني أو لأمرٍ آخر .

كما أنّنا لا نعرف موقعها التفصيلي من جغرافيا العالم الإسلامي ، وهي هي تكون في منطقة دمشق أو أطرافها ، أين .؟ وماذا عن حركتِها .؟ ومواقع نفوذها .؟ يبدو أنَّها تكون نافذة أو لها وجود واضح آنذاك ..

بالحقيقة لا يوجد بين أيدينا تفاصيل حول هذا الموضوع . لكن أكيد هي غير راية الأبدال الإماميّة التي تناهض اليهود ، وتظل نافذة ثابتة إلى زمن ظهور القائم المهدي (عليه السلام) ..

---

[1] [روضة الكافي ٢٦٤] .

المهم أنَّ السفياني يُعلن حرباً واسعة على الشيعة أينما حلّوا .. يدخل مصر فيوقع فيها جرائم مذهلة بحق الشيعة الإماميين . يخوض معركة قاسية مع أهل خرسان في أرض فلسطين متحالفاً مع قوى عربيّة أخرى بالإضافة إلى دعم حلفاءِهِ الروم وأتباعهم وإعلان الترك الحرب على بلاد خراسان . وفي الرواية : [يبايع السفياني أهل الشام ، فيقاتل أهل المشرق ، فيهزمهم من فلسطين][1] . كما يقصد العراق فيخوض بالدماء إلى حدٍّ مذهل ليقتل الشيعة والخراسانيين هناك . وفي الرواية : [ثم يرجع - أي السفياني - فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق][2] .

ويستمر السفياني في إعلان حربه الشعواء على الخراسانيين بعد إخراجهم من فلسطين إلى العراق ، حيث تجري بينهما أشهر الملاحم وأشدّها فتكاً .. ويصطدم معهم في معركة ضارية على ابواب مدينة « اصطخر » الإيرانيَّة . وفي رواية أبي رومان ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : [إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة ، بعث في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهلُ خراسان في طلب المهدي عليه السلام ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود ، على مقدّمَتِهِ شعيب بن صالح ، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب إصطخر ، فتكون بينهم ملحمة عظيمة ، فتظهر الرايات السود ، وتهرب خيلُ السفياني ، فعند ذلك يتمنَّى الناس المهدي ويطلبونه][3] .

هناك تقع الهزيمة العنيفة بالجيش السفياني ، يبدو من النصوص أنّها هزيمة ذات تمزّق هائل ، تدفع السفياني إلى الضغط باتجاهات مختلفة

---

[1] [الفتن لنعيم بن حماد ١٧٦] .

[2] [عقد الدرر ٥٢] .

[3] [كنز العمال ١٤/ حديث ٣٩٦٦٧] .

للتعويض عن هذه الهزيمة النكراء جداً التي تقع في جيشه أمام الخراسانيين .

والنصُّ صريحٌ هنا أنَّ خبر ظهور المهدي عليه السلام يبدأ بالإنتشار ، ويكون هذا ظهوره الخاص . فيطلبه السفياني بجيشٍ يبعثه إلى الحجاز . يبدأ أوَّلاً بالمدينة ، فيقتل فيها من وجد من الشيعة قتلاً فظيعاً . ثم يأمر جيشه بالمسير نحو مكّة ، وهناك يقع الخسف في البيداء . وتكون بداية أكبر التطوُّرات في جانب جبهة المهدي عليه السلام .

ومع هذا الإنتصار الخراساني الكبير على السفياني تبدأ رحلة الفتوحات الأكثر ضخامة للجيش الخراساني في ظلِّ الظهور الخاص الذي يتبعه بسرعة الظهور العام والإعلان السماوي عن ذلك . وهناك إشارات ضمنيَّة ربَّما ، إشارات غير كاملة في بعض الروايات تشير إلى دخول الجيش اليماني لمساندة الخراسانيين في هذه المعركة التي تقع في اصطخر . لكن الروايات غير كاملة في هذه الدلالة . ويبدو أنَّ الخراسانيين يخوضونها منفردين . مَن قال برجاحة هذا القول اعتمد على متون مثل : [أنَّى يخرج ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء][1] . ومنها الرواية التي تدعو إلى الإلتحاق بجيش اليماني عند بداية الفتنة بالشام حيث تقول : [إذا كانت فتنة المغرب [بالشام] فشد حبال نعالك إلى اليمن ، فإنّه لا يحرزكم منها أرض غيرها][2] . وكذا غيرها في هذا المعنى . إلا أنَّ المتون غير مطلقة بشكلٍ صريحٍ في تأكيد الحضور اليماني في تلك المعركة .

---

[1] [الحاوي للفتاوي ٦٩/٢] .

[2] [الفتن لابن حماد ١٤٤] .

نعم ظهور اليماني علامة شديدة القرب على ظهور المهدي عليه السلام . ويكون له سلطان قوّة ونجاح في المعارك . وفي المتن الوارد أعلاه ، أنّه خلال معارك الخرساني مع السفياني في منقطة اصطخر تلوح معالم الظهور الشريف . أي الظهور الخاص . « فعند ذلك يتمنَّى الناسُ المهديَّ عليه السلام ويطلبونه » . تأكيداً لحقيقة هذا الأمر . بعضهم شرح هذا التعبير على انَّ المهديَّ عليه السلام ينزل في جنوبي إيران فيطلبه الإيرانيُّون للبيعة . ومنها يدخل العراق . لكنَّه شرح غير كامل ، وإن كان ممكناً .

على أنَّ هلاك العباسي يكون بعد إخماد تمرُّد الإنقلابيين في أرض خراسان على السيِّد الخراساني . فيظهر اللهُ كنوزه في طالقان بقيادة السيِّد الحسني والقائد العسكري « شعيب بن صالح » الذين يبذلون كلّ طاقاتهم للدفاع عن السيّد الخراساني ومشروع دولة خراسان المنادية بأمر المهدي عليه السلام .

ثم ينحدر الجيشُ الخراساني نحو العراق بعد فترةٍ من الزمن على أعقاب هلاك العباسي في العراق ونشوب الصراع العباسي – العباسي السياسي العسكري على مُلك ووراثة الحكم ، وزحف السفياني نحو العراق للسيطرة على مقاليد الحكم هناك . هناك تقع المعارك بين الخراساني والسفياني ، والتي تتلاحق فوصولها وصولاً إلى معركة الفصل بين الفريقين في منطقة اصطخر التي يتناثر فيها جيش السفياني أشلاءاً .

ومع ظهور المهدي عليه السلام الظهور الخاص في المدينة المنوَّرة تتمُّ البيعة الأولى بينه عليه السلام وبين أصحابه ، بوقت يكون فيه الجيش السفياني مشغولاً في حربهِ العنيفة ضدَّ الخراسانيين .

عندها بالضبط تستنجد الدولة القرشيَّة الحجازيَّة بالسفياني ، في وقت تكون فيه دولة الحجاز هشّة ، مضطربة في قوّتها ، يبدو أنّها تكون في وضع انتكاسة . من يتصفّح النصوص يجد هذا الوصف دقيقاً . ومع بدء تصاعد خبر المهدي عليه السلام ، وأنَّه في المدينة تبعث الدولة الحجازيَّة للسفياني أن ينقذها أو أنَّه يبادر من نفسه فيبعث إليها جيشاً يدخل بلاد الحجاز بقوَّةٍ كاسحة ، مهمّتُهُ البحث عن المهدي عليه السلام وقتله مع أنصاره .

إلا انّه قبل دخول الجيش السفياني إلى المدينة يخرج المهدي عليه السلام مع اصحابه سرّاً ، متوجّهاً نحو مكّة . وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : [يبعث - أي السفياني - بجيشٍ إلى المدينة ، فيأخذون مَن قدروا عليه مِن آل محمَّد صلى الله عليه وآله ، ويقتل مِن بني هاشم رجال ونساء ، فعند ذلك يهرب المهدي عليه السلام والمبيض من المدينة إلى مكة ، فيبعث في طلبهما ، وقد لحقا بحرم الله وأمنه][1] .

على أنَّ معركة « اصطخر » تكون قد انتهت لصالح الخرساني الذي يقتل الجيش السفياني قتلاً ذريعاً ، إلى درجة أنَّ السفياني ينذهل من ذلك ، ويدفع بكلِّ قوَّتِه من أجل السيطرة على الحجاز ومنع أي تكوين لجبهة المهدي عليه السلام الذي يعلم السفياني أنّه قد ظهر في أرض الحجاز .

على أنَّ الشخص الآخر الذي يكون مع المهدي عليه السلام والوارد في النصِّ السابق ، والذي يبدو أنَّ له ميزةً خاصّة ، غير بعيد أنّه النَّفس الزكيَّة الذي - فيما بعد - يُقتل بين الركن والمقام ، أي قبل إعلان ثورة المهدي عليه السلام بخمسة عشر يوماً .

---

[1] [الحاوي للفتاوي ٢/٧٠ * كنز العمال ١٤/ حديث : ٣٩٦٦٨] .

ويبدو أنَّ السفياني يخشى – لسببٍ ما – من الإعلان عن هدف زحفِهِ نحو بلاد الحجاز . فيدَّعي أنّه يريد أن يقضي على حركة إنقلابيَّة في الحجاز ، يعلن ظاهراً أنّها تابعة للخراسانيين الذي قضوا بشكلٍ ضخم على قوَّة جيشهِ في منطقة اصطخر . وهناك نص تاريخي دقيق يشير إلى هذا التوجُّه ، ورد عن بعض الرواة التابعين وفيه : [يقود السفياني جيشاً إلى المدينة ، فيأمر بقتل كلِّ مَن كان فيها مِن بني هاشم حتى الحبالى ، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه مِن المشرق ، ويقول : – أي السفياني – ما هذا البلاء كلّه وقتل أصحابي إلا مِن قِبَلِهِم ، فيأمر بقتلهم حتى لا يعرف بالمدينة أحد [منهم] ، ويفترقون – أي الهاشميون وأتباع أهل البيت – منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكّة حتى نساؤهم ، ويضع جيشه السيف فيهم أيَّاماً ثم يكفّ عنهم ، ولا يظهر منهم إلا خائف ، حين يظهر أمر المهدي بمكّة ، فإذا ظهر اجتمع كلُّ من شذّ منهم إليه بمكّة][1] .

في حين يكون هدفُهُ الحقيقي اجتثاث نواة حركة المهدي عليه السلام مع أصحابِهِ وقتلهم حتى لا تقوم لهم قائمة في أرض الحجاز . ثمَّ إعادة الكرّة على الخراسانيين . وقد صرَّحت رواية إبن مسعود بالهدف الفعلي للسفياني من غاية دخول جيشه أرض الحجاز وماذا يريد في باطن الأمر ، فيقول : [يبعث – أي السفياني – جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكَّة والمدينة لمحاربة المهدي عليه السلام ومن تبعه . ثم يصف دخول جيشه فيقول : يدخلونها عنوةً ، ويسبون ما فيها من الأهل والولد][2] .

---

[1] [عقد الدرر ٦٦] ،

[2] [التذكرة ٢/٦١٠] .

إذن ، العنوان الأضخم هو اجتثاث المهدي وأصحابه من أرض الحجاز .. وينجح السفياني في تحقيق إبادة بأتباع أهل البيت عليهم السلام في المدينة ، إلا مَن هرب .. إلا أنّه لا ينجح في قتل المهدي وأصحابه ، عند ذلك يُجهِّزُ جيشهُ في المدينة ليتابع زحفه نحو مكّة ، فإذا وصل الجيش السفياني إلى البيداء أصابه خسفٌ مذهل في تلك المنطقة ، فلا ينجو إلا مبشِّر ومنذر . وفي رواية صحيح البخاري : [يغزو جيشٌ الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوّلهم وآخرهم][1] .

تقع كارثة ضخمة تبيد ذلك الجيش ، وتبدأ مرحلة جديدة مِن تحوُّلات الجبهات . وفي رواية صحيح مسلم : [سيعوذ بهذا البيت – يعني مكّة – قوم (هم المهدي وأصحابه) ، ليست لهم منعة ولا عدّة ، يبعث اليهم جيش (جيش السفياني) ، حتى إذا كانوا بالبيداء مِن الأرض خُسِف بهم][2] .

وبذلك يشهد السفياني أضخم مفصل تاريخي في الخسارة . ومعه تبدأ أولى حركة المهدي التي ستغيِّر وجه العالم وتقود كون الإنسان على نحوٍ مذهلٍ من مفهوم الوجوديّة الكبرى . على أنَّ دولة السفياني قصيرة الأجل ، وحكمه لا يدوم أكثر مِن حمل إمراة ، أي تسعة أشهر[3] . ما يعني سرعة الأحداث وتداخلها . وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام :

---

[1] [صحيح مسلم ٨٦/٣] .

[2] [صحيح مسلم ٢٢١٠/٤] .

[3] تشير الروايات أنّ حركة السفياني الضخمة تواجه خمسة عشر قوّة معارضة لمشروعها السياسي هي موزّعة بين أحزاب قوى ودول محليّة وعالميّة ، كلها تحارب مشروع السفياني حتى ينهار بعد ١٥ شهراً منها ٩ أشهر مدّة دولته . وهي كما يلي : . المرواني . الأصهب . الأبقع . الراية الحسنيّة في بلاد الشام . الراية المغربيّة . الراية العباسيّة . الراية المصريّة . الراية الروميّة التي ينقلب عليها فيما بعد . الراية التركيّة

[السفياني مِن المحتوم ، وخروجه مِن أوّله إلى آخره خمسة عشر شهراً ، ستّة أشهر يقاتل فيها ، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزدد عليها يوماً][1] . وحين يظهر المهدي عليه السلام يكون السفياني مسيطراً على بلاد الشام كلّها إلا منطقة أبدال الشام الموالين للإمام المهدي عليه السلام والمناهضين لليهود .

وتزداد الصيحةُ بطلبِ المهدي عليه السلام ، فيزحف جيشه عليه السلام إلى السفياني ، فيخشى السفياني منه فيعلن طاعته للمهدي عليه السلام بعد الخسف ثم يتراجع بعد ذلك . وفي الرواية عن محمد بن علي قال : [إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفا فيهم الابدال حتى ينزلوا إيليا ، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا : لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الارض إنَّ هذا لعبرة وبصيرة ويؤدي إليه السفياني الطاعة ، ثم يخرج حتى يلقى كلبا وهم أخواله فيعيِّرونه بما صنع ويقولون : كساك اللهُ قميصاً فخلعته ، فيقول : ما ترون أستقيله البيعة ؟ فيقولون : نعم . فيأتيه إلى إيليا فيقول : أقلني ، فيقول : إني غير فاعل ، فيقول : بلى ، فيقول له أتحب أن أقيلك فيقول : نعم ، فيقيله ، ثم يقول : هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا . ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب][2] . فيتوجَّه المهدي عليه السلام بجيوشه نحو بلاد الشام ، وهي مكوَّنة من ثلاثة ألوية : لواء يتقدَّمُه هو عليه السلام ، وموقعه القلب ، وآخر يتقدَّمه اليماني

التي ينقلب عليها ايضاً . راية الأبدال في بلاد الشام . شيعة الحجاز . الراية الخراسانيّة . الراية اليمانيّة . وتكون هزيمتُه الأضخم على يد الإمام المهدي وجيوشه .

[1] [البحار ٢٤٨/٥٢] .

[2] [الفتن لنعيم بن حماد ٢١٥] ،

وموقعه من اليمين ، وثالثٌ يتقدّمه الخراساني وموقعه من اليسار . وتنتهي المعركة بقتل السفياني وتحرير بلاد الشام . وفي الرواية عن الإمام علي عليه السلام قال :

[ويعمل – السفياني – عمل الجبابرة الأولى ، فيغضب الله من السماء لكلِّ عمله فيبعث عليه فتىً مِن قبل المشرق ، يدعو إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، هم اصحاب الرايات السود المستضعفون ، فيعزّهم الله وينزل عليهم النصر ، فلا يقاتلهم أحدٌ إلا هزموه ، ويسير الجيش القحطاني ، حتى يستخرجوا الخليفة وهو خائف فيسير معه تسعة آلاف من الملائكة معه راية النصر ، وفتى اليمن ، حتى ينزلوا دمشق ، فيفتحونها أسرع من التِماع البرق ، ويهدمون سورها ، ثم تبنى وتعمر ، ويساعدهم عليها رجلٌ من بني هاشم اسمه اسم نبي فيفتحونها من الباب الشرقي ، قبل أن يمضي من اليوم الثاني أربع ساعات ، فيدخلها سبعون الف سيف مسلول بأيدي أصحاب الرايات السود شعارهم : أمت أمت ، أكثر قتلاهم فيما يلي المشرق][1] .

ويبدو أن صداماً عنيفاً يقع بين الخرسانيين والسفيانيين يكثر فيه القتل بجيش السفياني إلى أن يتناثر أشلاءاً ..

ويكون في تلك المعركة الحضور الأعظم للمهدي عليه السلام ، وعلى الجانب الآخر حضور الخرساني ، واليماني بالجيش الذي تعبِّر عنه الرواية بالجيش القحطاني . ويبرز في تلك المعركة حضور القائد العسكري الإيراني شعيب بن صالح . أمَّا الخليفة فهو المهدي عليه السلام . كما انَّ الرجل

---

[1] [كنز العمال ١٤ حديث : ٣٩٦٨٠] .

المسمَّى باسم نبي فهو السيِّد الحسني نصير الخرساني الذي يكون في فتح دمشق .

وفي قوله « أكثر قتلاهم فيما يلي المشرق » : تعريف بأهل الرايات السود الذين يُقدِّمون أكثر شهداءهم على جبهة عبادان والبصرة . ويتابعون تضحياتِهم في فتح دمشق والمنطقة التي ما زال يسيطر عليها السفياني .. فإذا انتهت جبهة السيفاني تمَّت السيطرة على العمق والآفاق في منطقة الشام والحجاز والعراق والنواحي الأخرى الواسعة ..

وبدأت الروم تعيش مرحلةً متأخِّرة من الحضور في هذه المنطقة بالإضافة إلى وضعيَّة الترك المتأزِّمة . وبذلك يحتلُّ حضور المهدي عليه السلام عنواناً بارزاً في ميزان جبهات أهل الدنيا آنذاك ..

ومن موقعه ذاك يدعو الأمم إلى الله ورسالة السماء ، وينشر البيّنات ومعالم الهدى فمَن آمن دخل الرحمة الكبرى . ومن بغى فقد خاب ..

واللافت أنَّ قوىً متنوِّعةً تعمل على تحريك قواها لاجتثاث دولة المهدي عليه السلام وإضعاف جبهتِه ومنعه من الحضور الجديد .

إلا انَّ جبهة المهدي عليه السلام تبدأ المرحلة الثانية من قتل اباطرة الفساد ، واجتثاث حُكَّام الضلال ، وتطهير العالم من معالم العداوة والظلمِ والإستبداد ..

وتكون المرحلة الثانية شديدة الحضور في معالم الكون السياسي .

العالم يدرك أكثر أنَّ أمر المهدي (عليه السلام) سماويّ ، وأنّه حريٌّ بالإنتباه ، بعض الشعوب أو الطوائف تعلن ولاءها للمهدي (عليه السلام) . البعض الآخر يتمترس وراء القوى السياسيّة العسكريّة التي تعلن حربها على المهدي (عليه السلام) ، فيبذل ما أمكنه لإلغاء جبهة المهدي (عليه السلام) .. لكنَّ الأمور تأتي معكوسة . حيث تتعملق جبهة المهدي (عليه السلام) ، فتهزم القوى المختلفة .

.. تنتهي الروم بملحمةٍ هائلة ، ثمَّ تتبعها هزيمة ضخمة للدجَّال ، ثمَّ خروج اليأجوجيين الذين يُبَادون بشكلٍ فظيع حيث يُرسلُ الله عليهم النغف (دود) يبيدهم عن بكرة أبيهم ..

وبذلك تبدأ أولى معالم الأرض الجديدة .. معالم دولة الرب العظيم التي يقودها المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ..

ويبدو من ظاهر النصوص أن طوائف مِن الشعوب تعلن ولاءها للمهدي ، ويشرب الناسُ حبّه ، ويبدو أمر المهدي سماوياً ربانيَّاً مُؤيَّداً من الله ، تشهد له البيِّنات المعجزات ، ويكفي فيه نداءُ السماء بظهوره الشريف ، فضلاً عمَّا يتبعه من معجزاتٍ بعد ذلك ..

خاتمة :

مَن يقرأ المتون الواردة في وصف آخر الزمان يدهشه ما يقرأ ، إنّها النبوءة التي اعتُصِرت من عين الحقيقة ، مِن لوح السماء ، مِن الغيب النازل وحياً .

.. وهناك البلاء الأعظم ، حيث الفسقُ ينتشر ، والكفر يسيطر ، والمسلمون ينجرُّون للفجَّار والكفَّار ، فيتزيَّنون بزيّهم ، ويمتثلون دعايتهم ، ويتلبَّسون قيمهم ومظهرهم ، فلا يخجل أن يركب الرجلُ إبنته ، ولا تخشى المرأةُ أن تخرجَ عاريةً مبتذلةً ، تجد رزقها في فرجها ، تهتزّ منها السماء وهي ضاحكة ساخرة ..!

هناك يقلُّ الديَّانون ، وتخطفُ الدنيا أكثرَ ناسها ، ويعودُ الدِّينُ غريباً كما بدأ ، هناك يحكم الفاسقُ ، ويُوَزَّرُ الفاجر ، ويملك الكافر ، وتنتشر الخبائث ، فلا ترى مُنكراً أو رافضاً ، يموت المؤمن حسرات ، وقد أعجبني تلخيص موضوعي للمتون الروائيَّة حول آخر الزمان والملاحم والفتن وأشباهها ، في معجم الشيخ الكوراني أوردته بشيءٍ من التصرُّف ، وفيه :

في آخر الزمن تكون الروم أشد الناس على المسلمين : وان الساعة تقوم والروم أكثر الناس . وأن المسلمين سيتَّبعون سُنَن الروم والفرس .

وأنه سيحدث اختلاف بين الروم والترك قرب ظهور المهدي ﷺ وتكثر الحروب في الارض . وتنزل قوات الروم في فلسطين وقرب دمشق . ويمنع الروم أهل الشام القفيز والمد . وأنَّ الاسلام سيأرز إلى مكة والمدينة وتشتعل نار العرب بأعرابها حتى يقاتلوا الروم ،

وانّ المهدي ﷺ يخوض أعنف حرب ضدَّ الروم في الملحمة الكبرى . وأن هذه الملحمة الموعودة تكون بعد ملحمة المسلمين مع الترك . وأن الروم يتحالفون مع الترك ضد المسلمين ، وأن المهدي ﷺ يُبعَثُ بقتال الروم ، ويستخرج التوراة والانجيل من غار بأنطاكية ويحاجّهم بهما ، وأنه يبعث إلى هناك جيشا فيه عشرة اشخاص لاستخراجهما ،

وأنَّ المهدي ﷺ يعقد هدنة مدَّتُهَا سبع سنوات مع الروم ، ولكنهم يعودون فيغدرون ، وينزلون ما بين صور إلى عكا ، وأن ذلك يكون بعد هزيمة السفياني على يد المهدي ، وأن المسيح ﷺ يحتج على الروم واليهود ، منهم نصارى الروم والصين ، وتقع الملحمة الكبرى بين الروم والمهدي ﷺ فيهزمهم ، ويتوجَّه بجيشه إلى بلادهم ويفتح روميه وما وراءها ،

وأنَّ المهدي ﷺ يستخرج حلي بيت المقدس وغيرها من الكنوز والمواريث ومنها مائدة سليمان ويردها إلى بيت المقدس . وأن المسلمين يتوجهون إلى بلاد الروم من عكا ،

وعن اليهود ذكرت بعض الاحاديث انه ستأتي على المسلمين فتنة يتخبَّطون فيها في الظُّلَم كما تاهَ اليهود ، وأنهم سيتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما فعل اليهود ، فيسلط عليهم شرارهم ، وأنَّ المسلمين

إذا سلَّموا أمرهم إلى الله تعالى عجَّل لهم في ظهور المهدي ﷺ كما عجَّل في بعثة موسى ﷺ بسبب تسليم المؤمنين من بني اسرائيل ،

وأنَّ اليهود سيُقَاتِلون المسلمين فيهزمهُم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله ، وأن ذلك يكون في عصر المهدي ﷺ عند نزول عيسى ﷺ وخروج الدجال ، وأن المهديَّ ﷺ يستخرج اسفار التوراة لليهود من جبال الشام فيحاجهم بها فيسلم جماعة كثيرة ، ويستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية ويوضع بين يديه في بيت ، وأن الدجال يكون معه سحرة اليهود ، ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس ،

أمّا الترك فهم مِن الأمم التي تعلن حربها على المسلمين من قبل ، كما تُعلنُ حربها على المهدي ﷺ ، ويبدو أنّهم من دول تقع في شرق أوروبا وآسيا ، وقد يكونون غير ذلك ، وأنّهم يختلفون مع الروم قبل ظهور المهدي ﷺ ، وتكثر الحروب في الارض ،

وأنَّ مِن علامات ظهور المهدي ﷺ أن ينساب الترك على المسلمين ، وينزلوا الجزيرة ومعهم شعوب الخزر ، ويجتمعون مع الروم قبل خروج السفياني ، ويقاتلهم السفياني ثم يقاتلهم المهدي ﷺ ، وأنَّ ملاحم المهدي بعد إتمام الوضع الداخلي تكون مع الترك ، وأنه يفتح جبال الديلم ويقضي على الترك .

أمَّا الخراسانيون الايرانيون ، فقد اخبرَ النبيُّ المسلمين بأنهم سيفتحون بعدهُ بلادَ فارس ، وسيدخل أهلها في الاسلام ، وسينال هؤلاء الفرس العلم والدِّين حتى لو كان في الثريا ، وأنّ هؤلاءِ سيضربون العربَ

على التأويل كما ضربهم العربُ مِن قبل على التنزيل ، وأنَّ الطوائف التي تبقى على الحق هي في بعض أنحاء كور الشام ، وأكناف بيت المقدس وبلاد الطالقان وأهل خراسان ، ويكون فيهم أنصار للمهدي عليه السلام ، وأنه يخرج قومٌ من أهل المشرق (أهل خراسان) يوطِّئون للمهدي عليه السلام سلطانه ، وهم أصحاب الرايات السود ، يكون قائدهم الخراساني مِن ذرية الحسين عليه السلام ، وأنهم يطلبون حقّاً ما ، فلا يعطونه من قبل جماعة في المجتمع الدولي ، فيقاتلون لتحصيل هذا الحق ، ولا يتراجعوا حتى يدفعوا الراية إلى المهدي عليه السلام ،

ويكون قائد قوّات الخراساني شاباً قوياً ، شديد التقوى والتضحية ، أصفر الوجه ، خفيف شعر اللحية ، يُقال له شعيب بن صالح ، يتحرَّك نحو القدس ، حتى ينصب راياتِهِ بإيلياء ، ويدخل العراق لمحاربة السفياني ، ويبعث من هناك بالبيعة للمهدي عليه السلام وهو في مكة ، ثمَّ يكون القائد العام على مقدمة جيش المهدي عليه السلام ،

وتذكر رواية أنَّ خروج الخراساني وشعيب يكون قبل المهدي عليه السلام باثنين وسبعين شهراً ، ورواية أخرى تذكر أنَّ قوات الخراسانيين تكون في العراق ، فيهزمها السفياني ويدخل بلادهم فيرون أنَّ الحرب طالت عليهم ، فيُولُّون الخراساني عليهم ويدعون إلى المهدي ، وتقع معركة ضارية بينهم وبين السفياني في منطقة اصطخر يُمزِّقون فيها جيش السفياني تمزيقاً ، ورواية أخرى أنَّ الدعوة إلى المهدي تكون بعد المعركة الموعودة على كنز الفرات ، وتكون الرايات السود جزءاً بارزاً من قوات الامام المهدي عليه السلام في زحفه إلى القدس ، ويشير بعضها إلى أنهم يكونون في الشام عند خروج السفياني ، فيقاتلهم حتى يردهم إلى العراق ، وأنَّ الترك ينزلون آذربيجان

والجزيرة عندما يقاتل الخراسانيون السفياني في العراق ، وأن المهدي عليه السلام يظهر عند خراب الزوراء وهي الري (في بعض المتون) والمزورة وهي بغداد ، وعند حرب بين بني العباس وفتيان أرمينية وآذربيجان ، فتكون معه الرايات السود ،

ويمدح بعضها أهل قم ، وأن انتصارهم يكون إذا ظهر الماء على وجه الارض ، وتذكر رواية خروج رجل من ذرية جعفر بن أبي طالب يسلم الراية إلى المهدي عليه السلام ، وأن المهدي عليه السلام يملك جبال الديلم ، وأن قوماً مِن قزوين يقاتلون الدجال ، وأن الجفاء بالمشرق ، وقد يكون المقصود به مشرق الحجاز أو نجد كما تصرح بعض الروايات الواردة في احاديث الحجاز وأن العجم (وهو إسم لكلِّ ما ليس بعربي) يمنعون عن العراق القفيز والدرهم ،

وعن بلاد الشام وحركة السفياني ؟ تذكر بعض الاحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر المسلمين بأنهم سيفتحون الشام ، وأن من أهل الشام طائفة تبقى ثابتة على الحق ، تنادي بالمهدي عليه السلام ، وأنه تحدث في بلاد الشام فتنة تفرِّق أهلها وتضعفهم ، وتستمر حتى يظهر المهدي عليه السلام بعض الروايات تسمّيها فتنة السفياني ،

وتدخل الشام قوات مغربية ، وتكون فيها قوات من أهل المشرق أيضاً ، وتقع زلزلة في دمشق وحرستا ، ويقع صراع على السلطة بين ثلاثة فئات بقيادة شخص أبقع الوجه (الابقع) وآخر اصفر (الاصهب) والسفياني ، فيغلب السفياني ويسيطر على الشام ، وفي بعض المتون أنَّ السفياني يحارب سبع رايات في الشام ،

والسفياني الموعود يخرج قرب ظهور المهدي عليه السلام ، وهو من ذرية أبي سفيان ، وهو أعور ، شديد الصفرة ، دقيق الساعدين والساقين ، يتظاهر أوّل الأمر بالتدين ثم ينقلب عليه ، ويظهر من الجحود والفسق والفجور والفساد والطغيان ما يُظهر ، يخرج من أندرا أو من الوادي اليابس (الأردن) أو من بيسان أو من فلسطين أو من البرية برايات حمر ، ويكون عند الروم فيأتي متنصِّراً ، ثم تدعمه الروم في انقلابِهِ ، فيهزم حاكم دمشق ، ويقتل مخالفيه ، وينشرهم بالمناشير ويطبخهم بالقدور ستة أشهر ، ويبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ويغلي الاطفال في المراجل ، ويقتل العلماء والزهَّاد فيشتكي مَن بقي منهم إلى المهدي عليه السلام ، ويتسابق هو والمهدي عليه السلام ، فيسيطر كلٌّ منهما على ما يليه ،

وانّه في آخر فتنة بلاد الشام ينحسر الفراتُ عن جزيرة من ذهب أو كنز من ذهب والأصح : مال جوفي عظيم عند قرقيسيا ، فتقاتل عليه فئات عديدة يُقتل تسعة أعشارهم ، ثم لا يكون الكنز لأحد منهم ، وتذكر رواية أنَّ معركة قرقيسيا تكون عند نزول الروم فلسطين والترك الجزيرة ،

ويغزو السفياني العراق فيُخرِّب جيشُه بغداد ، وبابل والكوفة ، ويسيطر على العراق أو على قسمٍ وفيرٍ منه ، ويقاتل جيش أهل المشرق بقيادة شعيب ، وأن شعيباً يهزم جيش السفياني ، ويرسل السفياني جيشاً آخر إلى الحجاز فيحتل المدينة المنورة ويهتك حرمتها ويستبيحها ، فيهرب منها أهلها في الصيف ، ويجتمع الفارون منه إلى المهدي في مكة ، ويتوجه جيش السفياني بعد المدينة إلى مكة فيخسف الله بهم البيداء وهم جيش الخسف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله ، وتذكر رواية انَّ السفياني يُقاتل الترك والروم بقرقيسيا ، وتذكر روايات خروج سفياني أوّل وسفياني ثان وهو

الموعـود ، ويحكـم السـفياني مـدة حمـل امـرأة أو نحـو ذلـك ، ويجيـئ المهدي عليه السلام من الحجاز حتى يسيطر على دمشـق ، ويبايعـه السـفياني ثـم ينكث بيعته ، فيقاتل المهديَّ عليه السلام فيقتله المهديُّ في القدس أو في الشام ، أو عند بحيرة طبريّة ،

ويستخرج المهديُّ عليه السلام أسفار التوراة والانجيل مـن جبـال الشـام ويدعو إليها اليهود ، ويسـتخرج التـوراة وعصـا موسـى ومائـدة سـليمان وتابوت السـكينة مـن انطاكيـة ، وتكـون المعركـة الكبـرى الموعـودة بـين المهدي عليه السلام والروم على أثر قتل السفياني ، فينزلون ما بين عكـا وصـور ، ويكون أبدال الشام في لبنان أنصار المهديِّ عليه السلام ،

ويحاصر الدجَّالُ المسلمين بالشام ، على أثر مدَّة من هزيمة الـروم وفتح عاصمتهم الغربيّة المسيحيّة ، وينزل عيسى عليه السلام شرقي دمشق . إلـى أن ينتهي الأمر بقتل الدجَّال وتمزيق جيشهِ بشكلٍ هائل .

وعن فلسطين ؟ فقـد وردت أحاديـث فـي فضـل المسـجد الاقصـى وبيت المقدس ، وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله أخبر المسلمين بفتحها ، وأنـه يـأتي زمـان يكون فيه خيار عباد الله ، حيث المهدي ينزل القدس ، وزمان تكـون بسـطة قوس من أرض بيت المقدس خير من الدنيا ، وكـذا نـابلس ، وورد التأكيـد على الرباط في عسقلان ، ولا تزال طائفة ثابتة على الحق في بيـت المقـدس ومـا حولـه ، وانّ الـدجَّال يحـاول فـتح بيـت المقـدس فيفشـل ، ويكـون المهدي عليه السلام في القدس ، وأنَّ بيـت المقـدس يعمـر قبـل تخريـب السـفياني يثرب ، وأنَّ المهدي عليه السلام ينزل في بيت المقدس ويبنيه بنـاء لـم يُـبنَ مثلـه ، ويكون حرسه اثنا عشر ألفاً أو ستة وثلاثين ألفاً ، ويَرُدُّ حلي بيت المقـدس ،

وكنوزه إليه من ايطاليا وفيها بعض ذخائر الانبياء ، ويستخرج المهديُّ عليه السلام تابوتَ السكينة من بحيرة طبرية ويوضع أمامه في بيت المقدس فيسلم على يده جماعات من اليهود ، ويرسل جيشاً إلى الهند فيفتحها قرب خروج الدجال ، وينزل عيسى على المهدي عليه السلام ببيت المقدس عند الفجر ، ويكون المسلمون عند نزوله يقاتلون الدجال بإمامة المهدي عليه السلام .

وبخصوص الحجاز ؟ فمِن علامة ظهور المهدي عليه السلام عمود من نار يظهر من قبل المشرق في شهر رمضان . وانَّ الإيمان يأرز في آخر الزمان إلى مكة والمدينة ، ويقتل أهل الحجاز النَّفس الزكيَّة وهو مِن أنصار المهدي عليه السلام ، ويدخل جيش السفياني المدينة ويهتك حرمتها ويستبيحها ، ويقتل بني هاشم فيهجرها أهلها ، ويحدث صراع دموي بين قبائل الحجاز على السلطة في ظل انقسام هائل ، ويستمر ذلك حتى يكون النداء من السماء باسم المهدي عليه السلام ..

ويقصد جيش السفياني مكة المكرمة للقضاء على حركة المهدي عليه السلام فيخسف به بين المدينة ومكة ، كما وعد النبي صلى الله عليه وآله بذلك ، ويتوجه المهدي عليه السلام من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق ، ويشارك أهل المدينة المنورة – زمن دولة المهدي عليه السلام – مع المهدي عليه السلام في ملحمته الموعودة مع الروم ، ويقاتل قومٌ منهم الدجال ، وتعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً خاصة ما بين العراق ومكة ، وهناك رواية تشير إلى امتناع النبي صلى الله عليه وآله ان يدعو بالبركة لنجد لانها يطلع منها قرن الشيطان .

وعن اليمن ؟ فمنها اليماني ، وقد وردت عدة أحاديث في مدح أهل اليمن ، وأن من الابدال عصائب بساحل اليمن ، وأن نجران من القرى

المباركة المحفوظة ، وأن اليماني يكون من أنصار المهدي (عليه السلام) ويقاتل السفياني ، وفي رواية أنَّ للمهدي (عليه السلام) نسباً في اليمن ، بمعنى أنّه سيكون له نسب فيها ، وأنه يتردَّد إلى قرية يقال لها كرعة أو كريمة ، يبدو انّه يتردَّد إليها زمن الظهور الخاص ، والظاهر أنَّ اليماني الذي يظهر في سنة ظهور المهدي (عليه السلام) يكون مقربا جداً لدى المهدي (عليه السلام) . وأن قوماً من اليمن يقاتلون الدجال ،

وعن العراق : يظهر المهديُّ (عليه السلام) بعد أن يُقتل حاكم العراق ، ويحكم شخص مربوع القامة كث اللحية أسود الشعر ، ويملك الكفار الفراتين ، وتخسف الزوراء والمزورة وهما الري وبغداد كما في تفسير متنِ رواية ، ويكون هلاكها على يد السفياني ، ويدخل جيش السفياني الزوراء (بغداد) وبابل والكوفة والغريين ، ويفعل الافاعيل الشنيعة ، فيقاومه جيش العصب من سواد الكوفة ومن البصرة ، وتأتي الرايات السود فتقاتله ، ويقاتل السفياني أهل المشرق أوَّلَ خروجه حتى يردهم إلى العراق ، ويدخل جيش المغرب الحيرة أو الجزيرة عند خروج السفياني ، ويكون في البصرة خسف وقذف ورجف ومسخ ، ويبعث شهداء من مسجد العشار فيها كشهداء بدر وأحد . ويجف الفرات ،

ويكون النجباءُ المصريُّون والأبدال الشاميُّون ، والعصائب العراقيُّون مِن أنصار المهدي (عليه السلام) ، ويكون أسعد الناس به أهل الكوفة ، ويجتمع كل مؤمن بالكوفة ، وتعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ،

وعن مصر : فقد ورد انَّ المهدي (عليه السلام) لا يظهر حتى يسيطر الكفار على نيل مصر ، ويكون من أنصاره النجباء من مصر ، ويحكم مصر رجل

أخنس ، فيُغلب على مُلكه ، فيفر ، ويأتي بالروم إلى مصر وذلك أول الملاحم ، ويخرج أهلُ المغرب إلى مصر قرب خروج السفياني ، ويخرج قبل ذلك مَن يدعو لآل محمد ، ويكون أهل المغرب بالشام فيخرج السفياني ويردهم إلى مصر ، ويأتي أنصار للأبقع من مصر فيغلبه السفياني ، وعندما ينقضُ الروم الهدنة مع المهدي عليه السلام ينزلون على رملة أفريقية . وعن العرب : يملك المهدي عليه السلام العرب ، ويهتدون به . أي ما بقي منهم من جرَّاء الفتن والحروب . يملك عتيق العرب وعتيق الروم فتبدأ الملاحم ،

ومن اقتراب الساعة هلاك العرب ، وفي الفتنة الاخيرة قبل فتنة الدجال لا يبقى بيتٌ مِن العرب الا دخلته ، وفي المتون : ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب ، وكذا : الاجنحةُ وما الاجنحة ، الويلُ الطويل في الاجنحة .

وفي المتون النبويّة : ستعبد قبائل من أمتي الاوثان قبل الساعة ، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، ولا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ،

والمهدي عليه السلام مِن وُلد رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، مِن عليٍّ وفاطمة ، هو الإمام الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، لونُ المهدي عليه السلام لون عربي وجسمه جسم اسرائيلي . شبيه محمَّد صلى الله عليه وآله وشبيه موسى بن عمران : ، وأيضاً ورد انّه أشبه الناس بعيسى خلقاً وخُلُقاً وسمتاً وهيبة ، اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي ، كأنه رجل من بني اسرائيل ،

مقامه عند الله عظيم ، بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله ، يُصلِّي عيسى عليه السلام مؤتمَّاً به ، وينزل عيسى عليه السلام من السماء لنصرته ، ويكون وزيره الايمن ، ويحتج به على نصارى الروم والصين ، تشتاق إليه الجنة ، وهو طاووس أهل

الجنة ، وأحد سبعة سادة أهل الجنة ، عليه جلابيب النور تتوقد مِن شعاع القدس ، على رأسه غمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله فاتَّبِعُوه ، وينادي منادٍ باسمه من السماء : الا انَّ أميركم فلان (أي المهدي عليه السلام) ، تكون الملائكة بين يديه ، ويمدّه الله بملائكته ، ويكون جبرائيل على مقدمة جيشه وميكائيل على ساقته ، مكتوب في رايته : البيعة لله ، واسمعوا وأطيعوا . ورایاته بيض وصفر مرقوم فيها اسم الله الاعظم ، ومكتوب على راحتيه : بايعوه . وفي الأثر النبوي : مَن أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، ومَن تبعه نجا ومن تخلَّف عنه هلك ،

يُصلي عليه أهلُ السماء والارض وطير السماء ، وهو أمرٌ مِن أمر الله ، وسرٌّ من سرِّ الله عزوجل ، يختم اللهُ به الدِّين كما فتحه بالنبي صلى الله عليه وآله ، خُلُقُه خُلُق النبي صلى الله عليه وآله ، لم تلبسه الفتن ولم يلبسها ، لا يضع لنفسه حجراً على حجر ، ولا يقرع أحداً بسوط الا في حد ، جواد بالمال ، أعطى الناس ، يكون عطاؤُه هنيئاً ، ولا يأخذ شيئاً أعطاه ، يفيض المال فيضاً ، يحثو المال حثياً ولا يعدّه عدّاً . يملأ الارض قسطا وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً ، يرد المظالم حتى لو كانت تحت ضرس انسان انتزعه ،

يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بإنجيلهم ، وبين اهل القرآن بقرآنهم ، شديد على العمَّال (الحكّام) ، جواد بالمال ، رحيم بالمساكين ، يلغي الاقطاعات ، ينادي منادٍ مِن السماء بانقطاع مدَّة الجبارين والمنافقين وأشياعهم ، يلقي اللهُ محبته في صدور الناس ، يبلغ مِن عدله ان يتمنَّى الاحياءُ الأموات ، ويتمنَّى الصغيرُ الكبير والكبيرُ الصغير ، يفرح به ويرضى عنه ساكنُ السماء والارض والطير في الهواء والحيتان في البحار ، يُصلِحُ اللهُ به أمرَ الامة ويرفع اختلافها ، ويؤلِّف بين قلوبها ، تأوي إليه أمَّتُه

كما تأوي النحلُ إلى يعسوبها ، يكون الناس على مثل أمرهم الاول ، خلافته على منهاج النبوة ، يقفو أثرَ النبيِّ ﷺ لا يخطئ ، سنَّتُهُ سنَّةُ النبي ، يقيم الناس على ملة النبي وشريعته ، ينفي عن الدِّين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين والمضلِّين ، يمحو اللهُ به البِدَع كلها ، ويفتح به باب كلِّ حق ، ويغلق به باب كلِّ باطل ، يعيد الاسلام من غربته ، يظهر اللهُ به الإسلام ويُعزُّه ، عندها يلقي الاسلامُ بجرانه ، ويبدِّل اللهُ به الارض غير الارض ، تخرج الارض له كنوزها ويستخرجها ، يجمع كنوز الارض فتكون كالجبل العظيم ويدعو الناس إليها فيجيئ القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيئ القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ،

يقسم المال بالسويَّة صحاحاً ، تنعم الامة في زمنه نعمةً لم ينعموها قط ، ينزِّل اللهُ البركة من السماء ويُخرِجُها من الارض ، يملأ اللهُ قلوب امته غنىً ويسعهم عدله ، تكثر في زمنه النِّعم والأرزاقُ ، ويرتع الاسد مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات ،

أصحابه الخاصُّون عددُ أهل بدر ، منهم الابدال من أهل الشام ، والنجباء من مصر ، وعصائب العراق ، وعصائب أهل المشرق ، من أصحابه نصير أهل اليمن ، كذا من أصحابه حاكم في افريقية يؤدِّي إليه الطاعة ويقاتل عنه ، وحاكم من ذرية جعفر بن أبي طالب ، وسبعة علماء من آفاق شتَّى ، وأصحابُ الكهف ، والعمد في زوايا الارض ، والاخيار سيَّاحون في الارض ، والفارُّون من السفياني من بني هاشم ، وحاكم بلاد المشرق ، وشعيب بن صالح ، ومِن أصحابه النَّفس الزكيَّة التي تُقتل قبل أيَّام مِن ظهوره العام عليه السلام ، وهو رسولُ المهدي إلى أهل مكّة ، يظهر عليه السلام بعد جاهليةٍ وفتنة تطول وتدخل كل بيت وتصك كلَّ مسلم ، واشتعال نار

العرب بأعرابها ، وبعد وقعة المدينة في آخر الزمان بعد غيبة ، يظهر ﷺ بغتة ، بعد طلوع نجم أحمر ، يقبل كالشهاب الثاقب ويطلع مثل قرن الشمس ، يصلح الله أمره في ليلة ، يخرج من المدينة حتى يأتي مكة ، يُبايَعُ عند الكعبة بين الركن والمقام : يُجاء إليه ويبايع سلماً ، فيصلِّي بعد بيعته ويخطب ، يخرج من مكة في اثني عشر إلى خمسة عشر الفاً في تسع رايات ، ويغلب على الحجاز وما يليه ، يجيئ من الحجاز حتى يستولي على دمشق ، ينزل بيت المقدس وحرسه اثنا عشر ألفاً أو ستة وثلاثون ألفاً ، ويبني بيت المقدس بناء لم يُبنَ مثله ، ويستخرج كنزه من رومه ويعيده إليه ، ينزل الكوفة ويجتمع فيها كل مؤمن .

أصحابه رهبان بالليل أُسدُ بالنهار ، شعارهم : أمت أمت ، يقاتل على سنَّة النبي كما قاتل ﷺ على الوحي والقرآن ، ينصره الله بالرعب ، يقتل أميرَ مكة ، ويقاتل سبع رايات في الشام ، ويهزم السفياني ويقتله ، يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفا ، يظهر على كل جبَّار وابن جبار ، يُطهِّر الارضَ من أباطرة الجور والفساد ، تطول ملاحمه عشرين سنة ، يُعزُّ اللهُ به الدِّين وأهله ويذل الشرك وأهله ، أول لواء يعقده يبعثه لقتال الترك ، يستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية ويستخرج التوراة والانجيل ويحاج بها اليهود والنصارى ، ويبعث المهديُّ ﷺ بقتال الروم ، يعقد أولاً مع الروم صلحاً وهدنة تدوم سنين ، ثم ينقضونها ويغزون المنطقة ، ترسي سفن الروم من صور إلى عكا فتبدأ الملاحم ، ويساعدهم نصارى الشرق ، تكون له حرب مع الروم برملة افريقية قبيل الملحمة العظمى ،

تكون الملحمة العظمى مع الروم ومعهم اليهود والترك ، تغزو جيوشهم المنطقة في ثمانين غاية تحت كل غاية عشرة آلاف أو اثنا عشر

الفاً ، يقتل في الملحمة الكبرى سبعون أميراً مِن المسلمين يبلغ نورهم السماء ، بعد هزيمة الروم في الملحمة العظمى يتوجَّه المهديُّ عليه السلام إلى بلادهم ويفتحها ، ويقتل منهم ٦٠٠ ألفاً ، ويفتح مدائن الشرك ،

يفتح بلاد الروم ومدينة روما ومدينة قاطع البحر ، يفتح القسطنطينية وجبال الديلم ، يملك العرب ، يملك الارض مشارقها ومغاربها ، فلا يبقى الا مَن يقول : لا اله الا الله ، يقتل الدجال ، ويعينه عليه عيسى ، يمكث عليه السلام ما شاء الله ، يملك أربعين سنة ، بأيَّامٍ غير أيَّامِنا وزمانٍ مختلفٍ عن زماننا ، وفي متن : يكون له خلفٌ مِن أهل بيته ، وفي نصوص أخرى يملك مدَّة اهل الكهف ،

الاوضاع العامة قبل ظهور المهدي عليه السلام : تكون أعظم من الجاهلية الأولى ، تحدث على الامة الاسلامية جاهلية أشر من الجاهلية الاولى ، يعود الاسلام غريباً كما بدأ ، تحدث فيها فتن عديدة تتواصل حتى ظهور المهدي عليه السلام ، وتكون الفتنة الاخيرة التي يظهر على اثرها طويلة تدخل كل بيت ، وتُستَحَلُّ فيها الدماء والاموال والفروج ، وكل المحارم ، ويكون الجو العام المسيطر جو الكفر والتبعية العمياء للزعماء المختلفين ، ولا يهدأ منها جانب إلا جاش جانب حتى يظهر المهدي عليه السلام ، وتكون أمور كريهة شديدة عظيمة ، وفي غيبته تضلُّ الامم عن اديانها ، وفي سنة ظهوره يزداد اختلاف الناس بعد رمضان ،

وتغزو الامم الاجنبية بلاد المسلمين ، تتداعى الامم على بلاد المسلمين طمعاً في ثرواتهم ، ويعطّل المسلمون الجهادَ في آخر الزمان ، مع ان الحرب لا تضع أوزارها حتى ينزل عيسى بن مريم ، ويملك الكفار قبل

ظهور المهدي (عليه السلام) الانهار الخمسة : سيحون وجيحون والفراتين والنيل ، ويؤتى بشيئ مِن المشرق وشيئ مِن المغرب يحكمون الامة ، ويستخدم المشركون المسلمينَ ويبيعونهم في الامصار ويبأس الناس من الفرج ، ويقاتل اليهودُ المسلمين ، ثم ينتصر المسلمون عليهم زمن الخراساني ثم على زمن المهدي (عليه السلام) ، وتتزايد اهمية بيت المقدس وأرضه ،

تمتلئ الارض مِن الفساد قبل ظهور المهدي (عليه السلام) : ظلماً وجوراً وعدواناً ، ويكون ذلك بسبب الصراع والإفتراس العالمي ، بما في ذلك الصراع الداخلي في الامة أيضاً ، يخرج قبل ظهوره (عليه السلام) اصحاب الرايات السود من المشرق يُمهِّدون له ويدفعون إليه رايتهم ،

ينساب الترك على بلاد المسلمين ، يجتمع الروم والترك ، ويخرج اهل المغرب (الغرب) إلى مصر ، واول الملاحم دخول الروم الاسكندرية ، وتختلف الروم والترك ، وينزل الترك الجزيرة والفرات والحيرة ، وينزل الروم فلسطين ودمشق . تدوم فتنة بلاد الشام حتى يظهر المهدي (عليه السلام) ، (ولعل المقصود بها فتنة اقامة دولة لليهود) ، أو هي أوسع من ذلك ،

وعن الثورات القريبة قبل ظهوره : يخرج الاصهب في بلاد الجزيرة ، والجرهمي في الشام ، والقحطاني من اليمن ، ثم السفياني في الشام ، ويحدث فراغ سياسي وصراع القبائل في الحجاز ، ويظهر كنز في الفرات ، في مجراه أو عنده قرقيسيا قرب دير الزور السورية ، ويكون عليه معركة ،

ويقع اختلاف وزلازل ، يكثر في سنة ظهوره (عليه السلام) الاختلاف بين الناس والزلازل ، حكَّام الامة الإسلاميَّة - بصورة عامّة - قبل ظهوره

يتصفون بأنهم حكام جبابرة أو أئمة مُضلُّون . في المتون : انهم أخطر على الامة من الفقر والاعداء الخارجيين ، أخطر مِن الدجَّال ، هم سبب انحطاط الامة وانحرافها ، وانهم يكونون بعد مرحلة النبوة والخلافة والملك العضوض ، ومنهم مَن يسفك دماء عترة النبي ﷺ ،

هؤلاء الظَّلَمَة سفهاء كذابون ، خبثاء ، شرار الامة ، يسوُمُون المسلمين سوء العذاب ، الامراء منهم كذَبَة ، والوزراء فَجَرَة ، والامناء خونة ، يكثرون من الحرس والحُجَّاب ، يُحكِّمُون في شأنِ الجماعةِ الجواري والصبيان . وجوههم وجوه آدميين وقلوبهم قلوب شياطين ، اعمالهم خليطة ممَّا يعرف المسلمون وما ينكرون ، يقولون ما لا يفعلون ، وأدنى ما يجب اتجاههم جهادهم بالقلب ،

هؤلاءِ يُفسدون الارضَ والامة ، يسلبون حرية الناس ويستعبدونهم ، يسفكون الدماء ، يأخذون الاموال بغير حق ، يجبرون المسلمين على اتِّباع الآثام والحرام ، يقضون بين المسلمين بالباطل ، ويحكمون لطبقتهم بغير ما يحكمون به للمسلمين ، مَن أطاعهم فتنوه عن دينه ، ومَن عصاهم قتلوه . يشترون دينَ الناس بالدرهم والدينار والمنافع والآثام ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، أو يبرءُ منهم فيُمسي كافراً ويصبحُ مؤمناً ، يغرُون الناسَ بما يعطونهم كما يغري الدجال ، ولا يعطون أحداً شيئا إلا رشوة على دينه ، مَن يجاهدهم فله مثل أجر أوَّل الامة ، يعمُّ ظلمهم وفتنتهم قبل ظهور المهدي عليه السلام حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه مِن ظلمهم ، ينادي منادٍ من السماء بظهور المهدي عليه السلام ونهاية حكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم . هؤلاء الفَجَرة ينقضون عرى الاسلام عروةً عروة ، يعيشون في ضلالٍ كضلال اليهود ، يستحلُّون الفروج والخمور والحرير

ويُشيعون الفساد والطغيان ، لا يُبقون حرمةً لله تعالى الا استحلّوها ، تتناقض أقواهم مع افعالهم ، فليسوا بأئمة ولا تجب طاعتهم ،

أمَّا الاسلام ؟ فيُنقض عروةً عروة ، ابتداء من قيادة الامة وانتهاء بأداء الصلاة ، ولا يبقى مِن الاسلام إلا إسمه ، ويعود الاسلام والايمان غريباً كما بدأ ، حتى لا يُقَال : الله ، أي يُهجر حكمُ الله ، ويُعزلُ على يد الحكام الجبابرة .

أمَّا القرآن ؟ فيفترق السلطانُ عن القرآن ، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه ، والسُنَّة تُعطَّل ، وتشيع البدعة ، وتزخرف المساجد والمنابر (والمنائر) ، ويتكاثر علماء السوء قبل ظهوره في آخر الزمان ، يحتالون على طلب الدنيا بالدِّين ، ويظهر علماء منافقون ، وقرَّاء مداهنون ، سمتهم حسن ولا ورع لهم ، وعبَّاد جهَّال ، يقرءُون القرآن ويتفقَّهون لغير الله تعالى ، ويقل أئمة الجماعة ، أولئك شرّ فقهاء تحت ظل السماء ، وأصل الفتنة يكمن في تأييدهم حكام الجور ،

أمّا المسلمون الثابتون قبل ظهوره عليه السلام ، فمقامهم عند الله رفيع ، طوبى للغرباء إذا فسدَ الناس ، تبكي ميتهم الملائكة ويُفسَحُ له في قبره ، ومؤمنو آخر الزمان أعظم يقيناً ، فقد آمنوا بسوادٍ على بياض ، ولهم أجر مثل أول الامة ، ومَن قاوم حُكَّام الجور منهم فهو شهيد ، للمتمسك بدينه أجر خمسين شهيداً ، ومَن لم يَعِن الحكَّام الظلمة فهو من رسول الله صلى الله عليه وآله ،

الثابتون على الحق والجهاد حتى يظهر المهدي لهم الصفة الكبرى ، ويوم ينزل المسيح عليه السلام يكون المؤمنون بقيادة المهدي عليه السلام في بيت المقدس وحوله ، وحول انطاكية ، وحول دمشق ، وحول الطالقان

وخراسان . هؤلاءِ المؤمنون يثبتون على الدِّين حتى يقوم مِن جديد ، كلَّما ذهبت منهم فئة أو حزب نشأت اخرى ، وهم الغرباء يجمعون إلى عيسى عليه السلام ، ويقاتلون الدجال ، يستضعفهم الحُكَّام الجبابرة ، هؤلاء خير الناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويجاهدون حُكَّام الجور بالقلب واللسان واليد ، فيقوم الجبابرة بتخويفهم وتشريدهم وتقتيلهم ، تراهم وَجِلين مِن الحكام ، خائفين مرعوبين مرهوبين ، يكون المؤمن مستضعفاً ، يتشبَّث بما بقى مِن عرى الاسلام ، يكون كالقابض على الجمر أو الشوك ، يُمتحَنُ ويُمحَّص في غيبة المهدي عليه السلام ، ولكنه يحييه اللهُ بالعلم والثبات ، ثم انَّ الله تعالى يبعث مَن يجدد الاسلام كل مئة سنة ،

يُضِلُّ حُكَّامُ الجور الامَّةَ ويفتنونها ، يسومونها سوء العذاب ، يعمُّ ظلم الحكَّام السفهاء ، ويزداد جورهم قبل ظهور المهدي عليه السلام حتى لا يجد الرجل ملجأ مِن الظلم ، يحدثون بينها اختلافات طويلة أخطر من العدو ومن الفقر ، فتصير الامة اثنين وسبعين فرقة ، ويبقى الاختلاف حتى يصلحه المهدي عليه السلام فيؤلف بين قلوبِ الامة ، وتعم في الامة حالة التبعية المحرّمة للزعامات الضالّة ، وكل من يدعو إلى راية ضلالة يجد له أتباعاً ، ويكون في الامة عشرات الكذابين قبل الاعور الدجال ، يبيع الرجلُ دينه ما بين عشية وضحاها ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، أو يتوب فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً ،

آنذاك يكون عدو المسلمين كثير ، والمسلمون بالغالب أذلّة ، لا يهابهم عدوُّهم على رغم كثرتهم ، قد أذَّلهم حبُّ الحياة وكراهية الموت وترك الدِّين . قبل ظهور المهدي عليه السلام يستخدم المشركون أبناء المسلمين ويبيعونهم ويبأس الناسُ من الفرج ، وتلتحق قبائل وناس من الامة

بالمشركين وأهل الاوثان ، ويكون الدِّين والمتدين غريباً في ناسه ومجتمعه ، يكون الجو الحاكم على الامة جو الفسق والكفر ، تبتعد الامة كثيراً عن الاسلام ، يغلب على مجتمعها الفساد ، تجاهر بمخالفة عقائد الاسلام حتى الايمانُ بالله تعالى ، يكون المال صنماً يُعبد ، يعبد العرب الاصنام ، ويكون المؤمنُ مستضعفاً والفاسقُ مشرفاً ، ويسود الفساق والاراذل ، ويُكرَمُ الرجلُ إتِّقاءَ شرِّه ، وتعمر المساجد في حين القلوب خراب من الهدى ، تدخل الامة في جاهلية اشر من الجاهلية الاولى ، تضيع في الفتنه كضياع اليهود في الظلمات ،

في آخر الزمان تُقطع الارحام ويُساءُ الجوار ، وتستباح الفواحش ، وتضعف العقائد ، وتختلُّ الروابط ، يخالطون أهل المنكرات ولا ينهونهم ، تتنافر قلوبهم لتركهم النهي عن المنكر ، يُرفع العلم ويكثر الجهل ويُشربُ الخمرُ ويظهر الزنا ، وتضيع الصلوات ، وتتبع الشهوات ، ويُعَظَّم اصحابُ المال ، وتتظاهر الفتن ، وتُفقد الرحمة .

قبيل ظهور المهدي عليه السلام يكون اختلاف كثير بين المسلمين وقتال ، تُبتَلَى الامَّة بحكام الجور وبالقحط بسبب معاصيها ، تحرم المطر في اوانه ، ينتشر الربا ويصيب الجميع غباره ، ويكون الناس ضعافاً أمام الحاجة لحكام الجور ، ومنهم من يترك جهادهم بيده وبلسانه وبقلبه ، ومنهم من يُحسِّن قبيحَ الحاكم الجائر ويُصدِّق كذبه ، يتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يرحمهم حكامهم ، يسفكون دماءهم ، يدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ، يكون هلاكهم بسبب مخالطتهم حكام الجور ، وفي المتون : مَن أعان الحاكم الظالم السفيه فلا يرد حوض النبي صلى الله عليه وآله .

تظلُّ حالتُهم من سيِّئٍ إلى اسوأ ، في ظلِّ عالَمٍ يحكمه الجبابرة المفسدون ، إلى أن ينادي منادٍ من السماء : هذا المهدي المنتظر قد ظهر .. وتظهر علامات في السماء ، وآياتٌ في الأرض ، ولا يبقى بيت في الأرض إلا وتحدَّث بالمهدي (عليه السلام) . فإذا ظهر المهديُّ (عليه السلام) في مكَّة زحفت إليهِ أناسٌ تفديه بالمُهَج وما تملك ، في حين تُعلن أممٌ جائرة ، وأباطرة مُفسِدَة حربَها عليه ، فيُمكِّنُهُ اللهُ منهم ، إلى ان يُقيم العدل الإلهي الأعظم على الأرض ، ويقود الأمّة البشريَّة إلى أعظم تكاملها .. جعلنا اللهُ من أنصاره وأعوانه والذَّابين عنه والمُستشهدين بين يديه ، فإنْ لم نُوفَّق لذلك ، أماتنا اللهُ تعالى على دينهِ ودين آبائِهِ الكرام ، وحشرنا معهم ، وسقانا من حوضهم ، وشملنا بشفاعتهم ، بمحمّد وآل محمّد ..

بذلك أكون قد انتهيتُ من كتابٍ أكثر تفصيلاً حول هويَّة العالم المستقبلي الحتمي ، الذي ستقودهُ دولةُ القرآن والعترة وعداً مبرمَاً . في ظل الإمامة المعظّمة ، على نحوٍ يشكِّل أكبر مفصلٍ في قيادة الأمّة البشريّة نحو كمالاتها الممكنة ، في جزءٍ من ختام المسيرة الإختباريَّة على الأرض . ليطلَّ مركبُ البشر بعد حين من تمام الحوادثِ المُحتومة على العالم الآخر ، عالم الربِّ الأعظم ، عالم الإشراق الكبروي يوم الدِّين ، بما يعنيه من نشورٍ ومحكمةٍ وسؤال وحساب ، ثم افتراق للأمم بين جنّة ونار .. فما أعظم الموقف ، وما أدقَّ المرحلة ، وما أعظم النتائج .. فيا ربّي إليك ألجأ ، وبمحمّدٍ وآله الأطهار أعتصم ، فاشملني وأهلي وأرحامي وأسبابي والمؤمنين والمؤمنات برحمتك ، يا أرحم الراحمين ، بمحمّد وآله الطاهرين . ادعو الله تعالى ان يُحييني ويميتني وأهلي وأرحامي وأسبابي والمؤمنين والمؤمنات على حبِّ محمَّد وآل محمّد وولايتهم .. والحمد لله ربِّ العالمين .

الشيخ جعفر حسن عتريسي
٢ حزيران ٢٠٠٥ عصر الجمعة
الكريمة ، أكرمنا اللهُ بثوابها .

مصادر الكتاب وفق الحروف الأبجدية.

- أمالي الشيخ الطوسي : شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠
- أمالي الشجري : (الامالي الخميسية) : يحيى بن الحسين الشجري المتوفى ٤٧٩
- أمالي الصدوق : الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١
- أمالي المفيد : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣
- الامامة والتبصرة : والد الشيخ الصدوق ، علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٢٩
- الامثال : (أبو الشيخ) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الاصبهاني المتوفى ٣٦٩
- الاحتجاج : أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس .
- الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان : علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى ٧٣٩
- إحقاق الحق وإزهاق الباطل : الشهيد السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري المتوفى ١٠١٩ مع تعليقات آية الله المرعشي النجفي .
- أخبار المهدي : أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠ .
- الائمة الاثنا عشر : شمس الدين محمد بن طولون المتوفى ٩٥٣
- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون : أحمد بن محمد بن الصديق ، أبو الفيض الغماري الحسني الازهري الشافعي المغربي المتوفى ١٣٨٠ ..

- إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم : أبو الفيض محمد الزبيري المتوفى ١٢٠٥ .
- إثبات الرجعة : الفضل بن جبرئيل بن شاذان النيسابوي المتوفى ٢٦٠
- إثبات الوصية : علي بن الحسين المسعودي المؤرخ ، صاحب مروج الذهب المتوفى ٣٤٦ .
- إثبات الهداة : محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٠٤ .
- أخبار الدول وآثار الاول : أحمد بن يوسف القرماني الدمشقي المتوفى ١٠١٩ مجلد واحد من القطع االكبير .
- أخبار المهدي : أبو العلاء الهمداني ، الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار المتوفى ٥٦٩ . بالواسطة .
- الاختصاص : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣
- إختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي) : أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المتوفى ٣٨٥ ، تلخيص أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي توفى ٤٦٠ مجلد واحد
- الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة : محمد صديق حسن القنوجي البخاري المتوفى ١٣٩٧
- الاربعون حديثا في المهدي : أبو العلاء الهمداني ، الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار المتوفى ٥٦٩ بالواسطة ، ولعله هو أخبار المهدي المتقدم .
- الاربعون في المهدي : أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠ بالواسطة .
- ارجح المطالب : ثناء الله الام تسري المتوفى ١٣٦٧ بالواسطة ،
- أرجوزة الشيخ سعدي الابي : مخطوط ، بالواسطة ،
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى ٩٥١

- الارشاد : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣
- إرشاد القلوب : الشيخ أبو محمد الديلمي من علماء القرن الثامن
- الاربعون حديثا المستدركة على صحيفة الامام الرضا
- الاربعون في التصوف : الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي المتوفى ٤١٢
- الاستيعاب في معرفة الاصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المتوفى ٤٦٣
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفى ٦٣٠
- الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة (المعروف بالموضوعات الكبرى) : نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري المتوفى ١٠١٤
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين : محمد بن علي الصبان المتوفى ١٢٠٦
- أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب : (المعروف بكتاب ابن الجزري) : محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي المتوفى ٨٣٣
- الاشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء : علاء الدين مغلطاي بن فليح بن عبد الله البكيحري الحكري التركي المتوفى ٧٦٢ بالواسطة .
- أعلام الورى بأعلام الهدى : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى ٥٤٨
- أعيان الشيعة : السيد محسن الامين العاملي المتوفى ١٣٧٠
- الافراد : علي بن عمر الدارقطني المتوفى ٣٨٥ من مخطوطات المكتبة الظاهرية بالواسطة .
- إقامة البرهان : الغماري . بالواسطة .

- إنسان العيون في سيرة الامين والمأمون ، المعروفة (السيرة الحلبية) : علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي المتوفى ١٠٤٤
- الامثال : العسكري بالواسطة .
- الاشاعة لاشراط الساعة : محمد بن رسول الحسيني البرزنجي المتوفى ١١٠٣
- إشراق مصابيح السير المحمدية بمزج أسرار المواهب اللدنية : (شرح المواهب اللدنية للقسطلاني) : محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المتوفى ١١٢٢ بالواسطة .
- الاسماء والصفات : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري المتوفى ٤٥٨
- أشعة اللمعات : بالواسطة .
- الاصابة في تميز الصحابة : ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨
- الانوار المضيئة : للسيد علي بن الحميد أوائل القرن الثامن بالواسطة ،
- الايقاظ من الهجعة : الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤
- البدء والتاريخ : المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، وهو المطهر بن طاهر المقدسي المتوفى بعد ٣٥٥
- البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم بن سليمانم بن إسماعيل البحراني التوبلي الكتتكاني المتوفى ١١٠٧
- البرهان في علامات مهدي آخر الزمان : علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي الجونپوري المتوفى ٩٧٥
- بشارة الاسلام : السيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي المتوفى ١٣٣٦
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار : العلامة محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١١

- البحر المحيط في علم التفسير : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي الغرناطي المتوفى ٧٥٤
- بدائع الزهور في وقاية الدهور (تاريخ ابن أياس) : الشيخ محمد بن أحمد بن أياس الحنفي المتوفى ٩٣٠
- البداية والنهاية : (أبو الفداء الحافظ ابن كثير) إسماعيل بن عمر بن كثير ، المتوفى ٧٧٤
- بشارة المصطفى : أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي (الطبري) من علماء القرن السادس
- البعث والنشور : أحمد بن الحسن بن علي البيهقي المتوفى ٤٥٨ بالواسطة
- البيان في أخبار صاحب الزمان : محمد بن يوسف بن محمد القرشي الگنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ مطبوع مع كفاية الطالب للمؤلف
- التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول : الشيخ منصور علي ناصف المتوفى ١٣٧١
- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد : محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي المتوفى ٢٩٠
- بصائر الدرجات : سعد بن عبد الله القمي المتوفى ٣٠١ بالواسطة .
- تاريخ قم : حسن بن محمد بن حسن القمي ألف كتابه سنة ٣٧٨
- التاريخ الكبير : إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفى ٢٥٦
- التاريخ الكبير : (ويسمى كتاب المشيخة) : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي المتوفى ١٢٧٧ بالواسطة .
- تاريخ مدينة دمشق : المعروف (بابن عساكر) : علي بن حسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المتوفى ٥٧١
- تاج المواليد : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى ٥٤٨

- تاريخ الاسلام : عثمان عثماني ، بالواسطة .
- تاريخ أصبهان : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده بن الوليد بن مسندة المتوفى ٣٠١ بالواسطة .
- تاريخ بغداد : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣
- تاريخ مواليد الائمة ووفياتهم : أبو محمد عبد الله بن النصر بن الخشاب البغدادي المتوفى ٥٦٧
- تالي التلخيص : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ بالواسطة .
- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : السيد شرف الدين علي الحسيني الاستر آبادي النجفي من أعلام القرن العاشر
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري المتوفى ٩٦٦
- تاريخ داريا : عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولاني المتوفى ٣٧٠
- تاريخ الرقة ومن نزل بها : محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني المتوفى ٣٣٤ بالواسطة
- تأويل مختلف الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى ٢٧٦
- تتمة معرفة الصحابة : أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الاصبهاني المتوفى ٥٨١ بالواسطة .
- التجريد في الجمع بين الصحاح الستة : رزين بن معاوية بن عمار العبدري المتوفى ٥٣٥ بالواسطة .
- تحف العقول عن آل الرسول : أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، من أعلام القرن الرابع
- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة : زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر العثماني المراغي المتوفى ٧١٦ بالواسطة .
- تذكرة الحفاظ : شمس الدين محمد الذهبي المتوفى ٧٤٨

- تذكرة الخواص : (سبط ابن الجوزي) يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي المتوفى ٦٥٤
- تحفة الابرار في مناقب أبي الائمة الاطهار : السيد حسين بن مساعد بن الحسن الحسيني الحائري من علماء القرن التاسع والعاشر ، بالواسطة .
- تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي : محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري المتوفى ١٣٥٣
- تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف : يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي المتوفى ٧٤٢
- تحفة الطالب في مناقب علي بن أبي طالب : محمد بن علي العاملي الشحوري بالواسطة .
- تفسير العياشي : محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي من أعلام القرن الثالث
- تفسير الصافي : محمد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المعروف بالفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١
- تفسيرر القمي : أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي أواخر القرن الثالث
- التفسير الكبير : (فخر الدين الرازي) محمد بن عمر بن حسين الرازي المتوفى ٦٠٦
- التفسير الكبير : أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصبهاني المتوفى ٤١٠ بالواسطة .
- تفسير فرات الكوفي : فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي من القرن الثالث ،
- تفسير ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر المتوفى ٣٢٧ بالواسطة .
- تفسير أبي القاسم البستي : أبو القاسم إسماعيل بن علي بن أحمد البستي الزيدي المتوفى ٤٢٠ بالواسطة .

- تفسير روح الجنان وروح الجنان : جمال الدين أبو الفتوح حسين بن علي بن محمد بن أحمد الرازي القرن السادس الهجري
- تفسير القرآن : أبو بكر محمد بن إبراهيم ببن المنذر النيسابوري المتوفى ٣١٨ بالواسطة .
- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤
- تفسير نور الثقلين : عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى ١١١٢
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المتوفى ٦٧١
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : عبد العظيم بن عبدالقوى المنذري المتوفى ٦٥٦
- تمييز الطيب من الخبيث : عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الشافعي الاثري المعروف بابن الديبع المتوفى ٩٤٤
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة : أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني المتوفى ٩٦٣
- تنقيح المقال في علم الرجال : الشيخ عبد الله محمد حسن بن المولى عبد الله المامقاني النجفي المتوفى ١٣٥١
- توالي التأسيس لمعالي ابن إدريس : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر ، والدجال المسيح : محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠ .
- تهذيب الآثار : محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى ٣١٠ وهو مسانيد : علي (ع) وعمر و عبد الله بن عباس .
- تسديد القوس في مختصر مسند الفردوس ك أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢

- التصريح بما تواتر في نزول المسيح : محمد أنور شاه الكشميري الهندي المتوفى ١٣٥٢
- تلبيس إبليس : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفى ٥٩٧
- تلخيص المتشابه في الرسم : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي : المتوفى ٤٦٣
- تهذيب الاحكام في شرح المقنعة : أبو جعفر عبد الله بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير : عبد القادر بدران المتوفى ١٣٤٦
- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- تهذيب الشمائل في السيرة النبوية : محمد بن محمد بن حمزة بن عوض الشهير بملا عرب الانطاكي المتوفى ٩٣٨ بالواسطة .
- التيسير بشرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي المتوفى ١٠٣١
- تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول : عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني المتوفى ٩٤٤
- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال : الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى ٣٨١
- ثاقب المناقب : عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة المشهدي الطوسي من أعلام القرن السادس
- جالية الكدر : عبد الهادي الابياري المتوفى ١٣٠٥ بالواسطة .
- الجامع لاحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى ٦٧١
- الجرح والتعديل : أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد العقيلي المتوفى ٣٢٢ بالواسطة
- جامع الاصول من أحاديث الرسول : (ابن الاثير) أبو السعادات مبارك بن محمد المتوفى ٦٠٦

- جامع البيان في تفسير القرآن : محمد بن جرير بن يزيد ،طبري المتوفى ٣١٠
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١
- جمع الجوامع (الجامع الكبير) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١
- جواهر العقدين في فضل الشرفين : علي بن أحمد السمهودي المتوفى ٩١١ بالواسطة .
- الجعفريات والاشعثيات : محمد بن محمد الاشعث الكوفي من أعلام القرن الرابع مطبوع مع كتاب قرب الاسناد
- الجمع بين الصحيحين : محمد بن الحسين بن أحمد الانصاري المري الظاهري المتوفى ٥٣٦ بالواسطة .
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم : محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الازدي الحميدي المتوفى ٤٤٨ بالواسطة .
- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : (أبو نعيم الاصفهاني) أحمد بن عبد الله المتوفي ٤٣٠
- الخرائج والجرائح : (قطب الدين الراوندي) أبو الحسين سعيد بن هبة الله المتوفى ٥٧٣
- الحاوي للفتاوى : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١
- حديقة الشيعة : أحمد بن محمد الاردبيلي ، المشهور بالمقدس الاردبيلي المتوفى ٩٩٣
- حلية الابرار في فضائل محمد وآله الاطهار : السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحراني المتوفى ١١٠٧
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب : سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي المتوفى ٧٤٩

- الخصائص الكبرى : جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١
- الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفى ٨٤٥
- الخصال : أبو جعفر محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١
- خصائص الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣
- الخصائص العلوية على سائر البرية ، والمائر العلية لسيد الذرية : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي النطنزي من علماء القرن الخامس والسادس بالواسطة .
- الدرة الثمينة : محب الدين محمد بن محمود بن النجار المتوفى ٦٤٣ بالواسطة ،
- الدر اليمني أو الثمين : البلخي الشافعي ، بالواسطة .
- دلائل الامامة : أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري القرن الرابع ،
- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة : السيد علي خان الشيرازي المتوفى ١١٣٠
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١
- دلائل النبوة : (أبو نعيم الاصفهاني) أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨
- ذكر أخبار أصبهان : (أبو نعيم الاصفهاني) أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠
- ذم الملاهي : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ بالواسطة
- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى ٦٩٤
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الاحاديث : عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي المتوفى ١١٤٣

- الرد على مَن كذَّب بالاحاديث الصحيحة الواردة في المهدي الشيخ محسن العباد .
- الرسالة القوامية في مناقب الصحابة : أبو مظفر السمعاني ، بالواسطة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠
- راموز الاحاديث : ضياء الدين أحمد بن مصطفى الكموه شخانه وي الاستانبولي المتوفى ١٣١١ بالواسطة .
- ربيع الابرار ونصوص الاخبار : جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨
- الرد على الزيدية : أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الدوريستي من أعلام القرن الخامس
- الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي المتوفى ٥٨١
- روضة الواعظين : محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد المتوفى ٥٠٨
- الزهد : أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ بالواسطة .
- زهر الفردوس : ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ بالواسطة .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة : أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري المتوفى ٦٩٤
- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧
- سنن أبي داود : سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى ٢٧٥
- سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن مسورة المتوفى ٢٩٧
- السراج المنير : علي بن أحمد بن محمد العزيزي الشافعي المتوفى ١٠٧٠
- سنن سعيد بن منصور : سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي المتوفى ٢٢٧

- سر الروح : البقاعي ، بالواسطة . طاووس المتوفى ٦٦٤
- السنن الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى ٤٥٨
- سنن الدار قطني : علي بن عمر الدار قطني المتوفى ٣٨٥
- سنن الهدى في متابعة المصطفى : عبد النبي بن أحمد بن الفردوس الحنفي النعماني المتوفى ٩٩٠ بالواسطة .
- السياق في ذيل تاريخ نيسابور : (الحكم النيسابوري) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المتوفى ٤٠٥ بالواسطة .
- شرح السنة : (البغوي) الحسين بن مسعود المتوفى ٥١٦ بالواسطة .
- سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي المتوفى ٢٥٥
- سنن النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى ٣٠٣
- السنن الواردة في الفتن : أبو عمرو عثمان بن سعيد المقري الداني المتوفى ٤٤٤
- شرف النبي ﷺ : أبو سعيد الواعظ الخركوشي المتوفى ٤٠٧
- شرح معاني الآثار : (الطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى ٣٢١
- شرح المقاصد : (التفتازاني) مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي المتوفى ٧٩٣
- شرح نهج البلاغة : (ابن أبي الحديد) عز الدين أبو حامد بن هبة الله الحسين بن أبي الحديد المدائني المتوفى ٦٥٥
- شعب الايمان : (البيهقي) أحمد بن الحسين المتوفى ٤٥٨ بالواسطة .
- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١
- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي المتوفى ٨٧٧

- صحيح ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي المتوفى ٣٥٤
- صحيح البخاري : إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفى ٢٥٦
- صفات الشيعة : الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى ٣٨١
- الصواعق المحرقة : أحمد بن حجر الهيثمي المتوفي ٩٧٤ .
- صفة الصفوة : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧
- صفة المهدي : أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠ بالواسطة
- الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المتوفى ٢٣٠
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : (السيد ابن طاووس) علي بن موسى المتوفى ٦٦٤
- العطر الوردي : الشيخ محمد البلبيسي بن محمد بن أحمد الشافعي المتوفى ١٣٠٨
- العظمة : أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حبان الاصبهاني المتوفى ٣٦٩ بالواسطة
- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية : رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلي من أعلام القرن الثامن
- عدة رسائل : الشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣
- العرف الوردي في أخبار المهدي : جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١
- عقد الدرر في أخبار المنتظر : يوسف بن يحيى بن علي المقدسي السلمي الشافعي من علماء القرن السابع
- عقيدة أهل السنة والاثر في المهدي المنتظر : الشيخ عبد المحسن العباد
- عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام : محمد أنور شاه الكشميري الهندي المتوفى ١٣٥٢ بالواسطة .

- العلل : ابن القيطان بالواسطة .
- العقوبات : ابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ بالواسطة .
- عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الآيات والاخبار والاقوال : الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني من تلامذة العلامة المجلسي
- العوالي : أبو نعيم الاصفهاني ، أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠ نقل عنها الكنجي الشافعي من علماء القرن الحادي عشر .
- علل الشرائع : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١
- العمدة لابن البطرى : عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الابرار يحيى بن الحسن الاسدي الحلي المعروف بابن البطريق المتوفى ٦٠٠
- العوالي : عبد الرحمن بن حاتم ، بالواسطة .
- العوالي : (أبو الشيخ) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حبان الاصبهاني المتوفى ٣٦٩ بالواسطة .
- عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية : محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي المعرف بابن أبي جمهور المتوفى ٩٤٠
- عيون أخبار الرضا : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى ٣٨١
- عيون المعجزات : الشيخ حسين بن عبد الوهاب من علماء القرن الخامس
- عون المعبود وشرح سنن أبي داود : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي المتوفى ١٣٢٩
- عيون الاخبار : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦
- غريب الحديث : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧
- غريب الحديث : ابن قتيبة ، بالواسطة .
- غاية المأمول (شرح التاج الجامع للاصول) : منصور علي ناصف المتوفى ١٣٧١

- غاية المرام في حجة الخصام عن طريق الخاص والعام : السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحراني المتوفى ١١٠٧
- الغايات : أبو محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي بالواسطة .
- الغيبة : الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠
- الغيبة : الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني المتوفى ٣٦٠
- الفائق في غريب الحديث : جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٨٣
- غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقيس الواعظ : خير الدين أبو البركات نعمان بن محمود الآلوسي المتوفى ١٣١٧
- الغريبين (غريبي القرآن والحديث) : أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى ٤٠١ بالواسطة .
- الغيبة : أبو محمد فضل بن شاذان الازدي النيسابوري المتوفى ٢٦٠ بالواسطة .
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير : وهما لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١ وقد مزجهما ورتبهما يوسف النبهاني المتوفى ١٣٥٠
- الفتن : أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي المتوفى ٢٢٨
- الفتاوى الحديثية : أحمد بن حجر الهيثمي المتوفى ٩٧٧٤
- فتح الوهاب للغماري : بالواسطة .
- فتح الباري : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- الفتن : أبو صالح السليلي بن أحمد بن عيسى بن الشيخ الحساني بواسطة ملاحم ابن طاووس
- الفتوحات المكية : ابن عربي محمد بن علي المتوفى ٦٣٨
- الفتن : أبويحيى زكريا بن يحيى بن الحارث النيسابوري المزكي البزار المتوفى ٢٩٨ بواسطة كتاب ابن طاووس .

- فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام : إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخراساني المتوفى ٧٣٠
- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية : سليمان بن عم العجيلي الشافعي الشهير بالجمل المتوفى ١٢٠٤
- الفرج بعد الشدة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ بالواسطة .
- فضائل القدس : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧
- فضائل القرآن : محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس الرازي المتوفى ٢٩٤ بالواسطة
- فضائل قزوين : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ بالواسطة
- فضل الكوفة وفضل أهلها : محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي الحسيني الكوفي المتوفى ٤٤٥
- الفوائد : أبو نعيم الاصبهاني ، بالواسطة .
- الفردوس بمأثور الخطاب : أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب الكيا المتوفى ٥٠٩
- الفصول المهمة في معرفة أحوال الائمة عليهم السلام : علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي ، الشهير بابن الصباغ المتوفى ٨٥٥
- الفضائل : أبو الفضل سديد الدين شاذان بن جبرائيل القمي المتوفى ٦٦٠
- فصل الخطاب : محمد بن محمود الحافظ البخاري المعروف بخواجه پارسا المتوفى ٨٢٢ بالواسطة .
- الفصول العشرة في الغيبة : الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣

- فضائل الشام : أبو الحسن علي بن محمد الربعي المالكي المتوفى ٤٤٤ بالواسطة .
- فضائل الصحابة : أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١
- فوائد الاخبار : أبو بكر الاسكافي ، أحمد بن محمد بن هاني المتوفى ٢٦١ بالواسطة .
- فوائد تمام الرازي : تمام بن محمد بن عبد الله الرازي البجلي المتوفى ٤١٤ بالواسطة .
- فوائد سمويه : إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدي الاصبهاني المتوفى ٢٦٧
- فوائد العراقين : أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو بن مهدي الاصبهاني النقاش المتوفى ٤١٤ بالواسطة .
- الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني المتوفى ١٢٥٠
- فيض القدير شرح الجامع الصغير : المناوي محمد المدعو بعبد الرؤوف المتوفى ١٠٣١
- القناعة والتعفف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ بالواسطة .
- القول المختصر في علامات المهدي المنتظر : أحمد بن حجر الهيثمي المتوفى ٩٧٤
- القرب في محبة العرب : زين الدين عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٠٦ بالواسطة .
- قصص الانبياء (عرائس المجالس) : ابن اسحق أحمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى ٤٢٧
- قصص الانبياء : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، المتوفى ٧٧٤
- قصص الانبياء : علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي الكسائي المتوفى ١٨٠ بالواسطة .

- الكافي : الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى ٣٢٩
- كتاب الآل : ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمداني المتوفى ٣٧٠ بالواسطة .
- كتاب أبي جعفر محمد بن العباس الرازي : بالواسطة .
- الكامل في السقيفة : عماد الدين الطبري ، الحسن بن علي بن محمد بن الحسن من علماء القرن السابع بالواسطة .
- الكامل في ضعفاء الرجال : أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى ٣٦٥
- كتاب سليم بن قيس الكوفي : سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري المتوفى ٩٠
- كتاب عمربن إبراهيم الاوسي : بالواسطة .
- كتاب الفضل بن شاذان : الازدي النيسابوري المتوفى ٢٦٠ بالواسطة ، وقد يعبر عنه بكتاب القائم أو الغيبة .
- كتاب الجوزقي : محمد بن عبد الله بن زكريا الجوزقي بالواسطة .
- كتاب حسن بن كبش : بالواسطة .
- كتاب الزهد الكبير : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨
- كرامات الاولياء . الخلال أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي البغدادي المتوفى ٣٥٢ بالواسطة .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفى ٥٢٨
- كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة : الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى ٨٠٧
- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : العلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطه ، المتوفى ٧٢٦

- كفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر : الخزاز القمي أبو القاسم علي بن محمد بن علي من علماء القرن الرابع
- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى ٩٧٥
- كنز الفوائد : أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي المتوفى ٤٤٩
- كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق : محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى ١٠٣١ بالواسطة .
- كمال الدين وتمام النعمة : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ وقد يسمى إكمال الدين وإتمام النعمة .
- كشف الاستار عن وجه الغائب عن الابصار : ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى ١٣٢٠
- كشف الغمة في معرفة الائمة : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي المتوفى ٦٩٢
- الكشف والبيان في تفسير القرآن : تفسير الثعالبي : أحمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى ٤٢٧
- كنز جامع الفوائد ودافع المعاند (مختصر تأويل الآيات) : علم بن سيف بن منصور النجفي الحلي من علماء القرن العاشر بالواسطة .
- الكنى والالقاب : الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المتوفى ٤٠٥ بالواسطة .
- اللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١
- لب اللباب : أبو الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي المتوفى ٥٧٣ بالواسطة .
- لسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢

- لباب التأويل في معاني التنزيل تفسير الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المتوفى ٧٢٥
- لوائح الانوا البهية : شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي المتوفى ١١٨٨
- ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام : محمد بن العباس بن علي بن مروان بن الماهيار ، من علماء القرن العاشر بالواسطة .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧
- المحاسن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى ٢٧٤
- المحتضر : عز الدين الحسن بن سليمان الحلي من أعلام القرن التاسع
- المتفق والمفترق : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ بالواسطة .
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى ٥٤٨
- مجمع الرجال : زكي الدين عناية الله بن مشرف الدين القهبائي من أعلام القرن الحادي عشر
- مختصر سنن أبي داود : عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة المنذري المتوفى ٦٥٦
- مختصر شعب الايمان للبيهقي : أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن القزويني المتوفى ٦٩٩
- المتفق والمفترق : ابن النجار ، محمد بن محمود البغدادي المتوفى ٦٤٣ بالواسطة .
- المجازات النبوية : الشريف الرضي ، محمد بن الحسين بن أحمد الموسوي المتوفى ٤٠٦
- المحلى : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى ٤٥٦
- المختار في الحديث : ضياء الدين محمد بن عبد الواحد الحنبلي المتوفى ٦٤٣ بالواسطة .

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : محمد بن مكرم المعروف بابن منظور المتوفى ٧١١
- مختصر تفسير ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ دار القرآن الكريم
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود المتوفى ٧١٠ مطبوع بهامش تفسير الخازن
- مرقاة المفاتيح : علي بن سلطان محمد القاري الهروي الحنفي المتوفى ١٠١٤ وهو شرح مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي
- مختصر إتحاف السادة المهرة في زوائد المسانيد العشرة : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن فايماز البوصيري المتوفى ٨٤٠ بالواسطة .
- مختصر بصائر الدرجات : عز الدين الحسن بن سليمان الحلي من أعلام القرن التاسع ،
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل : الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى ١٣٢٠
- مسند أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي : المتوفى ٢١٩
- مسند مسدد : أبي الحسن بن مسرهد المتوفى ٢٢٨ بالواسطة .
- مسند أحمد : أحمد بن حنبل المتوفى
- مسند أحمد بن منيع : أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي البغدادي المتوفى ٢٤٤ بالواسطة .
- مسند البزار : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى ٢٩٢ بالواسطة .
- المستجاد من كتاب الارشاد : الحسن بن المطهر الحلي المتوفى ٧٢٦
- المستدرك على الصحيحين في الحديث : الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المتوفى ٤٠٥

- مصابيح السنة : الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي المتوفى ٥١٦
- المصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى ٢١١
- مصنف هناد بن السري : هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي الكوفي (أبو السري) المتوفى ٢٤٣ بالواسطة
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي الشافعي ، المتوفى ٦٥٢
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري المتوفى ٢٠٤
- مسند أبي عوانة : يعقوب بن اسحاق الاسفرائيني المتوفى ٣١٦
- مسند ابن أبي أسامة : الحارث بن محمد التميمي المتوفى ٢٨٢ بالواسطة .
- مسند ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري المتوفى ٣١١ بالواسطة ،
- مسند ابن راهويه : اسحق بن راهويه المتوفى ٢٣٨ بالواسطة .
- مسند أبي يعلى الموصلي : أحمد بن علي بن المثنى التميمي المتوفى ٣٠٧
- مسند الحسن بن سفيان : الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي المتوفى ٣٠٣ بالواسطة .
- مسند الروياني : أبو بكر محمد بن هارون الروياني المتوفى ٣٠٧
- مسند الشاميين : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى : ٣٦٠ بالواسطة
- المسند الكبير في الحديث : أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي المتوفى ٣٣٥
- مسند يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي : المتوفى ٢٢٨ بالواسطة .

- المسيح عيسى بن مريم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤
- مسند الشاميين : أبو زرعة ، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري الدمشقي المتوفى ٢٨٠ بالواسطة .
- مسند الشهاب : القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القصاعي المتوفى ٤٥٤
- مسند عبد بن حميد : عبد بن حميد بن نصر الكسي المتوفى ٢٤٩ بالواسطة
- مسند الدورقي : أبو يوسف يعقوب بن كثير الدورقي المتوفى ٢٥٢ بالواسطة .
- مسند الرامهرمزي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد المتوفى ٣٦٠ بالواسطة .
- المسيح عيسى بن مريم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤
- المشرب الوردي في أخبار المهدي : الملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي المتوفى ١٠١٤ بالواسطة .
- مشكاة المصابيح محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي المتوفى ٧٣٧
- مشارق الانوار في فوز أهل الاعتبار : الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المتوفى ١٣٠٣ .
- معرفة الصحابة : أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الاصبهاني المتوفى ٤٣٠ بالواسطة .
- معرفة الصحابة : ابن منده ، محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى المتوفى ٣٩٥ بالواسطة .
- مفتاح النجا في مناقب آل العبا : ميرزا محمد بن رستم البدخشي بالواسطة .
- معالم السنن : أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى ٣٨٨
- المعجم الصغير : الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب ، المتوفى ٣٦٠ معجم البلدان : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المتوفى ٦٢٦

- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام : الحافظ رجب البرسي المتوفى بعد سنة ٨١٣
- معالم التنزيل تفسير البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٦
- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة : آية الله السيد أبو القاسم الخوئي
- المعجم الكبير : لابن المقري ، محمد بن إبراهيم بن علي بن زاذان الاصبهاني الخازن المتوفى ٣٨٠ بالواسطة .
- معرفة السنن والآثار : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨
- معرفة الصحابة : أبو منصور الباوردي بالواسطة .
- مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين بن محمد الاموي المتوفى ٣٦٥
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهر على الالسنة : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى ٩٠٢
- مقتضب الاثر : الشيخ أحمد بن عبيدالله بن عياش الجوهري المتوفى ٤٠١
- مقتل الحسين عليه السلام : أبو مؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي المتوفى ٥٦٨
- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفى ٨٠٨
- مشكل الآثار : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى ٣٢١
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المتوفى ٧٥١
- مناقب آل أبي طالب : أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفى ٥٨٨
- مناقب أهل البيت عليهم السلام : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى ٢٥٥ بالواسطة .

- مقصد الراغب في فضائل علي بن أبـي طالـب عليـه السـلام : الحسـين بـن محمد بن الحسن بالواسطة .
- مكارم الاخلاق : أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسـي ، مـن علمـاء القـرن السادس
- الملاحم والفتن : ابن المنـادي ، أبـو الحسـن أحمـد بـن جعفـر بـن عبيـدالله البغدادي المتوفى ٣٣٦
- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر : رضي الدين علي بن موسـى بـن طاووس المتوفى ٦٦٤
- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام : ابـن المغـازلي علـي بـن محمـد بـن محمد الواسطي الشافعي المتوفى ٤٨٣
- مناقب الشافعي : أحمد بن الحسين بن علي موسى البيهقي المتوفى ٤٥٨
- منتخب الصحيحين من كلام سيد الكوفين صلى الله عليه وسلم : يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى ١٣٥٠
- منتخب كنز العمال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى ٩٧٥
- المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تـاريخ الصـحابة والتـابعين : محمـد بـن جرير بن يزيد الطبري المتوفى ٣١٠
- المنتظم في تاريخ الملوك والامـم : أبـو الفـرج عبـد الـرحمن بـن علـي بـن الجوزي المتوفى ٥٩٧
- المصنف : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥
- مناقب فاطمة وولدها عليهم السلام : أبو جعفر محمد بن جريـر بـن رسـتم الطبري القرن الرابع بالواسطة .
- المناقـب للخـوارزمي : أبـو المؤيـد الموفـق بـن أحمـد بـن محمـد البكـري المعروف بأخطب خوارزم المتوفى ٥٦٨

- مناقب المهدي عليه السلام : أبو نعيم الاصبهاني المتوفى ٤٣٠ بالواسطة .
- منتخب الاثر في الامام الثاني عشر عليه السلام : لطف الله الصافي الگلپايگاني
- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى ٩٢٣
- منهاج السنة النبوية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى ٧٢٨
- منهاج الكرامة في إثبات الامامة : العلامة الحلي ، حسن بن يوسف الحلي المتوفى ٧٧٦
- منهج الصادقين في إلزام المخالفين : فتح الله بن شكر الله الكاشاني المتوفى ٩٧٧
- مودة ذوي القربى : مير سيد علي بن شهاب الهمداني المتوفى ٧٨٦ بالواسطة .
- الموطأ : مالك بن أنس المتوفى ١٧٩
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨
- نعت المهدي : أبو نعيم الاصبهاني المتوفى ٤٣٠ بالواسطة .
- المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والامامية : الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري
- المهذب البارع في شرح المختصر النافع : الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد الاسدي الحلي المتوفى ٨٤١ .

- نوادر الراوندي : فضل الله بن علي الحسيني الراوندي من علماء القرن الخامس
- نور الابصار في مناب آل النبي المختار صلى الله عليه وآله : الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي المتوفى حدود ١٢٩٠
- النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير المبارك بن محمد الجزري المتوفى ٦٠٦
- النكت الظراف على الاطراف : أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢
- نوادر الاصول في معرفة أحاديث الرسول : أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي ، من علماء القرن الثالث
- نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم : إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى ٧٧٤
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشرريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى : نور الدين علي المصري السمهودي ، المتوفى ٩١١
- وسيلة المال بذكر فضائل الآل : أحمد بن الفضل بن محمد بن كثير الحضرمي الشافعي المتوفى ١٠٤٧ بالواسطة .
- الوفا بأحوال المصطفى : أبوالرج عبد الرحمن بن علي المعروف (ابن الجوزي) المتوفى ٥٩٧
- الهدية الندية للامة المحمدية فيما جاء في فضل الذات المهدية : مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري المتوفى ١١٦٢ بالواسطة .
- ينابيع المودة : سليمان بن إبراهيم بن القندوزي الحنفي المتوفى ١٢٩٤
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى ٨٥٥

- اليقين في امرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : رضي الـدين أبو القاسم ابن طاووس المتوفى ٦٦٤
- غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦

الفهرس :

- نصيحة لأهل الدنيا : ٣

** سفراء الإمام المهدي عليه السلام والوقائع المتّصلة بذلك الزمان : ٩

- حضور الملائكة عند ولادة المهدي عليه السلام ٧٠
- دلالات مقام الإمامة وعلامات التأييد الرباني ٧٢
- نماذج لبعض مَن تشرَّف برؤيته عليه السلام في الغيبة الصغرى ٩١
- جملة من كراماته عليه السلام في الغيبة الصغرى ١٢٤
- جملة مِن كراماته عليه السلام بعد الغيبة الصغرى ١٥١
- بعض أدعية الإمام المهدي عليه السلام ١٦٩

** الأئمَّة في مخزون « القرآن » وبشارة الكُتب : (البشارة بالمهدي عليه السلام) ١٩٥

- الاعتقاد بالمهدي عليه السلام مِن الايمان بالغيب الوارد في القرآن ٢٠١

- الإمام المهدي عليه السلام يفتح بلاد الروم ويقيم العدل آخر الزمان(نموذج قرآني) ٢٠٥
- المهدي عليه السلام مِن كلمات الله تعالى (نموذج قرآني) ٢٠٧
- أصحاب المهدي وجملة من أحداث وأخبار ظهوره عليه السلام (نموذج قرآني) ٢١١

** مجيئ الروم إلى السواحل وخروج أهل الكهف ، ومعالم الظهور ، وأمور أخرى (نموذج قرآني) ٢٤٠

- طائفة من « الآيات » ناظرة إلى أحداث آخر الزمان ومقام أهل البيت عليهم السلام ٢٨٥
- بغتة الظهور ٢٩٣
- يقيم المهدي دولة الإسلام حتى يُوحَّد الله ٢٩٧
- الإمامة كلمة الله الباقية ٣٠٠
- القائم المنتظر في القرآن الكريم ٣٢٢
- بالقائم عليه السلام ينتصر الله ويبطل أمر الجبابرة (نموذج قرآني) ٣٣٨

** تعاظم الحق يوم قيام القائم ويوم الرجعة (نموذج قرآني) ٣٤٨
- تحقيق وعد الله بالقائم المهدي عليه السلام (نموذج قرآني) ٣٧٥

- ذهول البشر من الآية التي تظهر في السماء (نموذج قرآني) ٣٩٣
- حكومة القائم المهدي عليه السلام (نموذج قرآني) ٤٠٤

** وراثة الذين استُضعِفُوا للأرض في زمن المهدي عليه السلام وما بعده (نموذج قرآني) ٤١٣

- المهدي عليه السلام ضمانة الأرض والعدل الذي يتحقّق في آخر الزمان بإذن الله (نموذج قرآني) ٤٣٢
- ظهور الفتن قبل ظهور القائم (نموذج قرآني) ٤٥٨
- المهدي عليه السلام أمين الله تعالى (نموذج قرآني) ٤٦١

** , ايات الهدى في عصر الظهور ٥٠٤

- راية الموطِّئين للمهدي (دولة خراسان) : ٥٠٦
- شعيب بن صالح ٥٣٣
- هويّة الراية الخراسانيّة ٥٣٧
- القيمة الرفيعة لأهل قم في التراث : ٥٤٧
- راية اليماني ٥٥٦
- العصائب والأبدال والنجباء : ٥٧٥

* * نموذج مختصر عن الأمم السياسيّة ذات الوزن الدولي في عصر الظهور :

- راية الروم ٥٩٩

- دولة الترك : ٦٠٩
- دولة اليهود : ٦٣٥
- دولة يأجوج ومأجوج ٦٣٨

** رايات الضلال في عصر الظهور :

* (نموذج مختصر عن الكيانات السياسيّة المفسدة في الشرق الأوسط) ٦٤٩
- الدولة القرشيَّة ٦٥٣
- الدولة العباسيَّة : ٦٥٨
- الدولة المغربيَّة في عصر الظهور : ٦٨٣
- الدولة السفيانيَّة في عصر الظهور ٦٩٣
- خاتمة : ٧٢٠

* مصادر الكتاب ٧٤٠

* الفهرس : ٧٦٩

صدر للمؤلّف :

- العولمة والعالم إدارة وأدوات .
- عقوبة الإعدام تحت المجهر .
- الإستنساخ جدل العصر .
- ولاية الفقيه والنظام الدستوري الإسلامي .
- فضائح الملفات الساخنة في لبنان .
- فوضويّة العالم وميزان القوى .
- مِن وجع السنين . (كتاب أدبي)
- أمركة الأمم وصِدام الحضارات .
- التوراة والإنجيل والقرآن .
- الرأسماليّة تجتاح العالم .
- معين القرّاء في مجالس العزاء .
- ما قبل نهاية التاريخ (ظهور قائم آل محمّد ، المهدي ﷺ) : نال الجائزة الأولى بامتياز في مهرجان الكتاب الدولي لوزارة الإرشاد والثقافة الإيرانية في مؤتمر سنة الولاية عام ٢٠٠٤ .
- العراق في قلب الإعصار (سقوط بغداد) .
- المرأة في الألفية الثالثة .
- حوار الحضارات والتصادم الأممي .
- الديمقراطيات الغربية في مواجهة الإنتشار الإسلامي .
- أفول نجم الامبراطورية الأمريكيّة .
- المفاهيم الإجتماعيّة والقيم الوجوديّة في الإسلام .
- قبل أن ينهار لبنان .
- نهاية أحداث التاريخ البشري [التحوُّل العالمي الأعظم زمن المهدي المنتظر] . (٣ أجزاء) .
- الحاكم والرعيّة .

وهناك مجموعة من الإصدارات ستخرج قريباً إلى النور إنْ شاء اللهُ تعالى .

للإتصال بالمؤلّف : لبنان – بيروت ، ت ٠٣/٦٠٥١٢٩ – ٠١/٤٥٤٦٤٢